Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الترجمة الكاملة
(٥)

وصف مصر

تأليف
علماء الحملة الفرنسية

ترجمة
زهير الشايب

النظام المالي والإداري في مصر العثمانية

دار الشايب للنشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥
وصف مصر
الترجمة الكاملة

وصف مصر

الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر

النظام المالى والإدارى فى مصر العثمانية

الجزء الثانى

تأليف
علماء الحملة الفرنسية

ترجمة
زهير الشايب

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

دار الشايب للنشر
١٠ ش سليمان الحلبى – التوفيقية
ت : ٥٧٤١٣٧١ – ٥٧٢٦٨٣٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا هو المجلد الخامس من الترجمة العربية الكاملة لكتاب وصف مصر ، وهو فى الوقت نفسه الجزء الثانى مما أسميته « الحياة الاقتصادية مى مصر فى القرن الثامن عشر » ، وهذا التبويب أو التصنيف الجديد لموسوعة وصف مصر هو اجتهاد خاص بالترجمة العربية أرجو أن اكون قد وفقت فيه ، مع العلم بأننى قد وجدت ذلك ضروريا للغاية ، ولأسباب عديدة ، على نحو ما أوضحته فى مقدمات المجلدات الأربعة السابقة .

ويضم المجلد الذى بين أيدينا ابوابا ثلاثة ، آثرت ان أطلق على كل منها اسم كتاب تيسيرا على القارىء من جهة ، ولكى اسهل على نفسى من جهة أخرى تقديمه فى ترتيب واضح ، وحرصا منى على عدم تداخل مدلولات الفاظ فى التبويب مستقرة ، وإن كنت أرجو الا أكون بسعيى وراء ذلك قد فعلت فى سبيل تحقيقه ، عكس ماكنت أبغى .

أما الكتاب الأول من هذا المجلد فيضم دراسة عن نظام الضرائب على الأطيان الزراعية التى كانت الأرض ، أوبمعنى أدق كان الفلاح ملزما بسدادها كل عام . ومؤلف هذه الدراسة هو لانكريه المولود فى عام ١٧٧٤ والمتوفى فى عام ١٨٠٧ ، وهو كما يذكر المؤرخ المصرى الكبير عبد الرحمن الرافعى فى الجزء الأول من موسوعته « تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر » من علماء الرياضيات ، ومن مهندسى القناطر والجسور ومن علماء الآثار ، وله أبحاث مستفيضة عن آثار الوجه القبلى نشرت فى وصف مصر ، كما أن له بحثا جغرافيا عن الفرع الكانوبى من فروع النيل القديمة ، وقد تولى العمل فى اللجنة المكونة لنشر وصف مصر فى عام ١٨٠٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويضم الكتاب الثانى دراسة هامة عن موارد الخزينة المصرية وإنفاقها ، ولتغطية ذلك كله قامت الدراسة بمسح شامل للنظام الإدارى فى مصر فى العصر العثمانى ، وهذه الدراسة من وضع الكونت استيف مدير خزانة الحملة فى البداية ثم مدبر الشئون المالية لمصر فى أواخر هذه الحملة الفرنسية ، ويمكن القول بأنها وضعت على أساس ما جاء بسجلاته وأوراقه ، بمعنى أنه ليس كاتبها كما نلمس ذلك من مقدمة فورييه التى نشرناها فى المجلد الأول فى طبعته الثانية .

ويحوى الكتاب الثالث ثلاث دراسات قصيرة عن بعض الصناعات المصرية التى اكتفى المسيو جيرار فى دراسته عن الزراعة والصناعات والحرف والتجارة فى مصر بأن يشير إليها إشارة عابرة أو بأن يقدم موجزا مركزا عنها محيلا الى الدراسات الثلاث التى نشرتها هنا ، وكنت أزمع ان أنشرها ملاحق لدراسة جيرار (وهى المجلد الرابع من الطبعة العربية) لكننى خشيت ان يزيد حجم المجلد الرابع اكثر مما ينبغى، ولذلك فإننى اقدمها هنا مشيرا فى الوقت نفسه الى موضعها فى دراسة جيرار استكمالا للفائدة . أما هذه الدراسات الثلاث فهى : دراسة عن معامل التفريخ وهى تنقسم بدورها الى قسمين ، قسم كتبه روزيير ، وهو مهندس مناجم له ابحاث مستفيضة عن أحجار مصر ومعادنها وجيولوجيتها ، كما قام برسم أحجارها وصخورها ومعادنها ، ونشر ذلك كله فى وصف مصر ، أما القسم الثانى فكتبه الكيميائى الصيدلى روييه ، ثم دراسة عن طريقة صنع ملح النوشادر، وهى من تأليف ديكوتيل، وهو كيميائى عين بعد انتهاء الحملة كبيرا لمهندسى المناجم فى فرنسا وكان عضوا بالمجمع العلمى المصرى شعبة الطبيعيات ، أما الدراسة الثالثة فهى من وضع بوديه كبير صيادلة جيش مصر ، وعضو المجمع العلمى المصرى (طبقا لما جاء بوصف مصر) والحائز على وسام الشرف .

وسوف يلاحظ القارىء بعض التكرار فى « الكتابين » الأول والثانى ولكنه تكرار تقتضيه طبيعة المعالجة لموضوع واحد ، وإن كانت وجهة كل من الدراستين مختلفة كما أن منهاجيهما يختلفان .

وبقى علينا بعد ذلك لكى تكتمل ما أسميته موسوعة « الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر » أن أقدم دراستين أخريين

هما دراسة عن الموازين العربية فى مصر ، ودراسة أخرى عن النقود العربيــة فى مصر وكلتاهما من تأليف صــامويل برنار ، وهما معا تكونان المجلد السادس من هذه الترجمــة العربيــة ، وكنت أود أن ألحق بهمــا دراســة جيرار عن المقــاييس فى مصر القــديمة ، وهى دراسة تقع فى مجلدات وصف مصر عن العصور القديمة (لمصر) ، باعتبــار أن هــذه المقاييس كما ذكر جيرار نفسه فى المجلـد الرابع (من الترجمة العربية) تكاد تكون هى المقاييس نفسها التى كانت لاتزال تستخدم فى مصر عند مجىء الحملة الفرنسية ، لولا أننى أخشى الا يكون الجمع بين دراسات تتنــاول الدولة أو الحالة الحديثة فى مصر وتلك التى تتناول عصور مصر القــديمة امرا موفقا ، أو أنه قد يصيب ببعض البلبلة لدى القارىء .

ولقد واجهت صعوبات عدة فى تحقيق أسماء بعض الأماكن والوظائف التى جاءت فى دراسة الــكونت استيف عن النظام المــالى والإدارى لمصر ، كما لابد أن أشــير كذلك لصــعوبة تحقيق أســماء بعض القرى والقبائل ، بل وأحيــانا بعض الجهــات (او أجـزاء القــرى أو الأحــواض) وكذلك بعض أســماء الأفــراد المستفيدين من المخصصات أو الصدقات أو نحو ذلك ــ وقــد يكون ذلك أمرا جانبيــا أو ثانويا لا يؤثر مطلقــا فى ســياق الدراسة ، لــكن له أهميتــه القصوى فى نظرى ، وبخاصة كلما تبينت أنه قــد يكون على جانب أكبر من الأهميــة لبعض دارســين سيتناولون هذه الأمور نفسها ولــكن فى مجال مختلف ، ولذلك فقد انفقت فيهــا وقتــا طويلا ومشقة اكبر وارجو أن أكون قــد ابتعدت كثيرا عن مواطن الخطأ .

كما استميح القارىء عذرا لأننى أدخلت بعض تعديلات وجدتهاضرورية فى تنسيق الجداول الــكثيرة فى دراسة استيف لتصــبح أكثر وضــوحا ــ هكذا تصورت ــ عند قراءتها .

ومع أننى واحد ممن يماون التكرار الا أننى لا أمل مطلقامن اســداء الشكر لــكل من آزروا هــذا العمل وأخذوا بيــده منذ كان مجرد فــكرة وحتى الآن بعد أن قطع هــذا الشوط وفى مقــدمة هؤلاء الأخ الدكتــور عبد العزيز الدسوقى رئيس تحرير مجلة الثقافة الذى لا يفتــأ يقــدم من الخدمات لهذا العمل مايؤكد صحة قولى حين اعتبره ــ ومجلة الثقافة ــ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شريكين حقيقيين فى انجاز هـــذا العمل ، ولابد كذلك أن أوجه شكرى لكل الاقـــلام الجـــادة والمسئولة التى رحبت بالعمل ، وفى أحيـــان كثيرة دون صلة شخصية تربطنى بهم من أى نوع ، وهو الأمر الذى شرفنى بحق وزاد من إيمـــانى وثقتى بأن كل الأقـــلام وكل النفوس الشريفـــة — أيا كانت مشاربها — تنبض بحب مصر ، التى لا أجد سواها وســـوى إخوتى فى الوطن ، المصريين ، لاتوجه بعملى هذا .

ولابد من توجيه شكر خاص للمؤرخ الـــكبير الدكتور عبـــد الرحمن زكى ، وللأخ الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، وللاستاذ رينيه خورى ، وللسيدة زوجتى التى ساندتنى بكل ماتستطيع ، فى الظروف العصيبة التى كدت أن أفصـــل فيها من عملى بسبب إصرارى على إتمام ترجمـــة هـــذا السفر الـــكبير .

كما لابد لى أن أظل أذكر بالخير كل من عاون بالنصح أو التوجيه أو الإرشاد أو حتى بكلمة طيبـــة ، وكل من عاون فى إخراج هذا العمل إلى حيز الوجود بدءا ممن أتاحوا لى فرصـــة الحصول على الأصل الفرنسى إلى عمال الطبـــاعة إلى مكتبة الخانجى التى أسهمت فى الإنفـــاق على هـــذا العمل الى الموزع الذى أتاح وصـــول هذا العمل إلى يد القارىء الكريم. كما لابد أن أوجه شكرا خاصـــا للجنة التفرغ بوزارة الثقافة التى تحملت مشكورة عبء تفرغى لاتمام هذا العمل الـــكبير ، ولابد من توجيـــه شكر واجب للجنة المختصة فى المجلس الأعلى للفنون والآداب التى قررت منحى جائزة الدولة التشجيعية عن ترجمة المجلدات الأربعة السابقـــة وأوصت مشكورة وبعبارات طيبة للغاية بضرورة تشجيع هذا الجهد .

والله سبحانه وتعالى أسأل التوفيق والعون والسداد .

زهير الشايب

القاهرة ، سبتمبر ١٩٧٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهـــرس

صفحة

المقـــدمة . . . .

الـكتاب الأول :

الريف المصرى فى مصر المماليك العثمانيين تأليف لانكريه ٩ ـــ ٤٨
١ ـــ الوسائل المختلفة التى تملك بها الأرض . . ١٤
٢ ـــ ادارة الأراضى ٢١
٣ ـــ بعض العادات الخاصة بصـــعيد مصر . . ٢٩
٤ ـــ عن مال الـكشوفية او ضريبة الـكاشف . ٣٣
٥ ـــ عن الميرى وعن الأفنـــدية ٣٨

الـكتاب الثـــانى :

النظام المالى والادارى فى مصر العثمانية تأليف لستيف ٤٩ ـــ ٢٦٢
مقدمة : عن الحكومة ـــ عن الملكية . . . . . ٥١ ـــ ٦٠
البـــاب الأول : الضرائب العـــامة . . . . . ٦١ ـــ ٢١٠
الفصل الأول : الضرائب على الأراضى ، أولا : عن المـــال الحر ، ثانيا : إدارة القرى ، ثالثـــا : جبـــاية الضرائب ، رابعا : عن مصر العليـــا ، خامسا : عن الأوقـــاف . . . . ٦١ ـــ ١١٣
الفصل الثـــانى : الضرائب على الوظائف . . ١١٤ ـــ ١٢٢
الفصل الثالث : الضرائب العامة على الصـــناعة والتجارة ، أولا : الجمارك ، ثانيا: رسوم متفرقة . ١٢٢ ـــ ٢٠٧
الفصل الرابع : الضرائب على الأشخاص . . ٢٠٧ ـــ ٢١٠
الفصل الخامس : موجز دخول السلطان . . ٢١٠ ـــ ٢١٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صفحة

الباب الثانى : الإنفـــاقات العـــامة . . . . . ٢١٤—٢٥٥

الفصل الأول : إنفاقات تقع على عاتق السلطان ،
أولا: رواتب قررها السلطان لمتفرقين، ثانيا: مصروفات
الجيش ، ثالثا : مصروفات عامة ، رابعا : الماشات
والمرتبـــات ، خامسا : الأعمال و المنشآت الخيرية ،
سادسا : محمل مكة . . . . ٢١٤—٢٤٦

الفصل الثـــانى : الإنفـــاقات التى تقع على عاتق
أصحاب المناصب أولا : الانفاقات التى تقع على عاتق
الباشا ، ثانيا : الانفـــاقات التى تقع على عاتق حكام
الأقاليم . . . . ٢٤٧—٢٥٢

الفصل الثالث : موجزبالإنفاقات التى تقع على عاتق
السلطان . . . . ٢٥٢—٢٥٥

الباب الثالث : محصلة موارد وانفاقات السلطان . ٢٥٦—٢٦١

الـكتاب الثالث :

الدراسة الأولى : معامل التفريخ تأليف : روزيير وروييه ٢٦٥—٢٨٨

الدراسة الثانية : صناعة ملح النوشادر تأليف : كولليه
ديكوتيل . . . . ٢٨٩—٣١٢

الدراسة الثالثة : صناعة دبغ الجلود ، تأليف : بوديه ٣١٣—٣٢٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكتاب الأول

الريف المصري في عصر المماليك العثمانيين

تأليف : لانكريه

العنوان الأصلى للدراسة :

« دراسة فى نظام الضرائب على الأطيان ، وفى الإدارة الإقليمية فى مصر ، فى السنوات الأخيرة من حكم المماليك »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تشكل حكومة المماليك(١) فى التاريخ المصرى فصلا شاذا لدرجة يبدو معها أن من المفيد أن نجمع كل ملامحه وأن نحفظها بعناية فى ذاكرتنا ، كما يحتفظ علماء الطبيعة من بين كل معطيات الطبيعة الجميلة بغرائب المخلوقات وشواذها .

وليس ثمة واحد من الرحالة الذين سبقونا قد أولى عنايته بدراسة نظام الملكية والادارة فى الريف ، ومع ذلك فان هذه الأمور التى كان من العسير عليهم أن يدرسوها ابان زياراتهم للبلاد ، تشكل فى كل الدول جزءا أساسيا من نظام الحكم ، يستحق الدراسة .

ولقد كان الجنرال كافاريللى قد جمع حول هذا الموضوع عددا كبيرا من المعلومات ، فلقد كان يحب هذا النوع من الاهتمامات ، ولم يكن ثمة من يستطيع أكثر منه الالمام بسهولة بتفاصيل التشريع ، وبالخيط الذى يربط بينها جميعا ، لكنه رحل عنا واختفت معه معظم المعلومات التى جمعها ، وكم تجعلنا الملاحظات التى أمكننا العثور عليها فى أوراقه والتى تمس هذا الموضوع نشعر بالأسف لأنه لم يتم عمله . اننى أبعد ما أكون عن القدرة على أن أحل محله ، لكننى سوف أحاول على الأقل أن أقدم بعض المعلومات المفيدة لمن يرغبون أن يأخذوا على عاتقهم مثل هذه الدراسات .

وقبل الدخول فى الموضوع ، سوف أقدم بعض الأفكار العامة عن صعوبة الرجوع الى أصل غالبية العادات السائدة فى مصر .

ليس ثمة سوى قليل من البلدان التى خضعت على الدوام لحكم الغير يمكن القول بأنها قد خضعت لهذا العدد من السادة الأجانب الذى خضعت له مصر ، وفى مقابل ذلك فليس ثمة بلد استطاع بفضل سطوة طباعه وتقاليده أن يسجل مثل هذه الانتصارات الكثيرة على غزاته وأن يقوم

---

(١) قرىء هذا البحث فى المعهد العلمى المصرى فى الأول من فريمير من العام التاسع (٢٢ نوفمبر ١٨٠٠) .

[illegible] والاحتفالات والتماثيل [illegible] ولهـذا السبب [illegible] عاداتها وتقاليدها التى كانت [illegible] تتوارثها حتى أيامنا هذه، برغم القرون [illegible] الذين تتابعـوا ، [illegible]

[illegible] حول عبادة [illegible] أن البعض قد أنكرها كلية(١) . وفى [illegible] الذين تحدثوا عنها قد أخطأوا [illegible] الاحتفالات التى تصـاحب حصاده، [illegible] عبادة للعنب والقمح تلك [illegible] جنى العنب وحصـاد [illegible]

[illegible] فيها البصل [illegible] وقد شاهدت هذا كهـذا فى [illegible] كل ولاية البحيرة بل والاقاليم [illegible] ويمتنع بعض [illegible] يدعون أن البصل [illegible] ويقوم الفلاحون بحصاد المحصـول فى [illegible] أيام وهى خمسة ايام عيـد ، فيأتى [illegible] الى مكان العمل بأعداد كبيرة، وبعضـهم [illegible] ابيبوها وبخاصـة الحلوى والبلح [illegible] ولست أعلم ما إن كان حصـاد [illegible] فى بقية أقسام مصر . وعلى كل فانه [illegible] هذه العادة الى عيد مماثل [illegible] الرحالة [illegible] أكثر [illegible] المألوفة ، [illegible]

[illegible]

وبالاضافة لذلك ، فإنه [illegible] ، وأن [illegible]
ذلك اقل غموضا ، وانه من عادة النساء [illegible] الى الآن
ان يرتدين ملابس [illegible]
حزنهن(١) . ومن جهة اخرى ، فاننا نرى أن هذه الظاهرة [illegible]
عند العبريين ، الذين تعبر عاداتهم [illegible] الدلالة على الحزن
الشديد .

واخيرا فان [illegible] (Eileithyia) (*) [illegible]
الموجودة في كهوف طيبة [illegible] ذلك [illegible] الذي يقوم بين
بعض الآنية والادوات وبعض فنون [illegible] القديمة ، وبين مثيلاتها
عند شعوب مصر الحديثة : [illegible]
من الطين الاحمر [illegible] الشكل
الذي كان عليه وقت [illegible] .

وتبدو هذه التشابهات التي [illegible]
كي تجعلني اعتقد ان اصل كثير من العادات والنظم الحالية تعود الى
عصور بالغة القدم وربما سوف تبقى [illegible] العادات والنظم الى
مستقبل غير مرئى .

ومع ذلك فانه [illegible] (أي تشريعاته
في صنع اصل) لهذه النظم والعادات ، [illegible] السلطان سليمان
الاول . وفي الواقع فانه يلاحظ ان [illegible] التي حاول المؤرخون
ان يقوموا بها حول اصل [illegible] من النظم [illegible]
على وجه التقريب — لابعد من عصر السلطان [illegible] إليه أحاديث
العامة كل القوانين التي يعمل بها حاليا في [illegible] ذلك فقد أوضح لنا
الاستاذ فوربيه Fourier ان [illegible] هذه القوانين بل
انه لم يكن ليستطيع أن يفعل ذلك ، كما أثبت أن [illegible] الأمثلة التي يعتقد
انها من وضع سليم ليست إلا من وضع خلفه [illegible] الاول والباشوات
الذين حكموا مصر نيابة عنه ، كما فسر [illegible] الذي تقوم عليه أحاديث
العامة حين بين ان سليمان كان يتصرف على الدوام باسم والده سليم

---

(١) رأيت ومعي كثيرون من اعضاء لجنة العلوم والفنون هذه المشاهد
في الاقصر .

(*) الكاب حاليا .

وهو الرجل الذى حفرت انتصاراته الكبيرة ذكريات عميقة فى عقل الشعب المصرى .

ولقد قدم لنا المسيو فوربيه — بينما هو يواصل قراءاته عن الثورات التى قامت بها مصر وعن تقاليد مختلف طبقات سكانها — كل ما أمكنه جمعه، ماسا بنظام ادارة الإراضى التى تعود فى معظم تفاصيلها الى مثابرة الأقباط . كما قدم لنا المسيو فوربيه لمحة عامة عن ظروف الفلاحين وعن نظام الملكية (*) .

إن الغاية التى اضعها على عاتقى هنا هى ان آخذ هذا الجزء من اللوحة التى رسمها وان انميها بكل العناية التى تقتضيها ، وبذلك اصل الى عرض لنظام ادارة الأرض الزراعية .

وسوف لا اعتبر المماليك فى البداية الا كمجرد ملاك للارض، وسوف نرى بعد ذلك مقدار الضرائب التى كانوا يحصلونها كحكام(١) .

١ — الوسائل المختلفة التى تملك بها الأرض
أنواع الملكية : الضرائب الرئيسية

يوجد فى مصر ثلاث طبقات من ملاك الأراضى الزراعية : الفلاحون (فلاح) ، الملتزمون (ملتزم) أو السادة ، وأخيرا المساجد أو ملاك الأراضى الموقوفة .

ان معظم الفلاحين فى أية قرية هم ملاك اراضيها ، أى ملاكها الحقيقيون، بمعنى انهم يستطيعون أن يهبوها أو يبيعوها الى فلاحين آخرين(٢)

(*) انظر مقدمة المسيو فوربيه سكرتير المجمع العلمى المصرى للوحات وصف مصر التى نشرت مقدمة للطبعة الثانية من المؤلف الضخم والتى نشرناها نحن ملحقة بالمجلد الأول من الترجمة العربية فى طبعته الثانية تحت عنوان مصر والحملة الفرنسية . (المترجم)

(١) ينبغى أن أوضح اننى سأفترض فيما يلى أن مختلف القوانين والعادات ماتزال سارية بأكملها، ذلك لأن هدفى هو أن ابين حالة الأمور كما كانت قبل مجىء الفرنسيين الى مصر .

(٢) نادرا ما يبيع الفلاحون ارضهم لأن الأراضى عادة بخسة القيمة ، واذا ما أصبح فلاح ما حائزا على وسائل الزراعة فانه يحصل على الأرض دون شرائها . وفى نفس الوقت فانه من المؤكد ان الفلاحين كان حق بيعها، ولن نعدم امثلة على ذلك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومهما كانت التغييرات التى تصيبها ، تبق على الدوام مقيدة بضريبة ، ويحمل الشخص الذى تؤدى اليه هذه الضريبة اسم : ملتزم أو سيد . وهو فى الواقع سيد هذه الأراضى اذ هو يستطيع أن يزيد أو ينقص من قدر الضريبة التىيحصلها من هذه الاراضى(١) ، كما انه يستطيع أن يعطيها أو يبيعها لملتزم آخر ، كما أن هذه الأرض تصبح من بعده ملكا لأبنائه، ثم انه فى النهاية يضمها الى ملكه الخاص اذا ما مات الفلاح المالك دون وريث،وهو الأمر الذى لايحدث بخصوص أنواع الملكيات الأخرى التى يمتلكها الفلاح حيث إن منزل الفلاح وأثاثاته وقطعانه تؤول فى حالة موته الى بيت المال وليس إلى الملتزم .

وعندما يموت الملتزم ، ينبغى على أولاده ، حتى يحصلوا على حق ارث املاكه ، أن يحوزوا موافقة الباشا ، وكانوا يحصلون على هذه الموافقة بأن يدفعوا له ضريبة محددة ، كان الاتراك ينظرون اليها — أى الى هذه الضريبة — باعتبارها شكلا من اعادة الشراء للارض وبدون ذلك تعود الأرض لتصبح من حق بيت المال . واذا ما مات مالك دون أن يخلف أبناء أو يكتب وصية فان ممتلكاته تؤول الى بيت المال ، ولكن اذا ما كتبت وصية فان تنفيذها يقع علىعاتق من كتبت لصالحهم أيا كانوا،وبذا يكون عليهم أن يدفعوا الضريبة الى الباشا .

ولست أود هنا وانا اتحدث بشأن المواريث أن أحاول التعريف بها لايضاح كيفية اكتساب الناس حق ملكيتها ، فسوف تواتينا الفرصة للعودة الى هذا الموضوع نفسه عند الحديث عن وظائف الأفندية (أفندى) .

وعندما يجد فلاح ما نفسه عاجزا لحد لا يستطيع معهأن يزرع كل اراضيه فانه يقوم برهن جزء منها نظير مبلغ معين يستغله فى زراعة الجزء من الأرض الذى احتفظ به،وعندما يستطيع أن يرد المبلغ الذى حصل عليه فان الرهن يتوقف وتعود الأرض التى رهنها الى حوزته : ويسمى هذا النوع من الرهن : الغروقة .

ولا يستطيع الملتزم أن ينزع من الفلاح الأرض التى يزرعها مادام —

---

(١) ربما لم تكن هذه الزيادات سوى انتهابات ، لكن هذه الانتهابات ظلت تمارس لوقت طويل لدرجة أن حق فرضها لم يعد يلقى مجرد الممانعة أو الاستنكار .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على الأقل — لم يلمس أن الفلاح غير قادر على زراعتها — فى الحالة المخالفة — وما دام الفلاح نتيجة لذلك يقوم بدفع الضرائب المقررة ، لكن الفلاح يحتفظ بحق العودة الى ارضه اذا ما تملك الوسائل التى تمكنه من سداد ما عليه من ديون متأخرة الى الملتزم(١) ، وبمعنى آخر فان الفلاحين يتمتعون بكل الحرية فى اختيار نوع المحاصيل التى يريدون أن يزرعوها فى أراضيهم فهم يستطيعون ان يبذروها بالقمح او الأرز أو الذرة حسبما يتراءى لهم بشرط ان يدفعوا الضريبة للملتزم وليس للاخير أن يرغمهم على شىء .

والضريبة التى ينبغى على الفلاح أن يدفعها عن أرضه للملتزم هى ما يطلق عليه اسم المال الحر ، وهى على الدوام اكبر من ضريبة المال الميرى ، وتسدد من ضريبة المال الحر هذه الضريبة المقررة للسلطان (الميرى) وما يتبقى بعد تسديد هذا الميرى يكون من حق الملتزم ويحمل اسم الفايض (الفايظ) .

وقد تقررت ضريبة الميرى على يد السلطان سليم او بالاحرى على يد خليفته حسب الملحوظة التى سبق أن قدمناها . ويبدو أن الاتراك بعد غزوهم لمصر قد وجدوا — عندما ارادوا أن يفرضوا ضريبة على الأراضى لصالح سلاطين القسطنطينية — أن سجلات الضرائب كانت قد احرقت ، واستوجب الأمر عندئذ أن يلجئوا الى المعلومات التى كانت لدى أوجاق الجاويشية حول هذا الموضوع،وتبعا لذلك فقد قرروا الميرى ليس بحسب فدان الأرض ولكن بالنسبة للقرية وحدة واحدة،ثم اقتسم الملتزمون فيما بينهم هذه المهمة بحسب مساحة ممتلكاتهم . وهذا التقسيم المبدئى للميرى بحسب القرى هو الذى استمر العمل به حتى اليوم . وقد كان الأمر بالغ الحيف حتى ان نسبة من المال الحر تبلغ ٥٠ مدينى كان يخصص منها من للميرى ما يتراوح فقط بين ٢ الى ٢٠ مدينى .

وقد قرر سليمان — كذلك — فى بلاد الصعيد نظام دفع الميرى عينا أى بمواد غذائية حتى يتسنى تأمين طعام جنود فرق الأوجاقلو ، التى أعاد تنظيمها . وما تزال لدى بعض التفصيلات حول جمع واستخدام الميرى سوف اعرضها عليكم عندما يحين وقت الحديث عن الادارة المختصة بانفاق الميرى .

---

(١) يتوقف هذا كثيرا على ارادة الملتزم الخاصة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد استقر نظام المال الحر حسب عادة قديمة من عادات البـــلاد والتى اتاح لها السلاطين العثمانيون أن تستمر بعـــد أن أقروها بدورهم . ويبدو للوهلة الأولى أن هذه الضريبة كانت الضريبة الوحيده التى كان يحق للملتزمين تحصيلها بشكل قانونى ، لكنهم بعد ذلك وبالتدريج أخذوا يرغمون الفلاحين تحت ادعاءات مختلفة على زيادة نسبة هذه الضريبة ثم فرضـــوا عليهم ضريبتين جديدتين : الأولى ، ويبدو أنها لم تقرر الا منذ حوالى مائة عام وتسمى المضاف ، والثانية، وهى لم تكن فى البداية الا نوعا من الهدايا التى كان يقدمها الفلاحون الى الملتزم،لكنها تأكـــدت بالتدريج وزادت حتى أصبحت فى بعض الجهات تدر أكبر مما يدره الفايض (الفايظ) ، ولكنها لم تتقرر بشكل منتظم الا منذ حوالى خمسين عاما،وكانت تعرف باسم : «البرانى» اى الضريبة غير الاعتيادية .

وفى النهاية ، فان هاتين الضريبتين ـــ حيث إنهما يعودان لنفـــس الأصل ـ كانتا تختلطان عادة بحيث أصبحتا ضريبة واحدة تحمل تبعا لاختلاف البلاد ولكن بدون اختلاف فى المعنى ـ اسم : المضاف أو البرانى .

وقد استقرت هاتان الضريبتان الجديدتان على وجه الخصوص فى عهد على بك . إذ استولى هذا المملوك ـــ بعد أن قضى قضاء شبه تام على فرقة الأوجاقلو ، والتى كان معظم أفرادها من كبار الملاك ـــ استولى على القرى التى كانوا يمتلكونها ووزعها على أتباعه ، وزاد كثيرا من أعباء الفلاح وسار على نهجه فى ذلك كل الملتزمين الذين كانوا يدينون له ببعض الديون وذلك بأن فرضوا ضرائب جديدة وجائرة . وبعد عهده هذا ، جاء نظام محمد بك ، وبخاصة فى عهد ابراهيم بك ، ليتيح زيادات جديدة فى دخـــول الملتزمين ، ومع ذلك فقد بقى نفر قليل للغاية من هؤلاء الملتزمين ، من أولئك الذين كانـــوا يرون أن هـــذه الضرائب الجديـــدة ظالمة أو أولئـــك الذين لم يكن بمقدورهم تحصيلها ـــ يكتفون بتحصيل المال الحر . وبهذا ، ومع استبعاد هذه الاستثناءات ـــ وصل جشع الملتزمين ، وبخاصة المماليك منهم ، الى مداه .

انتهيت الآن من شرح الطريقة التى كان الفلاحون يتملكون بها الأرض وكيف كانت ملكيتها تقسم بينهم وبين الملتزمين ، وسأتحدث الآن عن جزء آخر من الملكية كان فى حوزة هؤلاء الملتزمين،وهو يشتمل على الأراضى التى تتبعهم كلية والتى لم تكن تدفع من ضرائب الا ضريبة الميرى . وهذه الأراضى التى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت تعتبر ملكية خاصة للملتزمين كانت تسمى أرض الوسية أو أرض الملاك. ولم يكن هذا النوع من الملكية موجودا فى الصعيد بعد المنيا ، ولكن يمكن القول عامة أن أراضى الوسية فى مصر السفلى ، كانت تبلغ حوالى ١٠٪ من أراضى الفلاحين (*) .

وقد حاول الأتراك دون ان يكلفوا أنفسهم عناء الرجوع الى أصل نظام الملكية تفسير ذلك بأيسر السبل ، فظن الكثيرون أن الملتزمين هم مجرد فلاحين عند المالك الأكبر (السلطان) ، وأن ايجار الأرض هو ما يدفع تحت اسم الميرى وأن فائدة هؤلاء الملتزمين تتكون من : ١ — الفايظ ٢ — اجمالى دخل أراضى الوسية . وعلى هذا النحو كذلك فسروا ضرورة قيام الملتزمين بدفع ضريبة الارث الى المالك الكبير (الوالى — السلطان) . لكن هذا التفسير ليس صحيحا . واليكم ما يمكن أن نستنتجه من فحص السجلات القبطية وما يعرفه كذلك الشيوخ المتعلمون وهو ما سوف نقدمه كملخص لكل ما قلته للتو .

تقدر الضريبة المسماة : المال الحر على مجموع أراضى القرية . ويحوز الفلاحون جزءا من هذه الاراضى يسددون عنه للملتزم المال الحر . أما الجزء الثانى فيزرعه الملتزم بنفسه أو يؤجره ويعود اليه كل ناتج هذا الجزء . ومن المال الناتج عن هذين الجزئين يدفع الملتزم الميرى المقرر على قريته من قبل الحاكم ، أما البرانى فهو ضريبة مستحدثة اضافها الملتزمون .

نتحدث الآن عن النوع الثالث من الملاك،وهم كما سبق أن بينت ملاك الأوقاف وملكيات المساجد .

كل ملكيات المساجد قد وهبت اليها فى فترات مختلفة ، وقد تمت معظم هذه الهبات قبل مجىء سليم بوقت طويل ، بل ومنذ الأوقات الأولى لاستقرار الاسلام فى مصر . وعندما تقررت ضريبة الميرى لم تخضع ملكيات المساجد

(*) يذكر الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن فى كتاب الريف المصرى فى القرن الثامن عشر أن هذه النسبة لم تكن ثابتة كما انها كانت اكبر من ذلك عادة فكانت تبلغ النصف أو الثلث أو الربع واحيانا كانت تتجاوز النصف كما حدث فى قرية ميت بشار . (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لهذه الضريبة مطلقا ، وظلت حرة تماما من اية ضريبة كما كانت من قبل وكما ظلت حتى اليوم .

وتحمل المخصصات الدينية باللغة العربية عادة اسم الأوقاف،ومعناه ما ينبغى أن يترك وما ينبغى أن يظل هكذا الى الأبد . ولعطاءات الأراضى اسم خاص هو الرزقة أو الاحسان ، لكن هذا العطاء لا يمكن أن يتم قبل الحصول على موافقة الباشا،وهى موافقة قلما كانت ترفض ، لأن هذه العطاءات ، وكل الأوقاف على وجه العموم ، كانت لها على الدوام اغراض دينية او خيرية ، كما كان بعضها يخصص لصالح المدينتين المقدستين (مكة والمدينة) ، او للمستشفيات والمدارس .. الخ.كما كان يخصص بعضها لصالح بعض العبيد أو لبعض العائلات واحيانا لعائلة مؤسس الوقف نفسه .

وقد بدأ تأسيس هذا النوع الأخير من الأوقاف ليتفادى الناس على وجه الخصوص اغتصاب المماليك ، فعندما كان يريد مالك ما أن يؤمن لخلفه جزءا من ثروته ، فقد كان يجعل منها وقفا لصالحهم ، وبهذه الطريقة كان خلفاؤه يحصلون على فائدة أخرى وهى اعفائهم من دفع ضريبة الوراثة للمالك الكبير ، ولهذا السبب فنحن ندهش من ان كثيرا من الملاك لم يجعلوا من ممتلكاتهم أوقافا . ومع ذلك فقد كان ثمة ما يمنعهم من ذلك وهو أن الاوقاف ليست قابلة للبيع والشراء ، فهم بوقفها ينزعون عن أنفسهم ، وكذلك عن خلفهم ، الى الابد،حق بيع هذه الثروات حتى فى حالة ما اذا احتاجوا لذلك، ومن جهة أخرى فمن المحتمل أن الحكومة — عندما سمحت بانشاء بعض الاوقاف — لم تشأ أن تحول كل الملكيات على هذا النحو ، لذا فقد كان على الملتزمين عندما كانوا يريدون انشاء مثل هذا النوع من العطاءات ، وحتى يحصلوا على موافقة المختصين ان يخصصوا جزءا من هذه العطاءات لمنشآت دينية على أن يؤول ما يتبقى من هذا العطاء الى المنشآت الدينية كذلك فى حالة انقراض ذريتهم .

وفى العادة ، عندما كان ينشىء ملتزم ما رزقه ، فإنه كان يأخذ الأراضى التى خصصها لذلك من اراضى الوسية ونادرا ما كان يأخذها من أراضى الفلاحين الذين يدفعون له الضريبة ، ومع ذلك ، فقد كان فى كلتا الحالتين يتنازل عن كل الضرائب التى كان يحصلها منها بل وكان يعفيها أيضا من ضريبة الميرى وذلك بأن يتكفل هو بأن يسدد ما عليها من ضريبة من بقية دخله . وعلى الرغم من ذلك — وهذا فى الحقيقة أمر نادر الحدوث — فانه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اذا ما قام أحد الملتزمين بايقاف جزء كبير من ممتلكاته على مسجد ما أو أوقف عليه قرية بأكملها فان المسجد فى هذه الحالة يصبح ملتزما ويكون مكلفا بدفع الميرى المفروض على أراضى هذه القرية ، وتلك هى الحالة الوحيدة التى تكون فيها الأراضى المملوكة للمساجد خاضعة لهذه الضريبة المستحقة للمالك الكبير ، اذن فيمكننا أن نقول على وجه العموم أن الممتلكات العقارية الخاصة بالمساجد و المنشآت الدينية الأخرى كانت معفاة من كل انواع الضرائب ، وكان كثير من ملاك هذه المنشآت حتى يحصلوا على حماية الباشا فى عملية جمع دخولهم يدفعون له ضريبة صغيرة تسمى : مال حماية .

وكما قلت فانه لا المساجد ولا ملاك الأوقاف الآخرون كان لهم حق بيع هذه الأراضى ، لكنهم كانوا يستطيعون أن يهيئوا لها نوعا من التنازل يسمى : المدة الطويلة — وكانت هذه المدة تستمر فى العادة تسعين سنة . وكان هؤلاء الملاك يحصلون من هذا البيع المؤقت على مبلغ معين يدفع دفعة واحدة ثم على ايجار سنوى يسمى : أجر وهو يستخدم على نحو ما كحفظ لحق الملكية فى هذه الأراضى أو العقارات . واذا ما حدث بعد مضى هذه التسعين عاما أن ظلت الأراضى أو المنازل التى بيعت بهذه الطريقة على نفس الحالة التى كانت عليها من قبل فانه يكون من حق المالك ان يستعيدها . اما اذا كانت الأرض قد زرعت بالأشجار ، أو اذا كانت قد أدخلت تحسينات على المنزل ، فان العقار يظل فى حوزة الشخص الذى أدخل هذهالتحسينات بشرط أن يظل يدفع على الدوام الايجار السنوى الى المالك الأصلى،واذا ما نشأت منازعات بين الطرفين فان القاضى يقوم بالفصل فيها .

ولم تكن المساجد تستغل عائد مثل هذا البيع الا لكى تشترى عقارات أخرى ، كما أن هذا التحويل لم يكن يسمح به الا للممتلكات التى تكون فى حالة سيئة . ومع ذلك فيمكن لنا أن نستنتج أن كثيرا من ملاكالأوقاف كانوا يبيعون فى معظم الأحيان بهذه الطريقة عقارات ذات قيمة عالية ، ولا يمكن تصور ذلك الا على أنه وسيلة للافلات من القانون،حيث إن مثل هذا البيع لم يصبح أمرا معتادا الا بالنسبة للاوقاف التى لم تكن بحكم اسمها ونظامها لتسمح بالتصرف فيها .

كان لكل وقف ناظر أو مدير ، وهو فى العادة واحد من نسل مؤسس الوقف ، وكان هذاالناظر يقوم عادة بجمع ريع الوقف ويقوم كذلك بتوزيعه حسب ارادة مؤسسه كما سجلها فى حجة الوقف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت كل الرزق تسجل بمعرفة أفندى مكلف خصيصا بهذا الأمر ولم يكن هذا الأفندى عضوا فى هيئة أفندية الميرى الذين سأتناولهم بالحديث فيما بعد . ولكن قبل أن أنتقل الى فقرة أخرى سأتوقف قليلا كى أقدم ملاحظة تبدو لى ذات فائدة جمة .

نستطيع أن نستنتج أن مختلف الملاك ، فى ظل نظام قمع كهذا الذى كان موجودا فى مصر منذ وقت طويل لم يكونوا ليستشاروا فى وضع الضرائب — برغم أن كل واحد منهم كان سيدا فى دائرته — بحيث تكون الضرائب متماثلة والعادات (*) موحدة فى كل أنحاء الدّولة . لذا فقد كانت هناك اختلافات كثيرة بهذا الخصوص من منطقة لأخرى . ومع ذلك فقد كانت معظم العادات الخاصة بكل قرية مدونة فى سجلات بالفة القدم يسيرون حسب ما جاء بها أو يبتعدون عنها قليلا أو كثيرا بحسب الظروف .

ومن بين معظم المعلومات التى جمعتها ، اخترت اكثرها عمومية وهى التى تشكل نظام الملكية والضرائب ، وسوف أواصل على هذا النحو فى كل ما سيلى ذلك دون أن أهمل الأمور الخارجة عن المألوف اذا ما كانت هامة ويعمل بها فى أماكن كثيرة ، وحيث إن الكثير من هذه الأمور غير المألوفة كان يعمل بها فى صعيد مصر فسوف أخصص لها فقرة خاصة .

٢ — ادارة الأراضى

كانت أراضى الفلاحين وكذلك أراضى الوسية فى كل قرية مقسمة كل منها الى ٢٤ جزءا . وكانت هذه الـ ٢٤ جزءا تعود الى ملتزم واحد أو الى عدة ملتزمين . وكان يبلغ نصيب قرية فى بعض الاحيان عشرين ملتزما . ويتملك الملتزم على الدوام من قراريط وأجزاء من قيراط من أراضى الوسية بقدر عدد القراريط أو اجزاء القيراط التى يمتلكها من أراضى الفلاحين . وقد استقرت هذه العادة لحد أن الملتزم لم يكن يستطيع مطلقا أن يبيع جزءا من أراضى الفلاحين دون أن يبيع جزءا مساويا من القراريط من أرض الوسية .

ومن السهل أن نعثر على سبب هذه العادة وأن ندرك كيف كانت هذه

(*) نوع من الأتاوات وكان يحصلها الملتزمون وفئات اخرى من رجال السلطة كما سيتضح فيما بعد .
المترجم

العـــادة مفيدة لكل من الفلاحين والملتزمين على حد سواء . واليكم كيف امكنني استنتاج ذلك .

حيث إن عائد أراضى الوسية هو نسبيا الأهم والأكبر بالنسبة للملتزم بينما زراعتها تشكل عبئا باهظا على الفلاحين فى بعض الاحيان حيث هم فى بعض المناطق يرغمون على زراعتها بطريق السخره . وحيث إن أراضى الفلاحين فى مقابل ذلك هى الاكثر نفعا لهؤلاء ، فنحن من هنا نستطيع أن نرى كيف يهم الملتزمون أن يتملكوا بقدر الامكان ما يستطيعون من أراضى الوسية ، وكيف يهم الفلاحون فى نفـس الوقت وبنفس القـــدر الا يدعوا الملتزمين يتملكون الا اقل ما يستطيعون من هذه الأراضى . وهكذا ينشـــأ توازن يحفظ حقوق الطرفين . لكن هذا التوازن سوف يزول اذا لم يرغب الملتزمون انفسهم فى الاحتفاظ بهذا الحق فى العقـــود التى يبرمونها فيما بينهم . وفى واقع الأمر ، فاذا كان البائع لا يريد أن يبيع ســـوى أراضى الفلاحين ، فان المشترى فى المقابل لا يريد أن يشترى الا أراضى الوسية . ومن اختلاف المصالح هذا ينتج بالطبع الحل الوسط وهو الذى يقضى بأن يلحق دائما بعدد معين من قراريط أرض الوســـية عددا مساويا من قراريط أرض الفلاحين .

من هذا الشرح نستطيع أن نرى أن الملتزم لا ينبغى أن يتملك أراضى الوسية فقط . ولسنا نعدم أمثلة لتاكيد ذلك وان كنا نجد من جهة أخرى أن اراضى بعض القرى لاتشتمل على أراضى وسية .

أعود الآن الى ادارة الاراضى وسوف أتحدث على التوالى عن أراضى الفلاحين ، وأراضى الوسية ، وأراضى المساجد .

يختار كل ملتزم من بين الفلاحين الذين يمتلكون الاراضى التى يدفـــع منها حصته فى الضرائب ، مزارعا رئيسيا ليصبح رئيسا للاخرين ويحمل اسم شيخ البلد . ويحدث ايضا أن تكون ممتلكات الملتزم فى قرية واحدة بالغة الاتساع ، وعندئذ يقوم هو بتقسيمها حسبما يتراءى له الى أجزاء عديدة ويعطى رياستها لعدد مساو من المشايخ المختلفين ، مما يؤدى إلى أن يوجد فى بعض القرى-سواء كانت أراضيها تتبع ملتزما واحدا او عدة ملتزمين-عدد كبير من مشايخ البلد يبلغ فى العادة من ٨ــ١٠ مشايخ ، وليس من النادر أن نرى هذا العدد يرتفع ليصل الى ما فوق العشرين .

ويمارس شيخ البلد مهمة الادارة (البوليس) على الفـــلاحين الذين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يزرعون جزء الاراضى الذى يشرفون عليه ، ومنه وحده يطلب الملتـزم عائد الضريبة حيث قد ترك له مهمة جمعها من ايدى الفلاحين . ونتيجـة لذلك فللشيخ الحق فى أن يأمر بضربهم بالعصى او بحبسهم فى منـزل أرض الوسية(١) حتى يسددوا ما عليهم من ضرائب ، ومن جهة أخرى فان الشيوخ بدورهم أكثر حرصا على الا يهملوا أية وسيلة تؤدى بالفلاحين أن يدفعـوا ما عليهم،ذلك أن الملتزم سوف يوقع جزاءه عليهم اذا ما أحس منهم بأى تراخ فى تحصيل الضرائب .

وعندما يموت أحد مشايخ البلد فان الملتزم يختار عادة خلفا له واحدا من أبنائه يخلع عليه « شال وبنيش » ، ويقدم له الشيخ الجديد بدوره كى يشكره هدبه تسمى : تقدمه،وهى عبارة عن حبوب ونقود فضية بل وتقدم احياناً فى شكل حصان ، وزيادة على ذلك فثمة قرى يلزم مشـايخها بأن يعطوا للملتزمين عددا معينا من البوطاقات(٢) ، وفى قرى أخرى لا تقدم مثل هذه العطاءات الا مرة كل ثلاثة أو أربعة أعوام ، وفى بعض القـرى لا تسرى مثل هذه العـادة .

وبخلاف ذلك فلكل من المشايخ وكبار الملتزمين-مثل البكوات وكبـار المماليك-مباشر أو وكيل يختارونه كما يتراءى لهم من بين الأقباط ، وكانت وظيفة المباشر الأساسية أن يشرف على الصرافين فى دائرته وأن يمسـك بدفاتر لتسجيل الدخول بمجرد تسديدها وكانت تودع لديه سجلات الميرى وواحد من كل من سجلات المال الحر(٣) والبرانى الخاصة بكل قرية ، وبالاضافة الى ذلك فهناك سجلان لهاتين الضريبتين الأخيرتين : واحد فى يد الصراف ويودع الآخر وهو الخاص بالفلاحين لدى الشاهد(*) .

وفى العادة لم يكن لكل قرية سوى صراف واحد يختاره المبـاشر القبطى ، والصراف هو الآخر وعلى الدوام قبطى ، وكانت مهمته تحصـيل الدخول والتأكد من قطع النقد وهو مسئول عن قيمتها ، وكان الصراف فى ضمانة المباشر،فهو مسئول عن تسديد ما قد يتبين من خطأ أو نقـص فى الايراد . ويعمل تحت رياسة المباشر القبطى كذلك عدد من الكتبة بحسب حجم مسـئولياته .

---

(١) حيث يقيم حكام القرية من المماليك

(٢) تساوى البوطاقة ٩٠ مدينى — وكل ٨٠ مدينى = فرنك واحد .

(*) ستوضح فيما بعد وظيفة الشاهد — المترجم .

(٣) لم يكن هناك سجل عام للمال الحر فى مصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعندما لا يكون للملتزم مباشر فانه يقوم بنفسه بتعيين صرافيه .

والشاهد على الدوام واحد من فلاحى القرية ، ويشترط فيه أن يعرف الكتابة والحساب ، وهو على نحو ما رجل الفلاحين فهو الذى يسير مصالحهم ، وهو يمسك كشفا بالأموال التى دفعها الفلاحون على مدار العام لكى تخصم عند تحصيل الضريبة ، وليس للقرية الا شاهد واحد ويختار من قبل الفلاحين . وينبغى أن يحوز قبول الملتزمين أو أكبر هؤلاء الملتزمين نفوذا .

واذا حدث أن بعض قطع الأرض لم تصلها مياه الرى فان الملتزم يأمر بقياسها حتى لا يكلف الفلاحون الا بدفع الضريبة التى تتناسب مع مساحة الأرض التى يمكن لهم زراعتها ، وفى بعض الأحيان يرسل لهذا الغرض مساحا قبطيا ، ولكن هناك فى معظم الأحيان واحدا من أهالى القرية، مكلفا بادارة زراعة أراضى الملتزم ويسمى : الخولى ، وهو الذى يقوم بمساحة الأرض وقياسها بينما الصراف يدون ويحسب . ويشهد هذه العملية شيخ البلد الذى تتبعه هذه القطعة من الأرض ، ويشهد هذه العملية أيضا القائمقام فى حالة كون قطعة الأرض التى لم ترو كبيرة المساحة .

وفى القرية التى يكون بها عدد من الملتزمين وبالتالى عديد من الخولة فان الخولى الأكبر نعليما والأكثر نفوذا يكلف بالتمييز بين الملكيات الخاصة للزراع فى حالة ما إذا كانت سببا فى تفاقم النزاعات بينهم ، والخولى فى معظم الأحيان لا يعرف لا القراءة ولا الكتابة ويحتفظ بمعلوماته فى ذاكرته وحدها ، لذلك كان المعتاد أن يخلف الابن أباه فى وظيفة المساحة ، وفى نفس الوقت ، فانه اذا حدث أن ارتكب الخولى بعض الأخطاء فى قياسه فان شيوخ البلد يبلغون أمره الى أقوى الملتزمين نفوذا ويرشحون له فى نفس الوقت رجلا قادرا على أن يحل محله ، عندئذ يعزل الملتزم الخولى المخطىء ويعين الرجل الذى رشحه الشيوخ خوليا بدلا منه .

وتدفع الأراضى المزرعة نخيلا فى بعض البلاد بحسب مساحة الزرع وفى بلاد أخرى تحدد الضريبة على هذه الأراضى بعدد النخلات .

وتخضع العادات التى كانت متبعة فى ادارة أراضى الوسية لعدد كبير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الاختلافات، اذ هى لا تختلف فقط من قرية لأخرى وانما تتنوع أيضا بحسب أهواء الملتزمين . وبرغم ذلك فاليكم ما كان يحدث فى العادة :

كان الملتزم اما أن يؤجر أرضه واما أن يزرعها بطريق السخرة . وفى الحالة الأولى يؤجر المالك أرض وسيته الى شيخ البلد الذى يدير فى نفس القرية زراعة أراضيه الأخرى . وثمن الايجار على الدوام أكبر من مجموع المال الحر والبرانى الذى تغله أراضى الفلاحين فى هذه القرية . وتتراوح هذه الزيادة من ١ — ٤ بوطاقات للفدان الواحد حسب جودة الاراضى وحسب اقترابها أو بعدها من المدن ، لذلك كانت الأراضى المجاورة لبولاق تؤجر بسعر أكبر ارتفاعا .

وفى الحالة الثانية يكون للملتزم فى كل قرية من القرى التى تتبعه بصفة أساسية رجلان مكلفان بزراعة وحصد أراضيه (الوسية) ويسمى الأول : الخولى أو المشرف، ويسمى الثانى الوكيل أو المحصل .

ويقوم الخولى بالتنسيق مع مشايخ البلد بتوزيع الأرض على مختلف الفلاحين حسب حاجاتهم أو طلباتهم ، وهو — أو أى رجل آخر يوثق به — هو الشخص الذى تودع لديه الأموال اللازمة لدفع نفقات الفلاحين .

ويبدأ الوكيل القيام بأعماله عندما يحين وقت الحصاد ، فيمسك سجلا بكميات الحبوب المحصودة ويودعها فى بينه ويحضر معه شيخ البلد كشاهد، ويتلقى الفلاحون من ٤٥ الى ٦٠ مدينى عن زراعة الفدان الواحد . أما عن الحصاد فانهم يحصلون على مكيال من القمح أو الشعير يساوى على أكثر تقدير ١/٢٦ من الأردب ، وذلك عن اليوم الواحد .

وفى الحالة الثالثة (*) ، وهى الحالة التى يتم فيها العمل فى أرض الوسية بطريق السخرة فان الخولى يظــــل على الدوام موزعا للاراضى ومشرفا على الزراعة، كما تبقى اختصاصات الوكيل بنفس الشكل الذى سبق أن أوضحناه .

وفى كل الحالات التى لا تؤجر فيها الأرض يقدم الملتزم كل الحيوانات

(*) من الواضح أنه كانت هناك ثلاثة طرق لاستغلال أرض الوسية :
١ — الايجار ، ٢ — الاستزراع بالاجر ٣— الزراعة عن طريق السخرة .
(المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللازمة للرى وكذلك البذور اللازمة ، ويعهد برعايه الحيوانات الى حارس يسمى : كلاف . وفى القرى التى تزرع فيها أراضى الوسية بالسخرة يحصل الناس الذين يعملون فى الأرض بالمحاريث على اجر ، ويعيش على هذا العمل بالدرجة الأولى أشد طبقات الفلاحين بؤسا .

والفلاحون مجبرون على تطهير القنوات والترع الخاصة لكن ينبغى على الملتزم أن يدفع لهم بحسب الأجر الذى اقرته العادة . والخولى كذلك هو الذى يقوم بالاشراف على العمل .

وكما تدار أراضى الوسية تدار ايضا الأراضى المملوكة للمساجد وكل الأراضى التى تسمى رزقة،أى أن الناظر يقوم بتأجيرها أو يعمل على زراعتها عن طريق خولى أو وكيل،وقد قيل لى أن الأراضى المملوكة للمساجد لا تزرع مطلقا عن طريق السخرة .

ولا أستطيع أن أنهى الحديث عن ادارة الأراضى دون أن أتناول بالحديث مختلف طبقات السكان وكذلك الطريقة التى تمارس بها حراسة الأمن بينهم.

هناك فى القرى بخلاف الفلاحين التابعين للمشايخ ، فلاحون لا يمتلكون أرضا ويستخدمون كأجراء عند أولئك الذين يتملكون الأراضى . وكثيرا ما يحدث أن يصبح هؤلاء الملاك انفسهم أجراء فى السنوات التى لا تصل الى اراضيهم فيها مياه الرى ، فهم عندئذ يتوجهون الى القرى التى يمكن أن تقدم لهم فيها فرص العمل . وليست هناك قرية مهما كانت صغيرة لا يوجد بها تجار للاقمشة الشعبية والمأكولات وكذلك بعض صناع الفخار (القلل والجرار) ، وبعض العمال بالاضافة لبعض البنائين والتجار ... الخ .

ويوجد فى كل قرية شيخ بلد أو يمكن القول بأنه مأمور التصفية أو وكيل الدائنين (السنديك) فى البلدة،فهو الذى يقوم على وجه الخصوص بوظائف قاضى المصالحات كما أنه يفصل فى الخلافات التى لها بعض الأهمية، وتمتد سلطته ليس فقط الى كل الفلاحين المزارعين وانما الى سكان القرية. ومنصبه هذا ليس مجرد منصب شرفى فهو يحصل عن طريقه على بعض الفوائد . فعلى سبيل المثال ، اذا جاء المماليك ليطلبوا مبلغا من المال أو كمية من الأغذية فان شيخ البلد الأول يعمل على جمعها دون أن يدفع هو من ثرواته ولا ينازعه أحد فى حقه هذا. واذا كان من الصحيح أن المماليك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانوا يهتمون بأن يحولوا دون أن يصبح مشايخ البلد الأول شديدى الثراء وذلك بأن يقرروا عليهم وحدهم من وقت لآخر بعض المغارم ، فقد ظل مع هذا — منصب الشيخ الأول على الدوام فى أيدى أكثر أهل القرى ثراء . وكان هذا المنصب ينتقل فى العادة من الأب الى الابن لكن ثمة أمثلة على خروج المنصب من اطار عائلة ما ليذهب الى أخرى أكثر ثراء وأكثر نفوذا .

ومع ذلك فقد كانت توزان سلطة شيخ البلد ، وأحيانا سلطة الشيخ الأول ، سلطة واحد من المزارعين يكون أكثر ثراء من الآخرين ، يعرف كيف يجمع حول نفسه تجمعا . ويرفض هذا المزارع أحيانا أن يدفع الضرائب المقدرة عليه ويرغم الصراف على الهروب من البلدة ويلجأ هذا الأخير الى الملتزم التابع هو له ، فيتخذ الملتزم حينئذ الوسائل اللازمة لتحصيل عوائده .

ويحمل الخادم الأول عند شيخ البلد اسم : المشد ، وهو على نحو ما بمثابة بواب أو حارس للقرية ، فهو يعرف ويدل الغرباء الذين يصلون الى القرية على مسكن كل واحد من أهلها ، ويتعهد بارشادهم الى الأمور التى يمكن أن يكونوا هم فى حاجة لمعرفتها : كالطعام ودواب النقل .. الخ ، وأجره المنظور عبارة عن بضع مئات من المدينى ، يدفعها له الملتزمون لكنه يعرف كيف يزيد من امتيازاته عن طريق الهدايا التى يحصل عليها مقابل الخدمات التى يؤديها .

واليكم الآن قائمة بالأجور المقررة لمختلف الشخصيات العاملة فى ادارة الأراضى التى تعرضنا لها فى هذا الفصل :

صراف القرية : ويدفع له الفلاحون أجره :

١ — فهو يحصل على ٢ مدينى مقابل كل ٩٠ مدينى يحصلها .

٢ — وهو اما أن يحصل على طعامه من الفلاحين ، ويقوم المشايخ بتوزيع هذه التكلفة على الفلاحين أو يتلقى بدلا من ذلك فى نهاية العام مبلغا ثابتا تحدده العادة .

٣ — واخيرا فهو لا يعطى ايصالا بالـ ٩٠ مدينى التى حصلها الا اذا كان قد حصل بالفعل ٩٥ مدينى . وتحصل هذه الاتاوة لصالح المباشر القبطى حين يكون للملتزم مشد ، وفى الحالات الأخرى تكون هذه الحصيلة

عادة اقل(١) .

ويحصل **الشيخ** من المالك فى مقابل الخدمات التى يؤديها له على اعفاء من البرانى عن قطعة الأرض التى يحوزها ، وهى قطعة محددة فى كل قرية ، وزيادة على ذلك فان المالك يقدم له من ٣٠٠ الى ١٠٠٠ بارة كمنحة ، ويقدم له هذا المبلغ دلالة على الرضا أكثر منه كأجر ويسمى : مساهمة المشايخ .

ويعفى **الشاهد** أيضا من البرانى عن جزء من أراضيه،ويحصل على أجر ضئيل من الفلاحين بحسب مقدار الضريبة المقررة على كل منهم،لكن الأمر يختلف كثيرا من قرية لأخرى .

ويحصل **المشد** من الملتزم على ١٠٠ أو ٢٠٠ مدينى،ويسمى هذا الأجر: عادة المشد.

ويدفع الملتزم كذلك الضريبتين الآتيتين :

عادة سقا دار الوسية : وهى تقرر لسقاء منزل المالك اذا كان يقطنه الملتزم .

عادة خدامين الوسية : وهؤلاء الخدم هم : الخولى ، الوكيل ، الكلاف ، المزارعين .

ويحصل **الخولى** من الملتزم فى مقابل العناية التى يقوم بها نحو زراعة أراضى الوسية والعناية بالترعة على :

١ — الاعفاء من البرانى عن بعض أرضه .

٢ — ١/٣ المنحة المخصصة للشيخ،كما يعطيه كل واحد من الفلاحين كذلك ١/٢٢ من الأردب من الحبوب باعتباره مساح القرية .

ويدفع أجر **الوكيل** عينا ويصل أجره السنوى الى ١٠ أرادب من الحبوب.

وحيث إن **الكلاف** مجرد خادم بسيط فان الملتزم يدفع أجره حسب الاعتبارات الخاصة التى تقوم بينهما .

---

(١) عدد المسيو جيرار فى دراسة عن الزراعة والتجارة فى صعيد مصر الوسائل التى كان يلجأ اليها الاقباط لكى يحصلوا لأنفسهم جزءا كبيرا من دخول مصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واخيرا ففى المناطق من أرض الوسية التى تزرع بالسخرة يخصص الملتزمون — ان لم يكونوا شديدى الجور — كميات صغيرة من الحبوب الى اشد الفلاحين بؤسا .

٣

عن بعض العادات الخاصة
فى صعيد مصر

توجد اختلافات شديدة كما قلت بين عادات الصعيد وعادات مصر السفلى . وتعود هذه الاختلافات فى جزء منها الى الصعيد ذاته والى نمط الزراعة التى تقتضيها طبيعة ارضه، ومع ذلك فينبغى أن ننسب هذه الاختلافات اساسا الى بعد الصعيد عن العاصمة والى الاضطرابات المستمرة التى كان الصعيد مسرحا لها، ذلك أنه يبدو أن اضطرابا كبيرا كان قد سيطر على ادارة كل انحاء هذه المنطقة منذ غزو عرب الهوارة حتى الوقت الذى اصبح فيه الشيخ همام رئيسا لهم . وفى أثناء الوقت الذى كان فيه الشيخ همام قويا تم ادخال كثير من التحسينات فى الزراعة على يديه وانتظمت الادارة بشكل عادل ، ولكن بعد موته حين أصبحت هذه البلاد مأوى للمماليك اللاجئين عاد الاضطراب الى كل مكان واضيفت تعديلات جديدة الى التعديلات التى سبق ادخالها والتى لا يزال الصعيد يحتفظ بجزء منها .

ومهما كانت هناك من أسباب يمكن لها أن تغير من عادات الصعيد ، فسوف اعرض هنا للاختلافات الرئيسية التى نلاحظها عندما نقارنها بالعادات فى بقية انحاء مصر .

فى كل الجزء من الصعيد الواقع بين جرجا وشلالات اسنا ، فان الاراضى المتعلقة بكل قرية ليست موزعة على الفلاحين بأجزاء محددة كما فى مصر السفلى ، لكنها على نحو ما ملكية مشاعة للجميع وتوزع على كل حسب امكانياته فى الزراعة . وحيث أن عدد الفلاحين محدود على الدوام تقريبا بالنسبة لمساحة الأراضى القابلة للزراعة ، فانه يمكن لأى فلاح مهما كان المكان الذى ينتمى اليه أن يشارك فى التوزيع أى ان يحصل على جزء من تقسيم الأرض — وكانت هذه الارض تسمى : المساحة .

ولا يتوقف هذا النمط من الملكية فجأة عند جرجا بل هو يمتد الى كل الاقاليم الأدنى حيث كان يعرف كذلك نظام الملكيات المحددة وكانت تسمى هذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأراضى ، وهى التى أقسامها المحددة كذلك ترتبط بعائلات بعينها ، بأراضى الاثر .

وكان اقليم الفيوم وكذا الجزء الأدنى من اقليم اطفيح يقسم ويدار بنفس الطريقة المتبعة فى أقاليم مصر السفلى وتدفع كذلك نفس الضرائب .

وللفلاحين فى مصر السفلى حق بيع أراضيهم فيما بينهم . لكن الفلاحين فى مصر الوسطى لم يكونوا مطلقا ليبيعوا أرض الأثر التى كانت تخصهم . أما تلك التى يتملكونها عن طريق الميراث فاننا نجهل ما ان كان لهم حق بيعها أم لا ولكن ، بما أن مساحة الاراضى كانت أكبر بكثير من عدد الفلاحين فقد كانت عمليات البيع لهذا السبب مستحيلة .

وتنقسم الضريبة فى مصر العليا الى قسمين أساسيين : المال ، وهو الضريبة نقدا ، والخراج وهو الضريبة عينا ، وتدفع هذه وتلك الى الملتزمين: الأولى عن محصول الذرة والثانية عن محصول القمح والشعير .. الخ . لذلك ينبغى فى كل عام أن تقاس المساحة المخصصة لهاتين الزراعتين بغرض حساب ما على كل فلاح أن يسدده الى ملتزمه بحسب القيمة الثابتة التى لهما فى كل قرية ، وان كانت هذه القيمة تتغير من قرية الى اخرى .

من هذا نرى أن دخول الملتزمين تتغير حسب مساحة الاراضى المروية وكذلك حسب نوع الزراعة السائدة هنا أو هناك لكن الملتزمين ملزمون على الدوام — ومهما كانت كمية ونوع الضرائب التى يحصلونها — بتدبير نفس مبالغ الميرى نقدا كان أو عينا بحيث إنهم ، اذا حدث أن جمعوا أموالا أكثر مما جمعوا من المحاصيل ، يكونون مرغمين على شراء حبوب كى يسددوا بها حصة الميرى .

والملتزمون فى الصعيد ملاك بنفس الطريقة التى يتملك بها الملتزمون الآخرون فى بقية أنحاء مصر وكذلك بنفس الشروط التى شرحتها فى بداية هذه المذكرة(١) .

---

(١) لا يتطابق ما قلته هنا تماما مع المعلومات التى وردت بمقال : عن الزراعة والتجارة فى صعيد مصر « تأليف جيرار » . فقد ظن كاتب المقال المشار اليه أن بيع مساحة من الأرض ليس سوى تعاقد مؤقت لا يدوم الا الى فترة السداد . ومع ذلك فقد لسنا أن كل الملتزمين فى كل أنحاء مصر كانوا يقومون فيما بينهم بعمليات بيع مطلقة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت الاراضي في كل قرى الصعيد الأعلى وكذلك في كل قرى مصر السفلى حيث الارض مملوكة لكل السكان على المشاع — كانت توزع على الأهالى بمعرفة شيوخ البلد . وكان المساح يقوم بمسحها بمعرفة القصاب او حامل المقياس (القصبة) ويدون مذكرة بذلك ويخبر كل فلاح مقدما بما ينبغى عليه أن يدفعه مستقبلا . ويحصل المساح وقصابه معا من الفلاحين من ٦ الى ١٠ مدينى عن كل فدان من الأرض التى قاما بقياسها . والمساح في العادة قبطى ومع ذلك فبعض منهم مسلمون وليس ثمة شاهد في القرى التى تقاس فيها الأرض بهذه الطريقة .

وثمة قرى عديدة فى الصعيد ، كل سكانها من الأقباط ، وفى هذه الحالة تكون مناصب شيخ البلد في أيدى الأقباط، ولكن في القرى التى يعيش فيها المسلمون والمسيحيون معا فان هذه المناصب تكون في أيدى المسلمين ؟ .

وقد اغفلت أن أدخل فى تعداد انواع الملكيات المختلفة فى مصر السفلى تلك الملكيات التى تسمى : المسموحة لأن عددها هناك بالغ الضآلة ، ولكنها اكثر انتشارا نسبيا فى الصعيد وتسمى : الحطيطة ، وهذه الملكيات فى بعض الأحيان تكون عبارة عن دخول نقدية وتكون احيانا دخول عينية عن عقار ما من الأرض ، واحيانا تكون الحطيطة هى العقار نفسه ، وهى فى كل الحالات لا تدفع أى نوع من الضرائب . ويرجع السكان هذا النوع من الملكية الأصل يبدو لى طبيعيا لحد ما فيقولون أن هذه الحطيطة عبارة عن سرقات قام بها العربان الذين استقروا عنوة فى القرى المختلفة . وأن هذه السرقات قد تنوقلت بفعل الوراثة واكتسبت شرعيتها بمضى الزمن . وهذه الملكيات — التى ليست لها اهمية بالغة — تستقر فى غالب الأحيان فى يد مشايخ البلاد .

وفى النهاية ، فان الضرائب فى عدد كبير من قرى الفيوم ، لم تكن تقدر حسب مساحة الأرض ، ولكن كان على القرية فى مجموعها أن تدفع مبلغا محددا . وعندما توجد قطعة من الأرض لا تصلها مطلقا مياه الرى يعقد الفلاحون والملتزمون اتفاقا وديا، واذا أحس الأولون أن الاتفاق مجحف بهم يرفضون الزراعة ويلوذون بالفرار .

وفى مصر السفلى يوجد بعض الأمثلة على قرى بها قطع من الأرض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تدار بهذه الطريقة . ويطلق على هذه الاراضى اسم : شروه(١) .

---

(١) نجد عند هيرودت نصا يتعلق بدخل ملــوك مصر من ضرائب الاراضى عند توزيع هذه الأراضى وعند تخفيض الضرائب فى بعض الحالات وسأذكرها هنا ليس بقصد أن نعرف ما كان يحدث فى الماضى بل لكى نتعرف على ملامح التشابه التى نجدها هنا مع ما سبق أن ذكرته بخصوص نفس النشاط عن الادارة المالية وبالذات فى الصعيد اكثر منه فى الوجه البحرى . يقول هيرودت :

« وقال لى الكهنة ايضا ان الملك سيزوستريس قد أمر بتقسيم الأرض مخصصا لكل واحد قسما متساويا ومربعا يعطى له كيفما اتفق . كل وقسمته، بشرط أن يدفع للملك كل عام على الاقل ضريبة محددة تشكل دخله . واذا حدث أن أغرق النهر جزءا من أرض احدهم فانه يذهب لمقابلة الملك ويعرض عليه ما حدث فيرسل الملك الى أرض الفلاح بمساحين لقياس مانقص منالعقار حتى لا يدفع الفلاح من الضريبة الا ما يناســب ما تبقى منه » . ويضــيف هيرودت :

« وهذا فيما اعتقد هو أصل حساب المثلثات الذى انتقل من هذه البلاد الى اليونان » .

واظن انه ينبغى أن نربط بين هاتين الجملتين « اغرق النهر جزءا من حصته » و« تركت من حصــته أرض لم تغرقها الميــاه » ذلك انه فى زمن سيزوستريس ، وكما يحدث الآن كان النهر دون شك لا ينزع من الأرض الا جزءا بالغ الضآلة بحيث لا يمكن ان يكون الأمر موضوعا للاحظة كما كان النهر ولابد — كما يحدث الآن أيضا — يترك فى بعض الأحيان مساحات كبيرة من الأرض دون رى .

ويخيل الى كذلك انه لا ينبغى أن نقر بشكل عام فكرة تقسيم الأرض بأجزاء متساوية بين كل الأفراد ذلك أن هيرودت نفسه يقول بأنه كان لكل واحد من المحاربين ١٢ أرورة من الأرض أى حوالى ١٠٠ تواز مربع (تبعا لحساب دانفيل الذى يحسب الذراع المصرى بـــ ٢٠ بوصة و٦ شرطات لكن حساب الارورة لا يصل الى ٢٤ تواز والـــ ١٢ أرورة لا تساوى مربعا طول ضلعه ٨٣ تواز . وقد خلط دانفيل ومعه كل العلماء بين الذراع العبرى والذراع المصرى وهذا ما سوف أوضحه فى مقالى عن النظام المترى عند قدماء المصريين. ا. جومار) معفاة من الضرائب . ونعرف فضلا عن ذلك عن طريق ديودور الصقلى أن النظام الكنسى كان يمتلك كذلك أراض خاصة به . ومن جهة أخرى فكيف كان يمكن أن يحصل التجار والحرفيون على نصيب ما من هذا التوزيع .

يبدو لى اذن أن هذا التقسيم لا ينبغى أن يفهم الا على أنه كان يتم بين المزارعين واذا كان مما يلفت النظر الآن ان زراعة الاراضى التى تحيط بقرية ما لا يمكن أن يعهد بها عقلا الا الى سكانها انفسهم فأننا نستنتج من ذلك : ١ — ان القرى كانت تمتلك مساحة معينة من الأرض عن طريق الضريبة التى تدفعها الى الملك . ٢ — أن أراضى القرية الواحدة كانت توزع على كل الافراد من السكان بأقسام متساوية كل عام وكيفما اتفق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ — عن مسال الكشوفية او ضريبة الكاشف

قبل أن نوضح طبيعة هذه الضريبة التى تحصل كلها تقريبا لصالح حكام الولايات فربما يكون من المناسب أن نتحدث قليلا عن هؤلاء الحكام .

لم يكن البكوات يحتفظون بمنصب حاكم ولاية معينة الا لمدة سنة واحدة . وكانت مهامهم الرئيسية حفظ الأمن وفض الخلافات التى يمكن أن تنشب بين قرية واخرى وتقديم الحماية للفلاحين ضد العربان وحماية الملتزمين فى تحصيل دخولهم .

وكان للبك عدد من الكشاف يصل أحيانا الى ٢٠ كاشفا ، وهؤلاء هم ملازموه (ملازم) ، الذين يتصرفون حسب أوامره . وكان البك يمر عادة بولايته ثلاث مرات أو أربع ويقيم فى افخم منازلها ومع ذلك فقد كان من الضرورى بالنسبة له الا يتغيب طويلا عن العاصمة خشية أن تطيح به احدى المؤامرات التى فشل فى التنبؤ بها فى الوقت المناسب ، فكان يترك على الدوام بعض كشافه يجوبون الولاية مع مماليكهم . كما كان يوجد فى كثير من الأحيان واحد أو اثنان أو ثلاثة قائمقام ، وهذا القائمقام اما مملوكا أو سراجا ويقطن فى بيت يسمى أرض الوسية أى بيت الحاكم ووظيفته فى القرى التى يحكمها (أو وظيفتهم فى القرى التى يحكمونها) هى نفس وظيفة ومهام البك فى الولاية التى يحكمها .

وبخلاف الراتب الذى يدفعه لهم البك ، فقد كانوا يرغمون الفلاحين على مدهم بالأطعمة التى يحتاجون اليها .

= اذن فقد كانت القرى تمتلك اراضى فى الماضى كما تمتلكها تقريبا قرى الصعيد اليوم . فقط لقد أوقفنا تقسيم أراضى القرى فى الوقت الحالى بين المزارعين بنفس العدالة .

واذا ما قارنا بين نص هيرودت الذى سبق ذكره والنص الوارد فى سفر التكوين حيث اضاف موسى بعد أن قص الطريقة التى اتبعها يوسف حتى يجعل من فرعون مالكا لكل الأراضى « ومنذ ذلك الوقت وحتى اليوم يدفع الى الملك فى كل انحاء مصر ١/٥ دخول الاراضى ، ويحدث هذا كما لو كان قانونا فيما عدا أراضى الكهنة التى ظلت معفاة من هذا العبء » . واذا ما تذكرنا الراى الذى يراه المصريون المحدثون بخصوص ملكية الأرض فسوف نرى انهم كانوا معتادين منذ وقت طويل أن ينظر الى ملاك الارض فى مصر على انهم مزارعو الملك . ويمكن ان نلاحظ أيضا فى هذا النص من سفر التكوين أن أراضى المنشآت الدينية كانت منذ قرون معفاة من الضرائب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والخازندار هو واحد من مماليك البك . وكان الأشخاص الذين يشغلون مهام مختلفة تتصل بمالية بيت البك يشغلون فى العادة وفى نفس الوقت المهام المشابهة التى تتصل بمالية الولاية .

ويفرض جزء من مال الكشوفية على الملتزم،ويفرض الجزء الآخر على الفلاحين .

واليكم اقسام الجزء الذى يحصل من الملتزم :

مال الجهات : ويخصص عائد هذه الضريبة لمركب الترفيه الذى يسبق كل عام المحمل المسافر الى مكة . ويحصلها حكام الولايات وبعطى ليد شيخ بلد القاهرة الذى يعطيه الى اسلام باشى المكلف بمهمة التصرف فيه . ويدفع الملتزمون مال الجهات بنسبة عدد القراريط التى يمتلكونها وهو نفس ما يحدث مع الضرائب الأخرى الآتية .

خدمة العسكر : وقد تقررت هذه الضريبة فى الأصل كرواتب لجنود الأوجاقلو لكن حكام الولايات منحوها لأنفسهم .

عادة أوراق شتوى وصيفى : وكانت ترسل هذه الرسائل الى مختلف القرى لاخطار الأهالى بأن الوقت قد حان لسداد الضرائب .

واليكم الآن قائمة بالضرائب المكونة لمال الكشوفية المقررة على الفلاحين :

رفع المظالم : وتقررت هذه الضريبة على يد محمد بك أبو الذهب لكى تحل محل المظالم الهمجية . وفى هذا الصدد ثمة ثلاث طبقات من القرى : الأولى وتدفع ٢١٠بوطاقة ، الثانية وتدفع ١٥٠ بوطاقة والثالثة وتدفع ٨٠ . لكن تقرير هذه الضريبة لم يمنع المظالم الهمجية من أن تحدث كما كان الأمر من قبل .

مال التحرير : تقررت على يد ابراهيم بك لنفس الأغراض سالفة الذكر واصبحت مثلها مجرد اعباء جديدة على الفلاح . وقد قسم ابراهيم بك شأنه فى ذلك شأن محمد بك القرى الى ثلاث طبقات : الأولى وتدفع ١٥٠ بوطاقة ، والثانية وتدفع ١٠٠ بوطاقة ، والثالثة وتدفع ٥٠ بوطاقة .

مطالب حاكم الولاية : وهذه المطالب على الدوام عينية مثل الشعير والتبن.. الخ وقد تكون اطعمة للفرقة التى تصاحب الحاكم عندما يسافر، وعندما تكون هذه الفرقة كبيرة العدد تبلغ كل قرية بالجزء من المصروفات التى عليها ان تدفعها . وهذه الضريبة غير محددة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مصاريف النباية اللازمة : وهى المصاريف التى يتكفل بها مشايخ القرى عندما يقدمون الكلفة أى الوجبات الى الكشاف والى المماليك الآخرين الذين يمرون بالاقليم . وهذه المصاريف التى لا يمكن كما رأينا ان تكون محددة كان يقسمها المشايخ على الفلاحين .

حق الطريق : وهو أجر القواسين (القواس) وان كان يدفع ايضا لصغار المماليك الذين يقدمون الى القرية حاملين الأوامر . ويحدد هذا الأجر بمعرفة نفس الشخص الذى أرسل الأمر .

وتشكل كل الضرائب السابقة بالاضافة الى المظالم والمغارم الهمجية ما يطلق عليه اسم « مال كشوفية » . ويدون ما هو ثابت من هذه الضرائب عند المباشر القبطى .

لكن عوائد مال الكشوفية لا تذهب كلها لحكام الأقاليم وحدهم ، فهؤلاء ملزمون بدفع الميرى عن مناصبهم وذلك بخلاف تسديدهم مال الجهات المخصص لحمل الحج . ويبلغ الميرى المستحق عن مناصبهم حوالى ٢٠ ، ٣٠ ، ٥٠ كيسا(١) عن الولاية ، حسب درجة ثراء الولاية نفسها . وكان عليهم كذلك فى العادة أن يقدموا مرة فى العام هدايا الى الباشا والى الكخيا والى الخازندار كما عليهم ان يدفعوا مكافأة الى كل الأشخاص المهمين فى بيت الباشا .

ولكى نقدم فكرة عن المظالم والمغارم التى كان يمارسها المماليك تجاه الفلاحين، وهى الابتزازات التى تحرم هؤلاء الفلاحين من أية ميزة كان يمكن ان تعود عليهم لو انهم اقتصروا على دفع الضرائب المنتظمة، فسوف أعرض لاثنتين من هذه المظالم كانتا تتكرران فى معظم الأحيان .

كانت القرى الواقعة على حافة الصحراء تتعرض لهجمات العربان الذين يأتون للاستيلاء على جزء من اراضيها لزراعتها وذلك بموافقة حكومة الولاية . ويحدث — عندما يحين موعد سداد الضرائب — أن يرفض العربان فى بعض الأحيان دفع هذه الضرائب . واذا لم يصل المماليك فى الموعد المناسب ليحملوهم على دفعها فان الجزء من الضريبة الذى كان عليهم ان يدفعوه عن الأراضى التى اغتصبوها يقسم على الفلاحين .

---

(١) الكيس = ٢٥٫٠٠٠ مديني .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد قلت فيما سبق ان الملتزمين كانوا يأمرون بقياس مساحة الاراضى التى لم تصلها مياه الرى حتى يقللوا من الضرائب بنفس النسبة ، لكن اذا ما حكم المماليك او مباشروهم بأن بامكان الفلاحين ان يدفعوا الضريبة كلها ، فانه لا يسمح باى تخفيض فى الضريبة المقررة .

واخيرا فان جشع المماليك لم يكن يعرف لنفسه حدا الا عندما يتبين عجز الفلاحين الكامل عن الدفع . ولم يكن هؤلاء البؤساء يستطيعون ان يلجأوا لأية وسيلة تواجه هذه المظالم الا بالهرب ، فعندما يجد فلاح ما نفسه عاجزا عن ارضاء جشع سادته ، فانه يترك حقوله ومنزله وتتبعه زوجته وأولاده ويذهب الى قرية اخرى يبحث لنفسه فيها عن أراض يزرعها وعن سادة أقل جشعا .

وبخلاف الانتهابات التى كان يقوم بها المماليك والصيارف ، فقد كان على الفلاحين ان يعانوا كذلك من غارات العربان الذين كانوا يغيرون ليغتصبوا منهم قطعان مواشيهم وكل ما أهمل الأولون أن يأخذوه .

وسأقدم هنا قائمة بالضرائب التى اضيفت الى المال الحر والتى فرضت كلها على وجه التقريب لصالح حكام الولايات ، حتى ولو كانت قد فرضت فى الأصل لأغراض مختلفة كما سنرى .

اعوادة جاويش كاشف : والجاويش هو الذى يرشد الكاشف ويقوده الى الأماكن التى يريد الذهاب اليها . فهذه الضريبة اذن مخصصة لجنود الأوجاقلو .

تسويف مقرر: وقد تقررت هذه الضريبة أيضا لصالح الفرق العسكرية.

عادة راس نوبة :

عادة مسوادة :

وهاتان الضريبتان قد خصصتا لبعض الأوجاقلو المسمين : راس نوبة، ومسودة والذين كانت وظيفتهم حماية عملية سداد مال الجهات .

عادة خدام الرملة : وهى اجر الفرقة التى تحمل الزكائب التى تملأ بالتراب الذى يستخدم فى صنع الجسور .

عادة مسلم : والمسلم هو احد رجال عسكر الأوجاقلو .

عادة اليازجي : أي عادة كاتب الفرقة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عادة تبن السلطانية : اى العادة المخصصة لتأمين التبن اللازم لفرق السلطان .

عادة حوالة الحوالات : وهى العادة المخصصة للشخص الذى يرسل الى دائرة القرية ليحصل الضرائب .

عادة خفر المال : وهم الحراس اللازمون لنقل ناتج القرية .

عادة جسر السلطانية : وهى مخصصة لجسور الترع التى أقيمت على حساب السلطان . ويوزع ناتج هذه العادة على أهم مشايخ البلد المكلفين بادارة العمل ، ويحدث نفس الشىء بخصوص العادات الثلاث الآتية :

عادة جرافة السلطانية(١) : وتخصص لدفع أجور أولئك الذين يعملون فى تطهير الترع الكبرى بواسطة الجرافة .

عادة شيخ الجرافة : اى عادة رئيس الأنفار الذين يشتغلون بواسطة الجرافة .

عادة صغار الجرافة : اى الأولاد الذين يعملون بالجرافة ، ولم يكن يدفع هذه العادة الا عدد ضئيل من القرى .

عادة مطمسين الجسور : اى حراس الجسور . وتخصص هذه العادة للرجال الذين يعملون لاعداد الطين للجسور، والذين يقومون بحراستها اثناء الليل .

وتخصص العادات الخمس الأخيرة لأشغال الترع التى تقام على نفقة السلطان، ولا يدفعها الا الملتزمون الذين يحتاجون الى هذه الترع لرى

---

(١) الجرافة : اداة تستخدم فى بعض أنحاء مصر لتطهير الترع وهى مثلثة الشكل ومصنوعة من ألواح خشبية ويبلغ طول سطحها حوالى ٩٠ سم ويبلغ ارتفاع حوافها حوالى ٢٠ سم على ٢٠ سم من الجوانب فقط . وعندما يراد استعمالها ، يبدأون بحرث قاع الترعة ثم يعلقون ثورين من البقر بحبال الجاروفة بحيث يتجه الجانب الذى لا حواف له ناحية الحيوانين ويركب رجل فوق هذه الأداة لاعطائها بعض الثقل ثم يساق الحيوانان فتدخل الأتربة فى الجاروفة من الجانب الذى لا حواف له وعندما تمتلىء الجاروفة يتجهون بها خارج الجسور ليفرغوها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أراضيهم . وفى نفس الوقت فقد كان من النادر ان تلزم قرية بعينها بأن تدفع خمس ضرائب فى وقت واحد .

عادة تقرير أفندى الولاية : أى قاضى الولاية(١) .

عادة نايب ريبة : اى العادة المخصصة للشخص المكلف بحراسة الفتيات العامات (المومسات)،وقلة من القرى فقط هى التى تدفع هذه الضريبة،وهى من جهة أخرى ضريبة ضئيلة .

وقد تقررت بعض هذه الضرائب الـ ١٧ السابقة منذ وقت طويل لصالح فرق الأوجاقات ، أما بعضها الآخر فزيادات طرأت على يد نفس الفرق العسكرية.وهناك نوع ثالث من هذه الضرائب كتلك التى تقررت لصالح صفار الجرافة،وهى تبدو كما لو كانت فى الأصل مجرد أتاوات تحولت بمرور الزمن الى ضرائب قانونية .

وقد تحولت الآن كل الضرائب التى تقررت من أجل الترع وكذلك التى تقررت لصالح جنود الفرق العسكرية لصالح حكام الولايات ولم يعد هؤلاء يقومون باصلاحات تذكر الا للترع التى تبين أهميتها المطلقة مثل ترعة الاسكندرية .

ولم تكن كل قرية تدفع كافة الضرائب والعادات التى بينتها،فثمة بعض هذه العادات قد توقف فى بعض الجهات أو لم يعرف على الاطلاق فى جهات أخرى .

وكان يتم تحصيل هذه العادات وكذلك تحصيل مال الكشوفية الذى يدفعه الملتزم ــ على فترات مختلفة فى نفس القرية . وكان الشاهد والصراف يدونانها لكى يخصموها من المال الحر عندما يحصل الملتزم هذه الضريبة .

٥ ــ عن الميرى وعن الأفندية

عهد بتحصيل واستخدام الميرى الى ادارة مكونة من مسلمين يسمون الأفندية ، ويقيمون بالقاهرة . وكان الأفندى الأول يعرف باسم الروزنامجى، وكان يختار من بين الأفندية ويعين لمدى الحياة بواسطة السلطان ويشغل رتبة نصف سنجق او نصف بك . أما مناصب الأفندية فهى وراثية ويمكن

---

(١) كان القاضى يسمى كذلك أفندى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان تباع . ولكن يشترط على الدوام أن يكون المشترى متعلما لحد كاف وأن يحصل على موافقة الروزنامجى .

ووظائف الروزنامجى هى وظائف المدير العام والجابى ، فلم يكن ثمة غيره يحصل الأموال الناتجة عن الميرى . وكانت هذه الأموال توضع مباشرة فى خزينته . ويقتصر عمل الأفندية الآخرين على مسك الدفاتر الخاصة بأنواع تحويل أو تبديل الملكيات والوظائف التى تخضع لدفع ضريبة الميرى، وكذلك عمل الحسابات سواء عما ينبغى على كل مالك أن يدفعه أو عن المصروفات التى يجب استقطاعها من عائد هذه الضريبة . وسوف يتضح كل هذا عند ذكرنا لعدد الأفندية وتحديدنا للاعمال التى يشغلها كل واحد منهم.

الروزنامجى : وقد سبق أن حددت اختصاصاته ، ويعمل تحت امرته مباشرة أربعة أفندية يسمون حلفة ويمكن اعتبارهم بمثابة كتبة له ويشار اليهم هكذا : الأول : باش حلفا ، الثانى : ثانى حلفا ، الثالث : ثالث حلفا الرابع : رابع حلفا . ويكلف الباش حلفا بعمل حسابات الميرى الذى ينبغى أن يدفعه كل ملتزم يمتلك أراض فى ولاية الجيزة وتلك التى ينبغى أن يدفعها حاكم هذه الولاية . وهو مكلف فوق ذلك بأن يؤدى نفس هذا العمل لحاكم هذه الولاية ولثلاث قرى فقط من ولاية منفلوط وهذه القرى الثلاث هى : بنى رافع ، بنى حسين الأشراف ، وقرية حيط بلا غيط .

افندى الشرقية : وتتعلق أعماله بولايات الشرقية والمنصورة وقليوب وأطفيح والبحيرة ، وهى من نفس نوع الأعمال التى يقوم بها الباش حلفا بخصوص ولاية الجيزة.

افندى الغربية : وأعماله هى نفس الأعمال السابقة ولكن فيما يتعلق بولايتى الغربية والمنوفية .

افندى الشهر : وتنقسم مهام هذا الأفندى الى قسمين : فهو أولا مكلف فيما يتصل بولايات الوجه القبلى بكل الأعمال التى يكلف بها الأفندية الثلاثة السابقون فى دوائرهم . وولايات الوجه القبلى هى : بهنسا ، الفيوم ، اشمونين ، منفلوط ، جرجا التى تضم كذلك الواحات . وهو ثانيا يقوم بعمل حسابات الميرى الذى ينبغى أن يدفعه كل التجار الملتزمين (ملتزم) ورجال الجمارك سواء أولئك الذين يعملون بموانىء البحر أو أولئك الذين يعملون بالموانىء الداخلية مثل بولاق ومصر القديمة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أفندى الغلال : وهو مرءوس للأفندى السابق ويعهد اليه بحسابات توزيع الحبوب المحصلة لحساب الميرى .

أفندى المحاسبة : لا يمكن صرف التكاليف التى تتم على نفقة السلطان مثل كميات القمح التى ترسل كل عام الى المدينتين المقدستين واصلاح الترع الكبرى والكبارى والحصون .. الخ الا بعد أن يقوم هذا الأفندى بتسوية حساباتها .

أفندى اليومية : ويعد منصبه أحد المناصب الهامة فهو رئيس لعشرة افندية مكلفين بعمل حسابات المصاريف الآتية : واحـد للفقـراء والعجزة ويسمى كاشدى ، وآخر للأرامل والأيتام ، وثالث لعميان الجامع الأزهر ، وكبار الشيوخ .. الـخ ويسمى جوادى ، والسبعة الآخـرون لفـرق الأوجاقلو السبع .

أفندى المقابلة : وهو الذى يقوم بفحص ومراجعة كل الحسابات التى ذكرت آنفـا .

أفندى الكوريكجى(١) : وهو يقوم بحساب ما ينبغى على كل ملتـزم ان يدفعه لمصاريف نقل الأنقاض من القاهرة الى بوغازى رشيـد ودمياط وهذه الضريبة المتضمنة فى مبلغ الميرى تسمى مـال كوركجى وهى ضئيلة بحيث لا يبلغ اجماليها فى مصر كلها الا حوالى ٢٨ كيسا .

ولكل من الأفندية التسعة الـذين سميتهم ــ مثلهـم فى ذلك مثـل الروزنامجى ــ ٤ حلفا فيما عدا أفندى المقابلة فله ٥ حلفا بسبب عملـه البالغ الأهمية . ولكل واحد من نفس هؤلاء الأفنـدية وكـذا الروزنامجى وباش حلفاه : واحد كيسه دار أو حامل الحقيبة التى تضم دفاتر الحسابات وهؤلاء الكيسه دار يعتبرون حراسا لهذه الدفاتر وهـم يعرفون الـكتابة ويدخلون فى عداد الأفندية .

وبرغم هذا ، فليس هؤلاء هم كل أعضاء تلك الادارة الكثيرة العدد : فثمة اربعة كتاب خزنة اثنان منهم تركيان وهما أعلى مرتبة من الآخـرين اللذين يختاران من بين اليهود . وفيما مضى كان الكتاب الأربعة جميعهم من

---

(١) كورك كلمة تركية بمعنى مجداف .ويسمى الأفنـــدى المكلف بالضريبة المخصصة لنقل الأنقاض كوركجى لأن هـذا النقـل كان يتم فى الماضى بواسطة القوارب .

اليهود ويقال ان هذا الوضع لم يتغير الا عندما هجر واحد من الكتاب الأربعة دينه لكى يعتنق الاسلام ، وعندما تبعه فى ذلك اثنان من ابنائه فقد أصبح هذان يعدان من الأتراك .

ويدخل ضمن اعضاء هذه الادارة اثنان من كتاب الباشا ويسميان : تذكرجى وهى كلمة تركية تعنى كاتب الأوامر . ويكتب أحدهما باللغة التركية ويعتبر الكاتب الأول أما الثانى فيكتب باللغة العربية .

وأخيرا فهناك ثلاثة صرافين ملحقين بادارة الميرى ، وثلاثتهم من اليهود ويدعى أحدهم صراف باشى أو صراف اول ووظيفتهم عد النقود ومراجعة أنواعها .

ويخضع الصيارف وكتاب الخزنة مباشرة لاوامر الروزنامجى ، لكنهم يحصلون على اجورهم — شأنهم فى ذلك شأن بقية أفراد الادارة — من قبل الميرى . وبامكان هؤلاء ان يستعينوا بأى عدد يحتاجونه من الكتاب والصيارف ، لكنهم وليس الميرى هم الملزمون فى هذه الحالة بدفع اجور هؤلاء .

وينقسم الميرى الى قسمين رئيسيين : مال شتوى ومال صيفى : وتؤخذ عوائد القسم الاول من محاصيل الفول والشعير والقمح ، وهى اهم المحاصيل واول ما يحصد منها لذلك فهى تخصص للمصاريف الداخلية ، وهذه على الدوام شديدة الالحاح . أما عوائد المال الصيفى وهى تحصل عن الأرز فتأتى متأخرة وتخصص للانفاقات الخارجية .

وكانت حسابات الافندية وصرف الميرى تتم اربع مرات فى العام بين كل واحدة والاخرى ثلاثة اشهر . وتتم الأولى فى الفترة التى يكون فيها النيل فى أعلى درجات ارتفاعه . وتؤخذ الثلاث دفعات الأولى من التحصيل من المال الشتوى أما الرابعة فتؤخذ من المال الصيفى . واليكم كيف كان يتم الدفع :

يرسل الافندى الى الملتزم أو الى أى مدين آخر مع واحد من خدم الديوان يسمى نشاعوس مذكرة من الميرى بأن عليه ان يسدد ما عليه . وينتقل الملتزم مع هذا النشاعوس الى الروزنامجى الذى يعطى للملتزم بعد تحصيل المبلغ ايصالا مؤقتا ثم يقوم الافندى بموجب هذا الايصال المؤقت بتحرير الايصال النهائى .

وللافندية طريقة خاصة بهم فى مسك وكتابة حساباتهم والتى يقال انها أيضا مستخدمة من قبل الافندية فى القسطنطينية . وتبدو كتاباتهم التى تسمى خط القرمة ، تبدو للوهلة الأولى مشابهة لدرجة طفيفة للكتابة العربية . ومع ذلك فهى لا تختلف عنها الا فى أن حروفها أقل ارتفاعا من حروف الكتابة العربية وأكثر منها اتساعا فى الاتجاه الأفقى وتسمح هذه الطريقة فى الكتابة بتضييق السطور فيما بينها . وهذا ما يجده الأفندية بالغ الفائدة، ليس ثمة سواهم على الدوام يستطيع قراءتها بسهولة .

ويمسك الاقباط حساباتهم بالكتابة العربية المعتادة ويسجلون المبالغ تحت دلالات* وهذا مما يجعل من العسير القيام بعملية الجمع لتكوين المبالغ الكلية . اما الذين تعلموا طريقة الكتابة فى القسطنطينية فانهم يتبعون الطريقة الاوربية ويكتبون المبالغ فى نفس السطر الذى نكتب فيه الدلالة مع مراعاة وضع كل المبالغ التى ينبغى أن تجمع الى بعضها ، كلا منها تحت الأخرى ، ويبدون بالغى الكفاءة فى استخدام هذه الطريقة . وفى بلد آخر غير مصر سوف يدهش المرء حين يرى الناس لا يتبنون مثل هذه الطريقة بوجه عام وبخاصة من جانب اناس كالأقباط — فعملهم الاساسى عبارة عن القيام بالعمليات الحسابية من جمع وطرح . ولكن فى مصر ، حيث تتغلب العادة ، فان مثل هذه الأمور لا ينبغى أن تكون مثارا للدهشة .

ويقدم الروزنامجى حسابات ادارته الى الباشا والى الدفتردار(١) ، وهو دائما برتبة بك . وكذلك الى شيخ بلد القاهرة . وعندما تعتمد هذه الحسابات ترسل الى القسطنطينية مدونة باللغة التركية وبخط القرمة . ويأمر السلطان فى بعض الأحيان بأن تراجع هذه الحسابات على يد اغا يرسله لهذا الغرض .

وعندما تخصم كل المصروفات التى ينبغى أن تؤخذ قانونا من الميرى ، فانه يتبقى بعدئذ حوالى ١٢ الف كيس . ويشكل هذا المبلغ ما يسمى خزنة عائد السلطان ، ويرسل اليه مع أحد البكوات . و آخر مرة ارسل فيها هذا العائد كان فى عام ١١٧٣ هـ

---

* اى انهم يضعون فوق كل رقم الاشارة الدالة على نوعه مثل مليم ، قرش ، جنيه ، سهم ، فدان ، قيراط .. الخ — المترجم .

(١) آخر دفتردار هو أيوب بك الصغير وقد قتل فى معركة الاهرام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويمكن أن تنقسم المصروفات العامة التى تؤخذ من الميرى إلى اربعة اقسام رئيسية :

١ — جامكية المصر : تندرج تحت هذا البند المعاشات والاجور الممنوحة فى كل أنحاء مصر مثل مرتبات الفرق والافندية ... الخ وكذلك معاشات الارامل والايتام وعميان الجامع الازهر ومعاشات كبار المشايخ .. الخ .

٢ — مصروفات الحرمين : وهى المصروفات التى تخصص لصالح المدينتين المقدستين مكة والمدينة .

٣— مصروفات أمير حجى (امير الحج) : ويفهم من هذا التحديد ليس فقط ما يخصص لأمير الحج ولكن أيضا أجور الفرق التى تحمى المحمل وكذلك مختلف الهدايا التى تقدم الى مختلف القبائل العربية الواقعة على طريق المحمل وذلك لالزامها احترامه .

٤ — مصروفات السعرة : أى مصروفات طوارىء مثل السكر والارز التى يطلبها السلطان فى بعض الأحيان وكذلك مصاريف اصلاح الترع والحصون . ويدخل تحت هذا البند أيضا الهبات التى تقدم لبعض المساجد أو بعض الشيوخ لكنها مصاريف اختيارية أكثر منها الزامية .

وما يتبقى بعد سداد كل هذه المصروفات يكون كما قلت عائد السلطان، لكن البكوات منذ سنوات عديدة أمكنهم أن ينظموا حساباتهم بطريقة بحيث لا يعود للسلطان أى عائد . وحيث انهم كانوا يسيرون الباشا على هواهم فقد كانوا يحصلون منه على فرمان بكل مصاريفهم الوهمية أو الحقيقية بحيث يكونون ظاهريا غير خارجين على القانون تجاه السلطان .

هذا ما كان بخصوص استخدام الميرى النقدى.ونتحدث الآن عن الميرى العينى : تقرر هذا المال من أجل اطعام جنود الأوجاقات السبعة وكان يوزع عليهم جزء منه فقط فى الواقع ، وبعد ذلك أصبح لبعض المنشآت الخيرية وتلاميذ مختلف المدارس وعدد كبير من العائلات مثل عائلة السادات والبكرى .. أصبح لهم حق فى هذا المال كما أصبح يحصل نصيبه منه كل من الأفندية والباشا وقاضى العسكر .. الخ كما كانت هناك مصروفات اخرى مثل طعام صناع بارود الحكومة وطعام الابقار التى تحرك الماكينات التى تزود القلعة بالمياه وهذه أيضا كانت تؤخذ من الميرى العينى . وفى استطاعتنا أن نقدر عدد الاشخاص الذين يحصلون على نصيبهم من أطعمة الميرى العينى المجموع من الصعيد بأكثر من خمسين ألفا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويعهد بتوزيع الأطعمة الى واحد من رجالات أوجاق الجاويشية يطلق عليه اسم أمير الشون : أى الخازن الامين وهو مكلف بتسلم المال العينى وتخزينه بالقاهرة وتوزيعه كذلك . وكان البكوات ملزمين بحمايته وقت التحصيل ووقت النقل ، ومن أجل هذا خصوا أنفسهم بكمية هائلة من الشعير والقمح .

ولا اعتقد انه ينبغى على أن أدخل فى تفاصيل أكثر حول طبيعة المصاريف التى كان على عاتق الميرى أن يسددها،ولا أن انشر قائمة بكل الاشخاص والمؤسسات التى كانت صاحبة حق فى المصاريف النقدية او العطاءات العينية فليس لهذا العمل أدنى فائدة الا اذا أضيف الى كل الاجزاء الأخرى من مالية مصر بقصد تكوين حالة كاملة للدخول والانفاق فى هذا البلد قبل سقوطها فى أيدى الفرنسيين . وبالاضافة الى ذلك فاننى أقل استعدادا للحديث فى هذه المذكره عن الضريبة فى حد ذاتها وكذلك عن النظام الضريبى ، لذا فقد اكتفيت بالحديث عن الضرائب العقارية .

قلت ان الافندية يمسكون سجلات دقيقة لكل التحولات فى الملكيات العقارية حتى يمكنهم القيام بحساب الميرى المقدر كل عام على كل الذين يخضعون له ، لذا فان الأفندية ـ من حيث أن لديهم بهذه الوسيلة معرفة كاملة بكل الملكيات ـ هم أكثر الناس اهلية واستحقاقا للتوظف فى ادارة التسجيل ، لذا فقد عهد بادارة التسجيل اليهم . ويمكن أن تقسم حالات انتقال وتغيير الملكية الى ثلاث حالات :

١ ـ عن طريق الارث ٢ ـ بطريق البيع المطلق او الوقتى ٣ـ بطريق الهبة .

فعندما يموت ملتزم فان أولاده أو الأشخاص الذين أوصى لصالحهم يقدمون أعلامهم الى أفندى الولاية التى توجد بها التركة . ويخبر الأفندى الباشا ليقدم الأخير موافقته الى الورثة،وهى الموافقة التى يعطيها لهم على الدوام بعد تحصيل عادة تسمى : حلوان ، يدفعونها له . وهذه العادة ـ وهى على الدوام غير بالغة التحديد ـ لا تتجاوز مطلقا مقدار ما يدعى بالفايض (الفايظ) لمدة ثلاث سنوات وهو يمثل كما رأينا الدخل الصافى والقانونى للملتزم . ويسلم الأفندى بعد ذلك الى الورثة شهادة أعلام أو تسجيل تسمى : تقسيط ، يصبحون بموجبها ملاكا شرعيين . ويحصل الأفندى ١٪ من قيمة ما تدفعه الأرض من مال الميرى .

ويتسلم مبالغ الحلوان صراف الباشا الذى تحدثت عنه فى البداية :

اما فى حالة انتقال الملكية عن طريق البيع أو الهبة فان الأمــر لا يستدعى الحصول على موافقة الباشا نفسه ولكن يدفع الى كتبته ٢٨ مدينى عن كل قيراط من الأرض المبيعة او الموهوبة كضريبة تثبيت . ويسجل الافندية هذا الانتقال ويحصلون ١٪ من ثمن البيع عن الأشياء المبيعة،و١٪ من اجمالى الميرى عن الأراضى الموهوبة وفى هاتين الحالتين يعطى القاضى حجة اى وثيقة شرعية ويحصل ٢٪ .

وينظر الى عملية ايقاف الأرض لصالح العائلات على انها مجرد هبات، وتخضع هذه لنفس الاجراءات ، اما عملية ايقاف الأرض لصالح المنشآت الدينية أو الخيرية فتتم أمام قاضى العسكر وتسجل بمعرفة الأفندية . اما بيع الاراضى من فلاح لفلاح أو ما يسمى « بالغاروقة » فيقع فى دائرة اختصاص القاضى ، واخيرا فان القضاة هم الذين ينظرون عمليات التركات ومبيعات المنزل والاثاثات ويحصلون عن ذلك رسما يقدرونه بأنفسهم بعدالة وتبعا لثروة المتعاملين .

ويقوم الفلاحون كذلك فيما بينهم بنوع آخر من التبادل ، فهم يؤجرون اراضيهم لعام واحد فقط ويتم هذا التعاقد بالتراضى فيما بينهم وبدون تدخل من القاضى . وعلى العموم ، فطالما كان للملتزمين أو للفلاحين فيما بينهم ثقة متبادلة فانهم ينهون أعمالهم بحضور شهود وبدون اللجوء الى القاضى ، وبمعنى أكثر دقة فانهم لا يطلبون من القاضى اجراء بخصوص تصرفهم فى هذا الجزء الضئيل من الثروة الذى يملكونه وذلك بقصد تقليل المصروفات.

وقد سبق لى القول فى بداية هذا المقال بأن ثروات الذين يموتون بلا ورثة تؤول الى خزانة الدولة ، واضيف هنا ان خزانة الدولة كانت تعرف باسم بيت المال وان الثروات التى كانت تئول اليه كانت تخصص فيما مضى وفى جزء كبير منها لصالح الفقراء،وان ابراهيم بك الذى استاجر الاراضى التى آلت الى بيت المال كان يهب جزءا من دخلها — وان كان ضئيلا جدا فى الحقيقة — للقيام بدفن الموتى الذين تكون أسرهم بالغة الفقر لحد لا تستطيع معه توفير نفقات دفنهم .

ويتمتع الأفندية فى مصر بكثير من الاحترام بسبب نزاهتهم وتعليمهم وتبعا لتقاليد هذه البلاد . وكان أغلبهم يتكلمون اللغة التركية بخلاف لغة

بلادهم التى يعرفونها جيدا وكل من هؤلاء يمتلك ثروة تضعه فى عداد الطبقة الميسورة ، أما أولئك الذين يشغلون منهم وظائف أعلى فينظر اليهم باعتبارهم أثرياء ؛ فبخلاف الاتعاب التى يحصلونها عن كل تسجيل ، كان لهم راتب سنوى يؤخذ من مال الميرى ويبلغ ١٥٠ كيسا (الى حوالى ٩٣٫٧٥٠ فرنك) وذلك لكل هيئة الأفندية ويقسم المبلغ فيما بينهم بحسب اهمية وظائف كل منهم .

وكان يظن أن الأتراك قد تركوا ادارة ثرواتهم فى أيدى الأقباط بسبب عدم كفاءة المسلمين لاداء عمل كهذا ، لكن هذا غير صحيح وكفى بادارة الميرى دحضا لهذا الزعم ، لكن السبب على نحو ما هو نفور الأتراك من التجديد ، وكذلك على وجه الخصوص لنفس الدافع الذى حدا بالماليك أن يتخذوا جباة من اناس لا يحركهم اى دافع فى ادارة جهاز الدولة ، وهذا ما ينبغى أن نفسر به لماذا ظل الاقباط يديرون الملكيات الخاصة .

وانهى مقالى هذا ببعض الملاحظات التى تتعلق بوراثة الوظائف العامة بل ووراثة الحرف كذلك عند المصريين .

ليس ثمة وظيفة فى مصر على الاطلاق ينبغى ان تكون بحكم نظامها وراثية ، ومع ذلك فان الوظائف تكاد كلها ان تكون كذلك . ويعود هذا الى طابع هذه الدولة العجيبة حيث يبدو كل شىء وكأنه يتجه نحو الثبات والتقولب . ولعل طقس مصر ، وهو على الدوام متشابه بتتابع فصوله كل عام فى نفس أوقاتها وبدقة ، كما تحدث فيها كل عام نفس المجموعة من الظواهر الطبيعية ، لعل هذا الطقس هو — وعلينا أن نضع هذا فى اعتبارنا — واحد من أسباب هذا الوضع الذى طبع اهل البلاد بطابع الجمود والتقولب ، فكل ما قصه علينا الرحالة القدماء فيما يتصل بالمزاج الهادىء بل وشبه الخامل للمصريين فى ايامهم ، نجده الان فى مصريى اليوم . ولقد احتفظ المصريون كذلك بقلة الفضول والابتعاد عن الأسفار ، فهم لا يرون على الاطلاق يغادرون وطنهم فى الوقت الذى يفد اليهم عدد هائل من الغرباء ، فقد جاء اليهم عدد هائل من السوريين ومن اهالى الشاطىء الشمالى لافريقيا للاقامة هناك(١) .

---

(١) يمكن القول بأن أهل الاسكندرية وحدهم هم اقل المصريين ميلا للقعود والخمول ذلك ان العلاقات التى ربطت بينهم وبين غيرهم من الشعوب ، وكذلك كثرة عدد الجنسيات التى تقيم بينهم ، وعملهم بالضرورة بالتجارة الخارجية .. كل ذلك قد غير بالضرورة من مزاجهم نوعا ما .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلينا أن نضع فى اعتبارنا عند حديثنا عن هدوء طباع المصريين أن كل الثورات التى حدثت فى بلادهم وكل التغيرات التى شعرت حكومتهم بضرورتها تعود الى اجانب ، وذلك منذ اقدم الفترات التى سجلها التاريخ وان الهدوء يسيطر عليهم مادام يحكمهم امراء من بينهم .

وهذا الميل الى التقولب والثبات واضح لدرجة ادت الى نشأة قوانين معينة،فمن الواضح على سبيل المثال أن القانون الذى كان يقضى بتقسيم المصريين الى سبع طبقات ينبغى فى داخلها أن يرث الابناء آباءهم فيمارسوا نفس مهنتهم انما يعود فى أصله الى هذا الميل . ان الأمور اليوم لم تتغير بدرجة اساسية حول هذا الموضوع ، فمازالت الحرف تشكل فى كل مدينة طوائف معينة ، ولكل طائفة منها شيخ خاص ، ومن النادر ان يخرج الابناء عن طائفة آبائهم ليلتحقوا بحرفة أخرى .

وبسبب هذا الكم الهائل من العادات التى لها سطوتها ، وبسبب هذه الفكرة المسبقة التى تحبذ ترك الأمور فى نفس حالتها فان وظائف : الشيخ، الخولى ، الشاهد .. السخ والتى قلت بأنها من تعيين الملتزم أو من اختيار الفلاحين انما هى فى غالب الأحيان وراثية ، وقلما يوجد سبب يقضى بخروج هذه الوظائف من العائلات التى استقرت فيها ، ولا يمكن أن يتم ذلك على الاطلاق بطريقة عشوائية .

وتبدو قوة العادة اكثر وضوحا فيما يتصل بمنصب شيخ بلد اول القرية . فهذا المنصب فى العادة يكون في يد الشيخ الأكثر ثراء وهو الذى يكون كذلك اكثراحتراما، ذلك لان من المهم بالنسبة للشيخ — حيث هو يستمد نفوذه من المكانة التى يوحى بها — أن يحيا فى بحبوحة حتى يحتفظ بهذا النفوذ ،لذلك فنادرا ما ترى شيخ بلد يفقد سلطته ، كما أن الفلاحين يفضلون ان تؤول هذا المنصب الى ولد نفس الشيخ الذى كانوا يحترمونه ويهابونه ، فهذا افضل من أن تؤول هذا المنصب الى أيد أخرى حتى ولو كان من المحتمل أن تكون اكثر خبرة .

ومع ذلك فقد كان يحدث أن يلجأ المماليك — وهم على الدوام غرباء عن مصر ، الدولة التى يحكمونها والتى كانوا يلقون بعاداتها التى لا تروق لهم تحت اقدامهم— الىانتزاع وظيفة الشيخ الأول بطريقةاستبدادية عن الشخص الذى يشغلها ليعطوها الى احد صنائعهم أو لواحد من خدمهم يريدون مكافأته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقودنى هذا الى فكرة اخيرة تتضح بشكل طبيعى ، تلك هى عدم التوافق الذى كان موجودا بين حكومات المماليك العنيفة والمدمرة على الدوام وبين ما تتطلبه طباع المصريين .. انه التعارض الدائم الذى كان قائما بين مزاج هذا الشعب كما رسمته وبين مزاج سادته المتوثبين والطموحين .

يا له من فارق غريب فى الواقع بين هؤلاء المصريين المذعنين بل والهيابين ، الذين يسهل اخضاعهم وبين هؤلاء المماليك المتحفزين والمحاربين، المتنافسين على الدوام فيما بينهم والذين لا تجمع بينهم اية رابطة من روابط الدم ، بل والمتنكرين لكل روابط الصداقة ، والذين لا يعملون مطلقا ومباشرة الا لصالحهم ، والذين كانت كل افعالهم استبدادية وعشوائية ، تتحكم فيها ظروف اللحظة(١) .

---

(١) قد يكون من المفيد ان نذكر هنا ان المعلومات التى كتب على اساسها هذا المقال قد استقيتها فى كل جزئياتها من رجال مشهود لهم بأنهم على دراية كبيرة بها ، اننى لم اكتب شيئا قبل أن احصل على عدد كبير من الاجابات المتشابهة على نفس السؤال المتعلق به . وقد استشرت القضاة والأفندية وشيوخ البلد المتعلمين فى القاهرة وكبار الأقباط وبخاصة أولئك الذين لا يرقى الى نزاهته منهم شك ، وقد سألت كذلك مشايخ البلد والعرافين فى القرى كما لم أهمل سؤال الفلاحين . واضيف هنا (ولهذا بعض الأهمية) أننى قد حصلت على الدوام على مترجمين جيدين . ولقد اتيح لى أن اراجع الاجابات التى حصلت عليها عند اشخاص تشغلهم هذه الأمور وحصلت منهم على كثير من النقاط التى شاءوا أن يمدونى بها عن طيب خاطر .

ومهما كانت العناية التى راعيتها فى جمع هذه المعلومات، ومهما كانت كثرة المعلومات التى جمعتها فاننى لا استطيع على الدوام أن اتفاخر باننى كنت مصيبا على طول الخط . لقد تسرب بعض من عدم الدقة الى هذا المقال ولسوف يقودنى الزمن وما سأحصل عليه من معلومات جديدة الى اكتشاف حقيقة الأخطاء التى قد اكون وقعت فيها .

كان كاتب هذا المقال ينتوى مراجعته وادخال بعض الاضافات اليه، ولكن حيث ان العناية الفائقة التى كان يبديها فى ادارة عمله ، والغاية المبتسرة والتى أبهجته اثناء قيامه بهذا العمل قد منعتاه من أن يقوم بنفسه بذلك ، فقد طبعت مقالته بالشكل الذى قراها به فى المجمع العلمى المصرى فى الأول من فريمير من العام التاسع (٢٢ نوفمبر ١٨٠٠) ا ٠ ج ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكتاب الثانى

النظام المالى والادارى فى مصر العثمانية

تأليف / الكونت استيف

العنوان الأصلى للدراسة : « دراسة موجزة حول مالية مصر منذ فتحها السلطان سليم الأول (١) الى أن فتحها القائد العام بونابرت »، تأليف الكونت استيف الخازن العام للتاج والضابط الحائز على وسام الشرف ، والمدير العام للموارد العامة لمصر » .

---

(١) ضم سليم الأول مصر الى امبراطوريته فى العام ٩٢٣ من الهجرة، ١٥١٧ من العصر الحديث (الميلادى) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقـــــدمة

لابد لنـــا ، قبل أن نقدم هـــذه الدراسة ، أن نقوم بعرض سريع لنظام الحكم ولنظم الملـكية فى مصر ، فقد لا يتيسر لنـــا أن نتـــابع مسيرة الضرائب هنـــاك دون أن نتعـــرف مسبقا على تلك المؤسسات والنظم التى تشكل أساسا لهذه الضرائب ، أو التى تكون — هى — مادة لها .

لقد أقام السلطان سليم نظاما للادارة والحكم خاصـــا بمصر ، لـــكن الموت الذى داهمه بعد وقت قصـــير من فتحه لها ، قـــد حال بينـــه وبين اتمام عمله الهام ، وحيث أن ابنـــه وخليفته سليمان هو الذى أتم انجـــاز هذا العمل فان من الواضح — فيما يبدو لنـــا — أن ننسب الى هذا الحاكم هذا النظام الخاص بمصر ، كما ينبغى أن تنتسب اليه كل مجموعة القوانين واللوائح التى تنظم شـــئون مصر ، ومع ذلك ، فان هـــذا هو الأثر الذى تحدثه الانتصارات والهزائم ، اذ تظل الشعوب مأخوذة ببريقها بأكثر ممـــا تلتفت الى النظم الادارية التى يكون لها الأثر الحاســـم على أسلوبها فى الحياة ، وهؤلاء هم مصريو اليوم لا يتذكرون سوى السلطان سليم ، فى حين أنهم قلمـــا يرد على لســـانهم ذكر للواضـــع الحقيقى للقـــوانين التى يتبعونها .

عن الحكومة

يرأس حكومة مصر باشا يحد من سلطته الديوان الـكبير والديوان الصغير وتتمثل سلطة هذا الباشا فى رئاســـته لهـــاتين الجمعيتين وفى التصديق على قراراتهما ، وفى اعطاء الأوامر لوضعها موضع التنفيذ (١) . وكان الـكخيا والدفتردار يتلقيان الأوامر منه قبل المـــداولات ثم يحيطانه علما بالقرارات التى أعقبت أوامره . وكان البـــاشا يقيم بقلعة القـــاهرة كما كانت وظائفه تزول بعد نهاية عام من توليته اللهم الا اذا صدر فرمان من السلطان يمد فترة ممارسته للسلطة .

---

(١) كان يحضر اجتماعات الديوانين متخفيا خلف ستارة نافـــذة تطل على مقر الديوان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويعطى الشرقيون اسم ديوان لكل جمعية تنشغل بشئون الحكومة والادارة . وقد وكل سليمان للديوان الكبير الحق المطلق فى البت فى شئون البلاد العامة والتى لايحتفظ الباب العالى لنفسه بحق ادارتها ، أما الديوان الصغير ، أو الديوان بالمعنى الحقيقى للكلمة ، فقد وكل بتسيير الشئون الجارية بحيث تدخل كافة نواحى الادارة فى اختصاصه فيما عدا تلك التى يقتضى الأمر، بحكم أهميتها ، أن تعالج بمعرفة الديوان الكبير ، وكان الديوان الصغير يجتمع كل يوم فى قصر الباشا ، ويحضر جلساته الكخيا والدفتردار والروزنامجى وممثل عن كل أوجاق (فرقة) من أوجاقات الجيش، بالاضافة الى قائدى وكبار ضباط أوجاقى المتفرقة والجاويشية . وكان هؤلاء ، بحكم مناصبهم ، أعضاء كذلك فى الديوان الكبير ، الذى يتكون — بالاضافة اليهم — من أمير الحج ، وقاضى القاهرة ، ومن الشيوخ الهامين المنحدرين من سلالة محمد (الأشراف) ، ومن المفتين العلماء الأربعة (١) وعدد كبير من رجالات الأوجاقلو ، وكانت الأوامر الصادرة من الباب العالى توجه الى الديوان الكبير ، كما لم تكن هناك أوامر توجه لهذا الديوان الا عن طريق الباب العالى الذى يملك وحده حق عقد هذا المجلس .

وكانت الفرق العسكرية المنتصرة التى خلفها سليم بمصر تتوزع بين ستة أوجاقات ، ثم تكون من بينها اوجاق سابع (٢) بالاضافة الى المماليك الذين أفلتوا بعد دمار ملكهم والذين تعهدوا بالولاء للسلطان وطلبوا ان يخدموا فى صفوف جيشه . وقد شكلت هذه العصب التى تتمتع بامتيازات هائلة حامية مصر وطبقتها المتميزة فى نفس الوقت ، وظل هؤلاء يحتفظون بهذه الامتيازات بشكل وراثى بحيث كانت تنتقل الى ذريتهم ، وفى نفس الوقت كانت الخدمة العسكرية الاجبارية تنتقل الى هؤلاء الأحفاد ، اذ كانت هذه الامتيازات تابعة لها . وكان لكل أوجاق أفندى واحد أو عدد من الأفندية موكلين بتحصيل موارده ودفع رواتبه التى يتفاوت قدرها تبعا لسلاح الأوجاق وطبيعة الخدمة التى يؤديها ، كما كان

---

(١) هم رؤساء المذاهب السنية الذين يسيرون على نهج عمر (كذا) .

(٢) وكان يشار الى هذه الأوجاقات بالأسماء الآتية : متفرقة ، جاويشية ، جامولبان ، تافكجبان ، جراكسة ، مستحفظان أو انكشارية ، وأخيرا عزبان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هؤلاء الأفندية مكلفين بسداد الانفاقات العامة للفرقة . وكانت شئون كل أوجاق نعالج بمعرفة ديوان خاص به يتكون من رجاله القدامى (اختيار ، ومعناها شيخ) وهؤلاء هم ضباط وبعض ضباط الصف من مختلف الرتب . ويتلقى هذا الديوان حسابات الأفنديه ، ويتصرف فى المناصب الدنيا ، ويرشح للباشا بعض الأفراد اللازمين لشغل المناصب الأعلى ، وينبغى لهذا الديوان أن يصدق فى الوقت نفسه على هذه الاختيارات اذا تمت من جانب الباشا . وكان على الأوجاقلو (أى رجال الأوجاقات) الذين ينضمون الى الديوان أن يقيموا بالقاهرة ، ولم يكن بمقدور هؤلاء أن يمارسوا اية مهمة يمكن لها أن تبعدهم عن الديوان ، وكانوا ، شأنهم شأن بقية الضباط ، يرتدون بذلة تختلف باختلاف رتبهم، ومن المفترض ان قوة هذه الأوجاقات مجتمعة يمكن لها ان تؤلف جيشا قوامه عشرون الف رجل ، وان كان من النادر ان يكتمل هذا العدد الذى حدده السلطان سليم بنفسه ، اذ برغم أنه ينبغى أن تكون مصر هى مقرهم المعتاد ، فانهم لم يكونوا ليعفوا من تكوين فرق عسكرية تخدم بشكل عابر داخل الجيوش فى اقاليم أخرى من الامبراطورية العثمانية ، وكان أوجاق الانكشارية فى مقدمة من يزحفون الى اى مكان يرى السلطان من المناسب أن يستخدمه فيه ، وكان اغا هذا الأوجاق الذى تعقد له القيادة والذى كان قائدا للجيش اكثر منه مجرد رئيس احدى الفرق العسكرية ، يبسط نفوذه وسلطته على كل العسكر .

وقد أنشأ سليم ٢٤ (رتبة) بك طبلخانه (١) ، اسندت لاثنى عشر منهم مهام خاصة ومحددة ، بينما كان يوكل الى الآخرين القيام بمهام استثنائية أو أن يقوموا بمهام زملائهم الذبن تزول وظائفهم بعد عام من ممارستهم لها .

---

(١) طبلخانة اى صاحب حق فى أن تصحبه فرقة موسيقية ، وهذا الحق فى تركيا هو احد رموز السلطة ، وكان لباشا القاهرة ، شأنه شأن زملائه فى الأجزاء الأخرى من الامبراطورية ، الحق فى أن تتبعه فرقة موسيقية ، فكان هناك موسيقيون ، يقيمون على نفقته الخاصة ، يقدمون له فى أوقات محددة من اليوم حفلات موسيقية تليق بالمكانة التى يشغلها بين الباشوات ، فقد كان الباشوات ينميزون ما أن كانوا يشغلون مرتبة باشا بذيلين أو مرتبة باشا بثلاثة ذيول ، وكان البكوات يعاملون معاملة باشا بذيلين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الاثنا عشر الأول من هؤلاء فهم :

كخيا الباشا .

الضباط البكوات الثلاثة الذين يحكمون جهات السويس ودمياط والاسكندرية .

الدفتردار .

أمير الحج .

أمير الخزنة .

الحكام الخمسة لولايات : جرجا ، البحيرة ، المنوفية ، الغربية ، الشرقية .

وكان الكخيا والدفتردار وأمير الحج هم وحدهم (من بين هؤلاء) الذين لهم حق دخول الديوان .

وكانت وظيفة الدفتردار تجعل منه ماسكا لسجل الممتلكات ، كما أن عقود الملكية التى يعهد بها باسم السلطان (الى مستحقيها) لاتعد صالحة الا بعد أن يؤشر عليها هذا الموظف بعد تأكده من تسجيلها فى دفتره .

وكان أمير الحج يحمل الى مكة والمدينة الهدايا التى كانت ترسل اليهما سنويا باسم السلطان كما يقوم بحماية قافلة الحج التى تنضم اليه لكى تبلغ الأراضى المقدسة فى سلام .

أما أمير الخزنة فكان يحمل برا الى القسطنطينية ذلك الجزء من موارد مصر والذى ينبغى أن يدفع لخزائن السلطان .

أما ولايات القليوبية والمنصورة والجيزة والفيوم فكان يحكمها كشاف (كاشف) كان لسلطتهم نفس الزمن والمدى اللذين كانا لسلطة البكوات ، ومن جهة اخرى فقد كان ينبغى أن تحظى اعمال هؤلاء وأولئك بموافقة الشوربجية والأوجاقلو (العسكر) الآخرين الذين يكونون الديوان الخاص بالولاية .

وفيما عدا الكخيا وحكام ثغور السويس ودمياط والاسكندرية كان لبكوات الآخرون يسمون من قبل الديوان ثم يقر الباشا ، وبعد ذلك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب العالى ، هذا الاختيار . وفى حين كان الأولون ، وهم الذين يرسلون من قبل الباب العالى ، يفقدون رتبة البكوية حين يعودون الى القسطنطينية بعد انتهاء مهمتهم ، كان الآخرون يظلون يحتفظون برتبتهم على الدوام اذ كانت هذه الرتبة ثابتة غير قابلة للزوال برغم تغير الوظائف التى يشغلونها على مدى السنين فيما عدا وظيفة البك الدفتردار .

وهناك فكرة شائعة مؤداها انه كان يتم اختيار البكوات من أوجاق المتفرقة ، وكانت صلة هؤلاء بالعسكرية تنقطع بمجرد أن يرفعهم هذا الاختيار الذى وقع عليهم من جانب الديوان الى هذه الرتبة .

وقد احتفظ الباب العالى لنفسه بتدبير مهام القيادة والدفاع عن موانى ومناطق السويس ودمياط والاسكندرية ، حيث كانت هذه المدن وهى تشكل مداخل للنفاذ الى مصر التى تحميها فى بقية حدودها صحراوات تفصلها عن شعوب اقل قوة — كانت تصون مصر من اى غزو خطير ، فى الوقت الذى تهيىء فيه منافذ عدة للقوات العثمانية فى حالة قيام تمرد بين اهليها ، وكانت حامية هذه الثغور ، التى تجدد كل عام ، ترسل من القسطنطينية مع الحكام الثلاثة الذين يتولون قيادتها ، وبرغم أن هؤلاء الضباط يدخلون فى عداد البكوات فانهم لم يكونوا لينتموا الى مصر الا عن طريق فترة الاقامة التى كانوا يقضونها هناك ، والا كذلك عن طريق الاعانات المالية التى كانوا يحصلون عليها من الخزانة العامة كرواتب ونفقات لفرقهم ، وفيما عدا ذلك فقد كانوا غرباء عن الباشا وديوان القاهرة ولم يكونوا يعترفون الا بأوامر السلطان .

وقد أكد خضوع مصر وهدوء الأحوال بها لمدة قرنين من الزمان حكمة ماذهب اليه سليم وسليمان ، اذ ما أن كان يتجاسر ، خلال هذه المدة ، باشا القاهرة على العصيان حتى يعتقله الديوان ويرحله الى القسطنطينية حيث يعاقب بالموت ، وقد خولت هذه البراهين على الولاء والاخلاص لهذا المجلس حق عزل الباشوات ، لكن طموح ابراهيم ورضوان كخيا أوجاقى الانكشارية والعزبان سرعان ماجاء ليهدد السلطة شبه المطلقة التى كان يحوزها الديوان بفضل هذا الامتياز ، اذ انهما ، بمجرد أن توصلا الى تثبيت نفسيهما فى المناصب السنوية التى شغلاها ، قد استخدما الأوجاقات لتأكيد سيطرتهما فى داخل الديوان . كما استخدما مماليكهما لاخضاع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأوجاقات أنفسهم . وحتى هذه اللحظة لم يكن المماليك ، وهم مجرد عبيد اشتراهم البكوات والعسكر يشكلون تنظيما عسكريا خاصـــا ، ولم يكن يرى منهم سوى عدد ضئيل يصل الى المراتب الأولى ولم يكن ليتم ذلك الا بعد قبولهم فى داخل الأوجاقات ، وقد أبعد ابراهيم ورضوان الأتراك من كل المواقع كى يوزعاها على هؤلاء الأجانب ، وقد كان مماليك الأول بالغى الـــكثرة والقوة معا حين مات سيدهم حتى انهم قضوا على حزب رضوان وانتحلوا لانفسهم نوعا من السيادة خالعين على رؤسائهم الجـــدد لقب : شيخ البلد ، اى أمير البلاد (١) .

وقد تطلع على بك بعد ان تولى هذا المنصب بعـــد سبعة عشر عاما من انشائه الى الحصول على استقلال مطلق (٢) ، ولعل مهارته وشجاعته كانتا تؤهلانه للوصـــول الى تحقيق طمـــوحاته لولا تلك الدســـائس التى جعلته يتحامل على مملوكه محمد بك ، وحين اضطر الأخير ان يجاهر بعداوة سيده دفاعا عن حيـــاته هو ، فقد قاتله باصرار حتى ارغمه على الفرار من القـــاهرة واللجوء الى ســـوريا ، وهناك هيأ له المـــأوى والعـــون الشيخ ضاهر ، حاكم عكا ، ذلك الذى كانت المصلحة توحد بينـــه وبين على ، والذى كان هو الذى قدم له المثـــال الذى احتذاه للتمرد على سلطة البـــاب ، ولـــكن على بك الذى كان متسرعا اكثر مما ينبغى فى السعى للتغلب على نكبته ، لم يعد الى مصر الا لكى يلقى حتفه ، متأثرا بالجروح التى اصابته فى معركة الصالحية (٣) .

ولم يكن غريمه المنتصر قـــد اكمل بعد عامه الثـــالث فى الحكم حين فرضت عليه دوافعه الخاصة ، وكذلك اوامر الباب ، ان يغزو فلسطين ، فأخضع يافا وعكا ، لـــكن مرضا وبائيا قـــد جاء ليضع خاتمة لحيـــاته ، وسيطر البكوان مراد وابراهيم ، وريثاه في السلطة ، دون تعارض بينهما لمدة عدة سنوات .

---

(١) من الضرورى الا نخلط بين هؤلاء وبين اولئك المماليك القدامى ، والذين كانوا يعرفون بالشراكسة ، اذ توقف الدور السياسى للاخيرين منذ فتح مصر على يد السلطان سليم .

(٢) فى عام ١١٨٠ من الهجرة ، ١٧٦٧ من الميلاد .

(٣) فى عام ١٧٧٣ (الميلادى) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعند نهاية هذه المدة أثار اسماعيل ، المملوك السابق لابراهيم ، كخيا الانكشارية ، حين ملأه السخط بسبب ابعاده عن المشاركة فى الحكم، اثار ضدهما حزبا ارغمهما على الانسحاب الى الصعيد ، وحين طاردهما اسماعيل ، اتخذ حسن بك ، رئيس مماليك بيت على بك ، والذى كان حتى ذلك الوقت مؤتلفا مع اسماعيل اذ كانا يشكلان قضية واحدة ، جانب غريميه اللذين اتاحت لهما هذه الردة (من جانب حسن) أن يعوضا كل ما كانا فقداه . ولجأ اسماعيل ، بعد أن اضطر الى الهرب الى آسيا ، الى الباب الذى نفاه الى بروصة ، وتمتع مراد وابراهيم بعد هذه الأزمة بفترة ازدهار طويلة ، أساءا استخدامها كى يتملصا من أوامر السلطان ، ويبددا موارده من مصر كما استبدا بالناس .

وعندما ضاق السلطان بهذا السلوك الذى لا يختلف فى قليل أو كثير عن التمرد ، كلف قبطان باشا بانزال العقاب بهما (١) . ولم ينتظر البكوان وصوله الى القاهرة ، وكان جزء من الصعيد قد احتلته من قبل قوات اسماعيل بك بعد أن انسل من منفاه ، وكان جزء آخر يحتله حسن بك بعد أن كان قد قطع صلته بهما ، وعندما هوجم مراد وابراهيم من ناحية القاهرة على يد قوات قبطان باشا ، وفى نفس الوقت هوجما من ناحية المؤخرة على يد مماليك كل من اسماعيل وحسن ، فقد قاوما كلا الفريقين . وحيث قد استدعى قبطان باشا الى القسطنطينية لقتال الروس ، فقد عقد الصلح مع هذين اللذين لم يكن قد قدر له بعد أن يلحق الهزيمة بهما ، تاركا فى حوزتهما عدة مقاطعات بالصعيد . ونال اسماعيل وحسن، اللذان تركهما حاكمين للقاهرة والدلتا وبقية الولايات المتاخمة ترحيب الباب العالى بفعل خضوع لم يبده سلفاهما على الاطلاق، وبعد مضى أربع سنوات اجتاح البلاد طاعون مميت ، أكثر هلاكا من كل طاعون مميت تعيه ذاكرة البشر ، فأتى على عدد كبير من مماليك القاهرة بمن فيهم اسماعيل بك نفسه ، وعندما أيقن عثمان بك طوبال ، خليفته ، أن لديه كل مايخشاه من حسن بك ، فانه لم يجد الأمن والملاذ لرجاله الا فى دعوة مراد وابراهيم (للحكم) ، ورحب الباشا بعودتهما الى السلطة ، الأمر الذى أعد ترتيبه بمهارة بالغة حتى أن مماليك حسن ، الذين شدهتهم المفاجأة حين ظهر هذان

---

(١) فى سنة ١٧٨٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البكوان على حين غرة عند أبواب القاهرة ، قد وجدوا أنفسهم يهربون دون قتال ملتمسين فى الصعيد مأوى لهم .

ولم يتوان مراد وإبراهيم ، وقد عادا الى قمة الحكم ، فى أن يجددا مساوىء السلطة التى ميزت الفترة الأولى من حكمهما ، وبدوا وكأنما هما قد حصلا على حق الاجتراء على سيدهما (السلطان) كحق مكتسب لهما، بالاضافة الى حقهما فى قهر مصر والزراية بكل البشر الى أن وضع قائد عظيم (بونابرت) حدا لحكمهما .

وهكذا نكون الان ، (من هذه المقدمة) قد وقفنا على تلك الأسباب التى أدت الى انهيار تلك الحكومة التى أوجدها سليم وسليمان عندما أدت مجريات الأمور الى عودة المماليك الى مصر .

ونمضى الآن كى نعرض للمبادىء التى استقرت بخصوص نظم الملكية فى هذه البلاد .

عن الملكية

نستطيع أن نميز فى مصر بين ثلاثة أنواع من الملكية ، هى :

ملكية الأراضى .

ملكية الوظائف .

ملكية الرسوم والضرائب على الصناعة والاستهلاك (التجارة) .

وقد أعلن السلطان نفسه المالك الوحيد ، فكل أراضى مصر ملك له، ومع ذلك فحيث قد انتقلت هذه الأرض الى مستغلين يسمون ملتزمين (ملتزم) يستطيعون أن يتصرفوا فيها ، وحيث كان محرما ابطال هذا الحق الممنوح لهم ، وحيث كان من النادر أن ترفض أيلولة حق الاستغلال هذا الى ورثة هؤلاء الملتزمين ، فان هذا النظام للاشياء ظل يحقق مزايا تتساوى مع نفس المزايا التى تحققها الملكية ، فقد احتفظ الفلاحون بحق التملك المباشر والوراثى للجزء الأكبر من الأراضى التى آلت تبعيتها للملتزمين ، وان كان ذلك لايعطيهم حق بيع الأرض أو هجرها ، واذا حدث أن مات بعضهم دون أبناء أو ورثة فان الأراضى التى كانوا يملكونها تعود لتصبح تحت تصرف الملتزم الذى يضطر لاعطائها الى فلاح آخر ، وحين يموت أحد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الملتزمين ، دون أن يخلف هو الآخر من يرثه تعود ارضه الى السلطان الذى يعهد بها بدوره الى ملتزم آخر .

وتنقسم أراضى مصر كلها الى اراضى : الاثر ، الوسية ، الرزق (رزقة) ، الاطلاق (او الاتلاق) .

ويمتلك الفلاح اراضى الاثر .

وتؤول ملكية الوسية الى الملتزم .

اما الرزق فهى الراض اوقفت على الأعمال الخيرية ، وهى حرة وخالصة من اية ضريبة ، وقد وجدها سليم على هذه الحال واقر حصانتها حين امتنع عن أن يعهد بها الى ملتزمين ، وقد ظل الأشخاص الذين حددتهم حجج انشاء وادارة هذه الرزق ، يتمتعون حتى اليوم بنفس هذه الدرجة من الاستقلال .

وهناك بعض اراض تسمى اراضى الاطلاق ، وتتمتع بنفس هذه الحرية ، وهذه مخصصة لتوفير العليق اللازم لخيول الباشا والبكوات .

وقد حمل سليم كثيرا من الملتزمين بعوائد سنوية خصصها او اعترف بتبعيتها لأفراد او لمؤسسات عمومية أو خيرية ، وتعرف هذه العوائد باسم الأوقاف ، وقد أخضع خلفاؤه ملتزمين آخرين لعوائد مماثلة ، وفى النهاية انشأ بعض الملتزمين اوقافا جديدة ، والزموا ورثتهم بهذه الالتزامات. وتسمى هذه العوائد ، التى تشكل ملكيات حقيقية ، اذ تعهد الملتزمون انفسهم بدفعها بصفة دائمة ، رزقا نقدية ، وهى تشكل عادة ، شأنها شأن رزق الأرض ، جزءا من عوائد الأوقاف ، واذ كان لأصحابها الحق فى النزول عنها او نقل ملكيتها للغير فقد كانت تسدد لأولئك الذين يحصلون على الحق فيها اما عن طريق الشراء واما عن طريق الارث .

ويمكننا أن نميز نوعين من الأوقاف : الأوقاف السلطانية، اىتلك التى انشئت قبل منقبل السلاطين والأوقافالخاصة . وتتكون الأولى من عوائد نقدية أو عوائد منالحبوب يوزعها السلطان بمعرفته على الجهة المخصصة لها ، أما الأخرى فلا يقتصر تكوينها على رزق الأرض أو الرزق النقدية أو رزق الحبوب ، بل هى تشتمل كذلك على البيوت والوكالات والحدائق التى تمتلكها فى مجموعها اما مؤسسة أو منشأة خيرية واما ذرية مؤسس هذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوقف او ذاك والذى لم يوجه ملكيته (التى اوقفها) لخدمة غرض دينى أو خيرى ، اللهم الا اذا لم يكن قد خلف ورثة على الاطلاق . وكان مثل هذا التصرف شائعا للغاية فى مصر ، اذ كان يضع تحت حماية الدين تلك الحقوق التى ينقلها صاحب الوقف الى ابنائه .

أما الوظائف فكانت اما سنوية واما ثابتة ، وقد عين السلطان مخصصات لهذه الوظائف أو تلك وهى عبارة عن امتيازات من الأرض ومن الحقوق أو الرسوم من كل نوع . ولم يكن لمن يتقلد الوظائف من النوع الأول أن يتمتع الا بميزات بسيطة تنتهى بانتهاء مدة وظائفهم . أما الوظائف من النوع الثانى فكانت لها طبيعة الملكية بمعنى أنه لم يكن يحق للسلطان أن يمنع أن يتقلد أى شخص هذه الوظيفة اذا ماباعه اياها صاحبها الأصلى أو نزل عنها لصالحه . وقد رأينا هذه الوظائف وهى تنتقل بشكل عادي الى أبناء أو ورثة الموظف الذى كان يشغلها .

وتتفرع ملكية الرسوم المقررة على الصناعة والتجارة من ملكية الوظائف وهى تتمثل فى التمتع الكلى والكامل بهذا النوع من الدخول الذى أنشأه سليمان لصالح شاغلى الوظائف وآخرين ، بشكل يحصلون معه على دخل يتناسب مع مالهم من مكانة وما عليهم من التزامات .

وتشكل البيوت ورءوس الأموال والقيم المنقولة ملكيات يبدو أنها كانت مجهولة من قبل الحكومة ، فكان المصريون ينتفعون بها بالبيع والشراء والهبة دون تدخل من جانب الخزانة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الأول

الضرائب العامة

الفصـــل الأول

الضرائب على الأراضي

لم يتوصل الأتراك الى اقامة نظام ثابت للضرائب فى مصر الا بعد كثير من الجهود والأبحاث ، فحيث كانت وثائق الحكومة قد احرقت بفعل المماليك ، فقد حاول السلطان سليم أن يستعيض عنها بمعلومات حصل عليها من موظفى الادارة السابقة ، فعرف حصيلة الضرائب عندما ارغم الموظفين العموميين الذين كانوا يسلمون لكل ممول بيانا بما ينبغى عليه أن يدفعه ، أن يسلموه هو سجلات عملياتهم هذه . وفى نفس الوقت ، فحيث أن المعلومات التى حصل عليها عن هذا الطريق لم تهيىء له النتائج التى كان يرغب فى الالمام بها فقد أمر بتقسيم عام للبلاد الى ولايات أو مقاطعات، ومدن ، وقرى ، ثمقسم كل زمام بدوره الى فدادين . وعلينا منذ الآن أن نتقبل فكرة أن اعمال هذا المسح لم تبلغ الدقة المرجوة لها بشكل تام على الاطلاق ، حيث لاتزال توجد فى كل هذه الولايات تقريبا أملاك وقرى بأكملها لاتزال مساحاتها مجهولة للحكومة .

اولا : عن المال الحر

هناك مجموعة من الرسوم أو الضرائب تندرج كلها تحت اسم المال الحر ، اى الضريبة الخالصة ، وتستخدم حصيلتها التى يقوم الملتزم بجبايتها :

١ ـــ فى سداد المال الميرى .

٢ ـــ فى دفع الكشوفية .

٣ ـــ فى تكوين الفايظ (الفائض) .

ويدفع المال الميرى الى السلطان ، أما الكشوفية فتعطى للبك أو الكاشف حاكم الولاية، فى حين أن الفايظ هو الدخل الخاص الذى يبقى للملتزم .

ونقدم فيما يلى جدولا بالمبالغ المفروضة على ولايات مصر والتى تدخل

اسم الولاية	أصل الميرى	كوريكجى أعمال (تطهير) الترع
	مديفى	مديفى
قنـا	١٬٠٤٩٬١٢١	١١٬٠٤٥
اسـنا	٥١١٬٦٠٠	١٬٠٥٠
جرجا	٥٬٤٤٣٬٤٣٧	٣٦٬٠٥٨
سـيوط	٢٬١٩١٬٠٥١	٢٨٬٦٤٣
منفلوط	٨٠٦٬٨٧٠	٢٠٬٦٩٦
المنيـا	٣٢٢٬١٣٠	٢٣٬٧٣٦
بنى سويف	٣٬٤٣١٬٠٠١	٤٩٬٢٩٢
الفيوم	٢٬٢٩٣٬٠٢١	٢١٬٨١٦
أطفيح	٦٣٢٬٧٨٠	٦٬٠٣٥
الجيزة	٤٬٣٣١٬٧٧٣	٣٣٬٨٣٤
القليوبية	٣٬٨٣٨٬٤٣٤	٣٠٬٢٧٤
الشرقية	٥٬٠١٢٬٣٥٩	٣٩٬٩٨٤
البحيرة	١١٬١٤٤٬٣٢٩	٤٢٬٦٨٩
المنصورة	٩٬٤٩٩٬١٤٢	٥٢٬٥٨١
الغربية	١٥٬٤٠٠٬٥٣٥	١٢٥٬١١٢
المنوفيـة	١٢٬٤٠٣٬٩٠٨	١١٠٬٠٤٦
الإجمالى . .	٧٨٬٣١١٬٤٩١	٦٣٢٬٨٩١

ضمن هذه البنود الثلاثة وقت مجىء الجيش الفرنسى ، ونجد فى سجلات المسيو استيف تلك الوسائل التى كان عليه ان يلجأ اليها للحصــــول على هـــذا الجـــدول :

تذاكر جاويشية	المجموع	ملاحظات
مدينى	مدينى	
١ر٧٩٧	١ر٠٦١ر٩٦٣	
١٠ر٥٣١	٥٢٣ر١٨١	فى هذه الولايات التى تكون فى مجموعها بلاد الصعيد يسدد الجزء الأكبر من الضريبة عينا . لكننا لم نورد هنا إلا ذلك الجزء من الميرى الذى يسدد نقداً .
١٣ر٥٧٩	٥ر٤٩٣ر٠٧٤	
٤ر٢٠٧	٢ر٢٢٣ر٩٠١	
٩٦٦	٨٢٨ر٥٣٢	
٩٦٦	٣٤٥ر٨٦٦	
٣٧ر٦٥١	٣ر٥١٧ر٩٤٤	
٢٢ر٣٧١	٢ر٣٣٧ر٢٠٨	
٨ر١٥٦	٦٤٦ر٩٧١	
٧٧ر٦٠٠	٤ر٤٤٣ر٢٠٧	
٦٢ر٠٣٤	٣ر٩٣٠ر٧٤٢	
٩٤ر٥٨٩	٥ر١٤٦ر٩٣٢	
٩٢ر٤٧٩	١١ر٢٧٩ر٤٩٧	
١٥٦ر١١٥	٩ر٧٠٧ر٨٣٨	
٢٦٠ر٥٤٧	١٥ر٧٨٦ر١٩٤	
٢٣٠ر٨٨٦	١٢ر٧٤٤ر٨٤٠	
١ر٠٧٣ر٥٠٨	٨٠ر٠١٧ر٨٩٠	ويعادل ٨ د ١٥ س ٢و٨٥٧و٧٨١ جنيها توريا وبالفرنكات ٥٢ س ٢ر٨٢٢ر٥٠٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اما الميرى فهو الضريبة التى خص بها السلطان نفسه ، ولم يكن الميرى المقرر على الأراضى الزراعية يبلغ فى الأصل سوى ٨٩٨ر٥٩٨ر٧ ولكن السلاطين احمد ومحمد ومصطفى قد رفعوه على التوالى حتى بلغ الاجمالى الذى أوردناه .

وهذا التقسيم الذى رأيناه لهذه الضريبة هو نفس التقسيم الذى انشاه سليم وسليمان . وسواء أكان الأمر ناتجا عن ثغرة فى العمل او كان تفسخا أو كان نتيجة لتحسن طرأ على حالة بعض الأراضى ، فقد كان هذا التقسيم او التوزيع (لضريبة الميرى) معيبا للغاية ، اذ يرى المرء فى معظم الولايات اراضى شاسعة وخصبة لكن الضريبة التى قدرت عليها اقل من تلك التى فرضت على اراض اخرى ليست لها نفس المزايا .

واما مبلغ الـ ٨٩١ر٦٣٢ مدينى التى وردت تحت بند كوريكجى فلم يكن يدخل فيما مضى ضمن موارد الخزينة العامة ، لكنه أصبح منذ الآن فصاعدا جزءا من المال الحر ، فكان يحصله احد الأفندية من الملتزمين مباشرة ليستخدمه فى نفقات النقل والأعمال اللازمة الأخرى ليتم ارسال انقاض القاهرة الى مصبات النيل حيث كانت تلقى فى البحر . ويراقب الروزنامجى هذا العمل فى كل مراحله ويتسلم الحساب الخاص بذلك من هذا الأفندى . وعندما اساء القادة المحليون استخدام حصيلة هذا البند ، او بداوا ينفقونه فى غير اغراضه ، منذ نحو قرن ، أمر الباب العالى بأن يدخل ضمن موارده ،وقد نتج عن توقف الانفاق على الأغراض التى كانت مخصصة لها حصيلة هذا البند قيام تلال صناعية فى ضواحى القاهرة كانت تفوح منها باستمرار روائح كريهة ، كما كانت تهب منها اتربة مزعجة وضارة بالصحة .

وقد تقررت تذاكر الجاويشية بمعرفة السلطان لتوفير أجر اضافى لأفراد اوجاق الجاويشية الموكلين بحماية تحصيل الميرى ، وكان ضباط هذا الأوجاق يحصلون بانفسهم هذه الضريبة بشكل مباشر ، ومع ذلك ففى السنوات الأخيرة ، وحين رفض الملتزمون سدادها ، سارع الباشا الى معونة هذا الأوجاق ، الذى امسى بالغ الضعف لحد لم يستطع معه الزامهم بسدادها ، فأمر بموجب فرمان بان يحصل هذا الرسم باعتباره جزءا من الميرى وأن يوجه للغرض الذى حدده هذا الفرمان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ننتقل بعد ذلك الى الحديث عن الـــكشوفية كما انشأها سليمان ، وهى التى اصبحت نتيجة لذلك جـــزءا من المـــال الحر ، لنميزها عن تلك الـــكشوفية الجديدة التى أضيفت (الى الضرائب المقررة) منذ عهد هـــذا الحـــاكم .

ويوضح لنا الجدول الآتى حصيلة هذه الضريبة وتلك .

اسم الولاية	كشوفية قديمة				كشوفية
	مال الجهات	خدمة العسكر	كلفة	الإجمالى	رفع المظالم
	بالمدينى	بالمدينى	بالمدينى	بالمدينى	بالمدينى
قنا	—	—	١٢٥,٦٦٤	١٢٥,٦٦٤	—
إسنا	—	—	٩٥٤,٢٦٧	٩٥٤,٢٦٧	—
جرجا	—	—	١,٨٧٨,٣١٦	١,٨٧٨,٣١٦	—
سيوط	٨,٠٠٠	—	٨٥٠,٩٧٥	٨٥٨,٩٧٥	—
منفلوط	٢٨١,٨٨٧	—	١٣٧,٧٤٨	٤١٩,٦٣٥	—
المنيا	٥٨٢,٧٧٨	٤١٥,٠٣٣	—	٩٩٧,٨١١	—
بنى سويف	٩٦٦,٨٢٢	٤٥٨,٧٢٨	٨٢٢,٩٤١	٢,٢٤٨,٤٩١	١,١٢٨,٢٥٠
الفيوم	١٩٤,٩٢٠	—	١٣٧,٣٤٩	٣٣٢,٢٦٩	٩٥,١٢٤
أطفيح	—	—	—	—	—
الجيزة	٣٢٢,١٥٧	١٠٨,٥٧٠	٤١,٦٢٥	٤٧٢,٣٥٢	٢٥٩,٦٠٠
القليوبية	٣٨٢,٣٠٨	٢٣٥,٣٤٥	٤٣,٤٤٤	٦٦١,٠٩٧	٦٢٧,٣٦٥
الشرقية	٦٤٧,٨٠٢	٦٠٦,٩٥٠	٩٣,٣٦٧	١,٣٤٨,١١٩	٢,٣٦٨,٨٠٠
البحيرة	٦٠٤,٢٦٢	٤٥٦,٣٢٨	٤٩٩,١٠٠	١,٥٥٩,٦٩٠	٢,١٤٠,٩٢٥
المنصورة	٧٤١,٨٨٣	٦٨٠,٧١٠	٣٤٠,٢٧٣	١,٧٦٢,٨٦٦	٢,٦٣٥,٠٢٥
الغربية	١,٤٧٥,٤٨٧	٨٣٩,٢٣٩	٨٢,٩٣٨	٢,٣٩٧,٦٦٤	٤,٥٠٦,٣٢٠
المنوفية	٧٤٢,٩٨٢	٥٩٥,٤١٠	٢٠٩,٣٠٦	١,٠٤٧,٦٩٨	٢,٥١٣,٤٣٠
الإجمالى	٦,٩٥١,٢٨٨	٤,٣٩٦,٣١٣	٦,٢١٧,٣١٣	١٧,٥٦٤,٩١٤	١٦,٢٧٤,٨٣٩

جديدة			الإجمالى العام	ملاحظات
فردة التحرير	كلفة	الإجمالى		
بالمدينى	بالمدينى	بالمدنى	بالمدينى	
—	—	—	١٢٥,٦٦٤	
—	١٢٥,٠٠٠	١٢٥,٠٠٠	١,٠٧٩,٢٦٧	
—	١٩٩,٣٦٦	١٩٩,٣٦٦	٢,٠٧٧,٦٨٢	
—	٦٣,٦٥٠	٦٣,٦٥٠	٩٢٢,٦٢٥	
—	٤٢٠,٤٢٠	٤٢٠,٤٢٠	٨٤٠,٠٥٥	
—	٢,١٠١,٩١٨	٢,١٠١,٩١٨	٣,٠٩٩,٧٢٩	
—	—	١,١٢٨,٢٥٠	٣,٣٧٦,٧٤١	
—	٢٢٠,٣٢٩	٣١٥,٤٥٣	٦٤٧,٧٢٢	
—	—	—	—	
—	١,٦٦٢,٨٠٦	١,٩٢٢,٤٠٦	٢,٣٩٤,٧٥٨	
٤٢٢,٠٠٠	—	١,٠٤٩,٣٦٥	١,٧١٠,٤٦٢	
١,٠٦١,٧٧٠	٦٩٥,٩٥٩	٤,١٢٦,٥٢٩	٥,٤٧٤,٦٤٨	
١,٧٠٨,٠٨٨	—	٣,٨٤٩,٠١٣	٥,٤٠٨,٧٠٣	ويعادل الإجمالى :
٨٨٦,٦٧٧	٨٧٤,٦٢٤	٤,٣٩٦,٣٢٦	٦,١٥٩,١٩٢	د س ج ت
١,٦١١,٦٠٧	١,٦٥٠,٠٧٤	٧,٧٦٨,٠٠١	١٠,١٦٥,٦٦٥	٣ ٤ ٢,٧٨١,٤٤٦
١,٤٠٦,٠٥٢	٩٣٠,٤٠١	٤,٨٤٩,٨٨٣	٦,٣٩٧,٥٨١	وبالفرنكات :
				مى ف
٧,٠٩٦,١٩٤	٨,٩٤٤,٥٤٧	٣٢,٣١٥,٥٨٠	٤٩,٨٨٠,٤٩٤	٣٦ ٢,٧٤٧,١٠٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اما مال الجهات فهو عبارة عن ضريبة كانت تتم جبايتها فى كل قرى الدائرة . ويضع الملتزمون حصيلة هذه الضريبة ، التى يقع على عاتقها اكبر قدر من مصروفات « الاسلامية » (*) تحت تصرف حكام الولايات ، ويقوم هؤلاء بسداد هذه المصروفات ، ويحتفظون بما يتبقى منها لحسابهم.

وتجبى ضريبة خدمة العسكر لحساب الشوربجية ولصالح ضباط وجنود آخرين من بقية الفرق العسكرية ، وبخاصة من جنود اوجاقات التفكجيان والجامولیان والشراكسة المنتشرين فى الولايات للعمل هناك مكونين الديوانات (المحلية) أو باعتبارهم مراقبين للبكوات أو الكشاف الحكام . وكان هؤلاء العسكر يجبون هذه الضريبة مباشرة من الملتزمين طبقا لتفويض محرر من البك اوالكاشف . وعندما لاحظ محمد بك ان هذه الضريبة قد ازدادت بشكل كبير ، فقد اعادها الى القدر الذى حدده لها سليمان .

وتمثل الكلفة عدة عادات عينية ونقدية خصصتها اللوائح القديمة للحكام وافراد بيوتهم . وقد تحولت هذه الرسوم الى اعانات مالية ينبغى على الملتزمين أن يقوموا بدفعها . وقد اضفنا فى دراستنا الى هذه العادات عادة تعرف باسم حوالة الحوالات ، وهو تعبير عربى يعنى التعويض الذى يدفع لحملة الرسائل ، الذين يرسلون على وجه السرعة الى القرى ، لكى يخطروا المولين بالمبلغ الذى ينبغى عليهم أن يدفعوه ، لأنه تبين لنا ان حوالة الحوالات كانت تضاف الى الكلفة فى كل ولايات مصر ، فيما عدا ولايتى الغربية والمنوفية .

وقبل وقت طويل من عهد محمدبك كان حكام الاقاليم قد منحوا انفسهم بشكل استبدادى حق زيادة الكشوفية ، لكن الملتزمين ، فى عهده ، وقد كانوا فى حالة لا تسمح لهم بتحمل هذه الابتزازات ، التى لايقف تزايدها عند حد ، قد اشعروه بأن من الضرورى وضع حد لهذه الابتزازات . وادرك محمد بك انه اذا كان من المناسب أن تزيد هذه الرسوم (أو العادات) من جهة ، فان من الظلم الصارخ من جهة اخرى أن يترك تقدير ذلك لراى الحكام . وحين قرر قراره على الغاء كل ماكان هؤلاء الحكام

(*) رسم يحصل لصالح محمل الحج كما سيرد بعد ذلك (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يفرضونه ، زيادة عن الكشوفية القديمة ، فقد منحهم حق تحصيل عادة جديدة سميت باسم عادة رفع المظالم .

وقد أراد القبطان باشا حسن ، الذى حاول أن يعيد النظام الى مصر بعد الاضطرابات التى أعقبت موت محمد بك ، أن يقلص الضرائب لكى تعود الى نفس القدر الذى حددته لوائح سليمان ، لكن أفكارا لاحقة قد أثنته عن ذلك ، فتبنى نفس الاعتبارات التى أدت الى نشأة عادة رفع المظالم ، واكتفى بأن يطلق عليها اسما جديدا هو عادة حق **البيات** (أى عادة ثمن الاقامة) .

وحين ادت الأحداث التى أعقبت رحيله الى تثبيت سلطة البكوين مراد وابراهيم ، فان حكام الأقاليم قد بزوا أسلافهم فيما كانوا يقومون به من الابتزازات وعمليات السلب ، بحيث أصبح الأمر يقتضى أن تتحول هذه الى بنود ضريبية جديدة ، فأضاف ابراهيم ومراد الى الرسوم أو العادات القائمة عادة فردة التحرير .

وبعد ذلك أضيف لحق الطريق الذى أنشأه محمد بك لكى يتكفل بنفقات تحصيل رفع المظالم رسم جديد لحق الطريق يلزم لجباية فردة التحرير ، وفى النهاية جمعت كل الأعباء التى فرضت بشكل استبدادى على القرى منذ موت محمد بك فى ضريبة وحيدة أشير اليها باسم الكلفة ، وذلك بسبب تطابق الرسوم (او العادات) التى تكونها مع تلك التى كانت تدخل فى اطار هذا الاسم فى الكشوفية القديمة .

ويبين الجدول الذى نقدمه هنا الحصة التى تعود الى الملتزمين من الضرائب فى حالة رى كل الأراضى .

أسماء الولايات	الفايظ	الزيادات: برانى قديم	الزيادات: برانى مستجد	الإجمالى	ملاحظات
		المدينى	بالمدينى	بالمدينى	
قنا	٣،٠١٧،١٩٧	٢٩٧،٨٢٦	—	٣،٣١٥،٠٢٢	حيث كان تحصيل المال الحر فى الصعيد يتم نقداً أو عيناً تبعاً لنوع المحصول الذى يزرعه الفلاحون فى أراضيهم فقد كان لزاماً علينا أن نحول الحصيلة التى يتم سدادها عينا كما يفعل الناس عادة بهذه البلاد إلى قيمة نقدية حتى يمكننا أن نقدر حصيلة الفايظ المستحق .
إسنا	١،٩٤٦،٢٦٩	—	—	١،٩٤٦،٢٦٩	
جرجا	١٠،٣٣٩،٧٧٠	٤،٥٤٣،٤٩٩	—	١٤،٨٨٣،٢٧٨	
سيوط	١،٨٢١،٩٨٨	٣،٢٧٠،١٥٧	١١٠،٥٠٠	٥،٢٠٢،٦٤٥	
منفلوط	٢،٢٨٤،٥٧٨	٥٧٩،٢٦٦	١٦٢،٨٥٩	٣،٠٢٦،٧٠٣	
المنية	٢،٤٨٧،١٣٢	١،٠٣٩،١٧٠	—	٣،٥٢٦،٣٠٢	
بنى سويف	١٥،٢٢٨،٠٠٩	٧١٣،٣١٥	٣،٠٩٨،٦٩٠	١٩،٠٤٠،٠١٤	
الفيوم	٥،٤٢٦،٣١٠	٧٧٦،٦٧٩	٨٨٣،١٩٣	٧،٠٨٦،١٨٢	
أطفيح	٤،٦٢٤،٦٩٠	٣٦٢،٠٤٤	١٨٢،٤٤١	٥،١٦٩،١٧٥	
الجيزة	٨،٥٤٣،١٦٧	٩٣٧،٠٨٢	٧١٠،٩٦٣	١٠،١٩١،٢١٢	
القليوبية	٩،٠٢٦،٦٢١	٥٨٩،٤٢٨	٥،٥٠٣،١٥٠	١٥،١١٩،١٩٩	
الشرقية	١٢،٣٦٨،٧٢٦	٣،٢٣٢،٧٩٦	٣،٦٢٥،٩٢٦	١٩،٢٢٧،٤٤٨	
البحيرة	١٩،٨٠٠،٤٤٩	١،٥٥٢،٣٤٤	١،٧١٥،٥٧٨	٢٣،٠٦٨،٣٧١	
المنصورة	٢١،٦١٦،٦٦٠	٨،٦٥٨،٨٦٧	٦،٧٨٣،٣١٣	٣٧،٠٥٨،٨٤٠	د س ح ب
الغربية	٣٩،٨٠٢،٨٨٦	١٢،٠٤٠،٨١٦	١٣،٧٦٦،١٠٣	٦٥،٦٠٩،٨٠٥	تعادل : ٧ ٣ ٩،٧٩٣،٨٥٠
المنوفية	٢١،٨٢٤،٠٤٦	٦،٧٥٧،٣٨٤	١٢،١٧٦،١٣٣	٤٠،٧٥٧،٥٦٣	س فرنك
الإجمالى	١٨٠،١٥٨،٥٠٧	٤٥،٣٥٠،٦٧٣	٤٨،٧١٨،٨٤٩	٢٧٤،٢٢٨،٢٠٩	٢٤ ٩،٦٧٢،٩٤٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والفايظ (الفائض ، اى الجزء الذى يبقى) هو ذلك الجزء من المال الحر الذى خصصه السلطان للملتزم ، ولم يكن هذا الجزء محددا أو ثابتا بشكل مؤكد ، شأن الميرى او الكشوفية ، حيث لم يكن للملتزم أدنى حق فيه الا بعد أن يفى بالتزاماته قبل السلطان وحكام الأقاليم . ولما كانت الأرض التى لا تغمرها مياه الرى معفاة بشكل مبدئى من سداد اية ضريبة، فقد نتج عن ذلك أن الفايظ كان عرضة للزيادة والنقصان تبعا لاتساع أو انحسار المساحة المروية من الأراضى التى ينبغى عليها ان تسدد المال الحر.

وقد أطلق على الزيادات التى الحقت بالفائظ هذه التسميات : برانى قديم وبرانى جديد ، مضاف قديم ومضاف مستجد . وليس ثمة اى نص رسمى يدل على انشائها ، لكن الملتزمين قد جعاوا من الهدايا والاتاوات التى يدفعها الفلاحون مقابل خدمة عارضة أو طبقا لتقليد ما رسوما واجبة السداد بشكل حتمى .

وتعود جباية البرانى القديم الى زمن بالغ القدم ، وينظر اليه اليوم باعتباره ضريبة تماثل فى انتظامها ضريبة المال الحر المبدئى .

أما البرانى الجديد (أو المستجد) فقد ابتدعه البكوات المماليك متذرعين بنفس الادعاءات التى استخدمت من قبل لتبرير جباية البرانى القديم .

واليوم ، تحصل نقدا كل الرسوم (أو العادات) التى تشكل كلا من البرانى القديم والبرانى المستجد ، وبرغم انتظامها على هذا النحو فانها لم تدون فى جداول الضرائب المقررة على القرى ، لكننا لانجد نفس الشىء بالنسبة لمختلف فروع الكشوفية الجديدة ، فحيث أن الحكومة قد أوجبت على الملتزمين ، وهم مثقلون بالفعل بدفع الكشوفية القديمة ، أن يدفعوا لقادة الولاية ضرائب رفع المظالم وفردة التحرير والكلفة الجديدة فقد كان تحصيل هذه الضرائب يتم بموجب نص من السلطة لايمكن للقرية معه ان تنكرها ، وعلى العكس من ذلك فحيث أن البرانى لم يكن ملزما للفلاحين طبقا لنص محدد ، فقد كان من الضرورى للملتزم أن يواصل التذكير بالعادات المنشئة للرسوم التى تتكون منها ضريبة البرانى هذه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت الادارة الخاصـــة بقرية ما تنشىء مصروفات تحصيل تنفقها فى الاستجابة للمطالب المحلية وفى دفع اجور الموظفين الذين عينهم السلطان فى كل وحدة (ادارية) ، ولم تكن مصروفات التحصيل هذه تدخل ضـــمن الجداول التى سبق أن أوضحناها اذ كان الذين يقومون بجبايتها ينفقونها مباشرة فى الأغراض المحددة لها ثم يخصمونها من اجمـــالى المبـــالغ التى حصلوها لحساب الملتزم .

وسنقدم قائمة طبق الأصل بالضرائب التى كانت تجبى من احدى قرى مصر على النحو الذى قدمه واحد من هؤلاء الجباة . ويقتضى نسق هـــذا المؤلف أن تدخل هذه القائمة فى ثنايا دراستنا هذه عند حديثنا عن تحصيل الضرائب وسوف تبين هذه القائمة ، بوضوح بالغ ، كل ماسبق أن ذكرناه للتو ماسا بموضوع تقسيم الضريبة على الأراضى .

ثانيـــا : عن ادارى القرى

كان الملتزم موكلا بادارة القرية وتنظيم شئونها ، ويعمل بهـــا تحت امرته قائمقام يمثله هو وموظفون يختارهم ، وكان وجود هؤلاء ، وكذلك الحال بالنسبة لوظائفهم ، يتحدد بمقتضى لوائح وضعها السلطان .

وهؤلاء الموظفون هم : الشيوخ ، الشاهـــد ، الصراف ، الخولى ، المشد ، الخفراء ، الوكيل ، الكلاف .

وكان من الضرورى أن يختار كل من الشاهد والخولى من بين سكان القرية .

أما الشيخ فكان يفتش على الارض وعلى الفلاحين ويراقبهم ، وهو مكلف بمراعاة الا تضار مصالح الملتزم بسبب اعوجاج سلوك هؤلاء أو بسبب اهمالهم ، كما كان ملزما بأن يسدد ما على المولين من ضرائب اذا هو لم يخطر سيده بهروبهم أو بأخطائهم . ولا تصل أوامر الملتزم الى الفلاح الا من خلاله . كما ينقل — هو — الى الملتزم مطالبهم واحتياجاتهم . ويعين الملتزم فى بعض الأحيـــان عـــدة شـــيوخ للاشراف على الأراضى التى تقع تحت امرته ، ويمارس أول هؤلاء — ويشار اليه باسم شيخ المشايخ — بالنسبة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لزملائه نفس السلطة التى يمارسها هؤلاء ازاء الفلاحين . واذا غاب الملتزم ولم يكن له بالقرية قائمقام فان هـذا الشيخ الأول ينوب عنه . ويختار لشغل هذه الوظائف فى العادة فلاحون يمتازون بيسرهم وحذقهم . وفى معظم الأحيان تنتقل هذه الوظائف من الأب الى الابن ، مما يدفع بأبناء شيخ ما على الظن بأن لهم الحق فى وراثة وظيفته .

وأما الشاهد فيمسك بسجل يبين طبيعة ومساحة كل العقارات التى تكون زمام القرية ، ويدون بهذا السجل أسماء سكانها وملكياتهم وكذلك كل عمليات نقل الحيازة الطارئة ، ويشار اليه بصفة العدل (أو العادل) للتاكيد على النزاهة التى لابد لها أن تحكم أعماله .

ويقوم الصراف بتحصيل الضرائب طبقا لتوزيعها المدون بسجل الشاهد ، ويتأكد من وزن وحالة المسكوكات (قطع النقود) التى تقدم له ، ثم يسلم الحصيلة الى الملتزم ويحصل منه على مخالصة بذلك ، وكان الصراف فيما مضى يعمل فى خدمة الشاهد ويحصل على راتبه منه .

ويلتزم الخولى أو المساح بأن يعرف بدقة بالغة زمامات القرية والحدود التى تفصل بين أراضى الملاك ، كما يحسم كل المنازعات التى تنشب حول هذا الموضوع ، ويدير أعمال وزراعة الوسية ، وتزرع هذه الأراضى بالتراضى شأنها شأن عقارات الفلاحين الذين يستخدمون لأراضيهم أجراء ، وتنحصر الميزة الوحيدة التى يتمتع بها الملتزم فيما تقرر له من أفضلية تمنع تابعيه من أن يستخدموا عمالا فى زراعة أرضهم قبل أن تتم زراعة أرض الوسية .

والمشد هو المنفذ لأوامر الملتزم حين يريد أن ينزل العقاب بالفلاحين عندما يخطئون أو يتأخرون (فى سداد ماعليهم) ، اذ ليس للشيوخ أو موظفى القرية الآخرين الحق فى أن يتصرفوا بأنفسهم ضد المخالفين ، بل انهم ينشدون سلطة المشد كما أن عليهم أن يقدموا له العون عندما يطلبه أو يحتاج اليه ، وبالاضافة الى ما سبق فان المشد موكل بأن يخطر القرية بأوامر الملتزم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والخفراء (الخفير) هم حراس القرية ، ويتفاوت عددهم بين قرية واخرى ، وهم مكلفون بمنع السرقات ومنع كل ما يمكن أن يرتكب فى القرية مما يعد خروجا على النظام ، كما أنهم ينذرون القرية عند اقتراب العربان . ويسهر الخفراء بصفة خاصة على حراسة بيت الوسية التابع للملتزم والذى يستخدم مخزنا للمحاصيل ، ويدخل ضمن واجباتهم كذلك حراسة الجسور ومراعاة الا يقوم الفلاحون باحداث الثغرات فيها فى الأوقات التى تحرم خلالها هذه الأعمال .

ويقوم الوكيل باستغلال أراضى الوسية ، لكنه ملزم باستخدام الخولى عند بذرها ، كما يتولى جمع المحاصيل والتصرف فيها طبقا لأوامر الملتزم .

ويعمل الكلاف — اى الراعى — تحت امرة الوكيل ، وهو موكل بحراسة قطعان الماشية والعناية بها ، ويحصل لنفسه على منتجاتها من الصوف والزبد واللبن الخ ، ويفترض فى مهنته الالمام بفن البيطار مما يعود بالفائدة على القرية كلها ، فهو ملزم بأن يقدم هذه الرعاية لمن يلتمستها منه من الفلاحين لعلاج ماشيتهم .

وبالاضافة الى كل هؤلاء يوجد بكل قرية امام وحلاق ونجار ، وعلى الرغم من ان لوائح السلطان لم تتناول هؤلاء ، فقد جرت العادة بأن يحصل هؤلاء على راتب من القرية ، ويترتب على ذلك أن كل واحد من هؤلاء ، كل فيما يخصه ، ملزم بأن يقدم خدماته لأهل القرية .

ثالثا : عن جباية الضرائب

فيما مضى ، وعلى الرغم من أن الصراف يدخل فى عداد الوظائف الرسمية التى أنشأها سليمان ، فقد كان مرءوسا للشاهد ، ولم يكن له من عمل سوى أن يحصل من كل فلاح المبالغ المفروضة عليه من قبل ديوان الجباية . ومع ذلك ، فحيث تعقدت وتزايدت الرسوم التى بدات تجبى حديثا ، مما جعل هذا العمل اكثر مشقة ، فان الملتزم والمزارع كليهما ، وقد حارا فى تحديد حقوقهما والتزاماتهما ، قد لجأ الى هؤلاء الذين اكتسبوا المعرفة التامة باللوائح وبالأساليب المتبعة عند تطبيقها.

وهكذا لم تعد هنــاك قرية بها أرض زراعية ، لا نجد بها قبطيــا (١) فى وضع يسمح له أن يقــدم أدق وأوفى البيــانات عن الرســوم القــديمة والحديثة ، ســواء المفروضــة محليا ، (اى على القرية بشكل خاص) أو تلك المفروضــة بشكل عمومى ، وســواء كذلك المشروعــة منها (اى التى قررتها اللوائح) أو الجائرة ، والتى تجبى من ملاك هــذه القرية . وقــد جعلت منه معلوماته هــذه وسيطا لابد منــه بين الملتزم والفلاحين، حتى أن الاخيرين يبــادرون مذعنين بسداد المبلغ المطلوب ما ان يتلفظ به، وهم يرضخون بفعل الخوف لأتاوات لم يطلعهم عليها من قبل . وبفضــل خبرة الأقبــاط فى هذا المجــال فقد اصبحوا هم المبــاشرين للبــكوات والملتزمين ، ونجــد فيما بينهم نفس العــلاقات التى تقوم بين أولئك الذين يدبرون — هم — لهم ثرواتهم ، فمبــاشرو الملتزمين ومبــاشرو ألبكوات يعترفون برياسة مبــاشر البك شيخ البلد لهم ويلقبونه بالمباشر العمومى . وقبل أن يمارس هؤلاء مثل هذه الوظائف فانهم يتشربون هذه الأمور بالعمل تحت ادارة اسلافهم . وهم حريصــون دوما على أن يحصروا داخل أمتهم هذا النظام المتبع (فى هذه الأعمال) والذى يشكل تراثا بالنســبة لهم ، فهم لا يشركون فى أعمالهم ومعــارفهم سوى الأقبــاط ، ويعهــد الملتزم بأعمال الصــيرفة الى واحد من هؤلاء التــلاميذ الذين يشار اليهم باســم الــكتبة (كاتب) . ويسترشــد فى اختيــــار هذا بمبــاشره ، ولابد أن يوافق على هذا الاختيار المبــاشر العمومى ، الأمــر الذى يوضــح مكانة وسطوة هذا الأخير على ادارة مصر فيما يتصل بتوزيع الوظائف التى تتفرع عن أعماله .

- ومــا أن تنحسر مياه النيل عن الأراضى ويتم البــذ ر ، حتى يتوجــه الصراف الى القرية الموكلة اليــه ، مزودا بالبيــانات التى تتصل بضرائب السنوات السابقة .ومعلومات من هذا النوع ،ويفترض الا يعرفها الا من ينتمى الى أمة الأقبــاط ، لاتذاع الا عن طريق الشخص الذى زود بها . وبمجرد وصــوله يدعو اليه ديوان الجبــاية وهو عضو فيه بحكم النشأة. كما يدعو المشايخ والشــاهد ويبدأ فى عمليــة توزيع الضرائب وجبايتها.

---

(١) الاقباط هم سلالة اهل البلاد الذين رفضوا اعتناق دين محمد ، وهؤلاء يدينون بمسيحية شوهتها جهالتهم كما اتلفتها أخطاء نسطوريوس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الديوان الذى يفترض فيه أنه المشرف أو على الأقل الحكم فى هذه العملية فلم يكن سوى شاهد ، بل ان الفلاحين أنفسهم يفضلون ادارة الصراف على ادارة الديوان أو الشاهد ذلك أن حماسة الصراف التى لا تفتر والتى تسوغ ثقة الملتزم فيه لم تكن لتمنعه من أن يصطنع بعضا من اللباقة وشيئا من النزاهة فى اجراءاته ، وتسهم صفته باعتباره غريبا ، كما تسهم طبيعة عمله الذى ينتهى بنهاية العام باضفاء صفة الحيدة عليه ، فى حين يتهم المشايخ والشاهد على الدوام بأنهم أصحاب منفعة فى العوايد (أو العادات) المحلية مما يجعلها جائرة بشكل دائم .

وتتم جباية الضرائب وفاء لثلاثة أغراض متنوعة :

١ — لتحصيل المال الحر .

٢ — لتحصيل الاضافات التى تمت زيادة على المال الحر (١) .

٣ — لتحصيل المصروفات الطارئة والتى تستخدم للانفاق على احتياجات القرية .

ويستخدم سجل الشاهد ، الذى تحددت به مساحة وحالة الأرض التى يمتلكها كل ممول ، أساسا لعمل الصراف عند تقسيم وتوزيع الضرائب

وتوجد بكل قرية ، بخلاف الرزق ، والاطلاق ، والوسايا ، والأثر ، أراض يطلق عليها اسم بور المناجز .

وقد سبق لنا القول بأن أراضى الرزق والاطلاق (أو الاطلاق) كانت معفاة من الضرائب . وينطبق ذلك على الأراضى غير المنتجة أو البور .

أما الأراضى من النوع الردىء ، والتى يطلق عليها اسم مناجزة ،

---

(١) وهى عبارة عن البرانى بنوعيه وعن الكشوفية الجديدة .

(*) وهى أراض أصابها الضعف ولم تعد جيدة الزراعة وهناك أيضا أراض تسمى بور الحوالى وهى التى يصيبها البوار فى بعض السنوات فلا تزرع (المترجم) .

ســـواء كانت تتبع الفلاحين أو كانت تتبع الملتزمين ، فتدفع ضريبة معتدلة، اقل من تلك التى تفرض على اراضى الوسية والأثر ، فهى تشكل درجـــة رابعة بالنسـبة لـــكل هذه الاراضى التى تنقسم الى اراض ممتازة ، واراض متوسطة واراض دنيا (أو : عال ، ووسط ، ودون) ، وتخضع هذه وتلك بالمثل لضريبة المال الحر ، وتسدده حسب درجة جودتها (١) .

وبخلاف ذلك تتحمل اراضى الأثر وحدها الزيادات التى أضـــيفت الى هذه الضريبـــة ، وكذا المصروفات الطـــارئة والتى تتصـــل باحتيـــاجات القرية ، دون أية مراعاة لدرجة جودتها ، بل كان يكتفى بتوزيع الضريبـــة بنسب متساوية ، ولهذا كان يزيد أو ينقص مايدفعـــه فلاح ما من هـــذه المصروفات تبعا لعدد الفدادين التى يملكها .

وفى مصر العليا تعامل الأراضى من هذا النوع ، والتى تتبع المشايخ والموظفين الرسميين فى القرية بنفس الدرجة من الأفضلية التى تعامل بها ارض الوسية ، اما فى مصر السفلى فان هؤلاء الموظفين لايحصلون على هذه الميزة الا لجزء فقط من ممتلكاتهم .

وتقدر الضريبة على الزمامات التى لايتم قيـــاسها (أى غير محددة المساحة) بشكل اجمالى ، وتحدد الضريبة المقدرة عليها بمعرفـــة الصراف والادارة الداخلية للقرية ، وتسمى الضريبة من هذا النوع باسم كلالة . وهذه ، من ناحية العدد ، أكبر فى الصعيد عنها فى مصر السفلى . وقد قيست زمامات بعض القرى بين بين : وتقدر الضريبة على الجزء المقيس بواقع عدد الفدادين ، لـــكنها تقدر على الجزء الآخر بالكلالة .

وتتكون القرى عادة من عدة كفور ـــكل الا دائرة وحيدة ، تحمل اسم القرية الرئيســة .

---

(١) لكى نوضح بأية طريقة عشوائبة كانت توزع هـــذه الضريبـــة ، يكفينا القول بأنها كانت تتراوح بين ٩٠ الى ١٠٠ مدينى للفدان من الدرجة الأولى ، ومن ٦٠ الى ١٥٠ مدينى لفدان الدرجة التانية ، بينما تفرض على أراضى الدرجة الثالثة وكذلك على أراضى المسامح ضريبة مقدارها من ٣٠ الى ١٢٠ مدينى للفدان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتنقسم هذه الوحدة الادارية فى مجموعها ، ومهما تكن مساحتها ، الى ٢٤ جزءا ، تتبع كلها الملتزم واحد أو لعدة ملتزمين .

ونقدم الآن بيانا بالضرائب التى سددتها دائرة قرية الأنبوطين ، الواقعة فى ولاية الغربية ، فى عام ١٢١٣ من الهجرة ،وهو العام السابع من قيام جمهوريتنا (١٧٩٨) : وسنقدم كما سبق أن وعدنا جدولا بكل الضرائب المقررة على احدى القرى ، وبصفة خاصة تفاصيل الرسوم (أو العادات) التى تشكل البرانى . وحيث تتنوع هذه من اقليم لآخر ، بل بين قرية وأخرى ، فقد كان علينا أن نكتفى بتقديم مثال من شأنه أن يبين لنا الضرائب المقررة والتى تعد اكثر من غيرها شيوعا .

قائمة بالضرائب المقررة على وحدة قرية الأنبوطين
بولاية الغربيـــة عن العام ١٢١٣ من الهجرة

الأنبوطين . . . . قرية رئيسة

بقـــلولة . . . . } كفور أو قرى تابعة لها
منية حبيش . . . . }

	الأنبوطين	بقلولة	منية حبيش	المجموع
إجمالى زمام الأراضى	١٦٢٦ ٥٢٤/٥٧٦	٤٧٦ ٢٤٤/٥٧٦	١١٠٦ ٤٠/٥٧٦	٣٢٠٩ ٢٣/٥٧٦

يخصم من ذلك : أراض معفاة من الضرائب

	الأنبوطين	بقلولة	منية حبيش
رزق تابعة لأشخاص عدة	٤٥ ٣٨٤/٥٧٦	—	٢١ ٣٠٠/٥٧٦
أراض بور ، شواطىء ، طرق الخ	١ ٤٠٠/٥٧٦	١٦ ٢٧٦/٥٧٦	—

	الأنبوطين	بقلولة	منية حبيش	المجموع
(المخصوم)	٤٧ ٣٠٨/٥٧٦	١٦ ٢٧٦/٥٧٦	٢١ ٥٠٤/٥٧٦	٨٥ ٤١٢/٥٧٦
الباقى من الزمام والذى يخضع للضرائب ويبلغ	١٥٧٩ ١١٦/٥٧٦	٤٥٩ ٥٤٤/٥٧٦	١٠٨٤ ١١٢/٥٧٦	٣١٢٣ ١٩٦/٥٧٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

	الأنبوطين	بقلولة	منية حبيش	الإجمالى	الإجمالى العام
	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى
الأنبوطين : ويبلغ زمامها ٣١٦/٥٧٦ ١٥٧٩ فداناً منها ٦/٥٧٦ ١١٤					
مناجزة : أراض رديئة تدفع ضريبة ثابتة . .	٨٫٧٢١				
٤٤٨/٥٧٦ ١٢٦ أراض جيدة (عال) تشكل أرض الوسية					
وتقدر الضريبة عليها بواقع ١٠٧ مدينى للفدان .	١٣٫٥٦٥				
٣٨٤/٥٧٦ ٨٩٨ أراض متوسطة الجودة (وسط) وأراضى					
الأثر وتقدر الضريبة عليها بواقع ١٠٧ مدينى / فدان	٩٦٫١٥٨				
٤٤٠ أراض منخفضة الجودة (دون) وأراضى الأثر					
وتقدر الضريبة عليها بواقع ١٠٣ مدينى / فدان .	٤٥٫٣٢٠				
بقـــلولة : ويبلغ زمامها ٤٤٠/٥٧٦ ٤٥٩ فداناً . منها :					
١٧٦/٥٧٦ ٣٢ ف مناجزة . . شرحه	—	٢٫٥١١			
١٨٠/٥٧٦ ٣١ ف جيدة ، الوسية ، شرحه	—	٣٫٣٥٠			
٨٨/٥٧٦ ٣٩٦ أرض متوسطة ، الأثر ، شرحه . .	—	٤٢٫٣٨٦			

خبيش : وزمامها $\frac{١١٢}{٥٧٦}$ ١٠٨٤ر١ ف منها :					
$\frac{٤٨٦}{٥٧٦}$ ١٣ ف جيدة الوسية ، شرحه	—	—	١ر٤٧٤		
$\frac{٢٢٠}{٥٧٦}$ ١٠٧٠ر١ ف ضعيفة ، الأثر ، بواقع الفدان ١١٥ مدينى	—	—	١٢٣ر٠٩٣		
اجمالى الزمام $\frac{١٩٦}{٥٧٦}$ ١٢٣ر٣ويسدد	١٦٣ر٧٦٤	٤٨ر٢٤٧	١٢٤ر٥٦٧		
الإجمالى المكون للمال الحر	—	—	—	٣٣٦ر٥٧٨	
الزيادات التى طرأت على المال الحر :					
ـ نصيب هذه القرية فى الـ ٨٩٣ر١٢ر٧٤١ مدينى التى أضيفت إلى الميرى على يد السلاطين أحمد ومحمد ومصطفى	—	—	—	١٤ر٨٨٧	٣٦١ر٥٥٨
رسوم ثابتة على أراضى جديده فى بقلولة . . .	—	—	—	٢٠٠	
زيادات على أراضى عربان قبيلة الأطياح(*) . . .	—	—	—	٩ر٨٩٣	
الإجمالى العام . . .	—	—	—	١ر٥٥٨	

(*) أو كما وردت بالنص الفرنسى el-Atahyâ (المترجم)

	الأنبوطين	بقلولة	ميت حبيش	الإجمالى	الإجمالى العام
	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى
ويخصم من ذلك :					
مصاريف محلية وادارية تدفع لمستحقين :					
الختمية ، وهى أول عادة جباها راس نوبة ، وهم صغار ضباط الأوجاقات	٢٢٤	—	—	٢٢٤	
قايمة الرملة ، وهى عادة فرضت لصالح الشخص الذى يقوم بتنظيم حسابات بعض رسوم الكشوفية . .	١٦٥	١٦٥	١٦٥	٤٩٥	
تقادم المنشور : وهى هدايا تقدم لضباط الأوجاقات	١٦٥	١٦٥	—	٣٣٠	
للعناية بالثيران اللازمة للترع	١٦٥	١٦٥	١٦٥	٤٩٥	
مقدم الولاية : موظف بالولاية يسير أمام الحاكم .	١٦٥	—	١٨٠	٣٤٥	
مسودة الولاية : موظف آخر بنفس الولاية . .	٣٣٠	—	٣٦٠	٦٩٠	
موقى الولاية : ضابط بالولاية يرشد الحاكم الى معسكرات الجنود	١٦٥	١٦٥	١٦٥	٤٩٥	
الجرافة السلطانى : لمن يقوم بالتفتيش على الجسور العمومية	١٩٥	٢٢٠	٢١٠	٦٢٥	
جسر بنو جودى : وهو جسر ينبغى أن تسهم هذه القرية فى صيانته	٧٥	١٧٠	—	٢٤٥	

مقدم العسكر : وهو موظف بالولاية يعمل دليلا لعسكر الشوربجية	٦٠	—	—	٦٠
تسويف مقرر : وهو موظف آخر بالولاية	١٨٧	٣٣٠	٣٣٠	٨٤٧
مظالم الولاية : ضابط بالولاية مهمته أخبار الحاكم بما يدور بالولاية	١٥٠	—	—	١٥٠
تقرير الأفندى : عادة للافندية الذين يقومون بتحصيل الميرى	٦٢٤	١٨٠	٩٠	٨٩٤
أغنام الضامة : وهى الخراف التى ينبغى ذبحها عند حصاد القمح	—	—	٩٦	٩٦
رأس نوبة : عادة ثانية لضابط بهذا اللقب . . .	—	—	٣٨٧	٣٨٧
عادة الدعوة : وهى عادة مقررة للشخص الذى يفض الخلافات بين الفلاحين	—	—	٦٠	٦٠
نايب ريبة : وهو ضابط يقوم بالحفاظ على الاخلاق الحميدة فى الولاية	١٧٠	—	—	١٧٠
عادة الولى: وهو أحد الأولياء المحليين	—	—	٣٠	٣٠
يرانى مقدم العسكر : زيادة فى العادة المقررة لهذا الموظف	٣٧	—	—	٣٧
عادة لصالح المشايخ	١١,٩١٠	٦,٥١٠	١٢,٦٠٠	٣١,٠٢٠

	الأنبوطين	بقلولة	ميت حبيش	الاجمالى	الإجمالى العام
	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى
لاقامة الجســـور	٣٦٠	٢٤٨	٣٨٠	٩٨٨	
لحراسة المكان الذى تتم فيه عملية جباية هذه الرسوم واصطحاب الاموال الى القاهرة	٨١٦	١٦٦	٤٤٠	١,٤٢٢	
خولى الجرافة : وهو الذى يفتش على الجسور .	٢٠٢	—	—	٢٠٢	
الخفير الدوار : حارس القــرية	٢٠٠	—	—	٢٠٠	
كلاف الاطوار : راعى ثيران القرية	١٠١	—	٥٠	١٥١	
للنجار الموكل باصلاح أدوات الرى	١٠٠	—	—	١٠٠	
للشــــيخ امام	١٠٠	—	—	١٠٠	
خولى الزرع : ويفتش على البذار وهو مساح كذلك	—	—	١١٠	١١٠	
صغار الجرافة : أجر العاملين فى جسور الولاية .	١,٢٧٠	—	١,٠٣٨	٢,٣٠٨	
معاش لعربان قبيلة الأطياح	٤,٣١٥	٢,٠٠٠	٢,٠٠٠	٨,٣١٥	
عادة الصراف الجابى	١,٠٠٠	١,٠٠٠	١,٠٠٠	٣,٠٠٠	
رزق تدفع نقــدا	٥,٠٠٠	١,٥٠٠	١,٥٠٠	٨,٠٠٠	
صيانة جسور خاصة بالقــرية	٩١٧	—	—	٩١٧	
الاجمـــالى	٢٩,١٦٨	١٢,٩٨٤	٢١,٣٥٦	٦٣,٥٠٨	٦٣,٥٠٨
البـــاقى	—	—	—	—	٢٩٨,٠٥٠

ويوزع بمعرفة الملتزم ما يلى طبقا للوائح السلطان :				
الى السلطان باعتبارها ضريبة الميرى . . .	—	—	—	١٠٦,٣٣٦
الى الحاكم باعتبارها الكشوفية القديمة :	—	—	—	١٩,٠٨٩
وتفاصيلها كما يلى :	—		—	—
مال الجهـات ١١ر١٤٥				
خـدمة العسـكر ٦,٩٣٠				
الـكلفة { تبن السـلطان . . . ٥١٩				
الـكلفة { حوالة الحوالات . . . ٤٩٥		—		
الى الملتزم باعتباره الفايظ الخاص به	..	..	..	٧٢,٦٢٥
المبلغ الاجمـالى(١)	..	..	..	٢٩٨,٠٥٠

(١) هذا المبلغ هو اجمالى المال الحر ، ونرى من ذلك أن المصروفات المحلية قد خصمت منه ، وتبلغ نفقـات القرية ما نسبته ٢/١١٢٪ . وقد عرفنا فيما سبق أن هذه النفقات فى بقية البلاد تتراوح بين ١٠ و٣٠٪ .

	الأنبوطين	بقلولة	ميت حبيش	الإجمالى	الإجمالى العام
	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى
البرانى القديم					
لشراء الجمال	٨٫٨٠٠	٤٫٤٠٠	٨٫٨٠٠	٢٢٫٠٠٠	
لشراء الجديان	٢٫٩٢٠	١٫٤٦٠	٢٫٩٢٠	٧٫٣٠٠	
خراف للضيوف	١٫١٦٨	٥٨٤	١٫١٦٨	٢٫٩٢٠	
لشراء السمن	٣٫٠٠٠	٧٠٠	٣٫٠٠٠	٦٫٧٠٠	
كاشف الولاية	١٫٩٠٧	٩٢٤	١٫١٣٢	٣٫٩٦٣	
قائمقام الولاية	١٫٠٧٢	٥٩١	—	١٫٦٦٣	
هدية أولى للمالك الملتزم	٥٫٥٠٠	٢٫٧٥٠	٥٫٥٠٠	١٣٫٧٥٠	
هدية ثانية له نفسه	٥٫٥٠٠	٢٫٧٥٠	٥٫٥٠٠	١٣٫٧٥٠	
هدية ثالثة له نفسه	٢٩٫٠٠٠	١٤٫٥٠٠	٣٤٫٠٠٠	٧٧٫٥٠٠	
حوالة الحوالات	٢٫٤٠٠	١٫٢٠٠	٢٫٤٠٠	٦٫٠٠٠	
خدم قائماقم الولاية	٢٠٠	١٥٠	٢٠٠	٥٥٠	
الاجمالى	٦١٫٤٦٧	٣٠٫٠٠٩	٦٤٫٦٢٠	١٥٦٫٠٩٦	١٥٦٫٠٩٦
البرانى الجديد					
لشراء السمن	١٢٫٨٠٠	—	—	١٢٫٨٠٠	
لشراء الدجاج	٢٫١٨٧	—	١٫٦٠٨	٣٫٧٩٥	
عادة التشاغوس أى حاجب الملتزم	٦٠٠	—	٤٠٠	١٫٠٠٠	
عادة الملتزم	١٫٣٣٣	—	٢٫٠٨٠	٣٫٤١٣	

عادة حوالة الحوالات	٢٤,٠٠٠	—	١٦و٥٠٠	٤٠و٥٠٠	
هدية للملتزم	٢٠,٤٠٠	—	١٣و٦٠٠	٣٤و٠٠٠	
عادة كخيا الملتـــــزم	١و٨٠٠	—	١و٢٨١	٣و٠٨١	
عادة تســويف مقرر	٣٣٠	—	—	٣٣٠	
مصروفات على أراضى محمد الغفار	٤و٢٨٠	—	—	٤و٢٨٠	
عـ ـة مظـــالم الولاية	٨٩	—	—	٨٩	
ركبة الطـــوافة	١٥٠٠	—	—	١و٥٠٠	
زيادة الحقت بالعادة المذكورة	١٦٥	—	١و١٠٩	١و٢٧٤	
ثيران للعمل بالجســـور	٩٠٠	—	—	٩٠٠	
خراف من اجل موسم الحصاد	٣٠٠	—	—	٣٠٠	
جاويش الولاية	١٠٩	—	—	١٠٩	
نثريات محلية مختلفة تذكر للمرة الثانية	—	—	٨٢١	٨٢١	
الاجمـــــــالى	٧٠,٧٩٣	—	٣٧و٣٩٩	١٠٨,١٩٢	١٠٨و١٩٢
الـــكشوفية الجديدة					
رفع المظالم أو حق الطريق	١٧و٨٢٥	٦و٠٠٠	١٢,٠٠٠	٣٥و٨٢٥	
فردة التحـــرير	٦و٨٠٠	٣و٠٠٠	٤و٥٠٠	١٤و٣٠٠	
كلفة جديــــدة	٥و٠١٥	١و٧٤٣	٣و٣١٥	١٠و٠٧٣	
اجمالى الرسوم المقررة على هذه القرية .	٢٩و٦٤٠	١٠,٧٤٣	١٩,٨١٥	١٩٨و٦٠	١٩٨و٦٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التوزيع الجديد لهذا المبلغ

			مدينى
الى السلطان .	لضريبة الميرى		٣٣٦ر١٠٦
الى حاكم الولاية	للكشوفية القديمة	٠٨٩ر١٩	٢٨٧ر٧٩
	« الجديدة	١٩٨ر٦٠	
الى الملتزم	للفايظ وهو حصته	٦٢٥ر١٧٢	٩١٣ر٤٣٦(١)
	للبرانى القديم	٠٩٦ر١٥٦	
	« الجديد	١٩٢ر١٠٨	
الاجمالى			٥٣٦ر٦٢٢(٢)
مصروفات محلية وخلافها دفعت لمستحقين			٥٠٨ر٦٣
اجمالى الرسوم التى دفعتها هذه القرية			٠٤٤ر٦٨٦

ويفسر لنا المثال الذى قدمناه للتو ، كما يتطابق مع ماسبق أن قلناه ماسا بتقرير وتوزيع الضريبة . فالتفاصيل المتوفرة هنا حول البرانى القديم والجديد تؤكد بوضوح أن غرضها المبدئى كان ينحصر فى توفير الأناثات والعادات (العادة) والهدايا التى كانت القرية تقدمها للملتزم ؛ بالاضـــ ـى تلك التى كان على الملتزم أن يقدمها لمن هم أعلى منه ولغيرهم ، وحيث انتهى الأمر بهذه العادات ان أصبحت وجوبية وبشكل صارم ، اذ يكفى ، تبعا لتقليد له قوة القانون فى مصر ، أن يجبى مبلغ ما لمدة سنتين أو ثلاث سنوات متتاليات كى يصبح حقا واجب الأداء بشكل مطلق ، فقد أصبحت هذه العادات تدفع فى شكل رسم نقدى ؛ وليس البرانى القديم سوى أول رسم من هذا النوع تم تحصيله، ومع ذلك ، فعلى الرغم من أن البرانى القديم كان ينبغى له أن يحل محل كل العادات التى سبقته ، فان ذلك لم يمنع الملتزم من أن يحصل لنفسه على عادات مماثلة (لتلك التى حل البرانى القديم محلها) ، ومع مرور الوقت ثبتت هذه العادات الجديدة ثم أبدلت بالمثل برسم جديد عرف بالبرانى الجديد أو المستجد ، واليوم فان كليهما يدخلان ضمن صافى حصيلة الملتزم التى يستغلها كلها لحسابه الخاص .

---

(١) غير مشتمل على دخول الوسايا .

(٢) يجمع هذا المبلغ الأبواب المختلفة للمال الحر والزيادات التى ألحقت به ، ويكون مجموع كل الضرائب المعروفة أو الثابتة . انظر الجداول الخاصة بذلك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبخلاف البيـان الذى قدمناه والذى ضم المـال الحر المبـدئى وكذا الاضافات التى ادخلت عليه ، فقد انشىء لكل قرية جدول خاص بالمصروفات الطارئة والاعتيـادية ، وادرج به كل الانفاقات التى تنجم عن زيادة رواتب موظفى مكتب القرية وعن اصـلاح الجسـور والترع غير السلطانيـة ، بالاضـافة الى الأتاوات أو العـادات التى تقدم للملتزم والبك والمبـاشر أو لقبيلة ما من العربان ، وان كان هذا الجدول لا يشتمل على المطالب غير الاعتيادية التى يقوم بها هؤلاء من وقت لآخر .

هكذا نرى كيف يمكننا بسهولة ان نقرر أن هذه الأوضـاع كانت هى منبعا لمطالب استبدادية لا حد لها كانت تزيد على الدوام من حقوق الملتزم على الفلاح ثم من حقوق الحـكام على الملتزمين . وليس للبرانى القـديم والبرانى الجـديد والـكشوفية القديمة والـكشوفية الجديدة من اصـل بخلاف ذلك ، وقد ظلت هذه الضرائب تتزايد فى الأزمنة الحديثة باصطناع وسائل مشابهة حتى اصبحت العـادات التى يحصلها الملتزم تشكل برانى ثالثا فى نفس الوقت الذى يمكن لنـا فيه أن نعـد الضرائب التى كانت تجبيها الحكومة بمثابة كشوفية ثالثة .

أما المطالب غير الاعتيـادية فـكان يسهل تحصيلها على الدوام بفعل تواطؤ المشايخ الموكلين بجباية الأموال التى تتقرر جبـايتها عن غير طريق الصراف ، ومع ذلك فقد كان من مصلحة الملتزم ان يداهن فلاحيـه ، وهنا يكون بمقدور شيخ محنك أن ينـأى بهؤلاء الفـلاحين عن اتخـاذ مواقف متطرفة قـد تصبح ضـارة بمصـالح الملتزم ، وأن يستدرجهم فى معظم الأحيـان لأن يسددوا ما يطلب منهم حين يبالغ فى سطوة ومكانة الشخص الذى اسس هـذه المطالب وما له عليهم من حقوق ، وبخاصـة عنـدما يوهمهم بأن هـذه المبالغ ، ما ان سددت هذه المرة ، فلن تتكرر المطالبـة بها مرة اخرى .

ولقد كانت هـذه العقليـة الحاذقة والدساسة تهيىء لهؤلاء الشيوخ الوسائل العديدة لتكوين الثروات ، ففى الوقت الذى كانوا على ثقة تامة فيـه بأنهم سيحصلون على هـدية من جانب الشخص الذى يجبـون له هذه المطالب ، فقد كانوا يحصلون على مكافأة مماثلة من القرية التى كانت تثق فى أن هؤلاء يعملون بحماسـة وغيرة فى سـبيل مصـالحها هى ، وهنـاك اتهام آخر يوجه لهؤلاء يتمثل فى عدم نزاهتهم فى توزيع أعبـاء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصروفات التى من هذا النوع وذلك بأن يحصلوا من كل فلاح مبلغا اكبر على نحو طفيف مما كان ينبغى عليه أن يدفعه ، ومع ذلك فقد كان يتبغى عليهم ان يقتسموا عائد لصوصيتهم تلك مع الشاهد والصراف اللذين لم يكن ليفوتهما أن يحيطا الملتزم علما بذلك اللهم الا اذا وجدوا أن من مصلحتهم ان يلزموا الصمت . وفى كل مرة كان يرسل فيهما الملتزم أو من ينوب عنه ، ولسبب او لغير سبب ، من يحمل أوامره الى احدى القرى ، فقد كان عليه أن يسدد الثاوة حق الطريق التى كانت توزع وفقا لرتب أفراد (سرية) حق الطريق ، فيحصل القواس على ٢ الى ٣ بوطاقات ، ويحصل السراج على ١٥ الى ٣٠ بوطاقة ، والجندى من ٦٠ الى ١٠٠ بوطاقة أما الكاشف فكان يحصل على ٢٠٠ الى ١٠٠٠ بوطاقة . وعندما جلا الفرنسيون عن الصعيد ليبدءوا زحفهم ضد الاتراك والانجليز ، لم يتجاسر مراد بك الذى بسط نفوذه على هذه البلاد التى تم الجلاء عنها على أن يجبى الضرائب الاعتيادية ، ولكنه بدلا من ذلك قد ضاعف من ارسال حاملى الأوامر دون دافع حقيقى (الا الحصول على حق الطريق) ، وفرض من الفين الى ثلاثة آلاف بوطاقة عن أى بريد يرسله .

ويحرر الصراف بالتنسيق مع الشيوخ والشاهد قائمة بالجداول المدونة أو الثابتة . ويبدأ التحصيل فى الشهر الثالث من السنة القبطية ويستصحب كل شيخ من شيوخ القرية الفلاحين التابعين له ، فيسلمهم سجلا مدونة به أسماؤهم ومبينة أمامها الضريبة التى عليهم أن يسددوها .

ولابد أن يتم السداد مثالثة (اى الثلث فالثلث فالثلث) بشكل يتطابق مع دورة المحاصيل . وبعد تحصيل الثلث الثانى يجتمع الصراف والشيوخ والشاهد من جديد لاعداد جدول بالمصروفات الطارئة والمعتادة ، وعندما لا يكون الملتزم مقيما بأرضه ، فانهم يتوجهون الى القاهرة ليضعوا الأمر تحت تصرفه ، وعندئذ يفحص سير وسلوك الشيخ بكل عناية ، ويتم فصل كل المصروفات التى سيدون بالجدول عن تلك التى ستحذف منه اما لأن هناك أسبابا تدعو لعدم اظهارها واما لأنها لا تتفق مع ما طلب الى الفلاحين سداده ، ونادرا مايوقع الملتزم قائمة الحساب هذه دون أن يحصل منه على خدمة مماثلة ، فاما أن يحصل منه على جزء من الأرباح التى حققها (الشيخ) ، واما أن يعاقبه جزاء خياناته واختلاساته ، أما اذا أهمل الملتزم هذه الوسيلة الأكيدة لزيادة دخله فانه يتظاهر بأنه انما يضع نصب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عينيه سلوك شيخه ، ذلك أن استلابه لثروة هذا الرجل ليست سوى مسألة وقت ، فلابد أنه سوف يقع ، بعد وقت طال أوقصر ، على الفرصة المواتية كى ينتزع فى يوم واحد ماظل يحصله هذا الشيخ طيلة سنوات طوال .

وعند عودة هؤلاء الى القرية يجمع الصراف الى جانب تحصيله الثلث الثالث من الضريبة جباية المصروفات الطارئة والاعتيادية التى تم للتو اقرارها . وليست القائمة الجديدة التى يسلمها للممول شيئا آخر سوى نسخة جديدة من جدول توزيع الضرائب الثابتة مضافا اليها نصيب هذا الممول من المصروفات الطارئة والاعتيادية . ويدون فى هذه النسخة الجديدة كل اقساط الضرائب التى دفعها الفلاحون ، ولا يقوم هؤلاء الذين تصرفوا بالفعل فى محصولاتهم ، بسداد ما عليهم الا على مضض ومع كثير من المشقة مع استخدام العصى والحبس والأغلال لارغامهم على ذلك .

وبمجرد أن توشك جباية الضرائب على التمام ، يرسل الصراف حصيلتها الى الملتزم او يسلمها الى القائمقام طبقا للتعليمات التى تلقاها . وفى الحالة الأولى ، فانه يعهد الىخدمه هو ،أو الى خدم الملتزم بارسالها، لكنه يصر على أن يصحبهم اثنان من شيوخ القرية ، فحيث تعد القرية مسئولة عن احتمال تعرض اللصوص لهذه الأموال أثناء الطريق ، فسوف تكون شهادتهما نافعة للملتزم لاثبات الجريمة ولارغام فلاحيه فى نفس الوقت على أن يدفعوا للمرة الثانية .

وعندما يتبين الصراف أن اجمالى الضرائب قد تم سداده ، فانه يحصل على ضعف ذلك البند من قائمة الضرائب (المقررة على الفلاحين) الذى يبقى « على بياض » بحضور الشيخ والشاهد ، والعادة هى التى ثبتت هذه الطريقة من الجباية التى لايعرف لجشعها حد ، وعندما يحصل الفلاح على المخالصة فانه يبدى فرحة طاغية تبرهن بوضوح الى اى حد تروع هؤلاء الناس تلك المعاملات السيئة التى يتعرضون لها اذا ما تأخروا فى سداد ما عليهم .

ويقوم الصراف كذلك بجباية المصروفات المحلية والادارية التى تؤخذ خصما من المال الحر ، كما يجبى كذلك عادات الكشوفية القديمة والكشوفية الجديدة . وكان يحدث عادة أن يتصرف البكوات والملتزمون

فى دخولهم عن طريق توكيلات يعطونهـا لدائنيهم ، ويفـوذ هـذا الوفاء المستعجل بالنفع على الصراف الـذى كان يطلب استقطاعات من الدين تتناسب قيمتها مع السرعة التى يحققها فى اتمـام سداده ، وحيث كانت العـادة تخول له الحق فى تحصيل ٢ الى ٣ مدينى من كل ممول عنـدما يسلم اليه قائمة بالضريبـة المقدرة عليه ، وحيث كان يحصل منه على أتاوة مماثلة فى كل مره يسجل له فيها تنزيلا من الحساب ، وحيث كانت تتضاعف أمثال هذه العـادات أو الأتاوات فقـد كان كل ذلك يهيىء له تحقيق أرباح طائلة ، وبخلاف ذلك فقد كان يعطى له ضمن انفاقات القرية ثلاثة مدينى (من كل فلاح) عنـدما يقوم بتسليمه الشطبة أو المخالصـة النهائيـة . والى جانب هذا كله كان الصراف يحقق أرباحا من قطع المسكوكات (النقود) التى كانت تسلم له عنـد السداد ، وذلك بألا يتسلمها الا بسعر أدنى من السعر الذى تتداول به فى القاهرة . ويستغل الصراف حالة البؤس التى يرى عليها الفلاح وانخفـاض سعر الماشيه فى القرية التى يعمل بها كى يقوم بمضـاربات فى عمليات شراء من هذا النوع . اذ كان مركزه يهيىء له كل يوم أرصدة مالية كان من السهل عليه ان يستخدمها قروضا تعود عليه بربح كبير ، هكذا كانت لديه وسائل لا حصر لها تصل بدخوله الى مبـالغ هائلة ، ومع ذلك فحيث أن هذه الحصيلة فى مجملها معروفة لمباشر الملتزم فقد كان يؤول الى هذا الأخير جزء كبير من هذه الدخول ، وكان هذا المباشر بدوره يقتسم حصيلته من ذلك مع المبـاشر العمومى ، بل وفى بعض الأحيان مع نفس الملتزم الذى هو تابع له .

وكانت الضريبـة تسدد بالمدينى ، ويشكل كل ٩٠ مدينى قطعة نقد أصبحت قياسـية تسمى بوطاقة ، وفى نفس الوقت ، فحيث كان الملتزم لا يحتسب البوطاقة أو الـ ٩٠ مدينى التى تسـدد له الا بسعر يبلغ ٨٥ مدينى فقط ، فقد نتج عن ذلك أن كانت القـرية تدفع ٩٠٫٠٠ مدينى كى لا تسدد سـوى ٨٥٫٠٠ مدينى ، وفيما عـدا ولاية الفيوم ، فقـد كانت البوطاقة تسلم الى الصراف بسعر أدنى من ٨٥ مدينى ، يتراوح بين ٨٠ و٨٥، فى حين كان الصـيارفة يحاسبون ملتزميهم على الدوام بواقـع ٨٥ مدينى للبوطاقة الواحدة مختصين انفسهم كذلك بالفروق الناتجة من ذلك، وهذه البوطاقة ليست شيئا آخر سوى التـالارى Talaris أو عملة الامبراطورية الجرمانية القديمة . وفى أيام الـكخياوين ابراهيم ورضوان كانت البوطاقة تساوى ٨٥ مدينى ، وبفعل تحوير تم فى سك هذه القطعة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النقدية أمر على بك بأن تبلغ قيمتها ٩٠ مدينى ، وحيث لم يشأ الملتزمون أن يتحملوا نتائج ستؤدى الى نقص السعر الأصلى للمدينى فقد أدخلوا العادة التى انتهينا من بيانها . ومنذ على بك تضاعفت عمليات التحوير هذه (فى سك هذه العملة) حتى أن التالارى الصبح يساوى اليوم من ١٥٥ الى١٦٠ مدينى ، ومع ذلك فحيثوجد الملتزمون الوسائلالتى تعوضهم عن الخسارة الناجمة عن هذا التدهور فى سعر المسكوكات فانهم لم يغيروا فى شىء هذا الأسلوب فى الدفع .

وقبل أن ينهى الصراف عمليات التحصيل يولى اهتمامه أرض الوسية لكى يتسلم ايجارها اذا كانت مستزرعة أو لكى يحصل عوائدها من الوكيل اذا كانت مستغلة لحساب الملتزم . وينهى الصراف عملياته فى القاهرة حيث يقدم للملتزم أو الى مباشره حسابا عن كل مراحل عمله .

لدينا الآن فكرة محددة ودقيقة عن أصل وطبيعة الضرائب التى تجبى عن الأراضى ، لكن الروتين السقيم الذى اقتضى من الباب العالى أن يحجم عن أى تغيير (فى هذا النظام) قد منعه من زيادة ضريبة الكشوفية والفايظ بالنسب التى كان يتطلبها تغير الأزمان وتغير قيمة المسكوكات ، وقد أساء حكام الولايات والملتزمون الافادة من هذا الاهمال حين فرضوا بأنفسهم مالا يدخل فى اختصاصهم ، ولم يعد الأمر يقتضى الا أننبحث فقط فيما ان كانتالعدالة تبرر هذهالدخول الجديدة التى قرروها لأنفسهم . وسوف يساعدنا فى حسم هذه المسألة أن نعقد مقارنة بين الضرائب التى كانت تحصل قديما وتلك التى تحصل حديثا من قرية الأنبوطين :

		مدينى
تدفع القرية تحت بند المال الحر المبدئى		٣٦١ر٥٥٨
وتحت بند البرانى القديم	١٥٦ر٠٩٦	
وتحت بند البرانى الجديد	١٠٨ر١٩٢	
وتحت بند الكشوفية الجديدة	٦٠ر١٩٨	
		٣٢٤ر٤٨٦
وهكذا يدفع ممولو القرية اليوم ضرائب مقدارها		٦٨٦ر٠٤٤
وكانوا يدفعون فى عهد سليم وسليمان		٣٦١ر٥٥٨
وهكذا تزيد قيمة ضرائب اليوم بفرق قدره		٣٢٤ر٤٨٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونفحص الآن ما ان كان المبلغ الذى كان يسدد فى السنوات القريبه من فتح مصر على يد سليم يشكل فى الحقيقة قيمة أعلى من قيمة تلك المبالغ التى تحصل اليوم .

بلغت قيمة التالارى الذى قدره على بك فى عام ١١٨٥ من الهجرة (١٧٧٢ م) بتسعين مدينى ، ١٥٠ مدنى عند دخول الفرنسيين مصر . ويمكن ان نتخذ هذا التغير اساسا نقيس بمقتضاه تلك التغييرات او التحويرات التى تناولت القيمة الأصلية للمدينى خلال ٢٧ عاما ، بل ان هذا التغير يفترض حدوث تحويرات سابقة لن نبالغ مطلقا عندما نقدرها على اساس أن التالارى او البوطاقة لم يكن يساوى فى عهد سليمان أكثر من ستين مدينى . ويبرهن لنا هذا التقدير على أنه كانت الـ ٣٦١ر٥٥٨ مدينى التى كانت تدفع خلال عهده تساوى ٩٠٣ر٨٩٥ بالقيمة الحالية فان قرية الأنبوطين حين تدفع اليوم ٦٨٦ر٠٤٤ مدينى هى الضرائب المقررة عليها طبقا للبيانات التى لدينا ، فانها — على هذا الأساس — لم تكن لتدفع فى عهده سوى ٢١٧ر٨٥١ مدينى (*) بحساب القيمة الحقيقية للضرائب التى قدرها سليمان .

وعندما نقوم بعمليات تقريب مماثلة بالنسبة لكل قرى مصر فاننا نصل الى نتيجة لاتختلف كثيرا عن تلك التى انتهينا من ايرادها .

وهكذا ، فاذا كانت الأعباء التى تقع على كاهل المولين قد تقلصت الى تلك التى اوردنا بيانا بها ، فان ماقلناه ماسا بهذه الأعباء الأخيرة يبرهن بالتأكيد أنها زيادات مشروعة ولا ينقصها لكى تصبح كذلك الا تصديق السلطان ، وعلى ذلك فحيث لم تتضمن هذه القائمة مطلقا المصروفات التى يطلق عليها اسم طارئة أو اعتيادية ولا تلك التى لم نجدها حتى مدونة فى القائمة المنفصلة التى تحرر خصيصا لكل قرية اذ كانت تتم جبايتها على يد العسكر ، ولما كان طغيان البك وجشع الملتزم واحتياجات الحكومة وانتهابات العربان ، وهذه أمور شبه دائمة ، تصل بهذه الأعباء الى مبلغ يماثل حجم ماتصل اليه الضرائب المقررة ، فسيكون من الميسور لنا أن نتفهم ماسبق أن قلناه عن اعتدال الضرائب المدونة وما بيناه فى نفس

(*) وهو مايعادل ماتدفعه حاليا تبعا للقيمة الحالية للعملة (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوقت عن الحرمان والشقاء اللذين يستنزفان فى الحقيقة مزارع هذه الأرض ، التى تعد أخصب أراضى العالم .

ومع كل ماسبق ، فقد لاحظنا ، وهو أمر بالغ الشذوذ لحد لا سبيل الى تفسيره ، كيف يكون الفلاحون أقل احساسا بالسعادة وحسن الحظ حين يجود الدهر عليهم بملتزم عادل ومنصف اذ يرونه ضعيفا وأقل مهابة، وهو مايتناقض مع استجابتهم لتلك الميزة المجافية لكل عقل ، ميزة أن يكون سيدهم رجلا قويا برغم أن الأول كان يعاملهم بنزاهة وانصاف ، أن الأخير كان يبتزهم دون رحمة .

٤ — عن مصر العليا

فى مصر العليا ، أى فى ولايات قنا واسنا وجرجا واسيوط ومنفلوط والمنية وفى ثلث ولاية بنى سويف تتغير نظم الادارة بفعل أوضاع تتفق مع نظام الملكية القائم فى هذه المناطق .

وهناك تختلف أرض الأثر والوسية كل عام حيث أن الملتزمين والفلاحين يمتلكون الأرض على المشاع .

وبمجرد أن يسمح انحسار المياه ببذر الأرض ، يصل الى القرية المساح القبطى الذى عينه الملتزم ، فيقيس الأراضى القابلة للزراعة فى حضرة الملتزم وقائمقامه وموظفى الموقع . وتصبح الأرض التى تكون من نصيب الفلاحين لهذا العام هى أرض الاثر ، وتخضع لضرائب تساوى تلك التى يجبيها الملتزمون فى مصر السفلى . أما تلك الاراضى التى تخصص للملتزمين فتشكل ارض الوسية. ويدون فى أحد السجلات مساحات وحالات هذه الأراضى وتلك ، كما تحدد طبيعة الضرائب التى ستقدر عليها . ويعود سبب هذا النوع من التقسيم ومن التملك السنوى الى عدم انتظام أو استواء الفيضانات ، والى غرابة ماتحدثه ، حين تجعل فى بعض الأحيان أرضا كانت بالغة الجودة قاحلة ، او تجعل أرضا لم تكن تساوى شيئا خصيبة معطاء.

ويساعد كل من الشاهد والخولى المساح فى أعماله ، ويراعون أن تكون هذه الأعمال منصفة منتظمة وغير متميزة . وتتفق ألقاب ومهام بقية

موظفى مكتب القرية بشكل تام مع مثيلاتها فى التنظيم الادارى لوحدات مصر السفلى .

ومهما تكن الاختلافات التى صنعتها العادة فى تسميات الضرائب العقارية التى تجبى فى الصعيد فان كافة فروعها ترتبط اما بالمال الحر واما بالزيادات التى الحقت بها تحت اسماء كشوفية وبرانى ، وهكذا فان الضرائب المقررة هناك ليست سوى التسميات المستخدمة للتعبير عن تطبيق هذه الضرائب على هذا النوع أو ذاك من المحصولات ، فيطلق اسم نبارى على الضريبة المفروضة على الأراضى التى تزرع بالذرة أو الأعلاف عندما تروى هذه الأراضى بشكل صناعى أى بواسطة الشادوف ، ويطلق على نفس هذه المحاصيل اسم بعلى اذا ما كان الفيض الطبيعى قد وفر الرى الطبيعى لها ، وفى حالتنا هذه فان الفلاح الذى قد يقوم فى بعض الأحيان بحصدة ثانية يصبح ملزما بدفع الانجر (؟) Ongre أما تلك الأراضى التى تزرع بالقمح والشعير والفول أو بغلال اخرى فتخضع لضريبة البياضى ، وذلك بخلاف ضريبة الشتوى التى يتم سدادها بمجرد أن تبدأ البذور فى الانبات .

ويدفع الفلاحون نقدا ضرائب النبارى والبعلى والأنجر والشتوى ، لكنهم يسددون ضرائب البياضى عينا فى شكل حبوب . وفى هذه الأيام ، تقدر الغلال اللازمة لسداد هذه الضريبة بـ ٤/٥ اجمالى الضرائب المقررة ، وهو الأمر الذى يبرهن على أن منتجات هذا الاقليم تتكون بصفة اساسية من الحبوب .

وفى حين تشكل المبالغ المحصلة عن الأراضى التى بذرت بالذرة والأعلاف ومحاصيل الشتوى المال الحر النقدى فان حصيلة البياضى تشكل المال الحر العينى (١) . اما الغلال التى تسدد بها هذه الضريبة الأخيرة

---

(١) يتراوح المال الحر المقدر على فدان واحد من اية درجة مزروع بالذرة او الاعلاف من ١٠٠ الى ٢٥٠ مدينى بالنسبة لزراعات النبارى والبعلى والأنجر ، أما المال الحر المقدر على فدان من أى نوع بالمثل (أى دون تفرقة بين درجات جودة الأرض) تم بذره بالحبوب فيتراوح بين ٢٠ الى ٤٠ مدينى عن الشتوى ومن ٢ الى ٤ ارادب من القمح بمكيال القاهرة عن البياضى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فتتحول دوما الى أرادب من الشعير بنسب متفق عليها لتثبت القيمة المقارنة للشعير وللحبوب الأخرى : فأردب من القمح يماثل اردبا ونصف الأردب من الشعير ، وأردب وربع الأردب من الشعير يعادل اردبا واحدا من الفول أو العدس أو البسلة وهكذا .

وقد سبق لنا القول ان الميرى والكشوفية لم يكونا يختلفان قط فى مصر السفلى ، وهو نفس مايحدث فى الصعيد حيث تحصل هذه الضرائب كما رأينا للتو ، نقدا وعينا ، وفوق ذلك فان الملتزمين هناك ملزمون بتحصيلها بنفس القيم التى حددتها اللوائح وبالطريقة التى يسدد بها الفلاحون المال الحر لهم : وهكذا فعلى الرغم من أن نوع زراعة الأرض يحدد فى مصر العليا طبيعة الضريبة التى يحمل بها هؤلاءالفلاحون، فقد كان الأمر لايختلف بالنسبة للسلطان ولحكام الولايات سواء زرعت الأرض بالذرة والأعلاف أو زرعت بالقمح والفول والشعير الخ .

ويطلق على القبطى الجابى للضرائب فى الصعيد ، وهو الذى يسمى بالصراف فى مصر السفلى ، اسم العامل ، وهنا كذلك يحل سجل المساحة محل سجل الشاهد فى قرى مصر الدنيا، فيستخدم أساسا لتوزيع الضريبة أما النسبة التى يجب سدادها نقدا فلابد ان تسدد قبل حصد المحاصيل ، و اما تلك التى تحصل عينا فتتم جبايتها بمجرد أن يتم الحصاد .

وينبغى أن تنقل الغلال الى مخزن يقع على شواطىء النيل مهما يكن موقع أملاك المولين ، ومن المسموح أن تكون الحبوب مخلوطة بمقدار السدس بالأجسام الغريبة أو الطين او القش او بأية مواد أخرى ، فاذا تجاوزت هذه الأشياء عديمة القيمة نسبة السدس هذه فان الفلاحين ملزمون بتعويض ملتزميهم .

وتشتمل أملاك الملتزمين فى صعيد مصر على عدة نجوع ماهولة تشكل فى مجموعها وحدة ادارية واحدة تصل أهميتها الى حد أن الاقطاعيين (الملتزمين) الذين لا يقيمون بأراضيهم يضطرون لأن يعهدوا بها الى كاشف يتبعه عدد من القائمقامات يقيمون بالكفور أو النجوع التابعة للقرية الأساسية . وعندما يجد العامل (الصراف) نفسه فى حالة لاتمكنه من الوفاء بمتطلبات العمل الموكل اليه فانه يعهد بجزء من مهامه الى مرءوسين له يسمون قوباض Qoubâd يحصل هو منهم على جباياتهم وينظم لهم حساباتهم بحيث تندرج حركتهم ضمن حركته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يكن فلاحو مصر العليـا على الاطلاق قيانا (تين) للارض مثل حال فلاحى مصر السفلى ، فلم يكن الملتزم ليسـتطيع أن يرغمهم على البقـاء وعلى العمل فى ارضـه ، حيث لم يكن هؤلاء ليقبلوا فلاحة الأرض — وبالتالى يصبحون ممولين للضرائب — الا بموجب عقد اختيـارى يقتصر على بذر وحصد زراعات عام واحد .

وقبل سيطره على بك كان شيخ العرب همام يحكم ولايات الصـعيد باسم باشا القـاهرة ، ولم تكن القوات العثمانية لتتوغل فى هـذه البلاد مطلقا ، بل كان من النـادر أن يظهـر الأتراك فى القـرى التى كانوا هم ملتزمين لها . وكانت هذه الاحتياطات تهدف الى اقامة حكومة تقى بلاده من مظالم الأجنبي وذلك بقيـامه بتحصيل الميرى المستحق للباب العـالى بكل دقة وبحرصه على الا يتسبب مشايخ البـلاد فى حدوث مايمكن أن يكون موضوع شكوى سادتهم (الملتزمين) ، لـكن القضـاء على هذا الحـاكم العـادل قـد أسلم الصعيد الى نفس طغاة مناطق مصر الأخرى : ومع ذلك فان الضرائب والابتزازات هناك لم تتزايد بنفس معـدلها (فى مصر السفلى) أما بسبب المداراة والمراعاة اللتين لابد من الحرص على توفيرهما مع فلاحين قادرين على دمار سـيدهم وذلك بهجـرهم أرضـه ، واما ، وهو أكثر الأسباب احتمالا ، لأن التـدهور والخفض المسـتمر فى قيمـة المسكوكات النقدية لم تكن تبرر مطلقا زيادة هـذه الضرائب هنـاك حيث تظل للضرائب العينية على الدوام نفس قيمتها . وقـد كان فـلاحو مصر العليـا يعفون من رسوم :رفع المظالم ، وفردة التحرير وكذلك من معظم العادات الداخلة ضمن مايطلق عليه اسم البرانى الجديد .

وكانت الحرية التى يتمتعون بها ، ووقت الفـراغ الذى تتيحـه لهم زراعة اقل مشقة تتوقف أعمالها طيلة ستة اشهر ابتـداء من الحصاد حتى فيض الميـاه ، كان كل ذلك يسمح لهم بالانخراط فى العـديد من ضروب الصـناعة : فهم يصنعون الأقمشة والفخاريات والحبـال والحصر ..الخ كما أنهم يمدون القـاهرة بالـكثير من العمال والخـدم وبخاصـة بوابو الوكالات الموجودة بهذه العـاصمة ، ويتوجه هؤلاء عادة الى قراهم خلال فصل الحصاد ثم يعودون الى القاهرة بعد انتهاء مشاركتهم فى الأعمـال المطلوبة .

ويدين شيوخ الصعيد لبعدهم عن مقر الحكومة وللنفوذ الذى اكتسبوه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحت ادارة الشيخ همـــام بالاختصـــاصات (التى فى حوزتهم) وهى أبعد مدى عن تلك التى فى حوزة اخوتهم المستقرين فى مصر السفلى ، كما أن الملتزمين هنـــاك متساهلون غير مدققين فى التمسك بامتيازاتهم ، كما أنهم يعفون الشيوخ من سداد الزيادات التى طرأت على المال الحر ويمنحونهم امتيازات اخرى اذ كان من المهم بالنسبة لهم ان يربطوا الى مصالحهم رجالا ذوى ارادة ولهم سطوة على فلاحيهم .

وسوف يوضح لنـــا الجدول الذى نورده فيما يلى حرفيـــا الضرائب النقدية والعينية التى تدفعها طهطا التابعة لولاية أسيوط خلال عام ١٢١٣ من الهجرة ، العام السابع من قيـــام جمهوريتنا (١٧٩٨) ، وسوف ينطبق مع كل ما انتهينا من قوله ماسا بأسلوب الادارة ووسائل جبـــاية الضرائب المقررة فى الصعيد .

بيان بالضرائب المقررة على أراضى طهطا
بولاية سـيوط عن عـام ١٢١٣ من الهجـرة

طهطا : قرية رئيسة

المـدمر ـ العتـامنة ـ الـواقات ـ كوم العـرب الهلة ـ الساحل ـ القبيصات ـ الحومدية (*) ـ الطليمات ـ نزة ـ فزارة ـ جهينـة ـ القرنة ـ الخضر ـ عنيبس ـ أولاد اسماعيل ـ الحرافشة ـ بنى عمار ـ كوم اشقاو . } **نجـوع أو قـرى أخرى تابعة لها .**

مساحة الأراضى المحملة بالضرائب مع بيـان توزيعها :

ق	ف	النبـــارى	مدينى	مدينى
١٩	٦	زرعت لأول مرة بمحصول النيلة		
		بواقع الفدان ٣٦٢ مدينى	٢ر٤٥٩	
٩	٤	زرعت لثانى مرة بمحصول النيلة		

(*) هكذا فى النص الفرنسى el Houmdyeh وان كان الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن يوردها فى كتابه الريف المصرى فى القرن الثامن عشر وكذلك الاستاذ محمد رمزى فى قاموسه الجغرافى باسم الحريدية والتشابه بين الاســمين ممكن فى الـكتابة بخط القـرمة الذى كان متبعـا فى ذلك الوقت (المترجم) .

ق	ف		مدينى	مدينى
		بواقع الفـدان ١٨١ مدينى . .	٧٩٢	
١	١ر٨٢١	زرعت بالذرة والأعـلاف بواقـع الفـدان ١١٠ مدينى	٢١١ر٣١٥	
١٢	٢١٤	زرعت بالذرة والأعـلاف بواقـع الفـدان ١١٠ مدينى	١٢ر٥٩٥	
١٧(١)	٢ر٠٤٦			٢٢٧ر١٦١

الشتوى

ق	ف		
١٦	٩٤٢	المـدمر	
١٨	٣٧١	العتـامنة	
١٨	٦٢	الواقات	
٠٨	١ر٧٣٢	الهلة والساحل	
١٢	٣ر١٠٩	بواقع الفدان ٢٢١/٤ مدينى	٦٨ر٧٩٨
١٤	٣٤٦	طهطـا	
٠٠	١٥٠	القبيصـات	
٠٠	١٢٠	الحومدية	
٠٠	٥٠٠	الطايحـات	
٠٠	٤٢٠	نـزة	
٠٠	٢٥٠	فـزارة	
٠٠	١ر٤٠٠	جهينـة	
٠٠	١١٠	القرنـة	
٠٠	١٢٠	الخضر	
٠٠	٥٧٠	عنيبس	
٠٠	٢٥٠	أولاد اسماعيل	
٠٠	١٢٠	الحرافشـة	
٠٠	١٣٥	بنى عمـار	
١٤	٤ر٤٩١	بواقع ٢٢١/٤ م/ف (٩٩ر٩٣٨)	
٠٢	٧ر٦٠١		١٦٨ر٧٣٦
١٩	٩ر٦٤٧	تدفع الضرائب نقـدا .	
		١٢٥ فدانا تابعة لكوم العرب وقد خربت عن آخرها .	
٠٨	٥	خصومات سابقة .	
٠٨	١٣٠		
٠٣	٩ر٧٧٨		

الاجمالى المـكون للمال الحر المبدئى ٨٩٧ر٣٩٥(٢)

(١) مقـام هذه الـكسور هو ٢٤ (ومعروف أن الفـدان يساوى ٢٤ قيراطـا) .

(٢) لايغيب عن بالنا أن هذا الاجمالى يختلف من عام لآخر تبعا لنوع المحاصيل التى تبذر بها الأرض .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يخصـــم من ذلك :

انفاقات محلية ومصروفات ادارية دفعت الى مستحقين :

خصومات لمشايخ القرى عن الأراضى التى يزرعونها بالمحصولات النبارى ومساحتها ٨ق ٥٤ف بواقع ١١٠م/ف	٥ر٩٧٧	
خصومات للمذكورين عن الأراضى التى يزرعونها بالحبوب :		
٢ق ٧٩٩ف بواقع ٨/٢٢١م/ف	١٧ر٦٨٠	
٠٦ق ٦٤٢ف بواقع ٤/٢٢١م/ف	١٤ر٢٩٠	
	٣١ر٩٧٠	
للنجارين الذين يقومون باصلاح أدوات الرى	٤٤٠	
لجامع أبو دومه فى طهطا لشراء الزيت والحصر	٠ر١١٠	
للمشايخ : محمد	٠ر٢٢٠	
عبد الله	٠ر١١٠	
سليمان النصيرى	٠ر٨٠٧	
عمر	٠ر٥٠٠	
موسى عبد الـــكريم	٠ر٢٢٠	
عبد الرحمن العربى	٠ر٣٩٧	
عادة لشيوخ من الصوامعة	٦ر٠٠٠	
عادة لشيوخ من الهلة	١ر٥٠٠	
عادة لشيوخ من المــدمر	١ر٧٠٠	
للشيخ ابراهيم العــاجز	٨٥	
لحراس المرفأ الذى ترسو عنده المراكب	٠ر٣٠٠	
للشيخ بكرى الزواقى	١ر٠٠٠	
الى أبناء وهيلة (*)	٠ر٨٠٠	
		٥٢ر١٣٦
البــــاقى		٣٤٣ر٧٦١

ويوزع هذا الباقى بمعرفة الملتزم على النحو الآتى :

ـــ الى السلطان : ضريبة الميرى، وكان المطلوب هو ٥١٤ر٤٣٩ مدينى ولكن لايخصص من ذلك هنا الا ٢١٢ر٠٩٧ فحيث أن حصيلة المال الحر لم تتجاوز ٣٤٣ر٧٦١ فانه لا يتبقى ما يزيـــد عن ذلك بعـــد ســـداد الكشوفية التى سياتى بيانها . وفى حالتنا هـــذه

(*) أو الوهلة أو الوهيلة ونعتذر لصعوبة التحقيق . (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لايوجد اى فايض ويضطر الملتزم لأن يستقطع من حصـيله البرانى مايكفى لســداد الميرى المقــرر (أنظر بعــده) .

— الى حاكم الولاية عن ضريبة الـكشوفية :

. مصاريف الولاية	٨٦ر٧٨٨	
. حق الطريق	٦ر٠٠٠	١٣١ر٦٦٤
. الـكلفة	٣٨ر٨٧٦	

المبلغ الاجمــالى ٣٤٣ر٧٦١

مضاف قديم او برانى قــديم

مال المغارم المسمى مال شتوى ومال صيفى :

الجهة الشمالية	٦٧ر٠٨٦	
الجهة الجنوبيــة	١٢٥ر٦٦١	١٩٢ر٧٤٧
مال المراعى		١٣ر٣١٦
مال الجروف		١ر٩٦٦
حملة الكوبيات (الصرافين)		١٠ر٤١٢
غرامة العشر (ضريبة للاحسان)		٣ر٧٠٠
عادات قديمة مستحقة على قريه المدمر		٥ر٤٠٥
غرامة العشر على الخرفان		١ر١٠٠
خرفان الموسم		٠ر٢١٠
عادات (أو عوائد) على المقاييس		٠ر٥٤٣
عادات على السوق المقام كل سبت فى الهلة (*)		٢ر٥٠٠
عادات متنوعة		٠ر٢٤٠
من قرية نزة		٤ر٤٠٠
من ابراهيم الضبية		٠ر٤٠٠
كلفة الملتزم (وهى عادة عينية تحولت الى نقدية)		٢٠ر٤٧٨
عادة حوالة الحوالات		١٠٠ر٠٠٠
ثمن نقدى لعجول قررتها العادة		٢٠ر٤٤٠
القيمة النقدية للضرائب المستحقــة على كــوم العرب نظرا لخرابها (**)		٤٢ر٥٠٠
عادات على سوق طهطا		٨٥ر٠٠٠

الاجمــــالى ٥٠٥ر٣٥٧

(*) نجد فى القاموس الجغرافى قريه باسم المحله ولعلها هى نفس القريه لــكن الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن يورد من يسمون عربان هلة لذلك آثرت ترك الاسم على النحو الذى ورد به . (المترجم) .

(**) أى أن هذه الضرائب توزع على بقية القرى بسبب خراب هذه القرية (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويخصم من ذلك ما خفض عن أو دفع الى متفرقين :

حصة كوم اشقاو التى لم تعد تابعة لالتزام طهطا	١ر٠٦٥
حصة كوم العرب التى خربت	٠ر٩٠٥
حصة كوم اشقاو عن حوالة الحوالات	٦ر٢٥٠
حصة كوم العرب التى خربت	٢ر٨٠٣
حصة كوم اشقاو عن اجمالى ثمن المعجول	١ر٢٧٧
حصة كوم العرب	٤٢٥
مخصصات للعربان	٧٣ر٣٧٥
عادات لمتفرقين من عادة حوالة الحوالات	١٠ر٨٥٠
تنزيل قـــديم	٢٩ر٨٥١
عادة قائمقام طهطا	٤٤ر٤٣٤
اجمـــالى الخصـــومات	١٧٣ر٧٣٠
وبذلك يكون صافى حصيلة المضاف القديم هو (*)	٣٣١ر٦٢٧
وبذلك يكون صافى اجمالى الضرائب المقررة هو :	٦٧٥ر٣٨٨

مضاف مستجد ، او برانى جديد

عادات السردارية عن زراعات النبـــارى بواقع ١٠م/فدان	١٩ر٨٩٧
على مختلف القرى :	٣٨٢ر٤٧٤
هدايا للملتزم من زبد وخلافه	٣٠٣ر٠٦٥
مبالغ فرضت على هذه القرى كضريبة فردة	٢٩٦ر٠٠٠
اجمالى المضاف المستجد	١ر٠٠١ر٤٣٦

ويخصم من ذلك مادفع لمستحقين :

هدايا معتادة لمتفرقين	٢٦٩ر٨٤٧
كسوة (هدية من الملابس لـــكبار الشيوخ عندما يجلبون العـــادات (للملتزم)	١٠٠ر٠٠٠
كسوة لصغار المشايخ (شرحه)	٣٢ر٦٦٧
اجمـــالى الخصـــومات	٤٠٢ر٥١٤
اجمالى صافى المضاف المستجد	٥٩٨ر٩٢٢
وبذلك يبلغ اجمالى الضرائب المقررة على هذه القرية	١ر٢٧٤ر٣١٠

(*) اضطررت لادخال تعديلات طفيفة فى تنسيق هذه الجداول زيادة فى الايضـــاح (المترجم) .

ويتم التوزيع الجديد لهذا المبلغ على النحو الآتى :

الى السلطان : ضريبـــة الميرى	٤٣٩ر٥١٤
الى حاكم الولاية : ضريبة الـكشوفية	١٣١ر٦٦٤
الى الملتزم { البرانى القـديم ٣٣١ر٦٢٧	
البرانى الجديد ٥٩٨ر٩٢٢	
٩٣٠ر٥٤٩	

ويخصم من هـــذه الحصـــيلة مادفعه الملتزم من ماله لاستكمال الميرى ويبلغ	٢٢٧ر٤١٧
فيكون صـــافى حصـــيلة الملتزم	٧٠٣ر١٣٢
فنحصل على نفس المبلغ المطابق	١ر٢٧٤ر٣١٠

انفـــاقات محليـــة وخلافها تدفع لمستحقين :

خصما من حصيلة المال الحر	٥٢ر١٣٦
خصما من البرانى القديم	١٧٣ر٧٣٠
خصما من البرانى الجديد	٤٠٢ر٥١٤
ويبلغ اجمالى هذه الانفاقات	٦٢٨ر٣٨٠(١)
وبذلك يبلغ اجمالى عام الضرائب النقــدية التى تســددها هذه القرية	١ر٩٠٢ر٦٩٠

جدول بالضرائب العينيـــة (المسددة فى شكل حبوب)

والمقررة على نفس هذه القرية

ق ف

٢ ٧ر٦٠١ تخضع لضريبة الشتوى وتدخل هذه ضمن حساب الضرائب النقدية ، لــكنها تسدد عادة ضريبة البياضى

ويخصم من هذه المساحة :

ق ف

٢٢ ١١٨ { ٠٠ ٧٠ يزرعها الملتزم لماشيته وخيوله

٢٢ ٤٨ احترقت محاصيلها خلال عملية عسكرية دارت بين المماليك والفرنسيين

٤ ٧ر٤٨٢ باقى المساحة وتسدد الضريبة بواقـــع ٢١/٤ أردب من القمح لكل فدان ٢١(*) ١٦ر٨٣٤ اردبا من القمح

---

(١) ونرى من ذلك أن الانفاقات تبلغ ٤٩ ، جملة الضرائب التى تسددها هذه القرية .

(*) سبق أن أوضح المؤلف أن مقام الكسور هو على الدوام ٢٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زيادات فى المــال الحر

ق ف

٦ ٢٤٨ } ٦ ٢٩٨ رزقة هى برك المدمر والهلة
٥٠ نقص قــديم
وهذه المساحة تسدد الضريبة بواقع
٢ أردب قمح / فدان ١٢ ٤٩٦

٧٦ رزقــة بركة الأســدارية بواقــع أردب
و١٦ / فدان ١٦ ١٢٦ } ١٦ ٥٠
نقص قــديم ٧٦

ضرائب على أراضى العمار والفرق
فى المدمر والواقات ١٢ ٤٤٥
نقص قــديم ٣ ١٢ ٤٤٢
عن رزقة خميس فى الهلة ٨ ١١٣

٨ ٣٣ أراض غائبة (لم يتيسر تحديدها) فىالهلة
بواقع ٢ أردب / ف ١٦ ٦٦

٠٠ ٧٩ رزقة القلايح فى جهينــة بواقع الفــدان
١٦ ١ أردب ١٦ ١٣١

اجمالى الزيادات ٨ ١ر٣٠١

اجمالى المال الحر بالأرادب بمكيال البلد ٥ ١٨ر١٣٦

فــرق مكيــال باحتســاب زيادة قدرهــا ٨٠٪
كى يتم التقدير تبعا لمـكيال القاهرة ٢١ ١٤ر٥٠٨

اجمــالى عام للمـال الحر المســدد بالحبوب طبقــا لمـكيال
القـــاهرة (قمحــا) ٢ ٣٢ر٦٤٥

ويخصم من ذلك انفاقات محلية ومصروفات ادارية دفعت الى مستحقين
تخنيضات لصــالح الشيوخ كعادات لهم

ق ف

بمكيال البلاد بمكيال القاهرة

٢ ٧٩٩ } ٨ق ١ر٤٤١ ف زرعت بمعــرفتهم
٦ ٦٤٢ } بواقــع ٢/١ ٢ أردب لــكل فــدان ٣ر٢٤٣

لشيوخ فى قرى مختلفة ١٣ ٢ر٢١٩ ٤ ٥٥
للشيخ عثمان ١٢ ٧
« عمر طـــه ٠٠ ١٠
« محمد النصيرى ٠٠ ١٠
« أحمد ابو السعود ٠٠ ٢٠
« أبو زيد النحاس ٠٠ ١٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« تابع »

للشيخ احمـد عمر		١٠
« عبد الفتاح الحاجرى		٥٠
« مسعود		٣٠ ٠٠
« محمد الجابى		٧ ١١
« غـانم		١٠ ٠٠
« محمـد		٢٠ ٠٠
« القتـير		٣٠ ٠٠
عادات مخصصة منذ زمن قديم للاشراف والعلماء	٢١١/٢ ٨٠٧	
عادات المطمسين (العمال المشرفين على الجسور)	٠٠ ٢١	
لحراس الجسور		٢١ ٠٠
ايجارات مخازن الحبوب		١٠٥
عادات قائمقـام طهطـا	٣ ٨٤	
للقائم بتسلم الحبوب فى المخـازن	٢ ٤٣	
	١٥١/٢ ٦٫٤٨٨	
وتزيد هذه عند تحويلها الى مكيال القاهرة بواقع زيادة قدرها ٨٠٪	١٨ ٥٫١٩٠	٩١/٢ ٦٧٩ ر١١
اجمـالى الخصـومات		١٢١/٢ ١٢٫٠٢٠ أردب قمح
وبذلك يكون صافى حصيلة المال الحر		١٣١/٢ ٢٠٫٦٢٤ أردب قمح

وباتخاذ الشعير أساسا للتعامل فان هذه الكمية بمكيال القاهره تعادل باعتبار أن أردب القمح = ١١/٢ اردبا من الشعير ٢٠١/٤ ٣٠٫٩٣٦

وهذه توزع بمعرفة الملتزم على النحو الآتى :

الى السلطان : ضريبة الميرى		٨٫٠٧٣
الى حاكم الولاية : كمصروفات للولاية وعليق	١٣١ ٤٫٥٢٠	
زيادة فى المـكيال بواقع ٤١/٦ لـ	٨١/٢ ١٨٨	
كلفة أثنـاء جولاته :		
لطعـامه (بالقمح)	٦٠	
للبرغل	٨	
للعـدس	٨	
لطعـام الخيول	١٠٠	
اجمـالى الـكلفة	١٧٦	
الفرق عند تحويله الى شعير	٣٤	
وبذلك يكون الاجمالى فقط بالشعير	٢١٠	
وهكذا يكون اجمالى مايخص حاكم الولاية		٢١٣/٤ ٤٫٩١٨
الى الملتزم وهو الفايض الخاص به		٢٢١/٢ ١٧٫٩٤٤
وهى نفس الـكمية المطابقـة		٢٠١/٤ ٣٠٫٩٣٦

اردبا من الشعير بمكيال القاهرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

براني يحصل لصالح الـكاشف ويرسله اليه الملتزم
مقابل حكم القرية وتوابعها :

جراية السردارية : عادات لطعام السردار ولطعام خيوله خلال
مدة اقامة تبلغ ٢٧ ليلة
تخصم منها حصة كوم اشقاو التى لم تعد تابعة لهذه
القريه وتبلغ ١ ٣/٤ ليلة

فيكون الباقى بعد ذلك ٢٥ ١/٤ ليلة توزع كما يلى :

٧ ليالى فى الهلة
٥ ١/٤ ليالى فى طهطا) ٢٥ ١/٤ ليلة بواقع الليلة ١٩ ١/٤ أردبا = ٢ ٤٨٦
١٢ ليلة فى جهينة)
عادات على قرى مختلفة ٧٥٠
عادات على كيالى الحبوب ٣٠
عادات على الرزق الآتيــــة :

ف ف
رزقة العلقية ومساحتها ١٨٤) ٢٣٤ بواقع الفـــدان
رزقة الربوة ومساحتها ٥٠) ١ ١/٢ اردب ٣٥١

٢ ١٦١٧ر
الزيادة مقابل الفرق بين المكيال ومكيال القاهرة ١٤ ١٢٩٣ر

اجمالى برانى الــكاشف ١٦ ٢٩١٠ر
وباتخاذ الشعير أساسا للتعامل فان هذه الكمية تعــادل
باعتبار أن أردب القمح = ١ ١/٢ أردبا من الشعير ٤٣٦٦ر

يخصم منها مادفع لمستحقين :
حصة كوم العرب ، وهى قرية خـربة خصــما من غذاء
الكاشف وخيوله (بالقمح) ١٠ ١١ بمكيال البلاد
مخصصات لحساب المشايخ وتسمى هبة المشــايخ وتؤخــذ
خصما من حصته ٨ ٧١١
هبـات لمتفرقين فى قرية عنيبس ٠٠ ٨١
الاجمـــالى ١٨ ٨٠٣
يضـــاف اليها الفــرق بين مكيال البــــلاد
ومكيال القاهرة بواقع ٨٠٪ ٢٢ ٦٤٢
الاجمالى بمكيال القــاهرة ١٦ ١٤٤٦ر
وباعتبــــار ان أردب القمح يساوى ١ ١/٢ أردبا من الشــــعير
فان هذه الــكمية تساوى بأرادب الشعير ٢١٧٠ر
وبذلك يكون اجمـــالى الضرائب العينيــة التى تسددها
هذه القرية ٢٠ ١/٤ ٣٣١٣٢ر
أردبا من الشعير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويتم التوزيع الجديد لهذه الكمية على النحو التالى :

الى السلطان : ضريبة الميرى مقدرة بأرادب الشعير مكيال القاهرة		٨ر٠٧٣
الى حاكم الولاية : ضريبة الكشوفية	٢١١/٢	٤ر٩١٨
الى الملتزم : الفايظ (او الفايض)	٢٢٣/٤	١٧ر٩٤٤
الى الكاشف : البرانى الخاص به مقابل حكم القرية		٢ر١٩٦
وهى نفس الكمية المطابقة	٢٠١/٤	٣٣ر١٣٢

مصروفات محلية وخلافها دفعت لمستحقين :

على نفقة المال الحر ، قمح ١٢١/٢ ١٢ر٠٢٠ اردبا

(عليق) وتساوى (بالشعير)	١٩٣/٤	١٨ر٠٣٠	١٩٣/٤	٢٠ر٢٠٠(١)
على نفقة البرانى		٢ر١٧٠		
اجمالى كمية الحبوب التى دفعتها هذه القرية بأرادب الشعير			١٦	٥٣ر٣٣٣

مقدرا بأرادب الشعير مكيال القاهرة

يبلغ الميرى من الغلال المحصلة من مصر العليا ٣٦٥ر٠٧٣

وبسبب نقص المعلومات الكافية فنحن لانستطيع أن نبين هنا على وجه الدقة حصيلة الفروع الأخرى من الضريبة ، فاذا ماقدرناها طبقا للنسبة القائمة بين الميرى النقدى الذى يبلغ ١٢ر١٥٨ر٤٦٧ مدينى والميرى من الغلال فسوف نقدر :

الكشوفية القديمة والجديدة والتى تبلغ حصيلتهما النقدية ٩ر٢٧٠ر٦٠٢ مدينى بـ ٢٧٨ر٣٦١

الفايظ والبرانى القديم والجديد والتى تبلغ حصيلتها نقدا ٣٩ر٥٣٩ر١٨٥ مدينى بـ ١ر١٨٧ر٢١٣

وبذلك يصل الاجمالى ، غير شامل للانفاقات المحلية التى تخصم مباشرة من حصيلة القرى لتنفق مباشرة فى الأغراض المخصصة لها ، الى ١ر٨٣٠ر٦٤٧

---

(١) تعد هذه القرية واحدة من القرى التى تبلغ المصروفات المحلية بها حد الاسراف ، اذ نلاحظ كيف انها تبلغ ٦١٪ (من الحصيلة) .

وتعادل هذه الـــكمية اذا ما حولناها الى حنطة ، طبقا لمكيال القاهرة ١ر٢٢٠ر٤٣١ اردبا ، تساوى اذا قدرنا سعر الأردب بـــ ١٠ جنيهات أو ٢٨٠ مدينى ، وهو متوسط سعر أردب القمح فى هذه الأيام ١٢ر٢٠٤ر٣١٠ جنيها توريا (*) أو ٣٤١ر٧٢٠ر٦٨٠ مدينى ، وهو ما يعـــادل بالفرنـــكات ١٢ر٠٥٣ر٦٣٩ فرنكا و ٥٠ سنتيما .

وبمقابلة هذا المبلغ بالضرائب التى تحصل نقدا فى هذه المنطقة التى لايدخل فيها الا ١/٣ ولاية بنى سويف و ١/٤ ولاية اطفيح ، ذلك أن ثلثى الولاية الأولى وكذلك ثلاثة أرباع الولاية الثانية تتبع مصر السفلى ، نتبين أن قيمة الضرائب العينية تزيد على حصيلة الضرائب النقـــدية بنحو خمسة أمثـــال مما قد يؤكد أن قائمتنا لم تبتعد عن الحقيقة حيث اننا نستخدم هذه النسبة عادة عند حساب الضريبة العينية التى تسددها مصر العليا ، بالمقارنة بما تدفعه من ضريبة نقدية .

ويوضح لنـــا الجدول الذى سنعرضه فيما يلى اســـتخدامات الميرى المحصل عينا . أما استخدام حصيلة الـــكشوفية ، والذى لم نستطع أن نورد قائمة به هنـــا ، بسبب عدم كفـــاية معلوماتنـــا فانه يتم فى نفس الأغراض التى تخصص لها الانفاقات النقدية ، التى تقع على عاتق البكوات او الـــكشاف حكام الولايات ، وهـــو ماسنتناوله بعـــد ذلك فى بقيـــة هـــذه الدراسة .

(*) تورى Tournois صفة لنقد فرنسى قديم كان يضرب فى مدينة تور على الطراز الملكى (المترجم) .

جدول باستخدامات الميرى المحصل فى شكل حبوب

		شريحة = ١٢ أردبا من القمح و ١٨ أردبا من الشعير		شريحة من الشعير = ١٥ أردبا		المجموع بأرادب الشعير
الى البـــاشا		٢٣١		٦٥١		١٣,٩٢٣
الى الأوجاقات						
الى خمس من هذه الفرق العسكرية	١٢/٢٤	٥٣	١٢/٢٤	٧١	٨/٢٤	٢,٠٣٦
الى نفس هـــذه الفـــرق نظـــير الذهاب لاستقبال المحمل		١٠		١٧		٤٣٥
الى كيخيات (كيخيا) هذه الفرق الخمس		٩	١٦	٢١	١٨	٤٨٠
الى اوجاقات تفكجيـــان ، جموليـــان ، شراكسة	—	—	٨	٢,٠١٧		٣٠,٢٦٠
الى الـــ ٧٤ شوربجى بالأوجاقات		٧٤		٧٤		٢,٤٤٢
الى حاميات القلاع (أو الطوابى)	١٢	٢٣٥		٣١٩		١٠,٨٢٤
الى حراس القـــلاع على طريق القـــاهرة — مكة		٥٨		٣١٩		١,٠٤٤
الى البكوات :						
الى أمير الحج للتزود بالمؤن أثناء الطريق	٦	٣٢٤	٢٠	٤٧٣		١٢,٩٤٤
إلى دفتر دار البك		٤١	١٠	٣٣	٦	١٢٣٩
إلى فرق البكوات		٣٨٠		٦٠٨		١٥٩٦٠
الى البكوات القباطنـــة الثـــلاثة السويس والاسكندرية ودمياط والى قائد رشيد		١٢٩		٦٠٨		٢,٣٢٢
الى قائد السويس		٢٠		٣٢		٨٤٠
الى قاضى القـــاهرة	١٦	٢٠		١٦		٦١٢
الى افندية الديوان		٦٦	١٨	١٠٥	٦	٢,٧٧٤
الى خدم الديوان		٢٩	١٨	١٠٥		٥٢٢
الى كتبة سجلات الغلال		١٣	١٨	١٠٥		٢٣٤
الى صناع البارود اللازم للحكومة		٩		٣٠		٦١٢
لطعام الثيران المستخدمة فى مجرى العيون بمصر العتيقة		—	١٢	٣٠٩	١٢	٤,٦٤٢
الى المؤسسات الخيرية الآتى بيانها :						
الى المسجد الكبير المسمى بالجامع الأزهر						
الى العميان ومرضى المارستان						
الى المغاربة وطـــلاب آخرين يدرســـون بجامعة الأزهر					٤	١٥٤,٣٣٩
الى موظفى وخـــدم الجـــامع المسمى الامام الشافعى						
الى الأوقاف الاسلامية بمصر						
عادات لعائلتى البكرى والسادات وغيرهما						

	شريحة = ١٢ أردبا من القمح أو ١٨ أردبا من الشعير		شريحة من الشعير = ١٥ أردبا		المجموع بأرادب الشعير	
أوقاف متفرقة لصالح مشايخ القاهرة		—	١٢	١٠	١٢	١٥٧
وقف ابراهيم باشا لصالح جامع اثر النبى	١٢	٢٥	٦	٣	١٨	٥٠٧
وقف اسماعيل باشا لصالح :						
قارىء القرآن بالقلعة		٥	٥	—	٣	٩٣
المفتين العلماء الأربعة	١٢	١٢		—		٢٢٥
ارساليات الى مكة والمدينة :						
الى شريف وخدم الحرمين بمكة والمدينة	١٢	٣.٥٥٨		—		٦٤,٠٥٣
الى قضاة هاتين المدينتين		٤٨		—		٨٦٤
الى بحارة المراكب التى تنقل الغلال الى مكة	١٢	٧٥		—		١,٣٥٩
نثريات يتحملها البكوات كنفقات للاشراف على التحصيل		—		—	٢٣	٣٩,٢٢٦
اجمالى مطابق لحصيلة الميرى من الغلال						٧٣٠,٦٣٥

وتدين الأراضى القابلة للزراعة فى مصر بوجودها لفيضانات النيل، فلو لم تروها مياه النيل لابتلعتها الرمال . وحيث لاتسقط الأمطار مطلقا فى هذه البلاد فان درجة فيضان النيل تعد الأساس الأوحد لقياس الأعمال والمحاصيل ، وبشكل مبدئى ، فان الضريبة لاتكون واجبة الأداء على الفلاحين اذا لم تغمر الفيضانات الأرض ، ومع ذلك ، فحدث يكفى أن تفتح الحكومة الخليج حتى يصبح الفيضان كافيا بشكل شرعى وكافيا لكى تتقرر الضريبة . فانه يترتب على ذلك أن عدم حدوث فيضان كاف لم يكن ليعفى الأرض فى كل الأحوال من الضرائب . ولم يكن الباب العالى يؤجل مطلقا تحصيل الميرى . كذلك قلما كانت الحكومة تنقص من قيمة ضريبة الكشوفية . ومع ذلك فعندما يكون الفيضان مدمرا أو زائدا عن الحد مما يؤدى لان تصبح المحاصيل ضعيفة أو سيئة فان على الملتزم أن يوقف تحصيل الفايض ، ولكنه كان يفرض جبايته فى العام التالى بالاضافة الى الفايض المقرر هذا العام . ولم تكن هناك أية لوائح ترغم البكوات أو الملتزمين على انقاص الضرائب عندما تسوء أحوال المحاصيل ، لكن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مشاعرهم الانسانية او بالأحرى كان عجز مموليهم فى معظم الأحيان ، كان يحدد قيمة التخفيضات التى كانوا يقررونها فى بعض الأحيان للفلاحين .

خامسا : عن الأوقاف

سبق لنا أن شرحنا المقصود بكلمة أوقاف ، ويبقى علينا الآن أن نوضح ماتشتمل عليه دخولها :

العوائد النقدية من الأوقاف السلطانية :

دشيشة الكبرى	١ر٩٠٧ر٧٦٥ مدينى	على سبيل **التذكرة**
المحمدية	١ر٢٠٦ر٢٧٤	
الأحمدية	٥٨١ر٠٣٣	
المرادية	٩٦٩ر٨٥٧	
الحرمين	٦٣٨ر٦٧٠	

الميرى المقرر على ناظر وقف **دشيشة** الكبرى ٥٠ر٠٠٠ **مدينى**

الميرى المقرر على الأوقاف الخصوصة :

وقف سليمان باشا	١٠٢ر٠٠٠
« السلطان الغورى	٣٧ر٥٠٠
« السلطان الأشرف	٢٥ر٠٠٠
« السلطان بيبرس	٢٠ر٠٠٠
« الوزير خاير باى	٣٠ر٠٠٠
« قايتباى	٣٠ر٠٠٠
« عبيد الله	١٥ر٠٠٠
« الوزير حياظ باى	١٢ر٥٠٠

وكانت هذه **الأوقاف** الثمانية تسدد فيما مضى
علاوة على ذلك مبلغا قدره ١٢٠ر١٧٨
وهو مايسدد الباشا الآن بالنيابة عنها لأن أحد
اسلافه قد اعفاها منه . وبذلك يبلغ اجمالى عوائدها ٣٩٢ر١٧٨

اجمالى العوائد النقدية للأوقاف بنوعيها : ٤٤٢ر١٧٨

وتعادل بالجنيهات التوربة ٥د ١س ١٥ر٧٩٢ جت

وبالفرنكات ١١س ١٥ر٥٩٧ ف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد كان السلطان محمد بك شراكسة ، حاكم مصر الأسبق ، قد اسس وقف دشيشة الكبرى واحترم تصرفه هذا السلطان سليم ، حتى أن ملتزمى الأراضى التى عينها هذا السلطان لايزالون يدفعون حتى اليوم الضرائب المستحقة على هذا الوقف الى ناظره ، وعلى التوالى انشأ السلاطين محمد واحمد ومراد ، خلفاء سليم الذين اعتلوا عرش القسطنطينية من بعده ، الأوقاف التى تحمل أسماءهم بدون أن ينتقصوا من قيمة الموارد العامة ، ذلك أنهم عندما جددوا عقود الأراضى أخضعوا الملتزمين الجدد لضرائب أخرى) تكون (أو تعادل)عوائد هذه الأوقاف . ويعود وقف الحرمين الذى انشأه احد السلاطين ، واقر سليم تصرفه هذا ، الى أصل مشابه لأصل وقف دشيشة الكبرى ، وان كان يختلف عنه فقط فى عدم وجود ناظر له ، وفى أن عوائده تحصل وتدار بمعرفة الروزنامجى ، فى حين أن لكل من هذه الأوقاف ناظرا موكلا بادارتها تحت رقابة هذا الموظف المالى .

وتشكل المبالغ التى أوردناها كافة الموارد النقدية لهذه الأوقاف الخمسة ، وحيث لم يكن لهذه المبالغ الا ان تنتهى الى يد الروزنامجى ، الذى كان ينفقها كلية فى الأغراض المخصصة لها دون أن يشير الى ذلك فى سجلاته ، وحيث كانت تبدو هذه المبالغ وكأنما تنتمى لمتلكات خاصة وليست جزءا من الضرائب أو الانفاقات العامة فاننا لم نوردها هنا الا على سبيل التذكرة .

وبخلاف هذه المبالغ فان للأوقاف السلطانية عوائد عينية من الغلال ومواد الأغذية الأخرى خصصت بدورها لنفس هذه الأغراض ، وكان يعهد بالنقود والحبوب التى تم تحصيلها ، بعد سداد كل المصروفات ، الى أمير الحج الذى يحملها الى مكة والمدينة حيث كانت توزع طبقا لوصية المؤسسين (منشىء الوقف) .

أما الأوقاف الخاصة (أو الأهلية) التى أشرنا اليها فكانت قائمة بمصر بالفعل عندما فتحها سليم . ومع اقرار هذا السلطان لتصرفات مؤسسيها فقد أخضعها لضريبة الميرى التى لم ينقطع نظارها عن دفعها لخزنة الروزنامجى ، لكننا لم نقدم هنا اية اشارة لتلك الأوقاف التى انشأها السلاطين والباشوات منذ عصر هذا الحاكم بسبب كثرة عددها ، لأنها لم تكن تخضع لدفع أى ميرى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصـــل الثـــانى

الضرائب على الوظـــائف

حيث كان الضباط الذين يعينهم السلطان يحصلون على دخولهم على هيئـة تحويلات على الميرى فى القرى ، ولا سيـمـا فى هيئة ضرائب غير مباشرة كان يعهد اليهم بجبايتها ، فقـد كان هؤلاء يدفعون للسلطـان ضريبة الميرى التى نشير اليها باعتبارها ضريبة على الوظائف ، حيث كانت هذه الضريبة تفرض على مجموع دخول الواحد منهم وليس على هـذه او تلك من الضرائب أو العادات التى كان يتمتع بها .

ويوضح لنا الجدول الآتى أصحاب الوظائف الخاضعين لدفع الميرى :

البـاشا	١ر٦٢٥ر٠٠٠ مدينى
الدفتردار	٢٦ر٧٩٤

البكوات والكشاف حكام الولايات الآتيـة :

قنـا، اسـنا، جـرجا، سـيوط، منفـلوط، المنيـه (١)	١ر٨٣٠ر٠٩٦
بنى سـويف	٣١٩ر٦٤٠
الفيـوم	٣٥١ر٩٨٠
اطفيح	٢٠٣ر٢٤٢
الجيزة	١٠٧ر٠٤٠
القليوبيـة	١٥٤ر١٩٥
الشرقيـة	٦١٩ر٠٧٨
البحـيرة	٣٦٢ر٧٤٠
المنصـورة	٣٩٦ر١٦٨
الغربيـة	٨٦٩ر٢٤٠
المنوفيـة	٦٠٧ر٩٣٠
. . . .	٥ر٨٢١ر٣٤٩

(١) كان يحكم هذه الولايات الست بك واحد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الروزنامجى		٢٧ر٢٩١
مترجم الــديوان		٧٥ر٠٢٤
امين الضربخانة (دار سك النقود)		٥٨٢ر٤٤٧
اغــوات أوجاقات :		
المتفرقــة	٥٣ر٥٩١	
الجاويشية	٢٨١ر٣٤٢	
جامولـيــــان	١٠٧ر١٨٢	
تفكجيان	١٠٧ر١٨٢	
شراكسة	١٠٧ر١٨٢	
مستحفظان	٤٥ر٣٨٢	
عــزبان	٤٨ر٢٣٠	
. . . .		٧٥٠ر٠٩١
الكخياوات الثلاثة لأوجاقات جاموليان وتفكجيان وشراكسة(١)		٦ر٠٠٠
كتبــة الأوجاقات :		
المتفرقة	٥٥ر٩٧٠	
الجاويشية	٥٨ر٩٤٦	
الجامولیان	٣٧ر٥١٣	
التفكجيان	٣٢ر١٥٥	
الشراكسة	٢٦ر٧٩٤	
المستحفظان	٦٤ر٣٠٩	
العزبان	١٥ر٠١٨	
. . . .		٢٩٠ر٧٠٥
المعمرجى باشى		٥١ر٧٩٤
الجيبجى باشى		٦٦ر٩٩٣
القــــافلة باشى		٦٩ر٠٠٠
أمير احتساب (٢)		٤٤٣ر٦٣٨

---

(١) فى الأزمنة الأخيرة كان الباشا يسدد الميرى المقرر على هؤلاء .

(٢) لم يكن يدفع فى الأزمنة الأخيرة سوى ١١٩ر٢٦٩ مدينى ، حيث قبل البـــاشا طلب هذا الموظف وبدأ يدفع بدلا منــه الـ ١٧٤ر٥٢٨ مدينى البــــاقية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

امين عنبر		٢٩٤ر٣٣٢
اغا المشاقة		٢٤ر٢٠٩
سردار جـــرجا		١٥ر٦٠٠
اغـــوات قـــــلاع :		
الاسكندرية	٢١ر٨٤٠	
سارى احمد بالاسكندرية	٧ر٢٨٠	
الروخنة بالاسكندرية	٩ر٨٨٠	
أبى قير	١٦ر٦٤٠	
رشـــيد	٢٧ر٠٤٠	
القرين	٤ر١٦٧	
. . . .		٨٦ر٨٤٧
شـــيخ الدلالين		٣٠ر٠٠٠
الـــولاة (١)		
والى القـــاهرة	١٥ر٤٦٤	
« مصر العتيقة	١٥ر٤٦٤	
« بولاق	١٥ر٤٦٤	
. . . .		٤٦ر٣٩٢
الأمنـــــدية :		
أمندى الشرقية	٧٤ر٨١٤	
« الغربية	٧٨ر٩٧٤	
« الشهر	٧١ر٧٥٠	
« الغلال	٨٢ر٠٣٦	
« غلال الميرى	٢١ر٤٣٦	
« الكوريكجى	١١ر٧٨٦	
« كشيدة	١٣ر٣٩٨	
« الأيتام الخ	٦١ر٩٤٣	
« الجوالى	٩٩ر٦٩٤	
. . . .		٥١٥ر٨٣١

---

(١) فى الأزمنة الأخيرة حل الباشا محل هؤلاء الولاة الثلاثة فى دفع الميرى المستحق عليهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أفندى الرزق			٢١،٤٣٦ر٢١
الاجمـــــالى			١٠ر٨٧٠ر٧٧٣
وهو يعادل	١٠د	١٧س	٣٨٨ر٢٤١ جـ ت
وبالفرنكات		٧٩س	٣٨٣ر٤٤٨ ف

وكان الباشا ، وهو الذى يحتل أسمى هذه المناصب ، هو الشخص الذى تؤول اليه عادة الحلوان ، فعند موت أحد الملتزمين ، لم يكن لورثته أن يحصل على الحجة اللازمة لكى يخلفه فى أرضه ووظيفتـــه وحقوقه الا بعد أن يدفع للسلطان عوائد ثلاث سنوات من صافى دخوله ، ومع ذلك فلم يكن يلتزم عند وراثته لاحدى القرى الا بأن يسدد ثلاثة أمثـــال فايظه بشكله المحدد (*) وفى مصر ، نزل السلطان عن هذا الحق الى الباشا الذى كانت له زيادة على ذلك عادات على الغـــلال والأطعمـــة وعلى كل الأشخاص الذين ينبغى ، اذا مارشحوا لتقلد احدى الوظائف ، ان يتقـــدموا كى يحصلوا على خلعة منه هى الجبة أو القفطان .

أما الدفتردار فـــكان يتمتع بأتاوة قدرهـــا ١ر٠٠٠ مدينى عن كـــل كيس (**) من ثمن اية ارض تعطى لملتزم جديد ، وكان الدفتردار يسلم هذا الملتزم تقسيطا ، هو عقد ضرورى لكى يمارس حقوقه سواء كان هذا التغيير (فى شخص الملتزم) قـــد تم عن طريق الارث او عن طريق البيع والشراء .

وكان البكوات أو الـــكشاف حكام الولايات يحصـــلون على رواتب من الخزينة العـــامة ، كما كانوا يحصلون على مورد كبير نحوا ما عن طريق النسبة المقررة لهم من عادات الـــكشوفية التى كانوا يحصلونها لحسابهم الخـــاص .

ويتمتع الروزنامجى بخصم (يستبقيه لنفسه) من مجموع كل بنـــد من بنود حصيلته المالية ، كما كان يحصـــل على هـــدايا أو بالأحرى على

(*) أى بدون احتساب البرانى . (المترجم) .

(**) يساوى الكيس ٢٥ر٠٠٠ مدينى (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معاشات سنوية من الباشا والأوجاقات ، بالاضافة الى عادة كان يجبيها من كل من كان ينبغى عليه ان يتعامل معه .

كما كان مترجم الديوان يحصل على عادة (أو اتاوة) من كل من يتلقى قرارا بتنصيبه فى احدى الوظائف .

أما مدير الضربخانة أو مدير سك النقود فكان يعين من قبل الباب العالى . وكانت الفوائد التى تؤول اليه عن طريق صنعه للقطع النقدية هى التى تشكل راتبه ، ومع ذلك فقد كان يدفع ، بخلاف الميرى المقرر على وظيفته ، خمسة عشر كيسا الى الباشا ، ولم يكن له عمل محدد (بلوائح معينة) اذ كان عليه فقط أن يحرص على أن تكون المسكوكات التى يصدرها تتفق مع الشكل المطلوب . ومنذ عهد على بك ، ترك هذا المنصب لباشا القاهرة الذى كان يسدد الميرى المقرر عليه والذى كان يبيع التزامه على الدوام الى البك ، شيخ بلد القاهرة .

أما الأغوات ، أى قادة الأوجاقات السبعة فكانوا يتمتعون بحقوق مختلفة داخل فرقهم العسكرية ، وحيث كان أغا الانكشارية هو الذى يشرف على كل العسكر ورجال الشرطة فى مدينة القاهرة فقد كان يحصل منهم على اتاوات مضاعفة عن الأطعمة التى كان هو يحدد أسعارها أما أغا الجاويشية فكان يحصل على مبلغ مساو للمبلغ الذى يحصل عليه الدفتردار ، أى ١٠٠٠ را مدينى عن كل كيس ، فى كل مرة يتملك ملتزم جديد أرضه .

وكان الكخياوات الثلاثة ، أى الباش اختيارية (باش اختيار) ، او ملازمو اوجاقات الجامولیان والتافكجيان والشراكسة يحصلون على رواتبهم من الباشا . وفى الأزمنة الأخيرة كان هذا الحاكم هو الذى يسدد الميرى المقرر على هذه المناصب الثلاثة ، اذ أنه ، جريا على سنة استنها احد اسلافه ، لم يعد يقوم بدفع الرواتب المقررة لهذه الوظائف ، وأصبح هؤلاء اليوم يحصلون على معاشاتهم من فرقهم العسكرية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان للأفندية عريفى (*) الأوجاقات السبعة حصة يستقطعونها من الأموال التى تمر بين أيديهم ، وعلاوة على ذلك فقد كانت فرقهم تصرف لهم رواتبهم .

أما المعمرجى باشى فكان موكلا بادارة كل المبانى العمومية ، وكان يحصل فى اليوم الواحد على زرمحبوب واحد عن كل منشأة يأمر بالعمل فيها مع مراقبة هذا العمل، ومن هنا نجد انه كان المشرف على الهندسة المدنية والعسكرية .

وكان الجبيجى باشا موكلا بامداد الترسانات بالبارود والذخيرة ، وكان يحصل على ثمن ذلك من الخزينة العامة فيما عدا ما كان يستخدم من بارود فى الألعاب النارية الثلاث التى كانت تتم مرة عند وصول الباشا ، واخرى عند رحيل المحمل ، وثالثة عند ارسال الخزنة (مال السلطان) الى القسطنطينية . وكان يرأس كل العمال الذين يصنعون البارود . وتتكون موارده المالية من عادات مختلفة تتم خصما من الميرى ومن عادات اخرى يحصلها من قريتين من قرى القليوبية .

اما القافلة باشى أو مفتش القوافل التى ترحل من مصر أو تلك التى تجتازها فكان له حق شبه مطلق فى توفير المرشدين أو الأدلاء وكذا الجمال التى تلزم لهذه القوافل ، وتدفع له كل قافلة أتاوة . وفوق ذلك فقد كان يحصل $\frac{1}{4}$ بوطاقة عن كل فردة (**) من البن تنقل من السويس الى القاهرة .

وكان أمين الاحتساب يراقب التجار ويلاحظ ما ان كانوا يغيرون فى الموازين أو المكاييل كى يغشوا الناس . ويتكون راتبه من عادات مقررة لصالحه على التجار ؛ وعندما وجد أن الميرى المقرر على وظيفته بالغ الضخامة ، فقد انقصه أحد الباشوات : ١٧٤ر٥١٩ مدينى كان يدفعها (أى الباشا) نفسه . وكان على خلفاء هذا الباشا أن يحذوا حذوه اذ لا يمكن لدخول السلطان أن تقل .

(*) فى الأصل الفرنسى quartiers - maitres ومعناها العريف البحرى أو الدنى درجات البحرية .

(**) بالة تزن ١٨٥ ك.ج (المترجم) .

أما امين عنبر ، فـكان بحكم وظيفته كمدير للمخازن العمومية يحصل على العادات المقررة لصالحه نقـدا وحبوبا من الملتزمين الذين يسددون ضرائبهم عينا ، وكان كل الموظفين العـاملين تحت امرته يحصـلون على رواتبهم منه . وكان مخولا له عند استلامه الغلال من المولين ان يستخدم مكاييل أكبر حجما على نحو طفيف من تلك التى يستخدمها عند تسليمه هذه الحبوب لتوزيعها على الجهات التى حددتها اللوائح .

أما أغا المشاق ومهمته توفير مشاقة الـكتان فـكان يحصل لنفسه من الملتزمين فى مصر السفلى على ٢٠ الى ١٠٠ مدينى عن كل قرية هناك، وكان ملزما بأن يرسل الى القسطنطينية كمية المشاقة التى تطلب منه . وكان يحصـل على ثمن الثاثاته شريطة أن يحصل على شـهادة من قاضى بولاق تحدد كمية هذه الأثاثات وأثمانها .

وكان سردار جرجا ، هو ملازم البك حاكم الصـعيد ، وكان هـذا المنصب يمنحه قرية بندار التبينـات وراتبـا يحصـل عليه خصـما من دخول البك .

وكان اغوات القلاع أو الطوابى يحصـلون على راتب من الخزينـة العـامة كما كانوا يفرضـون اتاوات مختلفـة (عادات) على المـأكولات والأغذية التى تباع فى المناطق التى يديرونها ويتولون حمايتها .

أما شيخ الدلالين ، اى رئيس السماسرة والوسطاء فى القـاهرة ، فكان يفرض أتاوة على كل الدلالين الذين يبيعون فى الأسـواق العـامة الأسمال والبياضات والملابس .. الخ وبخلاف ذلك فقد كان كل واحد من هؤلاء الشيوخ (شيوخ الدلالين) يستطيع أن يبيع بنفسه ذلك أن وظيفـة الدلالين فى الأسواق لا غنى عنها ، وكان عـدد هؤلاء الشـيوخ اثنين : احدهما تركى والآخر مصرى .

وكان الولاة الثلاثة : والى القـاهرة ، ووالى بولاق ، ووالى مصر العتيقة مكلفين بالقيـام بتفاصـيل أعمـال الشرطـة تحت رقابـة أغا الانكشـارية . وكانت لهؤلاء عادات أو أتاوات يفرضـونها على التجـارة وعلى المخالفات ، وكانوا يحصـلون على راتب يدفعـه البـاشا ، ومنذ نحو سبعين عاما ، امتنع هـذا الأخير من دفـع هـذه الرواتب ، وأرغم والى القـاهرة على استرضاء زميليه ، وان ظل هو نفسه ملزما بدفع الميرى

المستحق على هؤلاء الضباط الثلاثة ، وادى هذا الوضع الى جعل والى بولاق ومصر العتيقة تابعين له ، وكان يتمتع بالاضافة لما سبق براتب مقرر على الخزينة العامة . كما كان ملحقا بخدمة الديوان حيث كان يشغل وظائف تماثل مايقوم به الحاجب او الشخص الذى يحضر للجلسات .

ويمسك افندى الشرقية وافندى الغربية وافندى الشهر بسجلات الميرى المقرر نقدا على كل الولايات ، فكان الأول موكلا بولايات مصر السفلى فيما عدا ولايات الدلتا التى كانت تدخل فى اختصاص الثانى اما الثالث فكان مختصا بولايات مصر العليا . وكان هؤلاء يحصلون على رواتبهم من الخزينة العامة ويفرضون عادات على الملتزمين الداخلين ضمن دوائرهم . اما افندى الغلال فكان يمسك بسجل لكل الأراضى التى تسدد الميرى فى شكل حبوب ، وكان يحصل على راتبه بنفس طريقة اقرانه . وكان الافندى المشرف على حبوب الميرى يراقب أعمال امين العنبر ، وكان يمسك سجلا بكل الغلال التىتدخل الصوامع (مخازن الحبوب) الهامة كما كان يمسك سجلا ينظم عمليات استخدامها . ولم يكن بمقدور امين العنبر أن يتصرف فى شىء دون أن يشركه فى ذلك ، وكان الباشا والروزنامجى يشتركان فى دفع راتبه ، وكان يحصل بخلاف ذلك عادات على التوزيعات التى تتم بمعرفة أمين العنبر . اما افندى الكوريكجى فكان يمسك بالنسبة لهذا الفرع من فروع الميرى المقرر على الأراضى سجلا يبين الضرائب الواجبة السداد على كل قرية. اما اتعابه فكان يشارك فى دفعها كل من الوالى والروزنامجى والملتزمين. وكان افندى الكشيدة طواشيا مكلفا بدفع الرواتب المقررة لاقرانه الذين كان السلطان ينفيهم الى مصر ، وهو التكدير الذى كان يطبق على هؤلاء التعساء حين يفقدون حظوتهم عند سيدهم . اما افندى الأيتام .. الخ فكان يمسك بسجل المعاشات التى خصصها السلطان للأيتام والأرامل والشيوخ وغيرهم ، وكان يحصل على راتبه هو من الباشا كما كان يحصل على أتاوة من كل طرف مستفيد من هذه المعاشات . والافندى الجوالى هو الكاتب الذى يستخدمه الاغا الذى ترسله القسطنطينية سنويا لتحصيل الخراج اى الضريبة المقررة على الرعايا غير المسلمين. ويدبر الأغا راتب هذا الأفندى من حصيلة هذه الضريبة . وكان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل هؤلاء يسيرون شئون وظائفهم تحت اشراف الروزنامجى ، وهو الأمر الذى كان يعرض بعض هؤلاء للعزل (*) .

ويمسك افندى الرزق بسجلات الأراضى او الأملاك العقارية التى يطلق عليها هذا الاسم (رزقة) . وكان يقوم بعمله مستقلا عن سلطة الروزنامجي ولا تدخل أعماله فى اطار أعمال الأخير ، وكان الباشا يجرى له راتبا ، كما كان يحصل علاوة على ذلك رسما عند أية عملية احلال أو ابدال تتم بخصوص هذه الرزق .

هؤلاء هم شاغلو الوظائف التى كانت خاضعة لضريبة الميرى . وقد لمسنا كيف أنها لم تكن تشكل دخولا تضاف الى الخزينة العامة بقدر ما كانت تشكل أتاوات او عادات على الأراضى والأشخاص .

الفصل الثالث
الضرائب العامة على الصناعة والتجارة

اولا — الجمارك

انشا السلطان سليمان اربعة جمارك رئيسة فى مصر هى :
جمرك فى بولاق ومصر العتيقة ،
« فى الاسكندرية ،
« فى دمياط
وجمرك فى السويس .

وكانت عوائد هذه الجمارك تؤول الى الجهات التى سيأتى ذكرها مع مراعاة تسديد ضريبة الميرى على النحو التالى :

(*) فى حين ان اللوائح تقرر ان الوظائف ثابتة على نحو ما سبق وروده فى الدراسة (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

	مدينى
الى اوجاق الانكشارية : عوائد جمركى بولاق ومصر العتيقة اللذين ضما معا وكانا يدفعان ميرى واحدا قـــدره	٨٧٢ر٣١١ر٤
الى نفس الفرقة العسكرية : عوائد جمرك الاسكندرية مقـابل ميرى قـدره	٣٩٦ر٧٤٤ر٦ (١)
الى نفس الفرقة العسكرية : عوائد جمرك دمياط مقابل ميرى قـدره	١٦٢ر٣١٨ر٢
الى الباشا : عوائد جمرك السويس مقابل ميري قدره	٠٥٦ر٠٧١ر٦
الاجمـــالى	٤٨٦ر٤٤٥ر١٩

وهو مبلغ يمـــادل ١٠د ١٢س ٤٨١ر٦٩٤ جـ ت

وبالفرنـكات ٨١س ٩٠٧ر٦٨٥ ف

وحيث أن روح الاسـلام تستهجن وتحرم كافـة ضروب الربح التى تتحقق عن غير طريق العمل والاحتراف ، وحيث أن الأرباح التى تأتى عن طريق الجمـارك بعيـدة عن هذه النشأة ، فقـد كان يعهد بتحصيل هذه الضريبة فى العـادة الى مسيحيين او الى يهود أصبحوا هم ملتزميها .

ويدل الموقع الجغرافى للجهات التى انشئت بها مكاتب الجمارك على البلدان التى كانت ترد منها الواردات أو تلك التى ترسل اليها الصادرات، اذ كانت تجارة سـنار وممالك دارفور وفزان الخ تتم بواسطة قوافل تصل الى مصر القديمة ، اما تجـارة تركيا وأوربا وآسـيا فـكانت قسمة بين ثغرى الاسكندرية ودميـاط ، وكانت الاسكنـدرية تقوم بصـفة أساسية بتجـارة أوربا وبلاد البربر (المغرب) ، اما السويس فكانت تتولى تجارة الجزيرة العربية والهند .

---

(١) لم يكن البكوات الذين استأثروا لانفسهم بكل الجمـارك يدفعون فى السـنوات الأخيرة كضريبـة ميرى على جمرك الاسكنـدرية سـوى ١٤٧ر١٣ر٥ مدينى ، لأن الباشا ، ونتيجة لمطالبـات مستمرة من أوجاق الانكشارية ، كان يسدد بدلا من هذا الأوجاق (عنـدما كان يدير الجمارك لحسابه) حصة قدرها ٢٤٩ر٣٣١ر١ مدينى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبقدر ما توضح لنا التعريفة الآتية المنتجات التى تزود بها هذه البلدان مصر، وتلك التى تستوردها منها ، فستدلنا كذلك على قيمة الرسوم الجمركية التى كان ينبغى عليها أن تدفعها وفقا للوائح السلطان سليمان .

الواردات — تجارة سنار ودارفور وفزان الخ

السلعة	الرسوم التى تخضع لها عند وصولها لجمرك مصر العتيقة
الششم (عقار طبى) (وهو حبوب سوداء تشبه حبة العدس الجافة)	١٠ مدينى للجوال الصغير ٩٠ مدينى للجوال الكبير
الكرابيج (سياط من الجلد)	١٠٪ من السلعة عينا
سن الفيل	٧ مدينى عن كل حمولة جمل
العبيد :	
الذكور	١٢٠ مدينى عن الواحد
الاناث	١١٠ مدينى عن الواحدة
الطواشى	٢٤٦ مدينى عن الواحد
الصمغ العربى	٨ مدينى عن كل حمولة جمل
الدرة (الثى الببغاء)	١٥ مدينى عن كل قفص + درة واحدة ضريبة عينية
ريش النعام	١٠٪ من السلعة عينا
تراب الذهب	لاشىء
التمر هندى	٤٠ مدينى للقنطار و٨ مدينى عن حمولة الجمل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تجارة أوربا وآسيا ودول البربر

أسماء السلع	الرسوم الجمركية						
	في الاسكندرية(١)						
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو وتريستا	من انجلترا	من أوروبا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
مشمش	١١	—	—	—	—	—	—
صلب	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
ابر	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
ثوم	—	—	—	—	—	—	—
شبة	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥
صوفان (اسفنجطى)	١١	—	—	—	—	—	—
لوز	١١	—	٣—٥	—	٣—٥	—	—
عنبر أصفر	—	—	—	—	٣—٥	—	٥
هلب للراكب	—	—	—	—	—	—	—

(١) فى معظم الأحيان ، كانت السلع الواردة من بلاد السلطان وكذلك الواردة من بلاد البربر تسدد عينا تلك الرسوم التى كانت تخضع لها فى جمرك الاسكندرية ، أما تحصيل الرسوم التى كانت مفروضة على الواردات الآتية من مارسيليا والبندقية وليفورنيو وتريستا وانجلترا . ثم من كل هذه البلاد عن طريق أزمير ، فكان يتم نقدا ، وفقا لتعريفة نسبتها أدنى على الدوام من النسبة الى الثمن الحقيقى للسلع المستوردة .

(٢) لم تكن الرسوم فى جمرك دمياط تتغير مطلقا تبعا للأمة التى تأتى منها السلع كما هو الشأن فى الاسكندرية ، وكانت الرسوم التى

التى كانت تخضع لها					
فى دمياط (٢)	فى بولاق (٣)				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
طازج ١٠ جاف ١٢	١٠	—	—	—	٦ لكل قنطار
معجين ١ مدينى لكل اقه					
١٠ ٪	٤	٢	١	٣	٣٨ للصندوق
١٠ ٪	٤	٢	١	٣	٦٠ للبرميل
١٢	١٠	—	—	—	
—	١٠	٢	١	٣	٣٠ للصندوق
١٢	٤	—	—	—	١٨ للقطعة
١٢	١٠	—	١	٣	٦ للقنطار
١٢	٤	٢	١	٣	٦٠ للصندوق
١٢	١٠	—	—	—	

يحصلها هدا الجمرك والتى تفرض بشكل متساو على سلع أوربا وآسيا وبلاد البربر تسدد فى جزء منها نقدا وفى الجزء الآخر عينا ، كما كانت الرسوم النقدية تتحدد وفق تقييم خاص وقريب من الواقع بالنسبة لقيمة السلع ، وكان يتم ذلك بمجرد اتمام عملية الانزال .

(٣) كانت السلع القادمة من الخارج والتى تصل الى القاهرة تخضع لرسوم مقررة فى جمرك بولاق بخلاف تلك التى سبق لها أن سددتها فى ثغرى الاسكندرية ودمياط .

أسماء السلع	الرسوم الجمركية في الاسكندرية: من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنو وتريستا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
فضة خام فى شكل سبائك	—	—	—	—	—	—	—
زئبق	٥	—	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥
أسلحة	٥	—	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥
سلفور الرصاص	٥	—	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥
زرنيخ	—	—	—	٥—٣	٥—٣	—	٥
زهور الخزامى	—	—	٥—٣	—	٥—٣	—	٥
برادق فخارية	—	١٠	—	—	—	—	—
برنس (معاطف صوف)	—	١٠	—	—	—	—	—
جوارب	٥	—	—	—	—	—	—
سمن	—	١١	—	—	—	—	—
مجوهرات	٥	—	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥
اسبيداج أبيض	—	—	—	٥—٣	٥—٣	—	٥
عجول	—	—	—	—	—	—	—
خشب للوقود	١٠	—	—	—	—	—	—
خشب للبناء	١٤-٧	—	—	—	١١	—	—
خشب فرنامبوك	٥	—	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥
قلنسوات حمراء	—	١٠	٥—٣	٥—٣	٥—٣	—	٥
شمع	—	—	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥—٣	٥
وبر لباد من بروصة	٤	—	—	—	—	—	—
حرير ووبر الحرير والقطن	١٠	—	—		—	—	

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١٠	—	—	—	—	
١٢	٤	٢	١	٣	٨٩ لكل ٧٥ رطلا
١٠	٤	٢	١	٣	١٢ للقطعة
١٢	٤	٢	١	٣	١٠ لكل ١٢٠ رطلا
—	٤	٢	١	٣	٥١ للبرميل
—	٤	٢	١	٣	٥١ للبالة
١٠	٤	—	—	—	٦ للواحد
١٠	٤	٢	—	—	٥ للواحد
—	٤	—	—	—	٢ لكل ١٠
١٢	١٠	—	—	—	٦ إلى ٣٠ للجرة
١٠	١٠	٢	١	٣	٨٠ للصندوق
١٢	٤	٢	١	٣	١٢ لكل ٧٥ رطلا
١٨٠ مدينى للواحد	—	—	—	—	
١٢	٤	—	—	—	
١٣½ ومن ١١ إلى ٣١ مدينى لكل ١٠٠ قطعة	١٠	—	—	—	٨-٥٠ مدينى لكل ١٠٠ قطعة
١٢ ٪	٧	٢	١	٣	٦٠ للقنطار
١٠ ٪	٤	٢	١	٣	١ للزوج
١٢	٤	٢	١	٣	٣٠ للصندوق
—	٤	—	—	—	١٠ - ٣٠ للواحد
٦٠ مدينى للقطعة	٤	—	—	—	٣ - ٣٠ للقطعة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية في الاسكندرية						
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوروبا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
قطران	١٤	—	—	—	—	—	—
منسوجات خشنة لصنع الملابس	—	—	—	—	—	—	—
بن	—	—	—	—	—	—	—
كراوية	—	١١	—	—	—	—	—
خروب	١١	—	—	—	—	—	—
أطواق وإطارات	—	—	—	—	—	—	—
جلود خرفان وماعز	—	—	—	—	—	—	—
لحم مملح	١١	—	—	—	—	—	—
شيلان	١٠	—	—	—	—	—	—
شيلان صوف	—	١٠	—	—	—	—	—
خمارات	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
شال أنقرة	٥	—	—	—	—	—	—
شموع	—	—	—	—	—	—	—
فحم	—	—	—	—	—	—	—
كستناء	—	—	—	—	٣—٥	—	٥
خيول	—	—	—	—	—	—	—
صنوبر	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥
ورنيش خام	١٠	١١	—	—	—	—	—
مسامير	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
قرمزية (للصبغة الحمراء)	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١٠ — ١٣½ ٪	١٠	—	—	—	٢٣ للجرة
١٠	—	—	—	—	٨ للبالة
٥	—	—	—	—	
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
١١	١٠	—	—	—	٧ للقنطار
٢٠ مدينى لكل ١٠٠ إطار	٤	—	—	—	١ لكل ١٠٠ طوق
١٠	١٠	—	—	—	٨ للبالة
١٢	١٠	—	—	—	١٢ للبرميل
١٠	٧	—	—	—	٥ للواحد
١٠	٤	٢	—	—	٢ للواحد
١٠	٤	٢	١	٣	١٠ للقطعة
١٠	١٠	—	—	—	١٥ للقطعة
١٢	٤	—	—	—	٢٥ للصندوق
١٠ مدينى لكل قفتين	—	—	—	٣	
—	٤	٢	١	٣	٦٠ للقنطار
١٨٠ مدينى للحصان	—	—	—	—	
—	٤	٢	١	٣	٩٣ لكل ٧٥ رطلا
—	٧	—	—	—	١٨ للقنطار
١٠	١٠	٢	١	٣	٢٠ للبرميل
١٠	٥	٢	١	٣	١ للأقة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية في الاسكندرية: من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
ثمار جوز الهند	—	—	—	—	—	—	—
قلفونية	—	—	—	—	—	—	—
حلويات	١٠	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥
	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
	—	١١	—	—	—	—	—
مرجان	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
مرجان فالصو	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
حبال	١١	—	—	—	—	—	—
زغب القطن	١١	—	—	—	—	—	—
زرد	—	—	—	—	—	—	—
سكاكين خشنة	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
ملاعق خشبية	١٠	—	—	—	—	—	—
جلود ثيران	—	—	—	—	—	—	—
جلود فاسى	—	١٠	—	—	—	—	—
نحاس: جديد مصنوع	٤—٥	—	—	—	—	—	—
نحاس: خام	٥	—	—	—	—	—	—
نحاس: قديم	٥	—	—	—	—	—	—
سن الفيل	—	—	—	—	—	—	—
أوراق مذهبة	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
أمجوواخ	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
عقاقير طبية	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١٠	١٠				
١٢	١٠	—	—	—	٥٠ للبرميل
١٢	١٠	٢	١	٣	٢٥ للصندوق
١٠	٤	٢	١	٣	٩٠ للبرميل الكبير
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
١٠	٤	٢	١	٣	٦٠ للصندوق
١٠	٤	٢	١	٣	٢٥ »
١٢	٤	—	—	—	١٠ لكل ١٢٠ رطلا
١٢	٤	٢	—	—	٢٣ للقنطار
١٢	١٠				
—	٤	٢	١	٣	٥٠ للبرميل الكبير
١٢	١٠	—	—	—	٨ للبالة
١٠					
١٠	٤	٢	—	—	٤ للواحد
١٠—١٢	١٠	—	—	—	٦٠ للقنطار
١٢	١٠	—	—	—	٥٣ للقنطار
١٢	١٠	—	—	—	٦٠ للقنطار
١٠					
١٠	٤	٢	١	٣	٩٠ للصندوق
٥	٤	٢	١	٣	٢٥ للقطعة
١٢	١٠	٢	١	٣	٥٠ للبالة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية						
	في الاسكندرية						
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق ازمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
ماء القرنفل	—	—	—	—	—	—	—
مشروبات روحية	—	—	—	—	—	—	—
اسفنج	—	—	—	—	—	—	—
عبيد	—	—	—	—	—	—	—
قصدير	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
أقمشة	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
« من حلب	—	—	—	—	—	—	—
« من الأموى	—	—	—	—	—	—	—
« من تركيا	٤	—	—	—	—	—	—
خزف	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣ ٥	٥
فاصور (عقار طبي)	—	١١	—	—	—	—	—
حديد	١١	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
زنك	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
كتل من الحديد	٥½	—	—	—	—	—	—
سنابك الخيل	٥½	—	—	—	—	—	—
دوبارة	—	—	—	—	—	—	—
أسلاك	—	—	—	—	—	—	—
أسلاك من الحديد والنحاس الأصفر	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
فناجين	١٠	—	—	—	—	—	—
فانلات مصبوغة	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	الى تجار مصريين	الى تجار أوربيين	الى تجار مصريين	الى تجار غير مصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١٠	١٠				
١٠					
١٠	٤	--	--	--	١٥ للبالة
١٤٦ مدينى لكل أربعة					
١٢٪	٤	٢	--	٣	١٣١ للبرميل
١٠	٤	٢	١	٣	١٥ - ٦٠ للقطعة
٣٠ مدينى للقطعة	٥	--	--	--	٥ ٪
٤٠ » »	٥	--	--	--	٥ ٪
١٠ ٪	٤	--	--	--	٨ - ٥٠ للقطعة
١٠	١٠	٢	١	٣	٢٥ للصندوق
--	١٠	--	--	--	٥٠ للبالة
١٠ -- ١٢	٤	٢	١	٣	١٧٨ لكل ١٠٠ قضيب
١٠	٤	٢	١	٣	٣٥ للبرميل
--	١٠	--	--	--	٤٠ للقنطار
--	١٠	--	--	--	٤٠ للقنطار
١٢	٤	-	--	--	٨ للقنطار
٦٢ ½ مدينى لكل ١٠٠ رطل	٤	--	--	--	١٥ للقنطار
--	٤	٢	١	٣	١٢ للقنطار
١٠٪	١٠	--	--	--	٨ للصندوق
--	٤	٢	١	٣	٨ للقطعة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية في الاسكندرية						
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
فوة (عقار طبي)	١١	—	—	—	—	—	—
جبن	١١	—	—	—	—	—	—
فواكه جافة	١١	—	—	—	—	—	—
عفصة	١١	—	—	—	—	—	—
جداري (للصباغة)	—	١١	—	—	—	—	—
جيا قلو «	—	١١	—	—	—	—	—
قرنفل	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
صميغ من سوريا	—	—	—	—	—	—	—
قطران	٥	—	—	—	—	—	—
بذور الخيار	—	—	—	—	—	—	—
بذور النيلة	—	—	—	—	—	—	—
بذور البطيخ	—	—	—	—	—	—	—
رمان	—	—	—	—	—	—	—
حشيش (١)	—	—	—	—	—	—	—
حشيش مفرط	—	—	—	—	—	—	—
فاصوليا	—	—	—	—	—	—	—
أحرمة (حرام) من كل نوع	—	١٠	—	—	—	—	—
حرام حرير	—	١٠	—	—	—	—	—
قطع غيار الساعات	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥

(١) وهو نبات القنب الذى يستخدم فى اعداد عقارات مسكرة او يدخن مخلوطا بالتبغ .

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		
	الى تجار مصريين	الى تجار أوربيين	الى تجار مصريين	الى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
١٠—١٢	١٠	—	—	—	٦ للقنطار
١٢	١٠	—	—	—	٥ — ٩ للسلة
١٢	١٠	—	—	—	١٨ للقنطار
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
١٠	٤	٢	١	٣	٤٥ للقنطار
١٠					
١٢	٤	—	—	—	٧½ للقفة
٧ مدينى للربع					
٨ مدينى للجوال	٤	—	—	—	٨٠ للجوال
١½ مدينى للربع	٤	—	—	—	٦٠ للجوال
١٢	٤	—	—	—	١٤ للبالة
٣ مدينى للآفة	٤	—	—	—	١٤ للبالة
١٢ ٪	٤				١٤ للبالة
١٢	١٠				
١٠	٤	٢	—	—	٤٠ للواحد
—	٤	—	—	—	٥٠ للواحد
—	٤	٢	١	٣	١٠ للصندوق

أسماء السلع	الرسوم الجمركية						
	في الاسكندرية						
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنير وفارسيليا	من انجلترا	من أوروبا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
زيت	٧	٢ - ٣م للجرة	—	—	—	—	—
زيت للصباغة	٥	—	—	—	—	—	—
النيلة	—	—	—	—	—	—	—
جرار مليئة بالسماد	—	٤ م للواحدة	—	—	—	—	—
العرقسوس	—	—	—	—	—	—	—
كلكاب أو قبقاب للسيدات	١٠	—	—	—	—	—	—
صوف	١١	١١	—	—	—	—	—
نحاس أصفر	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥
رقائق فضية وفالصو	٥	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
مصابيح زجاجية	—	—	—	—	—	—	—
مشروبات روحية	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
محلب (نوى الكريز)	٥	—	—	—	—	—	—
رخام فى شكل كتل وأعمدة وبلاط وموائد	—	—	—	—	٣—٥	—	٥
سلع من الهند	—	—	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠
صمغ المصطكاء	٥	—	—	—	—	—	—
خردوات	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
رحى طواحين	—	—	—	—	—	—	—
عسل	١١	١١	—	—	—	—	—
زنجفر (أكسيد الرصاص الأحمر)	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥

التي كانت تخضع لها

في دمياط	في بولاق				
من أوروبا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون في الإسكندرية
	الى تجار مصريين	الى تجار أوروبيين	الى تجار مصريين	الى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١٢	٧—١٠	—	—	—	١٢ للجرة
١٢	٧	—	—	—	٣ للجرة
١٢	١٠				
—	—	—	—	—	٢ للواحدة
١٠	١٠	—	—	—	٦٠ للصندوق
١٠	١٠	—	—	—	٨ للبالة
١٢	٥	—	—	—	١٢ للبالة
١٢	٤	٢	١	٣	٤٥ للبرميل
١٠	٤	٢	١	٣	٣٠ للصندوق
٨٠ مدينى للقفص	—	—	—	—	٢٤ - ٤٤ للبالة
١٠ ٪	٤	٢	١	٣	٢٥ للصندوق
—	١٠	—	—	—	١٤ للبالة
—	—	—	١	٣	٢½ للقطعة
١٠	١٠	١٠	—	—	١٠ ٪
—	١٠	٢	—	—	٢٠ للصندوق
١٠	٤	٢	١	٣	٣٠ «
٨٦ مدينى للواحدة	٢٧م للواحدة	—	—	—	٢٧ مدينى للواحدة
١٢ ٪	١٠٪	—	—	—	٦ - ٦٠ للجرة
—	٤	٢	١	٣	٧٦ للبرميل

أسماء السلع	الرسوم الجمركية						
	في الاسكندرية						
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
مرايا	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
هاونات	—	—	—	—	—	—	—
مناديل سيدات	—	١٠	—	—	—	—	—
موسلين	١٠	—	—	—	—	—	—
موسلين مطبوع	٤	—	—	—	—	—	—
خراف	—	١١					
اماء سوداوات	—	—	—	—	—	—	—
بندق	٧	—	—	—	—	—	—
جوز	٥½ - ١١	—	—	—	—	—	—
جوز لصنع النارجيلات	١٠	—	—	—	—	—	—
بيض السمك المسمى كافيار	١٠	—	—	—	—	—	—
بصل	—	—	—	—	—	—	—
زيتون	١١	١١	—	—	—	—	—
ذهب لميع	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
كافورية	—	١١	—	—	—	—	—
قرب	—	—	—	—	—	—	—
ورق	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
بطيخ من يافا	١٠	—	—	—	—	—	—
جلود ماعز	—	—	—	—	—	—	—
أمشاط خشبية	١٠	—	—	—	—	—	—
جلود وفراء	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	الى تجار مصريين	الى تجار أوربيين	الى تجار مصريين	الى تجار غير مصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
—	١٠	٢	١	٣	٦٠ للصندوق
١٢	١٠	—	—	—	٢ للواحد
—	٤	٢	—	—	٥ — ١٠ للواحد
١٠	١٠	—	—	—	٣ — ٤٠ للقطعة
١٢	٥	—	—	—	٣ — ٤٠ »
—	—				
١٨ مدينى للواحدة	—				
١٢ ٪	١٠	—	—	—	٦ للقنطار
١٢	١٠	—	—	—	٦ »
١٠	١٠	—	—	—	٨ للصندوق
١٢	١٠	—	—	—	٣٠ للبرميل
١٥ مدينى للقفة					
١٢ ٪	١٠	—	—	—	١٢ للجرة
١٠	٤	٢	١	٣	١٢ للعلبة
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
٣ مدينى للواحدة	١ م للواحدة	—	—	—	١ للواحدة
٢ - ٣ مدينى للرطل	٤ ٪	٢	١	٣	٣٩ — ٧٦ للبالة
١٠ ٪	١٠	—	—	—	١ للواحدة
١ مدينى للجلد الواحد	٤	—	—	—	١ — ٣ للجلد
١٢ ٪	١٠	—	—	—	٨ للبالة
—	٤	٢	١	٣	١٧ — ٣٣٠ للقطعة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية فى الاسكندرية						
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
صوانات البندقية	—	١١	٣—٥	—	٣—٥	—	٥
ألواح وعوارض خشبية	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
رصاص	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
شعر ماعز	١٠	—	—	—	—	—	—
كمثرى من عربان الطور	—	—	—	—	—	—	—
سمك مجفف وملح	—	١١	—	—	—	—	—
فلفل بالقرنفل	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
تفاح	—	—	—	—	—	—	—
خزف	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
رصاص بنادق	—	—	—	—	—	—	—
بودرة رصاص (للصق)	—	—	—	—	—	—	—
برقوق	٥½	—	—	—	—	—	—
قتيب (عقار طبى)	—	١١	—	—	—	—	—
ذيول الخيل	١٠	—	—	—	—	—	—
خردة وحدايد من كل صنف	٥	—	٣—٥	٢—٥	٣—٥	٣—٥	٥
عنب فى صناديق	—	—	—	—	—	—	—
عنب طازج	١٠	—	—	—	—	—	—
عنب جاف	١١	—	—	—	—	—	—
مواقد طينية	—	—	—	—	—	—	—
عرقسوس	١١	—	—	—	—	—	—

التى كانت تخضع لها

في دمياط	في بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار غير مصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
—	٤	٢	١	٣	٣٠ للبرميل الكبير
٢٩ مدينى لكل ١٠ ألواح	٤	٢	١	٣	١ — ١٥ للواحد
١٢ ٪	٤	٢	١	٣	٧ للكنتلة
١٢	٤	—	—	—	٥٠ للبالة
—	١٠	—	—	—	
—	١٠	—	—	—	٦ للقنطار
—	٤	٢	١	٣	٦٠ للبرميل
٣٠ مدينى للصندوق	١٠	—	—	—	١ للواحدة
١٠ ٪	١٠	٢	١	٣	٦٠ للصندوق
١٢	—	—	—	—	———
١٢	٧	—	—	—	١٨ للبالة
١٢	١٠	—	—	—	٥ — ٩ للسلة
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
—	١٠	—	—	—	٨ »
١٠	١٠	١	١	٣	٣٨ للصندوق
٣٦ مدينى للصندوق	١٠	—	—	—	١٥ »
١٠ ٪	١٠	—	—	—	١٠ للسلة
١٢	١٠	—	—	—	٥ — ٩ للسلة
١٠	١٠	—	—	—	١ لكل موقد
١٢	١٠	—	—	—	١٣ للبالة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية في الاسكندرية: من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوروبا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
زيت	—	٥	—	—	—	—	—
صلب	—	—	—	—	—	—	—
صابون عجين	١٠	١١	—	—	—	—	—
صابون سائل	—	١١	—	-	—	—	—
فرشاة للصباغة	—	—	—	٣ — ٥	٣ — ٥	—	٥
مناشير	—	—	—	—	—	—	—
ملح البارود	—	—	—	—	—	—	—
سروج للركاب ، إلخ	١٠	—	—	—	—	—	—
مناشف (فوط)	٥	—	—	—	—	—	—
شراب السكر (شربات)	—	—	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	٥
حرير	٥	—	—	—	—	—	—
حرير وارد بروصة	٤	—	—	—	—	—	—
حرير مطبوع وقيطان حرير	—	—	—	—	—	—	—
حراير	٥	—	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	٥
منفاخ	١٠	—	—	—	—	—	—
كبريت	—	١١	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	—	٥
أحذية	٥	١٠	—	—	—	—	—
لاوندة	—	—	—	٣ — ٥	٣ — ٥	—	٥
سليمانى	—	—	—	٣ — ٥	٣ — ٥	—	٥
سكر	—	—	—	—	—	—	—
ودك (شحم الأمعاء)	—	—	—	—	—	—	—

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	الى تجار غير مصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
—	١٠	٢	—	—	٥½ للرطل
١٢	٤	—	—	—	١٨ للصندوق
القادم من سوريا ٣٠٪ للبالة الصغيرة ومن دمشق ١٠٪	٤	٢	—	—	٣ - ٣٠ »
	٤	٢	—	—	٣ - ٣٠ »
٥٪	٤	٢	١	٣	٢٥ للقطعة
١٠	١٠	٢	—	—	٤٠ للصندوق
١٠	—	—	—	—	
١٠	١٠	—	—	—	٨ للبالة
—	١٠	—	—	—	١ - ٣ للواحدة
—	٤	٢	١	٣	٢٥ للصندوق
١١ - ٢٠ مدينى للرطل	٤	—	—	—	٢ - ٧ للرطل
—	٤	—	—	—	٢ - ٧ »
١٢٪	١٠	—	—	—	٥ للعلبة
١٠	٤	٢	١	٣	١٥ - ٦٠ للقطعة
١٠	١٠	—	—	—	٨ للبالة
—	٤	٢	١	٣	٦ لكل ١٦٥ رطلا
١٢	٤	—	—	—	٢ لكل زوج
—	١٠	٢	١	٣	٩٨ البرميل الكبير
—	٤	٢	١	—	٨٠ لكل ٧٥ رطلا
١٢					
١٢	١٠	—	—	—	٦٠ للقنطار

أسماء السلع	الرسوم الجمركية في الاسكندرية: من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
أحزمة سرج صوفية	—	—	—	—	—	—	—
تبغ	١١	—	—	—	—	٣ – ٥	—
سجاجيد للأرائك	٥	—	—	—	—	—	—
« من كل نوع	—	١٠	—	—	—	—	—
دردى	—	—	٣ – ٥	٣ – ٥	٣ – ٥	٣ – ٥	٥
لوازم النسج	٥	—	—	—	—	—	—
أقمشة من بيروت وغيرها	—	—	—	—	—	—	—
Taiole	٥	—	—	—	—	—	—
أقمشة من الضهور وبغداد وغيرها	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة من الهند	١٠	—	—	—	—	—	—
« حريرية	٥	—	—	—	—	—	—
« منقوشة	—	—	٣ – ٥	٣ – ٥	٣ – ٥	٣ – ٥	٥
تنباك (نوع من التبغ)	—	—	—	—	—	—	—
خراطيم النارجيلة	٥½ - ١٠	—	—	—	—	—	—
مصنوعات زجاجية	١٠	—	—	—	—	—	—
« « وكريستال	—	—	—	٣ – ٥	٣ – ٥	—	٥
نبيذ	—	—	—	—	—	—	—
خل	—	—	—	—	—	—	—
أملاح معدنية	—	—	—	٣ ٥	٣ - ٥	—	٥
أحذية قديمة	١٠	—	—	—	—	—	—

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التى كانت تخضع لها

في دمياط	في بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	إلى بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية
	من تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار غير مصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١½ — ٢½ مدينى للسرج	٤	—	—	—	٣ - ١٢ للواحد
من تركيا ١٠٪ ، من سوريا ٢ - ٤ للأقة؛ للسعوط ١٢٪	٤	٤	١	—	٢٧ للبالة
١٠	٤	—	—	—	٢ - ٥ للواحدة
١٠	٤	٢	—	—	٥ - ١٢ »
—	٤	٢	١	٣	٩٠ للبرميل
١٠	٥	—	—	—	٣-١٥ للقطعة
٥	٤	—	—	—	١ - ٥ للقطعة
١٠٪	٤	٢	—	—	١ لكل أربعة
١٠	٤	—	—	—	١ - ٥ للقطعة
١٠	١٠	—	—	—	٣ - ٤٠ »
١٠	٤	٢	—	—	١ - ١٢ »
١٠	٥	٢	١	٣	٤ - ٢٠ »
١٢	١٠	—	—	—	٢٨ للبالة
١٠	١٠	—	—	—	٨ »
١٠	١٠	—	—	—	٨ »
١٠	٤	٢	١	٣	٧ للقنطار
١٠	—	—	—	—	—
٥٠ مدينى للبرميل	—	—	—	—	—
—	٤	٢	١	٣	٧٥ للبرميل الكبير
١٠٪	٤	—	—	—	٢ للزوج

اسم السلعة	الرسوم التى تخضع لها فى جمرك السويس مقر وصولها
ألوة (صبر)	١٦٥ مدينى للقنطار
عنزروت	١٦٥ » »
حتليت	٩٩ » »
مرهم من مكة	١٦٥ » »
صمغ جاوة (لبان جاوة)	١٦٥ » »
خشب هندى	٩٩ » »
خشب عطرى	لا يسدد أى رسوم
خشب الصندل	١٦٥ مدينى للقنطار
خشب فرنامبوك	٦٦ » »
بن من موخا	٤٠٠ مدينى للفرد
بن بقشره	٨٢ » »
قرفة	١٦٥ » »
قاقلة (بذور تنتج زيوت عطرية)	٣٤٠ مدينى للقنطار
أحزمة	قطعة عينا عن كل ١٠ قطع
شيلان	شرحه
ششم	٦٦ مدينى للقنطار
جوز الهند	٢٥ » »
حلويات	لا تسدد أى رسوم
كوبال (صمغ للطلاء)	١٦٥ مدينى للقنطار
البوصير (ثمرة سم السمك)	٦٦ » »
غزل قطن هندى	لا يسدد أى رسوم
—	٩٩ مدينى للقنطار
سن السمك	٢٦ » للأردب
—	لا يسدد أى رسوم
—	شرحه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسم السلعة	الرسوم التى تخضع لها فى جمرك السويس مقر وصولها
بخور	٢٣ مدينى للقنطار
أقشة	قطعة عينا عن كل ١٠ قطع
—	١٦٥ مدينى للقنطار
أقشة قطنية	قطعة عينا عن كل ١٠ قطع
تنباك (نوع من التبغ)	لا يسدد أى رسوم
زنجبيل	٦٦ مدينى للقنطار
صمغ	لا يسدد أى رسوم
صمغ	١٦٥ مدينى للقنطار
صمغ لك(عصارة راتنج لصبغ الجلود)	٣٢ » »
بذور سوداء	لا تسدد أى رسوم
حب الملوك (بذور مسهلة)	٢٩٦ مدينى للقنطار
أصابع هرمس	٦٦ » »
نيلة وارد الهند	١٩٨ » »
خولان (عقار طبي)	١١٠ » »
كركم	٦٦ » »
—	٦٦ » »
ليف	لا يسدد أى رسوم
موسلين	قطعة عينا عن كل ١٠ قطع
إهليلج	٦٦ مدينى للقنطار
مر (أو صبر)	١٦٥ » »
جوز ضد القيء	٣٢ » »
جلود ماعز وخراف	لا يسدد أى رسوم
جالونات وارد الهند	٦٦ مدينى للقنطار
فلفل	١٣٢ » »
فلفل بالقرنفل	٩٩ » »
خزف	قطعة عينا عن كل ٢٠ قطعة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسم السلعة	الرسوم التى تخضع لها فى جمرك السويس مقر وصولها
جذور (نبات) لتنظيف الاسنان	لا تسدد أى رسوم
راوند	٩٩ مدينى للقنطار
ريتة (ثمرة شجر الصابون)	٣٢ » »
زرنيخ أحمر	١٦٥ » »
قاتل الدود (دواء)	٩٩ » »
سنامكى	لا يسدد أى رسوم
لاوندة هندى	٦٦ مدينى للقنطار
تربد (جذور عشب مسهلة)	٩٩ » »
جذور الزعفران	٦٦ » »

الصـــــــادرات

تجـــارة سـنار ودارفور وفـزان

السلع	الرسوم التى تخضع لها عند خروجها من جمرك مصر العتيقة	السلع	الرسوم التى تخضع لها عند خروجها من جمرك مصر العتيقة
عنبر	١٢ مدينى لحمولة الأتان و ٢٤ مدينى لحمولة الجمل	نصال سيوف	١٢ مدينى لحمولة الأتان و ٢٤ مدينى لحمولة الجمل
مرجان		محلب	
سن السمك		مرايا	
مذهبات		ذهب لميع	
أجواخ		خردةوحدايد	
أقشة حريرية		لاوندة	
قرنفل		أقشة قطنية	

تجـــارة أوربا وآســـيا وبلاد البربر

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية(١): إلى ولايات السلطان	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية(١): إلى بلاد البربر	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية(١): إلى بلاد النصارى	فى دمياط(١): إلى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
الصلب	—	—	—	١٠
ألوة (صبر)	٥	٢٢ مدينى للقنطار	٣	١٠
ينسون	—	—	—	١٠
حلتيت	٥	٣٣٠ مدينى للقنطار	٣	١٠
أطباق من الخزف	—	—	—	١٠
مرهم من الهند	١٠	—	—	—
قمح	—	—	—	—
خشب الألوة	١٠	—	—	
خشب هندى	—	—	—	١٠

(١)(١) كانت الرسوم التى تحصل فى الاسكندرية ودمياط تفرض دون تمييز على التجار من كل الجنسيات وكانت تتم جبـايتها طبقـا لتقدير السلع المصـدرة أدنى من قيمتهـا الأصلية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			. . . فى دمياط
	إلى ولايات السلطان	إلى بلاد البربر	إلى بلاد النصارى	إلى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
خشب عطرى وخشب للصباغة	—	—	—	١٠
خيوط وبر .	—	٢ مدينى للقطعة	—	—
مشاقة (وبر) حرير	—	٣٠ » »	٣ ٪	—
وبر صنع القاهرة	—	١٥ » »	٣	—
وبر عادى	—	٢٥ » »	٣	—
وبر أحمر	—	٣ » »	—	—
بن	٣٠ مدينى للقنطار	١٦ ½ مدينى للقنطار	٣	٣ مدينى للقنطار
قاقلة	٥ ٪	٣٣٠ مدينى للقنطار	—	١٠ ٪
رماد الصودا	٢ مدينى للقفة	—	٤٠ مدينى للقفة	—
أطواق (إطارات)	—	—	—	٢٠ مدينى لكل ١٠٠ إطار
شيلان صوف من الفيوم	٣ مدينى للواحد	—	—	٣ مدينى للواحد

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			٠ ٠ ٠ فى دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
شيلان وأقمشة من الهند	١٠	—	—	١٠
خمارات (خمار)	—	—	—	١٠
ششتم	٥	٣٣ مدينى للقنطار	—	٦٠ مدينى للقنطار
مسامير (حجم كبير)	—	—	—	١٢ ٪
القرمزية	—	—	—	١٠
ثمار جوز الهند	٥	—	—	١٠
٠ ٠ ٠ ٠	—	٣٣ مدينى للبالة	—	—
كوبال (صمغ للطلاء)	٥	٨٦ ٪	٣	١٠
ثمرة البوصير (سم السمك)	٥	١٢٠ مدينى للقنطار	٣	١٠
قرون الثيران والماعز	—	—	—	١٠
قطن على هيئة لوزات	—	—	—	١٠

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			٠ ٠ ٠ فى دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
قطن فى شكل رزم	—	٢٧ ½ مدينى للقنطار	٣	١٠
غزل قطن من الهند	١٠	—	٣	—
غزل قطن أحمر	—	٣٠٠ مدينى للقنطار	—	—
غزل قطن أزرق	—	٢٠٠ » »	—	—
غزل قطن أبيض	—	٥٥ » »	٣	—
أغطية حمراء	٤ مدينى للغطاء الواحد	—	—	—
أغطية وسجاجيد من الهند	—	٢٠ مدينى للقطعة	—	—
أغطية من سوريا	—	٦ » »	—	—
شعر عرفة الخيول	—	—	—	١٠
جلود جاموس	٤ مدينى للجلد	٦ مدينى للجلد	٣	٣ مدينى للواحد
جلود بقر وجمال وثيران	٢ » »	٦ » »	٣	٣ مدينى للواحد
عجوة	٣ مدينى للقفة	١٣ مدينى للقنطار	٣	٢ مدينى للقفة

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: إلى ولايات السلطان	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: إلى بلاد البربر	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: إلى بلاد النصارى	. . . فى دمياط: إلى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
بلح مجفف (تمر)	١٢—١٣ مدينى للقنطار	١٣ مدينى للقنطار	٣	٤٥ مدينى للقفة
سن سمك	٥ ٪	٣٣٠ مدينى للقنطار	٣	—
ديميتى منقوش وهو أقمشة قطنية تسمى نانكين أو بازان ويسميها الإنجليز ديميتى	—	٢ مدينى للقطعة	٣	—
ماء الزهر	—	—	—	١٠ ٪
بخور	٥	٣٠ مدينى للقنطار	٣	١٠
عبيد سود	٢٥ مدينى للواحد	—	—	—
عقاقير طبية من كل نوع	٥	٦ مدينى للقنطار	٣	١٠
قصدير	—	—	—	١٠
أقمشة صوفية تسمى زعبوط		—	—	٥ مدينى للقطعة
أقمشة حريرية من الاسكندرية والمحلة الكبرى	—	—	—	١٠

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	... فى دمياط: الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
زنك	—	—	—	١٠
حديد على هيئة قضبان	—	—	—	١٠
زنجبيل	٥ ٪	٨٦ مدينى للقنطار	—	٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
صمغ	٥	٢٦ مدينى للقنطار	٣	—
صمغ الك	—	٣٣٠ مدينى للقنطار	—	١٠ ٪
بذور كمون	—	—	—	١٥ مدينى للأردب
كتان خشن	—	—	—	٢ مدينى لكل حولة
حناء (لصبغ أظافر وشعر النساء)	٤–١٦ مدينى للجوال تبعاً لحجمه	٦½ مدينى للبالة	—	٨ مدينى للبالة الصغيرة
أصابع هرمس	—	٣٣٠ مدينى للقنطار	٣	١٠ ٪
النيلة: درجة أولى	—	—	—	٨٠ مدينى للقنطار
النيلة: درجة ثانية	—	—	—	٦٠ مدينى للقنطار
النيلة: درجة ثالثة	—	—	—	٤٠ مدينى للقنطار
عاج	٥ ٪	١٢٥ مدينى للقنطار	٣	١٠ ٪

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: الى ولايات السلطان	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: الى بلاد البربر	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: الى بلاد النصارى	... فى دمياط: الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪		٪	٪
كلخ	—	١١٠ مدينى للقنطار	—	١٠
خولان (عقار طبى)	—	١١٠ » »	—	١٠
كركم	٥	٨٦ » »	٣	١٠
صوف	—	٢٧ » »	٣	١٠
خضروات وحبوب وعلف	—	١٦ مدينى للإردب	١٦ مدينى للإردب	١٠٠ مدينى للإردب
كتان	٥	٤ مدينى للبالة	٣	١٨ مدينى لكل ١٠٠ رطل
كتان مغزول	—	٦ مدينى للبالة الصغيرة	٣	٢٦½ » » » »
حواشي جوخ	—	—	—	١٠ ٪
قدور نحاسية	—	—	—	١٠
موسلين من الهند	١٠	—	—	١٠
اهليلج	٥	٨٦ مدينى للقنطار	٣	٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
مر	٥	٨٦ مدينى للقنطار	٣	١٠ ٪

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	. . . فى دمياط: الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
صدف لؤلؤ	—	٦٦ مدينى للبالة	٣ ٪	—
ملح النطرون	—	٣٣ مدينى للبالة	٤٠ مدينى للقفة	—
حصر	—	—	—	٢ مدينى للواحدة
بندق	—	—	—	١٠ ٪
بندق من الهند	١٠	٨٦ مدينى للقنطار	—	٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
جوزة القيء	٥	٨٦ » »	٣	١٠ ٪
جلود	١ مدينى لكل جلد	—	--	١ مدينى لكل جلد
جلود رقيقة	٨ » » »	—		٣ مدينى لكل جلد
ريش النعام	٥ ٪	—	٣	١٠ ٪
حمص	—	—	—	٩ مدينى للإردب
سمك مملح	٤١ مدينى للبرميل الكبير	—	—	—
سمك مجفف	٨ مدينى للبرميل	—	—	—

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	. . . فى دمياط: الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
فلفل	٥	٨٦ مدينى للقنطار	٣	٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
خزف	١٠	—	—	—
رصاص بنادق	—	—	—	١٠ ٪
مسحوق لصباغة الخيول	—	—	—	٣٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
أرز	—	٤ مدينى للأردب	١٣٣ مدينى للأردب	٧٠ مدينى للأردب
عباءات صوفية للفلاحين	٢ مدينى للواحدة	—	—	٣ مدينى للقطعة
زهور جافة	—	٢٧½ مدينى للقنطار	—	—
زعفران	—	—	—	٦ مدينى لكل ١٠٠ رطل
〃 —	٥	١٣ مدينى للبالة	٣	١٠ ٪
ملح	—	—	—	٢٥ مدينى لكل ١٠ أرادب
ملح النوشادر	٥	٣٠ مدينى للقنطار	٣	١ مدينى للرطل
ملح البارود	—	—	٣	١٠ ٪
بذور اليسر	—	٢٦ مدينى للقنطار	٣	—

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			. . . فى دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
سنامكى	٥	—	٣	١٠
خيش	—	١ مدينى للقطعة	—	—
مناشف (فوط) صنع دمشق	—	٦ - ١٢ مدينى للقطعة	—	—
مناشف (فوط) صنع القاهرة	—	٦ مدينى للقطعة	—	—
كبريت	—	—	—	١٠
سكر	٥	٢٠ ½ مدينى للقنطار	٣	١٠
سكر مكرر	٥	٤١ مدينى للقنطار	—	١٠
تبغ	١٠	—	—	١٠
بودرة تبغ (سعوط)	—	—	—	١٠
تفتاز	—	—	—	١٠
تمر هندى	٥	٤٥ مدينى للقنطار	٣	١٠
مناخل (منخل) ناعمة	—	—	—	١٠
فناجين من الخزف	—	—	—	١٠

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: إلى ولايات السلطان	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: إلى بلاد البربر	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: إلى بلاد النصارى	... فى دمياط: إلى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
لوازم النسج	—	٣٧ ¼ مدينى للقنطار	٣	—
أقمشة همايونى	—	٤٠ مدينى للقطعة	—	—
صلصال لصنع النارجيلات	—	—	—	٥
أقمشة عاتكى	—	١٥ مدينى للقطعة	—	—
« زرقاء	—	٣ « «	٣	—
« ضابولى من القسطنطينية	—	٢٠ « «	—	—
« « من مصر	—	٥ « «	—	—
« « عادية	—	١٠ « «	—	—
« من القطن	—	—	٣	٣٠٠ مدينى للبالة
« « الكتان	—	—	٣	—
« « « للقمصان	٢ مدينى للقطعة	—	—	—
« من الهند	—	—	٣	١٠

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	. . . فى دمياط: الى بلا السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
أقمشة ملونة	—	٦ مدينى للقطعة	٣	—
» فيتللى درجة أولى	—	٤٠ » »	—	—
» فيتللى عادية	—	٣٠ » »	—	—
» فيتللى شعبية	—	٢٠ » »	—	—
» حبشى	—	٣ » »	—	—
» للأرائك	—	٤ » للبالة	٣	—
» للقلاع	—	—	—	١ مدينى للقطعة
» سهن	—	٣ مدينى للقطعة	—	—
عمائم	—	٣٠ » »	—	—
خراطيم نارجيلات على شكل أعواد	—	—	—	١٠
جذور الزعفران	٥	٢٦ مدينى للقنطار	٣	١٠

تجارة الجزيرة العربية والهند

السلع	الرسوم التى تسددها فى جمرك السويس	السلع	الرسوم التى تسددها فى جمرك السويس
صلب	لم يكن تصديرها يخضع لأى رسوم	أسلاك نحاس أصفر	لم يكن تصديرها يخضع لأى رسوم
ابر		نصال سيوف	
عنبر أصفر		عدس	
سلفور الرصاص		مرايا	
زرنيخ		ذهب لميع	
قمح		ورق ناعم مصقول	
مواسير بنادق		قروش أسبانية	
قرمزية		رصاص	
ومصنوعات زجاجية من كل نوع		أرز	
أجواخ شعبية		جنيهات ذهبية من البندقية	
حديد		كبريت	
فول		تالارى (ريال) امبراطورى	
أسلاك حديد		نحاس قديم	
		أملاح معدنية	

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت الواردات القادمة من ممالك سنار ودارفور وفزان تبلغ النيل عادة عند أسوان أو سيوط . وقد لا يكون بوسعنا أن نضفى أية صبغة من الشرعية على الرسوم التى قررت العادة سدادها فى الولايات التى تعبرها هذه الواردات قبل أن تصل الى القاهرة ، ولقد أدى سلوك الحكام الذين فرضوا هذه الرسوم بشكل استبدادى الى نشأة مبدأ خلاصته أن من المستحيل أن يدع واحد من البكوات قافلة تمر بولايته دون أن يخضعها لأداء ضريبة له . ولقد تحولت هذه المطالب التى كانت تعسفية فى الأصل ، بسبب تقادمها وبسبب مراعاة أولئك الذين قرروها لعدم المبالغة فى مقدارها حرصا على مصالحهم ، وحتى لا تؤدى الى توقف التجارة التى تتحملها — تحولت فى السنوات الأخيرة الى أتاوات مستقرة ومعترف بها . ومن المعروف ، أنه بخلاف الرسوم التى كانت تسدد فى جمرك مصر العتيقة :

كان يدفع عن أي عبد أو أمة	٤٨٠	مدينى
والجمل المحمل بالصمغ	٩٠٠	«
« « بريش النعام	١٩٨٠ر	«
« الذى لا يحمل شيئا	٢٤٠	«

ومنذ أصبحت مصر فريسة للانقسامات الداخلية ، ومنذ أصبح الصعيد هو مأوى الحزب الذى تدور عليه الدوائر ، وجرجا هى المقر المعتاد للبك الموكل بأمر احتواء هذا الحزب ، بدأت القوافل التى كانت تصل الى أسوان لتعبر على التوالى الولايات التى يحتلها كلا الحزبين المتنافسين تتعرض لسداد ضعف الرسوم المعتادة .

وبخلاف هذه القوافل ، كانت هناك قوافل أخرى تصل الى بولاق ، قادمة من الطور ومن وسط أفريقيا ومن سوريا .

وكانت الأولى ، وهى تتألف من عربان يقطنون جبل سيناء ، تنقل الى القاهرة والى كل مصر السفلى الصمغ والفحم والكمثرى ، وكانت هذه السلع تخضع لرسوم دخول مقررة فى جمرك بولاق (١) .

---

(١) لم يكن الفحم يدفع اى رسوم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الغرض الرئيسى للقـــافلة فكان هو الحج الى مكة ، وكانت تبدأ من اقاصى امبراطورية مراكش متخذة طريقها الى القاهرة ، ضامة اليها فى طريقها حجاج الجزائر وتونس وطرابلس ثم تكمل رحلتها مع قافلة مصر سابقة اياها أو متخلفة عنها بمسافة مسيرة يوم واحد .

وكانت هذه القافلة تضم بعض التجار يحملون الى الجزيرة العربية سلعا صـــغيرة الحجم مثل الأجواخ والقرمزية الخ ، ويجلبـــون منها البن المشهود له بانه أجود أصـــناف البن ، وذلك بسبب عدم مروره بالبحر ، كما يجلبون كذلك الشيلان والبخور ، وبصفة عامـــة كل ماخف حمله وغلا ثمنه . ولم يكن هؤلاء التجار يسددون أى رســـوم جمركية ، ذلك أن كل السلع التى تصـــدر أو ترد مع قافلة الحج ، كانت معفاة من كل الرسوم.

وعندما تكون الملاحة خطرة ، كانت تصل من سوريا بعض القوافل ، حاملة نفس السلع التى تمد بها هذه البـــلاد مصر عن طريق دميـــاط ، وفى هـــذه الحالة كانت صـــادرات مصر الى سوريا تصل اليها عن نفس الطريق ، وكانت رســـوم الدخول والخروج تقتصر على تلك التى تحصل فى جمرك بولاق .

وكانت التجارة مع اوربا تنهض مستقرة على أسس اتفاقيات تحـــدد الرسوم التى ينبغى عليها أن تسددها،وتعود أقدم هذه الاتفاقيات طرا ، وهى تلك التى عقدت مع الفرنسيين والبنادقة ، الى فترة قريبة من وقت فتح مصر على يد السلطان سليم ، وبعد ذلك تمتع بنفس هذه الامتيـــازات كل من الألمـــان والانجليز ، ثم على التوالى كل الأمم الأوربية التى تحالفت مع العثمانيين ، ويكفى أن نقـــارن الرســـوم التى كان رعايا السلطـــان يدفعونها ، بتلك الرسوم بالغة الاعتدال والتى تحصل من الاوربيين ، كى نتبين المزايا التى كان الأخيرون يتمتعون بها ، ولم تكن ثمة ســـوى حالة واحدة يحظى فيها المصريون أو الأتراك بمعاملةأفضل من معاملةالأوربيين، هى حالة شرائهم السلع من الاسكندرية بقصـــد ارسالها الى القـــاهرة ، فقد كانوا عندئذ يخضعون لسداد رسم ثابت بسيط عن كل بالة أو قطعـــة ، يؤدونه فى بولاق ، فى حين كان الأجنبى الذى يفعل نفس الشىء يدفع رسما قدره ١ أو ٢٪ ، وهو نفس الرسم الذى يخضع هو له حين تصـــله نفس هذه السلع من أوربا أو تركيا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكن ذلك لا يحول بيننا وبين ان نتبين الى اى حد كانت التجارة الأوربية تحت السيطرة الاستبدادية للماليك ، تتعرض للابتزازات وللمعاملات السيئة ، وقد يكون تقدير السلع لايزال حتى اليوم أدنى من قيمتها الفعلية ((عند تقدير الرسوم) ، ومع ذلك فان مطالب التجار التى تنهض على اسس اتفاقيات تسليم تتعارض مع كل تغيير فى السلع لم تكن لتحول دون تقييم هذه السلع بشكل يتناسب مع قيمتها المالية ، ولقد كان من المتفق عليه بجلاء ان السفينة الأفرنكية ((الأجنبية) التى تسدد الرسوم فى احد ثغور الامبراطورية (العثمانية) تتمتع باعفاء كامل فى بقية الثغور بمجرد ابرازها التذكرة ((تذكرت) التى حصلت عليها من الجمرك هناك ، ومع ذلك فلم يكن هناك من يعترف بهذا البند فى الاتفاقيات ، فكانت المراكب الأوربية القادمة من ولايات السلطان تعامل وكانها حملت فى الموانى التى قدمت منها ، سواء أبرزت او لم تبرز « تذكرت » الجمارك .

وكان محظورا تصدير الغلال والأرز والبن على السفن الأوربية وكذلك على السفن اليونانية برغم انها من رعايا السلطان ، وان ظل التدليس يهيىء على الدوام لهذه السلع ان تدخل ضمن حمولات هذه السفن مقابل بعض الهدايا ، لكن تصدير القمح والأرز كان اكثر من ذلك صعوبة ، وكان الأمر يتطلب خرقا اكبر للوائح التى تمنع تمام ذلك عن طريق سفن مسيحية حتى ولو كانت هذه الحبوب متجهة الى احدى ولايات الامبراطورية ((العثمانية) ، ومع ذلك فحيث امكن استصدار فرمان خول لنا حق نقلها بحرا فى حالة انعدام وجود سفن مسلمة ، فقد توصلنا عن طريق هذه الحيلة الى نقل هذه الغلال الى اوربا بعد أن كانت سفننا تقوم بجولة لواحد من الثغور التركية ، وهكذا أمكن لفرنسا خلال عام ١٧٩٣ والأعوام التالية أن تستورد الكثير من السلع الغذائية من مصر . وكانت كل حمولة من هذا النوع تدفع من ١٣ الى ١٥ الف مدينى رسوما جمركية ، وبالمثل فقد ادخلت العادة رسم تخليص على الحمولات التى تتكون من سلع اخرى كان تقديرها يتم بالاتفاق بين رجال الجمارك وقبطان السفينة . وكانت سفن راجوزة تخضع بالاضافة الى ذلك لرسم قدره ٢ ٪ لصالح حكومتها ، التى كانت تترك ١/٢ هذا الرسم للجمرك حتى تكفل لرعاياها وسائل شحن سهلة . ومع ذلك فان هذه البدع التى كان الافرنج يخضعون لها حتى يحصلوا على عمليات تجارية مربحة أو يقوموا بجولات كانت محظورة عليهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم تكن مجحفة او ضـارة بالتجارة الا فى انها كانت الأساس الذى هيأ لنشأة اتاوات اخرى باهظة بشكل حقيقى .

وفى عهد حكومة على بك قام حنا فخر ، المسيحى السورى ، والذى كان قد حصل على التزام جمرك دمياط بكثير من المكائد والدسائس حتى امكنه الحاق الدمار باليهود، ففقدوا التزام الجمارك الذى كانوا يديرونه منذ زمان لاتعيه الذاكرة .

وقد سبق لنا القول بأن الرسوم التى تحصل عن السلع فى الاسكندرية أو دمياط لم تكن لتعفيها من ان تسدد رسوما جمركية اخرى فى بولاق عندما تصل الى القاهرة ، ولما كان ملتزمو الجمركين الأولين متوحدى المصالح مع ملتزمى جمرك بولاق فقد كانوا يزودون التجار بوسائل تمكنهم من التخلص من جزء من الرسوم واجبة الأداء فى الجمرك الأخير ، ولكن حين أصبح حنا فخر ملتزما عموميا فقد أبطل امور التدليس هذه وذلك بأن وضع تحت أمرته عوائد جمارك الاسكندرية ودمياط وبولاق(١) ، ومع ذلك فان عدم حرصه على أن يحتفظ لكل جمرك باختصاصاته المتميزة ، بالاضافة الى لا مبالاته التى كان يرى معها أنه سيحصل ولابد فى بولاق على ما كان ينبغى ان يحصل عليه فى الاسكندرية أو دمياط — كل ذلك قد القى بالشكوك حول العائد الخاص الذى يحققه كل جمرك ، وفى نفس الوقت فان اضطراب هذه العوائد ، وهو الأمر الذى جر معه اضطرابا فى الرسوم الجمركية نفسها ، قد ادى بالضرورة الى انعدام التوافق أو التلاؤم الذى كان ينتظر حدوثه من وراء ادخالها (الجمارك) ضمن التزام شخص واحد . ولقد فرضت تحت ادارته ، وتحت ادارة الذين اعقبوه ، رسوم باهظة على كل الرحلات الى ليفورينو وتريستا ، كما خضعت السفن التركية والافرنجية التى كانت تشحن فى دمياط ، بالاضافة الى ذلك ، لأداء اتاوة قدرها ٢٠٠ بوطاقة ، ظلت تتضاعف خلال السنوات الأخيرة حتى بلغت نصف رسوم شحن ، وحيث لاتقدم اية ذرائع لتبرير مثل هذه المظالم الاستبدادية ، فقد كان بمقدور التجار أن يجدوا دوافع

---

(١) لم يكن جمرك بولاق مستقلا عن جمرك مصر العتيقة فيما يختص بتسديد الميرى ، ومع ذلك فقد ضمن الأول فى عقد مدير عموم الجمارك فى حين ظل الجمرك الثانى فى عهدة وكيل خاص .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقيقية لالقاء اللوم على وكلاء الأمم الأوربية فى تساهلهم فى هـذه الأمور لولا أنهم يدركون كيف انه من العسير على هؤلاء أن يصارعوا بنجاح ضد رجال الجمارك فى مصر . ولقد كانت المكاسب التى يهيئها رجال الجمارك لهؤلاء البكوات تضمن لهم سطوة تجعل كل شئ رهن مشيئتهم فى المواقع والثغور التى يتم فيها تحصيل الرسوم ، وكان السردارات والأغوات والضباط العسكريون الآخرون الذين يتولون القيادة هناك يجازفون بمناصبهم أو بتعريض انفسهم للعقاب اذا هم ساروا على غير هوى هؤلاء . وكانت الوسائل العديدة التى فى حوزتهم والتى يستطيعون بها تسهيل أو تعويق أو حتى منع عمليات الشحن تخضع التجار والأمر كذلك لسطوتهم (١) .

أما فى جمرك السويس فلم ترتفع الا الرسوم المقررة على البن ، فمنذ نحو سبعين عاما أمر الباب العالى نفسه بأن تزيد هذه الرسوم لتبلغ ١٤٦ مدينى عن كل فرد لصالح أمير الحج ، كما فرض الكخياوان ابراهيم ورضوان لحسابهما خمس بوطاقات أخرى عن كل فرد ، اما على بك الذى تلاهما فى الحكم فقد غالى فى هذه البدعة ، واخيراً وصل بها مراد وابراهيم الى ١٨ بوطاقة (عن كل فرد) حين توقف صندوق الجمرك عن ايراد اية حصيلة .

ونقدم هنا بعض لمحات عن الأسباب التى ادت به الى هذه الحالة من الافلاس . فعندما حصل البكوات على نصيب من دخول الجمارك لم يتغير شئ فى الأسلوب المتبع فى تحصيل الرسوم . فبمجرد أن تلامس السفن المحملة بسلع الجزيرة العربية والهند شاطئ السويس كان أفندى الادارة فى الجمرك — وهو يحمل اسم قاضى البحار — يرسل الى المرفأ كاتبا موكلا بتقدير واردات البن ، وبأن يحرر بيانا بأسماء التجار الذين وردت هذه السلع لهم : ويرسل هذا البيان الى قاضى البحار ليتخذ منه أساسا لتقدير وتوزيع الرسوم واجبة السداد والتى قررها الباشا والبكوات . وكان تسليم البن يتم فور تمام هذا الاجراء

---

(١) فر أحدهم وهو أنطون قسيس فرعون من مصر ليستقر فى تريستا بعد أن كدس ثروة طائلة تتكون من عدة ملايين من حصيلة التزام الجمارك .

ويقوم التجار الذين أصبحوا ملاكا لهذا البن بسداد الرسوم التى قدرت عليه ، وقد استفاد قادة الحكومة من نظام للامور جعلهم فى علاقة منفعة مع التجار فحصلوا لانفسهم منهم على قروض ، وأدت التسهيلات التى قدمت لهؤلاء لاستيفاء ديونهم عن طرق خصومات تتم على مقدار الرسوم التى كان عليهم أن يسددوها طبقا لارساليات البن التى جاءتهم ، بالاضافة الى ربح (القروض) البالغ ٢٠٪ الذى وعدوا به والذى كان يضمن الحساب بالفعل — أدت بهؤلاء الى أن يصبحوا المساهمين والملتزمين لهذا الجمرك . ولم تلبث كل دخولهم أن أصبحت تعتمد اعتمادا تاما على هذه المنشأة . وهكذا كفت واردات البن عن أن نصبح وفيرة ، وتناقصت تبعا لنسبة الرسوم التى حملت بها ، وكف التجار الأجانب عن ادارة الجمرك (أى الذين لا يتعاملون معها بالقروض) عن المضاربة على هذه السلعة الغذائية ، وحين رأى الأوربيون أنهم سيحصلون على فوائد أكبر اذا ماجلبوا هذه السلعة عن طريق رأس الرجاء الصالح فقد أخرجوها من طريقها المعتاد ، بل ان الشرقيين انفسهم أخذوا يفضلون استجلابها الى أزمير عن طرق Tokat والخليج الفارسى عن مواصلة التزود بها عن طريق السويس (١) ، وحين لم تعد رسوم البن تهيىء وسيلة اكيدة لتغطية القروض التى لم يكن البكوات يكفون عن أن يجعلوا منها مصدرهم الثابت للدخل أصبح خراب المساهمين أمرا يستحيل تجنبه ، وبعد بضع سنوات شعر البكوات خلالها بمدى الخسارة الهائلة التى لحقت بهم، إذ كانت الأرصدة التى تهيئها الجمارك قد ضاعت ، وظل سداد القروض معلقا .

وعندما طرد القبطان باشا حسن البكوين ابراهيم ومراد من القاهرة، وولى مكانهما اسماعيل بك ، فقد أراد الأخير اعادة قيام تجارة البن فثبت رسوم الجمارك بـ ٢٢ بوطاقة عن الفرد (*) وفى نفس الوقت فقد ضمن هذا الرسم الـ ٥٤٦ مدينى المخصصة للباشا وأمير الحج وكذلك الـ ٩٠٠ مدينى اللازمة للوفاء بالديون المستحقة للتجار (على البكوات) وقد أدت هذه اللائحة الى احياء الثقة ، وجدد التجار المصريون (٢)

---

(١) وهذا برهان جديد على أن التجارة تستطيع فى النهاية أن تشق لنفسها طريقا آخر كى تتملص من المظالم الخرقاء .

(*) كما سبق القول فان الفرد هو بالة تزن ١٨٥ ك.ج (المترجم) .

(٢) لم يكن التجار الأجانب المقيمون بمصر يتلقون أية ارسالية بن من الجزيرة العربية ، بل كانوا يشترون من التجار المصريين البن الذى يصدرونه الى أوربا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معاملاتهم ، واوشكت الواردات ان تماثل فى حجمها الكبير ماكانت عليه فى الماضى ، ومع ذلك ولسوء الحظ فقد مضت التجربة دون أن يستخلص منها الاستبداد الجشع والنهم الدرس الواجب استخلاصه ، فما أن استقر ابراهيم ومراد بالقاهرة مرة اخرى حتى بدءا ابتزازاتهما من جديد ، واعادا الأمور قريبا من الحالة التى وجدها عليها اسماعيل ، ولم يتغير عائد الجمرك (اى لم تزد حصيلته) بسبب الرسوم الباهظة التى فرضاها ، لكن الواردات هى التى اصبحت بالغة الضآلة .

ولم تكن السلع الأخرى التى تصل عن طريق السويس تدفع شيئا آخر بخلاف الرسوم التى انشأها السلطان سليمان ، ولسنا تجد سببا يفسر هذا الاعتدال الذى يتناقض كثيرا مع الأساليب المعتادة فى الادارة المصرية .

وبخلاف ذلك كانت تجبى فى كل مكاتب تحصيل مصروفات جمركية بلغت حدا من الكثرة انها كانت تشكل عائدا ضخما للملتزمين وتغطى مصروفات المكاتب ورواتب الكتبة ، فقد كانت كل السلع تخضع لهذه الرسوم حتى تلك السلع التى كانت تجارتها حرة . وكانت هذه المصروفات أقل جسامة بالنسبة للاوربيين عنها بالنسبة لأبناء البلاد .

وكان رجال جمارك بولاق ومصر العتيقة والاسكندرية والسويس قد اكتسبوا ميزات وظائفهم بحصولهم من الباشا على الفرمان الذى انشأ أو اعترف لهم بالمراكز التى يشغلونها والذى اخضعهم لدفع الميرى :

فكان جمركا مصر العتيقة وبولاق

يدفع	٢٠٨٠ر٢	مدينى
وكان جمركا الاسكندرية يدفع . . .	٢٧٠٤٠ر٢٧	
وكان رجال الجمارك بالسويس يدفعون :		
بالنسبة للشخص المقيم منهم بالقاهرة	١٦٣ر٤٣٣	
بالنسبة للشخص المقيم منهم بالسويس	٤١٠	
عن الوزان	٥١٠	
الاجمالى	١٩٣ر٤٧٣	مدينى

تعادل ١٥ س ٦ر٩٠٩ جنيها توريا ، وتعادل بالفرنكات ، ٤٦ س ٦ر٨٢٤ فرنكا فرنسيا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحيث شغل المدير العمومى للجمارك المعين فى عهد على بك كل هذه المراكز فيما عدا مركزى مصر العتيقة والسويس فقد سدد الميرى المقرر عليها ، ولا نعرف لماذا لم يسلك الباشا نفس السلوك تجاه مدير جمرك السويس ، خصوصا منذ أصبح هذا الجمرك مضمنا عقد الملتزم العمومى .

وقد انشأ البكوات المماليك جمركين آخرين فى القصير ورشيد .

وقد حال الاتجاه الذى سارت فيه حكومة القاهرة لجذب تجارة الجزيرة العربية الى السويس ، دون أن يكون حجم انزال السلع فى القصير كبيرا ، وكانت الرسوم الجمركية تحصل هناك (فى القصير) لصالح كاشف قنا لعادة قررها هو نفسه أو ورثها عن أسلافه .

ولم يكن الغرض من انشاء جمرك رشيد تقرير رسوم جديدة ، بقدر ما كان الهدف منه هو التحقق مما اذا كانت لم ترتكب أية عمليات خداع او تدليس فى جمركى بولاق والاسكندرية ، وهناك ، كان يتم التحقق من أن كمية ونوع السلع قد جاءتا مطابقتين للمخالصات الجمركية التى كان لابد من ابرازها وذلك بجعل حمولات السفن القادمة الى هذا الموقع تنتقل (من مراكبها) الى مراكب أخرى . وقد توصل رجال الجمارك — قبل مجىء الفرنسيين بسنوات قليلة — لأن يلحقوا بعمليات المراجعة والفحص هذه فرض رسم على كل كميات السلع ، وان كان الأوربيون قد تمسكوا بامتيازاتهم ولم يخضعوا مطلقا لهذه الرسوم ، وفى نفس هذا الوقت، سمح مراد بك ، بعد أن اغرته المكاسب الهائلة التى سوف تعود عليه من تصدير الحبوب الى العالم المسيحى ، بتصدير هذه الحبوب مقابل تحصيل رسم قدره زر محبوب واحد (عملة ذهبية) لكل أردب ، وادت عمليات الشحن البحرى التى كانت تتم فى رشيد الى نشأة جمرك ، جنى منه مراد ، وهو الذى كان يديره لحسابه الخاص ، أموالا طائلة .

وحيث لم يكن يدفع اى مال ميرى الى الخزينة عن جمركى القصير ورشيد فان من الضرورى أن نشير اليهما باعتبارهما عبئا مضاعفا على حركة التجارة ، وليسا باعتبارهما يشكلان جزءا من عوائد السلطان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولابد أن نضع فى نفس هذه المرتبة تلك الرســـوم التى كانت تفرض على التجارة الداخليـــة ، والتى كانت تعرف فى بولاق والاسكندرية ورشيد ودمياط والسويس باسم جمارك صغرى ادت الى نشأة ضرائب أو مكوس على الاستهلاكات (التجارة) ، وكان التزام هـــذه المـــكوس يعطى مادة لرجال الجمارك الذين كانت لديهم المعرفة التامة بطبيعتها وتنوعاتها المعقدة .

ونقدم فيما يلى جدولا بهذه الرسوم ، حصلنا عليه عن طريق هـــؤلاء الــكتبة أو الموظفين الذين استبقيناهم فى وظائفهم بعد وصولنا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعريفة الرسوم التى تحصل باسم جمارك صغرى فى مصر

على السلع القادمة من الخارج

وعلى السلع القـــــادمة من داخل مصر

١ — سلع قادمة من الخارج

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى: مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية: مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
أبا قدار (نوع من البذور)	—	—	—	—	٦٪	—	—	—	—	—	—	—
عجين المشمش (قمر الدين)	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
صلب	—	—	—	٤٥ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
إبر	—	—	—	شرحه	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
ألوة (الصبار)	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
صبر	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٦٠ للبالة	—	—
صوفان	—	—	—	١٥ للبالة	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
لوز	—	—	—	٢٠ للقفة	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
عنبر	—	—	—	٩٠ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
هلب مراكب	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
فضة سبائك	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
أسلحة	—	—	—	—	—	—	٩-٢٤ مدينى للحمولة	—	—	—	—	١٠

سلفور الرصاص	—	—	—	٣٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
حتليت	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٦٠ للبالة	—	—
طباشير	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
خشب للوقود	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
خشب للصباغة	—	—	—	٢٠ للقنطار	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
قلنسوات حمراء	—	—	—	٤٥ للصندوق	١٦م للعلبة	—	—	—	—	—	—	—
شمــــوع	—	—	—	٩٠ للصندوق	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
أساور زجاجية	—	—	—	٢٠ للبالة	شرحه	—	—	—	—	—		—
زفت	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
بن	٥٠م للبالة	—	—	—	٣٠م للقنطار إذا لم يدفع فى بولاق	—	٣٠ مدينى للقنطار	—	٢٢ إلى ٩٠ مدينى البالة	—	—	—
خروب	—	—	—	١٠ للقفة	—	—	—	—	—	—	—	—
أحزمة مطرزة	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
خمارات (خمار)	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
شال صنع أنقرة	—	—	—	٩٠ للبالة الصغيرة	—	—	—	—	—	—	—	—
فحم	١م الجوال	٦م للقفة	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
كستناء	—	—	—	٣٠ للبرميل الكبير	—	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مندينى								
مقصات	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
مسامير	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
مسبحات خشب	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
قرمزية	—	—	—	٩٠ للبرميل	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
جوز الهند	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
حلويات	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
من البندقية	—	—	—	٤٥ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
بوصيرى	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٦٠ للبرميل	—	—
مرجان	—	—	—	٩٠ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
حبال	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
منكاكين شمعية	—	—	—	٤٥ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
بوتقات للصاغة	—	—	—	٢٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
حلى من الزجاج والكريستال	—	—	—	٩٠ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—

نحاس	—	—	—	٤٥ للبالة	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
مطهر للأذن	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
سن الفيل	٧ م للحمولة	—	—	٦٠ للبالة	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
سن السمك	—	—	—	٤٥ للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—
أجواخ	—	—	—	٩٠ للبالة الصغيرة	شرحه	—	٩ - ٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—
ماء قرنفل	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
بخور	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٣٠ـ٦٠ للبالة	—	—
دبابيس	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
اسفنج	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
قصدير	—	—	—	٩٠ للبرميل	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة صوفيـة من بلاد البربر	—	—	—	٤٥ للبالة الصغيرة	—	—	—	—	—	—	—	—
فوانيس زجاجية من البندقية	—	—	—	٥ للسلة	—	—	—	—	—	—	—	—
زنك	—	—	—	٤٥ للبرميل	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
حديدفى شكل قضبان	—	—	—	٢ للقضيب	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
تـين	—	—	—	—	شرحه	—	٢ م للقفص	—	—	—	—	—
ورود اللاوندة	—	—	—	٣٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد مدينى	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد مدينى	دمياط	السويس
فواكه جافة	—	—	—	—	—	—	٩ - ٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—
بنادق	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
زنجبيل	—	—	—	٦٠ للقفص	—	—	—	—	—	—	—	—
قرنفل	—	—	—	٩٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
صمغ الكثيراء	—	—	—	٢٠ للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—
صمغ عربى	—	—	—	٦٠ للقفص	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
صمغ للطلاء	—	—	—	٩٠ للقفص	—	—	—	—	—	—	—	—
قطران	—	—	—	—	شرحة	—	—	—	—	—	—	—
زيت زيتون	—	—	—	١٠ للجرة و ٣٠ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
خلاصة العرقسوس	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

مصابيح زجاجية	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
مشروبات روحية	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
محالب	—	—	—	٣٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
رخام	—	—	—	٢٠ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
مربعات رخام	—	—	—	١ م للمربع	—	—	—	—	—	—	—	—
سلع فى صناديق	—	—	—	٩٠ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
جلد فاسى أحمر وأصفر	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
مستكة	—	—	—	٤٥ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
زئبق	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
رحى طاحون	—	١٤ م لكل ٢	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
مرايا	—	—	—	٩٠ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
هاونات	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
موسلين	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
مر	—	—	—	٦٠ للقفص	—	—	—	—	—	—	—	—
صدف لؤلؤ	—	—	—	٤٥ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
بندق	—	—	—	١٥ للجوال	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
عفصة	—	—	—	٢٠ «	—	—	—	—	—	—	—	—
جوز	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
زيتون	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التاليـة					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
ذهب خام	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
ذهب براق	—	—	—	٩٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
قرب للمياه	—	—	—	٤٥ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
شباشب واردالقسطنطينية	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
ورق واردجنوة	—	—	—	٢٢-٤٥ م للبالة	١½ م للرزمة	—	٩ - ٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—
« « البندقية	—	—	—	شرحه	٦ م للرزمة	—	شرحه	—	—	—	—	—
جلود مصبوغـة	—	—	—	٢٠ م للكوم	—	—	—	—	—	—	—	—
قداحات للبنادق	—	—	—	٢٠ للبرميل الكبير	—	—	—	—	—	—	—	—
فستق	—	—	—	٤٥ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
رصاص	—	—	—	٥ للسبيكة	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
ريش النعام	—	—	—	٩٠ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—

فلفل	—	—	—	٩٠ للصندوق	٤٠ م لكل ١٠٠ رطل	—	—	٣٠ م للقنطار	—	—	—	—
خزف	—	—	—	٩٠ للبالة	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
رصاص للبنادق	—	—	—	—	١٥ م للجرة	—	—	—	—	—	—	—
حدايد وخردة	—	—	—	—	—	—	٩ - ٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—
								—	—	—	—	—
جذور نبات الفوة	—	—	—	٢٠ للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—
جذور السحلب	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—	—
عنب جاف	—	—	—	٢٠ للصندوق أو ١٠ للعلبة	—	—	—	—	—	—	—	
« لصنع الخمور	—	—	—	٣٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
راتنج	—	—	—	١٣م لكل ١٠ اقراص	٣٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—
زعفران	—	—	—	—	٩٠ للجوال	—	—	—	—	—	—	—
سيلب	—	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—
فشاغ	—	—	—	—	٩٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—
صابون	—	—	—	—	٢٠ للصندوق أو الجوال	شرحه	—	—	—	—	—	—
حرير	—	—	—	—	٩٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
حرائر	—	—	—	—	٩٠ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—
منافيخ	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
كبريت	—	—	—	٣٠ للبرميل الكبير	١٨م لكل ١٠٠ رطل	—	—	—	—	—	—	—
أحذية	—	—	—	٤٥ للبالة	١½ م للزوج	—	—	—	—	—	—	—
تبغ وارد سوريا	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
« « تركيا	—	—	—	٤٣–٨٠ للبالة	٤٨ م للقفة	—	—	—	—	—	—	—
أكياس نشوق	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
تفتاز	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
تمر هندى	—	—	—	—	٤٠م لكل ١٠٨ رطل	—	—	—	—	—	—	—

سجاجيد للصلاة	—	—	—	٩٠ للبالة	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
سجاجيد بوبرة ومساحات قدم	—	—	—	٤٥ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
دردى	—	—	—	٩٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
تنباك	—	—	—	٤٥ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
خراطيم للنارجيلة	—	—	—	١٠ للكوم	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
أكواب	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
نبيذ				٤٥ للبرميل الكبير	—	—	—	—	—	—	—	—
زجاج نوافذ	—	—	—	٣٠ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
أملاح معدنية	—	—	—	٣٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—

٢ — سلع قادمة من داخل مصر

أبسنت جاف	—	—	—	١٠ للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—
ثوم	١٣ م للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
شبة	٥م للقنطار	—	—	٩٠ للبرميل الكبير	—	—	—	٣٠ للجوال	—	—	—	—
ينسون	٨ م الأردب	—	—	٣٠ للجوال	—	—	—	—	—	—		—
أطباق	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الإسكندرية	رشيد (مدينى)	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الإسكندرية	رشيد (مدينى)	دمياط	السويس
مراكب محملة بالمأكولات أو حطب الوقود	من ٤ – ٤٥ عن المركب الواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
سمن	٥ — ٤٠ م للجرة	٥ للجرة	—	٢٠ للجرة	—	—	—	—	—	—	—	—
قمح	٧ م للأردب	—	—	—	—	$\frac{1}{24}$ عيناً و٢ م للأردب	١ م للأردب	—	—	—	—	—
أبقار	١٢ مدينى للواحدة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
خشب من الصعيد	٣٠ م للحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
طواقى بيضاء	واحدة من كل عشرة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

ثيران	—	—	—	—	—	٩٠م للثور	—	—	—	—	—	—
قصب السكر	٢٨٠ للمركب الكبير و ٢٥ م لكل ١٠٠ حولة صغير.	٣٠ مدينى للحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
كزبرة	٤م للاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
شيلان سوداء	—	٣م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
شيلان من الفيوم	١٩ ـ ٦٢٠ لكل ١٠٠ شال	—	—	—	—	—	—	—	—	٤٥ للبالة	—	—
شمع من صنع البلاد	—	١٠٠ م للقنطار	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
حبال من لحاء الشجر	١٠ م للحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
قرون أبقار	—	١٦م للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
قرون ثيران	—	—	—	—	—	—	—	١٠ مدينى للحزمة	—	—	—	—
قطن على شكل لوزات	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
قطن على شكل وبر	—	—	—	٤٥ للبالة	شرحه	—	٩ ـ ٢٤ م للحمولة	—	—	٤٥ للبالة	—	—
قطن مغزول	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	٩٠ للبالة	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد مدينى	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
أغطية صوفية	١٢م لكل ١٠٠ قطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
» قطنية	١٠٣½م لكل ١٠٠ قطعة	١٠-٢٥م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
» للخيول	١م للغطاء	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
جرار كبيرة (بلاص)	—	—	—	—	٤٦م لكل ٤ بلاليص	—	—	—	—	—	—	—
جلود أبقار وجاموس	١٣٧½ لكل ١٠٠	—	—	—	٢م للواحد	—	—	١م للواحد	—	٣م للواحد	—	—
جلود من دمنهور	—	—	—	—	٢م للواحد	—	—	—	—	٣م للواحد	—	—
نحاس قديم	٣ — ٥٠م للقطعة	٢٤ م للقنطار	—	٣٠م للبالة	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
كمون	٦ م للأردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

بلح عجين (عجوة)	—	—	—	١٠م للقفة	—	—	—	—	—	—	—	—
بلح جاف (تمر)	١٢- ٦٢م للقفة	—	—	٢٢-٤٥م للصندوق	١٠ م للقفص	٢٤م للقفص	—	٣٠م للجوال	—	٤ للقطعة	—	—
دميتى منقوش (أقمشة)	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
أغطية فراش مطرزة من دمياط	—	٢٠م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« « «	—	١٠م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
عقاقير طبية	—	—	—	٦٠ للبالة	٦ ٪	—	٩—٢٤م للحمولة	—	—	—	—	—
ليف النخل	٥ م للقنطار	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
قشر الرمان	—	١٦م للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة	—	—	—	—	—	—	٩—٢٤م للحمولة	—	—	—	—	—
أقمشة من دمياط والمحلة الكبيرة	—	١ ٢/٥ م للقطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة عنبرى شغل الاسكندرية ودمياط	—	٢ ١/٤ م للقطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة صوفية	١٢٠ م لكل ١٠٠ قطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة صوفية سوداء	٤٧ ١/٢ م لكل ١٠٠ قطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
أقمشة للحبرة من صنع المحلة	—	٢¼ م للقطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
دقيق	٦ م للاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
فول	٧ م للاردب	—	—	١٠ للأردب	—	—	—	—	—	—	—	—
فراء من الجلد	٩٠ إلى ٣٦٠ م للواحد	—	—	٩٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
فوط وارد دمياط	—	١½ — ٥ للواحدة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
جبن	٦ م للجرة	٢ - ٤٠ م للطرد	—	٢٠ للطرد	—	٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—	—
حنطه نابتة	٦ م للأردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
فواكه من الفيوم	٣ م للحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

صمغ إنتاج محلى	٢٧٠ للقفة الكبيرة و١٠ للصغيرة	٨٠ م للقنطار	—	—	—	—	—	٣٠ م لملء الحصيرة	—	—	—	—
بذور القطن	—	—	—	—	—	—	٨ م للاردب	—	—	—	—	—
« اللفت	١٢م للاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« زُرعة	١ م للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« النيلة	٢٠ م البالة	—	—	—	—	—	٣٦٠ م للاردب	—	—	—	—	—
« الكتان	½م للاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
الرمان	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
علف من أصناف مختلفة	¾ إلى ١٥ م للاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
حب العزيز(1)	—	٩ م لكل ١٠٠ رطل	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
حناء	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١٠ لكل جوالين	—	—
زيت الكتان	٥٠٠-٣م الجرة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
زيت اللفت	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
زيت السمسم	٥ — ٤٠ م الجرة	٣ – ١٦ م الجرة	—	١٥ الجرة	—	—	—	—	—	—	—	—

(1) درنات صغيرة تزرع فى مصر السفلى وتقترب فى مذاقها من الكستناء .

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
حبوب النيلة وارد الصعيد	٢٦ م القنطار	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« « « القاهرة	—	—	—	—	—	—	٥ م القفة	—	—	—	—	—
سمار لصنع الحصر	١١ م الحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
صوف	—	—	—	٢ لكل قفتين	—	—	٩ - ٤٤ م الحمولة	—	—	—	—	—
عدس مجروش	—	—	—	—	—	—	٦ م الأردب	—	—	—	—	—
كتان	٢ م للبالة	—	—	٣٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
خشن	—	—	—	—	٢٥ م القنطار	—	—	—	—	—	—	—
كتان مغزول	٥ م الحمولة	—	—	٢٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
كتان على شكل رزم	١٠٠ الكل ٢٠٠ حزمة	—	—	١٠ للحزمة	—	—	—	—	—	—	—	—
كتان معبأ فى أجولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٨ ــ ١٥ م للجوال	—	—
مكرونة وشعرية	—	—	—	—	—	—	٥ - ٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—

سلع من كل نوع مصدرة إلى مصر العليا	—	—	—	—	—	—	٩-٢٤م للحمولة	—	—	—	—	—
قدور من الفخار	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
عسل اسود	٥-٣٦م الجرة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
شمام	٦٠ - ١٢٠ م للبرميل الكبير	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
عسل نحل	٥ - ٤٠ م الجرة	٢ - ٢٥ م الجرة	--	٢٠م الجرة	—	—	—	—	—	—	—	—
مناديل حرير	—	٥م الواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« للسيدات	—	٢٥ لكل ١٠٠	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
خراف	—	—	—	—	—	كيلو لحم عن كل واحد	—	—	—	—	—	—
حصر من الفيوم	٢ م الحمولة	—	—	—	—	—	٢٥ م لكل ١٠٠ حزمة	—	—	—	—	—
بيض	بيضة ومدينى لكل ١٠٠	٥م للسلة	—	—	—	٢٤ م الحمولة و ٥٠ بيضة لكل قفصين	—	—	—	—	—	—
بيض وارد جرجا	١٤٦م للقفص	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
بصل	٢ مدينى الجوال	—	—	—	—	٢٤ م الحمولة	—	—	—	—	—	—
برتقال	—	—	—	—	٤٠ م الصندوق	—	—	—	—	—	—	—
شعير	٧ م الأردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
بطيخ	٥ م الحمولة	—	—	—	—	٢٤ م الحمولة	—	—	—	—	—	—
جلود ماعز	٩ م البالة	٨ م للبالة	—	٣٠ الحزمة	—	—	—	—	—	—	—	—
جلود خراف	٩ م البالة	٨ م للبالة	—	—	٣ مدينى لكل ١٠٠ جلد	—	—	—	—	—	—	—
جلود رقيقة	—	١ م لكل ٢	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
جلود طازجة	—	$\frac{5}{8}$ م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
حجر كدان (حجرهش)	٢٠ قرشا البالة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

سمك مملح	—	—	—	—	—	—	٩- ٢٤م للحمولة	—	—	—	—	—
سمك جاف	١٠ ٪	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
دجاج	—	٢م للقفص	—	—	—	دجاجة لكل قفص	—	—	—	—	—	—
عنب	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
مواقد فخارية	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
عرقسوس	٣٠-١٢٦م م للبالة	—	—	١٠ للقفة	شرحه	—	—	—	—	—	--	—
أرز	—	٢½ - ٥ مدينى للجوال	—	—	—	—	٦٠م الأردب	—	—	١¼ إلى ٢٠ م للجوال	—	—
زعفران	١ رطل للقنطار ١ مدينى للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—	٩٠ للبالة	—	—
ملح البارود	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—			
ملح	—	—	—	—	٢ م الأردب	—	٩ إلى ٢٤ م الحمولة	—	—	—	—	—
ملح النوشادر	—	١ ٣/٦ م للقالب	—	—		—	—	—	—	٦٠ البالة	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فانها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فانها تخضع للرسوم التاليـة					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
ملح الشبة	٥ م القنطار	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
ملح البارود	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
ملح النطرون	٤٠ م الحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
سنامكى	١٢م الحصيرة	—	—	—	—	—	—	—	—	٩٠ البالة	—	—
خيش	—	—	—	٢٠ البالة	—	—	—	—	—	٢ اللفة	—	—
سمسم	١٥ م الأردب	١٠ م الأردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
سكر	٣½ إلى ٢٢م القنطار	—	—	—	—	—	—	—	—	٤٥ البالة	—	—
أحزمة سرج صوفية	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
تبغ إنتاج محلى	٢٠ إلى ٢٧٠ م البالة	١٠ - ٣٠م البالة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
قشر بلوط لتجهيز الجلود	٤ م الأردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
فناجين من الخزف	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
لوازم الخياطة	—	—	—	—	٤٥م البالة	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة بيضاء	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١ للقطعة	—	—

نشة زرقاء	—	—	—	--	—	—	—	—	—	١ للقطعة	—	—
« قطنية	—	١½ — ٤ م القطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« كتانية	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« ناعمة	٤ — ١٤ م لكل ١٠ قطع	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
ـارات للسيدات (خمار)	—	٢¼ م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكى تصبح الفكرة التى نقدمها عن تجارة مصر تامة ، كان لزاما علينا ان نقدم فى جدول اخير الارقام الدقيقة لعوائد الجمارك ، بالاضافة الى قيمة وحجم وطبيعة الواردات والصادرات التى تمت هناك خلال الاثنى عشر عاما التى سبقت وصولنا الى هذه البلاد ، وان كان المديرون الفرنسيون الذين عيناهم فى كل ديوان عقب وصولنا ، لم يقدموا لنا بشكل يبعث على الرضـــا ، ما طالبناهم به من بيـــانات مستخلصة من السجلات التى كانت توضـــح دخول وخروج السلع خلال هذه الحقبة من الزمن . وقد أخبرنا المدير الفرنسى لجمرك الاسكندرية ان مراقبى الصحة قد احرقوا أوراق سلفه واوراق الجمرك كله لان سلفه هذا قد مات اثر اصابته بالطاعون . اما مديرا جمركى دمياط والسويس فقد سلما الينا بيانين لا يشيران مطلقا الى قيمة او طبيعـــة او حجم السلع الموردة او المصدرة ، وان كنا نستطيع استنادا اليهما ان نتعرف فقط على حصيلة الرسوم التى حققها هذان الجمركان منذ العام ١٢٠١ وحتى العـــام ١٢١٢ من الهجرة الى العام السادس من قيام الجمهورية الفرنسية (١٧٩٧) ، وبيان هذه الحصيلة كما يلى :

السنة الهجرية	دمياط واردات	دمياط صادرات	دمياط إجمالي	السويس واردات	السويس صادرات
	مدبنى	مدبنى	مدبنى	مدبنى	
١٢٠١	٨,٤٢٧,٩٠٧	٥٣٢,٠٠٣	٨,٩٥٩,٩١٠	٤١,٦٥٧,٥٢٧	لم تكن
١٢٠٢	٨,٩٠٧,٥٤٠	٨٤٥,٢٤٤	٩,٧٥٢,٧٨٤	٤٣,٣٧٥,٩٤٣	الصادرات
١٢٠٣	٨,٠٠٦,٩٢٠	٦٨٨,٧٢١	٨,٦٩٥,٦٤١	٥٠,٠٩٦,٦٨٢	تخضع لأى
١٢٠٤	٧,٣٨٣,٠٨٥	١,٣٠٩,١١٣	٨,٦٩٢,١٩٨	٢٨,٤٨٤,٣٥٨	رســـوم
١٢٠٥	—	—	—	٣٥,١٧٦,٨٩٩	
١٢٠٦	١٠,٧٥٨,٩٨٤	٣,٠٢٤,١٠١	١٣,٧٨٣,٠٨٥	٣٩,٥٢٦,٤٩٢	
١٢٠٧	١٢,٠٢٨,١٧٧	٤٦٦,٣٠٢	١٢,٤٩٤,٤٧٩	٤٣,٧٨٣,٢٩٢	
١٢٠٨	٩,٦٣٥,٤٠٥	٣١٢,٨٨٢	٩,٩٤٨,٢٨٧	٢٧,٣٥٧,٢٨٦	
١٢٠٩	١١,٨٩٥,١٠٨	٨٣,٦٨٨	١١,٩٧٨,٧٩٦	١٧,٢٥٤,٩٨٠	
١٢١٠	١٣,٨٠٢,٧٤٥	٨٧٣,٣١٧	١٤,٦٧٦,٠٦٢	٤٤,٣١٠,٨٥٨	
١٢١١	١٤,٦٣٣,٧٢٨	٢,٠٣١,٤٥٦	١٦,٦٦٥,١٨٤	٣٦,٥٩٤,٦١٢	
١٢١٢	١٠,٧٣٧,٤٨٨	٦٤٥,٢٣٢	١١,٣٨٢,٧٢٠	٣٤,٤٩٥,٥٧٥	
	١١٦,٢١٧,٠٨٧	١٠,٨١٢,٠٥٩	١٢٧,٠٢٩,١٤٦	٤٤٢,١١٤,٥٠٩	
المتوسط السنوى	١٠,٥٦٥,١٩٠	٩٨٢,٩١٤	١١,٥٤٨,١٠٤	٣٦,٨٤٢,٨٧٦	

ملاحظـــات :

(١) لم تحقق السنة القمرية ١٢٠٥ من الهجرة أى عائد فى دمياط لأنها واحده من السنوات التى اكتشف المحاسبون المصريون انهم يفقدونها كل ٣٣ سنة لأنهم لا يقدرون الضرائب الا بحساب السنوات الشمسية . ومع ذلك فلم تكن أى من هذه السنوات القمريه الاثنتى عشرة فيما يختص بجمـــــرك السويس هى تلك التى تفقدها الادارة التركيه للجمرك كل ٣٣ عاما بالمثل .

(٢) اذا كان المماليك يجنون فى السنوات الاخيرة ستة ملايين من التزام الجمارك ، كما أكد لنا البعض ذلك ، فلابد أن رجال الجمارك كانوا يرتكبون الكثير من المظالم ، اذ أن حصيلة الرســـوم المسجلة ، وفقا لمـــا لدينا من بيانات ، لم تتجاوز أكثر من ثلاثة ملايين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتساوى معا ٩٨٠ر٣٩٠ر٤٨ مدينى ٩٨٠ر٣٩٠ر٤٨
ويزعم تجار القاهرة أن حصيلة جمرك الاسكندرية هى نفسها تقريبا نفس حصيلة جمرك دمياط ، واذا تبنينا هذا الرأى نجد لدينا ١٠٤ر٥٤٨ر١١
الرسوم المحصلة فى الجمارك بما فيها عوائد جمركى بولاق ومصر العتيقة والتى يقال انها تصل الى نحو ٠٠٠ر٠٠٠ر١٥

فلا تنتج سنويا سوى ٠٨٤ر٩٣٩ر٧٤

تعادل بالجنيهات الطورية ١٨ ر٣٥٣ر٦٤٣ر٢(١)
وبالفرنكات ٩٠ ر٧١٩ر٦١٠ر٢

ثانيا — رسوم متفرقة

أما الرسوم الأخرى التى أنشأها السلطان سليمان ، نهى تلك التى نوضحها فى الجدول التالى :

البحرين : وهو خاص بأوجاق العزبان والذى يدفع عنه لخزينة السلطان ميرى قدره . . . ٩٩٢ر٩٦٤(٢)

الخردة : وهو خاص بنفس الأوجاق الذى يسدد عنه ميرى قدره ١٧٤ر٩٠٨

رسوم على لبسنط العنبر والسنامكى وهى

---

(١) كان المماليك فى المدة الأخير يحصلون ضرائب من الجمارك تصل إلى ستة ملايين – كما ضمنا نحن ذلك لأنفسنا .. وطبقنا لرؤيتنا الخاصة ، فقد كانت الرسوم المدونة لا تصل إلى ثلاثة ملايين ، وعلى ذلك فقد استخدم موظفى الجمارك نوعا من الابتزاز والضغط

(٢) لكن هذا الاوجاق لم يكن يدفع عن هذا الرسم من مال ميرى سوى ٩٩٢ر٨٠٤ مدينى ، لأن الباشا قد استجاب لطلبات هذا الأوجاق وأعفاه من مبلغ ٠٠٠ر١٦٠ مدينى .

(وكانت هذه ملاحظة وضعت بجوار الارقام ، وقد حولتها الى هامش زيادة فى التبسيط . المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خاصة بأوجاق الانكشارية الذى يدفع عنها مال ميرى
قـــــدره ٦٦٦ر٩٠٠١
رسوم على الجزارين فى الاسكندرية وتخص
اوجاق الجاويشية الذى يدفع عنها ميرى قـــدره ٢٥٦ر٤٣

اجمالى المال الميرى المقرر على هذه الرسوم ٥٨٨ر٨١٨ر٢ مدينى

	د	س		
تعـــادل	٢	١٧	٦٦٣ر١٠٠	جنيها توريا
وبالفرنكات		١٤	٤٢١ر٩٩	فرنكا فرنسيا

ومن المفترض ان رسوم البحرين قد وصلت الى القيمة التى وجدناها عليها عند وصولنا الى مصر ، عن طريق زيادات متتابعة . وقد وجـــدناها تنقسم الى خمسة فروع : الأول والثانى والثالث وتشتمل على رســـــوم الغـــلال التى تصل الى بولاق ومصر العتيقة ، أما الرابع والخــــامس فيشتملان على رسوم على كل المراكب التى تعمل على النيل وفى الثغـــور والبحـــيرات .

وكانت الخردة تحصـــــل على عروض اللهو العمـــومية والمهرجين والمشعوذين والعوالم والطبالين وكذلك على الاضرحة وعلى كل الصـــناع والتجار فى مدن كثيرة . وهذه الرسوم المضمنة داخل هذا البند والتى كانت تتضاعف دونما حد فى عهد البكوات لم تكن معروفة على ســـبيل الحصر بالنسبة للادارة الفرنسية ذلك أنه عندما انشىء التزام لهذه الأنشطة لم يوضح ما كان يحصل منها لسداد الميرى المستحق عنها .

أما الرسوم المقررة على لب السنط والسنامكى فتعطى (لدافعهـــا) الحق المطلق فى حصد هذين المحصولين وبيعهما . وينمو السنامكى تلقائيا عند مداخل الصحراء الممتدة الى جنوب أسوان . وكان يعهد بحق جمعـــه عادة الى اشخاص يقومون بتداوله كسلعة تجــــارية . وكانت المراكب المستخدمة فى نقل هذا العقار الطبى تتمتـــع ببعض الاعفــــاءات . وفى السنوات الأخيرة ، كان ثمة عائلة واحدة من اسنا تتعامل مع ملتزم الحكومة بخصوص جمع لب السنط ونقله الى القاهرة . وسواء يعود الأمر الى نقص فى الانتاج أو تم بسبب مضاربات كانت تستهدف رفع سعره فقد أصبحت

شحناته اقل حجما ، ذلك أن مصر كانت تهيىء لاوربا فيما مضى أكثر من الف وخمسمائة قنطار من السناكى فى حين تقلصت صادراتها الحالية منه الى ٨٠٠ أو ١٠٠٠ قنطار فقط . وكان لب السنط يخضع لنفس الاحتكار ، وكان ملاك الأشجار التى تنتجه مضطرين لبيعه للملتزم الذى حصل على حق التزامه من البكوات . وقلما كان يصدر الى العالم المسيحى لب السنط الذى تنتجه مصر ، اذ هو اقل جودة بكثير من ذلك الذى يصلنا من المستعمرات لأنهم فى مصر يجمعونه قبل تمام نضجه ، وتكاد تركيا تستهلك كل انتاجه .

وتتكون الرسوم المفروضة على جزارى الاسكندرية والقاهرة من أطراف وجلود ورءوس .. الخ الحيوانات التى تذبح هناك .

وقد أصبحت الحصيلة الموضحة فى الجدول الآتى بيانه مادة لالتزام مشابه للالتزام الذى انشىء للرسوم التى انتهينا من الحديث عنها بمجرد أن اقرها السلطان ، عندما اقر أولئك الذين استحدثوها على دفع ميرى عنها .

وسندخل فى بعض التفاصيل حول هذه الرسوم لأن البيانات الواردة بالجدول قد لا تكون كافية للتعريف بها .

	الميرى المقرر على الملتزمين	أماكن تحصيله
على دمغ الذهب والفضة . .	١٠ر٤٠٠	فى القاهرة
على مبيعات العبيد السود . .	١ر٦٢٢	»
على الحمامات التركية الخاصة .	١٢ر٦٨٥	»
على صنع ملح النوشادر . .	١ر٥٠٠	فى بولاق
على وكالة الزعفران . .	٥ر٠٠٠	»
على سبعة محلات جزارة لبيع الضأن	٥٠٠	»
على وكالة السمك المملح (السردين والفسيخ)	٣١٢	»
على الصيد فى البحيرة . .	٤٤ر٧٨٣	فى دمياط
على شيخ الدلالين . . .	١٥ر١٤٣	فى رشيد
على وكالة الباشا . . .	١ر٠٨٢	فى رشيد
على وكالة البهار . .	٦٣ر٠٠٥	فى السويس
على الموقع الذى تصل إليه مراكب النيل	١٠٠	المحلة الكبيرة

		الميرى المقرر على الملتزمين	أماكن تحصيله
على وكالات القطن :			
	. . .	١٣ر٢٣٦	فى بولاق
	. . .	٥٠٠	فى دمياط
	. . .	١ر٠٨٢	فى رشيد
على وكالات الأرز :			
	. . .	١٨٢ر٢٢٥	فى دمياط
	. . .	١ر٠٨٢	فى رشيد
الإجمالى	. . .	٣٥٤ر٢٥٨	ويعادل ٥ د ١ س ١٢و٦٥٢ جت وبالفرنكات ٩٠ س ١٢,٤٩٥ ف

وكان الرسم المقرر على دمغ الذهب والفضة يذهب الى ملتزم يحصل على اتاوة تفرض على تصنيع هذين المعدنين ، وكان هذا الملتزم يرسل قطع الذهب والفضة-بعد أن يستوثق من انهما بالعيار المطلوب - الى دار سك النقود حيث يختمها الاغا بخاتم الدمغة الذى فى حوزته . وكان الملتزم يجرى اختبارا للعمال الذين يريدون احتراف مهنة الصاغة ، ويفرض رسما على من يقبلهم داخل هذه الحرفة . وكانت عوائد هذا الرسم فى مدن الاسكندرية ورشيد ودمياط والمنصورة وبلبيس والسويس تدخل فى دائرة التزامه ، وكان يحصل هذه العوائد بنفسه فى القاهرة حيث كان كل الصاغة فيما مضى يلزمون بالعمل هناك تحت رقابته فى وكالة واحدة .

وقد بدأ الصاغة محاولتهم التملص من هذه العادة التى تهدف الى منعهم من تزييف أو تحريف صنف المجوهرات والمصنوعات الذهبية التى يتداولها الناس حين حصلوا على اذن يسمح لهم بالعمل فى بيوتهم ، وبعد ذلك بدىء فى التغاضى عن تلك الضرورة التى كانت توجب عليهم أن يخضعوا مصنوعاتهم لدار سك النقود ، ومع ذلك فحين أخذ سكان الريف ينفرون من شراء اشياء ذهبية أو فضية غير مضمونة ، فقدالتمس الملتزم الاذن له بحمل خاتم دمغة خاص به ، وحين تحقق له ذلك بدأ القوم يقبلون

بكل ثقة — وقد خدعهم التشابه بين هذه الدمغة وبين الدمغة القديمة — على شراء مجوهرات وحليا طبعت عليها هذه الدمغة ، وهكذا بدات اشباءا تباع باعتبارها ذهبا أو فضة خالصين فى حين أن تسعة أعشار سبيكتها مزيف ، وهكذا ايضاً بدانا نرى الملتزم متواطئا مع الصاغة ليثرى بفعل هذه الخيانة الصارخة .

وبالمثل فقد كان الرسم المقرر على بيع العبيد حكرا على أحد الملتزمين ، فلم يكن بالامكان بيعهم الا فى وكالة بعينها ، حيث كان وكيل هذا الملتزم يحصل على الرسم مقابل تسليم الحجة اللازمة لتسجيل البيع . وكان من الضرورى ان يوقع الملتزم هذه الحجة التى تبين جنس واسم العبد ، ومكان واسم البائع والمشترى ، وكانت تنتقل الى ايدى من يتناولون شراءه بعد ذلك ، ثم تسلم الى العبد نفسه عندما يمنح حريته . وكان يكفى اعلان بعتقه يتم فى حضرة شهود ، كى يجعله متمتعا بكافة الحقوق الممنوحة لكل رعايا السلطان ، ولم يكن هناك سوق ولا رسوم بالنسبة للعبيد البيض لأن المماليك الذين لا يتكاثرون الا عن طريق الشراء (*) كانوا يجدون من مصلحتهم أن يسهلوا عملية البيع .

اما رسم حمام الخاصة فيستمد اسمه اصلا من تلك الكراهية التى سيطرت طيلة الأزمان بين الأتراك وابناء القاهرة ، لذلك فقد أمر أحد البكوات بانشاء حمام عند سفح القلعة كى يتفادى المشاجرات التى كانت تنشب بين رجاله وبين المصريين فى الحمامات حيث كان الوضوء الذى حتمه القرآن يجذب الى هناك هؤلاء وأولئك . وقد عهد بملكية هذا الحمام الذى بنى لتفادى هذه اللقاءات الى أحد الملتزمين شريطة أن يجعل استخدامه مقصورا على الأتراك . لكن صيانة هذا الحمام لم تكن تقع على عاتقه .

وكانت ١٫٥٠٠ مدينى يدفعها للخزينة ملتزم ملح النوشادر تكفى لمنحه امتيازا تاما بصنع هذه المادة وبيعها ، وفيما مضى كانت توجد عدة مصانع مشابهة فى مصر السفلى ، لكن الامتياز الذى منح لمصنع بولاق قد الغى وجودها .

(*) تذكر بعض دراسات فى وصف مصر أن جو مصر لم يكن مناسبا لهؤلاء ، مما كان يترتب عليه انهم لا ينجبون أو أن تموت الغالبية العظمى من ذريتهم . انظر المجلد الاول من الترجمة العربية ، الفصل الخاص بالمماليك .
(المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما زعفران مصر العليا القادم الى القاهرة ، فلم يكن بالمستطاع أيداعه الا فى وكالة تسمى وكالة الزعفران ، وتقع فى بولاق ، وكان يباع هناك بعد أن يجبى مالكها الرسوم المقررة عليه والتى كانت تجعل من حقه تلك الالاف الخمسة من المدينى ، التى كان يسددها للخزينة .

وكان الميرى المقرر على محلات الجزارة السبع ، لبيع الضأن يمنح أصحابها الحق فى بيع هذه السلعة الغذائية ببولاق بدون منافسة .

وتصل الى بولاق كمية هائلة من السمك المملح القادم من دمياط . ويتمتع صاحب الوكالة التى ينبغى أن يباع فيها ، بعد دفعه ميرى يبلغ متوسطه ٣١٢ مدينى يسدده للخزينة بحق تحصيل بعض رسوم بسيطة يدفعها اليه تجار السمك .

أما الصيد فى بحيرة دمياط (المنزلة) ، فهو احتكار كامل ، يدفع الملتزم عنه لخزانة السلطان ميرى قدره ٤٤ر٧٨٣ مدينى .

وقد استحدثت فى رشيد ،تقليدا لما هو حادث فى القاهره ، وظيفة شيخ الدلالين ، ويقوم هذا الرجل بتحصيل رسم على كل السماسرة الذين يقومون ببيع الملابس والبياضات والهلاهيل فى الأسواق العامة .

وكانت السلع التى تصل الى رشيد ، والتى كانت تودع فى وكالة الباشا ، تخضع لدفع رسم يسمى رسم اقامة لصالح ملتزم هذه المنشأة .

أما السلع التى كانت تصل الى السويس فلم يكن بالمستطاع تخزينها الا فى وكالة البحار حتىتقوم القوافل بنقلها الى القاهرة ، ومقابل هذا التخزين، كان يتم تحصيل رسم لحساب الباشا ، على يد كاتب يرسله الى السويس للتعرف على أحجام الواردات ، وهذا الرسم مستقل عن المصروفات الجمركية .

وتخضع المراكب التى تقوم بالملاحة النيلية والتى تصل الى المحلة الكبيرة لدفع رسم بسيط لصالح الملتزم الذى يدفع عنذلك مبلغ الـ ١٠٠ مدينىالمقرر كمال ميرى مقرر (على حصيلة هذا الرسم) .

وينطبق ما قلناه عن وكالة الزعفران ببولاق على وكالات القطن والارز الواقعة ببولاق ودمياط ورشيد . ولم يكن بمقدور هذه السلع ان تودع وان تباع الا فى هذه المخازن حيث كان الملتزمون الذين يقومون بدفع الميرى المقرر والمبين (بالجدول) يحصلون على رسوم ايجار أو اقامة أنشئت لصالحهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعادة ما كانت الجمارك (الصغرى) والرسوم المتفرقة الاخرى التى انتهينا من تناولها والتى انشأها السلطان سليمان ، أو تلك التى أدخلها خلفاؤه توكل الى أفراد كانوا هم ملتزميها . وحيث أن الباشا والاوجاقات الذين كانت هذه الرسوم قد فرضت فى الأصل لصالحهم قد بدأوا يفقدونها على التوالى ، رسما بعد آخر ، بسبب تزايد سطوه البكوات ، فقد باتت هذه الرسوم غنيمة للمماليك الذين كانت لهم القوة والنفوذ والاعتبار ، ومع ذلك فان هؤلاء المماليك ، على ما يبدو ، لم يغيروا من اغراض تلك الرسوم أوأهدافها ، لأن هؤلاء حين شغلوا الرتب العليا فى كل أوجاق لم يخصوا أنفسهم بتلك العوائد التى آلت اليهم الا باعتبارهم قد خلفوا الذين كانوا يشغلونها قبلهم ، وبخضوعهم كذلك لدفع الميرى (المقدر على حصيلة هذه الرسوم) .

وكانت توجد بالاضافة الى هذه الرسوم ، رسوم أخرى لم تكن تخضع لدفع الميرى ، وليست لها أية صلة بخزانة السلطان ، ومع ذلك فحيث كانت تشكل فيما يبدو جزءا من رواتب البكوات وآخرين من قادة المناطق ، وهم الذين انشأوها ، وحيث اعتاد الناس على سدادها ، فقد وضعها الفرنسيون فى مرتبة الرسوم التى انشأها أو أقرها السلطان ، وواصلوا تحصيلها ، وسنوضحها فى الجدول التالى : ولقد كانت لهذه الرسوم نفس طبيعة الرسوم التى تخضع لدفع الميرى . ولم يكن هناك فرق بين هذه وتلك الا فى أن الأخيرة كان قد أقرها السلطان ، فى حين لم تكن تنقص الأخرى سوى موافقته.

وسنقدم بعض التفاصيل حول الرسوم التى لا تتيسر معرفتها على النحو الكافى فى البيانات الموضحة بالجدول .

بيان الرسوم	الأماكن التى تحصل فيها
رسم قاصر على بيع الملح ، . .	فى بولاق
رسوم تسمى رسوم الاسكاليات وتفرض على السلع التى تصل فى مراكب قادمة من القرى الواقعة على شواطئ الفرع الشرقى للنيل فى مصر السفلى،	»
رسوم سبك الفضة :	فى القاهرة
» على سوق الأغنام ودواب الحمل .	»
» على دباغة الجلود وتبيض الأقمشة .	»
» على نقش الأقمشة البلدية . .	»

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بيان الرسوم	الأماكن التى تحصل فيها
رسوم على احتكار يقتصر على النطرون .	فى الطرانة بولاية البحيرة
« على الصيد :	
فى النيل	فى القاهرة وبولاق ومصر العتيقة
فى بحيرة المدية .	فى الإسكندرية
فى البوغاز	فى رشيد
« على صنع وبيع المشروبات الروحية .	فى القاهرة والاسكندرية ودمياط والمحلة الكبيرة
« تسمى السردارية والجاويشية أو رسوم الحاكم	فى دمياط ورشيد
« الحلة أو رسوم على الأسواق . .	فى رشيد ودمياط والمحلة الكبيرة وسمنود والمنصورة
« احتساب أو رسوم على السلع الغذائية الداخلة إلى	الإسكندرية ، رشيد ، المحلة الكبيرة
« على الحبوب التى تدخل إلى المدن الموضحة لكى تباع هناك . .	باب الشعرية، وهى سوق القاهرة، الإسكندرية ، ودمياط ، رشيد
« تسمى إيجار أو إقامة وتقرر على السلع الموضحة وتحصل فى الوكالات المسماة :	
الصابون وبذور النيلة .	فى القاهرة
السكر	فى بولاق
الأرز	«
النيلة	«
بذور البرسيم والكتان والزعفران . .	«
تقاوى هذه المحاصيل .	«
زيت الكتان .	فى دمياط
البلح الجاف (التمر) .	«
« تحصل عند دخول القطن . .	فى بولاق ودمياط والمنصورة
« على خروج الأقمشة المصنوعة .	فى المحلة الكبيرة
« على الحبوب والكتاكيت التى أفرخت فى المعامل	

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا يصنع الملح الا على سواحل مصر السفلى وبخاصة فى رشيد. وكان الفلاحون الذين يلتقطونه الملتزمون بتسليمه بسعر محدد الى ملتزم عينته الحكومة ، كان هو — صاحب الامتياز الوحيد في توزيعه فىبولاق بسعر اعلى ، لكنه محدد بالمثل . وقد الحقت بهذا الامتياز رسوم لم يكن هناك حد لزيادتها على المأكولات والاعلاف والمواشي والفواكه .. الخ التى تباع فى اسواق عدد كبير من القرى . وليس لدينا ما يفسر هذا الخلط والتعقيد فى سياسة فرض الرسوم ، و يعتقد البعض ان احتكار الملح كان يدخل فيما مضى ضمن الخردة ، وان الزيادات المستجدة التى الحقت بهذا الرسم (الخردة) هى التى جعلته هائلا لهذا الحد ، وعندما تم تقسيم هذا الرسم بين اثنين من المماليك الأقوياء فان الذى جاء احتكار الملح منهما ضمن نصيبه، لم يعد ملزما بدفع الميرى .

وكان يتم تجهيز الذهب والفضة المخصصين لاعمال التطريز وغيرها من الأشغال ، فى مكان يتوفر به كل ما هو ضرورى لذلك ، ويدفع الصانع الذى يشتغل فيهما للملتزم رسما يعرف باسم كحل الفضة . أما الرسوم التى تفرض على سن الفيل وأصداف الحلى وقرون الكركدن الخ فكانت تحمل نفس هذا الاسم دون أن ندرك ما الذى يجمع بين أشياء كهذه لا تربطها فيما بينها اية رابطة .

ويؤخذ النطرون من البحيرات التابعة لقرية الطرانة ، ويدفع الفلاحون الضرائب المقررة عليهم (عينا) من هذا الملح ، وهم بذلك يزودون الملتزم بدخل اكيد ، اذ ان كل قرى مصر السفلى كانت ملزمة بشراء كمية محددة منه سنويا وبسعر محدد . ومنذ بضع سنوات ، حين أصبحت فرنسا وايطاليا وانجلترا تتزود بالنطرون من مصر ، أعطى البك الملتزم التزام تحصيل رسم النطرون الى المسيو روزتى Rosetti التاجر البندقى الذى توسع فى استغلال النطرون بدرجة هائلة ، والذى كان يبيعه فى أسواق التجارة الخارجية بسعر أدنى من السعر الذى يفرضه على أبناء البلاد وينظر الى النطرون فى مصر ، باعتباره مادة ذات ضرورة أولية ، بسبب استخدامه فى تبييض الكتان والاقمشة .

ولم تكن المشروبات الروحية والمسكرة عموما تصنع الا فى بيوت الاقباط واليهود ، ولم يكن بوسع الحكومة أن تبيح تداولها اذ يحرم القرآن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تناولها على المسلمين ، لكن اغا الانكشارية ، بعد ان حصل على اتاوات هائلة ، لم يكن ليخشى على الاطلاق أن ينتهك شريعة النبى ، وبدأ يتغاضى عن بيعها داخل حانات غير ظاهرة .

وقد يستحيل علينا أن نجد ضربا من ضروب الصناعة او التجارة يعفى من رسوم مشابهة أو مماثلة لتلك التى انتهينا من التعريف بها . وكان الملتزمون والبكوات والسردارات والاغوات حكام المواقع يضاعفون من هذه الرسوم فى المناطق التى تخضع لسلطتهم ما أن يجدوا الفرصة سانحة لذلك . من هنا كان هذا التعقيد المحير والذى لا يدع لنا الوسيلة الواضحة لتبين الاعباء التى اثقل بها هؤلاء وأولئك كاهل المصريين . وكانت الرسوم التى يفرضها الملتزمون على مواد الاستهلاك فى قراهم ضئيلة الأهمية، وتعرف باسم حملة. وعلى العموم فلقد كانت تكبل التاجر والزارع فى كل خطوة يخطوها اتاوات وضرائب باهظة . لكن الفرنسيين لم يجبوا الا تلك الضرائب التى انتهينا من بيانها ، فلقد أهملوا تحصيل العدد الاكبر من الرسوم اما لأنها لم تكن معروفة لنا على الأطلاق ، واما لاننا وجدناها استبدادية تجاوزت كل حد مفترض ، وبالمثل فقد عدلوا عن تحصيل رسم الحملة فى كل القرى التى اصبح الفرنسيون ملتزمين بها .

الفصل الرابع

الضرائب على الأشخاص

يخضع رعايا السلطان من غير المسلمين لضريبة شخصية تسمى الخراج (الجزية) طبقا لنص وارد فى القرآن ، يخضع لهذه الضريبة سكان البلاد التى تخضع لاتباع محمد ، حين لا يعتنق هؤلاء الدين الاسلامى . وهناك تقدير بأن ضريبة الخراج كانت مفروضة على ٩٠٫٠٠٠ (تسعين الف) نفس ، ويقوم بجبايتها اغا ترسله القسطنطينية كل عام . وكان يصل الى مصر ومعه عدد مماثل من الحوالات او صكوك السداد ، مؤشرا عليها بالأحرف الأولى ومسجلة ومدموغة فى وزارة المالية ، وعليها ختمه وختم اثنين من الشهود يصحبانه كمساعدين له . وكانت هذه الصكوك تجدد كل عام ، وتكون الوانها على التعاقب حمراء ، أو بيضاء ، أو صفراء ، وقد صممت هذه البطاقات بحيث تكون :

٩٠٫٠٠٠ بو طاقة منها مخصصة للطبقة الغنية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و ٠٠٠ر١٨بو طاقة منها لمحدودى الدخل ؛
و ٠٠٠ر٦٣بو طاقة منها للمعــوزين .

ويقوم الاغا بتسلم هذه الصكوك الى المولين بعد أن يسجل اسماءهم وبياناتهم ، محصلا ٥٥٣ مدينى عن كل واحد من الطبقة الأولى ، و٢٨٣مدينى عن الواحد من الطبقة الثانية ، و١٤٣ عن الفرد الواحد من الطبقة الاخيرة. لكن اللوائح لم تكن تلزمه أن يسدد من هذه الضريبة ، طبقا لعادة روعيت فيها مصالحه ، وتبعا لهذا المعدل ، سوى : ٤٤٠ مدينى ، ٢٢٠مدينى، و١١٠ مدينى (على التوالى) .

وكانت صكوك السدادتبقى بأيدى المولين من الاقباط واليهود ، وكانت تشكل بالنسبة لهم وعلى نحو ما نوعا من الحماية ، فلم يكن لهمأى حق فى حماية السلطان اذا ما اهملوا الاحتفاظ بها .

وعندما كان يتم تحصيلها ، كان الاغا يتولى تنظيم حســـــاباته مـــع الروزنامجى . وكانت الـــ ٠٠٠ر٩٠ حوالة أو صك تحسب طبقا للمبـــالغ التى كان من المقرر أن تعود بها بحسب معدلاتها المبدئية(١) . وكان يستنزل من هذه الحوالات :

١ ـــ الحوالات التى لم يتم استخدامها .

٢ ـــ مصروفات وراتب أفندى الجوالى المكلف بالتحصيل .

٣ ـــ المعاشات التى يحددها السلطان خصما من حصيلة الخــــراج وتبلغ ١٦ كيسا مصريا أو ٠٠٠ر٤٠٠ مدينى .

وبعد ذلك يسدد الاغا الميرى المقرر على وظيفته وقدره ٠٨١ر٥٠٩ر٢ مدينى تساوى ٩ د ٨٩٫٦١٠ س جنيها توريا أو ٧٥ ٥٠٣ر٨٨ فرنكا .

---

(١) ٠٠٠ر٩ بواقع ٤٤٠ مدينى . . . . ٠٠٠ر٩٦٠ر٣ مدينى
٠٠٠ر١٨ بواقع ٢٢٠ مدينى . . . . ٠٠٠ر٩٦٠ر٣ مدينى
٠٠٠ر٦٣ بواقع ١١٠ مدينى . . . . ٠٠٠ر٩٣٠ر٦ مدينى

الاجمالى . . . . . ٠٠٠ر٨٥٠ر١٤ مدينى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد يدفع هذا الميرى على الاعتقاد بأنه كان يستقى الفائض لصالحه اذا ما بلغت الحصيلة لحد أعلى من المقرر لها ، ومع ذلك فمن الثابت انه لم تكن له أى مكاسب الا رسم العادة الذى قدمنا تفاصيله من قبل ، كما أن المبالغ التى كانت تتجاوز الأرصدة التى تمنحها مصروفات التحصيل وكذا المعاشات والميرى ، كانت تضاف الى الخزنة التى ترسل الى السلطان.

وعادة ما كان الاغا يعطى التزام تحصيل الخراج المقرر على اقباط ويهود مصر العليا الى البك حاكم جرجا ، دون أن يسلمه الحصة المحددة من الحوالات التى كان يحملها، لكن أقباط ويهود هذه المنطقة كانوا يحصلون من هذا البك على حوالات خاصة لها نفس الثمن ونفس الفاعلية اللتين كانتا لتلك التى يوزعها الاغا . وكان الأخير ، حين يحتسب قيمه هذه الحوالات التى احتفظ بها لنفسه ، عند تقديمه الحساب الى الروزنامجى ، يتمكن من زيادة دخوله بشكل هائل عن طريق عملية التدليس هذه .

وكان عدد الحوالات التى ترد عن الباب العالى يتخذ أساسا لتقدير عدد الشعب القبطى على نحو تقريبى(١) دون أن يدخل فى ذلك ما انتهينا من قوله عن مصر العليا وعن الاعفاءات التى كانت تمنح بسهولة بالغة لأى واحد من الأقباط أو اليهود التحق بخدمة المسلمين وقناصل الدول الاوربية.
ومن الضرورى بخلاف ذلك أن نلاحظ أن النساء والأطفال ، الذين تقدر أعمارهم بأقل من١٢ عاما ، لم يكونوا خاضعين لهذه الضريبة . وكانت غيبة سجلات خاصة بالمواليد تؤدى لأن يتم تقدير أعمارهم عن طريق قياس قامتهم(٢) .

ولم ندخل فى عداد الضرائب التى تجبى لصالح السلطان رسما يسمى بيت المال ، كان يتشكل من اجمالى تركات رعايا السلطان ، اقباطا كانوا أم يهودا أو مسلمين ، حين يموتون دون أن يتركوا ورثة ، ذلك لأن هذا الرسم لم يكن يفسح مكانا لأى ميرى ، وفيما مضى ، كانت حصيلة هذا الرسم ترسل

---

(١) لن نتحدث عن يهود أو أروام سوريا والارخبيل بسبب ضآلة عددهم ، كذلك لن نتناول الافرنج لأنهم لم يكونوا خاضعين لهذه الضريبة .

(٢) كان مع المحصل حبل صغير بطول قامة طفل اقل من ١٢ سنة. وكان كل و أولئك الأطفال الذين تتجاوز رءوسهم طول هذا الحبل يدخلون فى عداد المولين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى القسطنطينية حيث لا يستطيع السلطان ان يستخدمها الا فى أغراض الدفاع عن الاسلام . وقد نص القرآن على تحصيل هذا الرسم وبين طريقة استخدامه . اما فى الأزمنة الاخيرة ، فكان البكوات يأمرون بجبايتها دون مبالاة بالباب العالى ، فما أن كان يموت أحد السكان الموسرين بعض الشيء حتى يسارعوا بوضع مسمار ضخم على باب بيت المتوفى بغض النظر عما ان كان له أو ليس له ورثة ، وفى الحالة الثانية كانت تؤول اليهم كل تركته ، أما فى الحالة الأولى فكانوا يفرضون مبلغا كبيرا من المال مقابل رفع هذه الحراسة (القضائية) .

الفصل الخامس

موجز بدخول السلطان

لم تكن مبادىء الادارة العثمانية ، التى هى مختلفة عما لدينا ، والتى كانت تجلب لصناديق الخزانة العامة اجمالى دخول الدولة ، لتسوق الى هذه الخزانة الا الاموال التى تخصص اما لانفاقات بعينها ، واما للتوفير ، ويبدو ان عملية الجباية ، وهى التى كانت تترك لوكلاء السلطة وأصحاب الاقطاعيات (الملتزمين) ، لم تكن لتشغل الحاكم الا بخصوص ما يطلبه هو من هؤلاء التابعين له ، أما ما يتبقى معهم بعد الوفاء بمال السلطان وبعد تغطية الانفاقات التى كان يضعها على عاتقهم ، فكان يترك كله لصالحهم الخاص . وعلى هذا ، فاننا عند قيامنا باجراء مطابقة لمختلف الجداول التى قدمناها لكى نتبين اجمالى حصيلة الضرائب التى تجبى من مصر ، تبين لنا ان دخول السلطان لم تكن تشتمل الا على عوائد الميرى ، ويتكون على النحو التالى :

		بالمديني	بالجنيه التورى	بالفرنك
عن الميرى المقرر على الأطيان :				
القرى	٨٠ر٠١٧ر٨٩٠			
الأوقاف . . .	٤٤٢ر١٧٨		د س	س
عن الميرى المقرر على الوظائف		٨٠ر٤٦٠ر٠٦٨	١ ١٧ ٢ر٨٧٣ر٥٧٣	٦٣ ٢ر٨٣٨ر٠٩٧
عن الميرى المقرر على الصناعة والتجارة		١٠ر٨٧٠ر٧٧٣	١٠ ١٧ ٣٨٨ر٢٤١	٧٩ ٣٨٣ر٤٤٨
:				
من الجمارك . . ١٩ر٤٤٥ر٤٨٦ / ١٩٣ر٤٧٣	١٩ر٦٣٨ر٩٥٩			
من رسوم أنشأها السلطان . .	٢ر٨١٨ر٥٨٨			
من رسوم لم ينشئها ولكنه أقرها .	٣٥٤ر٢٥٨			
. . . . . .		٢٢ر٨١١ر٨٠٥	٥ ٦ ٨١٤ر٧٠٧	٣١ ٨٠٤ر٦٤٩
عن الميرى المقرر على الأشخاص		٢ر٥٠٩ر٠٨١	٩ — ٨٩ر٦١٠	٧٤ ٨٨ر٥٠٣
الإجمالى		١١٦ر٦٥١ر٧٢٧	١ ٢ ٤ر١٦٦ر١٣٣	٤٧ ٤ر١١٤ر٦٩٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومهما يكن شأن فائض الضرائب العامة ، فحيث كان يتم تحصيلها لحساب البكوات والشخصيات الأخرى ، الذين يفترض ان السلطان قد خصصها لهم ، فان هذه الحصيلة لم تكن لتنشىء الا ادارات و تنظيمات خصوصية .

ويقودنا هذا التوضيح ، الذى يفصل بطريقة محددة بين دخول السلطان ، وعوائد الملاك وحكام المناطق ، الذين يعهدون بجبايتها وادارتها الى مباشرين اقباط ، والذى بدونه ، لن نجد فى حوزتنا سوى خليط مضطرب ومشوش عن الادارة المصرية ، يقودنا الى بعض التفاصيل حول وظائف الروزنامجى ، وهو الجابى العمومى لأموال السلطان ، وكذلك حول وظائف الافندية الموكلين بالجباية .

كان الروزنامجى يعين من قبل الباشا بترشيح من الديوان ، وكان يختار من بين الروزنامة ، اى هيئة الافندية التى ادخلها فى مصر السلطان سليمان لادارة مالية الباب (العالى) . وكان يصب فى صندوقه المال الميرى المقرر على الاراضى وعلى الوظائف وعلى الصناعة والتجارة عن طريق الابداعات التى كان يضعها الملتزمون وحكام المواقع بين يديه ، اما الضرائب على الأشخاص فكانت تصل حصيلتها الى خزينته عن طريق الاغا الموكل بجباية هذه الضريبة بصفة خاصة . وكانت عمليات الروزنامجى تدار بمقتضى لوائح توزع مختلف فروع اختصاصه على أفندية تابعين له .

وقد سبق لنا أن سمينا وظائف اهم هؤلاء ، مثل أفندى الشرقية ، وافندى الغربية ، وافندى الشهر وافندى الغلال الخ كما سبق أن بينا بالتفصيل مختلف الوظائف ومختلف الرسوم التى كانت تخضع لدفع المال الميرى والتى دونت فى سجل يمسكه أفندى يسمى حلفا . ولم يكن الملتزمون الجدد ، عند كل عملية نقل حيازة (بالشراء أو الارث) يحصلون على حق التمتعبالرسوم والعادات التى كان يتمتع بها أسلافهم الا بعد حصولهم من الباشا على حجة تسمى تذاكر التمكنات ، كان لابد أن يسجلها هذا الموظف ، وكان هؤلاء الأفندية يخطرون المولين بما عليهم أن يسددوه ، لكنهم لم يكونوا يحصلون شيئا بأنفسهم ، وكان عملهم يقتصر على تسليم مخالصة للممولين توضح أنهم قد دفعوا للروزنامجى المبرى المقرر عليهم . وكانت اخطارات الدفع الموجهة الى الملتزمين تبين اجمالى الضرائب المقررة عليهم ، لكن الروزنامجى لم يكن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أيقر هذه الاخطارات الا بعد أن يقوم بمطابقتها ، اذ كان من الضرورى أن تنطبق بيانات هذه الاخطارات مع السجل العام للملكيات والرسوم الخاضعه للميرى ، وهو السجل الذى يمسكه الباش حلفا ، أى الموظف الاول لدى الروزنامجى ، اذ أن الدفاتر التى كان يستخدمها الأفندية أساسا لتوزيع الضرائب لم تكن سوى أجزاء منسوخة من هذا السجل .

وحيث قد أوضحنا حصيلة الضرائب العمومية التى تؤول الى كل من السلطان والباشا والبكوات والكشاف حكام الولايات والموظفين الآخرين فى الدولة فانه يدخل فى موضوعنا هنا أن نعرف بالانفاقات العامة التى تقع على عاتق هؤلاء وسنعرض لذلك فى الباب التالى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الثانى

الإنفاقات العامة

الفصــــــل الأول

انفاقات تقع على عاتق السلطان وتدفع خصما من الميرى

سوف نطابق الحصيلات من كل نوع ، والتى بيناها فى الموجز الذى قدمناه عن دخول السلطان ، مع الانفاقات المطلوبة .

وسوف نقدم حسبما تسمح لنا المعلومات التى بين ايدينا تفســيرات موجزة او مستفيضة عن اصل وغرض وبنود الانفاقات التى قد لا يتيسر لنا الالمام الكافى بها من مجرد تعدادها .

أولا : رواتب قررها السلطان لموظفين مختلفين ، بالاضـــــافة الى الامتيازات من كل نوع ، والتى كانوا يتمتعون بها :

الى الباشا :

تقاوى البرسيم اللازم لعلف خيوله		
فى كوم الأحمـــر	١٧٠ر١	مدينى
لحم ضــــأن	١٢٦٫٨٣٠	
خشـــب	٥٫٨٥٤	
مـــلح	٣٫٥٥٩	
ارجل ورءوس المخ الثيران والابقار		
التى تذبح للجزارة	٩٫٨٣٥	١٦٧٤٤٧
صـــابون	٣٫٧٩٣	
جــــرار (جــــرة)	١٫٠١٠	
لوكيل هراجه (مدبر اقامته) . .	١٥٫٣٩٦	

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى الباشا :

أطلاق ولاية الجيزة ١٦٫٦٦٦

حبوب يحصل على ثمنها نقدا بشكل منتظم من بينها ٤٣٫٢٠٠ مدينى تؤخذ من الخــزنة . . . . . ٧٢٣٫٨٧٥

اجمالى ما يدفع للباشا . . . . ٩٠٧٫٩٨٨

الى البكوات :

تقاوى برسيم لعلف الخيول فى الاراضى التى جنبت لهم لهذا الفرض . . . . ١٦٫٢٩٤

الى أوجاق المتفرقة :

فى ولاية البحيرة . . . ١٠٤٫٨٥٧

فى قرية سرنبـــاى خصما على الخزينـــة ٤٨٤

الاجمـــالى . . . . ١٠٥٫٣٤١

الى أوجاق الجاويشـــية . . . . ٩٨٦٫٤٤٤

الى الوالى أغا الشرطة بالقــاهرة . . . . . ٣٠٩٫٠٠٠

الى أمين الاحتساب . . . . ١٩٫٤٩٧

الى الروزنامة او هيئة الأفندية :

الى الروزنامجي والأفنـــدى المحتسب خصما من مشتريات الكتان ٢٨٫٠٠٠

الى الكتبة فى مكتب الروزنامجي . ٧٤٫٨٢٥

كجراية من الحنطة والشعير :

للروزنامجى	٢٧٫٦٥٠
للكتبـــة	٢٥٤٫١٠٤
للباش حلفـــا	٦١٫١٧٢
لأفندى الشرقية	١١٫١٢١
لأفندى الغربية	٣٣٫٣٦٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لأفندى الشـــهر	٦٤ر٤٥٤
لأفندى الغلال	٣٩ر٩٩٠
اجمالى الجراية	٤٩١ر٨٥٨
اجمالى ما يدفع للروزنامة	٥٩٤ر٦٨٣

الاجمالى العام للنفقات التى تقع على عاتق السلطان ٢ر٩٣٩ر٢٤٧

د س

وهى تعادل ٢ ٠ ٢ ١٠٤ر٩٧٣ جنيها توريا

وبالفرنكات ١٤ ١٠٣ر٦٧٧ فرنكا

وعلى الرغم من أن الراتب المخصص للباشا فى مقابل الاستهلاكات المتنوعة التى أوضحناها بالجدول جاء مقدرا بالمدينى ، فان السلطان كان قد قرر أن تسدد عينا . وكان مدير جمرك بولاق ، وأمين الاحتســـــاب ، وملتزم دمياط ، وهم الموكلون بتوفير السلع التى يتكون منها هذا الراتب ، يحصلون فى مقابلها على المبالغ المذكورة ، وعندما كانت قيمة هذه الأشياء تتجاوز المبلغ المعتمد لهذا الغرض كان على الباشا أن يحيطهم علما بذلك ، وكان على بقية الموظفين الذين يحصلون على جراية من الغلال أن يسلكوا نفس هذا السلوك .

وقد سبق لنا القول أن الاطلاق (أو الاسلاق) هى الاراضى المعفاة من كافة الضرائب ، وانها كانت تخصص لتوفير العليق لخيل الباشا والبكوات . وحيث طلب الملتزمون الذين تدخل أراضى الاطلاق هذه ضمن زمام قراهم أن يضموا هذه الاراضى الى أراضى الوسايا فقد خولوا ذلك مقابل مبلغ سنوى قدره ١٦ر٦٦٦ مدينى أوردناها بالجدول ،وقد أدخل هذا المبلغ ضمن المال الميرى المقرر على ولاية الجيزة .

وفى العام ١١٧٩ من الهجرة منح السلطان مصطفى للباشا راتبـــا اضافيا على نفقة الخزينة ، ويبلغ ١ر٧٢٨ أردبا من الحبوب تقدر قيمتهـــا بواقع سعر الاردب الواحد ٢٥ مدينى بـــ . . . . ٤٣ر٢٠٠ مدينى

واذ كان هـــذا المبلغ يشـــكل زيادة على الـــ . ٦٨٠ر٦٧٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهى حصته من الميرى العينى المقرر على مصر العليا والذى يقدر بـ ٢٢٧ر٢٧ أردبا بواقع سعر للاردب يعادل نفس السعر السابق ، فان هذا المبلغ يصل باجمالى الدخل الذى كان يتمتع به الباشا الى . . . . ٨٧٥ر٧٢٣ مدينى

وهو المبلغ الموضح بالجدول .

وحيث قد أمر هذا السلطان نفسه ، فى نفس العام ، الا يدفع ثمن مشاقة الكتان التى ترسل كل عام الى القسطنطينية خصما على أرصدة الخزنة ، فقد اضيف ثمن هذه السلعة المشتراة الى مصروفات الميرى فى مقابل ٣٥٠ر٧٠٥ مدينى . وفى عام ١٢٠٠ من الهجرة ، عندما لاحظ القيطان باشا الذى استحوذ على السلطة المطلقة فى مصر ، ان هذا المبلغ غير كاف ، وان الباشوات كانوا قد أدخلوا عادة أن يستكملوا ثمن هذه السلعة خصما من الخزنة ، فقد أعاد من جديد النظام الذى كان متبعا قبل السلطان مصطفى . اى انه أمر بأن يخصم ثمن مشاقة الكتان التى قد يطلبها السلطان من الخزنة اى من الاموال التى ترسل اليه . ولم يدع متبقيا على عاتق المال الميرى سوى الـ ٠٠٠ر٢٨ مدينى التى خصصها السلطان للروزنامجى والافندى المحتسب كخصم « تنزيل » يتم لحسابهم من المبالغ التى كانوا يستخدمونها فى القيام بمشتريات من نفس النوع .

ثانيا — مصروفات الجيش

رواتب :

البكوات	٢٤٨ر٦٦٦
الفرق الظافرة أو الاوجاقات . .	٠٢٦ر٢٥٨ر٢٦
حاميات القلاع والطوابى . .	٤٨٧ر٧١٩ر٢
حاميات قلاع الواحات بالقرب من أسوان	٧٣٠ر١١٣
اجمالى الرواتب	٤٩١ر٧٥٧ر٢٩

المؤن :

البارود	٧٤٦ر١٠٩
الخشب كوقود لافران الخبز . .	٤٢٠ر٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاضـــــاءة ٠٠٠ر١

اجمالى نفقــات المــؤن ١٦٦ر١١٥

وبذا يبلغ اجمالى مصروفات الجيش ٦٥٧ر٨٧٢ر٢٩

	د	س
وهى تعادل ١	١٢	٨٨٠ر٠٦٦ر١ جنيها نوريا
وبالفرنكات	٣١	٧٠٩ر٠٥٣ر١ فرنكا

وكانت اعتمادات الجيش توزع بطريقة يبلغ معها راتب كل جندى فى العام الواحد ١٨٢ ١/٢ مدينى ، فى حين كانت رواتب الضباط تتناسب مع رتبهم ، فكانوا يحصلون على ضعف أو ثلاثة أمثال هذا المبلغ بأقساط قيمة الواحد منها ١٨٢ ١/٢ مدينى تستحق الدفع بتفويضات على الخزينة العامة تسمى اوراق الجامكية (اى اوراق مرتبات) . وكان كل واحد من البكوات يحصل على ٦٦٦ر١ مدينى من هذه الاقساط بحيث تبلغ المعاشـــات التى كانوا يحصلون عليها فى الأصل : ٠٨٠ر٢٩٧ر٧ مدينى . ويؤكد البعض أن مرتبات (جامكية) الاوجاقات كانت تبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠ مدينى . وكان البكوات والاوجاقات ينظرون الى هذه الجامكية باعتبارها ملكية خاصـــة وليست رواتب مستحقة لوظائفهم ، وحين قام هؤلاء ببيع او بالتنازل عن الجزء الاكبر منها فقد انتهى بها الامر أن تحولت الى سندات مستحقة لكل الحائزين لها فى حين اصبح من بين ملاكها اطفال ونساء . وان المرء ليجهل لماذا كانت الحكومة والباشا يتسامحون فى مثل هذه المبيعات ، وان كان لا يخامرنا شك فى أن المثال الذى قدمه كل من سليم وسليمان حينما خصصا أوراق مرتبات (اوجامكية) لصالح المساجد و المنشآت الخيرية ، قد برر فيما يبدو للاخرين أن يسلكوا سلوكا مشابها . ومهما يكن الأمر فان أوراق الجامكية الخاصة بالبكوات والاوجاقات ، والتى كانت لا تزال تبـــاع وقت مجىء الفرنسيين لم تكن تتجاوز المبالغ التى بيناها . ومن جهة اخرى فاننا لم نفصل عن هذه رواتب حاميات القلاع والطوابى الا لأن السلطان قــد خصص مبلغا معينا ينفق خصيصا فى هذا الغرض . وتتشكل هذه الحاميات جزءا من أوجاق المتفرقة ، لكن هذا الاوجاق لم يكن هو الذى يكون حاميات قلاع الواحات ، وكان القائد يجند لهذه الخدمة اتراكا وبربرا ومغاربة ، كان يدفع رواتبهم من المبالغ الناتجة عن أوراق الجامكية التى كانت تعطى له .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتوضح ضآلة المبالغ المخصصة لنفقات المؤن والتموين ان السلطان كان قد وضع الجزء الأكبر من المصروفات المطلوبة على عاتق حكام المواقع . ويمكن لنا أن نحدس كذلك أن الكثير من المصروفات المماثلة قد أبطلت بعد زوال المؤسسات أو الأنظمة التى أوجبتها .

ثالثـا — مصروفات متنوعة

المقيـاس :

للصيانة . . . . . ٩٧٦ مدينى

للستائر ٤٣٩

لشيخ المقياس ١ر٠٧٤

اجمالى نفقات المقياس ٢ر٤٨٩

مجرى العيون والآبار التى اقيمت عليها سواقى فى مصر العتيقة :

أجور العمال المستخدمين فى الآبار بما فى ذلك ٤ر٠٠٠ مدينى تؤخذ خصما من الخزينة . . ٤٤ر٤٣٦

تبن للتيران المستخدمة فى الآبار بالاضافة الى مصروفات صيانتها ٦٨ر١٢٠

اجمالى مصروفات الآبار ١١٢ر٥٥٦

جسور لترع بحيرة تنيس والنوارة . . . ٣٦ر٦٢٣

ازالة الطين المتراكم تحت القناطر . . . ٨٦٠ر٧٩٨

مشاعل مقامة على شواطىء الترع لمنع تحويل مجراها ١ر٧٥٩

محطة ابدال مقامة فى العريش لبريد السلطان(*) ٧ر٨٠٠

قفاطين يوزعها الباشا على من يتولون المناصب ٧٤٢ر٠٠٠

صيانة الحمام التركى الموجود أسفل القلعة (حمام الخاصة) ٩ر٦٦٧

جرار للمياه يستخدمها الديوان ١٥٠

(*) حيث يتم ابدال الخيول أو الدواب المستخدمة فى نقل البريد . (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تغليف (تجليد) سجل الميرى العام . . .	٢٨٢ر٢
للسقايين بالسويس	٦٦٠ر٢١
لكاشف ولاية البحيرة مقابل صيانة الترعة	
التى تنقل مياه النيل الى صهاريج الاسكندرية	٠٠٠ر١٦
سبيل حسن باشا بقلعة القاهرة	٠٠٠ر١١
بئر يوسف افندى بالقلعة خصما على نفقة الخزنة	١٠٠ر٣
سبيل ابراهيم الكخيا	٠٠٠ر٥

مشتريات للباب العالى :

شربات يدفع من ثمنه ١٢٤ر٧١		
مدينى خصما على الخزنة . .	٦٩٠ر١٠٦	
ارز وعدس خصما على الخزنة	٩٦٩ر٧٠٢	
. . . .		٦٥٩ر٨٠٩

الاجمالى العام			٥٨٥ر٦٥٣ر٢ مدينى
	د	س	
ويعادل هذا المبلغ	١٠	١٧	٧٧٠ر٩٤ جنيها توريا .
وبالفرنكات		٩٠	٦٠٠ر٩٣ فرنكا .

ومن المعروف أن مقياس النيل كان يقام داخل سور يسهل اتصاله بالنيل ، اقيم عند الطرف الجنوبى لجزيرة الروضة . وكانت حراسة وصيانة هذه المنشأة امتيازا وراثيا لشيخ من نسل ذلك الشيخ الذى سبق أن وكله بذلك السلطان سليم . ويقوم هذا الشيخ ، عندما تنخفض مياه النيل ، بازالة الطمى الذى يتراكم على سفل المنشأة . أما المر الداخلى الذى يسيطر على حاشيته فكانت تحميه فيما مضى ستائر ظل دفع الاعتماد المخصص لتجديدها مستمرا حتى عندما زالت هذه الستائر .

وبمجرد أن يبدأ النيل فى الارتفاع(١) ، يأخذ الشيخ فى الاعلان عن المقياس الذى بلغه ارتفاع المياه يوميا عن طريق منادين يجوبون الشوارع ، ويقفون بكل البيوت . وكان السكان يجدون سعادتهم فى تقديم الخبز والنقود الى هؤلاء المنادين .

---

(١) عند نحو بداية انقلاب الصيف .

وكان هؤلاء يتجمعون عند ظهيرة كل يوم فى مسجد يقع الى القـرب من مصر العتيقة لكى يعلن لهم شيخ المقياس مقدار الفيض الذى بلغـه النيل منذ العشية(١) .

اما الخليج فكان يفتح الى الشمال من مصر العتيقة على فرع النيل الصغير الذى تصنعه جزيرة الروضة ، وهو يعبر القاهرة ويمضى ليروى ولايتى القليوبية والشرقية(٢) . وكان البك مكلفا بأن يصنع فى داخل هـذا الخليج جسرا يمتد لمسافة خمسين قدما لكى يمنع مياه النهر من أن تتوغل فيه وبذلك تصبح مياهه أعلى مما كان ينبغى ، كما كان مكلفا بالعمل على ازالة الطين المترسب فى المساحة القائمة بين هذا الجسر وبين مجـرى النيل ، فى مقابل حصوله على الـ ١١٫٠٤٢ مدينى المرصودة لهذا الغرض. ويتم قطع سدة الخليج فى الخامس عشر أو الثلاثين من اغسطس ، ويصبح الموعد اكثر اقترابا من التاريخ الأخير عندما تكون هناك خشية من حدوث فيضان مدمر . وفى عشية هذا اليوم يرحل أمين البحرين(٣) من بولاق فى قارب تزينه البيارق والاعلام ، ومجهز بأربعة مدافع تطلق نيرانا مستمرة ، يمضى ليأخذ مكانه عند فتحة الترعة ، وما أن يحل الليل حتى تطلق الالعاب النارية على ضـفافه ، وفى هذه الليـلة تكف الشرطة عن ممارسـة قساوانها المعهودة ، فلا تعتقل أو تضايق أحدا ، ويبدى الناس وهم يتدفقون فى الاحياء المجاورة فرحة طاغية بعيد يضمن لهم ما يعود عليهم به النهر ، صانع حياتهم ، من فوائد ومباهج ، وتنتشر الفرحة والبهجة على سـطح المياه مع ما يسبح فوقها من قوارب عديدة تغطيها ، بل أن النسوة انفسهن،

---

(١) اليكم مقياس فيضانات النيل أثناء مدة اقامة الفرنسـيين بمصر ابتداء من أقصى انخفاض له :

العام السابع (من قيام الجمهورية الفرنسية — ١٧٩٨) ٢٢ قدما و٦ بوصات — جيد .

العام الثامن ٢١ قدما وبوصتان — متوسط .

العام التاسع ٢٤ قدما و٨ بوصات — جيد جدا .

وطبقا لما يتوله المسيو لوبير فان النيل لا يهبط مطلقا لأدنى من ٥ اقدام .

(٢) تستخدم هذه الترعة فى ملء اسبلة المدينة ، كما انها تحول الى برك صالحة للملاحة الميادين المسماة الازبكية وبركة الفيل الخ ، حيث يحلو للمواطنين ان يتنزهوا بالقوارب .

(٣) أى ملتزم الرسوم التى تحمل هذا الاسم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهن اللاتى ببقين طيلة العام قابعات خلف أسوار حريم ، يشـــاركن فى هذه البهجة العامة ، فيندفعن منفصلات عن الرجال فى زوارق ينبعث لهن الغناء والموسيقى التى تعزف فيها لحظة من السعادة . وعند نهاية النهار يقلل الوالى من سمك السد ، ويتوجه كثير من الشيوخ الى المقياس ليمضوا الليل فى تلاوة القرآن واقامة الصلوات كى يبارك الله فيضان النيـــل ، وينجه البكوات وكل الموظفين الى شاطىء الخليج ، وهناك يعسكرون مع كل بيوتهم ، وعند انبلاج نهار اليوم التالى يتخذ الباشا مكانه ، تحيط به حاشيته ، فى سرادق مقام على شاطىء مدخل الخليج . حيث يلحـــق به القاضى وكل أصحاب المناصب ، ويعلن شيخ المقياس فى حضرة ممثـــل السلطان ، يحيط به الديوان المهيب ، أن ارتفاع النيل قد بلغ الـــ ١٥ ذراعا المطلوبة (٢٥ قدما)(١) ، ويحرر القاضى حجة تشهد فى الوقت نفسه أن المياه قد بلغت الارتفاع اللازم لفتح سدة الخليج ولجباية المال الدر ، ثم يوقع هذه الحجة بعد أن يسجل أن الباشا وكبار ضباط الولاية قد شهدوا تحريرها ، ويتم الاسراع بقطع السد ، ويعاون عمل النهر عمل العمـــال فيختفى السد ، ويتهادى أول ما يتهادى قارب والى بحر السنبقة فوق المياه التى تندفع مدومة فى الخليج ، فاذا ما حدث أن انقلب قاربه بفعل اندفاع المياه فان القهقهات الصاخبة تعلو من جمهور الناظرين ،ويملأ كل سكان القاهرة البيوت المجاورة للخليج أو ينتشرون على شاطئيه ، ويهـــرع الى هناك الجميع ، رجالا ونساء وأطفالا ، مع اندفاع المياه التى تستحوذ على مشاعرهم ، وينسب الناس جميعا الى هذا المجرى ، وقد أصبح صاخبا ، الكثير من المعجزات ، فتلقى به النسوة خصلات من شعرهن أو بقطع من مزق ملابسهن وهن يأملن فى الحمل والانجاب أو أية مطالب نافعة ينتظرن تحقيقها من وراء هذه القرابين . ويلقى الباشا وصحبته بقطـــع من الذهب والفضة وبحفنات من المدينى الى العمال الذين ساهموا فى قطع الســـدة ويراقبون حركة المياه ، ويحصل هؤلاء ، من عدد كبير من النظارة على هبات

---

(١) لم يكن الفيضان الفعلى يبلغ فى ذلك الوقت وفقا لمـــا يقـــوله المسيو لوبير سوى ١٢ ذراعا (٢٠ قدما) ، ولم يكن هذا الفيضان ليصبح كافيا لرى المساحة العظمى من الأرض لو أنه قد ظل عند هذه النقطة ، فلقد كان الفيضان فى العام الثامن من الجمهورية (١٨٠٠) ضعيفا برغم بلوغه ٢١ قدما وبوصتين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مماثلة ، يتسابقون للحصول عليها مع من يزاحمونهم من الجمهور ، وكان هؤلاء يختارون على التعاقب من بين الاتراك واليهود ، وينتهى الحفل بتوزيع القفاطين التى يخلعها الباشا على ولاة القاهرة ومصر العتيقة وبولاق ، وكذلك على كبار ضباط الاوجاقات الذين يحضرون الحفل(١) .

ونادرا ما تكون البيانات المعلنة والتى تسبق دخول المياه الى الخليج مطابقة للحقيقة ، وان كانت تلك التى تعلن بعد ذلك هى التى توضح بدقة اجمالى الفيضان والحالة اليومية لارتفاع مياه النهر ، ويتوقف اعلان هذه البيانات بدءا من أوائل اكتوبر ، وهو المدى المعتاد الذى يتوقف عنده تزايد المياه(٢) .

وتصل مياه النيل الى سفح قلعة القاهرة عن طريق مجرى يأخذ مياهه من جنب فم الخليج ، بفعل ثلاثة آبار تعمل عليها سواق ترفع المياه الى المستوى اللازم لبلوغها هذا المجرى ، اما الآبار (أو الاسبلة) التى تنتهى اليها فتؤمن استهلاك السكان وحاميات القلعة . وهناك افندى موكل بصيانة الحبال والدواب وتقديم الاجور الى العمال الملحقين بهذه المنشأة ، اما امين الشون (شونة) فيوفر التبن اللازم لطعام الثيران . وفى عهد السلطان مصطفى ، زيدت الأموال المخصصة لهذا الضرب من ضروب الانفاق ، على نفقة الخزينة ، بمبلغ ٤٠٠٠ مدينى ، ضمناها فى المبالغ الموضحة .

---

(١) عندما يتم تنظيف فم الخليج ، يترك فى الوسط عمود من الطين يسمى العروسة ، أى الفتاة المقبلة على الزواج ، ويشعر الناس بالبهجة الغامرة اذا ما حملت المياه بغتة هذه الكتلة من الطين، أما إذا قاومت هذه الكتلة فعل المياه لوقت طويل ،فان الناس يشعرون بالغم والكدر كما لو أن الأمر نذير بأن الفيض لن يكون سعيدا . وتحمل هذه العادة ذكرى خرافة بشعة عن المصريين الوثنيين حين كانوا يضحون بشابة صغيرة كانوا يقدمونها للنهر على أنها زوجة له .

(٢) يشكل العيد الذى يحتفل به الاقباط على شرف الصليب ، والذى يتم فى نفس هذه الفترة على وجه التقريب حفلة حلت فيما يبدو محل خرافة قديمة من خرافات المصريين القدماء ، فيبدأ البطريرك ، يتبعه رجال الدين وبقية شعبه ، المسيرة من دير يقع الى جنوب مصر العتيقة ، وبعد ادعيات طويلة ، يذهب البطريرك ليلقى فى النيل بصليب صغير من خشب ، ويحذو حذوه كل تابعيه ، ويسر المسلمون كثيرا بهذا العيد ، ولابد أنهم سياسفون كثيرا لو حدث أن توقف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتقام فى كل عام سدود لفتحات ترع بحيرة تنيس والنوارة التى تصب مياهها فى السهول الرملية المتاخمة لدمياط ولطابية العزبة حتى لا تتوغل فى مجارى هذه الترع مياه البحر . وكان أغا الطابية أو الحصن يحصل على ٣٦٫٦٢٣ مدينى فى مقابل بناء هذه السدود .

ويجد المرء فى كل انحاء مصر قناطر مبنية بالحجارة مقامة فوق ترع الرى ، ويمكن للطمى الذى يتراكم حول اقواس هذه الترع أن يعوق مجرى المياه . وكان حكام الولايات ملزمين بالعمل على ازالته (أو تجريفه) ، وهم يقتسمون الأموال المرصودة لهذا العمل طبقا للتوزيع الآتى :

سيوط	٧٥٫٠٠٠ مدينى
منفلوط	١٤٫١٦٤
بنى سويف	٣٧٫٥٠٠
الفيوم	٢٩٫١٣٢
الجيزة	١٢٥٫٠٠٠
القليوبية	٤٠٫٤١٠
الشرقية	٦٧٫٦٧٥
البحيرة	١٢٥٫٠٠٠
المنصورة	٧٣٫٩٨٥
الغربية	٢٥٠٫٠٠٠
المنوفية	٢٢٫٩٣٢
اجمالى مطابق	٨٦٠٫٧٩٨

وكان محرما انشاء قنوات أو مساق (مسقى) ترفد عن النيل أو الترع التى تتفرع عنه أثناء الفيضان ، ويسهر على ذلك ليلا ونهارا حراس يختارون من أوجاق الشراكسة ، ويحصل هؤلاء على المبلغ الموضح لكى يقيموا على الشواطىء مشاعل تسهل عملية الرقابة التى يمارسونها .

ولا تصل مياه النيل الى السويس ، فكل المياه التى تستهلك هناك تغترف من عيون موسى ، وتمضى الى داخل صهريج واسع للمياه حيث تخزن مئونة المياه اللازمة للمدينة طيلة العام . وقد خصص السلطان سليم للسقائين المستخدمين فى نقل هذه المياه ، المبلغ الذى أوضحناه .

وقد قام أحد الباشوات واسمه حسن ببناء خزان مياه عمومى (سبيل)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بقلعة القاهرة ، لا يزال حتى اليوم يحمل اسمه ، وينفق لملء هذا الخزان كل عام من الأموال التى رصدها لخدمة هذا المرفق .

ويحدث الشيء نفسه لبئر يوسف أفندى ، الذى خصص السلطان مصطفى لصيانته ٣٫٠١٠ مدينى ، تؤخذ خصما على نفقة الخزنة .

وقد فرض اسماعيل بك ميرى قدره ٥٫٠٠٠ مدينى على وكالة الزعفران ببولاق ، وخصصت لصيانة سبيل ابراهيم الكخيا فى القلعة ، وهذا السبيل واسع لحد أن الجيش الفرنسى قد استخدمه لتخزين مؤنه (من المياه) أثناء الحصار .

ويرسل الباب العالى سنويا الى القاهرة شوربة جى (شوربجى) باشى الموكل بصنع صنوف من الشربات للسلطان ، فيشترى المواد اللازمة ، ويصنع بنفسه هذه المشروبات الحلوة ، وكان يعطى له طبقا للوائح سليمان مبلغا قدره ٣٥٫٥٦٦ مدينى مقابل نفقاته ، وفى عام ١١٧٩ من الهجرة أمر السلطان مصطفى برفع هذه النفقات الى ١٠٦٫٦٩٠ مدينى(١) ، ويعطيه الباشا بخلاف ذلك مبلغ ١٠٫٢٠٠ مدينى لينفقها فى شراء مواد عطرية تعطى لهذه المشروبات رائحة مستحبة ومذاقا أفضل . وتقضى العادة كذلك أن يقدم له الباشا هدية تبلغ ٤٫٠٠٠ مدينى ، كما شاء السلطان مصطفى أن يخصص مبلغ ٨٧٥٫٩٧٢ مدينى لمصروفات شراء وارسال السكر الى الباب العالى ، ولم نشر نحن الى ذلك مطلقا لأن القبطان باشا قد حذف هذا المبلغ فى عام ١٢٠٠ من الهجرة من الانفاقات التى تقع على عاتق الميرى ، وأمر بأن يؤخذ هذا المبلغ خصما من الخزنة اذا ما أرسل السلطان فى طلب السكر ، وان كان فى نفس الوقت قد أبقى على تصرف السلطان مصطفى الذى تضى باعتماد مبالغ تؤخذ من أرصدة الخزنة ، وتخصص للاغراض التى نوردها فيما يلى :

٢٫٠٠٠ أردب من الارز من انتاج قرية فارسكور
والقرى المجاورة . . . . . . ٣٢٠٫٠٠٠ مدينى
١٫٠٠٠ أردب من أرز دمياط . . . . . ١٦٠٫٠٠٠

---

(١) أخذ منها اذن مبلغ ٧١٫١٢٤ خصما على نفقة الخزنة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ر٠٠٠ أردب من عدس القـــاهرة . . . ١٥ر٠٠٠
مصروفات شحن الارز والعدس ١٨٢ر٣٠٦
خصم (أو تنزيل) يتم لصالح الروزنامجى والكتبة ٢٥ر٦٦٣

اجمالى مطابق للمبلغ الوارد بالجدول ٧٠٢ر٩٦٩ مدينى

وكان الروزنامجى يشترى هذه السلع الغذائية من ملتزمى الجهـات التى ينبغى عليها توفيرها ، ويسدد أثمانها بالأسعار التى أوردناها . وحين أصبح مراد ملتزما لدمياط وعثمان ملتزما لفارسكور ، توقفت هذه التوريدات كما توقفت توريدات عدس القاهرة ، ومع ذلك فقد ظلت هذه تدخل ضـمن انفاقات الميرى لأن مراد وابراهيم طلبا الى الروزنامجى أن يضـمها الى الدخول المخصصة لهما .

رابعا : المعاشات والمرتبات

اجرى سليم وسليمان معاشـات أو رواتب متنوعه لرجـال الديانة الاسلامية والارامل والايتام ولاشـخاص منفرقين ، وحذا حـذوهما خلفاؤهما بل ، وكذلك ، الباشوات والبكوات ورجال الاوجاقلو (العسـكر) العاديون ، الذين انتهى بهم الأمر ، حتى يضمنوا وصول هذه الرواتب الى الاغراض المخصصة لها ، الى تكليف الروزنامجى باستلام الأمـوال التى نزلوا عنها وان يتصرف فيها طبقا للنوايا التى أبدوها .

واليكم جدولا بالمصروفات التى كانت قائمة عند وصول الجيش الفرنسى الى مصر :

الى المشـايخ والعلماء . . . . ١ر٢٩٥ر٥٣٤ مدينى
للايتـام ٢ر٨٢٤ر٦٦٢
للارامـل ٣ر٢٨٦ر٣٤٨

للشـيوخ :

عطاء الله السكندرى ٤٠
ابو السـعود ٩٨
بهى الدين المجدود ٩٨
محمـد الجـاكى ٩٨
محمد ابو طرطور ٣٩١
المجموع ٧٢٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى عائلة سليمان افنـــدى	٢٧ر٠٠٠
الى أشخاص متفرقين كمعاشات تسمى رزق نقـــدية :	
فى ولاية القليوبية . . .	٣٥٤ر٥٨٠
فى ولاية الجيزة	٦٥٠ر١٤٥
المجمـــوع	١ر٠٠٤ر٧٢٥
الاجمـــالى	٨ر٤٣٨ر٩٩٤

	د	س	
وتعـــــادل	١٠	١٢	٣٠١ر٣٩٢ جنيها توريا
وبالفرنكات		٧٧	٢٩٧ر٦٧١ فرنكا

وكانت المعاشات او الرواتب التى أجريت للمشايــــخ والعلماء تعطى لهم فى شكل أوراق مرتبات . ويبدو أن هذه المعاشات لم تكن تشكل فى عهد سليمان مثل هذا الحجم الكبير ، لكن الوازع الدينى قد دفع بالمـلاك الى تخصيص ارصدة من نفس النوع اضيفت لتلك العطاءات التى خصـصها السلاطين ، وهو الذى بلغ بها الحجم الذى بيناه .

و يمكن أن نقول نفس الشىء فيما يختص برواتب الايتام ، أما معاشات الأرامل التى أصبحت من نصيب نساء الاتراك الذين لاقوا حتفهم عنـــد فتح مصر ، فلم تتناولها اية زيادة ، وان كانت هذه وتلك قد عانت من اهتزاز الثقة فى أوراق المرتبات (الجامكية) التى كانت تتشكل منها ، فى الوقت نفسه الذى ظلت قيمتها فى بنود الانفاق الواقعة على عاتق الميـرى على حالتها نفسها ، ذلك أن البكوات المماليك الذين حصلوا عليها بأبخس الاثمان، قد انتحلوا لأنفسهم حق الحصول على قيمتها من صندوق الروزنامجى .

ويحكى أن السلطان سليم ، بعد أن استعطفت مراحمه جماعة من الشحاذين الشيوخ ، قد خصص لهؤلاء تلك المبالغ الزهيدة الواردة بالجدول، ثم جاءت ذريتهم ، مستندة الى عادة الزامية معظم العطايا الاختيارية ، لتطالب بها ، ولا يزال هؤلاء يتمتعون بها حتى اليوم .

وكانت الوظـــائف المتميزة التى شغلها سليمان ، الافنـــدى الســـابق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاوجاق المتفرقة ، قد جعلته مستحقا لراتب قدره ٢٧٫٠٠٠ مدينى خصصها له الباشا خليل ، وظل هذا الراتب يصرف لاحفاده .

اما الرزق (النقدية) التى فرضها السلطان سليمان على الكثيرين من ملتزمى الجيزة والقليوبية ، فقد خصصها لأشخاص بعينهم اراد — هو — أن يكافئهم . وحيث أن هذه الرزق وراثية وقابلة للتحويل ، فانها لا تختلف عن الملكيات الخاصة الا فى أن الروزنامجى هو الذى كان يحصلها ، ويتصرف فى عائدها الذى كان يدخل ضمن الميرى المقدر على هاتين الولايتين .

خامسا : الأعمال والمنشآت الخيرية

صيانة المقابر :

جورماز الاتابكى	٢٫٥٠٠
الشيخ الدمناوى	٤٫٠٠٠
زاوية برقوق	٣٫٠٠٠
حصرون باشا	٣٫٠٠٠
الشيخ احمد الطحاوى . .	٥٫٥٣٨
الشيخ تاج الدين . . .	٨٠٠
الشيخ احمد النجار . . .	١٫٠٠٠
الشيخ الشهيد	٣٠٠
الشيخ سعد الدين الجمبوى	٢٠٠
الشيخ يوسف العباسى .	٨٠٠
سيدى ابراهيم الدسوقى .	٥٥٠
عطوان الصيفى . . .	٢٫٠٠٠
الشيخ سويدان	٦٨٣
الشيخ السادات	٣٫٠٥٢
الشيخ احمد المنير . . .	٣٠٠
الشيخ عمر الدنبينى . .	٣٩١
الشيخ على ابو النور .	١٩٥
زاوية سنقر	١٩٥
الشيخ عبد الله الجبوشى .	٥٠
الشيخ سويدان	٢٠٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زاوية المشايخ (عدة أضرحة) ١٢٤ر٦٨
القاضى زين العابدين
(على نفقة الخزنة) . . ٣٠٠
الشيخ محمد كريم الدين
الخلوتى (على نفقة الخزنة) ٠٠٠ر٢
المجموع ١٨٣ر٩٩
مساجد ، اديرة ، دراويش ، شحاذون ، عجزة . ٣٥٨ر١٠٩ر١٣
الجامع الازهر :
العلماء ، الشيخ والمدرسون
الاساتذة ٠٣٠ر٥٧٦
شموع لقارىء
القرآن والخطيب٧٧٧ر١
ارز وعسل يوزعان
سنويا على الفقراء٤٨٩ر٢٠ } ٢٦٦ر٢٢
المجموع ٢٩٦ر٥٩٨
عمائم تعطى لمن يعتنقون الاسلام ٨٤٤ر٥
مياه عذبة توزع على الذاهبين لتشييع الجنازات ٨٠٠ر٧
للشيخ البكرى مقابل ما ينفقه فى الاحتفال
بمولد النبى ٥٣٨ر٢
مولد السيد أحمد البدوى فى طنطا :
للفقراء { جبن وبصل ٤٦٨ر١
صدقات ١٧٥ر٢ }
للشيخ العشرة ١٥٠
لعائلة الشناوى
(على نفقة الخزنة) ٠٠٠ر١
المجموع ٧٩٣ر٤
ارساليات الى اورشليم (القدس) :
مصروفات نقل العدس . ٠٠٠ر١
الصرة أو المعاشات . . ٣٢٠ر٣٥
حصر (حصيرة) للمسجد . ٩٥٧ر٩
المجموع ٢٧٧ر٤٦

انارة محراب سيدنا يوسف	٢٫٨٩٥
معونات لايتام المارستان	٢٥٠
صيانة خلوات الدراويش ، ناظم الدين صفهانى . . .	١٢٫٠٠٠
للشيخ الذى يتلو القرآن ليلة فتح الخليج . .	٣٤٢

تيران تستخدم فى ادارة سواقى الآبار التى توجد بمساجد :

الامام الشافعى . . .	٣٧١
الشيخ عمر بن الفارض .	٤١٥
الغورية	٤١٥
سارية الجبل . . .	١٫٢٣٠
المجموع	٢٫٤٣١

قرب مياه تعطي لـ :

جامع الشيخ عمر بن الفارض	٤٤
أوجاق الجاويشية . .	٤٤
أوجاق مستحفظان . .	٤٤
المجموع	١٣٢

الاجمالى . . . . ١٣٫٨٩٢٫١٣٩ مدينى

	د	س	
تعادل	٥	١٦	٤٩٦٫١٤٧ جنيها توريا
وبالفرنكات		٥٤	٤٩٠٫٠٢٢ فرنكا

ويولى المسلمون عظيم احترامهم للموتى ، ويتوجهون كل جمعة ، وهو يوم الصلوات (كذا) لزيارة مقابر ذويهم ، أو أضرحة أولئك الذين ماتوا تحيط بهم هالة القداسة ، وقد أدت العناية بمقابر هؤلاء وكذلك المصابيح التى تضىء هذه الاضرحة الى انشاء بنود انفاق وردت بالجدول .

أما الأموال التى رصدها سليمان لصالح المساجد والأضرحة والدراويش والشحاذين والعجزة فهى عبارة عن أوراق مرتبات (جامكية) ، ولقد تزايدت هذه الاوراق وتدهورت قيمتها وقلت الثقة فيها على نفس النحو الذى سبق لنا أن لاحظناه فيما يختص ببقية الرواتب التى اجريت على الشيوخ والايتام الـخ ، كذلك فان نفس الدوافع (التى سبق لنا بيانها)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هى التى أدت الى استمرار سداد قيمتها للبكوات المماليك ، الذين آلت — هى — اليهم .

والجامع الازهر هو اشهر المدارس التى تدرس بها النظريات الدينية الاسلامية ، وهى المدرسة الوحيدة بالقاهرة ، ومصر كلها ، التى يحصل منها الدارسون على شهادة عليا ، أو شهادة العالمية ، وقد اختصه سليمان — بشكل جزئى — بأوراق مرتبات ، وبرسوم (أو عادات) على نطرون الطرانة ، وبالاضافة الى ذلك كان الازهر يتمتع بعوائد عدد كبير من القرى، ولذلك فان تدهور قيمة أوراق المرتبات لم تحرمه من الاحتفاظ بدخل هائل . وفى خلال شهرى شعبان ورمضان ، يضاء لخطيب الجامع ، وهو العالم الذى يتلو ويفسر القرآن ، اثنان من الشمعدانات الضخمة ، يضم كل منهما خمسا وعشرين شمعة ، وأوصى سليمان بأن يشترى كل ذلك على نفقة الميرى ، وكان الفقراء والعميان ، المترددون على الجامع، يحصلون خلال شهر رمضان ، عقب غروب الشمس على جرايات من الارز والعسل ، رصدها لهم عبد الرحمن الكخيا .

أما المبالغ المخصصة لشراء العمامات التى تقدم لمن يعتنقون الاسلام ، فكانت تودع مع خازن الباشا ، الذى كان يستبقيها لحسابه عندما لا تتم مثل هذه الاعتناقات .

ويتسلم وكيل الخراج ، ويتصرف كذلك فى المبلغ المرصود لدفع أجور السقائين الذين يحملون الماء الذى يوزع فى المقابر على الأشخاص الذاهبين لتشييع جنازات الموتى والصلاة على أرواحهم .

ويحتفل أهل القاهرة بمولد النبى بكثير من الابهة ، فتضاء المساجد والبيوت طيلة ثمانية أيام متصلة ، ويحصل الشيخ البكرى ، زعيم سلالة أبى بكر صهر محمد ، على مبلغ لا يتناسب فى كثير مع الانفاقات التى اعتاد القيام بها . ويزوره فى هذه الايام المسلمون ، وبخاصة الاولياء منهم ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليؤدوا الصلاة معه ، وتكلفه هدايا البن والحلوى التى يقيمها لضيوفه ، وكذا الأنوار التى تزين مداخل مقره والمناطق المحيطة به أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ مدينى(١) .

ويتسبب أولياء عديدون فى نشأة موالد أو أعياد أقل أهمية ، وأهم هذه الموالد هو المولد الذى يحتفل به فى طنطا على شرف السيد أحمد البدوى . وكان هذا الحفل يقام بالفعل فى زمن السلطان سليم ، الذى أمر بأن توزع هناك صدقات وأطعمة على من يوجد بالمولد من الفقراء ، كما خصص ١٥٠ مدينى لشيخ العشرة لكى يتوجه الى طنطا ويتكفل بالاضاءات المعتادة . وكان سليم يرنو من وراء هذه العطايا المختلفة الى تسهيل سبل التجارة التى يمكن أن تنهض فى سوق تقيمها (تلقائيا) هذه الافواج من الحجاج (الزوار) . وحيث كانت عائلة الشناوى تتميز بالحماسة التى تبديها فى زيارة ضريح هذا الشيخ ، وفى الاسهام فى نفقات هذا الاحتفال فقد أمن لها معاشا قدره ١٫٠٠٠ مدينى على نفقة الخزنة .

ويعد الحج الى القدس عملا بالغ الجدارة من جانب المسلمين ، وبخاصة من جانب العرب منهم ، الذين يرون فى هذه الزيارة ، وهم الذين ينسبون أنفسهم الى اسماعيل ، عملا يقصد من ورائه تبجيل ابراهيم واسحاق ويعقوب المدفونين طبقا لمعتقداتهم فى مسجد الرحمن . وكما هو

---

(١) فى ترميدور من العام السابع ، تلقى القائد العام دعوة من الشيخ البكرى لحضور هذا الحفل ، وقد صحبته الى هناك هيئة أركان حربه ، وكنت بالمثل فى معيته . وقد لاحظنا أن العبادات كانت تقتصر على ترتيل رتيب لبعض آيات من القرآن ، وتلاوة نسب الشيخ البكرى ، الذى يدل على أنه من أصلاب سلالة أبى بكر ، وبعد ذلك حصلنا على نصيبنا من عطاءات البن والحلوى . كنا نسلك سلوك المسلمين ، وقد تعشينا مع الشيخ ، ومع أولئك الذين شاركوا فى الوليمة التى أولمت لنا ، وقدمت الاطباق على صوانى واسعة من النحاس ، وأكلنا على طريقة الشرقيين ، لكن النبى حرمنا من نبيذ العشاء (أى لم يقدم لنا بسبب ما تقضى به الديانة الاسلامية) ودارت علينا المياه فشربنا كلنا من نفس البرذق . وقد قسم المدعوون الى عدة مجموعات ، وكان يجلس مع الشيخ القائد العام والجنرال برتييه Berthier (فى مجموعة مستقلة) ، وكانت لكل مجموعة صينية خاصة بها ، وتختلف هذه الطريقة فى تقديم الطعام قليلا مع الاساليب المعتادة عند المصريين ، اذ تمر المائدة نفسها — فى العادة — على التوالى لتنتقل من السادة الى أهل البيت ، وهكذا حتى تصل الى الخدم .

معروف ، فان محمدا نفسه قد قام برحلة الحج هذه ، ولذا فان الورعين من اتباعه يجدون واجبا عليهم أن يحذوا حذوه . وكان مدير هذا المسجد ، يتصل بنائب أو وكيل عنه ، كلف بالقيام بمشتريات العدس اللازمة لاطعام خدم المسجد ومن يلوذ به من الفقراء ، وأخذ سليم على عاتقه سداد نفقات نقل هذه الاطعمة ، كما خصص لنفس المسجد صرة أو معاشا سنويا ، بالاضافة الى اعتماد رصد لشراء الحصر التى تغطى ارضه .

ويقع محراب سيدنا يوسف داخل أرض أورشليم ، وقد بنى على بئر يظن انها البئر الذى سجن فيه على يد اخوته ليبيعوه بعد ذلك الى تجار اسماعيليين . وقد خصص سليم ، على نفقة ميرى مصر ، ما يكفى لتوفير اضاءة وصيانة لهذا المكان المقدس .

وتدعو ضآلة المبلغ المخصص لليتامى المقبولين فى مستشفى المارستان الى الاعتقاد بأن السلطان لم يدر بخلده أن يقدم لهم عونا حقيقيا بقدر ما شاء أن يقدم لهم بعض صدقة . وكانت لهذه المنشأة دخول تتناسب مع الانفاقات التى تقوم بها .

وحيث تقع مساجد الامام الشافعى والشيخ عمر بن الفارض والغورية قريبا من المقابر التى يدفن فيها الكبار (طبقة الحكام) ، فقد كان يتوجه للصلاة فيها حلق كثيرون.وقد خصص السلطان سليمان اعتمادات لشراء وايواء الثيران التى تستخدم فى نزح مياه الابار الموجودة بالقرب من دور العبادة هذه . اما جامع سارية الجبل الموجود بقلعة القاهرة فكان بالمثل يحصل على تسهيلات واعانات . ويجعل الوضوء ، الذى يسبق عادة صلوات المسلمين ، من الاقتراب من بعض الابار امرا ضروريا ، لكننا نجهل السبب فى اعطاء ثلاث من القرب الى كل من جامع الشيخ عمر بن الفارض، وأوجاقى الجاويشية ومستحفظان ، وهو الأمر الذى قرره السلطان سليم .

سادسا : محمل مكة

كسوة للكعبة فى مكة ، منها ٨٠٧ر٢٦٤ مدينى على
نفقة الخزنة ٨٠٧ر٧٩٠
الصرة (رواتب أو معاشات) :
نقدا ، لمكة والمدينة منها ١٤٣ر١٤٥
مدينى على نفقة الخزنة . ٢٢٠ر٩٨٥ر١٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مصروفات لشراء صناديق وزكائب
وتبن ...... الـــخ . . . ٤٨٦ر٤
مجموع الصرة ١٥ر٩٨٥ر٧٠٦

لأمير الحــج :

للآلاى ، أى لذهاب المحمل . ٣٤٩ر٠٣٣
مصاريف مطبخ ٩١٩ر٩٢٤
. . . . ١ر٢٦٨ر٩٥٧
اضافى منحه اياه خلفاء سليم منه ١٢ر٥٨٧ر١٠٧
مدينى على نفقة الخــزنة ٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠
للعربات التى تقل حاملى المدافع ١٢ر٠٦٩
شــــــملات للمذكورين ١ر٢٧٩
لحراس خيمة أمير الحج ٢١٥
للسياس (سايس) ٤ر٧٠٧
لشراء الزيت والكبريت اللازمين لدهن الجمـــال ١ر٤٠٤

للسردارات :

للسردارات أنفســـهم . . ٣٦٦ر٨١٤
اضافى قرره لهم الســــلطان
مصـــطفى على نفقة الخــزنة ٥٦٣ر٧٢٧
. . . . ٩٣٠ر٥٤١
لبغــــال السردارات . . ٤ر٨٧٩
للجبن والبصل الذى يقدم لهم ١٦ر٦٦٧
المجمـــوع ٢١ر٥٤٦
تعويضات للجنود الذين يكونون حامية قلعـــة
المويلح ، على نفقة الخزنة ١٨٠ر٤٤٠
مصروفات متناثرة تتم عند رحيل المحمل :
لادلاء (مرشدى) القافلة . ١ر٢٥٦
بريد جـــوال للقافلة . . ٥ر٥٥٩
بريد من راكبى الجمال للقافلة . ٢ر٧٣٠
المجمـــوع ٩ر٥٤٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لشراء مكاييل خشبية لكيل شعير خيول وجمال أمير الحج ومعيته فى القافلة	٧٩١	
صدقات توزع خلال السفر	١ر٣٦٧	
لتطهير الآبار الواقعة على الطريق	٢٣ر٥٦٢	
خيمة لتغطية الحوض الذى تؤخذ منه المياه . . .	١٣ر٦٥٩	
تبن للثيران المستخدمة فى الآبار ، وبخاصة بئرا النخل والعجرود	١٠ر٩٢٨	
التزود بالتبن فى بعض القرى التى يمر بها المحمل . . .	٦ر٨٨٠	
المجموع		٥٧ر١٨٧
جمل للمبلغ فى جبل عرفات		٢ر٠٠٠

مصروفات تتم أثناء عودة المحمل :

ترفيهات للمحمل يقدمها أظلم باشى وعقبة باشى .	١٩٣ر٢٧٨	
موسيقى يقدمها اظلم باشى .	٨ر٥١٨	
فطائر وحلويات يقدمها اظلم باشى الى أمير الحج . .	١٧ر١٦٤	
المجموع		٢١٨ر٩٦٠

ارساليات تصل الى مكة عن غير طريق المحمل :

نقود فضية وأرز لشريف مكة منها	١ر٢٠٠ر٠٠٠	
مدينى على نفقة الخزنة		١ر٧١٠ر٩١٧
نقود فضية الى الشريفة أورخانة	٣٦ر٠٠٠	
نقود فضية للشريفين حمزة وحسين بركة	١٩٧ر٠٠٠	
المجموع		٢٣٣ر٠٠٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نقود فضية للامير حاكم ينبع خصما على		
نفقة الخزنة		١٨٠٫٠٠٠
ودائع لدى الروزنامجي من الارصدة التى		
خصصت فى الماضى لتوزيع المراكب التى كانت		
تنقل الحبوب الى مكة والمدينة		١٢٠٫٢٢٣
مصروفات نقل الحبوب الى قضاة مكة والمدينة		٢٣٫٥٨١
حصر وزكائب تعبأ فيها الحبوب		٥٢٫٦٨٣
لشراء زيت القناديل لمسجدى		
مكة والمدينة	١٠١٫٦٩٨	
مصروفات نقل الزيت ومنها		
٨٫١٥٠ مدينى على نفقة		
الخزنة	١٦٫٩٠٤	
اثمان الصناديق التى يوضع		
بها ومصروفات نقل هذه		
الصناديق	١٥٫٣٣٤	
. . . .		١٣٣٫٩٣٦
ثمن شمعدانات وصناديق لاحتوائها ، منه ٦٠٫٦٢٣		
مدينى على نفقة الخزنة		١٢٣٫٨١٣
حصر من الفيوم مع مصروفات شحنها . . .		٨٫١٣٨
الاجمالى		٤٢٫٠٧١٫٦٥٤ مدينى

	د	س	
تعادل	٥	١	١٫٥٠٢٫٥٥٩ جنيها توريا
وبالفرنكات		٨	١٫٤٨٤٫٠٠٩ فرنكا

والكسوة هى الاسم الذى يطلق على الطنافس والبسط التى تسلم لأمير الحج كى يكسو بها الكعبة ويزين قبر فاطمة بالمدينة ، وكانت هذه تصنع فى قلعة القاهرة . وقد رصد السلطان سليمان مبلغ ٥٢٦٫٠٠٠ مدينى لنفقات صنعها ، وارتفع السلطان مصطفى بهذا الرصيد ، لكى يجعله كافيا ، الى ٧٩٠٫٨٠٧ مدينى وهو المبلغ الذى أوردناه بالجدول . ويدير ناظر الكسوة عملية صنعوتطريز الاقمشة ، لكنه لا يحيط سوى الباشا علما بكيفية انفاق المبالغ التى حصل عليها لهذا الغرض .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وطبقا للوائح سليمان ، فلم يكن يرسل مبدئيا الى مكة والمدينة ، بمثابة اعتمادات للصرة سوى ١٠٩ر٢٣٠ر٥ مدينى كانت توزع على مساجد عدة ، وعلى شيوخ وسكان كثيرين فى هاتين المدينتين . ومنذ العام ١١٣٨ من الهجرة ارتفع هذا الاعتماد بشكل هائل فى هيئة أوراق مرتبات (جامكية)، خصصت ، بموافقة باشا القاهرة ، للانفاق على مؤسسات مماثلة لتلك التى عناها السلطان سليمان ، وعندما تبين للكثيرين أن مخصصات الصرة كانت تسدد بدقة فى حين أن حصيلة أوراق المرتبات تبدو فى حكم العدم ، فقد التمسوا أن يدخلوا فى عداد أصحاب المعاشات المستفيدين من الصرة ، وأن يحصلوا ، بهذه الصفة ، على عوائد أوراق النقد التى كانت فى حوزتهم . وقد أدى السماح بذلك من جانب الادارة الى اضافة المبالغ الآتية الى رصيد الصرة ، وهى المبالغ التى لا تزال تسدد الى اليوم الى الاشخاص الذين سنشير اليهم :

فى القاهرة :

الى أسرة الشيخ الجوهرى	٥٧٢ر٠٤٤
الى الشيخ البكرى	٢٦٠ر٩٠٠
الى الشيخ السادات	١٤٨ر٦٣٥
لاوقاف عبد الرحمن الكخيا	٢٠٩ر٥٠٣
الى نقيب الاشراف	١٦٥ر٢٩١
الى الشيخ محمد المهدى	٢٢٥ر٠٦٤
الى السيد احمد المحروقى (تاجر) . .	١٩٦ر١٧٤
الى ابراهيم افندى الروزنامجى	٤٠٠ر٠٠٠
الى الشيخ عبد الله الشرقاوى	١٩ر٧٨٠
الى يوسف افندى	٤٩ر٥٥٤
الى خليل افندى	١٣٧ر٥٠٠
الى حسين افندى	٧١ر٢٠٠
الى عدد لا حصر له من الاسماء رجالا ونساء	٥ر٤٦٩ر٣٩٩
	٧ر٩٢٥ر٠٤٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى مكة والمدينـــة :

الى كثيرين من الشيوخ والمساجد والسكان، ويدخل فى هذا المبـــلغ ١٤٣ر١٤٥ مدينى خصصها السلطان مصطفى خصـــما على الخـــزنة	٢ر٨٢٦ر٠٦٧
الاجمـــــالى	١١١ر٧٥١ر١٠ مدينى
ونتيجة لذلك فان الصرة الحالية، عندما يضيف اليهـــا مبـــلغ	١٠٩ر٢٣٠ر٥
الذى اعتمده سليمان ، تصل فى مجموعها الى	٢٢٠ر٩٨١ر١٥ مدينى

يرسل منها الى مكة والمدينة ١٧٦ر٠٥٦ر٨ مدينى ، اما الباقى وتقدره ٠٤٤ر٩٢٥ر٧ فيعطى لمستحقيه فى القاهرة .

وهناك امر يدو وكانه هو الذى قد سهل عملية ادماج أوراق المرتبات فى اعتمادات الصرة ، وهو أن السلطان سليمان قد انشأ هذه الاوراق ، شأنها فى ذلك شأن الرواتب التى اجراها على المساجد والارامل والايتام بفئة موحدة تدرها ٥ر١٨٢ مدينى ، وعلى نفس النسق الذى يتبع عند دفع أوراق المرتبات المخصصة للجيش . وقد كان بمقدور الأشخاص والمنشــآت الذين خصصت لهم هذه الأوراق ، أو الذين آلت اليهم منذ عهده ، أن يبيعوها او يتصرفوا فيها . وعندما قامت ادارة مراد بك وابراهيم بك ، توقف دفع المعاشات أو الرواتب التى كان يحصل عليها ابناء القاهرة والتى أدخلت ضمن الصرة . وعندما كان المحمل يخرج من هذه المدينة كان الروزنامجى يتوجه الى بركة الحج ــ وهى الملتقى العمومى للمسافرين (الحجاج) ــ لكى يعـــطى للخطيب ، ولصراف الصرة الجــزء من المعاشات أو الرواتب التى تدخـــل تحت هذا التحديد والتى ينبغى أن توزع طبقا له . وتعد النقود فى حضرة كل من الكخيا والباشا وامير الحج ومفوض او مندوب من قبل قاضى القاهرة، ثم توضع فى صناديق تسلم مفاتيحها الخطيب والصراف ، وبعد ذلك يعهد بالصناديق الى أمير الحج ليضعها فيما بعد تحت تصرف هذين الموظفين فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مكة والمدينة لكي ينفقا الاموال التى تضمها هذه الصناديق فى الاغراض التى خصصت لها . ولم يكن لشريف مكة أى حق فى اى دخل بالمعنى المفهوم ، اللهم الا اذا كان حائزا على أوراق مرتبات (جامكية) يحصل على مستحقاته طبقا لهـــا .

اما المبلغ المخصص لانفاقات الالاى ، اى ذهاب المحمل ، فيسلم الى امير الحج الذى يتصرف فيه حسبما يتراءى له ، كما يحصل على ذلك المبلغ الذى خصصه له السلطان سليمان باعتباره مصروفات مطبخ .

وقبل عهد هذا الحاكم كان العربان يحترمون قافلة الحج ، التى كانت تنال ما تحتاجه من الحماية لمواجهة المخاطر المعتادة على يد السردارات الذين كانوا يتقدمونها ، فكان يراسها مجرد واحد من تجار القاهرة ، يتولى تدبير أمر الانفاقات التى تفرضها الظروف من المبالغ التى بيناها ، ولكن حين بات من الضرورى التصدى لسطو البدو ، فقد أدت ضرورة احتواء وقاحتهم واطماعهم النهمة الى انتقال منصب أمير الحج الى البكوات ، وبدأ الباشا وكبار ابناء القاهرة يدفعون بأنفسهم رواتب المماليك والمغـــــاربة الذين يستخدمون فى هذا الغرض . وحيث لم يكن لمثل هذا الاحتياط أن يحـــول بشكل تام دون أن يسلب المحمل فى العام ١٠٧٨ من الهجرة فقد استوجب الأمر استجداء مراحم السلطان كى يدبر الوسائل الكفيلة باكتراء حرس قوى له مهابته . وقد أمر السلطان احمد بالحاق زيادة اضافية الى الميرى تدرها ١٦٢ر٨٩٣ مدينى تخصص للانفاق على المحمل ، لكن هذا المبلغ كان اقل من ان يواجه متطلبات المحمل، لذا فقد اشترى امان الطريق، بعد ذلك بوقت قصير ، مقابل اتاوة قدرها ٢ر٥٠٠ر٠٠٠ مدينى كانت تعطى للعربان الذين يشغلون الصحراوات التى كان على قافلة الحجاج أن تجتازها . وفى العام ١١١٥ من الهجرة ، رصد السلطان محمد اعانة مالية جديـــــــدة قدرها ٢ر٥٠٠ر٠٠٠ مدينى . واضاف السلطان مصطفى فى العـــام ١١٧٤ الى الاعطيات التى قدمها اسلافه ٣ر٧٥٠ر٠٠٠ مدينى ، وحيث سلك هـــذان السلطانان (محمد ومصطفى) ، كى يحصلا على الارصدة المطلوبة ، نفس الطريق التى سلكها السلطان احمد ، فان مبلغ الـــ ٧ر٤١٢ر٨٩٣ مدينى الناتجة عن المنح التى قدموها مجتمعين ، يشكل زيادة فى المال الـــميرى

وزعت على كل قرى مصر ، وجبيت منها فى الوقت نفسه باعتبارها ضريبه(١) .
ومع ذلك فقد ظلت نفقات المحمل تتزايد بصفة دائمة ، ذلك أن الاتاوات المالية التى تدفع الى بعض القبائل العربية لم تكن تعفى أمير الحج من اكتراء حراس يزيد عددهم مرة بعد أخرى بسبب الخيانات التى يرتكبها نفس البدو الذين تم الاتفاق معهم ، وكذلك بسبب اعتداءات لم تكن متوقعة من جانب بدو آخرين لم يحصلوا على نصيبهم (من الاتاوة) من القبيلة ، وبعد خمس سنوات من الاعانة التى رصدها السلطان مصطفى ، حصل باشا القاهرة من نفس السلطان على زيادة قدرها ١٠٧ر٥٨٧ر٢ مدينى ، واضاف السلطان عبد المجيد فى عام ١١٨٧ الى كل ذلك مبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٥ مدينى ، بحيث بلغ اجمالى الزيادات التى الحقت بنفقات المحمل ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠ مدينى ، اما مبلغ الـ ١٠٧ر٥٨٧ر١٢ مدينى التى تشكل الاعانات الثلاث الأخيرة فكانت تدفع خصما على نفقة الخزنة دون أن تتسبب فى تقرير اية زيادات على المال الميرى . وعلى الرغم من أن المبالغ التى يحصل عليها أمير الحج من مصادر مختلفة أصبحت أعلى بكثير من تلك التى خصصت له فى البداية ، وبرغم انه كذلك كان يرث كل متعلقات من يموتون من الحجاج اثناء الطريق ، فقد كانت مهمته هذه لا تعود عليه بنفع كبير ، اذ كان يلزمه أن يكترى المماليك والمغاربة الذين يشاركون فى الحرس، كما كانت هناك الاتاوات التى يقدمها للقبائل العربية بالاضافة الى مصروفات توفير المؤن وتدبير وسائل النقل الواجب توفيرها لكل من الحق بالخدمة العامة بالمحمل ، ولم يكن هؤلاء يؤجرون على نفقة خزينة السلطان ، أو كانوا يؤجرون ولكن على نحو غير كامل ، كان كل ذلك بالمثل يقع على عاتقه هو ، حتى أن وجوه الانفاق هذه كانت تمتص الاعتمادات التى ينفق منها بشكل تام(٢) .

---

(١) تدخل هذه الزيادة كما سبق لنا القول ضمن بيان الميرى المفروض على كل ولايات مصر .

(٢) تميز كثير من البكوات بالذود عن قوافل الحج ، وكانت هذه القوافل لا تهاجم عادة الا عند العودة ، اذ أن العربان الذين يقدسون بدورهم حج الكعبة لا يريدون أن توجه اليهم تهمة منعه . وبرغم أن حسين بك كشكش قد رفض باصرار أن يعطيهم الاتاوة المعتادة فانهم لم يستطيعوا مطلقا أن يسلبوه جملا واحدا ، فكان يعد رجاله عند منافذ الطرق التى كان العربان يختارونها عادة لممارسة انتهاباتهم ، و يقتسم معهم الاتاوة المالية
=

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويحصل شيخ نجارى العربات فى القاهرة على المبلغ الذى رصده له سليمان مقابل قيامه بصيانة عربات المحمل ، مع قيامه ، بالاضافة لذلك ، بتوفير العمال اللازمين لأداء هذا العمل .

وبحرس خيمة أمير الحج اثناء الليل خمسة مراقبين ، يتصايحون من وقت لآخر ، منادين بعضهم البعض ، كى يطردوا النوم عن جفونهم ، بعبارات : وحد الله ، صل على النبى ، وبخلاف الراتب الذى بجريه لهم أمير الحج يحصل كل واحد منهم على حصته من الـ ٢١٥ مدينى ، وهو الاعتماد المخصص لتدبير هذه الحراسة .

وقد أمر السلطان سليمان أن يتبع المحمل أربعة عشر سردارا يؤخذون من الاوجاقات ومعهم سرايا من فرقهم العسكرية ، ويتولى سبعة من هؤلاء الضباط قيادة فرقة الحرس (حرس المحمل) ، أما الاخرون فيتوجهون الى جدة كى يتولوا قيادة الطابية ، وليحلوا محل زملائهم الذين عملوا هناك طوال العام السابق . ومنذ على بك ، توقف تعيين السردارات الذين عليهم البقاء فى طابية جدة . وكان السلطان سليمان قد رصد لهؤلاء ولاوائك ، على حد سواء ، راتبا سنويا قدره ٣٦٦٫٨١٤ مدينى ، تعطى لهم فى شكل أوراق مرتبات غير قابلة للتحويل (بالبيع أو التنازل) ، لأنها تعد من ملحقات مناصبهم وليست ملكيات خاصة ، وقد حال ذلك دون تدهور قيمتها ، كما كان سببا فى أن السردارات السبعة الذين اقتصر على تعيينهم منذ التجديدات التى ادخلها على بك قد حصلوا على اجمالى هذا المبلغ ، وكان هؤلاء مثقلين بكثير من النفقات ، لحد أصبحت معه هذه المهمة عبئا عليهم ، برغم أن السلطان

التى يطلبها أولئك اذا ما قاوموا المعتدين ، وقد نجحت هذه الوسيلة ، وانتهى الامر بانتفاء كافة الاخطار ، لكن العربان لم يستمروا على هذه الحال السيئة مع خلفائه ، بل انهم لم يصلوا فقط الى تأكيد حصولهم على الاتاوة مرة أخرى ، بل لقد استعادوا متأخراتهم ، أى ما كان كشكش بك قد رفض أن يسدده لهم ، وفى عام ١٢٠٠ من الهجرة نهب بشكل تام المحمل الذى كان يقوده محمد بك المبدول ، وبعد ذلك بسنوات ست تعرض المحمل مرة ثانية لنفس الكارثة ، وان كان صحيحا ما يؤكده البعض من أن مراد وابراهيم قد ظاهرا العربان على ارتكاب عملية السطو هذه ، كى يتخذا منها ذريعة لابعاد عثمان بك طوبال ، قائد المحمل فى هذه السنة ، عن المناصب التى كان يشغلها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قد رصد لهم على نفقة الخزنة اعتمادا اضافيا قدره ٥٦٣ر٧٢٧ مدينى . ومع ذلك ، فنادرا ما كانت ترفض هذه المناصب . فقد كان من الضرورى شغلها حتى يمكن الترقى الى وظائف اعلى .

وكان السردارات الذين يختارون من أوجاقات جامولیان ، وتفكجيان وعزبان ، ومتفرقة ، يحصلون على ٨٧٩ر٤ مدينى مقابل شراء البغـلات اللاتى يمتطونها خلال رحلتهم ، ويصرفون خلاف ذلك اعتمادا قدره ١٦ر٦٦٧ مدينى مقتسمين اياه مع السردارات الثلاثة الاخرين وذلك للتزود بالمؤن من بصل وجبن .

وكان أوجاق المتفرقة يوفر الحامية التى تشغل قلعة المويلح الواقعة فى الصحراء ، فى ثلث الطريق بين مكة والقاهرة . ويحصل الاغا ، قائد هذه الحامية ،من الروزنامجى على مبلغ ١٨٠ر٤٤٠ مدينى ، سـبق أن رصدها السلطان مصطفى خصما على نفقة الخزنة ، وذلك قبل رحيل المحمل بشهرين أو ثلاثة اشهر ، حيث كان يرحل فى ذلك الوقت المبكر ، كى يحل محل الحامية التى كانت تعمل هناكخلال السنة السابقة . ويوزع هذا المبلغ على الجنود كتعويض ، لكنه لم يكن ليحول دون حصولهم على رواتبهم المعتـادة .

وعند عودة المحمل الى القاهرة ، يرسل امير الحج عند وصوله الى طابيتى العقبة ونخل مشاة يبلغون الباشا والبكوات بوصـوله . وفى الأحوال الأخرى ، كان يبعث بطلباته ورسائله عن طريق أربعة اشخاص من راكبى الجمال . ويحصل هؤلاء وأولئك من الروزنامجى على المبـالغ المبينة بالجـدول .

وعلى بعد مسيرة سبعة أيام من القاهرة ، يجد الناس فى قلعة نخل، وكذلك فى قلعة العجرود ، وفى بعض أماكن اخرى آبارا تستخدم لسقاية المحمل ولتجديد مئونته من المياه ، وقد رصد السلطان سليمان اعتمادات مالية لتطهير هذه الآبار وكذلك لتطهير أحواضها التى تستقبل المياه التى تنزح منها . كما حرص على رصد أموال لشراء التبن الذى تتغذى عليـه الثيران المستخدمة فى نزح المياه . ويسبق المحمل ، السقاءون العاملون فى خدمة أمير الحج ، لملء الاحواض ، ولاقامة خيمة يقومون فى حمايتها بتوزيع المياه على الحجـاج .

أما المبلغ (بضم الميم وبكسر اللام مشـددة) فيعلن للمؤمنين أوقات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصلاة ، ويكرر ما يلفظ به الامام . ويقوم بنفس هذا العمل فوق جبـــل عرفات ، وطبقا لترتيب استنه سليمان ، كان لابد أن يتم تدبير الجمل الذى يركبه هذا الرجل ، بصفة عاجلة ، مقابل ٠٠٠ر٢ مدينى ،يتم التصرف فيها على يد الشخص الذى يقوم بجباية رسم الخردة ، فحيث كان لهذا الاخير حق التفتيش على أسواق دواب الجمل ، فقد كان يستطيع ، بسهولة اكبر مما يستطيع بها أى شخص آخر ، أن يقوم بهذه الخدمة .

ويعين الاظلم باشى (*)، وهو الموظف الذى عليه أن يسير امام ركب المحمل ومعه المرطبات للامير وللحجاج ، من قبل الباشا وبترشـــيح من البكوات ، ويصل هذا الموظف الى منطقة اظلم عادة قبل وصول المحمل الى هذا المأوى أو المبيت بيومين ، وفيما مضى كان المحمل يصل الى طابية العقبة موظف آخر ومعه مؤن أخرى ، وعندما الغى على بك اعتماد هذا الأخير ، وجمع منصبى وراتبى هذين المبعوثين ، لم يعد الحجاج يجدون المرطبـــات التى حرص سليمان على توفيرها لهم الا فى أظلم . ويتولى الأظلم باشى شراء ونقل المأكولات التى يجلبها مقابل المبالغ الآتية :

على نفقة الميرى :

باعتباره يشغل وظيفة أظلم باشى .	٣٥٨ر١٣٤
باعتباره يشغل وظيفة عقبة باشى .	٩٢٠ر٥٨
. . . .	٢٧٨ر١٩٣

على نفقة مال الجهات الذى يشكل جزءا من الكشوفية القديمة :

من حاكم ولاية الجيزة .	٠٠٠ر٩٤
من حاكم ولاية البحيرة .	٠٠٠ر٣٠٠
من حاكم ولاية الغربية .	٠٠٠ر٢٠٠
المجموع	٠٠٠ر٥٩٤

وعندما أراد محمد بك أن يجعل الاظـلم باشى فى وضع يكون معه قادرا على الوفاء بالنفقات التى تقع على عاتقه والتى أصبحت بمرور الوقت اكثر تكلفة ، فقد كلف حكام الولايات المشار اليها فيما بعد أن تدفع له

(*) اظلم أو أزلم باشى ، نسبة الى قلعة الأزلم التى تقع الى جنوب العقبـــة . (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبالغ الآتية ، كمصـــاف الى ضريبة
اســلامية :

على نفقة مال الجهات :

من حـــاكم ولاية الشرقية	٢٥٠ر٠٠٠
من حاكم ولاية القليوبيـــة	٢٠٦ر٥٥٠
من حاكم ولاية المنصورة	٣٠٠ر٠٠٠
من حاكم ولاية الغربيـــة	٤٠٠ر٠٠٠
من حاكم ولاية المنوفيـــة	٥٢٥ر٠٠٠
المجموع	١ر٦٨١ر٥٥٠

اجمالى ما يدفع على نفقة مال الجهات : ٢ر٢٧٥ر٥٥٠

وفى الأزمنة الاخيرة ، اعطى أمير الحج الى الأظلم باشى من حصيلة الاعتمادات غير الاعتيادية التى كانت ترصد له على التوالى مقابل مصروفات المحمل ، مبلغ . . . ٧٥٠ر٠٠٠

الاجمالى العام لما يحصل عليه أظلم باشى . ٣ر٢١٨ر٨٢٨

وقد اخذ اظلم باشى على عاتقه أن يقدم كافة انواع المعـــونات او المساعدات التى كان يرغب اهل الحجاج فى ارسالها اليهم . وكان يحمى موكبه حرس يتكون من ستين مماوكا ، ومن ثلاث قطع من المدفعية ، ويصحب فى موكبه فرقة موسيقية يحملها اثنا عشر جملا ، وتشتمل على عدة طبول او صناديق من احجام مختلفة ، وبوقين أو نفيرين ، ودفين ، ومزمارين ، وتطلق هذه الفرقة انغاما كثيرة عندما يصل المحمل الى الأزلم أو الى العقبة ، وقد رصد اعتمادا قدره ١٧ر١٦٤ مدينى لشراء وتقديم الحلوى الى أمـــير الحج . والأظلم باشى هو على الدوام كاشف مملوك ، له حظوة لدى واحد من البكوات ذوى النفوذ . وفى الأزمنة الاخيرة ، كان يحصل عقب رجوعه من رحلته ، على حكم ولاية الشرقية ، باعتبار ذلك حقا قانونيا له .

ولم يكن المحمل المتجه الى مكة والمدينة هو كل ما كانت ترسله الى هاتين المدينتين اريحية السلاطين الخيرة ، فالنقود والحبـــوب والزيوت والشمعدانات والحصر التى تفرش فى دور العبادة أو تخصص لاستخدام شريف مكة وعدد من السكان ، كان كل ذلك يصل الى هناك فى ارساليات متباعدة :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما المعاش المخصص لشريف مكة فكان يبلغ فيما مضى	٣٤٠ر٠٠٠	مدينى
ويقدر الارز الذى كان يرسل له عينا بـ .	١٧٠ر٩١٧	مدينى
وعندما أضاف الى ذلك السلطان مصطفى على نفقة الخزينة مبلغ	١ر٢٠٠ر٠٠٠	
فقد بلغ اجمالى المعاش المخصص له	١ر٧١٠ر٩١٧	

أما المعاشات التى كانت من حق الشريفة أورخانة والشريفين حمزة وحسين بركة فقد احتفظت بنفس قيمتها المبدئية ، ومع ذلك ، فبدلا من أن يرسل لهؤلاء مبلغ ١٦٩ر٠٠٠ مدينى نقدا و ٢٨ر٠٠٠ مدينى عينا فى شكل أرز ، كما كان يحدث من قبل ، بات يعطى لهم ١٩٧ر٠٠٠ مدينى فى شكل مسكوكات (قطع نقدية) .

ويمر المحمل بينبع ، وهى مدينة وثغر تقع على البحر الأحمر فى منتصف المسافة بين مكة والقاهرة . وقد حصل حاكمها ، وهو دوما من أقارب شريف مكة ، من السلطان مصطفى على راتب سنوى قدره ١٨٠ر٠٠٠ مدينى ، على نفقة الخزنة ، دون أن يكون ملزما بأية انفاقات لخدمة المحمل .

اما الحبوب التى ترسل الى مكة والمدينة فكانت توفرها المخازن العمومية ، وطبقا للجدول الذى سبق أن قدمناه عن استخدامات الميرى العينى (أى الذى يسدد فى شكل حبوب ومواد غذائية) فقد كانت الحبوب المرسلة الى هناك تبلغ ٦٤ر٠٥٣ أردبا من الشعير تعادل عند تحويلها الى قمح ٤٢ر٧٠٢ أردبا، وكان أفندى المتفرقة يحصل على ٧٦٢ر٣٦٩ مدينى مقابل نقلها من القاهرة الى السويس ، أما قبطان بك ، حاكم هذه المدينة، فيحصل على ٩٧٥ر٠٠٠ مدينى كى يرسلها الى جدة بالاضافة الى راتب قدره ١٠٠ر٠٠٠ مدينى ، وكانت تقوم بنقلها الى الميناء الاخير خمسة عشر صندلا يلتزم الباب العالى بتجديدها عندما لا تعود صالحة للعمل ، وتقع نفقات صيانة هذه العمائر وكذلك أجور بحارتها على عاتق حاكم السويس، وقد سبق لنا القول بأن هذا الضابط لم يكن خاضعا لاوامر حكومة القاهرة ، كذلك فانه لم يكن يحيط بتحركاته علما الا للسلطان ، وحين بذل على بك محاولاته لنيل الاستقلال لاذ القبطان بك بالفرار ، وبدلا من أن يقوم على (بك) بارسال حبوب الى السويس ، كتب الى شريف مكة كى يستعى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لتسلمها بالقاهرة ، وحين اقر القبطان باشا ذلك الترتيب الذى أعفى الادارة المصرية من نقل هذه الحبوب الى السويس ثم الى جدة ، ظل شريف مكة يعمل على تسلمها على نفقته ، وهكذا انخفضت المصروفات التى تتصل بهذا الأمر الى مبلغ الـ ٢٢٥ر١٢٠ مدينى التى أوردناها بالجدول باعتبارها خصما او تنازلا تم لحساب الروزنامجى مقابل الأجور التى كان بدفعها فيما مضى الى قائد السويس وأفندى المتفرقة . اما مبالغ الـ ٣٦٩ر٧٦٢ والـ ٠٠٠ر٩٧٥ والـ ٠٠٠ر١٠٠ التى كانا يحصلان عليها فقد بقيت فى الخزنة مما زاد من حجمها بنفس هذا القدر ، منذ أن توقف استخدامها .

اما قاضيا مكة والمدينة فقد كانا ملزمين باستجلاب الحبوب المرصودة لهما من القاهرة ، ويحصلان فى مقابل مصروفات نقلها على مبلغ الـ ٥٨١ر٢٣ مدينى (التى وردت بالجدول) .

وحيث قد زادت أسعار الزيت منذ عهد السلطان سليمان ، فى حين لم تزد الأموال المرصودة لشرائها) فان الكمية التىترسل منه اليوم هى ادنى بكثير مما كان يشتريه من قبل المبلغ المرصود لذلك ، وفيما مضى كان يمنح كمصروفات لشحن هذه المادة من القاهرة الى السويسمبلغ ٧٥٤ر٨ مدينى . ثم خصص السلطان مصطفى لذلك اعتمادا اضافيا قدره ١٥٠ر٨ مدينى على نفقة الخزنة .

ويبلغ عدد الشمعدانات المخصصة لمسجد المدينة اثنين ،ولابد أن يزن كل واحد منهما نحو ٥٠٠ رطل ، وكانا يوضعان بجوار قبر النبى، ولم تكن نفقات صنعهما وشحنهما لتتجاوز فيما مضى ١٩٠ر٦٣ مدينى ، وان كان هذا الضرب من الانفاق قد ارتفع الى الـ ٨١٣ر١٢٣ مدينى الواردة بالجدول ، وذلك عندما خصص السلطان مصطفى لهذا الغرض اعتمادا اضافيا قدره ٦٢٣ر٦٠ مدينى على نفقة الخزنة .

أما الحصر ، فكان يقوم بتوفيرها كاشف ولاية الفيوم، فى حدود المبلغ المرصود لها ، والذى كانت تخصم منه نفقات النقل ، وتخصص هذه الحصر لتغطية أرض المساجد الكائنة بمكة والمدينة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصــــل الثـــانى
الانفاقات التى تقع على عاتق أصحاب المناصب

سبق لنا القول بأن رواتب أصحاب المناصب تتكون من ضرائب غير مباشرة يمارسون جبايتها ، ومن الامتياز الذى منح لهم فى شكل قطعة من الارض . واذا كان هذا النظام الادارى يقلص من جهة حصيلة العوائد التى خص بها السلطان نفسه ، فانه من جهة اخرى قد اعفاه من تحمل بعض الانفاقات العامة .

وسنوضح تلك الانفاقات التى كان على الباشا والبكوات أن يسهموا بها ، لكننا لن نشير على الاطلاق الى بقية الانفاقات التى كانت تقع على عاتق الوظائف الأدنى ، بسبب ضآلة اهميتها .

اولا — الانفاقات التى تقع على عاتق الباشا :

يقتضى الأمر منا ، بسبب ذلك التفويض الذى حصـــل عليه الباشـــا والبكوات ، باحداث تغيير فى الدخول وفى الانفاقات التى تتم لحســـاب السلطان ، شريطة ان يعوضوا من مالهم الخاص اى تخفيض فى الضرائب أو مستحقات يريدون ان يرفعوها عن كاهل احد المولين ، وان يضـــمنوا للخزينة ، فى حالة زيادة او خلق انفاق جديد ، المال اللازم لتســـديدها — يقتضى منا كل ذلك أن نورد هنا — وفى داخل هذا الاطار — الحصـــة التى كان يسهم بها الباشا فى تسديد الميرى المقرر على الفرق العسكرية أو على الافراد ، على النحو الآتى :

عن الأوقاف الأهلية الثمانية الخاضعة للميـــرى	١٧٨ر١٢٠	مدينى
عن الكخياوات الثـــلاثة لاوجاقات جاموليـــان وتفكجيان وشراكسة	٠٠٠ر٦	
عن أمين الاحتســـاب	٥١٩ر١٧٤	
عن الولاة الثلاثة للقاهرة ومصر العتيقة وبولاق	٣٩٢ر٤٦	
عن أوجاق الانكشـــارية كجزء من الميرى المقرر على جمرك الاســـكندرية	٢٤٩ر٣٣١ر١	
عن أوجاق العزبان عن الرسوم المسماة بحرين	٠٠٠ر١٦٠	
الاجمـــــالى	٣٣٨ر٨٣٨ر١	

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يبين السلطان سليمان مطلقا ، بشكل رسمى مدى وحجم ذلك العدد الكبير من الانفاقات التى وضع على عاتق الباشا مهمة الوفاء بها ، فيما عدا الميرى المقرر على منصبه وكذا الميرى المفروض على العوائد والدخول التى اجراها عليه ، ولكن العادة ، وهى هنا تقوم مقام الرغبة الصريحة ، قد حددت الرواتب أو المعاشات التى كان عليه أن يعطيها لكل من يعملون فى قصره ، وللروزنامجى ، ولبقية الافندية بالاضافة الى ما عليه أن يقدمه من هدايا وخلعات وقفاطين كان يتلقاها رؤساء الفرق العسكرية أو الرؤساء الذين يلتحقون بخدمة الحكومة أو بالادارة والتى تقدم اليهم فى احتفالات عامة تقام احتفالا بتوايتهم هذه المناصب .

ثانيا ـ الانفاقات التى تقع على عاتق البكوات أو الكشاف حكام الولايات :

تقررت الانفاقات التى يقوم باعبائها البكوات أو الكشاف حكام الولايات ، طبقا للوائح السلطان وحكومة القاهرة ، مستقلة عن الميرى المفروض على مناصبهم ، وتدفع هذه الانفاقات عن ذلك الجزء من عوائد الارض ، والمسمى كشوفية ، وهو ما كان هؤلاء الحكام يجبونه من الملتزمين.

ويوضح الجدول الاتى ، حجم وموضوعات هذه الانفاقات .

	إلى أظلم باشي الضابط الذي يسير في مقدمة المحمل	إلى الشوربجي والضباط وجنود الفرق المنتشرين في الولايات	رواتب الموظفين وغيرهم من التابعين للحكام ونفقات أخرى تقع على عاتقهم	الرسوم التي ينبغي على الحكام أن يدفعوها للباشا	الإجمالي
	مديني	مديني	مديني	مديني	مديني
حاكم ولايات قنا وإسنا وجرجا وسيوط	—	—	٦٥٩,٩٣٧	٢٢٧,٤٢٥	٨٨٧,٣٦٢
« منفلوط	—	—	٤٢٠,٢٤١	٢٠٠,٠٠٠	٦٢٠,٢٤١
« المنية	—	—	٨٥٣,٣٩٦	—	٨٥٣,٣٩٦
« بني سويف	—	٥٢٧,٣١٦	١,١٩٧,١٩٠	١٦٧,٠٨٥	١,٨٩١,٥٩١
« الفيوم	—	—	٤٤,٧٢٥	٥٠٠,٠٠٠	٥٤٤,٧٢٥
ليست هناك أية انفاقات مقررة على ولاية اطفيح	—	—	—	—	—
كم الجيزة	٩٤,٠٠٠	—	٨٤٦,٩٩٦	٢٥,٠٠٠	٩٦٥,٩٩٦
« القليوبية	٢٠٦,٥٥٠	٢٤٣,٥٠٤	٦١٣,٢١٧	—	١,٠٦٣,٢٧١
« الشرقية	٢٥٠,٠٠٠	٦٠٨,٥٥٠	١,١٦٠,٠٣٣	٣٥,٤٨٥	٢,٠٥٤,٠٦٨
« البحيرة	٣٠٠,٠٠٠	٥٥١,٩٤٦	١,١٠٧,٥١٨	٢٤٧,٢٣٨	٢,٢٠٦,٧٠٢
« المنصورة	٣٠٠,٠٠٠	٦٦٩,٧٧٨	١,٣٩٩,٨٤٣	١٥٢,٤٢٧	٢,٥٢٢,٠٤٨
« الغربية	٦٠٠,٠٠٠	٨٩٩,٧٤٣	١,٩٨٠,٦٧٤	٦٥٩,٩١٥	٤,١٤٠,٣٣٢
« المنوفية	٥٢٥,٠٠٠	٨٩٥,٤٧٦	٩٥٧,٦٧٠	٢٠٧,٦٤٠	٢,٥٨٥,٧٨٦
الاجمالي	٢,٢٧٥,٥٥٠	٤,٣٩٦,٣١٣	١١,٢٤١,٤٤٠	٢,٤٢٢,٢١٥	٢٠,٣٣٥,٥١٨

ويعادل الاجمالي العام ١٠ بس ٧٢٦,٢٦٨ ل ت

وبالفرنكات ٢٢ س ٧١٧,٣٠١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكنا عند حديثنا عن اظلم باشى قد عرفنا بوجوه انفاق الاعتمادات التى كان يحصل عليها من البكوات باسم : اسلامية من عوائد مال الجهات(١) .

ويشتمل العمود الثانى (فى الجدول السابق) على الأجور او الرواتب التى كان على اصحاب المناصب أن يسددوها للشوربجى ، ولفرسان اوجاقات تفكجيان وجامولیان وشراكسة وبصفة عامة الى كل رجال الاوجاقلو العاملين فى دوائرهم ، لكن هذا الضرب من الانفاق لم يكن ليبقى اى نفع للبكوات اذ يبلغ حجمه نفس عائد الضريبة التى انشأها سليمان لتوفير هذه الاعتمادات(٢) .

أما العمود الثالث فيتكون من الانفاقات التى ادت الى نشأة رسوم الكلفة .

وتوضح البيانات التالية وجوه انفاقها :

رواتب متنوعة تدفع الى موظفين وغيرهم من التابعين لاصحاب المناصب .

صيانة الجسور والترع السلطانية .

عادات قاضى الولاية .

عادات دجانجى باشى .

عادات الجبيجى باشى .

عادات مفتش الموازين .

البهائم التى تذبح لتوزيع لحومها على الفقراء أثناء بعض الاعياد .

عادات معتادة لبعض المشايخ ولاضرحة الاولياء .

عادات للمساجد .

اتاوات تدفع للعربان .

أجر العامل المكلف بعمل القهوة للفرقة .

عادات للاغا على الحبوب .

صيانة الآبار العامة .

---

(١) انظر ص ٢٢٩ .

(٢) انظر فى جدول الكشوفية ص ٥٩ خدم العسكر .
وهنا ، كما فى كل أقسام هذا المؤلف ، تبدو الأقوال التى تتكرر فى معظم الاحيان ، عن تفكك أو تحلل الاوجاقات متعارضة مع ذلك الحرص=

ألوليمة التى يلتزم باقامتها الحاكم للشوربجية عند مغادرتهم للولاية اكراميات للمذكورين .

وعندما كان البكوات أو الكشاف يبداون فى تملك زمام الولايات التى آل اليهم حكمها ، كان الباشا ورجال قصره يجبون منهم رسم تنصيب يتضمن المبالغ التى تكون العمود الرابع .

ومع ذلك فلا ينبغى أن نضم هذه الانفاقات الى تلك المصروفات الناتجة من استخدام الميرى والتى تنفق فى وجوه انفاق مماثلة . وقد سبق أن لاحظنا أن مبلغ الـ ١٩٣ر٢٧٨ مدينى التى تفرض على الميرى لتشكل اعتمادا يمنح لاظلم باشى ، كانت تسدد مستقلة عن الـ ٥٥٠ر٢٧٥ر٢ مدينى التى يحصل عليها هذا الضابط مباشرة من حكام الولايات . ونلاحظ نفس الشىء فيما يختص بخدمة العسكر التى يدفعها هؤلاء الحكام للجنود المنتشرين فى الولايات ، فهى تتطابق فى غرضها مع تذاكر الجاويشية التى كان هذا الاوجاق يحصل عليها من الروزنامجى .

وكان البكوات يحرصون على دعم مماليكهم وذلك بأن يوزعوا عليهم مناصب الدولة او قرى مصر(١) . وكانت دخولهم ، بوصفهم ملتزمين ، توفر لهم الوسائل التى تكفل لهم دفع رواتب لاولئك الذين ليست لهم مناصب أو الذين لا يجرى لهم راتب من أى نوع ، مع العناية بأمورهم .

=

الواضح على بقاء الانفاقات التى انشئت لصالحها ، وحيث لم تصل روح الاستقلال التى تميز بها البكوات مطلقا الى تخريب او قلب فعلى لقوانين السلطان ،وحيث احتفظت الاوجاقات لنفسها بوجود شكلى عن طريق عدد ضئيل من الاتراك يشغلون فيها بعض الرتب قليلة الاهمية أو التى نزعت عنها اختصاصاتها القديمة . فقد ظل هؤلاء الضباط ينظرون لانفسهم باعتبارهم خلفاء للاوجاقلو القدماء ، وفى نفس الوقت فان المماليك الذين اغتصبوا — ربما — كل الوظائف العليا التى كان رجال الاوجاقلو يشغلونها ، قد ابقوا على هذا النظام العسكرى بأنكانوا يخلعون على أنفسهم نفس الالقاب التى كان يتصف بها رجال الفرق العسكرية .

(١) عندما وصل الجيش الفرنسى الى مصر ، كان البكوات ومماليكهم ملتزمين لاكثر من ثلثى القرى ، وكانوا ، بالاضافة الى ذلك ، وكما سبق لنا أن لاحظنا ، يتمتعون باكبر قدر من الرسوم غير المباشرة .

ويتمم بيان هذه المصروفات ، التى كان يتم انفاقها على جماعة كانت تكون فى الأزمنة الاخيرة الوضع العسكرى لمصر ، تلك الانفاقات التى كان على أصحاب المناصب ان يوفوا بها .

الفصـــل الثـــالث

موجز بالانفاقات التى تقع على عاتق السلطان

بينا من قبل تلك الانفاقات التى كان يقع على السلطان عبء تدبيرها من الميرى الذى يستبقيه لنفسه ، ولما كانت تلك الانفاقات التى ذكرناها فى الفصل الاسبق مستقلة عن تلك التى نشير اليها ، برغم اتصالها بأعمـــال الصالح العام . ولانها لم تكن لتدخل مطلقا مثل الاخريات فى الحساب العام، ولأن السلطان لم يكن يأخذ بها علما الا ليتأكد من أنها قد انفقت ، فاننا لن نتناولها فى بقية هذا المؤلف .

واليكم موجزا للجداول التى قدمناها عند حديثنا عن الانفاقات التى يقع عبئها على عاتق السلطان .

	بالمدينى	بالجنيه التورى			بالفرنكات	
		د	س	ل	س	ف
رواتب مخصصة لموظفين متفرقين	٢,٩٣٩,٢٤٧	٢	٢	١٠٤,٩٧٣	١٤	١٠٣,٦٧٧
مصروفات الجيش	٢٩,٨٧٢,٦٥٧	١	١٢	١,٠٦٦,٨٨٠	٣١	١,٠٥٣,٧٠٩
« مختلفة	٢,٦٥٣,٥٨٠	١٠	١٧	٩٤,٧٧٠	٩٠	٩٣,٦٠٠
معاشات	٨,٤٣٨,٩٩٤	١٠	١٢	٣٠١,٣٩٢	٧٧	٢٩٧,٦٧١
أعمال ومؤسسات خيرية	١٣,٨٩٢,١٣٩	٥	١٦	٤٩٦,١٤٧	٥٤	٤٩٠,٠٢٣
محمل مكة	٤٢,٠٧١,٦٥٤	٥	١	١,٥٠٢,٥٥٩	٨	١,٤٨٤,٠٠٩
الاجمالى	٩٩,٨٦٨,٢٧٦	٩	٢	٣,٥٦٦,٧٢٤	٧٤	٣,٥٢٢,٦٩٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد سبق لنا أن عرضنا عند تقديمنا موجزا بدخول السلطان لوظائف الافندية الموكلين بامور الجباية ، ولذا فان من المناسب ان نبين هنا اختصاصات أولئك الذين يديرون عمليات الانفاق .

يختص افندى المقابلة بسجلات رواتب الموظفين ومصروفات الجيش ، والانفاقات المتنوعة والمعاشات ، والأعمال والمؤسسات الخيرية التى رصد لها السلطان اعتمادات نقدية ، ويلتزم هذا الافندى بأن يدون فى سجلاته التغيرات التى تطرأ على أولئك الذين يفيدون منها . ويمسك أفندى الكسوة بسجل يوضح كل النفقات التى تنتمى لنفس هذا النوع . وهو يحتفظ بسجل المعاشات التى تكون الصرة ومصروفات المحمل . وهناك أفندى ثالث يختص بكل النفقات التى تنجم عن أوراق المرتبات (الجامكية) ، فينظم عمليات صرفها مع أفندية الاوجاقات ، وبشكل عام مع كل من يمكنه الحصول على أوراق مالية من هذا النوع . أما افندى المحاسبة فيمسك بحساب كل ما يرسل الى الباب العالى نقدا او فى شكل مواد غذائية ، وكذلك بحساب أية مصروفات تتم على نفقة الخزنة . وينصرف نشاط افندى اليومية الى حصيلة أوقاف الحرمين ، التى تصب حصيلتها كما سبق لنا القول بين يدى الروزنامجى . ولم يكن هؤلاء الافندية يسددون اى شىء بأنفسهم ، وانما كانوا يسحبون المخالصات وغيرها من المستندات من الاطراف المستفيدة ، ليبدلوها بحوالات قابلة للدفع من صندوق الروزنامجى . ولم يكن الصراف الموكل بالدفع يسدد قيمة الحوالات التى سلمها هؤلاء الافندية ، الا بعد ان يؤشر عليها بختمه باش حلفا المصروفات وذلك بعد أن بطابقتها على بيانات السجل العام الذى يمسكه لكل الانفاقات التى تقع على عاتق الخزينة ، وبعد أن يتأكد من بنود ودوافع الانفاق . ويقدم الافندية حسابات سنوية بحصيلة أوراق أو مستندات الانفاق التى حصلوا عليها من المستفيدين منها . ويتسلم الروزنامجى هذه المستندات ، فهو المركز الوحيد الذى تتجمع لديه كل التحصيلات وكل الانفاقات. وكل الافندية والحلفا هم مرءوسون للروزنامجى وان لم يكن بمقدوره ان يغير من النظام الذى يحدد اختصصات وظائفهم ، ويخضع له كذلك أفندية الفرق العسكرية برغم أنهم يعينون بمعرفة أوجاقاتهم ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهو يحاسبهم على الاموال التى اودعت اديهم ، كما كان يسلمهم كل عام الاعتمادات التى رصدت لكل أوجاق ، ليقوموا بتوزيعها طبقا لتعليماته.

وحيث يتملك هؤلاء الأفندية ، سواء منهم من يعمل بالتحصيل أو من يوكل بشئون الانفاق ، وظائفهم ، وحيث كان لهم حق بيعها او توريثها ، فلم يكن بالمستطاع انتزاع هذه الوظائف عنهم بشكل تعسفى ، ولم يكن الروزنامجى يتفحصهم الا لكى يتأكد من أن الكفاءة اللازمة لممارسة عماهم متوفرةلديهم ، ومع ذلك فقد كان هؤلاء يرغمون على بيع وظائفهم حين لا يجد الروزنامجى لديهم المعرفة الكافية ، أو عندما يخل هؤلاء بواجباتهم عند ممارستهم لوظائفهم . ويحصل الروزنامجى ، باعتباره ابنا للديوان ، على مشورة هذا الديوان بالنسبة لكل ما يتصل باختصاصاته . ووظيفته غير قابلة للنقل (أو انه هو غير قابل للعزل) ، وكان محرما عليه ، وعلى كل مرءوسيه كذلك ، تقديم أقل او أوهى معلومة الى اى مخلوق ، كائنا من كان، عن موارد ومصروفات وادارة مصر الا بعد حصوله على اذن محدد وصريح من السلطان او من الباشا . وهذه الأسرار التى اتبعت باخلاص وأمانة ، هى التى اضفت الكثير من الاعتبار والاهمية على هؤلاء الأفندية . وكانوا — هم — غيورين على ذلك لدرجة أنهم استخدموا فى مسك دفاترهم حروفا غير معروفة (*) . ويتباهى الشرقيون بعلم هؤلاء الافندية ورقتهم ودماثتهم، وتيسر لهم هذه الميزات مداخل سهلة لدى الكبار . وكان هؤلاء يجبون ، بخلاف العطايا التى يحصلون عليها من الخزنة ، رسما بسيطا على من يقدر عليه إن يتعامل معهم من الاشخاص . وقد جعلتهم هذه الميزات المختلفة يحصلون على ثروات ضخمة ، وكانت الغالبية العظمى من الأفندية مماليك ، وكان لهم خلفاء ، هم أولاد لهم بالتبنى ، شابهوهم فى نفس بدايتهم، وبدلا من أن يجعلوا منهم جنودا على غرار ما يفعل البكوات والكشاف كانوا يلقنونهم اصول مهنتهم كى يجعلوهم أكفاء فى شغل وظائفهم هم لكنا نجهل لماذا لم تكن وظائف كبار الافندية

(*) وهى ما يسمى بخط القرمة .　　　　(المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العاملين فى شئون الانفـــــاقات والمصروفات خاضعة لدفع الميرى ، مثلها فى ذلك مثل وظائف الافندية العاملين فى حقل الجباية والتحصيل . وكان هناك ، فوق ذلك كله ، افندية يديرون المدارس ، ينسخون أو يضعون الكتب ، وكان من النادر أن يهجر هــؤلاء أو أولئك مهنتهم كى ينخرطوا فى سلك مختلف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الثالث

محصلة موارد وانفاقات السلطان

الخزنة أى الأموال التى ترسل اليه فى القسطنطينية

لمسنا من قبل أن الموارد التى تجبى لحساب السلطان ، والنفقات التى تقع على عاتقه تبلغ ما يلى :

المـــوارد	١١٦ر٦٥١ر٧٢٧ مدينى
الانفاقات	٩٩ر٨٦٨ر٢٧٦
المحصـــلة (ما كان يبقى للخـــزنة)	١٦ر٧٨٣ر٤٥١ مدينى

تعادل بالجنيهات التورية :

د	س	
١	٢	٤ر١٦٦ر١٣٣
٩	٢	٣ر٥٦٦ر٧٢٤
٤	١٩	٥٩٩ر٤٠٨

وبالفرنـــكات :

س	
٤٧	٤ر١١٤ر٦٩٩
٧٤	٣ر٥٢٢ر٦٩٠
٧٣	٥٩٢ر٠٠٨

وكانت لائحة السلطان سليمان قد وصـــلت

بهذا الفائض الى	٣٠ر٨٨٣ر٨٧٦ مدينى

وحيث حصل هذا الفائض فى عهد خلفـــائه .

عـــلى زيادة قـــدرها	١ر٩١٧ر٧٤٩
وعلى نقص قدره	١٦ر٠١٨ر١٧٤
فقد تلقص هذا الفائض (الخزنة) الى . .	١٦ر٧٨٥ر٤٥١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا المبلغ هو الذى يطلق عليه اسم خزنة ، وهو نصيب السلطان الذى خص به نفسه من الضريبة ، وظل يرسل اليه بانتظام حتى عهد على بك الذى تجاسر على رفض ارساله اليه . ثم عاد محمد (ابو الذهب) خليفته الى الالتزام بدفعه ، بل لقد بادر بارسال الضريبة المستحقة عن السنوات الاربع التى رفض على بك ارسالها طوالها . وقد واصل ارسالها مراد وابراهيم ، ومع ذلك ، فلما كان من سلطة الباشا أن يخصم من هذه الضريبة الأموال اللازمة للانفاقات الملحة وغير المتوقعة ، والتى يقرر انها تقع على عاتق السلطان ، فقد أساء هذان البكوان استخدام هيمنتهما فى ابتزاز الفرمانات التى تخول هذه الانفاقات الخرافية والتى كانا يخصان نفسيهما بقيمتها .

وقد شاء القبطان باشا حسن أن يزيد من حجم الخزنة بمقدار ٠٠٠ر٨٠٠ر٦ مدينى وزعها على النحو التالى :

---

(١) ادى توقف دفع مصروفات نقل الحبوب من القاهرة الى جدة ، وهى المصروفات التى انشأها سليمان ، منذ اللحظة التى اقر فيها القبطان باشا هذا الاجراء الذى اتخذه على بك فى هذا الخصوص الى زيادة حجم الخزنة بنفس قيمة هذه الانفاقات التى توقف دفعها على النحو التالى :

٣٦٩ر٧٦٢
٠٠٠ر٩٧٥ } . . . . . . ٣٦٩ر٨٣٧ر١ مدينى
٠٠٠ر١٠٠

وهناك بالاضافة لذلك راتب سبق أن تناولناه وقدره ٣٨٠ر٨٠

كان سليمان قد خصصه للبك قائد جدة ، توقف دفعه بالمثل وبقى فى الخزينة ، عندما ارسلت حكومة مصر هذا البك الى جرجا بدلا من أن تقلده منصب القيادة ، وحصلت من السلطان على قرار بأن الباشا الذى يرسله الى هذه المدينة ، سيتخذ مقرا له فى جدة . (وبذلك نجد لدينا من حصيلة هذين الوفرين المبلغ المطابق للزيادة الواردة بالجدول السابق وهو (*) : ٧٤٩ر٩١٧ر١ مدينى

(٢) من المناسب أن نجمع فى داخل هذا المنظور الاعتمادات الاضافية الناجمة عن استخدامات هذا المبلغ والتى منحت على نفقة الخزنة بعد سليمان :

على يد السلطان مصطفى : =

(*) ما بين القوسين هو زيادة فى الايضاح من جانب المترجم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لزيادة حجم الميرى :

على جمرك الاسكندرية . . . . . . ٠٠٠ر٠٠٠ر٦ مدينى

على البوصير والسنامكى ٠٠٠ر٤٠٠

اعتماد اضافى لراتب الباشا خاص بتموينات

الحبوب	٢٠٠ر٤٣ مدينى
موارد أوجاق المتفرقة من قرية سرنباى .	٤٨٤
لمجرى عيون مصر العتيقة	٠٠٠ر٤
لبئر يوسف أفندى	١٠٠ر٣
للشربات (المشروبات الحلوة)	١٢٤ر٧١
للعدس والارز	٩٦٩ر٧٠٢
لصيانة مقبرة القاضى زين العابدين . . .	٣٠٠
لصيانة مقبرة الشيخ محمد كريم الدين . .	٠٠٠ر٢

على يد القبطان باشا حسن :

معاش لعائلة الشناوى ٠٠٠ر١

على يد السلطان مصطفى :

الكسوة	٨٠٧ر٢٦٤
اعتماد اضافى للصرة	١٤٣ر١٤٥

لأمير الحج :

على يد السلطان مصطفى .	١٠٧ر٥٨٧ر٢
على يد السلطان عبد الحميد	٠٠٠ر٠٠٠ر٥
على يد السلطان سليم .	٠٠٠ر٠٠٠ر٥
المجموع	١٠٧ر٥٨٧ر١٢

على يد السلطان مصطفى :

للسردارات	٧٢٧ر٥٦٣
لحامية قلعة المويلح	٤٤٠ر١٨٠
لشريف مكة	٠٠٠ر٢٠٠ر١
للامير حاكم ينبع	٠٠٠ر١٨٠
لنقل الزيت	١٥٠ر٨
شمعدانات	٦٢٣ر٦٠
مبلغ مطابق	١٧٤ر١٨ر١٦٠

وكما قلنا فان القبطان باشا قد استبعد من نفقات الميرى مبلغ الـ ٣٥٠ر٧٠٥ مدينى الذى كان يستخدم فيما مضى فى مشتريات مشاقة الكتان ومبلغ الـ ٩٧٢ر٨٧٥ المخصص لشراء سكر الذى يرسل الى القسطنطينية، وأمر بخصم هذه المبالغ من الخزنة اذا ما طلبها السلطان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على قرية المطرية	٢٠٠٫٠٠٠
على محلات الجزارة بالقاهرة . . .	٢٠٠٫٠٠٠
المبلغ المطابق	٦٫٨٠٠٫٠٠٠ مدينى

وفى عام ١٢٠٥ من الهجرة ، عندما أعقب موت اسماعيل بك عودة عهد البكوين مراد وابراهيم ، حصل هذان الأميران من السلطان على خفض (فى قيمة الخزنة) يعادل مبلغ الـ ٦٫٨٠٠٫٠٠٠ مما عاد بالخزنة الى حجمها السابق ، وان كان هذا الخفض لم يمنعهما من اتيان كل ضروب الخيانة (وفساد الذمة) التى كانا يتهمان بها أثناء ادارتهما الأولى ، فأدخلا ضمن الأموال المرسلة للسلطان كل السندات والأوراق والمخالصات التى تبين الانفاقات ، صحيحة كانت أم زائفة ، والتى يريان انه ينبغى ان تتحملها الخزنة . ولم تعد الضريبة السنوية التى يسمحان لها بالوصول الى الباب العالى تتجاوز مبلغ ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ مدينى .

ويقدم الجدول الآتى مثالا على الادعاءات التى كانا يتذرعان بها عادة لانقاص الخزنة :

كانت الخزنة التى ينبغى ارسالها للسلطان تبلغ ١٦٫٧٨٣٫٤٥١ مدينى

وكانا يخصمان منها :

لشراء مشاقة الكتان(١)	١٫٠٠٠٫٠٠٠
لشراء السكر(١) . .	١٫٠٠٠٫٠٠٠
لتوزيع استحكامات القاهرة(٢) . . .	٣٫٠٠٠٫٠٠٠
لنفس الغرض فى مناطق أخرى (٢) فى مصر .	١٫٥٠٠٫٠٠٠
انفاقات متفرقة بأمر شيخ البلد(٣)	٢٫٧٨٣٫٤٥١

---

(١) تختلف قيمة هذه الانفاقات تبعا لحجم طلبات حكومة القسطنطينية.

(٢) وقد ثبت أن البكوين لم ينفقا شيئا على هذه الاستعدادات .

(٣) كان شيخ البلد عادة يأمر بهذه الانفاقات لمنفعته الخاصة ، وقد أصبحت هذه الانفاقات مشروعة أو قانونية شأنها فى ذلك شأن الانفاقات السابقة وذلك بعد أن تم ابتزاز فرمانات من السلطان تخول هذه المصروفات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجموع ما يخصم . . . . . . ٩٫٢٨٣٫٤٥١

وبذلك لم تعد الخزنة تبلغ ســـوى ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ مدينى

	د	س	
تعـــادل	١٠	٢	٢٦٧٫٨٥٧ جنيها توريا
وبالفرنكات		٢٦	٢٦٤٫٥٥٠ فرنكا

وكان سليمان قد قرر أن واحدا من بين الأربعة والعشرين بك ، يحمل لقب أمير الخزنة ، سوف يحمل كل عام خراج مصر الى الســـلطان ، وأن يعمل تحت أمرته ، لتأمين هذا الموكب ، سردار وسربة يتكون افرادها من الاوجاقات العسكرية السبعة كلها. فما أن كانت تتم جباية الضريبة ، حتى يتوجه الروزنامجى الى الباشا ومعه قيمة الخزنة ، وفى اليوم الذى يتقرر تسليم الخزنة فيه ، يجتمع بالقلعة ، كل من رؤساء الاوجاقات والبـــكوات والقاضى وكل أعضاء الحكومة : ويراجع عدد المسكوكات النقدية وتفحص على يد الصراف كاتب الخزنة ، والذى ينبغى أن يكون يهوديا حتى يشغل هذه الوظيفة . وبعد أن يوقع الباشا والروزنامجى البيان المفصل بحساب وقيمة الخزنة ومستنداتها تودع الخزنة فى صناديق مغطاة بالجلد ، ويعهد بها الباشا الى امير الخزنة الذى يعطى ايصالا باستلامه لها . واثناء تحميـــل الصناديق على الجمال المخصصة لنقلها ، يخلع الباشا على الأمير عبـــاءة سوداء فاخرة ، ويغطى الروزنامجى بعباءة أخرى أقل فخامة ، لكنها من نفس اللون ، ثم يوزع قفاطين على السردارات قادة الحرس . ويحضر البكوات ورجال الاوجاقات رحيل امير الخزنة ، ويحيطون به فى موكب مهيب عند اجتيازه القاهرة وحتى العدلية ، وهو مكان يقع بين العقبة وبركة الحج . ويعلن عن هذا الحفل منذ العشية عن طريق العاب نارية تتم فى العدلية ، بفعل طلقات مدفعية تظل تتكرر حتى لحظة الرحيل . ويتخذ امير الخـــزنة طريقه الى القسطنطينية مرورا بدمشق . وكان السلطان سليمان هو الذى حدد بنفسه تفصيلات هذه الرحلة ، كما حدد المبالغ التى ينبغى أن تتحملها الخزنة لمصروفات النقل ،وشراء الصناديق والحقائب والجلود والسجاجيد التى تستخدم لغطائها . وقد خصص :

لنقل الخزنة . . . . ٥٠٫٠٠٠ مدينى

للجـــلود . . . . . ٩٫٧٥٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للســـجاجيد	١٣٤٠ر٥
للصـــناديق	١١ر٤٢٣

ولم تكن تبسط السجاجيد الا حين يدخل الأمير المناطق الآهلة كى يضفى بعض الابهة على موكب يتجه الى مقر سلطان .

وقد كف الكخياوان ابراهيم ورضوان عن ارسال هذه الخزنة مع هذه الرسميات الاحتفالية التى أوردنا تفاصيلها . وحذا خلفاؤهما حذوهما . وقبل مجىء الفرنسيين الى مصر لم يكن الباب يحصل على شىء ، الا اذا أوفد — هو — الى القاهرة آغا موكل بصفة خاصة بالحصول على الاتاوة (الخراج) المقررة ، بل ان مثل هذه الارساليات لم تعد تتم فى العادة الا مرة واحـــدة كل ثلاث سنوات ، وفى كل مرة ، كان يتم تحصيل قيمة الخراجات التىتراكمت فى هذه المدة ، ولم يكن يصحب قدوم أو رحيل الاغا أى ضجيج ، اذ كان الباشا يســـلم اليه ببســـاطة شديدة ، وفى حضرة القـــاضى المسكوكات ومستندات المخالصة التى تكون الخزنة ، وكان على الاغا نفسه أن يتخـــذ الوسائل التى تناسبه لتأمين عودته الى القسطنطينية ، وهكذا لم يعد ثمـــة ما يسوغ تلك المبالغ التى سبق أن اعتمدها سليمان لنقل الخزنة كما أن ذلك لم يؤد الى أى خفض فى الـــ ١٦ر٧٨٣ر٤٥١ مدينى (وهى قيمة الخزنة) التى بيناها ، ذلك أن المبالغ المشار اليها لا تدخل فى أى جدول من جداولنا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكتاب الثالث

دراسات قصيرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١)

معامل التفريخ

روزبير - روبييه

« العنوان الأصلى للدراسة هو : دراسة موجزة حول عملية افراخ الكتاكيت فى مصر باللجوء الى استعمال الافـــران أو المواقد ، تاليف السيدين روزبير مهنـــدس المناجم وروبيـــه الصـــيدلى » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« وكان البيض يوضـــع فوق القش فى قبــو كانت حرارته تظل مستمرة عن طريق نار معتدلة ، حتى اللحظـــة التى تفرخ فيهـــا الكتاكيت ، وطيلة هذا الوقت يظــل ثمة عامل مهمته تقليب البيض ، ليلا ونهارا » .

بلين

التاريخ الطبيعى ، الكتاب العاشر ، الفصل ٥٥

— ١ —

نبذة تاريخية عن طريقة التفريخ الاصطناعية

لعل قليلين من الأشـــخاص فقط هم الذين لم يسمعوا بعـــد عن فن استفراخ الالـــوف من الكتاكيت مى وقت معا ، دون اللجـــوء الى طريقة الحضانة الطبيعيه وذلك بابدال حراره الدجاجات بحرارة مشابهة على نحو تقريبى يتم الحصول عليها بشكل اصـــطناعى فى أنواع من الافـــران أو المكامير ، فهذه واحده من اكثر الممارسات الفريدة التى وجدناها لدى الناس فى العصور القديمة ، ولقد كانت هذه بالمثل فنا هاما عند قدماء المصريين ، كما لا تزال حتى اليوم عند محدثيهم هى الاسلوب الأوحد الذى يستخدمونه لتوفير الكتاكيت . وبالاضافة الى التيسيرات التى قد يقدمها الطقس لانجاح طريقة الحضانه الاصطناعية فان من الأرجح أن يكون الذى وجه بحـــوث المصريين نحو هذه العمليه هو ضآلة نجاحهم فيما يبذلونه لحمل الطيـــور المنزلية عندهم على حضانة بيضها ونستنتج من ذلك أيضا تلك الاســـباب التى دفعت المصريين قبل غيرهم الى التفكير فيها حين نتذكر كم كانت معاهد الكهان القدامى تعنى بدراسة كل ما له بعض علاقة بضرورات الحياة ، وكم كانوا يعلقون من أهمية على توفيـــر المأكولات التى وجـــدوها اكثر ملاءمة للصحة . ومع ذلك فلابد أن نلاحظ أن هذه الوسيلة لم تكن فى ممارستها قاصرة على مصر بشكل تام ، فقد كان الصينيون ، الذين يحلو للبعض القول بأنهم قد تعلموا على يد مستعمرة من المصريين ، يمارسونها بالفعل منذ زمان لا يمكن لنا تحديد بدايته ، وان كانت أفرانهم وطرقهم بالغة الاختلاف .

ولقد اكتشف الرومان كذلك فكرة الحضانة الاصـــطناعية ، ومع ذلك فثمة شك كبير فى أنهم استطاعوا أن يمارســـوا ذلك على نطاق واســـع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبشكل مطلق . ويخبرنا بلين Pline أن نسوة رومانيات كن يتحلين فى بعض الأحيان بصبر يدفعهن الى محاولة افراخ بيضة ما بحملها على الدوام بين النهدين ، وأنهن قد كن يستطعن أن يحدسن من ذلك نوع جنس الأجنة اللانى كن — هن — حبليات بها ، وفضلا عن ذلك ، فانه يصف بايجازه المعهود ، اسلوب أو طريقة الافراخ دون أن يفصح عن البلد الذى كانت تمارس فيه ، وانه لامر شاذ فى الحقيقة أن يكون من الممكن لكاتب كهذا ، شديد المعرفة فضلا عن ذلك بعادات مصر ، أن يجهل أصل ومنشأ هذه الطريقة .

ويشير ديودور الصقلى ، الذى كان دائم التجوال فى هذه المنطقة ، فى عهد أواخر البطالمة ، الى طريقة الحضانة الاصطناعية ، كما لو كانت فنا يمارس منذ زمان طويل ، ويمكن المرء ، بالطريقة التى يتحدث بها عنها ديودور ، أن يحكم بأن المصريين ، فى ذلك الوقت ، كانوا يحيطون هذه الممارسة بكثير من الغموض ،ومع ذلك فان النص الوارد عند ديودور لم يفهم على الاطلاق (الفهم الصحيح) من قبل مترجميه ، اذ يجعله الاب تيراسون Terrasson يقول(١) : « وبدلا من تركهم البيض فى حضانة الطيور نفسها التى باضته ، فان لديهم الصبر على أن يجعلوه يفقس بتدفئته فى أيديهم » . ويشكل هذا التفسير (لنص ديودور) معنى لا يمكن أن يتصف بالمعقولية على الاطلاق ، بل انه لم يرد قط بالنص (المشار اليه)(٢) ، فالتعبير الذى استخدمه ديودور لا يعنى مطلقا أنهم كانوا يدفئون البيض فى أيديهم وانما يقدم معنى مماثلا لتعبير بالغ الدقة استخدمه بلين عن نفس الشىء . ويبدو أن المقصود تبعا لفقرات وردت عند ديودور ومؤلفين آخرين ، لم يكن هو ، فى الأزمنة الاخيرة ،بيض الدجاج بصفة خاصة مطلقا وانما هو بيض الأوز الذى كان يمر بهذه الوسائل ، ولقد كان لحم هذه الطيور واحدا من اللحوم التى كان يفضلها الكهنة خلال الأزمنة التى لا ينتشر بها مرض وبائى ، وهذا هو السبب فى أن القوم كانوا يجدون كثيرا فى مضاعفة أعدادها . وتأتى المبانى الاثرية لتتطابق مع هذه الشهادات حيث نرى هذه الطيور مرسومة فى الوف الاماكن ، وبصفة خاصة فى تلك الرسوم البارزة التى تمثل الاضحيات المقدمة الى الالهة .

---

(١) الكتاب الأول ،ص ١٦٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع ذلك ، فهل يكون علينا — اذا ما تقبلنا فكرة قدم الحضانة الاصطناعية-ان نصدق أن الوسائل التى نجدها هناك اليوم هى نفسها تلك الوسائل التى كانت تتبع فى الماضى ؟

ان سؤالا كهذا جدير بالاهتمام من نواحى عدة ، ويظل يحتاج على الدوام الى اجابة تحسمه .

« يقال إن الكهنة ، وقد تشبثوا بعناد أكبر مما ينبغى بالملاحظات القديمة المتجمعة حول الطريقة التى تنتهى بافراخ بيض النعام والتماسيح والذى يودع فى الرمال ، لم يكلفوا انفسهم حتى عناء القيام بأية بحوث لاحقة »(١) ويعتقد المرء أنهم قداكتفوا بتخيل طريقة مماثلة . ولقد استقر بصفة عامة بين أولئك الذين درسوا عادات مصر القديمة ، أن هؤلاء الكهنة ، بدلا من استخدام الافران التى تدفئها النيران ، كانوا يحيطون البيض ببراز الحيوانات والذى كانت حرارته الطبيعية تكفى لافراخه ، ومع ذلك ، فلسوف تكون هذه الواقعة بافتراض صحتها،بالغة الغرابة لان أبخرة هذه الفضلات الحيوانية قاتلة لأجنة البيضات ، كما أن الحضانة التى تتم على هذا النحو ، وفضلا عن كونها اختراعا بالغ البساطة ، تتتضى اتخاذ احتياطات ليس من الطبيعى تخيلها للوهلة الأولى . واننا لنعرف بالقدر الكافى ، كيف ساقت مثل هذه الفكرة الشاذة ريومور Reaumur الى الوف المحاولات ، حين أصر بعناد على تحقيق رغبته فى تفريخ الكتاكيت فى روث الماشية على غرار ما كان يفعل الكهنة المصريون . ولقد خصص هذا الفيزيائى الحاذق واليقظ مجلدا بأكمله لوصف التجارب غير المثمرة التى قام بها فى البداية ، كما انه لم يحرز بعض نجاح الا بعد أن توصل بشكل حاسم الى الحيلولة دون حدوث اى اتصال بين البيض وبين الأبخرة التى تتصاعد من هذه الفضلات الحيوانية .

ومع أن المسيو دى بو dePauw قد كشف بكثير من التجرد والنزاهة عن وجود أفكارخاطئة كثيرة حول عادات مصر القديمة ، فانه — برغم ذلك — قد تبنى هذا الرأى نفسه ، وآراؤه فى ذلك تستحق التمحيص ، ولسوف

---

(١) M. de Pauw, Recherches Philosophiques sur les Egyptiens, t. Ier, Pag. 204.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نعرف عن طريق ذلك الى أى حد تشبث بفكرته حول هذا الموضوع . يقول هذا الباحث : « لابد أن تعترينا الدهشة حقا لأن كهنة مصر . . وهم الذين كانوا يعرفون معلومات ومعارف واسعة بالقدر الكافى عن امور لا حصر لها ، قد كانت تنقصهم النظرة الناقبة فى نقطة رئيسية : ذلك أنهم لم يكتشفوا طريقة الافران ، بل لقد كانوا يرتابون فى امكانية انشائها ، وهذا أمر تسهل البرهنة عليه . فأرسطو — ولعله أقدم مؤلف تناول طريقة تفريخ البيض فى مصر — يذكر أن القوم لم يكونوا يستخدمون سوى الحرارة المنبعثة من الفضلات الحيوانية . أما انتيجون الذى عاش بعد أرسطو بقرون طويلة فيذكر الشيء نفسه ، كذلك فعل بلين الذى وضع مؤلفه بعد أنتيجون ، كما ترجم ما ذكره أرسطو كلمة بكلمة ، وأخيرا فان الامبراطور أرديان الذى جاس فى كل أنحاء مصر ووقف باهتمام على غرائبها قد عبر عن مشاعره فى رسالة منه وجهها الى سرفيان Servien يتحدث فيها عن المصريين « انهم يفرخون كتاكيتهم بطريقة أخجل من أن اقصها عليك » .

« وتبرهن كل هذه الشهادات مجتمعة أن طريقة الأفران كانت مجهولة فى هذه البلاد حتى عام ١٣٣ من الميلاد ، وربما لما بعد ذلك بوقت طويل ، ذلك اننى أجهل متى وكيف أمكن الناس هناك أن يتوصلوا اليها » .

ان شهادة ارديان هذه ، هى كما رأينا بالغة الدلالة ، وان كانت الشهادات الباقية تبدو أكثر موضوعية ، ولكننا عندما نفحص فقرة من بلين أهملها المسيو دى بو سوف نرى أن هذا المؤلف يقول على وجه الدقة عكس ما اسسناه هنا على مسئوليته (انظر التاريخ الطبيعى ، الكتاب العاشر ، الفصل ٥٥) : « وكان البيض يوضع فوق القش فى قبو كانت حرارته تظل مستمرة عن طريق نار معتدلة حتى اللحظة التى تفرخ فيها الكتاكيت ، وطيلة هذا الوقت يظل ثمة عامل مهمته تقليب البيض ليلا ونهارا » . هذا ما قاله بلين بالحرف ، ومنها جاء التصدير الذى بدأت به هذه الدراسة . وهذا هو أفضل تعريف يمكن لنا أن نقدمه ، فى مثل هذه الكلمات القليلة ، عن الاسلوب الذى لا يزال متبعا حتى اليوم ، أما التعبير igne modico أى نار معتدلة فلا يترك أى لبس ، كما أن الاشارة الى عامل يعمل ليل نهار فى تقليب البيض انما ترسم بدقة ملمح العمل المتبع فى طريقة الافران ، وكذلك ، فعلى الرغم من أن بلين لم يوضح مطلقا المصدر الذى استقى منه معلوماته ، فان من المستحيل الاعتقاد بأننا بصدد وصف شيء آخر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غير ما كان يجرى فى مصر ، حيث كان المصريون من بين كل الشعوب التى عرفها الرومان ، وباعتراف المسيو دى بو نفسه ، هم الوحيدين الدين كانوا يقومون بعملية التفريخ الاصطناعية .

وفى نفس الوقت ، فان أرسطو(١) ، مع اختلافات كبيرة ، لم يعبر عن الامر بطريقة تماثل فى دقتها طريقة بلين ، ولست واحدا ممن يقتنعون بأن هذا الفيلسوف قد صدق حقيقة ، شأنه فى هذا شأن منتحلبه ، ان الاسلوب (المتبع) كان هو العمل على افراخ البيض بفعل الحرارة التى تنبعث بشكل طبيعى من الفضلات الحيوانية ، وسوف يسهل علينا أن نتبين سبب ازدرائه للامر اذا ما وقفنا على تفاصيل العملية ، حيث لا يقتصر الأمر على وضع البيض داخل المكمرة على طبقة من القش أو روث الماشية ، بل أن الوقود المستخدم للاحتفاظ بدرجة الحرارة التى لا بد من توفيرها لن يكون هو نفسه الا من هذه الفضلات نفسها ، أى انه مصنوع من روث الحيوانات مختلطا بقليل من القش المهروس . وحيث أن مصر بلد عار من الغابات ، فقد استخدم الناس فيها ، فى كل العصور ، هذا الوقود الذى يعطى حرارة بالغة الاعتدال ويسهل التدرج بها ، فضلا عن انه يتناسب تماما مع العملية التى نحن بصددها . ولذا ، فاننا ان نتردد مطلقا ، باعتبار ذلك واقعة مستمرة ودائمة ، فى النظر الى طريقة الحضانة الاصطناعية التى تمارس اليوم على أنها هى نفس ما كانت تستخدمه مصر منذ عصورها القديمة . وقد أخبرنا شيوخ القاهرة ، وكذلك اكثر ابنائها تبحرا فى العلم ، وهم فى هذا يتفقون مع المؤلفين العرب فى مختلف العصور ، بأن هذه الوسيلة لم يتوقف قط استخدامها سواء فى مصر العليا أو فى مصر السفلى ، فاذا كانت احدى المخطوطات التى ترجع الى زمن الخلفاء تقصر استخدامها على قرية برما(٢) Behermes فى الدلتا فان الامر يعود الى ازدراء يسهل تفسيره .

---

(١) Historia animalium, lib vI cap 2.

(٢) Behermes هى اليوم برنبال (كذا) وتقع بالقرب من فوه . ونقرأ فى احدى المخطوطات العربية وصلت الينا عن طريق الشيخ ابراهيم قارىء الجامع الكبير (الازهر) بالقاهرة ان ابناء هذه القرية قد ورثوا عن الملحدين (المصريين القدماء) هذا العلم وهم ، مثلهم ، يعرفون طريقة افراخ بيض الدجاج وبيض كثير من الطيور الأخرى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا يزال البرماويون حتى اليوم مشهورين بادارة معامل التفريخ، ويستدعون لهذا العمل فى ولايات عديدة (من مصر)(١) ، ومع ذلك فمن الأرجح أن كانت هذه الحرفةوراثية عندهم ، فقد كانت الأفران علىالدوام كثيرة الانتشار فى كل مكان من البلاد ، وان كان عدم الدقة الذى اتسم به المؤلفون العرب حول مثل هذا النوع من الوقائع يبلغ قدرا لا يمكن للمرء معه سوى أن يرتاب فى انهم قدخلطوا بين هذين الأمرين .

— ٢ —

وصف معامل التفـــريخ

تحمل كل واحدة من المنشــات المخصصة لافراخ الكتاكيت اسم معمل الفروج . وتتكون هذه من عدد من الأفران يتراوح بين اربعة أفران وثلاثين فرنا . لكن هذه الافران تصطف على الدوام فى صفين متوازيين ، ويفصل بين الصفين دهليز ضيق . وهذا المعمل ، وهو مبنى من القرميد أو من الطوب النيىء المجفف فى الشمس ، محكم الاغلاق بشكل دائم ، أما نوافذه فعبارة عن عدد كبير من الفتحات الدائرية الصغيرة ثقبت فى قبة الدهليز ، اما البـاب ، فنافذة تسبقها عدة حجرات صغيرة جد متلاصقة . هذا هو الوضع العام لهذه المعامل . وليس ثمة ما هو أبسط من تصميم بناء هـــذه المعامل ، اذ يتكون الواحد منها من عدد من الخلايا الصغيرة ، يصل ارتفاع الخلية منها لثلاثة أمتار (٩ — ١٠ أقدام) ويبلغ طولها نفس الشىء تقريبا، فى حين يبلغ عرضها المترين ونصف المتر . وتنقسم الخلايا الى طابقين اذ يقطعها عند منتصف ارتفاعها ، وأحيانا عند ثلث هذا الارتفاع ، لوح خشبى يكسوه الآجر ، ويخترقه عند منتصفه (فى كل خلية) ثقب يكفى اتســـاعه

(١) فى الصعيد ، حيث يوجد عدد من معامل التفريخ اقل منه فى مصر السفلى ، يحتكر اقباط ببلاو ادارة هذه المعامل ، ومنذ ثلاثين او اربعين عاما كانت هذه القرية التى تقـــع على بعد بضـــعة فراسخ الى شـــــمال منفلوط ، وهى اليوم تكاد تكون خربة ، كانت ما تزال ضيعة هائلة تضـــم عددا كبيرا من المعامل ، ومنذ ذلك الوقت تفرق « معلمو » المعـــامل فى مختلف انحاء مصر العليا واستقروا فى مدن جرجا وفرشوط وبهجورة واسنا وفى كل البلدان تقريبا ، أما حصيلة ما رصدته من أرض الواقع فهو انه ليس من المحتمل أن يكون مسيحيو ببلاو قد تعلموا اساليبهم من أبناء برما .

« هامش من وضع المسيو جومار »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لتمكين رجل من أن يمر من طابق الى الطابق الاخر . ولكل واحدة من هذه الحجرات (أو الخلايا) الصغيرة بابها المطل على الدهليز ، يكاد يماثل فى حجمه نفس أطوال النقب المعمول فى اللوح الخشبى ، ويستخدم كذلك استخداما مشابها . وهناك فتحات أخرى فى الحواجز أو الفواصل الجانبية تؤدى لحدوث اتصال بين كل الأفران الواقعة على الجانب نفسه من جانبى الدهليز ، وأخيرا ، يخترق القبة التى تغطى كل فرن ، فتحة ضيقة تساعد على تصريف الدخان . وحيث تخصص الحجرات السفلية لوضع البيض ، فان النار توضع فوق أرض الحجرات العلوية ، والتى أحدثت فيها ، بقصد استقبال هذه النار ، حفرتان قليلتا العمق ، وان كان عدد هذه الحفر يبلغ الأربعة فى بعض الأحيان ، تقع بالقرب من الجدران الفاصلة او الحاجزة . وتحيط بثقب أو فتحة اللوح الخشبى حافة ناتئة يبلغ طول نتوئها بوصتين ، ويحمى هذا النتوء البيض من سقوط رماد المواد الملتهبة عليه(١) .

وتستخدم احدى الحجرات الواقعة عند مدخل المعمل مقرا لسكنى العامل الرئيسى (المعلم) ومساعده ، وهذان لا يبتعدان أبداً عن المعمل طيلة الوقت الذى تستغرقه عملية التفريخ ، وتستخدم حجرة اخرى لاشعال الوقود الذى يراعى الا يحمل الى الافران الا بعد أن يكون قد احترق نصف احتراق كى لا يمكن هذا الوقود أن ينتج ابخرة ضارة ، ويتكون هذا الوقود المسمى « جلة »(*) من بعرات الجمال والقش المهروس ، معجونة على هيئة أقراص ، ويعطى هذا الوقود كما سبق لنا أن اشرنا ، حرارة بالغة اللطف ، تسهل زيادة درجتها عند الحاجة .

— ٣ —

سير عملية التفريخ

توافق الفترة التى تفتح فيها المعامل فى مصر العليا أبوابها الأيام الأولى من شهر فبراير ، لكنها دوما تبدأ بعد ذلك بفترة فى مصر السفلى اذ الطقس

---

(١) انظر اللوحة الأولى ، الاشكال ١١ ، ١٢ ، ١٣ من مجموعة الفنون والحرف ، الدولة الحديثة ، المجلد الثانى ، وكذا اللوحة الثانية ، الأشكال ١ ، ٢ ، ٣ .

(*) هذا اللفظ هو نفسه ما ورد بالنص الفرنسى (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هناك اقل حرارة .وحيث تبلغ مدة الحضانة واحدا وعشرين يوما فان الكتاكيت لا تفرخ الا عند نحو بداية شهر مارس . وقد دلت التجربة على أن الحرارة، فى هذه الفترة وحدها ، تكون مناسبة بالقدر الكافى للكتاكيت الوليدة وبذا تظل حية دون رعاية خاصة ، غير أن حرارة الصيف المتزايدة ضارة بالبيض . وعلى هذا فلا تتم فى العادة سوى ثلاث عمليات تفريخ متتالية ، أو أربع على الأكثر فى بعض المعامل .

وقد وصف عديد من الرحالة المحدثين طرق هذه الحضانة الاصطناعية وان كان الغالبية منهم قد ناقضوا بعضهم بعضا ، ذلك أنهم اعتبروا قواعد ثابتة كل ممارسةأو خطوةوقفوا عليها ولو كانت خاصة بالمعمل الذى زاروه دون أن يقفوا على العلاقة التى قد تربط ايا من هذه الممارسات بظـروف معينة هى على الدوام عرضة للاختلاف والتنوع .

ويستخدم كل معمل (فى الحضنة الواحدة) لتفـريخ ٣ ـــ ٤ آلاف بيضة . وعند بداية هذه العملية تختلف طريقة توزيع البيض بعض الشىء ، فبدلا من توزيعها على كل الأفران دون تفرقة ، تترك خالية تماما فى بعض الأحيان افران بعينها ، ومن نافلة القول أن نضيف أنهم يجنبون بكل دقة كل البيضات التى لم تكن قد اخصبت او تلك التى لحق بها التلف ، وهذه تضر كثيرا بعملية التفريخ . اما البيضات التى توضع فى الأفران فتكون قد فحصت بعناية من قبل على يد العامل (المختص) ، ثم تم تسجيلها بمعرفة الكاتب الموكل بادارة المنشأة ، التى تلتزم بأن ترد عند نهاية العملية الى كل شخص عددا من الكتاكيت يتناسب مع عدد البيض الذى كان هذا الشـــخص قد ســـلمه للمعمل .

ويصف هذا البيض فى كل فرن على شكل طبقات عدة بعضـــــها فوق الاخر ، وترقد آخرتهن على حصيرة أو على مشاقة الكتان او القش الجاف . ذلك ان الأبخرة التى قد تنبعث من زبالة رطبة قد تضر كثيرا بنجاح العملية .

ولا توقد النار فى البداية الا فى نحو ثلث عدد الأفران ، تختار على مسافات شبه متساوية ، وبعد ذلك بأربعة ايام او خمسة توقد فى بعض الأفران المتبقية ، وبعد عدة أيام اخرى توقـــد الأفران الباقية مع مراعاة انه بمجرد أن توقد النار فى أفران جديدة تترك نار الأفران التى أوقدت فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البداية لتخبو . وسنشرح فيما بعد دوافع هذا الاجراء . وتتجدد النيران ثلاث مرات وفى بعض الاحيان أربع مرات فى اليوم الواحد ، وتزاد النـــار قليلا فى الليل ، ويدخل العامل المختص الى الحجرات السفلية مرتين أو ثلاث مرات فى اليوم لتقليب البيض ولتغيير أماكنه ، ولابعاده ، كل بدوره ، عن المناطق الأشد حرارة . وهذا هو عمله الرئيسى .

وبدءا من اليوم الثامن يفحص البيض جميعه على ضوء مصـــــباح ، وتستبعد تلك البيضات التى لم تخصب ، وجدير بالذكر أنه عنـــــد ترتيب البيض ، كان قد ترك فراغ فى وسط الحجرة ليستقر فيه العامل عند نزوله من الأرضية الخشبية للحجرة العلوية .

وقد تبينا وجود الكثير من الاختلافات بالنسبة للكثير من خطـــوات هذه العملية ، وبعض هذه الاختلافات محض تحكمية وقد يكون من الاملال أن نتوقف عندها ، وبعضها الاخر يعود الى التوقيت الذى تتم فيه هذه العملية والى التباين فى درجات الحرارة وأحيانا الى المقر الخاص بالمعمل والى عدد الأفران التى يتكون منها بصفة خاصة . ويكفى أن نقدم الأشياء بشكل نستطيع معه أن نحكم على تأثير هذه الظروف المختلفة ، مع قصر اهتمامنا على الظروف الأساسية اللازمة لانجاح عملية التفريخ :

الظرف الأول : تأكد عن طريق ملاحظات تمت باستخدام الترمومتر ان الحرارة المعتادة للحجرات التى يوضع بها البيض هى، مع اختلافات طفيفة، ٣٢° حسب ترمومتر ريومور Réaumur . وهذه على وجه التحديد هى درجة حرارة الحضانة الطبيعية ، ولا تتراوح الاختلافات الا فيما بين ٣١° ، ٣٣° ، وان كانت هذه الاختلافات تكون أكبر بكثير فى الدهليز وفى الحجرات العلوية ، فتظل دوما ادنى من ٣٢° فى المكان الأول وأعلى بكثير من ذلك فى المكان الثانى ، على الأقل ، طيلة الوقت الذى تكون النيران فيه لا تـــزال موقدة ، وكذا لبضعة أيام فقط بعد أن تخبو .

ولا يعرف المصريون الترمومتر . ويســـتبدل به العامل حساســـية يجعلها التعود الشديد بالغة الفعالية ، ولهذا السبب فليس من الممكن أن يحل محل مديرى المعامل الذين لا يتخذون لأنفسهم قط من معاونين سوى أولادهم أو أقاربهم ، غيرهم من المصريين فى هذا الضرب من ضـــــروب الصناعة، ولهذا بقى سراً فى أيدى أعداد معينة من الأسر ،ولابد من ممارسـة

طويلة حتى يكون بالمستطاع ادارة معمل ، ولكن لو استخدم الترمومتر ستصبح هذه المعضلة الرئيسية فى حكم العدم .

الظرف الثانى : وثمة شرط ثان ينظر اليه باعتباره شرطا هاما ، وهو ترك النار تخبو قبل انتهاء العملية بوقت قصير ، اما لخشية العاملين على الكتاكيت من انبعاث بعض الروائح من الوقود ، وبخاصة ثانى اكسيد الكربون الذى يملأ الحجرات السفلية ، واما لأنه ليس لدى هؤلاء من هدف سوى بسط البيض ، الذى يوزع جزء منه بالحجرات العلوية لفترة اطول . وينتج عن ذلك أن من الضرورى تدفئة مبنى الافران بالقدر الكافى فى الجزء الأول من عملية التفريخ حتى تستطيع جدرانها الجانبية وحدها ان تحفظ البيض طيلة الجزء الباقى من الوقت فى درجة حرارة ٣٢ .

ولكى يتم توافق هذا الشرط مع الشرط السابق يترك العامل فى بعض الأحيان أفرانا بعينها فارغة حتى يستطيع تدفئتها حسب رغبته عند بدء عملية التفريخ ، وهو الأمر نفسه الذى يقتضى منه عدم اشعال كل الأفران فى وقت معا ولتوزيع الأفران التى يوقدها بطريقة متناسقة ، ولتقليل عددها اكثر فأكثر وكذا لتخفيف كثافة وتقصير مدة النار فى الأفران التى يوقدها فى النهاية كى تظل الحرارة على وجه التقريب متساوية فى الأفران جميعها عقب اطفاء النار فجاة . فاذا ما اطفئت النار فانهم لا يسارعون مطلقا بنقل البيض الى الحجرات العلوية وانما ينتظرون لعدة ايام . ويحدد بعض الرحالة هذه الفترة بأربعة أيام ، ويحددها آخرون بستة ، ويحددها فريق ثالث منهم بثمانية ، والحقيقة ان ليس ثمة شيء عام فى ذلك اللهم سوى انتظار برود هذه الحجرات ، وبخاصة ارضيتها الخشبية وعلى نحو كاف ، وبعد ذلك تقفل الفتحات الخارجية للافران اقفالا غير كامل فى البداية ، بل يتم ذلك شيئا فشيئا كلما بردت كتلة المبنى ، وكلما يكون من الضرورى تركيز الحرارة هناك بدرجة اكبر للحصول على درجة ٣٢ .

وفى بعض الأحيان لا يكتمل عدد البيض الذى يمكن لمعمل ان يحويها الا مرتين أو ثلاث مرات فى العام ، عندئذ تتم عدة خطوات متميزة تتخذ فى وقت معا ، وتستمر الأمور على هذا النحو حتى نهاية الفصل مما يدخل على الأساليب المتبعة تعديلات طفيفة .

وما أن يفتتح معمل ما حتى يحمل اليه كل سكان المناطق المجاورة كل

ما لديهم من بيض فى ذلك الوقت ، وبعد انتهاء عملية التفريخ ، يرد اليهم نحو خمسين كتكوتا فى مقابل كل ١٠٠ بيضة (قدموها) ، ويؤول الباقى (من الكتاكيت) الى صاحب المعمل(١) وعادة ما يقدر عدد البيض غير المخصب بـ ١/٥ العدد الاجمالى ، وفى بعض الأحيان لا يبلغ العدد الفعلى سوى السدس ، ونادرا ما يتجاوز الثلث الا اذا كان الأمر يعود الى خطأ من جانب العامل ، ولذلك فانه ملزم عادة باعادة عدد من الكتاكيت يعادل ثلثى عدد البيض الذى تسلمه على الأقل .

وليس من النادر أن يفرخ بعض البيض بدءا من اليوم العشرين أى أبكر يوما عن مدة الحضانة الطبيعية ، وخلال أربع وعشرين ساعة نجد أمامنا ما يربو على ٦٠ ألف كتكوت فى منشأة واحده .ويلقى لها ، كغذاء ، قليل من الدقيق المختلط بخبز مفتت .

وتورد بعض المؤلفات أنه بسبب هذه الكميات الهائلة التى تقدمها هذه المعامل ، فقد كان الناس يلجئون لبيعها فى صاع أو ربع وهو ما يعنى ١/٤ مكيال بعينه . وقد ذكر هذا الاسلوب الشاذ أشخاص كثيرون ، وأكدوا لى أنهم رأوا ذلك بأعينهم ، ويوجد بكل مكيال على الدوام عدد من الكتاكيت الميتة ، وهذه الطريقة ، وان كانت تتفق مع تكاسل المصريين وتراخيهم ، حيث هى تعفيهم من تحديد أسعار مختلفة للكتاكيت (تبعا لاعمارها) ذلك أن البيع بالكيل سيجعل عددالكتاكيت التى تناولت طعاما أقل من تلك التى لم تطعم بعد فى المكيال الواحد ، الا أن الشيء الذى يمكننى ، فى هذا الصدد ،أن أقدمه كأمر مؤكد هو أن هذه الطريقة ليست هى الشائعة على الاطلاق ، ففى كل المنشآت التى زرتها كانوا يعدون الكتاكيت ولا يكيلونها

---

(١) لا تدفع أجور أصحاب المعامل على الدوام عينا ، ففى ديروط الشريف ،وهى قرية تقع عند فتحة بحر يوسف . قمت بزيارة واحدة من هذه المنشآت حيث علمت أن الفلاحين يدفعون مدينى واحدا عن كل ٢٠—٣٠ بيضة تبعا للظروف . وعلى الرغم من أن هذا المكسب أدنى بكثير من المكسب الناتج عن الحصول على ١/٣ البيض فانه مع ذلك بالغ الضخامه ، فهذه الأنواع من المصانع هى بالتأكيد أكثر من كل مثيلاتها ربحا فى مصر . وعندما اذكر هذه الملاحظة التى أدين بها للمسيو جومار فلابد لى أن أوضح أن هذا الاسلوب فى دفع الاجر لا يمكن أن يتناسب الا مع المنشآت كبيرة الحجم ، اذ هو فى معمل لايشتمل الا على ٨—١٠ أفران سوف يعطى عائدا أدنى من المصروفات الجارية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البته ، وتباع مائة الكتكوت افرخت حديثا بـــ ٨٠ مدينى فى المتوسط (أى ادنى قليلا من ٣ فرنكات من عملتنا) .

ويقدر عدد معامل التفريخ فى مصر بمائتين ، ويصل به الاب سيكار الى ست وثمانين وثلاثمائة (٣٨٦) طبقا لما اخبره به الاغا أو شيخ بلد برما، لكن هذا الرقم مبالغ فيه كثيرا ، وقد قدر ريومور الكمية السنوية للكتاكيت التى تفرخها معامل مصر بأكثر من ٩٢ مليونا . وهناك أخطاء كبيرة فى هذا التقدير ، اذ لا ينبغى أن نحصى فى المتوسط سوى ١٠ أفران فى كل معمل ، ولا يمكن ان يبلغ عدد مرات الافراخ للفرن الواحد اكثر من أربع مرات كل عام ، مما ينتج ٤٠ × ٣٠٠٠ بيضة لكل معمل أى ١٢٠ الفا ، وبافتراض ان المائتى معمل تعمل جميعا بكل كفاءتها فان الرقم الاجمالى لا يمكن أن يبلغ سوى ٢٤ مليونا من الكتاكيت .

ملاحظة :

خصصت الملاحظات العامة المذكورة آنفا بصفة خاصة لتفهم عقلية وأساليب المصريين ، أما فى الملاحظات التى ستعقب هذا الهامش فسنجد تفاصيل معملية استمدت من عماية مراقبة تمت فى معامل القاهرة ، من شـــأنها أن توضح بعض صـــعوبات الممارسة . وقد تركنا بعض التكرار على حاله اما لان الأشـــياء نفسها قد عولجت فى ظل علاقات مختلفة ، واما لأنها لازمة لتفهم التفاصيل الأخرى .

وصف خاص لعدد من معامل التفريخ تابعناها فى القاهرة ، وللأساليب المتبعة هناك

يطلق المصريون اسم معمل الكتاكيت أو معمل الفروج على المحل الذى يضم الافران والحجرات الخاصة التى يتم فيها تفريخ البيـــض . والمبنى الرئيسى(١) عبارة عن مربع يتفاوت طول ضلعه ، يقطعه من الداخل بكل

---

(١) تقوم هذه المبانى بصفة شبه دائمة داخل مساكن متداعية، ويتكىء ظهرها عادة الى اكوام من الرمال والانقاض ، مما حمل بعض الرحالة على القول بأنها مدفونة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طوله دهليز يفصل صفين من الحجرات الصغيرة ، يتراوح عددها من ٢ الى ١٢ فى كل جانب ، وتتكون كل حجرة من طابق مزدوج (طابقين) ، ويبلغ طول الحجرة السفلية التى يمكن أن نسميها المفرخ (بفتح الميم وسكون الفاء وفتح الراء) ، لأنها تضم البيض خلال فترة الحضانة ، نحو ثمانية أقدام بعرض يبلغ ستة أقدام . وليس لها سوى باب صغير يطل على الدهليز . أما الحجرة العلوية ، التى سأسميها الفرن والتى يضعون فيها النار ، فلها على وجه التقريب المساحة نفسها التى للحجرة التى تحتها ، ولها كذلك باب يطل على دهليز ، وفوق ذلك فاننا نلحظ وجود فتحة فى قبتها تغلق وتفتح حسب الحاجة ، ولها كذلك نافذتان جانبيتان مفتوحتان على الدوام ، وتتصلان بالافران المجاورة ، وفى النهاية فان فى أرضيتها الخشبية فتحة كبيرة نحوا ما ، وهى دائرية الشكل ، صنعت من حولها حفرة واسعة توضع فيها الجمرات المتقدة التى تنتشر حرارتها من خلال هذه الفتحة العلوية الى الحجرة السفلية .

وقبل أن نصل الى داخل المعمل نجد ثلاث او أربع حجرات خاصة ، تستخدم أولاهن مقرا لسكنى الأشخاص الموكلين بخدمة الأفران ، وفى الثانية تتحول أقراص « الجلة » وأصناف الوقود الأخرى التى لابد لها أن تستخدم فى تدفئة الأفران ، الى جمرات ملتهبة ، اما الثالثة فمخصصة لاستقبال الكتاكيت بعد افراخها بعدة ساعات .

ولا تعمل معامل الكتاكيت فى مصر الا لمدة شهرين أو ثلاثة اشهر من العام ، وتفتح هذه المعامل فى الصعيد عادة عند نحو نهاية شهر يناير ، اما فى القاهرة فلا يبدأ العمل بها الا فى الأيام الاولى من شهر مارس .

وفى هذه الفترة يدخل صاحب كل واحدة من هذه المنشآت فى خدمته اثنين أو ثلاثة من هؤلاء الرجال الملمين جيدا بكيفية الاشراف على عملية الفقس . وفى حين ينشغل بعض هؤلاء العمال باعداد المبنى الذى سيمارسون فيه عملهم ، يتسلم آخرون البيض الذى يجلبه الناس لهم من القرى المجاورة ، ويسجلون كميات البيض المتسلمة وكذلك أسماء من أودعوهم اياها ، مقرين بذلك ضرورة أن يردوا عددا محددا من الكتاكيت(١) .

---

(١) ويبلغ ذلك عادة ثلثى عدد البيض المودع ، أما الباقى فيؤول الى أصحاب المعامل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعندما يتم جمع عدد مناسب من البيض لبدء تفريخ « الرقدة » الأولى يتم العمل على النحو التالى : لا تستخدم مطلقا كل المفارخ للرقدة الواحدة نفسها وانما يستخدم نصف عددها فقط ، فاذا كان المبنى يضم ستة مفارخ فى كل جانب ، فلا يوضع البيض فى بداية العملية الا فى المفرخ الأول ، فالثالث ،فالخامس ، فالسابع فالتاسع ثم الحادى عشر ، ويوضع البيض فوق طبقة من الرماد والقش المهروس (التبن) ، ويوضعما يصل الى ثلاث طبقات من البيض كل منها فوق الأخرى ، ويمكن كل واحد من المفارخ أن يضم من أربعة الى خمسة آلاف بيضة عندما تمتلىء هذه بشكل تام . وبعد ذلك يسجل على كل واحد من المفارخ اليوم الذى بدأت فيه عملية التفريخ ثم تجلب الى حفرات الافران الستة الواقعة الى أعلى الجمرات المتقدة والناتجة عن احتراق مواد وقود مختلفة تحولت الى جمرات لهذا الغرض ، فى واحدة من الحجرات سبق أن تحدثنا عنها . وبعد لحظات تقفل فتحات القباب ثم أبواب الأفران والمفارخ ، وتترك هذه الجمرات على هذا النحو تتآكل ببطء ، وتتجدد هذه العملية مرتين فى النهار ومثلهما بالليل، ويتكرر ذلك كله طيلة عشرة أيام متعاقبة ، وفى كل مرة يراعى أن تفتح للحظة ، فتحات القباب وأبواب المفارخ اما لتجديد الهواء فى داخل المبنى واما لتقليل اثر الحرارة الأولى والتى قد تسبب فى ايذاء البيض . أما فى الفترات التى تتخلل عمليات التدفئة فيمر العمال بالبيض الموجود بالمفارخ ويقلبونه ، وينقلون الى الطبقة الثانية أو الثالثة البيض الذى كان مصفوفا بالطبقة الأولى . وهكذا يقتصر العمل خلال الأيام العشرة الأولى على تجديد النار من أربع الى خمس مرات كل أربع وعشرين ساعة وعلى المرور بالبيض وتقليبه مرة فى اليوم أو مرتين .

وفى اليوم الحادى عشر يتضاعف العمل ، فتعد رقدة ثانية من البيض الذى تم جمعه ،ويوضع هذا البيض ، مع اتخاذ الاحتياطات التى سبق بيانها بالنسبة للفقسة السابقة ، فى المفارخ الستة الأخرى والواقعة بين مفارخ الفقسة الأولى ولابد أن يتم هذا العمل فى أقل من ثلاث ساعات . وحين تصبح الفقسة الثانية جاهزة بالقدر الكافى ، تجلب على الفور الجمرات المتقدة لتوضع فى حفرات الأفران العلوية ، ويستمر اشعال النار لمدة عشرة أيام متتالية بالطريقة نفسها التى اتبعت مع الفقسة الأولى ، على أن نحرص فى كل مرة على فتح منافذ القباب وأبواب المفارخ لفترة ، وخلال

هذه الفترة يبذل للبيض من العنـــاية نفس ما بذل من قبل لبيـــض الرقدة الأولى .

وبدءا من اللحظة التى توضع فيها النيران فى أفران الفقسة الثانية ، يتوقف العمال عن وضع النار فى أفران الرقدة الأولى ، اذ يحصل بيـــض هذه على القدر الكافى من الدفء ، من الحرارة المنبعثة من الأفـــران المجاورة ، وان كانوا لا يتوقفون من أجل هذا عن الاهتمام ببيض هـــذه الرقدة اذ هو يتطلب قدرا أكبر من العنـــاية كلما اقتربت لحظـــة خـــروج الكتاكيت . وينقل جزء من هذا البيض على الأرضية الخشبية للأفـــران بعد مضى يوم من خمود النار ، وحيث تكون بيضات هذه الفقسة أقل تكوما فان تقليبها يتم بشكل أكثر يسرا ، ويتم المرور عليها عدة مرات فى اليـــوم الواحد لاستبعاد ما يعتقد أنه قد تلف من بينها .

وفى اليوم العشرين نبدأ فعلا فى العثور على عدة كتاكيت ، وفى اليوم الحادي والعشرين يكون قد أفرخ من البيض عدد كبير للغاية ، ويقوم العمال فى بعض الأحيان بتسهيل عملية خروج الكتاكيت التى لم تستطع أن تحطم قشر بيضها بشكل تام ، ويظل يحتفظ ببقية البيض الذى يمكنـــه أن يعطى كتاكيت متأخرة وذلك لمدة يوم أو يومين . وتوضع الكتاكيت الهزيلة أو الضعيفة فى الدهاليز الذى يفصل بين المفارخ ، وتحمل الكتاكيت الأخرى الى الحجرة المخصصة لاستقبالها حيث لا تبقى الا لنحو يوم واحد ، وهى تحمل الى هناك ليتم اعطاؤها لاولئك الذين جلبوا البيض (الى المعمل) او لبيعهـــا .

وبمجرد انتهاء الفقسة الأولى ، ينشغل العمال بالتحضير للفقســـة الثالثة . وعندئذ يوضع البيض فى المفارخ الستة التى اصبحت فارغة ، ويتكرر بالنسبة لهذه الفقسة الثالثة ما سبق حدوثه بالنسبة للفقستين الاولى والثانية خلال ايام العمل العشرة الأول . أما خلال الأيام العشرة الثانيـــة فيتم كذلك بالنسبة للفقسة الثانية ما سبق ان تم تنفيذه للفقسة التى خرجت كتاكيتها من المفارخ ، وهكذا دواليك .

وتستمر هذه العملية لكل الفقسات التى تتعاقب بين عشرة أيام لعشرة أيام أخرى مع اتباع نفس تفاصيل العمل التى انتهينا من بيانها طيلة ثلاثة

اشهر وهو الوقت المعتاد لاتمام عمليات التفريخ ، وهكذا نرى كل ١٠ الى ١٢ يوما ، فى كل واحدة من هذه المنشآت العاملة ، ظهور فقسة تتكون من عدة الوف من الكتاكيت . اما كمية ما يتلف من البيض خلال عملية الفقس فضئيلة الاهمية ، وقلما تصل كمية التالف لابعد من السدس . ولم يحدث قط أن تلفت فقسة بأكملها .

وهذا النوع من المنشآت كثير للغاية فى مصر ، اذ توجد واحدة منها فى كل ١٢ــ١٥ قرية ، وغالبا ما يوجد اكثر من منشأة واحدة فى المدينة نفسها ، ويحصى الأب سيكار ما يقرب من أربعمائة منشأة تفرخ كل واحدة منها ،طبقا لما يذكره ، مائتين واربعين الف كتكوت ، مما ينتج نحو ١٠٠ مليون كتكوت هى مجموع ما تفرخه هذه المنشآت فى مصر كل عام ، فى عصره . ويمكن لنا باستخدام منطقتنا أن نقلص هذا الرقم الى أقل من الثلث . ولا يزال يوجد هناك نحو مائتى معمل فروج تعمل فى كافة أنحاء مصر ، يفرخ كل منها بشكل تقريبى نحو ١٤٠ الف كتكوت . وبالاضافة الى ذلك ، فهناك فى بعض القرى النائية ، وبشكل خاص عند القبائل العربية ، يتم تفريخ بعض البيض ، برغم أن هذه الوسيلة الاخيرة ، كما ينبغى أن نلاحظ، ليست مضمونة ، كما انها غير مجزية فى مصر(١) . ولا يرجع النجاح

---

(١) يعتقد البعض انهم قد عثروا على منشأ فكرة التفريخ الاصطناعى فى نموذج بيض النعام وبيض التمساح ، الذى يترك فى الصحراء وعلى ضفاف النيل ، وان حرارة الرمل وحدها هى التى تؤدى بها لأن تفرخ ، ومع ذلك فاذا ما استرعينا النظر الى أن حضانة الدجاج (البيضة) نادرا ما تنجح فى مصر ، وان هذه الدجاجات ، عند حلول الفصل الحار الذى تبدأ فيه حضانة البيض ، سرعان ما تهجر بيضها لتنهمك من جديد فى ممارسة الحب ، فان المرء سيجد نفسه مدفوعا إلى الاعتقاد بأن كهنة مصر القديمة ، وقد كانت لديهم المعرفة الكافية بكافة ضروب الصناعة والفنون ، قد استطاعوا العثور على سبل علاج هذا العيب فى أساليب تكاثر ((هذه الدواجن) ، وأنهم قد لجئوا الى الحضانة الاصطناعية لتفريخ بيض الدجاج بوفرة ، وللحصول على كمية كبيرة من الكتاكيت كانوا يجدون فيها طعاما لذيذا ومريحا ، وحين أراد هؤلاء الكهان انفسهم بعد ذلك أن يفيدوا من هذا الكشف ، كى يثبتوا أن كل شىء يزدهر فى أيديهم ، جعلوا من ذلك علما غامضا ، ولم يتناقلوه من جيل لآخر الا باعتباره سرا لا يزال حتى اليوم غير معروف بشكل جيد فى مصر ، الا لبعض الافراد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المستمر لعمليات التفريخ هـذه الى اعتدال طقس مصر ، كما يزعم ذلك هؤلاء الذين ينتقصون من أساليب المصريين ، اذ يساهم فى ذلك ، هـذا الحذق الخاص بأولئك الذن يدبرون أمور هذه الفقسات ، فقد جعلتهم الخبرة الطويلة يدركون بمجرد دخولهم الى الافران ما ان كان يلزم تجديد النار أو الانتظار للحظات أخرى ، كما أنهم يعرفون بالمثل كيف يحصلون على الحرارة التى تناسب مختلف مراحل هذه الحضانة الاصطناعية ، فهم ينتجون ، باتباع أساليب خاصة بهم ، فى نفس الوقت ، وبنفس الوسائل ، درجات متباينة من الحرارة فى مناطق متعددة من المبنى الذى توجد به المفارخ والافران .
وخلال مدة الفقسات كنت أجد بشكل دائم فى معامل الفروج العديدة بالقاهرة درجة حرارة تكاد تكون على الدوام متساوية ، لا تتفاوت قط لاكثر من درجتين برغم تباينها فى كل نوع من الحجرات ، فعلى سبيل المثال ، بلغت الحرارة خلال الأيام العشرة الأولى من الحضانة ، وطبقا لترمومتر ريومور من ٣٢ الى ٣٣° فوق الصفر ، وبلغت خلال الايام العشرة الاخيرة ما بين ٢٨ ، ٢٩ ، ٢٩ ١/٢° ، كما بلغت فى الأفران لحظة وضع النار نحو ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩° وانخفضت بعد اربع ساعات الى ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٣ ١/٢° . انظر الجدولين التاليين .

جدول بدرجات الحرارة كما لوحظت فى معامل الكتاكيت بمصر
١ — طبقا لتجربة أجريناها فى القاهرة فى معمل يقــع بحى ستى زينب

ترمومتر ريومور — درجات فوق الصفر

التاريخ	درجة الحرارة فى الخارج	درجة الحرارة فى الحجرات الأمامية	درجة الحرارة فى الممرات	درجة الحرارة فى المفارخ: خلال الأيام العشرة الأول	درجة الحرارة فى المفارخ: خلال الأيام العشرة الثانية	درجة الحرارة فى الأفران: لحظة وضع النار	درجة الحرارة فى الأفران: بعد ذلك بأربع ساعات	درجة الحرارة فى الأفران: فى الأيام العشرة الثانية بعد أن يتوقف وضع النار
٢٥ جرمينال*	١٩	٢١	٢٦	٣٣	٢٩½	٣٦	٣٤	٣٠
٢٦	٢١½	٢٢	٢٦	٣٣	٣٠	٣٧	٣٤½	٣٢½
٢٧	٢٠	٢١½	٢٥½	٣٢½	٣٠	٣٦½	٣٤	٣٢
٢٨	١٩½	٢١	٢٥½	٣٢	٢٩	٣٧½	٣٣½	٣٢
٢٩	٢٢	٢٢	٢٦	٣٣	٣٠	٣٨	٣٣	٣١½
٣٠	٢٥	٢٣	٢٥	٣١½	٢٩½	٣٧	٣٢	٣١
١ فلوريال *	٢١½	٢٢	٢٦½	٣٢½	٢٩	٣٦½	٣٤	٣٢
٢	٢٣	٢٣½	٢٦	٣٣	٢٩	٣٧½	٣٤	٣٢½
٣	٢٥	٢٣	٢٥	٣٣	٢٩½	٣٧	٣٢½	٣٢
٤	٢٢½	٢٢	٢٥½	٣٢	٣٠	٣٦	٣٣	٣١½

(*) من العام الثامن .

ملاحظات : بينما يتبقى بيض فى الأفران فى خلال الأيام العشرة الاخيرة من الحضانة ، يواصل العمال دوما وضع النار فى الأفران المجاورة ، برغم عدم وجود بيض فى المفارخ السفلية .

٢ — طبقا لتجربة أجريت فى القاهرة فى معمل فروج يقـــع فى حى باب النصر

التاريخ	درجة الحرارة فى الخارج	درجة الحرارة فى الحجرات الأمامية	درجة الحرارة فى الدهليز	درجة الحرارة فى المفارخ		درجة الحرارة فى الأفران	
				خلال الأيام العشرة الأولى من الحضانة	خلال الأيام العشرة الأخيرة من الحضانة	عند وضع النار	خلال الأيام العشرة الأخيرة بعد توقف وضع النار
٦	٢٢	٢٣	٢٦	٣٢½	٣٠	٣٧	٣٠
٧	٢٥	٢٤	٢٧	٣٣	٢٩½	٣٧½	٣٢
٨	٢٣	٢٤½	٢٥½	٣٢	٢٩	٣٦½	٣١
٩	١٩	٢٠	٢٥½	٣٢	٣٠	٣٧	٢٩½
١٠	٢٠½	٢٢	٢٧	٣٣½	٢٩	٣٨	٣٠
١١	٢٣	٢٤	٢٦	٣٢	٢٩	٣٦½	٣١
١٢	٢٥	٢٤	٢٥½	٣٢	٢٨½	٣٧	٣٠
١٣	٢٦	٢٤½	٢٥	٣١½	٢٩	٣٧	٣٠
١٤	٢٦½	٢٥	٢٦	٣٢	٣٠	٣٦	٣١
١٥(*)	٢٦	٢٤	٢٥½	٣١	٢٩	٣٧½	٣١½

(*) من شهر بريريال من العام التاسع (١٨٠١) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا يبرع المصريون فقط فى فن تفريخ البيض، بل انهم يعرفون كذلك كيف يربون الكتاكيت دونما حاجة لوجود الدجاج، وان كانت مثل هذه الرعاية ليست من اختصاص أولئك الذين يدبرون أمور الحضانة الاصطناعية ، بل يعهد بها لبعض النسوة فى بيوت الخاصة ، وان كانت الواحدة منهن لا تربى من هذه الكتاكيت ، فى المرة الواحدة ، عددا يتجاوز ٣٠٠ أو ٤٠٠ كتكوت ، بل ان العدد فى معظم الأحيان يقل عن ذلك بكثير ، ولا يحدث أن تذهب هؤلاء النسوة للحصول على كمية جديدة من الكتاكيت من المعامل الا بعد مرور خمسة وعشرين يوما ، وهو الوقت الذى يمكن الكتاكيت فيه أن تتخطى حاجتها لتلك الرعاية الأولية .

وخلال النهار ، تترك هذه الكتاكيت فوق أرض جافة ، معرضة للشمس وتغطيها الانقاض او الحصى ، ويقدم اليها كغذاء القمح والارز والذرة البيضاء المجروشة والماء باعتباره المشروب الأوحد ، وحين يقترب الليل تستعاد هذه الكتاكيت الى داخل البيت حيث تبقى حبيسة داخل أحد الأفران المصنوعة من الطين ، حتى تصبح فى منأى عن برودة الليل ، وحتى تكون فى مأمن من مطاردة الحيوانات المختلفة التى قد تدهسها ، وتحتاج الكتاكيت الى هذه الضروب من الرعاية الخاصة لمدة تقترب من الشهر ، وبعد هذا الوقت تترك لتجرى وسط الدجاج .

وعلى الرغم مما أبداه الكثير من الرحالة من رأى مناقض ، فان لحم الدجاج والفراريج التى ربيت بهذه الطريقة ، غض وشهى . ويلذ للمصريين اكله ، ولا يفضلون عليه أبدا لحوم الفراريج التى جاءت عن طريق حضانة الامهات . وفى حقيقة الأمر ، فان من النادر أن تكون الفراريج سمينة(١) . والدجاجات هناك صغيرة الحجم ، كما أن بيضها أقل حجما من بيض معظم دجاجات أوربا وان كان ذلك يعود الى اختلاف فى سلالة الدجاج فى مصر ، بأكثر مما يعود الى الأساليب المستخدمة فى استفراخها .

وحين نتفحص كل المكاسب التى يجنيها المصريون من معامل الفروج لديهم فاننا لنأسف لاننا لا نجد هذا الفن مستقرا فى أوربا ، وفى فرنسا على

---

(١) لا تسمن الفراريج أبدا فى مصر ، كما لا تخصى على الاطلاق صغار الديوك ، وهناك تؤكل كل أنواع الطيور بحالتها الطبيعية (أى دون تسمين) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجه الخصوص ، حيث يمكن هذا الفن ان يمارس بنفس الدرجة (من البراعة) التى يمارس بها فى مصر (١) .

---

(١) لا يشك الرحالة الذين زاروا معامل الكتاكيت ، والذين شاهدوا خروج فقسات كثيرة ، فى امكانية نجاح هذه الطريقة بالمثل فى بلادنا . وان كان لم يأخذ احد منهم على عاتقه مهمة فحص مثل هذه المنشآت وتجميع الأساليب المستخدمة فيها . فكل واحد من هؤلاء الرحالة لم يشاهد هذه المعامل سوى مرة واحدة ، وفى معظم الأحيان فى وقت لا تعمل فيه هذه المعامل ، ولهذا فان معظمهم لم يجمع سوى معلومات غير دقيقة ، وغير كافية ، وقد حصلوا عليها كيفما اتفق .

وقد وصف بعض الرحالة أمثال ويسلنج **Wesling** ونيبور Niebuhr ونوردان **Norden** ، على نحو لا بأس به الأفران المستخدمه فى تفريخ البيض ، ويورد هؤلاء المؤلفون الثلاثة ، الذين نستطيع أن نلحق بهم تيفنو **Thevenot** والاب سيكار **Sicard** ، وبطريقة تتفق مع الواقع ، الأساليب المستخدمة (فى عملية التفريخ) بشكل اجمالى ، ومع ذلك فعند الدخول فى تفاصيل ما تتطلبه العناية بالافران خلال مدة الحضانة ، فقد ارتكبوا عددا من الأخطاء كانت عامة لديهم جميعا ولدى الكثيرين من الرحالة.

وقد يكون مسموحا لنا ان ننسب اليوم الى معظم هؤلاء هذا الحظ الضئيل من النجاح الذى صادفته كل المحاولات التى بذلت فى أوربا لكى تمكن ممارسة هذا الفن هناك ،وبخاصة ذلك الاحباط الذى لقيه ، فى أوقات متفرقة ، أولئك الذين بذلوا اكبر الجهود فى محاولة توطينه فى فرنسا ؛ وقد كان ريومور واحدا من اولئك الذين كانوا يقومون اكثر من غيرهم بتجميع اساليب النجاح فى هذا الفن . وكانت تجاربه تتصف بالدأب حتى أن المنهاج الذى وضعه فى مؤلفه كان منهاجا علميا (انظر فن تفريخ البيض ، تأليف ريومور) . ومع ذلك فان الذين أطلعوه على تجارب المصريين وعلمهم قد تعمدوا أن يتركوه جاهلا للكثير من التفاصيل التى كان من المستطاع أن تكون ذات نفع لبحوثه وأن تضمن له الوصول الى نتائج اكثر تقدما .

ولكى نقف جيدا على هذا الفن كان الأمر يقتضى ليس فقط أن نتفحص هيكل أو تصميم المبنى الرئيسى وتوزيع المفارخ والأفران ، وانما كذلك التأكد من الفصل الذى لا بد أن تبدأ فيه عملية التفريخ ، وأن نشاهد العمل اليومى لأولئك الذين أوكلت اليهم ادارة الأفران . وأن تعرف بمعونة الترمومتر درجة الحرارة التى يحرصون على استمرارها أثناء الحضانة ، كما كان الأمر يتطلب منا أن نتتبع فى أوقات مختلفة ، وداخل معامل مختلفة ، عملية حضانة ثانية وثالثة . وعن طريق هذه الخطة للمتابعة والملاحظة توصلت الى تجميع مادونته عن معامل الفروج فى مصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولسوف يكون سهلا على الدوام ، مع بذل بعض ضروب العناية ، تفريخ البيض بواسطة الحضانة الاصطناعية ، كما أن تربية الكتاكيت تلقى الكثير أو القليل من الصعوبات تبعا لحالة الطقس ولطبيعة الفصل (الذى تتم فيه) من فصول العام . ومع ذلك ألم تتغلب براعة الأوربيين دوما على عقبات مشابهة عندما استجلبنا الى اجوائنا نباتات استنبتناها وحيــوانات ربيناها ، كانت غريبة عليها ؟

ولسوف يكون من الضرورى بالنسبة لنا ، كى نتوصل الى تفــريخ البيض عن طريق الحضانة الاصطناعية ، والى تربية الكتاكيت دون حاجة الى معونة من الدجاجات ، أن نتمثل ذلك الأسلوب البسيط والعملى الذى لدى المصريين ، وقد يتحتم علينا بصفة خاصة أن نعدل عن هذه المنشآت الضخام التى نحلم بأن نفرخ فيها ، وأن نربى فى الوقت نفسه الوفا عدة من الكتاكيت .

رويبـــه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢)

صناعة ملح النوشادر

سوللييه ديكوتيل

العنوان الأصلى للدراسة : وصف طريقة صنع ملح النوشادر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نبـــذة تاريخيـــــة

لن نأخذ على عاتقنا هنا أن نبحث فيما ان كانت المادة التى نطلق عليها الآن اسم ملح النوشادر قد عرفت من قبل قدماء المصريين ، وان كنا نعتقد أن علينا أن نسترعى الانتباه الى انها تختلف كثيرا عن تلك التى أطلق عليها كل من بلين Pline وديوسكوريد Dioscoride الاسم نفسه(١) . أن هذا التمـــاثل فى التسمية لم يكن قط قائما فيما مضى ، كما أنه لم يتم الا بسبب اصرار بحاثة القرون الأخيرة على تطبيـــق ما قاله بلين عن ملح قيرينيا(*) La Cyrenaique على ملح النوشادر الحديث . وتخبرنا مؤلفاتهم نفسها أن الملح الاخير كان يحمل اسم ملح أرمينيا Sal Armeniacos . وهذه التسمية التى لابد أن نرجع اليها أصل كلمة armoniac ، ومنها ammoniac (اى ملح النشادر) ، والتى كانت لا تزال تطلق على هذه المادة فى بعض مؤلفات القرن الماضى تقابلنا مرة أخرى فى فارس حيث تستخدم كلمتا نوشادر وملح ارمينيا دون تفرقة للاشارة الى ما نسميه نحن ammoniac (٢) ، وبلا جدال ، فقد أطلقت هذه التسمية على هذه المادة لأن هذا الملح كان يشكل جزءا من تجارة الأرمن ، مما دفع البعض على الاعتقاد بأنه يأتى من بلادهم ، كما افترض آخرون — لوقت طويل — أنه يصنع فى البندقية ، لأن البنادقة كانوا يجلبونه الى الشرق ، بعد أن يكونوا قد اشتروا — ربمـــا — من الأرمن .

---

(١) كان ملح منجم ، ولعله كان ذامكسر ليفى كما يمكننا أن نستنتج من نصوص وردت عند هذين المؤلفين ، انظر بلين ، الكتاب ٣١ ، الفصـــــل السابع ، المجلد العاشر ، ص ٣٥٤ وما بعدها ، طبعة باريس ١٧٧٨ ، فى ١٢ مجلدا ، وكذلك ديو سكوريد ، الكتاب الخامس ، الفصل ١١٧ ، ص ٣٢٦ ، طبعة ١٥٢٩ .

(٢) اذا رجعنا الى قاموس اللغة الفارسية سنجد أن ما يطلق عليـــه الايطاليون اسم Sale armeniaco وبالفرنسية Sel ammoniac هو نفســـه ما يسمى بالفارسية نوشادر أو ملح أرمينيا ، أى الملح الأرمينى .

(*) يطلق الاسم اللاتينى حاليا على اقليم برقة بأكمله .. (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويطلق على هذه المادة فى مصر اسم نشادر (بفتح النون) ، وهى كلمة قريبة الشبه بكلمة نوشادر التى تستخدم فى الهند ، طبقا لبعض بحوث شارل المسيو لانجلبه Langles أن يقوم بها عن طيب خاطر استجابة لرجاء منى ، بنفس المفهوم ، حيث من المعروف أن ملح النوشادر يصنع فى الهند ، وبنفس الأساليب المتبعة فى صنعه فى مصر . وهذا التشابه فى الاسم ، بالاضافة الى رأى بعض المستشرقين الذين لا يعتقدون أن لكلمة نشادر أصلا عربيا ، يحمل على الظن ، كأمر طبيعى ، بأن فن صناعة هذا الملح قد كان يمارس فى الهند من قبل أن تمارسه مصر ، وأنه لم يدخل البلد الأخير الا بعد ان فتحه العرب ، وان كان مثل هذا الزعم يتطلب تمحيصا متأنيا حتى يصبح بالامكان تبنيه بشكل حاسم .

ويبدو أن العرب هم أول من كتبوا عن ملح النوشادر عند المحدثين ، اذ نجد فى مؤلفاتهم بعض اشارات غير واضحة عن صناعته ، تختلط فيما يبدو بأفكار مأخوذة عن بلين ، كما أنها أبعد عن أن تكون كافية للتعريف بحقيقة أصله(١) .

وقد تصور البعض فى أوربا ، وان كنا لا نعرف فى أية حقبة، أن هذه المادة تنتج عن بول الجمال الذى تتشربه رمال الصحراء ، ويبدو أن هذه الفكرة ، التى رآها الآخرون مضحكة ، كانت تهدف الى التوفيق بين ما كتبه بلين وبين ما كان معروفا عندئذ عن وسائل استخلاص الملح ، وذلك أن الكيميائيين ، من قبل أن يبدأ القرن الأخير بسنوات طوال ، وبدون معرفة تامة بمكونات ملح النوشادر ، وهو الأمر الذى لم يصل فيه دوهاميل Duhamel لرأى قاطع الا فى عام ١٧٣٥ ، كانوا يحضرونه فى معاملهم بان يقطروا خليطا من الملح البحرى وسناج الخشب(٢) . وحتى عام ١٧١٦ كان الناس لا يزالون يجهلون الأصل الحقيقى لذلك الشىء الذى يدخل فى صناعاتنا ، كانوا فقط يعرفون انه يأتى من الشرق .

---

(١) انظر ابن سينا فى كتابه عن مبادىء الكيمياء عند جابر بن حيان .

(٢) استبعد ليميرى الأب وهومبرج Homberg السناج Hist. de l'Acad. 1716. ، أما هذه الوسيلة التى ينقلها جانكير Junker عن لانجيوس Langius (انظر ترجمة Demachy المجلد الخامس ، ص ٣٥٦) على اعتبار أن البنادقة قد مارسوها ، فانها هى الوسيلة نفسها — مع اختلافات طفيفة — التى يقدمها جابر بن حيان . انظر المرجع السابق .

وفى هذه الفترة ، فى ٢٢ ابريل ١٧١٦ ، قرأ جوفروى الاصـــــغر Geoffroy Le Cadet فى أكاديمية العلوم ، دراسة موجزة تهدف للبرهنة على أن هذا الملح يستخلص ولابد عن طريق التصعيد، وان من المستطاع ، باللجوء الى العملية نفسها أن نصنعه فى فرنسا عن طريق صنع خليط من الملح البحرى والطين الأصفر وبول الحيوانات أو آية مادة حيوانية اخرى ، وحيث تصدى ليميرى الابن Lemery fils لنقض ما جاء بهذه الدراسة فانها لم تنشر فى المجلد العام (للاكاديمية) ، وأخذ المسيو دى ريومور على عاتقه أن يطلب باسم الاكاديمية معلومات حول هذا الموضوع من قنصل فرنســـا بمصر ، وكان ليميرى يعتقد أن ملح النوشادر يستخلص عن طريق التصعيد والتجميد (التكليس) ، كما يحدث فى مناطق عديدة لانتاج موريات الصوداء. وقد بنى هذا الكيميائى طريقته هذه فى النفكير من ملاحظة شكل قوالب ملح النوشادر التى تصل من الشرق ، كما كان شكل هذه القوالب نفسه هـــو الذى أوحى لجوفروى بأنهم يستخدمون أسلوب التصعيد (فى صـــناعة ملح النوشادر) .

ومع ذلك فان رسالة من الأب سيكار ، مؤرخة فى الأول من يونيـــة ١٧١٦ ونشرت فى المجلد الثانى من دراسات مبشرى صحبة يســـوع فى الشرق

Memoires des missionnaires de la Compagnie de Jesus dans le Levant.

ورسالة أخرى من لومير Lemaire قنصل فرنسا فى القـــاهرة ، مدونة بتاريخ الرابع والعشرين من يونية ١٧١٩ ردا على أسئلة الاكاديمية قد جاءتا شبه متطابقتين مع كل الاراء التى بشر بها جوفروى ، وعندئذ أصبح لهــذا الكيميائى مطلق الحرية فى نشر دراسته فى مجلد (الاكاديمية) لعام ١٧٢٠، وارفق بها ، عند نشرها ، الرسالتين اللتين أشرنا للتو اليهما .

كانت المعلومات التى تضمنتها الرسالتان متطابقة فيما بينهـــا ، وقد أوضحت أن ملح النوشادر يصــــنع فى مصر وانه يســـتخلص عن طريق التصعيد ، من سناج ينتج أساسا عن طريق احراق براز الحيوانات ، لكن

الرسالتين اختلفتا فى نقطة هامة كانت موضوعا لجدل طويل بين الكيميائيين، كما كانت بالنسبة للرحالة اللاحقين موضوعا لاستقصاء مدقق.فقد كانت المادة التى يستخلص منها النوشادر طبقا لمعاومات لومير **Lemaire** هى السناج الخالص وحده ، لكن الأب سيكار يرى انهم يضيفون الى السناج القليل من الملح البحرى وبول الحيوانات . وقد عنى جوفروى عناية بالغة بأن يسترعى الانظار الى هذا القول الأخير ، فقد كان يعتقد أن اضافة الملح البحرى أمر لابد منه لدعم افتراضاته الأولى .

لكن معلومات جديدة جاءت من الأب سيكار نفسه ردا على أسئلة الأكاديمية ونشرت فى عام ١٧٢٩ فى المجلد السابع من دراسات مبشرى صحبة يسوع فى الشرق التىسبقت الاشارة اليها . جاءت لتتطابق تمام التطابق ، فى هذا الخصوص مع المعلومات التى قدمها لومير **Lemaire** . ولم يعد الرحالة الذين كانوا يجوبون مصر ، منذ ذلك الوقت ، والذين يولون اهتماما خاصا بهذه الصناعة ، يقولون أن المصريين يستخدمون (فى صنع النوشادر) الملح أو البول .

واكد جرانجيه **Granger** بطريقة موضوعية ، وهو الذى أولى اهتماما خاصا للتأكد مما ان كان المصريون يستخدمون هذه المواد ، انهم يقتصرون فى صنع النوشادر على السناج(١) .

ودعم هاسلكست **Hasselquist** الذى قام برحلته بعد جرانجيه والذى قدم فى « دراسات ستوكهلم »(٢) تفاصيل هامة حول هذا الضرب من ضروب الصناعة ، فكرة الاقتصار على استخدام السناج الحيوانى (أى الناتج عن احتراق بقايا حيوانية) ، وان كان قد الح كثيرا على الكمية الهائلة لموريات الصودا التى تحتوى عليها النباتات المستخدمة طعاما للحيوانات ، والتى يكاد يكون برازها الوقود الوحيد الذى تستخدمه مصر . وهو يشير اليه باعتباره مصدرا كبيرا لحمض الموريات اللازم لانتاج ملح النوشادر ، ثم قدم لبيل

---

(١) انظر تقارير هذا الرحالة وهى الدراسة التى أمر بطبعها دوهاميل فى مجلد الاكاديمية للعام ١٧٣٥ ، ص ١٠٧ وما بعدها .

(٢) مجموعة دراسات بالغة الأهمية عن الكيمياء والتاريخ الطبيعى تضم أعمال أكاديمية أوبسال **Upsal** ودراسات أكاديمية ستوكهلم ، الجزء الأول ، ص ٢٢٧ .

Leyel هذا الرأى نفسه ، بعد ذلك ، مع كثير من التطوير ، واذا كان قد امكن جوفروى أن يرتاب فى صحة ذلك، فقد بات دون جدال أكثر استعدادا لتقبل فكرة امكانية صنع ملح النوشادر فى مصر من السناج ، وبدون أن يضاف اليه الملح البحرى .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد تحدث رحالة آخرون عن هذه الصناعة، وان كان الأمر قد تم بطريقة مبالغ فيها لحد لا يجعلنا نشير اليها هنا ، اما أولئك الذين استطاعوا حسب معلوماتنا أن يقدموا افكارا نافعة فهم هؤلاء الذين اشرنا اليهم ، ولكن البيانات والأوصاف التى تركوها لنا قد جاءت ، كلها لسوء الحظ ، غير كاملة ، بل اننا نجدها فى بعض الاحيان تتناقض بعضها مع بعض، بحيث سيكون من المستحيل علينا عند مقارنة كل ما كتبوه أن نكون فكرة دقيقة عن الأسلوب المتبع فى صنع ملح النوشادر ، ولهذا السبب فقد عزمنا أن نقدم عنه هنا كل التفاصيل ، وبالطريقة التى تابعها كثيرون من رجال الحملة أثناء التنفيذ ، ولقد تحرر الوصف الذى سنشرع فى قراءته طبقا لمعلومات جمعها هؤلاء الرجال ، وبصفة خاصة تبعا لما قدمه لنا من معلومات ، المرحوم المسيو لوروج Lerouge الذى كان قد تابع كل المراحل بكثير من الانتباه والمثابرة ، بل انه قد شرع بالفعل فى القيام ببعض البحوث لتأسيس نظرية عن تكوين وتركيب ملح النوشادر لكن المنية قد عاجلته فى جائحة عام ١٨٠١ قبل أن يتمكن من اتمامها ، فلم يستطع أحد الاستفادة بمعلومات ذات شأن كبير من التجارب التى أجراها .

وينتج من العرض الذى انتهينا من تقديمه أن الرحالة المتأخرين الذين ذكرناهم قد برهنوا بدرجة كافية على صحة افتراضات لومير المتعلقة باستخدام السناج دون اختلاطه بأى عنصر آخر ، وقد يكون من التزيد أن ندعم ذلك مرة أخرى بشهادتنا نحن الخاصة ، ولابد لنا أن نستنتج من هذه الممارسة أن السناج يحوى ملح النوشادر كاملا وأن المصريين لا يفعلون سوى أن يستخلصوه عن طريق التصعيد ، وقد أدت التجارب المختلفة التى اجريت على هذا الموضوع الى نفس النتائج ، وترتبط هذه الخاصية التى للسناج ، كما لاحظ بحق كل من لومير والأب سيكار ، بطبيعة المواد المحترقة التى أنتجته ، وعلى هذا ، فان علينا أن نبدأ بحثنا بدراسة الوقود .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن مواد الوقود المستخدمة فى مصر

يكاد يقتصر المصريون فى اشعال مواقدهم على روث الماشية ، وقد ارغمتهم على ذلك بلا شك ، ومنذ زمان طويل ، ندرة الاخشاب ، والغيبة المطلقة لأى وقود معدنى ،بالاضافة الى ان لجوءهم لهذا النوع من الوقود لن تترتب عليه هنـــاك نفس المساوىء التى يمكن أن تنجم عنه فى بلد أقل خصوبة ، اذ قلما يشعر الناس هناك بالحاجة لاستخدام الاسمدة ، وفضلا عن ذلك فان الاسمدة الوحيدة التى قد يستخدمونها هناك ، وهى الاتربة ، بعد غربلتها من الانقاض ، وكذلك زبل الحمام . وفيرة للغاية لحد لا يكون معه ثمة محل للاسف على السماد الذى كان بمقدور الماشية أن تهيئه (لو لم يستعمل وقودا) ، ويلقى روث الماشية هناك كل الاهتمام ، كما يقتصر استخدامه على توفير الوقود .

ولكى يصبح هذا الروث صالحا للاستعمال ، فانه يهرس فى البداية ويعجن لاعطائه قوام عجينة رخوة . فاذا كانت حالة الروث شديدة الصلابة، فانها ترطب بشىء من الماء ، اما اذا كانت بالغة السيولة فيضاف اليها القش المهروس (التبن). وحيث تتم هذه العملية على الأرض فان هذا الوقـــود يختلط ببعض الأتربة ، وبعد ذلك تشكل منه كتل (اقراص) تلصق بحائط مبنى باللبن عادة ومعرض لأشعة الشمس . وهناك تلتصق الاقراص وتكتسب شكلا مسطحا آخذة هيئة رغيف يتراوح اتساع سطحه تبعا لكمية مادة الروث المستخدمة فى صنعه ، وحين تجف هذه الاقراص تنتزع لتوضع فى مخزن ، وتحمل هذه السلعة التى يعهد باعدادها الى النسوة والاطفـــال اسم « الجلة » ، وثمنها بالغ الانخفاض ، اذ تساوى مائة القرص منها ، فى سمك واتساع كف اليد ، ثلاثة مدينى على أكثر تقدير ، أى ١/١٠ الفرنك، ومع ذلك فهى تعد غالية لحد لا تقدر معه على استخدامها كل طبقـــات السكان ، ولذلك يسعون لتخفيض ثمنها بأن يضيفوا اليها عند اعدادها كمية كبيرة من الأتربة والطين ، وتتشكل من هذا الخليط اقراص فى ســـمك القبضتين ، يجففونها فى الشمس ، وتحتـــرق هذه على نحو طيب ، على طريقة الخث(*) ، مع تاكلها شيئا فشيئا منتجة حرارة متساوية للغاية ، ويطلق على هذه اسم قرص (أقراص) .

(*) الخث أو الترب (بتشديد وضم التاء) تراب عضـــوى قابل للاشتعال ،يتكون من التحال البطىء لبعض النباتات الطحلبية .
(المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبالاضافة الى هذين النوعين من الوقود ، وهما مكلفان لحد يفوق قدرة بعض المنشآت (أو المصانع) ، يستخدم وقودا كذلك كناسة الشوارع ، والقش ، والعظام ، والريش ، والبراز من كل نوع ، بعد أن تجففه حرارة الشمس . وهو يوجد فوق اكوام الزبالة والانقاض التى تحيط بالمدن ويفصله الناس عن التراب بواسطة الغربال ، وعن طريق هذه المواد ، بصفة خاصة ، وهى التى تظل محتفظة بقدر كبير من الطين ، كما انها مشبعة بالملح البحرى(١) ، تتم تدفئة الحمامات العمومية .

اما الوقود النباتى الذى لا ينتج عن احتراقه السناج فيقتصر استخدامه على بعض المصانع ، مثل القمائن وأفران الفخار وأفران الزجاج ، حيث لا يحترق سوى قش وسيقان الذرة وغاب البوص ، وكذلك تستخدم «الجلة» فى المخابز .

ولابد لأصناف الوقود الثلاثة الأول التى اشرنا اليها فى البداية أن تنتج بالضرورة الكثير من النوشادر اثناء احتراقها ، اذ هى تحتوى على كمية كبيرة من المادة الحيوانية ، كذلك لابد لهذا العنصر ، لكى يكون ملح النوشادر ، ان يتحد بحمض الموريات ، ولا يستطيع المرء أن يعتقد أن لهذا الحمض من اصل سوى موريات الصودا الموجودة فى المواد التى يتم احراقها . وتحوى مواد الوقود هذه ، التى التقطت من الشوارع ومن اكوام الأنقاض كمية كبيرة منها ، كما ان وجودها داخل براز الماشية فى مصر هو واحدة من الوقائع الملموسة بشكل مؤكد ، بينته بجلاء تجارب المسيو لوروج ، الذى وجد بها كذلك السلفات والأملاح المرة وان كان هو لم يحدد لنا طبيعة هذه الأملاح الأخيرة .

ومن السهل تفسير انبعاث موريات الصودا فى الافران التى تحترق فيها الأقراص (روث الماشية المختلط بالطين) أو زبالة المدن ، فحيث تحتوى هذه الأنواع من الوقود على كثير من الطين المختلط بالملح البحرى (ملح الطعام) ، فان كل الشروط اللازمة لتكوين هذه المادة الأخيرة توجد مجتمعة ، ولكن عندما يقتصر الاستعمال على « الجلة » ، فان كمية

---

(١) تحتوى اتربة الشوارع على نسبة مئوية كبيرة من حجمها من الملح البحرى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطين الموجودة بها تبدو فى حجم لايكون بمقدورها معه أن تتماعل بطريقة فعالة مع موريات الصودا ، أما هذا العنصر الأخير فلابد له من أن يتحلل عن طريق الأملاح الأخرى التى يوجد مختلطا بها فى المواد البرازية ، ويمكن المرء أن يرى كذلك أن موريات طينية تتكون فى أثناء عملية الهضم وأنها تتحلل بعد ذلك بفعل حرارة الاحتراق ، بل ان كمية ضئيلة من موريات النوشادر توجد متكونة بالفعل فى البراز ، لكن تأثير هذين السببين الأخيرين بالغ الضعف بشكل مؤكد ، بالمقارنة بالتأثير الذى يمكن أن يحدثه السبب الأول الذى أشرنا اليه .

وزيادة على ذلك ، فمهما تكن مدة وسبب تحلل الملح البحرى، فان ملاحظة من المسيو شبتال **Chaptal** تبعد كل شك فى أن السناج الناتج عن احتراق براز الحيوانات يدين بخاصيته تلك الى وجود هذه المادة الملحية فى طعامها، لاحتواء هذا الطعام على موريات النوشادر ، فقد أوضح هذا الكيميائى الشهير فى كيميائه التى طبقها فى مجال الصناعة (الجزء الرابع ، ص ١٣٧) « أنه قد استخلص ملح النوشادر من السناج الناتج عن احتراق روث العجول والخيول البرية التى تعيش فى سهول لا كامارج ولاكرو (*) الشاسعة ، وعلى حواف العديد من برك ومستنقعات البحر الأبيض المتوسط، ومع ذلك ، فحيث تفضل هذه الحيوانات النباتات حلوة المذاق على الأعشاب الملحية ، وحيث هى لاتتغذى على الأخيرة الا خلال الشتاء ، فان برازها لايعطى ملح النشادر الا أثناء هذا الفصل »

وتعطى هذه الواقعة قيمة كبيرة لراى هاسلكينست **Hasselquist** الذى لم يؤسسه الا على وجود مذاق ملحى فى أنواع عديدة من النباتات التى يغذى بها المصريون مواشيهم، وتتطلب منا ملاحظته تلك، والتى تبدو متنافرة مع حدوث الفيضانات السنوية لنهر النيل، أن ندخل فى بعض التفاصيل كى نتبين كيف أن النسبة الغالبة من خضروات مصر لابد لها فى الواقع أن تحوى من الملح البحرى أكثر مما يمكن أن تحويه الخضروات التى تنمو فى أجوائنا: فحيث أن الأرض فى المناطق المطيرة فى أوربا تغسلها على الدوام مياه

(*) لاكامارج ، جزيرة تكونها دلتا نهر الرون ، وهى مراع للخيول والعجول البرية ، أما لاكرو فسهل رملى قاحل من سهول الرون ، ويغص بالحصى . (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأمطار النقية فانها لاتستطيع أن تحوى من المواد الملحية الا ماتجلبها اليها الأسمدة ، لذلك فلا يمكن أن تكون نسبة هذه الأملاح (بأراضينا) كبيرة ، وعلى العكس من ذلك مايحدث فى مصر ، التى لاتكاد تسقط عليها مطلقا أمطار السماء ، وحيث أن التربة (المصرية) تنحصر داخل صخرة من الحجر الجيرى ، فانها تحوى فى طياتها الكثير من موريات الصودا ، وتظل مشبعة بالملح حتى انه يكفى الا يروى حقل ما لعدة سنوات ، ليصبح غير قادر على استنبات المحاصيل المفيدة مالم تغسل مياه النيل تربته — بمعنى كلمة يغسل — قبل زراعته ، أما الأراضى التى تمكث بها مياه النيل لمدة طويلة ، فهى الوحيدة التى قد تكون خالية من الأملاح ، ومع هذا فجزء ضئيل فقط من سطح مصر هو الذى تنطبق عليه هذه الحال ، ذلك ان المساحة الأكبر (من أرض مصر) لاتحصل على حاجتها من الماء الا عن طريق الرى (الصناعى) ؛ والذى يتم بالنسبة لمعظمها عن طريق مياه الآبار ، التى تحفر فى الأرياف لهذا الغرض ، ولا تعطى هذه الآبار سوى مياه تتفاوت درجة ملوحتها تبعا لمدى بعدها عن النهر الذى تحصل منه على مياهها من خلال مسام الأرض الخضراء ، وحين تتشرب النباتات كميات من هذه المياه فانها تتشرب معها نتيجة لذلك كمية لابأس بها من الملح البحرى. اما النباتات التى تنمو على شواطىء البحر ، او فى المناطق التى لاتغمرها مياه النيل ، فتحتوى بالضرورة على كمية أكبر من الملح ، ولابد أن هاسلكيست قد وجد المذاق الملحى (الذى لاحظه) فى هذه النباتات بصفة خاصة ، اذ اننا نلاحظ ان الخضروات التى تغطى الحقول لها مذاق من نوع خاص .

وبالاضافة الى ذلك ، فلابد للمرء أن يلاحظ انه ليس من الضرورى أن تحتوى النباتات على الكثير من موريات الصودا حتى يصبح بالاماكن تفسير تكون ملح النوشادر ، ذلك ان كمية السناج (الناتج عن الاحتراق) تعد ضئيلة للغاية بالنسبة الى كمية الأطعمة التى تغذت عليها الماشية ، بحيث يكفى أن تحوى هذه الأطعمة نسبة جد ضئيلة من الملح حتى يكون بمقدورها ان تهيىء حمض الموريات اللازم لتكوين ملح النوشادر ، وهو الملح الذى تنتجه مصر بوفرة ، حيث يمكن القول بأن هذا الاقليم الفسيح ، ليس سوى معمل واحد (لانتاج هذا الملح) ، تتم العمليات التحضيرية لتكوينه داخل كل البيوت الخاصة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونستنتج مما سبق القول كيف يمكن اختلاف طعام الماشية أن يعطى فروقا فى قيمة السناج النـاتج عن برازها ، ولهذا السبب دون شك فان براز بعض الحيوانات يمضى ليعطى سناجا أكثر غنى (بملح النوشادر) ، وهكذا ، وطبقا لمعلومات قام بجمعها المسيو اوروج ، واستقاها من صناع ملح النوشادر ، فلابد ــ فى هذا الصدد ــ أن نضع براز الجاموس فى المقام الأول ، تليه بعرات الخراف والماعز ثم براز الانسان ، وبعد ذلك تأتى بعرات الجمل ، وتأتى فى المقام الأخير بعرات الخيل والحمير ، وأن كان الأرجح الا يكون هـذا الترتيب قـد تم على أساس أية تجربة موضوعية، كما أنه سيتغير ولابد تبعا لنوع الأطعمة ، ولهذا فاننا لانورده هنا الا لكى لانكون قـد استبعدنا شيئا مما يتصل بالصناعة التى عنينا بها .

عن السـناج (١)

تكاد تكون كل مساكن الفلاحين عبارة عن بيوت مبنيـة من الطين ، قليلة الارتفاع وليس لها من منفذ لتسريب الدخان سوى الباب ، ولذلك يثبت فوق كل الأوجه الداخلية لجدران المساكن ، ومع ذلك ، فحيث أن ملح النوشادر أقل قابلية للتبخر (للتبدد فى الهواء) عن الأجزاء الداكنة ، فان من الطبيعى أن نجد أن السناج الأقرب (الأدنى) هو اكثرها ثراء (بملح النوشادر) .

ويجمع السناج عادة مرة واحدة كل ثلاث سنوات من مساكن الأفراد، اما فى الأماكن التى توقد فيها النـار بشـكل اعتيـادى ، مثل المخـابز والحمامات العمومية ، فتجمع هذه المادة من هنـاك مرة كل عام، ويجوب رجال يرسلون من قبل ملاك مصانع التصعيد قرى مصر ليشتروا من الفلاحين حق السماح لهم بجمع السناج من مساكنهم، وهم لايأخذونه مطلقا بالوزن ، ولـكنهم يحكمون بنظرة خاطفـة مقـدار كميـة السـناج التى يمكنهم أن يستخلصوها ، فاذا كان السناج ذا قيمـة ضـئيلة ، كما فى مصر العليا، فانهم يقدمون فى مقابله الصابون والابر واشياء أخرى مماثلة ، اما فى مصر السفلى (حيث السناج اكثر قيمة) فيدفعون ثمنه نقدا .

---

(١) الهباب (والكلمة الموضحة هنـا وردت بحروفها العربية واللاتينية فى الأصل الفرنسى ــ المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويستخدم هؤلاء لجمع السناج من القبـــاب الوطيئـــة ، أو من فوق الجدران ، مكاشط حديدية صغيرة ، لها أياد طويلة ، يجرفونه بواسطتها لـــكى يفصلوا الوسف (القشرة) الذى يلتحم به بقوة ، ممـــا يؤدى الى تجريف كثير من الطين ، اما فى مصر العليا ، حيث لايصنع السناج لنفسه وسفا ، فيكتفون بازالته بواسطة مقشة ويجمعونه فى قطعـــة قماش تبسط فوق الأرض .

وتختلف صنوف السناج فيما بينهـــا ســـواء فى اللون أو الوزن أو المـــذاق ، بقدر ماتختلف فى درجة الجودة اى فى حجم كمية ملح النوشادر التى تحويها ، فبعض أنواع هـــذا السناج تدخل فى عداد مالا يحوى ملح النوشادر البتة ، رغم صـــدوره عن مواد حيوانيـــة ، وهذه الأنواع فيما يؤكد البعض كثيرة للغـــاية ، أما افضـــل أنواع الســـناج فهو ما يأتى من مصر السفلى وبخاصـــة من منوف وضـــواحيها الواقعة على فرع رشيد وكذلك من المنصـــورة والأماكن المحيطة بها على فرع دميـــاط . وهذه الأنواع من السناج تضرب الى الصهبة كما أنها ثقيلة الوزن وتحتوى على كمية ضئيلة من الطين ، وهى أقرب شبها بالطين الدخن منها بسناج حقيقى ، ومذاقهـــا لاذع للغـــاية ، ويلمح المرء فيهـــا بسهولة ، وبخاصـــة فى الفتافيت منها خيوطا صغيرة من ملح النوشـادر ، وتوفر هذه الأنواع كمية كبيرة من هذا الملح من صـــنف بالغ الجودة اذا ما اديرت عملية التصعيد على نحو طيب.

عن عمليـــة التصـــعيد

يتم تصعيد ملح النوشادر فى قنينـــات زجاجية ملطخـــة بالطين حتى بضع سنتيمترات من فتحتها ، وحيث ان المساحة (من جسم القنينة) التى تركت للملاحظة يبردها الهواء بصـــفة دائمة فانها تبطن من الداخـــل بملح النوشـــادر ما ان يتم تصـــاعد الأخير بفعل الحرارة ، من السناج الذى يملأ اتســـاع القنينـــة ، وسنعرض تبـــاعا لـــكل تفاصيل هذا العمل فى الفقرات التاليـــــة :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن القنينـــات وكيفـية صنعها

تصنع القنينـــات التى تستخدم (فى صناعتنا هذه) من زجاج أسود اللون ، بالغ الرداءة ، وان كان كافيا للاستعمال المخصصة هى من أجله .

ومنذ البداية ، ادى انخفاض ثمن النطرون ، بالاضـــافة الى وفرته ، الى تفضـــيل الزجاج على اية مادة أخرى فى صنع آنيـــة التصعيد ، وقد حالت هذه الأسباب ، مع ندرة الوقود ، دون أن يحصـــل فـــن صـــناعة الزجاجات على تحسينات كبيرة ، ولهذا فان منتجاته ، حتى تلك المخصصة منها لاستعمالات الحياة العادية ، هى من نوع بالغ الرداءة ، بل ان القنينات المستخدمة فى المصـــانع التى تعنينا هنـــا ، أدنى من هذه بكثير ، كما أن هشاشـة هـــذه الآنية قـــد تجعل من نقلها عملية بالغة الصعوبة ان لم نقل مستحيلة ، ولهذا السبب يضطر أصحاب مصـــانع ملح النوشادر لتصنيعها فى مصانعهم الخاصة ، وان كان هـــذا الأمر لا يتسبب لا فى انفاقات كبيرة ولا فى حدوث الـــكثير من المضايقات . وتكفى مساحة مربعة الشـــكل ، يبلغ طول ضلعها نحو المترين كمكان لاقامة فرن الزجاجات (١) . وتحيط به أربعة جدران رئيسية سمك كل منها ثلاثة ديسمترات ، ويبلغ ارتفاعها نحو المترين ، وتتلاقى عنـــد نهاياتها بقبـــة تقفل فرن الانصـــهار وأتون التحمية أو الانضاج .

ويشغل فرن الانصهار نحو ثلثى الارتفاع الـــكلى للمبنى ، أما الثلث البـــاقى فيضم فرن التحمية أو الانضاج ، ويشتمل الأول على موقد وحوض توضع فيـــه مباشرة المواد المراد صهرها ، وينفصـــل الموقد الذى يمتـــد بطول الفرن كله فى اتجاه ، وبطول ثلثه فى الاتجاه الآخر ، عن الحوض عن طريق حائط طوله متر ولا يعلو فوق سطح أرض الحوض الا ببضـــعة سنتيمترات ، فى حين يقوم الحوض فوق مصطبة مبنية تعلو فوق ســـطح أرضية المصنع بنحو ٨ الى ٩ سنتيمترات .

وتغطى فرن الانصهار قبـــة تستخدم فى الوقت نفسه أرضـــية لفرن التحمية ، وتعكس هذه القبة (أو تشع) الى الحوض لهيب الوقود ، الذى

---

(١) انظر الأشكال ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من اللوحـــة الثانيـــة من الفنون والحرف ، وكذلك شرح هذه اللوحة .

يتكون عادة من سيقان الذرة وغاب البوص ، وتدخل نسبة من اللهب كذلك الى فرن التحمية عن طريق فتحة عملت فى منتصف القبـــة التى انتهينا من الحديث عنها .

أما المـــادة التى تصنع منها القنينـــات ، فهى خليط من النطرون مع مسحوق رملى تم اعداده تماما من قبل ، ويحصل عليه من مصـــانع الزجاج العـــادية . ويوضع هـــذا المســـحوق الرملى على هيئـــة طبقـــات قليلة السمك داخل الحوض ، وتضاف اليها بعد ذلك كمية كبيرة من النطرون ، وذلك للاسراع بانصهارها .

ولكى يتم صنع قنينـــة ، يقوم العـــامل بانتزاع المـــادة اللازمة لهذا الغرض بواسطة عصـــاه ، وبعد أن يصل بهذه القطعـــة المنتزعة الى قطر يبلغ نحو ٢٤ الى ٢٧ سم فى الوقت الذى يظل هو يحتفظ بها داخل فـــرن الانصهار ، ينتهى بها الى فرن التحميـــة أو الانضاج لتظل وســـط النيران التى تتوغل الى داخل الفرن الأخير عن طريق الفتحة التى تم احداثها فى منتصف القبـــة السفلية ، وعنـــدما تبلغ القنينـــة قطرا يبلغ ٤٠ الى ٤٥ سم يضعها العامل فوق الرمل الذى يغطى ارضية فرن أو أتون التحمية ، ثم يطرى العامل رقبة القنينة وبعد ذلك ، وبطرقة خفيفة فوق عصاه ، يفصل القنينة (عن العصا) ، ويحرص العامل دوما على ان يبلغ طول رقبة القنينة من ٤ الى ٥ سم وقطرها من ٤ الى ٧ . وتستغرق هذه العملية بكل مراحلها نحو خمس الى ست دقائق .

وحيث لايستطيع فرن التحمية أن يضم سوى اثنتين أو ثلاث قنينات ، فان الواحدة من هـــذه الآنية لا يمكنها أن تمكث فى هذا الفرن لأكثر من ١٠ ١٥ دقيقـــة ، تجر بعدها بواسطة محجن حديدى الى خارج الفرن ، عن طريق فتحة تتسع للحذ الـــكافى عملت فى أحد جوانبه ، ولا يتم ابعاد هذه الآنيـــة عن النـــار الا بشكل تدريجى مع تمريرها فوق حاجز يقع قريبـــا من النار ، لـــكنه لا يتلقى الحرارة الا عن طريق الفتحة المطـــلة على ممر القنينـــات .

وتمكث كل طريحة اربعـــا وعشرين ساعـــة ، أى ان المـــادة لـــكى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تنصهر تستغرق اثنتى عشرة ساعة ، ثم تستغرق عملية نفخها بعد ذلك نفس المدة .

وناتج هذا العمل هو ماينبغى أن نتوقعه من عمل يتم انتاجه بأدوات غير متطورة ، وعلى يد عمال قليلى المهارة ، ويأتى سمك القنينات غير متساو بدرجة كبيرة ، وهى كلها على وجه التقريب مشروخة بسبب تبريدها الذى يتم بشكل شبه فجائى ، وليس من النادر أن نرى قنينات بأكملها تسقط من تلقاء نفسها مفتتة ، بل قد يتم ذلك وهى ماتزال بعد فوق الحاجز ، ويقدر عدد مايتحطم منها بنحو العشر ، سواء اثناء عملية الصنع أو فى اثناء نقلها الى خارج المصنع أو كذلك عند دهكها بالطين ، وتجمع بعناية كل هذه الشقفات . لتضاف الى شقفات القنينات التى تم استعمالها ويلقى الجميع فى فرن الانصهار .

ولا تعود هذه القنينات على الصانع بعد دهكها بالطين بشكل تام الا بـ ١٠ الى ١٥ مدينى أى بنحو ٣٥ أو ٥٠ سنتيما ، اذ تساوى كل ٥ فرنكات ١٤٢ مدينى .

عن تلطيخ القنينات بالطين

لكى يتم استخدام هذه القنينات ، لابد أن تلطخ بطبقة سميكة من الطين ، ويؤخذ هذا الطين من أرض مزروعة ، ويعجن فى حفرة ثم تضاف اليه كمية كبيرة من سيقان الكتان المهروسة بعد تخليصها من الجزء الأكبر من مشاقة الكتان التى تظل عالقة بها والتى تكون بمثابة عائق فى العملية التى نحن بصددها .

ويتم هذا الطلاء اربع مرات ، ولكى يتم حدوثه ، يؤتى بالقنينة أولا الى حافة الحفرة ، وتوضع بحيث تكون فتحتها الى اسفل وفوق طبقة من الرماد المحمى ، عملت فى وسطه فجوة تكفى لاستقبال رقبة القنينة ، ويمر العامل فى البداية بقاع القنينة الذى يكون هو الأعلى ، بالاضافة الى انه اقل اجزاء القنينة سمكا ، ليضع فوقه طبقة من الطين يصل سمكها الى نحو ١١ الى ١٢ مم ، ويتم ذلك دون تناسق ، وبعد هذا ترفع القنينة وتوضع فوق الأرض فى نفس الموقع حتى تجف فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشمس ، وعندما يصبح الطين جافا بشكل جيد ، تحمل القنينة مرة أخرى لتكون قريبة من حفرة الطين وذلك لطلاء الجزء العلوى ، وتوضع فى هذه الحالة فوق قاعها وبذلك تكون رقبتها الى أعلى ، ويغطى بالطين كل الجزء الذى يبقى مكشوفا بعد العملية الأولى فيما عدا راس كرة يبلغ طول قطرها ١٩ الى ٢٠ سم ، بحيث تكون الرقبة هى المركز ، ولابد أن يظل راس الكرة هذا عاريا (أي غير ملطخ بالطين) ، ، وعندما يجف هذا الجزء الجديد من الطلاء الطينى ، تؤخذ القنينة مرة ثالثة ثم رابعة لتحصل على طبقة ثانية من الطين ، تثبت بها بالطريقة السابقة نفسها ، وتستغرق كل خطوة نحو دقيقتين الى ثلاث دقائق .

وعندما يتم طلاء القنينات ، فانها تصبح متينة ، ويمكن الإحتفاظ بها فى المخزن لوقت طويل على هيئة أكوام ، تتكون كل كومة منها منثلاثة صفوف ، واذا ماحدث حادث طفيف ، كأن تثقب أو تتحطم رقبتها ، فان القنينة لاتعد تالفة لهذا السبب ، بل يعالج الأمر بأن توضع على الثقب قطعة من الزجاج تغطى بالطين ، فاذا حدث هذا الثقب فى رأس الكرة (غير المطلى) فيكتفى بلصق شقفة من الزجاج اكبر قليلا من الثقب المشار اليه عندما توضع القنينة فى الفرن ، وحين تتكاثف الأجزاء الأولى من ملح النوشادر ، فسرعان ماتثبت هذه الشقفة على النحو المطلوب .

ملء القنينات

لا يتطلب ملء القنينات اتخاذ أى احتياطات خاصة ، وانما يكتفى بتنظيف نصف الكرة العلوى بعناية ثم ندخل السناج الى القنينة بعد ذلك ، ولا يترك بها منفراغ الا مايكفى لتكونلب الملح الذى لابد أن يملأ القنينة حتى أسفل الرقبة بنحو اربعة سنتيمترات عندما يستخدم السناج الغنى بالملح ، ولاقل من ذلك قليلا عندما يكون السناج أقل ثراء به ، وفى الحالة الاخيرة يقل كذلك اتساع نصف الكرة الذى لايطلى بالطين .

ويهز العامل القنينة عند ملئها بحرص وذلك لضغط السناج ، ولكى يتكون له فى جزئه العلوى سطح أفقى مستو .

وبعد أن تملأ القنينات على هذا النحو ، توضع بعد ذلك فى الفرن ، الذى نقدم فيما يلى وصفا له :

عن فرن التصـــعيد

يتكون هذا الفرن من أربعة جدران رئيسية يبلغ سمك الواحد منهـــا ستة ديسيمترات ، تترك بينها فراغا مربع الشكل يبلغ طول ضلعـــه نحو المترين . ويبلغ ارتفـــاع هذه الجدران نحو ١٣ ديسيمترا فـــوق أرضيـــة المصنع ،ومع ذلك فحيث انها تبنى حول حفرة يبلغ عمقها سبعة ديسيمترات فان ارتفاعها الفعلى يبلغ فى مجمله المترين على وجه التقريب ، وهنـــاك باب يقع عند الواجهة الأمامية ، ويستخدم لادخال الهواء والوقود ولاخراج الرماد .

وفى العـــادة ، فان جدارى الجانبين لايحتفظان بكل سمكهما ، بل همـــا يرقان بشكل تدريجى مع ارتفاعهما ، فىحين تظل الواجهات الخارجية على نفس حالها ، فى وضعها الرأسى بطريقة يصـــبح معها الفـــرن ، من داخله ، وفى جزئه العلوى ، فى شكل متوازى أضـــلاع يبلغ طوله (فى اتجاه) من ٢٨ الى ٢٩ سم ، ويبلغ عرضه (فى الاتجاه الآخر) ٢٠ سم .

وتتكىء على الجدارين الجانبين ثلاث تقويسات ترتفع فى شكل عقـــد كامل ، ويبلغ سمك الواحدة منها نحو ٢٢ سم ، وتبنى موازية للجـــدران الأمامية والخلفية ، وهى تقسم نصف الفرن الى أربعـــة مقاطع متساوية تظل فارغة ، ويحمل ظاهر هذه التقويسات جدارا صـــغيرا ، له السمك نفسه ، ويمتد بشكل أفقى الى نحو أربعة ديسيمترات تحت القبـــة العليا للجدران الأساســـية ، ويشكل الجداران الامامى والخلفى ، ولهمـــا نفس الارتفاع ، تراجعا الى داخل الفرن ، وتخصص هذه التقويســـات مع جدارى التراجع دعائم للقنينـــات عند المقـــاطع الفارغة والتى تحصل عن طريق هذه المقاطع الفارغة نفسها على تأثير حرارة النيران ، أما البروز الـــذى يتجاوز الأربعة ديسيمترات فى ارتفـــاع الجدران الرئيسية فوق التقويسات فيشكل سورا يحيط بكل القنينات الموضوعة فوق الفرن (١) .

ويصنع كل هذا المبنى منطوب يلتصق ببعضهالبعض بفعل طين عادى، معجون بالماء ، ومخاط بنسبة تقرب نحو الربع من حجمه ، بالملح البحرى (٢) .

---

(١) انظر الأشكال ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ من اللوحة الثانية من الفنون والحرف ، مع شرحها .

(٢) تعد اضافة الملح البحرى الى « المونة » ممارسة شائعة فى مصر وهو أمر لم نستطع الوقوف على تقدير فوائده .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكل مصنع فى العادة بضعة أفران من هذا النوع ، وهى تبنى فى صف واحد أو فى صفين ، حسبما يسمح بذلك المحل ، وتضم هذه الأفران فواصل مشتركة ، لتتفل المبنى كله بعد ذلك سقيفة كبيرة ، تغطيها فى معظم الأحيان سعف النخيل.

صف القنينات فوق الفرن

توضع فوق كل فرن ، بصفة عامة ، أربع وعشرون **قنينة** ، بحيث يتكون كل صف من ست قنينات ، وتوضع هذه متقاربة مع بعضها البعض تقاربا شديدا ، ولكن دون أن تتلامس ، ويحرص العامل كذلك على ابتعادها عن الجدران ، وعن التقويسات التى تسندها ، وذلك بوضع قطع من الرماد المتماسك فيما بينها .

وبعد أن توضع القنينات ، تملأ الفراغات التى تتركها فيما بينها ، انصافها العلوية ، بقطع كبيرة من الرماد ، تغطى بقطع أقل حجما ، لينتهى الأمر بوضع طبقة من الرماد الناعم تعلو لتبلغ قاعدة رقبة القنينة ، كذلك يراعى احداث فتحة يبلغ قطرها نحو الديسيمتر ، فى كل واحدة من الزوايا الأربع للفرن ، تستخدم كمدخنة .

وتستغرق كل هذه العملية ، بدءا من ملء القنينات ، حتى اشتعال النيران ، نهارا بأكمله .

تشغيل النيران

عندما يتم اعداد كل شيء ، على النحو الذى انتهينا من بيانه ، تلقى فى الفرن — وهو لا يضم أسياخا ولا مرمدة (مكان لاختزان الرماد) — كمية من الأقراص تكفى لملء مايقرب من نصف سعته ، وبعد ذلك توقد النار فى الجزء المجاور للباب ، ويمتد الاشتعال ببطء ليشمل كل المساحة ، ثم يتوغل تدريجيا حتى يبلغ القاع ، وعندما تشتعل كل الكتلة، يقفل الباب بشكل يكاد يكون تاما ، ويلاحظ أنه قد بدء فى سده بالطين قبل أن يدخلوا اليه الوقود ، وبهذه الطريقة لاتنتج سوى نار ضعيفة للغاية ،تتوغل فى بطء فى الآنية التى يتم تصعيد (مابها من سناج) ، ولا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ينزع هذا السد الطينى لبــاب الفرن الا عندما تصبح من الضرورى زيادة النيران ، وحينئذ يضيفون حسب الحاجة وقودا جديدا .

ولا توقد النــــار فى الفرن الا عند بداية الليل ، وحيث تستغرق عملية التصعيد ستين ساعة فانها لا تبلغ نهايتها ، على هذا النحو ، الا قــرب صـــباح اليوم الثـــالث ، وعندئذ يتم استخداج لباب الملح فى النهار ،وهذا انسب عما لو اضطروا لفعل ذلك خلال الليل .

ولا تبدأ الحرارة فى الارتفاع قليلا الا قرب نهاية الليلة الأولى ، وفى هذه الفترة تصاعد من القنينات كمية هائلة من الأبخرة الرطبة والقاتمة ، مختلطة بكربونات النوشـــادر ، ولا يستطيع أى امرىء أن يظل للحظـــات فوق الفرن الا بشق الأنفس ، وبرغم ذلك نجد عاملا عليه أن يصـــعد كى يحطم قشرة ملح البارود ، التى تتكون على السطح العلوى للسناج ،وأحيانا قريبا من منشأ رقبـــة القنينة ، اذ قـــد تؤدى هذه القشرة ، باغلاقها كل المنافذ على الأبخرة ، الى اغلاق كل المسارب ، مالم يحطمها العامل بمسبار حديدى ، عندما تزيد صلابتها لأكثر مما ينبغى .

وعند نحو منتصف نهار اليوم الأول ، يصـــبح دخان القنينات أبيض اللون ، كما يقل هـــذا الدخان بشـــكل محسوس ، برغم أن النيران تكون قـــد بلغت عندئذ أقصى درجة تتطلبها العملية ، وهنـــا يكون السناج قـــد تخلص من الرطوبة ومن الأجزاء الدهنية التى يحتوى عليها وتكشف أجزاء القنينـــات التى لم تطل بالطين والتى كان يغطيها الرماد حتى ذلك الوقت . وتؤدى البرودة التى تلامس انصـــاف الـــكرات الى تكون جـــزء من الملح المتصاعد والى ان يتكثف ، وان كان جزء كبير منه يظل هائما فى الجو على شكل بخار أبيض ، وفى الحقيقة فان لبـــاب الملح لا يبـــدأ فى التكوين الا بدءا من هذه اللحظة بعد أن تكون قشرة السناج قـــد تبخرت فى جزء كبير منها بفعل الحرارة بمجرد أن تكون هذه الحرارة قد اخترقت كتلتها .

وفى اليوم التالى ، عند الصباح ، يتحسس رئيس المصنع ما ان الملح قـــد اكتسب صـــلابته المطلوبة ، وذلك بأن يطرق فوق أنصاف الـــكرات بضربات خفيفة ، وفى حالة تماسك الملح تكسر رقاب القنينـــــات ولـــكن بدون انتزاعها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعند مساء اليوم نفسه ، تفحص مرة أخرى حالة لبـاب الملح ،فاذا وجده جيـد التماسك ، فانه يكسر القنينـات دون أن ينتزع قطع الزجاج كذلك ، فاذا ما صـدر عن القنينة صـوت يفيد بأنها جوفاء ، ينتظر العامل لبعض الوقت حتى يصدع الزجاج. وعلى الرغم من هذه الاحتياطات، فكثيرا مايحدث أن تؤدى الأبخرة التى تتكون فى منتصف كتلة السناج الى انحباس مسارب الأبخرة تحت لباب الملح .

وقـد لاحظ المسيو لوروج أن رائحة لحمض الـكبريتيك تنبعث قوية عندما تكسر القنينات .

وتنتهى عملية التصعيد عادة عند نحو صـباح اليوم الثـالث ، ومع ذلك فاذا لوحظ — بعد أن يتم اخراج عدة لبـابات — أنها ليست بالقـدر الـكافى (من التماسك) فان العمـال يبـداون عمليـة تسخين اخرى لبضع ساعات ، مع اضافة الوقود .

وعندما يتبين أن العملية قـد اكتملت بشكل تام ، يبدأ العمـال فى انتزاع ملح النوشادر ، ولـكى يتم ذلك تحطم القنينـة أسفل كتلة الملح المصعدة مبـاشرة ، وتنتزع أنصـاف الـكرات بـدون مسـاس بالجزء البـاقى ، ثم تلقى كمية من المـاء البـارد على أجزاء الزجاج التى تبقى ملتصقة بلباب الملح لتتحول الىشظايا ثمتنتزع هذه بسهولة، ولكى تستبعد المواد السوداء التى تكون بمثابة وساخات عالقة بسطح الملح الأبيض يضطر العمال أحيـانا لاستخدام بلطة صـغيرة ، معقوفة وحادة ، أما اذا كانت درجة التصاقها قليلة ، فيكتفى بمسحها ، أما اذا كانت تشـوب الملح بقع صفراء او سـوداء فان العـامل يزيلها بقليل من المـاء أو اللعاب ، واذا حدث أن ظهرت بلبـاب الملح أجزاء أقل تماسكا ، فانها تضغط قبـل أن تبرد بضربات مطرقة .

ويزن لبـاب الملح الذى يستخرج من كل قنينـة ، فى العـادة ، اربعة أو خمسة ارطال .

ويعتمد بهاء ملح النوشادر ، كما تبينا نحن ذلك جيدا ، على صنف السناج وطريقـة تشغيل النيران ، وهم يصنفون الملح ، تبعـا لدرجـة بياضه الى ثلاث درجات ، وان كان الفرق بين هذه الدرجات الثلاث ليس قاطعا .

لحد يحول دون وجود تقديرات تعسفية ، وأكثر هذه الدرجات نصـــاعة ، وهو مايسمونه المـــكرر ، يستخرج من المواد التى تظل فى وسط القنينات عندما لا يكون التصعيد قـــد تم بشكل مطلق ، وهـــو مايحدث كثيرا . أما المواد التى يطلقون عليهـــا اســـم هدارى — أو حدارى — أو تلك التى يسمونها أولاد ، تبعـــا لمـــا يذكر المسيو لوروج ، فهى كرات بالغةالتماسك تتكون وسط الرواسب الســـوداء والقـــابلة للتفتت التى تملأ القنينـــات، وهم يحرصون على انتزاعها مباشرة بعد استخراج الملح ، وتصب فوقهـــا على الفور كمية ضـــئيلة من المـــاء البارد لايقاف الأبخرة الوفيرة لموريات النوشادر التى تصـــدر عنها ، ونادرا ماتستخلص هذه المـــادة نقية ، اذ هم يخلطونها فى المـــادة بنسبة الثلث مع سناج جديد ، ويعتقد العمال أن هذا الخليط يعطى كمية اكبر من الملح عمـــا لو صـــعد هـــذين العنصرين منفصلين . وباذابة الموادالملحية التىيحويها هذا الهدارى — أو الحدارى؟ — نحصل على سائل به نسبة عالية من الحديد ، ومن الممكن أن يؤدى خلط هذه الكرات بسناج جديد يحتوى على كربونات النوشادر الى تولد كمية أكبر من موريات النوشادر . ومع ذلك فمن غير المحتمل أن تكون هـــذه الزيادة محسوسة جيدا .

وتشتعل الرواسب القابلة للتفتت بمجرد ملامستها للهواء ، وهى تفقد لونها الاسود بفعل احتراق الكربون ، متخذة اللون الرمادى أو النحـــاسى الفاتح ، وترمى هذه المواد ولا يحتفظ الا بفتات الزجاج التى يمكن صهرها مرة أخرى ، وترمى معه الأجزاء التى تحملت أقصى درجات الحراره لأنهـــا تكون قد ذابت والتحمت بالطين .

ويعطى السناج فى المتوسط نحو ١/١٠ وزنه من ملح النوشـادر ، أما اذا أخذنا فى الاعتبار تلك الكمية الهائلة التى تذهب بددا فى الهواء خـــلال عملية التصعيد ، وهى كمية كبيرة لحد أنها تظل تملأ أجواء المصـــنع على الدوام خلال هذه العملية ، بدخان بالغ الكثافة يكفى لتحريك سعف النخيل الذى يشكل السقيفة ، وكذلك لتغطية الملابس برماد وفيـــر من موريات النوشادر ، فلسوف نلمس بوضوح أنهم لا يحصلون الا على نسبة ضئيلة من الملح الذي يحويه السناج بالفعل . وبغسل السناج ، وتصعيد الرواسب التى تنتج عن تبخر هذا المغسول ، حصل المسيو لوروج ، فى تجربة قام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بها — للحقيقة — على نطاق ضيق ، على كمية من الملح تساوى نصف وزن السناج المغسول . ومن المحتمل نتيجة لذلك ، أن يصبح بالامكان احـــداث تغييرات مفيدة على الاساليب المتبعة فى مصر .

وتقع أهم مصانع الملح فى المنصورة وبولاق ، وقد تابعنا تفاصيل هذا العمل فى هذا الموقع الأخير .

وينتج مصنع المنصورة سنويا ، وبه ستة أفران ، نحو ٦٠ الى ٧٠ قنطارا ، وقبل الحرب كان يباع كل مائتى رطل — أى كل قنطار — فى مقابل ١٠٠ بوطاقة من ذوات التسعين مدينى .

ويبلغ عدد العمال الذين يحصلون على أجور طيلة العام ستة عمال، ويستخدم بالاضافة اليهم ، تبعا للحاجة من ١٥ الى ٢٠ عاملا يجوبون القرى لشراء وجمع السناج (*) .

(*) انظر الباب الثانى ، الفصل الثـــامن ، ص ٢٢٧ ، الزراعة والصناعات والحرف والتجارة من تاليف المسيو جيرار ، وهو المجلد الرابع من الترجمة العربية الكاملة لوصف مصر . (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٣)

صناعة دبغ الجلود

بوديه ،

« العنوان الأصلى للدراسة هو : دراسة موجزة عن تجهيز الجلود فى مصر ، تأليف بوديه ، كبير صيادلة جيش مصر ، وعضو المجمع المصرى ، والحائز على وسام الشرف » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من المعروف ان فن تجهيز الجلود يعود الى عصور ضاربة فى القدم، وان النـــاس فى كل مكان ، وحتى من قبل ان تخطر ببالهم فكرة غزل الكتان أو القطن أو القنب أو زغب الحيوانات لصنع المنسوجات منها ، قد استخدموا الجلود كأردية لهم وفى عدد لاحصر له من الاستخدامات الأخرى .

كـــذلك ، فنحن نعـــرف ان النــــاس منذ عصر موسى كانوا بالفعل يصبغون الجلود باللونين الأحمر والبنفسجى، كما نعرف ان مكتبة برجام (*) فى عهد آل أومينوس (**) Eumènes كانت تغص بالكتب المؤلفة عن جلود الرقوق ، ولابد أن نستنتج من ذلك أن الفن الذى يهتم باعداد الجلود، كان فى ذلك العصر متقدما لدرجة بدأ البحث معها عن النافع والمناسب منه.

ومع ذلك فمنذ آلت مصر الى أيدى المسلمين ، نكص هذا الفن الى طور الطفولة ، حيث تضاءل فى هذه الأيام الى مجرد أساليب بدائيـــة ظلت على قيد الحياة بفعل التقليد ، باعتبارها تراثا موروثا ، تنفذ بشكل ردىء بالغ الخشونة ، وان كانت هذه الصناعة مع ذلك تنهض على أسس نفس المبادىء والتى نعمل نحن على أساسها ، والتى طورتها أوربا ، وبالامكان ان نتعرف على ذلك اذا القينا نظرة عابرة على أساليب المصريين وكـــذلك على أساليبنا (١) .

(*) مدينة ايطالية تقع فى سهل لمباردى (المترجم) .

(**) وهـــم ملوك برجام وقـــد حكم اومينوس الأول من ٢٦٣ الى ٢٤١ ق.م. والثانى من ١٩٧ الى ١٥٩ ق.م. وكان متحالفـــا مع الرومان (المترجم) .

(١) قد يكون بمقدورنا أن نظن أن هؤلاء الذين اخترعوا فى الأصـــل أساليب فن الدباغة كانوا يعرفون ، قدر مانعرف ، طبيعة جلد الحيوانات، كما كانوا يعرفون كذلك مثلما نعرف ، أن العصـــارة اللمفـــاوية التى يكون الجلد متشربا بها ، بخلاف الدم، تتكون من مادتين متميزتين لابد ان نستخلص (أو نستبعد) احداهمـــا ، وهى جيلاتينيـــة صرف، أما الأخرى ، وهى نسيج ليفى غير قابل للذوبان فى الميـــاه ، فلابد لها ، فى نفس الوقت أن تحصل فى جزء كبير منها على تغيير لتصـــبح كمـــا نقول نحن شـــائطة ومنكمشة ومتهيجة ، لتتحد بعد ذلك بالمادة الدابغة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فن الدباغة

يعنى دبغ الجلود عند المصريين ، كما يعنى عندنا ، أن نشبعها بعنصر يسمى tannin (*) ، وتوجد هذه فى النباتات الخضراء (وتسمى القابضة ، اى التى تجعل انسجة الجلد تنقبض ، فيقل الافراز أو النزف) وباتحاد هذا العنصر مع الألياف التى تشكل نسيج الجلود ، فانه يجعلها تتخذ حالة نصف جيلاتينية ، بحيث ينتج عن ذلك جسم جديد اشد صلابة ، وأكثر مرونة (غير قابل للكسر) وأقل قابلية لنفاذ المياه منه ، كما يكاد يكون غير قابل للتلف .

وقبل ان ندبغ الجلود يقتضى الأمر أن نغسلها أولا ، ثم نكشطها ، أما لكى ننتج مانطلق عليه فى أوربا اسم الجلود الكثيفة أو السميكة ، فلابد أن نقوم بنفخها .

وفى مصر ، كما فى كل البلاد ، تعنى العملية الأولى (وهى الغسيل) أن نغمر الجلود وأن ننقعها وأن ندوسها وهى فى مياه جارية ، وأن نجعلها ترشح وأن نبسطها فوق حامل ثم نغسلها مرة أخيرة حتى نتخلص تماما من وشلها (أو نضحها) ومن دمائها ، ومن الوساخات التى تراكمت عليها فى الزرائب أو فى المذبح حتى تصبح متشبعة بالماء .

أما العملية الثانية ، وهى الكشط ، فتقتصر فى مصر على واحدة من خطوات عدة تلجأ اليها أوربا ، ويتم بمقتضاها وضع الجلود فى محلول الجير حتى يمكن انتزاع زغبها (أو شعرها) بسهولة ، وحتى يمكن للعامل ان يزيله ، بينما تكون الجلود معلقة على الحامل ، بواسطة سكين دائرية الشكل ، لكنها غير قاطعة .

وتكتفى اوربا بطريقة الكشط بالجير بالنسبة لجلود البقر والعجول ، وهى الجلود التى تخصص لتصبح جلودا خشنة ، ويكتفى بها فى مصر كذلك بالنسبة لجلود الجاموس والثيران ، ذلك أن المصريين كما هو معروف لايسعون أبدا لكى يصنعوا من جلود هذه الحيوانات جلودا سميكة أو كثيفة . اما فى أوربا ، حيث يرغب الناس فى مثل هذه الجلود ، وفى أحسن شكل

(*) وهى مادة قابضة تؤخذ من قشر البلوط أو العفصه أو غيرهما ومنها جاءت كلمات tanner و tanneur و tannée بمعنى يدبغ ودابغ وثفل المادة الدابغة الخ (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ممكن ، فانهم يفضلون ، للوصـــول بالجلود الى هذه الدرجة من الجودة ، كشط جلود الحيوانات الكبيرة وذلك بعد أن يغمروها فى سوائل لاذعة مثل منقوع الشعير أو مصل اللبن أو عصير الدباغة او فى الناتج المائى والحمضى لتقطير الفحــم الحجرى والترب (*) أو فى ماء أذيب به بعض من حمض الــكبريتيك ، أو بعد تعريضها لدرجة معينة من التخمر ، ويتم ذلك بطيهــا وقــد رشت بالملح أو بدفنهـــا فى الزبالة والفضـــلات الحيوانية او بحبسها فى قبو ، تتعرض وهى فى داخله لنــار ناتجة عن احتراق ثفل الدباغـــة تكون نصـــف جافة ونصف رطبة ، وتنتج درجـــة حرارة تتراوح بين ٢٥ و ٣٠° وتحدث دخانا مشبعا بالبخار يخترق مسام الجلود ، ويتخللها ويجعل شعرها أقل التحاما بها ، وذلك بدون أن يتلفها أو يؤثر فيها هى لأكثر مما ينبغى .

وعندما تتم عملية السمط (ازالة الشعر) بواحدة من هذه الطرق ، تغسل الجلود وتكشط (اى تزال اللحوم العـــالقة بها) ، وعندئذ ،وهذا هو مايحدث فى مصر ، تصبح الجلود ، بكل أنواعها ، معدة للدبغ ، فى حين نظل الجلود، التى تخصصها أوربا لانتاج مايسمى بالجلود الكثيفة أو السميكة، فى حاجة لأن تمر بعملية ثالثة تسمى بعملية النفخ، وتحدث هذه اما بواسطة الجير ، اذا كان الــكشط قـــد تم بهذه الوسيلة (اى باســـتخدام محلول الجير) ، واما بأية وسيلة من تلك التى اتبعت لتنفيذ عملية الــكشط ، اذ يمتلك الدباغون فى هذه البلاد ، لهذا الغرض حفرات جير يسمونها الممتلئة Pleins أو أحواضا توضع بها المحاليل اللاذعة أو الحمضية ، تتنوع درجات قوتها (أو مفعولها) ، يمررون فيها على التوالى تلك الجلود الى ان تكتسب درجة الانبساط أو التمدد المناسبة .

وتوجد لدى الأوربيين ثلاث طرق رئيسية يلجئـــون اليها فى علميـــة الدباغة ، فاما أن يبسطوا الجلود « على الناشف » داخل حفرات ، فوق طبقـــة من لحاء البلوط تحولت الى مسحوق بواسطة الرحى ، وأن يجددوا ذلك ثلاث مرات خلال ١٥ الى ١٨ شهرا ، مختصرين مع ذلك ، وفى بعض الاحيـــان هذه العملية ، فيعمد بعضهم الى تسريب قليل من المـــاء شـــيئا

(*) وهو تراب عضوى قابل للاشتعال ، يتـــكون من التحلل البطىء لبعض النباتات الطحلبية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فشيئا داخل هذه الحفرات ، فى حين يعمد آخرون ، يريدون أن يوفروا على أنفسهم فى الوقت نفسه مشقة اتلاف الحفرات حين يستبدلون بالماء محاولات من الدبغة بالكمية التى كان من الممكن أن يستخدموها ، الى تقديم (استخدام) القشرةالثانية والثالثة من (لحاءالباوط) بشكلها الطبيعى (بدون تحويلها الى مسحوق) .

واما انهم يخيطون الجلود بشكل تتحول معه الى اجولة يملؤونها بالماء والمادة الدابغة ، ثم يغمسونها فى أحواض تحتوى كذلك على كمية من المادة الدابغة المذابة ، وتستغرق هذه الطريقة ، والتى يسمونها Chippage (*) مدة شهرين .

واما انهم — اخيرا — يدبغون جلود الأبقار فى خلال بضعة أيام ، وجلود الضأن فى خلال بضع ساعات وذلك بأن يغمسوها منعزلة (اى كل جلد بمفرده) فى حوض يحوى محلولا قويا من المادة الدابغة .

لكن المصريين ليست لديهم سوى وسيلة وحيدة لدبغ جلود الثيران والأبقار والجمال والجاموس والماعز الخ ، يبداونها بتغطية الجلود وهى لينة ، ممطوطة ومكشوطة ، بخليط من الملح ومسحوق حبات الخردل والسنط ، ثم بعد ذلك توضع ، وتنفض ، وتداس أو تهرس لعدد من الأيام تزيد أو تنقص تبعا لحجم الجلود وسمكها ، ويتم ذلك كله فى ماء أذيبت فيه كمية مناسبة من نفس هذه المساحيق الملحية والقابضة .

وعندما تخرج الجلود من احواض النقع هذه ، تبسط وتجفف ، ويدخل بعضها وهو مايزال على هذه الحالة فى طور الاستعمال ، فى حين يمر بعضها الآخر بعملية التطرية أو التليين .

(*) الفعل Chiper فى اللغة الفرنسية يعنى خطف أو دبغ ، لذلك فقد يعنى هذا اللفظ الدباغة الخاطفة . (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فـن تطرية او تليين الجلود

وتعنى هذه الخطوة اعطاء المرونة للجلود التى جملتها عملية الدباغة يابسة ، وتمر كل الجلود التى تخضع لهذه العملية بين يدى « المطرى » ، وهو يعدها لهذا الامر عن طريق تجهيزات مختلفة تتناسب مع الأغراض التى ستستخدم فيها هذه الجلود .

ولنأخذ جلود البقر على سبيل المثال ، ان العامل يعيد لهذه الجلود رخاوتها عن طريق مياه يسعى لأن تتشربها مع وطئه الجلود وعركها بالأقدام ، ثم يعلقها فوق حمالة ويكشطها ويسوى حوافيها ، ثم يجففها ويبسطها على نضد ، ويصب فوقها من ناحية الباطن (أو اللحم) زيتا يدلكه بيده ، ويفعل نفس الشيء من ناحية الوجه (او الشعر) وان كان مايضعه هنا من زيت اقل كثيرا مما وضعه فى الناحية الأخرى ، ثم يعلق هذه الجلود حتى تتشرب هذا الزيت وبعد ذلك يدهسه ثم يغمره بالزيت من جديدثم يدهسه او يطؤه مرة اخرى ، ثم يزيل هذه الشحوم بواسطة محلول خفيف (غير مركز) من النطرون ، يضعها على وجه الجلد (أى الجهة التى بها الشعر) ، وذلك بقصد اعداده لكى يأخذ اللون الأسود ، الذى يمنحه اياه على مرتين، بواسطة محلول يتكون من اتربة حمض الكبريتيك ومسحوق ثمار السنط ، داهسا الجلد فى كل مرة ، وبعد ذلك يعالج عيوبه ثم يضع طبقة من الزيت على وجهه .

أما الجلود المستعملة فى سن أمواس الحلاق المصرى فتصنع من سيور من جلود الثيران او الجاموس ، المدبوغة والتى تلين بعد ذلك فى الزيت ، وتنقع هذه السيور لمدة ثمانية أيام فى زيت الكتان ، ثم لمدة ثمانية أيام أخرى فى زيت الزيتون ، ثم تداس بالأقدام ، وتلف حول نضد كى تكتسب المرونة المطلوبة ولكى تتشبع بالزيت .

لكننا نجهل ما ان كان هذا الصانع يستخدم فى بعض الأحيان ، بدلا من الزيت ، الودك (شحم الأمعاء) أو الشمع ، اذا ما أراد اعداد الجلود الناعمة أو المصقولة التى يحتفظ لها بلونها الأصهب — ان كان حقا يعرف ذلك ، وما ان كان يعطى لجلود الأبقار والعجول ، مثلما يفعل دباغونا ، اللون الأحمر ، مقتربا من نفس أساليبنا وخطواتنا ، وذلك بأن يعالج

هذه الجلود بالشبة ، فى الحالة التى تكون عليها عند صباغتها باللون الأسود ، ثم بأن يدوسها وهى فوق طبقة الشبة ثم بأن يصبغها بخلاصة خشب البرازيل أو خشب الفرنامبوك موضوعة فى مياه الجير ، ثم بأن يجففها وأن يصقلها قبل وبعد غمرها بالزيت ، وبعد ذلك بأن يضع على المصفاة تلك الجلود التى يريد أن يكون الحبوب على وجهها (يجعلها محببة) ، ومع ذلك فليس العامل المصرى هو الذى يجهز الجلود التى نصنع منها ، فى مصر ، القرب التى تستخدم هناك اما لحمل مياه النيل الى بيوت الأهلين ، واما لنقلها خلال الأسفار على ظهور الجمال ، واما لاحتواء العسل الأسود القادم من الصعيد ، وكذلك الزبد وزيت الزيتون والعسل الأبيض ، اى هذه السلع القادمة من تونس ومن مدن اخرى فى بلاد البربر ، اذ تصنع هذه الجلود فى مكة وجدة ، ولا يفعل المصريون سوى ان يخيطوها ليصنعوا منها قربهم ، أما القرب بالغة الضخامة ، والتى لابد من حملها فوق ظهور الجمال ، فتصنع من جلود الثيران ، وتستخدم فى صنع القرب الأقل حجما جلود الماعز والتبوس ،وتحتاج هذه وتلك ، كى تعمرا طويلا لأن تمرا كل عام مرتين على الأقل ، بالعملية الآتية :

عندما يلاحظ احد السقائين أن قربته قد اعتراها الانهاك ، فانه يعلقها مع ابقاء فمها مفتوحا ، فتجف ، وعندئذ يدخل فيها خليطا من القطران وزيت الزيتون ، يبسطه بعناية بيده فوق نصف سطحها ، من داخلها ، ثم يقارب بين نصفيها ويدوسهما معا كى يتخللهما هذا الخليط، ثم تترك هذه القربة فى النهاية معرضة للشمس والهواء حتى تتشرب كل القطران الذى اعطى لها ولدرجة لاتتلوث معها الأصابع بالقطران عند لمسها .

وتعمر قربة ما ، بهذه الوسيلة ، نحو خمس الى ست سنوات ، مع استعمالها يوميا .

وتوجد لدى المصريين كذلك ، بقصد اختزان الماء ، آنية صنعت بدرجة لا بأس بها من الحذق ، حتى اننا ظنناها ، دون أن نستطيع التأكد من ذلك ، مماثلة لآنية صناع الأعمدة لدينا ، وتصنع هذه الانية من جلد مغلى فى الشمع ، وان كان ذلك يتم بقدر اقل من العناية ، برغم هذا .

ولدى المصريين كذلك جرار تكاد تكون من نفس الجلد ، لكنها صنعت على نحو خشن بعض الشيء ، وبستخدمها تجار الزيوت لاحتــواء الزيت الذي يبيعونه بالقطاعى .

فن صناعة جلود السختيان (*)

يصنع المصريون الجاود التى يخصصونها لصــنع مايسميه النـــاس « بالمركوب » بأكبر قدر من العناية والحذق ، وهــذه هى جلود التيــوس والخراف والمــاعز .

وتمر هذه الجلود على التوالى ، بعد معالجتها بالجير ، وبعــد أن تكشط وتشذب بأحواض مليئة بالمياه كى تغمس فيهــا ثم تغســل وتداس بالأقدام ، وبعد ذلك تكشط وتغسل ، ثم يكشط وجهها بشــكل عكسى ، وتداس بالأقدام ، ويسوى وجهها باتقان ثم تعلق كى يتســاقط ما بهــا من ماء .

وبعد ذلك ، ولكى تتم تطرية الجلد ومطه بعد أن ايبسه الجير بعض الشيء ، يوضع فى نقيع مغلى من زبل الحمــام حيث يدلك به بقوة ، وحيث يترك لعــدة ساعات ، ومن ثم يغمس ، الواحد بعد الآخر فى محلول من نقيع العفصة ومسحوق ثمار السنط ، وبعد أن يترك منقــوعا فى هــذا المحلول لمدة تتراوح بين ٢٥ و٣٠ ساعة ، يداس بالأقدام لمدة ساعتين .

جلد السختيان الأحمر

عند اخراج الجلود التى يراد اعطاؤها اللون الأحمر من النقيع الذى استخدم فى دباغتها ، توضع لمدة يومين فى عقد من النخالة ، وبعد غسيلها، تمر بنقيع التين حيث تترك لتعطن وتظل منقوعة لمدة أربع وعشرين ساعة، وفى نهاية هذه المــدة ، يغسل كل جلد ثم يرش بالملح ، ثم يكدسونها لعدة أيام ، فاذا ما استشعرت أية بادرة تخمر فانهم يوقفونها بالقــاء الجلود فى المــاء ثم يغسلونها لسبع أو ثمانى مرات مختلفة ، وفى كل مرة تستخدم

(*) وهى جلود المــاعز مدبوغة وملونة (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مياه جديدة ، ثم تبرم الجلود (تصنع منها لفافة) وتبسط ، ثم تدهن ثلاث مرات بواسطة قطعة من الاسفنج أو كرة من القطن ، على وجهها باللون الأحمر المعد من القرمزية والشبة .

وبعد أن تصبغ الجلود على هذا النحو ، تغسل ، وتبرم ، ثم توضع فى نقيع قابض ، مكوناته هى مكونات النقيع الذى استخدم عند بدء عملية الدبغ ، وبعد أن تمكث الجلود بهذا النقيع وقتا كافيا (١) ، يغسلونها ثم يبسطونها ، وبعد ذلك يدلكون مسطحها (من ناحية الشعر) بيد مندأة بزيت السمسم ، حتى تصبح لامعة ومصقولة .

جلد السختيان الأصفر

لا تمر الجلود المخصصة لكى تصبغ باللون الأصفر قط بنقيع النخالة والتين والملح ، ولكنها توضع مباشرة ، بعد عملية الدباغة الأولى ، فى نقيع ثان ، ومن هناك ، وبعد أن تغسل وتداس وتبرم أو تلف وتجفف بشكل جزئى ، تبسط لتحصل على طبقتين من صباغة صفراء تصنع من سائل هوخليط من حبوب Avignon والشبة المصحونة ، ولابد أن يحرص العامل عند طبقة من الصبغة أن يطوى الجلد وجها لوجه وأن تصف الجلود على هيئة أكوام حتى يتوغل فيها اللون ، وبعد ذلك تجفف الجلود وتسوى من الداخل (من جهة اللحم) ، ثم تصقل من ناحية الوجه بواسطة العصا .

السختيان الأخضر

يحرص صانع جلود السختيان المصرية على اخفاء سر اعداد اللون الأخضر ، لكننا نظن أن هذا اللون (أو هذه الصبغة) ليست سوى محلول الجنزار (صدأ النحاس) مذاب فى مياه حمضية بسبب مابها من درديات حمض البوتاسيوم ، وربما أضيف الى ذلك قليل من صبغة النيلة .

---

(١) يكتسب جلد السختيان ، فى هذه النقعة الثانية الحبوب التى تصنع جماله الخاص والتى ليست سوى أثر من فعل (الكرمشة) التى تعترى بشرة أو ادمة هذا الجلد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السختيان الأسود

يصبغ السختيان باللون الأسود بعد أن يمر بعملية النقع الأولى ، وذلك بخليط من اتربة أملاح حمضية (سلفات الحديد والنحاس وحامض الكبريتيك) ، يطلق عليها بلغة أهل البلاد اسم جاز ، بالاضافة الى العفصة أو ثمرات السنط على شكل مسحوق ، وتكفى طبقة واحدة ،لذلك فلابد أن يغسل الجلد على الفور خشية أن يحترق بالصبغة ، وعندما يصبح الجلد جافا ، يدلك وجهه بزيت الكتان (١) .

فن تجهيز الجلود على الطريقة الهنجارية (المجرية)

يقوم الصانع هنا بصنع جلد متين دون أن يلجأ فى اعداده لا الى ماء الجير ولا الى المحلولات أو السوائل اللاذعة او الحمضية ، ولا الى المادة القابضة (العفصة أو لحاء البلوط) ، وقد يحل الشبة والملح محل المادة الأخيرة ، ويمزج بهذا الجلد كمية هائلة من الودك أى شحم الأمعاء.

أما الأساليب التى تتبع فى هذا الفن فمجهولة تماما فى مصر ، اللهم الا اذا كانت الطريقة التالية تقدم لنا شيئا من التماثل مع هذه الأساليب .

يؤخذ جلد عجل وهو طازج ، ويبسط بحيث يكون الشعر الى أسفل، ويوضع فوق أرض متربة لأحد الأفنية أو أحد الشوارع (٢) ، ويغطى الجلد بمزيج يتكون من نسب متساوية من الرماد وموريات الصودا منفصلة عن ملح البارود ، ولتأكيد وتسهيل ذوبان أملاح هذا المزيج واختراقه للجلد ، ولكى يكتسب الجلد فى الوقت نفسه نوعا من المرونة ، توطأ الجلود بالأقدام فى البداية ، ثم تترك معرضة للشمس ، ولضغط أقدام المارة وهم يعبرون .

وعندما ينفد المزيج الذى يغطى الجلود أو يتبعثر ، فانهم يجددونه ،

---

(١) يقال انهم فى الشرق يستخدمون نبات الرلول ذا الأوراق آسية الشكل (وهو الريحان الشامى) Coriaria فى دبغ الجلود وصبغها باللون الأسود ، كما يقال بأن الجلود تدين لهذا النبات بخاصية تفوقها، وان كنا لم نعرف قط ان هذا النبات ينتشر استعماله فى مصر .

(٢) ليست الأرصفة ولا الأفنية مرصوفة فى مصر (أى أنها كلها متربة)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحين يصبح الجلد بالغ الجفاف ، يستخدم ، وهو محتفظ بشعره ، كدواسات فى المدارس او المساجد (١) .

فن صناعة الرقوق

تنحصر الوسيلة المتبعة عادة فى صنع الرقوق فى وضع سائل كثيف من الجير المغلى عشية القيام بهذه العملية ، على الجلد وهو منبسط ، ثم يتم انتزاع الشعر منه بعد ساعتين من استمرار وجود الجير عليه ،وبعد ذلك يقلب لمدة ساعتين فى ماء الجير ، ويغسل جيدا ثم يبسط فوق سقيفة ، وبعد ذلك كله يكشط (لانتزاع اللحم والعروق) بعد رشه بجير مصبوغ ، ثم يغسل وهو فى مكانه بواسطة قطعة من الاسفنج ، ثم يجفف على الفور ، وبسرعة ، ثم يؤخذ كل جلد بمفرده لكى ينتزع لحاؤه او سطحه الخارجى بواسطة حديدة قاطعة ، وفى النهاية يصقل وتحدد علامات يتم القطع عندها ، وبعد ذلك يتم تفسيخه لتصنع منه الأوراق .

ويحتمل الا يكون المصريون يتبعون هذا الأسلوب بتمامه ، وبطريقة تمكنهم من التزود بالرقوق الجميلة التى يستخدمونها فى الكتابة ، بل يحتمل انهم لا يصنعون الرقوق التى يستخدمونها فى هذا الغرض وان كان من المؤكد انهم يصنعون الرقوق الشائعة ، وتستخدم انواع كثيرة من الجلود ، مثل جلود الخيل والحمير من اجل صنع الطبول الضخمة التى تحمل على ظهور الجمال . كما تستخدم جلودالماعز والأيائل السمراء لصنع الطبول الصغيرة ، وقد رايناهم يصنعون اغطية غمد سيوفهم وخناجرهم على شكل رق وليس فى هيئة جلود محببة (٢) ، ويصنعون ذلك من جلود ارداف الحمير، وهميصبغونها بعد تحبيبها بواسطة

---

(١) لهذا الاعداد المتبع فى مصر بالنسبة لجلود الثيران بعض شبه بالإعداد الذى يتم عندنا بالنسبة لجلود العجول المستخدمة فى صنع حقائب الظهر او حقائب الشغل والتى نسميها العجول ذات الشعر **Veaux à Poils** اذ تصفى دماء هذه الجلود ثم تكشط ، وتداس فى الشبة والملح البحرى مرتين مختلفتين ، وبعد ذلك توضع فوق حامل لتفتح وهى نصف جافة بواسطة السكين المستديرة .

(٢) الجلود المحببة هى نفسها الجلود المرشوشة بمسحوق حبوب الخردل بشكل خفيف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مثقاب ينتهى طرفه بنقرة صغيرة ، كما أن غرابيلهم (١) تصنع من سيور رق مصنوع من جلود الجمال والبغال ، كذلك شاهدناهم فى النهاية يستخدمون فى أغراض عدة نوعا من الرقوق يعرفون كيف يعطونه لونا أخضر بالغ الجمال وبالغ الثبات فى الوقت نفسه .

فن دباغة الجلود الرقيقة

لا يقدم هذا الفن ، بالطريقة التى يتم بها فى مصر أى فرق (عن الدباغة كما وصفناها) اللهم فى أنه أكثر تطورا ، وهم هناك يعدون الجلود للكشط ، على نحو قريب مما نفعل نحن فى أوربا ، ثم يمطونه ويطرونه بواسطة معجون النخالة ، وبعد ذلك يمررونه فى محلول الشبة، ويبيضونه عن طريق وضعه فى سائل مغلى يتكون من دقيق الحنطة وصفار البيض وجزء من محلول الشبة الذى لم يتشربه الجلد ، ثم يجففونه ويشدونه .

أما الجلود التى يراد لها أن تظل بوبرها أو صوفها فتغسل ،وتسوى حوافها ، وتكشط ، وتوضع فى عجينة النخالة ، ثم تلطخ بالطين وتشبب ، وتغطى من ناحية اللحم بعجينة من الدقيق والشبة وصفار البيض ، وتغسل ، وتبسط ، وتجفف ، ثم تبلل ، وبعد ذلك تطوى طية واحدة ، وترص بعضها فوق بعض ، وتحمل بالأحجار (كثقالات) ثم تفتح لتوضع فوق حمالة، وتسوى مرة أخرى ،وتجفف بحيث يكون الصوف هو المعرض للهواء ، وأخيرا تشذب .

ويمكن أن نعد جلود الكلاب من بين تلك التى يعدها المصريون بشعرها ، وهم هنا يسلخون الحيوان ، مع الاحتفاظ بالجلد كاملا ، كما نفعل نحن بجلود الأرانب ، ومع ذلك فحيث اننا لم نر هذا الجلد قط وهو يجهز ، وحيث أننا نعرف أنه يتخذ شكل الحقيبة، وأنهم يستخدمونه، فى شكله هذا ، فى احتواء الزئبق ، فاننا نرجح انهم ، بعد أن يشببوه

---

(١) وهى ليست مثقوبة مثل الغرابيل لدينا بواسطة مجوب (كسرة مسكون مفتحة) ، وهو أداة لانتزاع قطع (صغيرة) من المعادن والجلود .. الخ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(اى يعالجونه بالشبة) على طريقـــة المرط (*) ، يرطبونه بالزيت بنفس الأسلوب المستخدم فى صنع الجلود الشموازيه .

ملخص

يتضح مما قلناه عن مختلف تجهيزات الجلود فى مصر :

١ — أن المصريين يستخدمون المـــاء ، ليس فقط لغسل الجلود ،وانما كذلك للتخلص من الأليـــاف التى تدخل فى تكوينها ، وكذلك لكى يخلصوا هذه الجلود من السوائل الحيوانية القابلة للتعفن ، والتى هى مترعة بها .

٢ — وانهم يجعلون هذا المـــاء اكثر فاعلـــية واشد نفاذا عن طريق اضـــافة الجير الذى يعرفون ماله من خاصية فى منع تعفن الجزء الليفى ، وفى اكساب المـــاء صـــفات ننسبها الى مايؤدى اليه الجير من فقـــد الماء لمـــا به من أوكسجين .

٣ — وانهم بعد أن يغسلوا ويمطوا ويكشطوا الجلود ، يعرفون على نحو قريب مما نعرف كيف يجعلونها يابسة اما بواسطة المـــادة الدابغة أو عن طريق الشبة والملح بل كذلك بمجرد عملية تجفيف بسيطة ، وانهم يعرفون كيف يكسبونها المرونة إما باتباع أسلوب الدوس واما بأن يدمجـــوا بهـــا الشحوم ، كما أنهم فى النهاية يعرفون كيف يصبغونها .

(*) أى دبغ الجلود بالأملاح المعدنية (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتب أخرى للمترجم

أولاً : فى مجال الأدب :

١- المطاردون (مجموعة قصص قصيرة) .

٢ - حكايات من عالم الحيوان .

٣ - المصيدة (مجموعة قصص قصيرة) .

٤ - موتى بلا قبور (مسرحية تأليف چان بول سارتر) .

٥ - السماء تمطر ماء جافا . .

(رواية تسجيلية تتناول وقائع الوحدة المصرية السورية وانفصالها) .

ثانيا : فى مجال التاريخ :

١ - تطور مصر من ١٩٢٤ إلى ١٩٥٠ . تأليف مارسيل كولب .

٢ - فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية . تأليف أندريه ريمون .

ثالثا : الترجمة العربية الكاملة لموسوعة وصف مصر تأليف علماء الحملة الفرنسية .

١ - المصريون المحدثون .

٢ - العرب فى ريف مصر وصحراواتها .

٣ - دراسات عن المدن والأقاليم المصرية .

٤ - الزراعة ، الصناعات والحرف ، التجارة .

٥ - النظام المالى والإدارى فى مصر العثمانية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦ - الموازين والنقود .

٧ - الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين .

٨ - الموسيقى والغناء عند المصريين المحدثين .

٩ - الآلات الموسيقية المستخدمة عند المصريين المحدثين .

١٠ - مدينة القاهرة - الخطوط العربية على عمائر القاهرة .

رابعاً : لوحات موسوعة وصف مصر :

١ - المجلد الأول والثانى للوحات الدولة الحديثة .

٢ - المجلد الأول من لوحات الدولة القديمة .

خامسا : من موسوعة وصف مصر :

(دراسات مختارة من الموسوعة فى كتيبات)

١ - كيف خرج اليهود من مصر القديمة .

٢ - مدينة الأسكندرية .

٣ - مدينة رشيد .

تحت الطبع

- مقياس الروضة .
- القاهرة المملوكية .
- بقية مجلدات لوحات موسوعة وصف مصر .
- بقية الدراسات المختارة من موسوعة وصف مصر .

Bibliotheca Alexandrina
0232423

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الترجمة الكاملة
(٦)

وصف مصر

تأليف
علماء الحملة الفرنسية

ترجمة
زهير الشايب

الموازين والنقود

دار الشايب للنشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اهداءات ١٩٩٣
صندوق التنمية الثقافية
ج.م.ع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦

وصف مصر

الترجمة الكاملة

الحياة الاقتصادية فى مصر

فى القرن الثامن عشر

الجزء الثالث

الموازين والنقود

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

تأليف
صامويل برنار

ترجمة
زهير الشايب

دار الشايب للنشر
١٠ ش سليمان الحلبى - التوفيقية
ت: ٥٧٤١٣٧١ - ٥٧٢٦٨٣٠٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

بصدور هذا الجزء ، يكون ما اسميناه بموسوعة الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر قد اكتمل ، فقد سبق ان صدر المجلد الرابع ويتناول الزراعة والصناعة والتجارة في مصر ، ثم المجلد الخامس ويتناول النظام المالى والادارى ، وهذا هو المجلد السادس الذى يتناول الموازين او بالأحرى الأوزان والنقود المستعملة في ذلك العصر ، وبهذا تكون الترجمة العربية قد قطعت شوطا لا بأس به في تقديم موسوعة وصف مصر ، مع اعادة تبويبه بشكل اقرب الى المنهجية ، اى أن الترجمة تلتزم بتقديم النص كاملا لكنها تعيد تبويب الدراسات الواردة بالكتاب الأصلى طبقا لموضوعاتها .

ولهذا المنهج في الترجمة ضرورته القصوى على نحو ما فسرت في مقدمات سابقة ، ولكن له بعضا من عيوب لا مفر منها ، ابرزها تكرار بعض المعلومات التى توردها اكثر من دراسة واحدة ، تدور حول موضوع واحد، او حول موضوعين متقاربين ، كتبهما عالمان من علماء الحملة ، ومع ذلك فاذا كان عيب كهذا بالغ الوضوح في المجلد الثانى ، وان يكن الأمر الذى نحن بصدده يتصل بأمور ثانوية او تفصيلات غير جوهرية ، فانه غير واضح في هذه الموسوعة الاقتصادية ، بل اننا نستطيع القول بأن ماقد نعده عيبا ، قد يكون من جهة اخرى ميزة ، فمثل هذا التكرار قد يكون توثيقا او تأكيدا لصحة معلومة ما ، باعتباره اجماعا على حدوثها او وجودها .

ولقد اختارت الترجمة العربية ان تبدأ بتقديم دراسة شابرول في المجلد الأول منها ويدور حول عادات المصريين وتقاليدهم ، ثم تتابعت المجلدات مقسمة بالمنهج الذى اشير اليه ، ومع ذلك فينبغى القول بان العديد من الدراسات والمجلدات التى صدرت، مع تقسيمها حول موضوعاتها، لم تخل كلها من اعطاء لمسات عن عادات وتقاليد وطباع المصريين ونظامهم السياسى وحياتهم الاجتماعية ، ذلك انها مع حرصها في التصدى لموضوعها الأصلى ، كانت تدرك ، أو بالأحرى كان يدرك مؤلفوها ، أنهم يقدمون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« لوحة » امينة عن حياة مصر فى ذلك العصر ، الذى جاءت فيه حملة بونابرت .

لكن الشىء الذى ينبغى على أن اوضحه هنا ، بعد أن تناولت المنهج الأساسى المتبع فى الترجمة هو المنهج المتبع فى تفصيلات العمل .

ان الهوامش المرقمة هى بالضرورة من وضع المؤلف الأصلى ، أما النجوم فهى من وضع الترجمة العربية ، كذلك فان العبارات التى توضع بين قوسين فى سياق الترجمة هى فى غالبيتها العظمى من عنديات المترجم ، وفى القليل منها من وضع المؤلف ولقد فاتنى ، واعترف بذلك ، ان اضع حدا فاصلا بين الأمرين ، باصطناع اقواس مختلفة فى الحالتين كأن تكون اقواس المؤلف مثلا فى شكل : [ ] وأن تكون اقواس الترجمة على هيئة ( ) وهذا ماينبغى تداركه فى الطبعات القادمة والأجزاء القادمة باذن الله . وبصفة عامة فان البيانات الاضافية التى تقدمها الترجمة اثناء السياق هى استدراكات سعيا للوصول الى روح النص حين يتضح ان الترجمة الكاملة لن تحقق الوضوح الكامل او اعادة للمعنى بالفاظ اخرى ، او اضافة لمعنى جديد ، ليس كل الجدة ، حين يكون اللفظ الفرنسى قابلا للتعبير عن اكثر من معنى ، مع الحرص دوما ، وبالضرورة ، على انسجام المعنى .

ولقد تخفف هذا الكتاب من بعض الهوامش التى اوردها المؤلف ، وذلك حين كانت هذه الهوامش تكتفى بالاحالة الى فقرة سابقة وبصفة خاصة اذا كانت هذه الفقرة قد ذكرت قبل هذا الهامش بقليل ، لكننى لم استبعد قط هامشا واحدا يحمل اضافة او تفسيرا من اى نوع . كما حذفت بالطبع الهوامش التى كانت كل مهمتها ابراد اسم ما باللغة العربية فى حين جاء الاسم فى المتن بالحروف اللاتينية .

كما اقتضى الأمر التصرف فى ترجمة بعض الهوامش لضرورة اقتضاها نقل النص الى اللغة العربية ، كما حتمت ظروف فنية تأجيل نشر جداول العملات الملحقة بالأصل الفرنسى اذ كان الجدول يضم خمسة وعشرين عمودا وهو أمر لايتسع له الحجم الذى يصدر به الكتاب فى اللغةالعربية علما بأن هذه الجداول كانت تحصيل حاصل لكل ماورد بالنص كما انها تشير الى عملات لم يرد تفصيل عنها ، وفضلا عن ذلك ليست فى حوزة احد ، ولا ينبع الاصرار على نشرها الا من اعتبارات الامانة واحترام النص المنقول فقط .

واذا كنت قد تجنبت الخوض فى المقـــدمات السابقة عن الصعوبات التى أواجهها فى الترجمة ، الا فيما يختص بأمور قد يكون من المفيد الاشارة اليها ، باعتبار أن الباقى أمور تتصل بشخص المترجم لا داعى لاقحـــام القارىء فيها ، الا اننى لم اكن اتصور مطلقـــا ان يتسبب اصرارى على تقديم هذا العمل على فصلى من عملى بصفة نهائية ، ذلك ان الجهة التى قامت بهذا العمل ، وهى للأسف مؤسسة صحفية ، ودار نشر ذات تراث عريق فى خدمة الثقافة ، قد اعتبرت ، او اعتبرت ادارتها الحالية أنقبولى لمنحة تفرغ من وزارة الثقافة لمدة عام كامل لاتمام هذا العمل ، رغم علمها بكل التطورات وبكل ابعاد الموقف « تغيبا بدون اذن مشروع لمدة تزيد على عشرة ايام » فهذه هى رؤيتها للأمور واصدرت قرارها بفصـــلى بصـــفة نهائية ولقد تعلمت من ذلك درســـا جديدا : ان كل انسان يريد فعل شىء مهما تكن بشاعته لن يعدم وجود المبرر على الاطلاق .

لقد كانت محنة قاسية ومؤلمة ، لم أشعر ببشاعتها الا عندما انطوت صفحتها الـــكئيبة ، حين اراد الله لهذه الأزمة ان تنتهى لألحق بعمل جديد وان كنت اخشى ان اظل على الدوام « أتحايل » بمعنى الـــكلمة للحصول على وقت اتمم فيه عملى ، وأن أتفنن فىطريقة « اختلس » بها وقتا مادامت كل قيادات العمل تصر ، وبالنسبة لى وحدى ، على التضييق فى مسائل الحضور والانصراف ، ولا تستيقظ اللوائح النائمة الهامدة الا فيما يتصل بى ، فى وقت لاتتســـع الصـــفحات عنـــدها لنشر كل عملى وهـــو مالم اقصر فيه قط هنا وهناك ذلك اننى لم أتخذ وصف مصر ذريعة للتراخى فيه . اننى لا اطلب من هؤلاء عونا قط ولـــكننى ارجو فقط أن احصل على الفرصة التى تعطى بلا حساب للقاعدين عندهم والعاطلين .

اننى لم اتعود قط على بث الشكوى ، ويؤلمنى ، بعد كل ماتعرضت له من ملاحقة شرسة وظالمة ، ان اقرر أننى اعمل وسط ظروف انسانية وشخصية بالغة القسوة ، وتنقصنى ضرورات ضروريات ، ظروف لاتدفع مطلقا لعمل طيب ، بل تكاد تحبط ، وحدها ودون ملاحقات عبقرية منأحد ، كل طموح وكل همة ، ويعلم بذلك كل القريبين منى ، ومع ذلك فاننى لم احاول السعى لنيل حق واحد من حقوق يتمتع الوف ومئات الوف ، خشية ان يعد ذلك منى سعيا لمغنم شخصى او اتجارا بعمل لا اقصد به الا وجه الله ووجه الوطن لـــكن هناك من يصرون على وضع العراقيل التى لااحتاج منها الى مزيد لو كانوا يعلمون .

ومع ذلك فاننى اخشى ، فالشكوى لذيذة والبوح سار بعد طول الم وكتمان ، ان انسى ان اسدى الشكر لكل هذه النفوس الـــكريمة والعظيمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التى وقفت الى جانبى فى محنتى ، تشد أزرى ، وتأخذ بيدى ، وتسعى جاهدة لانقاذى من مصير يدفعنى اليه بعض من طاوعتهم ضمائرهم على فعل ما فعلوه ، ولقد كان النبل الذى بدا من كل من تعاطفوا معى ، واكثرهم لا تربطنى بهم حتى مجرد المعرفة العابرة ، اللهم الا زمالة القلم ، أو هذا الشىء المشترك العظيم الذى يسمى بالأخلاق والشرف .. وامنا مصر ، اعظم واجل من كل اذى لحق بى ، حتى لقد كان هذا الطوفان من النبل كفيلا بأن يغرق كل الأحزان والآلام .

لكننى اخشى ان أحاول ذكر كل هذه الاسماء التى تكاد تشمل كل العاملين فى حقل الفكر والأدب والصحافة ، اما لأن المقام لن يتسع ، واما لأننى اخشى أن انسى اسما عزيزا على ، او اهمل دورا لشخصية نبيلة لعبته دون ان ادرى من وراء الكواليس .

وسوف تظل مجلة الثقافة والاخ الكبير الدكتور عبد العزيز الدسوقى ، اصحاب فضل لدرجة لايعدون معها فقط شركاء فى العمل ،بل اصحاب فضل عليه وعلى صاحبه .

ولابد ان اوجه شكرى حقا للسيدة زوجتى التى تحملت معى كل هذه الظروف القاسية ، ولم تحاول قط ان تثبط من همتى أو تحثنى على الرضوخ لهذه الملاحقات الظالمة برغم ما ننوء به معا من احمال ثقال .

ان هناك على الدوام كثيرين لهم فضل وافضال ، بحيث تتأكد على الدوام خرافة القول بأن عملا ما يعد عملا فرديا لمجرد أن شخصا واحدا يقوم به .. ذلك ان عمل هذا الفرد لم يكن ليتحقق لولا مساندة ودعم ومساعدة وتشجيع آخرين وارجو الا يبخل احد بنصيحة او حتى بنقد مفيد .

وفقنا الله جميعا لما فيه الخير وجنبنا المزالق والشرور ، وهدانا لما فيه خير مصر والمصريين .

يناير ١٩٨٠ — **زهير الشايب**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكتاب الاول

الموازين العربية

صاموِيل برنار

العنوان الاصلي للدراسة هو : « دراسة موجزة من الأوزان العربية في الماضي والحاضر » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حين نعنى بدراسة الاقتصاد السياسى لأمة من الأمم ، تصبح المعرفة الدقيقة بقيمة الموازين والمكاييل والنقود التى تستخدمها هذه الأمة أمرا لا مفر منه بالنسبة لنا ، وبصفة خاصة فى غالبية المسائل التى تقابلنا عند تصدينا للأمور المتصلة بالعلوم والتجارة .

وبالاضافة الى كل ذلك ، فلا بد أن تكون لمعرفة الموازين والمكاييل العربية ، عند الأوربيين ، اهمية خاصة ، اذ ان نظام الترقيم عند هؤلاء هو نفسه عند أولئك ، كما أن الحال هو نفسه فيما يتصل بغالبية اقسام وتسميات المقاييس . وطبقا لذلك ، فقد راينا ان من الأنسب أن نسبق دراستنا عن النقود . بدراسة موجزة عن الأوزان(*) العربية ، قديمها وحديثها ، بدلا من تقديم مجرد جدول بالاوزان المصرية ، مقيمة بمثيلاتها فى فرنسا ، اما المقاييس والمكاييل فانها ابعد صلة عن موضوعنا بنحو كبير ، لذلك فقد تركنا لاولئك الذين يهتمون بها ، على نحو اكثر خصوصية ، مهمة التعريف بها .

الاوزان القديمة

يكاد لا يكون ثمة فرع من فروع العلم والأدب الا وقد كتب فيه العرب بقدر يتفاوت حظه من النجاح . ولقد اهتم كثيرون من مؤلفيهم بالموازين والمكاييل ، وتكاد تكون المعالجة الأقرب الى الكمال والتى وصلت الى علمنا حول هذا الموضوع هى مقالة المقريزى(١) ، التى قام بترجمتها (الى الفرنسية) سلفستر دى ساسى ، واضاف اليها هوامش بالغة الاهمية والطرافة .

(*) تستخدم فى الترجمة كلمة الأوزان للاشارة الى الجرم المستخدم فى الوزن كالرطل والاوقية والدرهم .. الخ وهى تقابل كلمة poids الفرنسية ، اما كلمة ميزان وموازين فنستخدمها للاشارة الى الاداة المستخدمة فى الوزن (المترجم) .

(١) وهو الشيخ تقى الدين ابو محمد ابو العباس احمد المقريزى (ترجمة المسيو دى ساسى) ، وبخصوص الأساليب الاملائية التى اتبعت فى كتابتها وهوامشها ، انظر الملاحظة الموجودة فى آخر الدراسة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد كتب المقريزى مقالته فى نحو العام ٨٤١ من الهجرة (١٤٣٧ من تقويمنـــا) .

ويورد المقريزى فى البداية ، ويعلق طويلا على الحديث الذى رواه النسـائى(٢) عن ابن عمـــر ، الذى رواه بدوره مبـاشرة عن النبى ، (ومعناه) أن الكيل هو الكيل الذى يستخدمه اهل المدينة ، أما الوزن فهو الوزن الذى يتم عند اهل مكة .

وقد اخذ المؤلف الذى ذكرناه على عاتقه ، تبعا لذلك ، ان يبحث فى قيم هذه المقاييس ، وأن يعرف باسمائها ، وأن يوضح العلاقة فيما بينها .

اما اسماء الأوزان العربية التى يقدمها المقريزى باعتبارها مستخدمة فى مكة فى عهد الرسول ، فقد أوردها على النحو التالى ، برغم ان الترتيب الذى قدمه لها لا يعكس تدرج قيمها :

الدرهم ، الدينار ، المثقال ، الدانق ، القيراط ، الاوقية ، النصف ، النواة ، الرطل ، القنطـــار .

وفى هذا النظام الوزنى ، نجد الدرهم او الدراخمة هو وحدة القياس، بمعنى أن الأوزان الأخرى كانت تقدر على أساس الدرهم(٣) .

اما الفرع الأوحد الذى كان يتفرع او ينقسم عن الدرهم ، والذى كان له اسم خاص فهو الدانق . وكانت كل ستة دوانق تساوى درهما واحدا.

---

(٢) اسم هذا الفقيه هو ابو عبد الرحمن احمد بن شـــهاب ، وكنى بالنسائى لأنه ينتمى الى مدينة نسـاء ، احدى مدن خوراسان ؛ اما مؤلفه فعنوانه « كتاب السنن الكبير » اى الجامع لشرائع السنة . وقد توفى هذا المؤلف فى العام ٣٠٣ من الهجرة (٩١٥ من تقويمنا) . مســـتخلص من الهامش رقم ٢ من ترجمة المسيو دى ساسى لمقالة المقريزى عن الموازين والمكاييـــل .

(٣) درهم ، والجمع دراهم، كلمة فارسية انتقلت الى العربية وتقابلها عند الاغريق واللاتين كلمة دراخما drachma ، ولكلمة drachme عنـــد الفرنسيين صلة كبيرة بالكلمة الفارسية ، ويحتمل انها هى الكلمة نفسها . وسنفصل فى مقالتنا هذه استخدام كلمة drachme باعتبارها مقـــابلة لكلمة درهم .

لكن الدانق لم يكن مستخدما فى مصر ، ومع ذلك فان الدرهم ينقسم عادة الى ١/٢ و١/٦ درهم دون ان تطلق تسميات محددة لهذا الفئات من الاوزان .

اما النواة(٤) فتساوى خمسة دراهم .

واسم هذا الجرم غير معروف فى الوقت الحالى ، او انه غير مستخدم فى مصر برغم انهم يستخدمون هناك فى معظم الاحيان وحدة من خمسة دراهم .

والامر نفسه هو ما كان يحدث بالنسبة للنش (اى النصف) والذى كان يساوى ٢٠ درهما(٥) .

ويبدو ان الاوقية كانت نوعين : الاول وتزن عشرة دراهم . وفى راى البعض ١٠ ٢/٣ دراهم ، اما الاخرى فتزن ٤٠ درهما . ومع ذلك فلا يفرق المقريزى بينهما فى التسمية .

ولا تزال كلمة اوقية تستخدم حتى اليوم ، وان كانت تعنى حاليا جرما مختلفا زنته ١٢ درهما .

ويورد المؤلف نفسه ثلاث قيم مختلفة للرطل(٦) هى بالترتيب : ٥/٩ ١١٥ درهما ، ١٢٨ درهما ، ١٣٠ درهما .

ويشتمل الرطل زنة ١٢٨ درهما اما على ٤/٥ ١٢ اوقية زنة الاوقية منها ١٠ دراهم ، واما على ١٢ اوقية وحسب ، تزن الواحدة منها ٢/٣ ١٠ من الدراهم .

وقد ظلت كلمة رطل مستخدمة حتى اليوم ، وهى تطلق على جرم

---

(٤) نفاة او نواة ، وهى فيما يرى البعض قطعة من الذهب لها الحجم نفسه الذى لنواة البلح ويساوى وزنها زنة خمسة دراهم (المقريزى ، مقالة عن الموازين والمكاييل ، ترجمة المسيو دى ساسى ، ص ٣٨) .

(٥) كلمة نش تحريف لكلمة نصف ابدلت فيها الصاد شينا (المقريزى ، المرجع السابق ص ٨ ، ط ١٧٩٧) .

(٦) رطل ونكتبها بالفرنسية rotl او rothl

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يشتمل على ١٢ أوقية ، تزن الواحدة من هذه الأوقيات كما سبق لنا القول ١٢،٠ درهما(٧) : ..

ويقدر التنطار(٨) بـ ١٠٨٠ دينارا ، وهو ما يصل بوزنه الى ٦/٧ ١٥٤٢ درهما ، وطبقا لقول آخرين الى ٤٠ اوقية (ولابد اننا هنا بصدد الأوقية زنة ٤٠ درهما) مما يصل به الى ١٦٠٠ درهم ، ويقول آخرون ان القنطار يزن ١١٠٠ دينار اى انه بلغ ١٥٧١ درهما وثلاثة اسباع الدرهم ، وان كان يقدر فى مؤلف ابن سعيد(٩) المسمى المحكم بـ ١٠٠ رطل . وفى النهاية نجد أن روايات كثيرة قد تواترت عن ان النبى قد قدر القنطار بـ ١٢٠٠ اوقية ، ولابد انه يقصد دون جدال الأوقية زنة ٢/٣ ١٠ دراهم .

ولا تزال هذه التسمية مستخدمة الى اليوم ، ويساوى القنطار فى الواقع ١٠٠ رطل من زنة ١٢ اوقية او ١٢٠٠ اوقية ، ومن هنا نرى ان تقسيم القنطار الى ١٠٠ رطل وتقسيم الرطل الى ١٢ اوقية امر يعود الى زمان ضارب فى القدم ، وان كان من المحتمل وجود الكثير من الخلط ومن الأخطاء فى الأقوال المختلفة التى أوردها المقريزى .

ويمكن لنا ان نشك أن الرواة لم ينقلوا حديث الرسول عن عدد الدراهم التى تكون الرطل على نحو صحيح ، لأن هذا الرقم لا يتفق لا مع التقسيم العشرى ولا مع التقسيم الاثنا عشرى .

واذا كنا قد لزمنا الصمت حتى الآن عن الدينار والمثقال والقيراط ، فلأنه يبدو من الواضح أن هذه الأوزان ، فى الفترة التى كان يتناولها

---

(٧) يتحدث المقريزى فى نص سبق ان اشرنا اليه عن رطل كان يستخدم فى الماضى فى مكة ، يشتمل على ١٢ اوقية تزن الواحدة منها ٤٠ درهما ، مما يصل بوزن هذا الرطل الى ٤٨٠ درهما ، ومع ذلك فليس لهذا الرطل على الاطلاق صلة بالرطل الوارد فى مقالته عن الموازين والمكاييل ، وان كنا سنضمنه الجدول الخاص بالاوزان العربية القديمة .

(٨) كانت كلمة قنطار فى العربية تعنى فى الأصل الكمية الهائلة من النقود (او الفضة) ، المقريزى ، المرجع السابق ، ص ٤٤ .

(٩) هو ابو الحسن على بن اسماعيل ، وكنيته ابن سعيد ، توفى فى العام ٤٥٨ من الهجرة ، (مقتبس عن الهامش رقم ١٠٥ من ترجمة المسيو دي ساسي لمقالة المقريزى سالفة الذكر) .

المقريزى ، كما هو الحال فى هذه الايام ، كانت تشكل نظاما منفصلا ومتميزا ، لم يكن يشكل جزءا من النظام الوزنى العام الذى تناولناه . ويمكن مقارنة هذا النظام بأوزان المعيار عندنا ، أو بالاوزان الطبية التى لها اسماء وفروع واستخدامات خاصة بها .

اما الدينار فكلمة فارسية انتقلت الى العربية ، وهو الاسم الذى كان يطلق على النقود الذهبية ، تماما كما كان يطلق اسم الدرهم على النقود الفضية . وهو يقابل كلمة ديناريوس Denarius عند اللاتين وكلمة deniers عند الفرنسيين ، وان كانت لهذه الكلمات عند مختلف الشعوب معنى بالغ التباين ، ولقد اطلقت هذه الاسماء على نقود ذهبية وفضية بل ونحاسية ، كما اطلقت فى بعض الأحيان اوزان بعينها مثل الـ demi-gros (*) والاوزان المعيارية للفضة عندنا .

ويزن الدينار مثقالا ، ويطلق الناس دون تفرقة كلمتى دينار ومثقال للاشارة الى الوزن نفسه(١٠) .

وكانت كلمة مثقال تعنى قديما (او فى الاصل) وزنا (اى ثقلا) من اى مقدار ، ولكن الأمر قد انتهى بها لأن تطلق بصفة خاصة على وزن صغير كان هو الوزن نفسه الذى للدينار ، وبمرور الايام تغير نظام النقود الذهبية او ان اوزانها هى التى تناقصت ، فتوقف استخدام كلمة دينار فى مصر للتعبير عن الوزن ، وأن ظل يستخدم على الدوام الوزن المعبر عنه بكلمة مثقال ، وتفريعاتها ، عند تقييم وزن الذهب والأحجار الكريمة .

وتنقل الينا احدى الروايات ان الرسول قد قال بأن الدينار يساوى ٢٤ قيراطا .

---

(١٠) نجد عند العديد من الشعوب تلك العادة المتبعة فى جعل النقود مساوية لوزن محدد وفى الاشارة الى اى من الوزن أو النقد بالكلمة نفسها ، فعلى سبيل المثال فان كلمة livre تعنى عندنا فى الوقت نفسه كمية محددة من النقود ووزنا بعينه ، كما كانت كلمة deniers تطلق على وزن ونقد معينين ، وان كان من النادر ان تظل الرابطة المبدئية بين الوزن والنقد قائمة لوقت طويل .

(*) يعادل الجرو gros ١/٨ أوقية وبذلك يكون نصف الجرو هذا مساويا لـ ١/١٦ من الاوقية . (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويضيف أبو الوليد ابن رشد(١١) فى كتابه المسمى الكبير الى هـذه الرواية بأن القيراط يساوى ثلاث حبات شعير ، فالدينار اذن يعادل ٧٢ حبة شعير متوسط الحجم .

وهنا نلمس كيف ان العرب قد ادركوا ضرورة ايضاح علاقة الوحدات القياسية المتخذة من مواد انتجتها الطبيعة ، او ان يقيمـوا أطرافا للمقارنة تتصف بالثبات أو ان يكون هذا الطرف (المتخذ اساسا للمقارنة) هو اقل ما يمكن العثور عليه عرضة للتغير كي يصلوا الى الوحدات القياسـية المناسـبة .

وعلى سبيل المثال : فقد كانت الفكرة الطبيعية اكثر من غيرها ، والتى كان لابد لها من ان تخطر ببال كل البشر على وجه التقريب ، هى ان يقارنوا مقاييس الطول باطوال اجسادهم نفسها ، مثـل طول الاصـابع والأذرع والأقدام او باتساع الأقدام او الأذرع مبسوطة ، ومن هنا جاءت التسميات: اصبع ، عقلة ، ذراع ، قدم ، خطوة .

وبعيدا عن هذه الافكار البدائية بدات الأفكار تتجه للبحث عن وحدة اكثر ثباتا للطول ، سعى الانسان الى استخلاصها عن طريق قياس دقيق لخط طول بعينه او فى خط زوال ارضى ، كمعطى مبدئى ، ثم من وزن المـاء النقى الذى يحتفظ دوما ، فى درجة الحرارة نفسها بمقاييس الوزن والسعة ذاتها ، اذن فلقد تصور الانسان انه سوف يجد فى الطبيعـة علاقات او أطرافا اخرى للمقارنة فيما يتصل بالاحجام والاوزان ، وحيث قد لوحظ ان بذور الثمار تحتفظ لنفسها بصفة شبه دائمة بالشكل عينه ، بل وعلى وجه التقريب بالحجم والوزن نفسيهما . فقد اتّخذ الانسان من بذور النبـاتات المختلفة وحدة للوزن . هكذا كان منشأ او اصل تسمية الحبة التى نجدها

---

(١١) وهو من نعرفه باسم Averroès ، وقد توفى فى العام ٥٩٥ من الهجرة (١١٩٨ م) ، ويبدو ان المؤلف الوارد ذكره هنـا كان بحثا فى الفقه . (مقتبس عن الهامش رقم ٧٢ ، من ترجمة المسيو دى ساسى ، المرجع السـابق) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عند عدد كبير من الشعوب(١٢) .

وعلى اساس وزن حبة الشعير ، قدر العرب وزن المثقال وكذلك وزن القيراط الذى يعد فرعا او قسما منه ، وقد وجدوا ان القيراط يساوى ٣ حبات شعير ، وان المثقال يعادل وزن ٧٢ حبة .

ومهما يكن حظ هذه المعطيات من عدم الدقة أو من النقص ، فاننا نجد فيها على الاقل اثرا لمنهج اتبع بشكل شبه منتظم ، وانه لأمر اكبر من محتمل ان الأوزان الأعلى كانت ، قبل ان يتم تقييمها بالدراهم ، مضاعفات محددة ودقيقة للمثقال ، ولقد راينا من قبل كيف كان القنطار يقدر قديما على اساس الدينار او المثقال .

ويذكر ابو عبيد فى كتابه المسمى كتاب الانفال(١٣) ان المثقال كان على الدوام ، ومنذ عصور ضاربة فى القدم ، وحدة قياس ثابتة ومحددة .

---

(١٢) كلمة حبة بالعربية هى المقابل لكلمة grain الفرنسية . ويستخدم العرب فى غالب الأحيان هذه الكلمة وحدها كما نستخدم نحن كلمة grain حين يتصل الأمر بالأوزان بدون تحديد نوع الحبوب المستخدمة . ويذكر المقريزى فى مقالته عن النقود (ترجمة المسيو دى ساسى ، ص١٠) ان اول من اخترع استعمال الاوزان والموازين فى العصور الأولى طبقا لما ورد فى الأثر قد بدا بتحديد المثقال الذى قدره بـ ٦٠ حبة ، وحيث تساوى الحبة مائة من حبوب الخردل البرى متوسطة الحجم . فانه قد صنع فى البداية جرما يساوى وزن هذه المائة من حبوب الخردل (فى الوزن) ثم صنع على التوالى جرما آخر للوزن تساوى ٥ حبات أى ١/١٢ من المثقال ، ثم أجراما اخرى تساوى ١/٣ و١/٢ المثقال ، ومثقالا واحدا ، وخمسة مثقالات ، وعشرة مثقالات ، واكثر من ذلك الخ . وبهذه الطريقة نجد أن وزن المثقال يعادل وزن ستة آلاف حبة من الخردل . ولم يذكر المقريزى بأى نوع من الحبوب يتصل الأمر هنا . ومع ذلك فحيث انه يذكر ان المثقال لم تتناوله اية تغييرات فلابد اننا هنا بصدد حبة اثقل وزنا من حبة الشعير . وفى الوقت الحالى لايزال الصراف يقارن الحبة بزنة عدد محدد من بذور السلجم او اللفت .

(١٣) يرى المسيو دى ساسى انه بدلا من هذا العنوان : كتاب الانفال ، ينبغى ان نقرا فى المخطوطة : كتاب الأمثال ، لأن المؤلف فى الحقيقة قد وضع مجموعة من الامثال فى حين لا يعرف عنه قط ان له كتابا بعنوان كتاب الأنفال (مقتبس من الهامش ١١٣ من ترجمة المسيو دى ساسى للمقريزى ، مقالة عن النقود) . انظر الملاحظة رقم ١٦ فى نهاية هذه الدراسة .

اما الدرهم فقد ادخل فيما بعد ، لكن المؤلفين العرب لا يتفقون فيما بينهم على اصل الدرهم ، فيذهب البعض الى انه جرم (وزن) معروف ، كان يستخدم قبل الرسول بوقت طويل ، ويؤكد آخرون انه اسم لنقد فضى كانت توجد منه انواع كثيرة متداولة فى التجارة ، وانه لم يضرب (اى : يسك) على يد المسلمين(١٤) ، وان عبد الملك بن مروان قد امر بوزن واحد من اثقل هذه الدراهم وواحد من اخفها وزنا ، معا ، ثم امر بضرب قطع من النقد تساوى نصف وزن هذين الدرهمين اى ان تكون مساوية لمتوسط وزن الدراهم القديمة . واصبح الدرهم ، فى رايهم ، منذ ذلك الوقت ، وفى الوقت نفسه ، عملة نقدية ووزنا معتادا يستخدم معيارا لتقدير الاوزان الاخرى .

فاذا افترضنا ، تبعا لذلك ، انه كان يوجد فيما مضى وزن يسمى درهما فمن المؤكد ان هذا الوزن قد تغير ، فى حين ظل المثقال على حاله ، وكانت تلزم عشرة من الدراهم الجديدة فى مقابل مثاقيل سبعة .

واخيرا ، فمن المرجح ان كانت النقود الفضية والنقود الذهبية فى الاصل من نفس الوزن(١٥) ، وحينئذ كان الدرهم مساويا للدينار (فى الوزن) ، وكان كل منهما يزن مثقالا واحدا ، وحيث قد تقلص وزن الدرهم ، فقد ظل اسم المثقال يطلق على الوزن القديم للدينار . اما اسم الدرهم ، فقد بدا يطلق على الوزن الجديد الذى تقلصت اليه هذه العملة وهو ستة دوانق .

ويستنتج من هذه التغييرات ان الدرهم لم يعد مضاعفا دقيقا لا للقيراط المتفرع عن المثقال ، ولا للحبة . وهى وحدة الوزن الطبيعية التى قدر على اساسها المثقال .

---

(١٤) كان هناك نوعان من الدراهم ، فبعضها كان يحمل نقشا فارسيا وهذا هو الدرهم البغلى او الاسود ، ويزن ٨ دوانق ، اما بعضها الاخر فيحمل نقشا يونانيا ، وهو الدرهم الطبرى . وكان يسمى فيما مضى بنفس الاسم ، وهو يزن ٤ دوانق ، ويزن الدرهمان معا ١٢ دانقا هى التى اخذ ابن مرفان متوسطها ، وثبت وزن الدرهم بهذه الطريقة على ٦ دوانق ، كذلك كان يوجد درهم ثالث يسمى جفارقى يزن ٢/١ ٤ من الدوانق (مقتبس من المقريزى ، مقالة عن النقود ، ترجمة المسيو دى ساسى) .

(١٥) نجد عند المقريزى نصوصا عدة تحول هذا الافتراض الى تاكيد اذ هو يذكر فى مقالته عن النقود ، ترجمة المسيو دى ساسى ، ص ٦ ان وزن دراهم فارس التى كانت متداولة قبل الاسلام كان مساويا لوزن المثقال الذهب فى حين تلزم اليوم ثلاثة مثاقيل فى مقابل كل ١٠ دراهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد اختلف راى المؤلفين العرب حول قيمة الدرهم ، فيساوى فى راى بعضهم ٥٠ حبة وثلثى الحبة ، فى حين يجعله بعض آخر متساويا للدينار او المثقال اى ٧٢ حبة .

وطبقا لراى ابو محمد ابن عطية(١٦) فان الحبة التى يقدر على اساسها الدرهم هى حبة الشعير متوسطة الحجم ، وماخوذة وهى على حالتها الطبيعية من الخشونة ، ولم تنزع منها قط قشرتها ، وان كان قد فصل منها ، عند طرفيها الزوائد التى تتجاوزا جسمها .

وهناك آخرون يقدرون الدرهم بـ ٥٧ ٦/١٠ وواحد من عشرة من واحد من عشرة (اى : ٥٧ر٦١ حبة) ، الامر الذى يصل بوزن المثقال او الدينار الى ٨٢ ٣/١٠ حبة .

ويظن المقريزى بانه قد وفق بين الرايين حين قال بأن من الممكن ان تساوى ٥٧ر٦١ حبة تؤخذ بشكل الوزن نفسه لـ ٥٠ ٢/٣ حبة اختيرت من حجم متوسط .

وهكذا نرى كم تبتعد كل هذه المعطيات من اليقين والتحديد الصارم، المطلوب فى عمليات القياس .

وعندما تحددت قيمة الدرهم ، على النحو الذى انتهينا الى بيانه ، فقد اصبح قاعدة لنظام قياسى جديد ، اى انهم اخذوا يقيمون الاوزان التى كانت مستخدمة بالفعل بالدرهم والحبة ، وحيث قد نتج من هذا الامر ان هذه الاوزان لم تكن تضعيفات دقيقة لا للدراهم ولا للحبوب ، فاما انهم صيغوا تضعيفات جديدة ودقيقة للدرهم ، اطلقت عليها اسماء جديدة ، واما انهم قد احتفظوا لهذه التضعيفات بالاسماء القديمة التى لم تعد تنطبق على حقيقة قيمتها .

ونقدم فيما يلى بالدراهم والحبة جدولا بالاوزان المختلفة التى تناولتها مقالة المقريزى .

ملاحظة : فى هذا الجدول حولنا الى كسور عشرية تلك الاجزاء التى كان من المستطاع ان تعطى ارقاما اكثر مما ينبغى ، او تلك التى كانت ستقدم لنا سلسلة غير قابلة للانتهاء ، وتكون بالتالى اقل دقة من الاجزاء نفسها .

---

(١٦) هو عبد حق بن عطية ، وهو احد واضعى تفاسير القرآن (مقتبس من الهامش رقم ٥٧ من ترجمة المسيو دى ساسى لمقالة المقريزى عن الموازين والمكاييل) .

جـــــدول باقسام او فروع

قنطار				رطل					
يشتمل على ١٠٠ رطل زنة ١٢٨ درهما أو ١٢٠٠ أوقية زنة ١٠ ١/٢ دراهم	يشتمل على ٤٠ أوقية زنة ٤٠ درهما	يشتمل على ١١٠ دينار أو مثقال زنة ١ ٣/٧ درهم	يشتمل على ١٠٨٠ دينار أو مثقال زنة ١ ٣/٧ درهم	يشتمل على ١٢ أوقية زنة ٤٠ درهما	يشتمل على ١٣٠ درهما	يشتمل على ١٢٨ درهما	يشتمل على ١١٥ ١/٢ درهما	أوقية زنة ٤٠ درهما	نش (نصف) زنة ٢٠ درهما
١	٨	٨ ٨/٥٥	٨ ٦/٢٧	٢٦ ٢/٣	٩٨ ٦/١٣	١٠٠	١١٠ ١٠/٢٣	٣٢٠	٦٤٠
	١	١ ١/٥٥	١ ١/٢٧	٣ ٢/٣	١٢ ٤/١٣	١٢,٥	١٣ ١١/٢٣	٤٠	٨٠
		١	١ ١/٥٤	٣ ٢٣/٨٤	١٢ ٨/٩١	١٢ ٣١/١١٢	١٣ ١٠٩/٢٣١	٣٩ ٢/٧	٧٨ ٤/٧
			١	٣ ٣/١٤	١١ ٧٩/٩١	١٢ ٣/٥٦	١٣ ٣١/٩٦	٣٨ ٤/٧	٧٧ ١/٧
				١	٣ ٩/١٣	٣ ٣/٤	٤ ٢/٢٣	١٢	٢٤
					١	١ ١/٦٤	١ ١/٨	٣ ١/٤	٦ ١/٢
						١	١ ٧/٦٥	٣,٢	٦,٤
							١	٢ ١/٢	٥ ١/٢
								١	٢
									١

الأوزان العربية القديمة

أوقية							حبة أو حبة شعير	
زنة ١٠ ٢/٣ دراهم	زنة ١٠ دراهم	أوقية زنة ٥ دراهم	مثقال أو دينار زنة ١ ٣/٧ درهم	درهم	دانق زنة ١/٦ درهم	قيراط نسبته إلى الدرهم ١/١٦,٨	نسبتها إلى الدرهم ١/٥٠,٤	نسبتها إلى الدرهم ١/٥٧,٦١
١,٢٠٠	١,٢٨٠	٢,٥٦٠	٨,٩٦٠	١٢,٨٠٠	٧٦,٨٠٠	٢١٥,٠٤٠	٦٤٥,١٢٠	٧٣٧٤٠٨
١٥٠	١٦٠	٣٢٠	١,١٢٠	١,٦٠٠	٩,٦٠٠	٢٦,٨٨٠	٨٠,٦٤٠	٩٢١٧٦
١٤٧ ٩/٢٨	١٥٧ ١/٧	٣١٤ ٢/٧	١,١٠٠	١٥٧١ ٣/٧	٩٤٢٨ ٤/٧	٢٦,٤٠٠	٧٩,٢٠٠	٩٠٥٣٠
١٤٤ ٩/١٤	١٥٤ ٢/٧	٣٠٨ ٤/٧	١,٨٠٠	١٥٤٢ ٦/٧	٩٢٥٧ ١/٧	٢٥,٩٢٠	٧٧,٧٦٠	٨٨٨٨٤
٤٥	٤٨	٩٦	٣٣٦	٤٨٠	٢,٨٨٠	٨٠٦٤	٢٤١٩٢	٢٧٦٥٢,٨
١٢ ٣/١٦	١٣	٢٦	٩١	١٣٠	٧٨٠	٢١٨٤	٦٥٥٢	٧٤٨٩,٣
١٢	١٢,٨	٢٥,٦	٨٩,٦	١٢٨	٧٦٨	٢١٥٠,٤	٦٤٥١,٢	٧٣٧٤,٠٨
١٠ ١/٢	١١ ١/٢	٢٣ ١/٢	٨٠ ١/٢	١١٥ ١/٢	٦٩٣ ١/٢	١٩٤١ ١/٢	٥٨٢٤	٦٦٥٧ ٧/٤٥
٣,٧٥	٤	٨	٢٨	٤٠	٢٤٠	٦٧٢	٢٠١٦	٢٣٠٤,٤
١,٨٧٥	٢	٤	١٤	٢٠	١٢٠	٣٣٦	١٠٠٨	١١٥٢,٢
١	١ ١/١٥	٢ ٢/١٥	٧ ٧/١٥	١٠ ٢/٣	٦٤	١٧٩,٢	٥٣٧,٦	٦١٤ ٣٢/٧٣
	١	٢	٧	١٠	٦٠	١٦٨	٥٠٤	٥٧٦,١
		١	٣,٥	٥	٣٠	٨٤	٢٥٢	٢٨٨,٠٥
			١	١ ٣/٧	٨ ٤/٧	٢٤	٧٢	٨٢,٣
				١	٦	١٦,٨	٥٠,٤	٥٧,٦١
					١	٢,٨	٨,٤	٩ ٣٦١/٦٠٠
						١	٣	٣ ١٠٣/٢٤٠
							١	١ ١٠٣/٧٢٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد سبق لنا القول بأن لدى الاوربيين ما هو مشترك فى هذا الصدد مع العرب ، حتى أن جزءا كبيرا من التسميات والتفريعات لأوزان هؤلاء هى نفسها عند اولئك ، برغم انه لا توجد بين قيم هذه الأوزان التى تحمل اسماء متشابهة سوى علاقة متباعدة ، وفى أغلب الأحيان بالغة التباعد .

فالقنطار عندنا Quintal (١٧) يتكون مثل قنطارهم من مائة رطل livres

كما ان الرطل المستخدم فى الاغراض الطبية عندنا به ١٢ اوقية(١٨) onices مثل رطلهم ، اما الاوقية الطبية فتشتمل على ثلاثة دنانير(١٩) deniers ، كما تنقســم الأوقيــة ذات العشرة دراهم الى سبعة دنانير او مثاقيــل .

أما الدينار الطبى ، وهو اثقل وزنا على نحو طفيف من الدينار الذى يستخدمه الصاغة فيزن نحو $\frac{1}{2}$٨٢٢ حبة ، كما يزن الدينار $\frac{1}{10}$٨٢٣ حبة ، ولا يبلغ الفرق بينهما الا بنحو $\frac{1}{2}$/١ على الاكثر .

وقد خلط الرومان بين الدينار وبين الدرهم ، حيث كان هذان النوعان من الاوزان متماثلين أو متلازمين ولا يختلفان الا فى النذر اليســير . وقد نتج عن ذلك ان الدرهم قد انقسم الى ٧٢ حبة وانه قد قورن بالجــــرو gros عندنا(*) . وان كان المثقال او الدينار العربى هو الأوثق صلة بهذا الجرو . فالأوقية او الاونســة once العربية ذات العشرة دراهم وثلث الدرهم كانت تحتوى قديما على ما يقرب من ٨ مثاقيل او ٨ جرو ، يزن كل منها $\frac{1}{2}$ ١ درهم ، كما كان المثقال او الدينار ينقسم كذلك ، شأنه فى ذلك شأن الجرو لدينا ، الى ٧٢ حبة ، كما اننا فى نظامنا الوزنى المسمى

---

(١٧) تتماثل كلمة Quintal عندنا مع الكلمة العربية قنطار التى لا تختلف فى نطقها الشائع عن الكلمة الفرنسية الا فى ان حرف الراء هناك يتحول الى l (ل) هنا .

(١٨) الكلمة العربية اوقية (او : وقية) هى نفسها كلمة يونانية ، وهى تماثل كذلك الكلمة اللاتينية اونكيا uncia والفرنسية اونسة once .

(١٩) اما كلمة denier عندنا فهى دون جدال نفس الكلمة العربية : دينــــار .

(*) وزن يعادل $\frac{1}{8}$ اوقية . (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مارك Marc نطلق اسم دينـــار denier على ٢/١ الجرو الذى يتساوى مع الاسكروبول(**) المستخدم فى مجال الطب .

ويتشابه كل من الدينييه (الدينـــار) والاسكروبول ، اللذان ينقسمان الى ٢٤ حبة مع ثلث الدينار او المثقال عند العرب او مع نصـــف الدرهم الحالى ، حيث يساوى المثقال درهما واحدا ونصف الدرهم .

واخيرا فان لدى الأوربيين ، مثل الشرقيين النظام الوزنى نفســـه ، بل والاسم نفسه ، الذى نستخدمه فى فرنسا عند سبك الذهب لتقـــدير عياره وكذلك عند وزن الاحجار الكريمة ، اى القيراط Karat .

الأوزان الحالية المستخدمة فى التجـــارة

الدرهم هو وحدة الوزن المستخدمة حاليا فى مجال التجارة ، وسنوضح قيمته فيما بعد ، ويطلق العرب ، كما تفعل ذلك الشعوب الأخرى ، بقصد مساعدة الذاكرة (على استيعاب الارقام) وهى التى يصعب عليها ان تحتفظ بعدد يتكون من ارقام ازيد مما ينبغى ، وكذلك لكى يدونوا فى سجلاتهم اقل عدد من الارقام التى لابد من تدوينها ، اسماء خاصة على بعض تضعيفات الوحدة القياسية .

ولما كان نظام الترقيم عند العرب هو النظام العشرى ، فقد كان طبيعيا اكثر من غيره الا تطلق اسماء خاصـــة الا لمضـــاعفات العشرة ، ومع ذلك فها نحن اولا نجد ان نظام القياس عندهم ، وهو الأمر الذى نجده فى بلدان كثيرة حيث دلت التجارب على ان التقسيم الاثنا عشرى سهل وملائم اذ تمكن قسمته مع مضاعفاته على عوامل قسمة كثيرة دون ان يتبقى سوى اقل عدد من الكسور ، قد جاء خليطا من التضعيفات والتفريعات العشرية والاثنا عشرية فى وقت واحد :

فالقنطـــار يساوى	. .	١٠٠ رطـــل
والرطـــل يساوى	. .	١٢ اوقيـــة
والاوقيـــة تساوى	. .	١٢ درهمـــا

(**) يعادل الاسكروبول Scrupule نحو ١٢٦١/١٠٠٠ جرام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويتداول فى التجارة رطل آخر يسمى الرطل الزياتى او الرطل الكبير ، وهو يتكون من ١٤ اوقية ، وان كنا نراه لا يشكل جزءا من نظام التقسيم الطبيعى او المعتاد للأوزان . وحين يراد تمييز الرطل العادى عن الرطل الزياتى ، يطلق على الاول اسم الرطل القبانى (رطل قبانى) اى رطل الوزانين .

وينقسم الدرهم عادة الى ١/٢ و١/٤ و١/٨ و١/١٦ وليست لهذه التفريعات قط تسميات خاصة اللهم الا اذا قيمت بالقراريط التى هى اقسام من المثقال . وفى هذه الحال ، وحيث يساوى المثقال درهما ونصف الدرهم اى ٢٤ قيراطا ، فمن الممكن ان ينقسم الدرهم الى ١٦ قيراطا ، والقيراط الى اربع حبات قمح مما يجعل الدرهم الواحد مساويا لـ ٦٤ حبة . وسوف نعود الى هذا التقسيم عند حديثنا عن المثقال .

وكما سبق لنا القول فان المثقال لا يزال مستخدما فى التجارة حتى اليوم ، وذلك لتقييم وزن الذهب والأحجار الكريمة والسلع والعقاقير الثمينة التى تباع باوزان بالغة الصغر .

وقديما كانت كل سبعة مثاقيل تعادل عشرة دراهم وبتعبير آخر كان كل مثقال يعادل درهما واحدا وثلاثة اسباع الدرهم ، وحيث قد بان للناس ان العلاقة بين الدرهم والمثقال عند اجراء الحسابات تسبب شيئا من الارتباك وان درهما وثلاثة اسباع الدرهم تقترب من الدرهم ونصف الدرهم بنحو ١/١٤ من الدرهم فقد غدوا يحسبون المثقال الذى يستخدمونه فى التجارة عادة بواقع درهم ونصف الدرهم .

وينقسم المثقال الحالى ، كشانه فيما مضى ، الى ٢٤ قيراطا(٢٠) ،

---

(٢٠) توضح مخطوطة ليد Leyde التى رجع اليها المسيو دى ساسى عند ترجمته لمقالة المقريزى عن الموازين والمكاييل ان اصل كلمة قيراط هو قرط (بشدة وفتحة على الراء) الماخوذة من التعبير قرط عليه اى انه اعطاه من الشيء النذر اليسير . انظر الملاحظات الموجودة فى نهاية هذه الدراسة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويضاهى القيراط حبة الخروب(٢١) التى تبين انها تساويه ، وهكذا فكل ٢٤ حبة خروب تعطينا مثقالا واحدا . كما تعطينا كل ١٦ حبة منه درهما واحدا . وهكذا ايضا وجد العرب فى هذا النوع من الحبوب طرفا جديدا وطبيعيا للمقارنة ، وان كانت تظل لها على الدوام نفس السوءة التى نجدها عندما تستخدم حبة الشعير طرفا للمقارنة(٢٢) .

وحيث تتفاوت الحبوب الأخيرة عند وزنها ، فقد صار لزاما عند مضاهاتها بالمثقال الجديد أن يتم اختيار الحبات الاكبر حجما على نحو طفيف، واصبح المثقال معادلا لـ ٧٢ حبة شعير .

وفى نفس الوقت ، فاذا كان صحيحا ان الناس قد اقتنعوا بأن عليهم ان يبحثوا عن طرف آخر للمضاهاة حين تغيرت علاقة الدرهم بالمثقال ، واذا كان صحيحا كذلك أن حبة القمح قد بدت اكثر ملاءمة من حبة الشعير اذ كان من الضرورى انتزاع الاجزاء الزائدة عن الحبة الاخيرة ، وانهم كذلك قد وجدوا اكثر سهولة واكثر تماثلا ان يقسموا القيراط الى اربعة ارباع كما قد فعلوا بالنسبة للدرهم ، فلقد وجدوا فى حبوب القمح التى تعادل اربعة منها اختيرت من حجم متوسط حبة خروب ، طرفا جديدا للمضاهاة شاع استعماله(٢٣) .

---

(٢١) تسمى حبة الخروب باللغة العربية خروبة . اما شجرة الخروب، وهى باللغة الشهرة ، فمتوطنة فى كل بلدان الشرق كما انها معروفة للغاية فى مالطة ، واوراقها تشبه الاجنحة وتحمل من ٢ الى ٥ أزواج من الوريقات المتموجة وشبه الدائرية ، وثمارها عبارة عن قرون مسطحة ، ومن ثمار الخروب يصنع شراب الخروب الذى يباع فى القاهرة فى الشوارع والميادين العامة (هامش من وضع المسيو ديليل Délile) .

(٢٢) ويستخدم الصراف كذلك بذور السنط والخيار والشنبر ، وشجرة السنط شجرة جميلة تزرع فى مصر ، وتثمر قرونا اسطوانية الشكل يستخرج منها لباب السنط ، وهى ثمار مسهلة وملينة ومعروفة فى مجالات الصيدلة . (هامش من وضع المسيو ديليل) .

(٢٣) ينقسم مثقال سوريا فيما يبدو الى ٢٤ قيراطا يساوى القيراط منها ٤ حبات (انظر الهامش رقم ٣٤ وص ١٧ من مقالة الموازين والمكاييل للمقريزى) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وطبقا لذلك فان المثقال يساوى ٩٦ حبة قمح فى حين يساوى الدرهم ٦١ حبة(٢٤) .

ولقد كنا شغوفين بمعرفة ما يمكن أن تصل اليه حدود الدقة فى علاقة كهذه تبدو مؤسسة على معطيات تنقصها الدقة على هذا النحو . ولقد حصلنا على النتائج الآتية :

١٦ قيراطا او ١٦ حبة خروب اخذت بشكل عشوائى ، وكان ينبغى لها أن تعادل درهما ، ومع ذلك فقد بلغ وزنها حسب ميزان مارك :		
فى المرة الأولى (الـ ١٦ حبة خروب الاولى)	٥٣ر٧٥٠	حبة
فى المرة الثانية (الـ ١٦ حبة خروب الثانية)	٥٤ر٦٢٥	حبة
وقد وزنت ١٦ حبة خروب اخذت من بين اكثرها سلامة وافضلها شكلا ، وقام باختيارها صراف يهودى مشهود له بالكفاءة والمهارة فى وظيفته	٥٩ر٨٧٥	حبة
ووزنت ١٦ حبة خروب أخرى اختيرت من بين تلك التى بدت لنا اكثرها استواءا وافضلها شكلا	٥٩ر٧٥٠	حبة
المجموع	٢٢٨ر٠٠٠	حبة

(٢٤) يذكر جلال الدين ابو الفضل السيوطى فى مقالته عن مصر أن ابن فضل الله ، فى كتابه المسمى المسالك يقول ما يلى عند حديثه عن تجارة مصر : ويزن الدرهم نحو ١٨ حبة خروب أو ١٨ خروبة ، وتزن حبة الخروب ٣ حبات قمح ، ويزن المثقال ٢٤ خروبة » (مقتبس من مقالة عن النقود للمقريزى) أو يبدو لنا هذا الزعم خاطئا ، فاذا كان الأمر يتعلق بالمثقال الذى تساوى كل سبعة منه عشرة دراهم ، وكل درهم لا يتجاوز ١٦ خروبة و ٨/١٠ من الخروبة ، واذا كان المثقال يساوى درهما ونصف الدرهم فان الدرهم لن يساوى الا ١٦ خروبة . ويلزم كى يساوى الدرهم ١٨ خروبة حين يكون المثقال مساويا لـ ٢٤ حبة أن يساوى هذا المثقال درهما وثلث الدرهم . وهو أمر يبدو انه لم يحدث قط . وباختصار ، فمن المحتمل أن يكون المؤلف الذى أشرنا اليه آنفا يريد ، متسقا فى ذلك مع كل الموروثات ، أن يضاهى بحبة الشعير ، ولبس بحبة القمح .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحد الاوسط	٥٧ر٠٠٠ حبة

كما بلغ وزن ٦٤ حبة قمح ينبغى لها ان تعادل درهما واحدا :

فى المرة الاولى (شرحه)	٥٤ر٥٠٠ حبة
فى المرة الثانيـــة	٥٤ر٨٧٥ حبة
فى المرة الثالثـــة	٥٥ر٠٠٠ حبة

كما وزنت ٦٤ حبة اختارها الصراف اليهودى

ممتلئة وبدون اعطـــاب	٦١ر٧٥٠ حبة
وبلغ وزن ٦٤ حبة اخرى قمنا نحن باختيارها	٦٠ر٥٠٠ حبة
وبلغ وزن ٦٤ حبة ثالثة انتقيت من حجم متوسط	٥٧ر٨٧٥ حبة
المجمـــــوع	٣٤٤ر٥٠٠ حبة
الحد الاوسط	٥٧ر٤١٧
متوسط النتيجتين	٥٧ر٢٠٨

وبرغم ان المثقال بتفريعاته المختلفة ، يشكل على نحو ما نظـــاما وزنيا منفصلا ، فسوف نضمنه داخل الجدول الذى سنتقدمه عن اقســـام الأوزان المستخدمة فى مجال التجارة رغبة منا فى الا نزيد لحد غير مرغوب فيه من عدد الجداول ، ولكى يستطيع القارىء بسهولة ، وبمجرد ان يلقى نظرة سريعة ان يلم بالعلاقة القائمة بين كل الأوزان المستعملة ، وسنفعل نفس الشىء بالنسبة للرطل الزياتى .

جــــدول
بالاوزان التجارية وتفريعاتها المتنوعة

حبة قمح	حبة شعير (١)	قيراط	درهم	مثقال (١)	أوقية	رطل قبانى	رطل زياتى (١)	[illegible]
٩٢١,٦٠٠	٦٩١,٢٠٠	٢٣٠,٤٠٠	١٤,٤٠٠	٩,٦٠٠	١,٢٠٠	١٠٠	٨٥ ½	١
١٠,٧٥٢	٨,٠٦٤	٢,٦٨٨	١٦٨	١١٢	١٤	٣ ½	١	
٩,٢١٦	٦,٩١٢	٢,٣٠٤	١٤٤	٩٦	١٢	١		
٧٦٨	٥٧٦	١٩٢	١٢	٨	١			
٩٦	٧٢	٢٤	١ ½	١				
٦٤	٤٨	١٦	١					
٤	٣	١						

(١) لا تشكل هذه الاوزان جزءا من النظام الوزنى المستخدم فى مجال التجـارة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اما شكل الأوزان التجارية فيتنوع كثيرا ، فهى اسطوانية الشكل فى بعض الاحيان ، وهى فى احيان اخرى مكعبة ، او هى فى معظم الاحيـــان جرم متعدد الوجوه نتجت هيئته عن مكعب تهشمت زواياه ، ومع ذلك فقد جرت العادة بان يكون للرطل وللرطلين ولنصف الرطل وللأوقية شـــكل حلقة تحاكى هلالا ، وان كانت هذه الحلقة لا تقفل بشكل تام بحيث يمكن ان تسلك فى حبل دائرى مع المباعدة فيما بين طرفى الهلال او بالأحرى عن طريق ضغط الحبل فيما بين هذه الطرفين او القمتين .

وتصنع هذه الأوزان بصفة عامة من النحاس ، وهو معدن مفضـــل عن الحديد اذ يتاكسد الاخير ويعلوه الصدا بسهولة ، ولان العمال من اهل البلاد لم يعتادوا بعد على صهره وتشكيله . ويستخدم فى صنعها النحاس الاصفر او الاحمر المخلوط بالبزموت(*) وهو ارخص من النحاس الاحمر ولا يشتد الطلب عليـــه .

اما صغار باعة التجزئة وتجار السلع المختلفة ، الذين يجدون شراء الأوزان النحاسية مكلفا او باهظ الثمن بالنسبة لهم فيستخدمون فى معظم الاحوال مجرد قطعة من الحديد غير مستوية الشكل او مجرد « زلطة » تزن الوزن المطلوب .

وعند شعب قليل التنور لهذا الحد ، تقوم على شئونه حكومة اقـــل تطورا على هذا النحو ، فاننا نجد الناس هناك لم يثبتوا ، كما هو الحال فى اوربا ، على عادة تحتم ان تكون للاوزان الواحدة الشكل نفسه تشتهر به ، ولا يمكن احد ان يغش فى قيمتها ، او عادة ان يوثقوا وان يدمغـــوا هذه الأوزان ، وان يحرموا استخدام كل الأوزان غير المدموغة على هـــذا النحو ، وكل هذه امور من شانها اذا تحققت ان تسهم فى جعـــل التدليس او الغش اقل يسر واكثر ندرة .

ويستعاض عن هذه الاحتياطات برقابة يوميـــة وبعقوبات بالغـــة

(*) عنصر فلزى يستعمل ممزوجا بمعادن اخرى .   (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصرامة تطبق على من يستخدمون موازين او اوزان زائفة(٥٢) .

وفي بعض الاحيان يعاقب اقل عجز في الوزن بقسوة بالغة كما لو كانت غشا فاضحا . لذلك يفضل غالبية الباعة ، خوفا من ذلك ، الحصول على موازين وافية لها دقة القسطاس او ميزان الذهب .

---

(٢٥) كان اغا الشرطة يتجول في المدينة على ظهر حصان يسبقه احد العبيد حاملا امامه اوزان وميزان كبير الحجم ، ويتبعه جلادوه ، ويزفه عدد كبير من العبيد او الخدم المسلحين بعصي غليظة .

ويذهب الاغا الى الاسواق والميادين العامة والاسواق العمومية وكل الاماكن التى يوجد بها تجار او باعة تجزئة ويطلب ابراز الاوزان والموازين من واحد او اكثر من الباعة ينتقون بشكل عشوائى او تباعا لمزاجه الخاص.

وفى بعض الاحيان يسأل الخدم الذى قدموا لشراء بعض المـــواد الغذائية ويستعلم عن الثمن الذى ابتاعوها به وعن الوزن الذى سلمت اليهم على اساسه ، وعن التاجر الذى باعهم اياها ، ويامر بأن توزن امامه هـــذه السلع ، فاذا تبين غشا فى الوزن او فى تقدير الثمن . فانه يستدعى التاجر ويامر بمعاقبته فى نفس مكان الحادث .

اما هذه العقوبة فعبارة عن ضربات بالكرباج على اخمص القدمين .

ويمسك العبيد او خدم الاغا بالمذنب ، ويطرحونه ارضا على وجهـــه ويمسكون بساقيه بواسطة نوع من النير الخشبى (الفلقة) ، وينهال عليه بمائتى الى ثلاثمائة ضربة فوق اخمص القدمين ، ويطلب المسكين العفو ، ويتضرع الى الاغا متوسلا بالنبى وبالله مرددا اسماء الله المائة المقدسة .

ولا يستطيع التاجر البائس ، وقد اصبح كسيحا او تمزقت قدماه ، ان يعود ادراجه الى بيته الا اذا حمله احد اصدقائه او احد النظارة ، ساندا اياه من تحت ابطيـــه .

وحين يضبط فى بعض الاحيان نفر من باعة القطاعى متلبسين بالغش او يتاكد انهم عملوا على رفع الاسعار بشكل جعل الناس يجارون بالشكوى، فان الاغا ، لكى يقدم امثولة اكثر فظاعة ، يامر بان تجز راس واحد من بينهم .

ويمكن القول بصفة عامة بان من علامات تدهور وانحطاط اخلاق هذا الشعب انه يشهد لصالح المذنب وانه يعتريه الحزن والكدر حين يلقى المذنب جزاءه ، ومع ذلك فان العقوبة بالغة الفظاعة ، وتطبق فى كثير من الاحيان ظلما ، حتى لتقل دهشة المرء حين يرى الدهماء تبدى شفقتها على المذنب وتمتدحه وتواسيه ، وليس من النادر ان يسىء الاغوات استخدام سلطاتهم الاستبدادية لكى تبتزوا النقود والهدايا من التجـــار ، كما انهم فى معظم الاحيان من له موازين واوزان مضبوطة الا لانه لم يؤت من الكياسة ما يجعله يقدم اليهم الاتاوة المبتغاة .

اما هذه الموازين المستخدمة في مصر فتشبه الموازين المستخدمة لدينا، وقد استوردت غالبيتها قديما من اوربا .

اما الموازين الصغيرة التي تصنع في البلاد فيعيبها في معظم الاحيان انها صماء لا تستجيب ، اى ان رافعتها مقوسة ، ونقطة ارتكازها تقع اعلى من نقطتي تماس كفتي الميزان ، مما يجعل الميزان اقل حساسية او ان يكون ترجيحه عسيرا .

وينتشر في مجال التجارة ، وبخاصة في الاوزان التي لا يتحتم رجحانها ، استخدام الميزان الذى نعرفه باسم الميزان الروماني (القباني) ، وهو ينقسم هناك طبقا لنظام الوزن المتبع في مصر .

الاوزان المستخدمة في النقود

تصنع الاوزان التي توزن بها النقود عادة من النحاس الاصفر ، على شكل جرم متعدد الوجوه ، مثمن الاضلاع ، ويتم الوصول الى هذا الشكل عن طريق كسر زوايا المكعب ، ولهذا الجرم ، في هيئة المكعب التي هو عليها ميزة تهيئة زوايا قوية وغير حادة في الوقت نفسه ، كما انها اقل عرضة لان تتلف بغتة ، بالاضافة الى ان سقوطها لن تتسبب عنه الا اضرار بسيطة سواء فيما يتصل باتلافها هي او فيما يتصل باحتمال ان تجرح ايدى واقدام العاملين .

وتزود الاوزان — المعايير هذه عادة ، عند جزئها العلوى بعروة أو مقبض يتحرك لاعلا او لاسفل ، ويحفر عدد الدراهم التي تزنها على واحد من اوجهها بواسطة مخصف .

ومما لا شك فيه ان الامر الجدير بالملاحظة هو ان الناس ، في بلد نجد ضروب المعرفة بها ادنى بكثير عنها في اوربا ، قد تبنوا منذ زمان طويل عند صناعهم للنقود فكرة التقسيم العشرى للاوزان ، برغم ان هذا التقسيم ليس هو نفسه الخاص باوزان البلاد (في المجالات الاخرى) ولابد ان هذه العادة قد جاءتهم ، بلا جدال ، نتيجة خبرة طويلة اوضحت لصناع النقود ان هذا التقسيم العشرى ، الذى يتسق مع النظام العددى نفسه ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هو أكثر ملاءمة فى مجال الحسابات لغير ما حد(٢٦) .

هكذا كانت أوزان النقود تقسم من ١ الى ١٠ دراهم مع مضاعفات او تفريعات العشرة ، واكثر هذه الأوزان استعمالا كانت الاجرام ذوات الالفى والألف درهم ، وذوات الـ ٥٠٠ والـ ٢٠٠ والـ ١٠٠ درهم ، وذوات الـ ٥٠ والـ ٢٥ درهما ، وذوات العشرة ، والخمسة والاربعة والثلاثة دراهم ، وذوات الدرهمين والدرهم الواحد ، ولم تكن لهذه التضميفات او التقسيمات اسماء محددة خاصة ، بحيث لم يكن يستخدم سوى اسم وحدة الوزن وهى الدرهم . وكانت كل العمليات الحسابية تتم على اساس الدراهم .

والدرهم المستخدم هنا هو نفسه الذى يستخدم فى المبادلات التجارية ، ويمكن ان تنطبق عليه كل ما سبق لنا ان قلناه (بخصوص الدرهم فى مجال التجارة) ، وان كان قد احتفظ له بمعاييره داخل سلسلة الأوزان المتبعة فى صنع العملات والتى لا تستخدم الا اخيرة تضبط على اساسها الموازين الأخرى ، بدلا من التماس تحديد اوزانها عن طريق حبوب القمح أو الخروب .

وفى حين تبنى المصريون المحدثون النظام العشرى فى أوزان النقود ، فانهم لم يعرفوا كيف يحتفظون ، بالمثل ، بالتقسيم نفسه بالنسبة لكسور الدرهم وأجزائه ، عندما قسموه ، كدابهم فى مجال التجارة ، الى ١/٢ و١/٤ و١/٨ و١/١٦ او الى ١/٣ ، ١/٦ ، ١/١٢ كما قلنا من قبل .

اما المثقال ، على النحو الذى رأيناه به من قبل ، فقل ان كان يستخدم فى مجال النقود الا لضبط عيار الذهب .

وكان يتم ذلك على اساس المثقال ونصف المثقال .

---

(٢٦) كانت الموازين المستخدمة فى مجال التجارة تستعمل لوزن كل السلع المختلفة فيما عدا الذهب والفضة اللذين يستخدمان فى مجال صنع النقود ، ومع ذلك فقد كانت كل الحسابات وكل العمليات الحسابية تتم طبقا لنظام التقسيم العشرى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وينقسم المثقال الى ٢٤ قيراطا ، والقيراط الى أربع حبات ، ثم تنقسم الحبة نفسها الى ١/٢ ، ١/٤ ، ١/٨ وهو الامر الذى يماثل تقسيمنا نحن للقيراط الى ٣٢ جزءا .

ولا بد اننا واجدون اكبر قدر من الدقة فى الأوزان فى دور سك النقود بصفة خاصة ، حيث تمارس الحكومة رقابة دائمة ، وحيث تتطلب اساليب (الصنع) دقة بالغة .

ولقد ضاهينا الأوزان المستخدمة عادة فى مجال النقد وتلك المتبعة فى مجال التجارة بتلك الموازين التى تم الاحتفاظ بها باعتبارها عيارات ، واستبعدنا كل ما بدا لعياننا معيبا او تالفا ، ثم وزنا بعد ذلك الأوزان المستخدمة عيارات ، منفصلة ومجتمعة ، على اوزان مارك بعد أن ضبطناها بدقة بالغة ، فتبينا ان الأوزان الدنيا كانت ، على نحو دقيق قدر الامكان ، مساوية لاوزان ٢٠٠٠ و ١٠٠٠ درهم التى كانت هذه الاوزان الدنيا تفريعات منها ، وان كانت كل واحدة من هذه التفريعات قد اعترتها ، سواء بالزيادة او بالنقصان اخطاء طفيفة للغاية ، كانت بتبادلها التعويض فيما بينها على وجه التقريب (اى بتعويض الوزن الزائد فيها الوزن الناقص) تصبح من باب اولى محسوسة بدرجة اكبر عندما نستبعد منها قيم الأوزان الاكبر حجما ، فقد كان وزن الكسور اصغر من المطلوب ، وهو امر لابد انه يدل ، ولابد انه قد حدث فى الواقع ، على ان علاقة اوزان هذه البلاد بالاوزان المستخدمة فى فرنسا ، ينبغى ان تحسب على اساس معيارات الأوزان الاكبر ، او على اساس اجمالى الاوزان الصغرى وليس على اساس بعض الاوزان ضئيلة القيمة ، اختيرت بذاتها .

وقد اعطتنا الأوزان ذات الـ ١٠٠٠ والـ ٢٠٠٠ درهم النتائج الاتيـة :

جدول بمقارنة الأوزان المستخدمة في مجال النقد بمثيلاتها في فرنسا

الأوزان وضع المقارنة		قيمتها بالدراهم	قيمتها بالأوزان من نظام مارك الفرنسى: كسور	حبة	جرو	أوقية	رطل	الإجمالى: كسر	حبة	جزو	أوقية	رطل
الموازين المعيار	أولا :	٢٠٠٠ر٢	٠	١٣	٢	٩	١٢	٠	١٣	٢	٩	١٢
	ثانيا :	١٠٠٠ر١	٥	٦	٥	٤	٦	٥	١٣	٢	٩	١٢
		١٠٠٠ر١	٠	٧	٥	٤	٦					
الموازين المستخدمة والتى احتفظت بحالة طيبة	ثالثا :	٢٠٠٠ر٢	٠	١٦	٢	٩	١٢	٠	١٦	٢	٩	١٢
	رابعا :	٢٠٠٠ر٢	٥	١٤	٢	٩	١٢	٥	١٤	٢	٩	١٢
	خامسا :	١٠٠٠ر١	٥	٧	٥	٤	٦	٥	١٣	٢	٩	١٢
		١٠٠٠ر١	٠	٦	٥	٤	٦					
	سادسا	١٠٠٠ر١	٠	٨	٥	٤	٦	٠	١٥	٢	٩	١٢
		١٠٠٠ر١	٠	٧	٥	٤	٦					
	الإجمالى	١٢٠٠٠ر١٢	وقد بلغ وزنه					٥	١٣	٥	٧	٧٥
مما يصل بوزن كل . . .		١٠٠٠ر١ (درهم)	. . . .					١٢٥	٧	٥	٤	٦
وبذلك يكون وزن كل . .		١ (درهم)	كمتوسط وزن					٩٦٧١٢٥	٥٧			

وقد ظننا انه حرى بنا ان نهمل الكسر ۰٫۰۰۱۲۵ من المحبة الذى يقل به الوزن المعيارى كما راينا عن الأوزان الأخرى ، وينتـج ذلك من انهم هناك يحرصون على ان يكون الوزن المتداول اكبر بنحو طفيف من الوزن المعيارى ، ذلك ان هذه الازوان المتداولة يتناقص وزنها على نحوا مفـاجىء بفعل اللمس والتداول . ولكى تعود هذه الى تعويض ما فقدته ، تشرب بقليل من الرصاص فى ثقوب صغيرة تنفذ فى احد اوجهها .

ولقد وجدنا ، عن طريق تجارب اخرى تم اجراؤها ، باتخاذ الحـد الأوسط للأوزان الكبيرة فى مجالى التجارة والنقود ان نسبة الدرهم الى الحبة (او ان الدرهم يساوى من الحبوب) من أوزاننا نظام مارك
۵٨٫١٨٨ حبة

وذلك بدلا من النسـبة التى ذكرناها آنفا وهى ۵٧٫٩٦٧ حبة
بفـارق زيادة قـدره ۰٫۲۲۱ حبة

او ۰٫۰۰۳٨١ من الدرهم ، وان كنا نرى ان الرقم ۵٨٫١٨٨ هو اكثر مما ينبغى دقة وان علينا ان نتبنى الرقم ۵٧٫٩٦٧ ، فلقد تبينـا ان اوزان التجارة فى واقع الأمر ، هى اكثر دقة لاسباب اوضحناها فيما سـبق ، وانها تتفاوت فيما بينها باقدار اكبر بكثير من تلك التى تتفاوت بها فيما بينها اوزان النقـــود .

ومع ذلك فان عددا كبيرا لحد كاف من مختلف الأوزان الكسور(*) فى مجالى النقد والتجارة قد بدت لنا جديرة باكبر قدر من الثقة اما لجودة صنعها ، واما للحالة المرضية التى حفظت عليها ، واما للثقة التى يستحقها الصيارفة الذين كانوا يستخدمونها . وقد بينت لنا هذه ، سواء عند وزنها معا او على نحو منفصل ، وبعد تقريبها الى اصغر كسر ممكن ، ان الحـد الأوسط لقيمة الدرهم مستخلصا من هذه الأوزان ، يبلغ ۵٧٫٩٧٠ حبـة ، الأمر الذى لا يختلف عن النتيجة الأولى الا بثلاث حبات فى كل ۱۰۰۰ درهم .

(*) اى اوزان الـ ½ والـ ¼ والـ ⅛ .. (المترجم)

	كسر	حبة	جرو	اوقية	رطل (***)
واعطتنا ٦٠٠ سكين(**) ذهبى صنع القاهرة ، ومن اضبط هذه العملات وزنا ٥٠٥ دراهم و١/١٤ من الدرهم ، لكنها اعطتنا بميزان اكثر حساسية صنعه المسيو كونتيه	—	٥٤	٦	٢	٣
وكان ينبغى لنها ان تزن طبقا للنسبة التى سبق ان تبيناها بين الدرهم والحبة	٨٣	٥٥	٦	٢	٣
وكانت تزن ١٠٠ تالارى عادة بميزان النقود ، بنحو قريب من الدقة حيث لم يكن اى تلف قد اعترى هذه النقود ٩١٢٠دراهم، مما يعطى طبقا لهذه القيمة لوزن التالارى الواحد	٥٠	٢٣	٧	٠	٠
ولكن مؤلف المسيو بونفيل يصل بالوزن القانونى للتالارى الى	٠٠	٢٤	٧	٠	٠
وكانت ١٠٠ قرش تزن عادة بميزان النقود ٨٧٥ درهما مما يجعل وزن القرش الواحد طبقا للنسبة التى اخذنا بها	٢١	٤	٧	٠	٠
لكننا نجد ان وزن القطعة من هذه القروش فى مؤلف المسيو بونفيل يبلغ	٠٠	٤	٧	٠	٠

(**) Sequin وهى عملة ذهبية قديمة لمختلف الولايات الايطالية كما كانت تتداول فى الشرق وترد هنا عند الحديث عن العملات الذهبية مثل الفندقلى والزر محبوب . (المترجم)

(***) الاوزان الفرنسية المستخدمة على التوالى من الشمال الى اليمن livre once, gros, grain, fraction. (المترجم) .

لكن كسور (أو تفريعات) هذه العملة
اقل تماما او دقة من كســــور (او
تفريعات) التلارى ، وحيث كانت هذه
العملة (القروش) اكثر تداولا ، فقد
كانت تفقد باستمرار قـدرا طفيفا من
وزنها بسبب تاكل النقود من كثـــرة
تداولها . ويقـدر المسيو بونفيـــل
متوسط وزن للقرش يبلغ ٨٣ ٢ ٧ ٤١ ٤
او ٩٢٠ ر٢٦ جـراما .

ونلحق بهذه الدراسة هنا لوحه بينا بها علاقة الأوزان المصرية بالاوزان من نظام مارك ونظام الوزن العشرى المتبع فى فرنسا ، وقد ضمـنـاها الأعشار ووحدات الدرهم ، وبعد ذلك الكسور العشرية للأوزان ثم الكسور المئوية حتى الكسر من الف . وفى النهاية قد سربنا الى هذه اللوحة قيمة أى من هذه الأوزان التى لها تسميات خاصة والتى يشيع استعمالها .

لوحة بتحويل الاوزان المصرية الى الاوزان من نظام مارك والى الأوزان من النظام العشرى المستخدمين فى فرنسا

أسماء الأوزان المصرية	قيمته بالدراهم المصرية: تساوى	كسور	درهم	بالاوزان فى نظام مارك الفرنسى: كسور	حبة	جرو	أوقية	مارك	رطل	بالاوزان العشرية: كسور	ملليجرام	جرام	ديكاجرام	هكتوجرام	كيلوجرام	ميرياجرام
١ حبة قمح	١/٦٤	أو ٠ر٠١٥ر٦٢٥		٩٠٥٧	—	—	—	—	—	١٠٧٩	٠٤٨	—	—	—	—	—
١ حبة (أى حبة شعير)	١/٤٨	أو ٠ر٠٢٠ر٨٣٣		٢٠٧٦	١	—	—	—	—	١٤٣٩	٠٦٤	—	—	—	—	—
١ قيراط أو حبة خروب	١/١٦	٠ر٠٦٢ر٥٠٠		٦٢٢٩	٣	—	—	—	—	٤٣١٥	١٩٢	—	—	—	—	—
			٠ر١	٧٩٦٧	٥	—	—	—	—	٨٩٠٤	٣٠٧	—	—	—	—	—
			٠ر٢	٥٩٣٤	١١	—	—	—	—	٧٨٠٨	٦١٥	—	—	—	—	—
			٠ر٣	٣٩٠١	١٧	—	—	—	—	٦٧١٢	٩٢٣	—	—	—	—	—
			٠ر٤	١٨٦٨	٢٣	—	—	—	—	٥٦١٦	٢٣١	١	—	—	—	—
			٠ر٥	٩٨٣٥	٢٨	—	—	—	—	٤٥٢٠	٥٣٩	١	—	—	—	—
			٠ر٦	٧٨٠٢	٣٤	—	—	—	—	٣٤٢٤	٨٤٧	١	—	—	—	—
			٠ر٧	٥٧٨٩	٤٠	—	—	—	—	٢٣٢٨	١٥٥	٢	—	—	—	—
			٠ر٨	٣٧٣٦	٤٦	—	—	—	—	١٢٣٢	٤٦٣	٢	—	—	—	—
			٠ر٩	١٧٠٣	٥٢	—	—	—	—	٠١٣٦	٧٧١	٢	—	—	—	—
١ درهم			١ر٠	٩٦٧٠	٥٧	—	—	—	—	٩٠٤٠	٠٧٨	٣	—	—	—	—
١ مثقال			١ر٥	٩٥٠٥	١٤	١	—	—	—	٣٥٦٠	٦١٨	٤	—	—	—	—

أوقية

ر٢	٩٣٤٠٠	٤٣	١	—	—	—	٨٠٨٠٠	١٣٧	٦	—	—	—	—
ر٣	٩٠١٠٠	٢٩	٢	—	—	—	٧١٢٠٠	٢٣٦	٩	—	—	—	—
ر٤	٨٦٨٠٠	١٥	٣	—	—	—	٦١٦٠٠	٣١٥	٢	١	—	—	—
ر٥	٨٣٥٠٠	١	٤	—	—	—	٥٢٠٠٠	٣٩٤	٥	١	—	—	—
ر٦	٨٠٢٠٠	٥٩	٤	—	—	—	٤٢٤٠٠	٤٧٣	٨	١	—	—	—
ر٧	٧٦٩٠٠	٤٥	٥	—	—	—	٣٢٨٠٠	٥٥٢	١	٢	—	—	—
ر٨	٧٣٦٠٠	٣١	٦	—	—	—	٢٣٢٠٠	٦٣١	٤	٢	—	—	—
ر٩	٧٠٣٠٠	١٧	٧	—	—	—	١٣٦٠٠	٧١٠	٧	٢	—	—	—
ر١٠	٦٧٠٠٠	٣	—	١	—	—	٠٤٠٠٠	٧٨٩	٠	٣	—	—	—
ر١٢	٦٠٤٠٠	٤٧	١	١	—	—	٨٤٨٠٠	٩٤٦	٦	٣	—	—	—
ر٢٠	٢٤٠٠٠	٧	—	٢	—	—	٠٨٠٠٠	٥٧٨	١	٦	—	—	—
ر٣٠	٠١٠٠٠	١١	—	٣	—	—	١٢٠٠٠	٣٦٧	٢	٩	—	—	—
ر٤٠	٦٨٠٠٠	١٤	—	٤	—	—	١٦٠٠٠	١٥٦	٣	٢	١	—	—
ر٥٠	٣٥٠٠٠	١٨	—	٥	—	—	٢٠٠٠٠	٩٤٥	٣	٥	١	—	—
ر٦٠	٠٢٠٠٠	٢٢	—	٦	—	—	٢٤٠٠٠	٧٣٤	٤	٨	١	—	—
ر٧٠	٦٩٠٠٠	٢٥	—	٧	—	—	٢٨٠٠٠	٥٢٣	٥	١	٢	—	—
ر٨٠	٣٦٠٠٠	٢٩	—	—	١	—	٣٢٠٠٠	٣١٢	٦	٤	٢	—	—
ر٩٠	٠٣٠٠٠	٣٣	—	١	١	—	٣٦٠٠٠	١٠١	٧	٧	٢	—	—
ر١٠٠	٧٠٠٠٠	٣٦	—	٢	١	—	٤٠٠٠٠	٨٩٠	٧.	٠	٣	—	—

(*) يعادل الميرياجرام ١٠ كيلوجرامات ، ان تعنى ميريا عشرة آلاف . (المترجم) .

أسماء الأوزان المصرية	قيمتها بالدراهم المصرية: تساوى كسور دراهم	بالاوزان فى نظام مارك فرنسى: كسور	حبة	جرو	أوقية	مارك	رطل	بالاوزان العشرية: كسور	مليجرام	جرام	ديكاجرام	هكتوجرام	كيلوجرام	ميرياجرام
١ رطل قبانى	١٤٤د	٢٤٨٠	٦٧	٣	٦	١	—	١٧٦٠	٣٦٢	٣	٤	٤	—	—
١ رطل زياتى	١٦٨د	٤٥٦٠	١٨	٧	—	—	١	٨٧٢٠	٢٥٥	٧	١	٥	—	—
	٢٠٠د	٤٠٠٠	١	١	٤	—	١	٨٠٠٠	٧٨٠	٥	١	٦	—	—
	٣٠٠د	١٠٠٠	٣٨	١	٦	١	١	٢٠٠٠	٦٧١	٣	٢	٩	—	—
	٤٠٠د	٨٠٠٠	٢	٢	—	١	٢	٦٠٠٠	٥٦١	٠	٣	٢	١	—
	٥٠٠د	٥٠٠٠	٣٩	٢	٢	—	٣	—	٤٥٢	٩	٣	٥	١	—
	٦٠٠د	٢٠٠٠	٤	٣	٤	١	٣	٤٠٠٠	٣٤٢	٧	٤	٨	١	—
	٧٠٠د	٩٠٠٠	٤٠	٣	٦	—	٤	٨٠٠٠	٢٣٣	٥	٥	١	٢	—
	٨٠٠د	٦٠٠٠	٥	٤	—	—	٥	٢٠٠٠	١٢٣	٣	٦	٤	٢	—
	٩٠٠د	٣٠٠٠	٤٢	٤	٢	١	٥	٦٠٠٠	٠١٣	١	٧	٧	٢	—
	١٠٠٠د	—	٧	٥	٤	—	٦	—	٩٠٤	٨	٧	—	٣	—
	٢٠٠٠د	—	١٤	٢	١	١	١٢	—	٨٠٨	٧	٥	١	٦	—
١ قنطار	١٤د٤٠٠د	٨٠٠٠	٢٨	١	١	١	٩٠	٦٠٠٠	٢١٧	٦	٣	٣	٤	٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملاحظـــات :

١ — ص ١١ الفقرة ٢ : **اذ أن نظام الترقيم عند هؤلاء (اى العرب) هو نفسه عند أولئك (اى الاوربيين) .**

فالأرقام التى نستخدمها قد جاءتنا فى الواقع من الشرق (ذلك ان نظام الأرقام عند الاغريق ومثيله عند الرومان كانا متباينين وغير وافيين) ، وان كان العرب انفسهم قد نقلوه عن الهند ، بل ان الطريقة التى تكتب وتقرأ بها الأرقام تدل وحدها على أن الأعداد والاشارات الحسابية ليست من اصل عربى ، وفى واقع الأمر فان العرب يقرأون ويكتبون من اليمين الى اليسار ولكنهم يقرأون الاعداد من اليسار الى اليمين كما نفعل نحن .

٢ — شرحه ، فيما يتصل **بغالبية أقسام وتسميات المقاييس .**

انظر فيما بعد الملاحظة رقم ٢٠

٣ — ص ١٢ ، الفقرة ١ : **فى نحو العام ٨٤١ من الهجرة** (١٤٣٧ — ١٤٣٨ من تقويمنا) .

لابد لنا ، حتى نستطيع ، بشكل تقريبى ، تحويل السنوات الهجرية الى السنوات المقابلة لها فى تقويمنا ، أن نلاحظ :

١ — أن تقويمنا قد بدأ قبل الهجرة بـ ٦٢١ سنة . ٢ — وحيث أن السنة العربية (الهجرية) ، وهى السنة القمرية ، تشتمل على ٣٤٥ يوما ، فى حين تبلغ السنة الشمسية ٣٦٥ يوما ، فانه تلزم ١٣٥ سنة هجرية مقابل كل ١٣١ سنة من التقويم المسيحى ، فلو أن البداية كانت هى نفسها لكان يكفى ان نضرب العدد المعبر عن السنة الهجرية فى ١٣١ وان نقسم الناتج على ١٣٥ ، ومع ذلك فحيث ان التقويم الميلادى قد بلغ ٦٢١ عاما قبل بداية التقويم الهجرى فلابد ان نضيف الى الناتج (خارج القسمة) الرقم ٦٢١ لكى نجد السنة الميلادية الموافقة . وبالتبادل، فلكى نحول السنوات من التقويم الميلادى الى سنوات من التقويم العربى فلابد فى البداية ان نستبعد ٦٢١ من الرقم المعبر عن السنة من التقويم المسيحى ، وان نضرب الرقم الباقى فى ١٣٥ ثم نقسم الناتج على ١٣١ ، فيكون خارج القسمة هو نفسه السنة العربية . وفى هذه الحالة او تلك ، لابد أن نزيد واحدا الى خارج القسمة اذا كان باقى القسمة يزيد عن نصف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ — ص ١٢ : الهامش رقم ٢ : **كتاب السنن الكبير** .

بالعربية سنة والجمع سنن ، وهو الكتاب الكبير الجامع لشرائع السنة اى القواعد ، او الاحاديث .

٥ — ص ١٢ ، الفقرة ٥ : **درهم** . انظر الهامش رقم ٣ .

وتشير هذه الكلمة العربية احيانا الى وزن ، وتشير احيانا اخرى الى عملة نقدية ، وهى من اصل يونانى ، وتقابل الكلمة الفرنسية دراخمة drachme او دراقمة dragma .

٦ — شرحه : **دينار** . انظر ص ٢٣ الهامش رقم ١٩ .

وتعنى هذه الكلمة عادة نقدا او قطعة ذهبية ، وقد جاءت دون شك من اللاتينية ديناريوس denarius ، وقد سمى باللاتينية denarius nummus لأنه كان يساوى عشرة آس (وهى وحدة نقدية وقياسية قديمة) . وقد تدوولت النقود الذهبية الرومانية لوقت طويل فى فارس ومصر . ولا نزال نجد بعضا منها وسط قطع النقود الذهبية التى تزين بها النسوة اغطية شعورهن .

٧ — شرحه : **مثقال** .

وتعنى هذه الكلمة الوزن (الثقل) بصفة عامة ، وقد كان فيما مضى هو وحدة الوزن القياسية ، كما هو الحال اليوم بالنسبة للدرهم . والأصل العربى هو ثقل (فتحة فضمة) بمعنى وزن .

٨ — شرحه : **دانق** . انظر ١٨ ، الهامش رقم ١٤ .

واصله هو الكلمة الفارسية دانه او دانك ويعنى حبة او بذرة النبات .

٩ — شرحه : **قيراط** ، انظر ٢٤ ، الهامش رقم ٢٠ .

ولهذه الكلمة اصل يونانى ، وهى بالفرنسية Karat أو Carat انظر الملاحظة رقم ٢٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٠ — شرحه ، نفس الفقرة ٤ ، **وقيـــة** (أوقية) أنظر ص ٢٢ ، الهـــامش رقم ١٨ .

وتعنى هذه الـكلمة فى اليونانيـــة وزن (بتسكين الزاى) ، وهى باللاتينية اونيكا Unica ، وهى تشبه كثيرا الـكلمة اليونانية .

١١ — شرحه : **نش** (نصف) . انظر الهامش رقم ٥ ص ١٣ .

وهى كلمة عربية محرفة من كلمة نصـــف او نص (بفتح النون او ضمها) مع حذف حرف الفاء ، وعند كتابتها فى اللغة الشائعة او الدارجة تكاد تحذف كل النقط أو العلامات التى تقوم مقام الحروف المتحركة (فى الفرنسية) ، ولهذا لا يصبح النطق بعد محددا الا عن طريق الاستعمال أو التعود ، مما يكون سببا فى تحور او تغير النطق فى معظم الأحيـــان ، والى تفاوته من بلد لآخر ، وتلفظ هـــذه الكلمة فى مصر عادة نص (بضم النون) وتعنى نصف أو منتصف ، وهى نصف عملة نقدية صغيرة ، وحيث ان المدينى او البارة حاليا هو اصغر عملة نقدية متداولة فان كلمة نص تعنى لدى العامة مدينى . يقول الموزون (او الشحاذون) هات نص ، او اعط نص اى اعطنى مدينى واحدا ، ويقال ايضا : كم دى ؟ نص ؟ بمعنى بكم أو كم يساوى هذا ؟ هل هو يساوى نصفا ؟ (اى مدينى واحدا) .

١٢ — شرحه : **رطل** ، انظر الهامش رقم ٦ ص ١٣ .

والاصل رطل (بفتح الراء او ضمها) ، بمعنى يزن باستخدام يده .

١٣ — شرحه : **قنطار** ، انظر ص٢٢ ، هامش١٧ ، وهى بالفرنسية Quintal ، ويبدو أن الكلمة تحريف للكلمة اللاتينية كنتاريوس Centarius او كنتاريوم Centarium ، ولعل الاوربيين قـــد نقلوا عن العرب بعض الالفاظ الدالة على الأوزان مثل قيراط وقنطار ، وان كان العرب انفسهم قد نقلوها قبل ذلك بوقت قصير عن الاغريق والرومان الذين حكموا العرب لوقت طويل .

انظر كذلك الملاحظة رقم ٢٠ .

١٤ — ص ١٤ : السطر رقم٧ : **فى مؤلف ابن سعيد المسمى المحكم .**

والمحكم بالعربيـــــة معنـــاها الواضـــح او الدقيـــق والمتقن عليه على نحو تام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٥ — ص ١٦ ، الفقرة الأولى : **فى كتابه المسمى الكبير** . والكبير فى العربية تقابل كلمة grand عندنا ، بمعنى الكتاب الكبير او البحث الكبير ، وهذا مفهوم ضمنا ، وموضوع هذا البحث غير موضح ، وقد يكون بحثا فى الفقه على سبيل المثال .

١٦ — ص ١٧ ، الهامش رقم ١٣ : **يرى المسيو دى ساسى أنه بدلا من هذا العنوان ينبغى أن نقرأ فى المخطوطة ا كتاب الامثال .**

ويلاحظ هذا العالم نفسه فى الهامش رقم ٦٦ من ترجمته لمقالة الموازين والمكاييل للمقريزى انها تقرا بوضوح فى مخطوطة ليد Leyde كتاب الأنفال ، وان من الواجب ان نتشبث بهذا التفسير .

١٧ — ص ١٨ ، الهامش رقم ١٤ : **درهم بغلى .**

قل ان يستطيع المرء بيان منشأ او معنى هذه التسمية ، وان كان الرحالة المسلمون الذين سافروا الى الصين قد تحدثوا أيضا عن الدرهم البغلى ؛ ويطلق على هذا الدرهم كذلك اسم الدرهم الوافى (فى الوزن) ويبدو أن صفة الأسود قد اعطيت لهذا الدرهم لأن الفضة تكتسب بمرور الزمن او بفعل النار اللون الأسود اذا لم ينظف سطحه بوسيلة بان يدعك .

١٨ — شرحه : **درهم طبرى** ، ويحتمل انه يعنى درهم طبرستان فى فارس ؛ ويطلق على هذا الدرهم كذلك اسم الدرهم القديم .

١٩ — شرحه : **درهم جفارقى** وتالعربية **درهم جوارقى** .

ونحن نجهل معنى او اشتقاق هاتين الكلمتين .

٢٠ — ص ٢٢ ، الفقرة الاولى : **وقد سبق لنا القول بان لدى الأوربيين ماهو مشترك فى هذا الصدد مع العرب ، حتى ان جزءا كبيرا من التسميات والتفريعات لأوزان هؤلاء هى نفسها عند أولئك .**

فسواء كان القدماء المصريون انفسهم هم المخترعين لغالبية العلوم والفنون ، او سواء كانوا قد استقوها من الهند او من فارس ، فلقد نقل الاغريق والرومان عنهم جزءا من معارفهم ، ومن جهة اخرى ، فحيث خضعت مصر بعد ذلك لكل من الاغريق والرومان على التوالى ، فقد حمل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هؤلاء واولئك اليها الكثير من عاداتهم ومن الفاظ لغتهم، ولقد راح الاوربيون، خلال الحروب الصليبية ينهلون من معارف الشرق حيث كانت العلوم مزدهرة فى ذلك الوقت ، افكارا واسماء وعادات كان البعض منها قد نقل من قبل عن الاغريق والرومان ، وموجز القول انه امكن التجارة والعلاقات مع الغرب ان تدخل الى اللغة العربية الفاظا اوربية لكى تشغل مكان الفاظ ومصطلحات اكثر قدما ، فى مجالى العلوم والفنون ، لتعبر عن افكار او معانى مماثلة .

وهكذا فمن العسير فى غالبية الاحوال ، فى علاقات معقدة على هذا النحو ان نتمكن من تحديد الأصل او المنشأ الحقيقى لبعض الافكار والممارسات ومصطلحات مختلف الفنون والعلوم ، لكن الترجيح ، بصفة عامة ، وحين لايكون مصدر الاشتقاق معروفا على نحو جيد ، يصبح فى جانب اللغة الاقدم ، مالم تكن الكلمة مناقضة لسياق او مقتضيات هذه اللغة ، فاذا لم يكن لهذه الكلمة من اصل قط فى اللغة الاقدم ، فى حين نجد لها فى الوقت نفسه اصلا فى اللغة الأحدث ، فلن يكون ثمة شك فى انها قد جاءت عن هذه اللغة الاخيرة .

٢١ — ص ٢٤ ، الفقرة الاولى **رطل زياتى** .

ولعل فى هذا تحريفا لكلمة **زيادتى** ومعناها **الذى زيد عن طريق الاضافة** ، والرطل الزياتى هو الرطل المزيد او الاكبر ثقلا ، وتتم كل عمليات الوزن الكبيرة بعض الشىء ، كما يتم وزن الاشياء كبيرة الحجم ، وبصفة خاصة البضائع التى تكون عرضة لما يسمى فرق الوزن (او طبة الميزان) ، بالاوزان الرومانية ، حيث يساوى الرطل ١٦٨ درهما ولا يحتسب فى الوقت ذاته الا على انه ١٤٤ درهم ، وتعتبر الى ٢٤ درهما الزائدة فى العادة فرق وزن (او طبة ميزان) او وزن الاجولة والآنية والاغلفة .. ولتعويض عدم الدقة فى عمليات الوزن ، وهو الامر الناتج عن طريقة تصميم او بناء الميزان الرومانى الذى يكون من العسير ان نقدر عن طريقه الفروق فى الاوزان الضئيلة ، عما لو كنا قد فعلنا ذلك بواسطة الميزان العادى الذى يطلق عليه اسم **ميزان** .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٢ — شرحه : **رطل قبانى** .

وكلمة قبانى معناها وزان ، وبصفة خاصة الشخص الذى يستخدم الميزان الذى نسميه **رومانى** romain وباللتينية statera والرطل القبانى، أو رطل الوزانين ، هو الرطل الذى يزن ١٤٤ درهما ، وهو يستخدم بصفة خاصة كى توزن به فى ميزان ذى كفتين كل السلع قليلة الوزن وصغيرة الحجم ، وليس لدى القوم هناك سوى موازين صغيرة ، يمسكونها باليد او يعلقونها بحبل ، لكنهم لايستخدمون قط الموازين ذات الأذرع الطويلة والكفات التى تتسع لاحتواء الوزنات الضخام .

٢٣ — ص ٢٥ السطر الاول : **ويضاهى القيراط حبة الخروب** ،انظر الهامش رقم ٢٠ ص ٢٤ .

قرط عليه وباللاتينية parum dedit illi ، ولهذا الفعل وليس للوصف اصل فى العربية ، ومع ذلك فان هذا الاشتقاق خاطىء ومعتسف بشكل واضح مثل عدد كبير من الاشتقاقات التى يقدمها النحويون العرب المجبولون على البحث وعلى تعقب الأمور باللغة الرهافة . فمن الواضح ان كلمة **قيراط** وتقابلها عندنا كلمة karat او kirat قد اشتقت من كلمة اغريقية معناها حبة الخروب ، ومنها اشتق العرب كلمة قيراط التى لها نفس المعنى ، فالفعل **قرط** (بتشديد الراء) ، والذى يعنى اعط الشىء القليل ، بفعل استعارة مأخوذة مما نعنيه كلمة حبة خروب وما تعبر عنه من ضآلة القيمة ، قريب مما نقوله نحن فى لغتنا الدارجة : Je n'en donnerais pas un zeste

اى : لا اعطى مقابله شروى نقير ! وكلمة zeste بالفرنسية تعنى اللباف اللحاء العالقة بخصوص البرتقالة بعد تقشيرها) .

٢٤ — **خروبة** .

٢٥ — **حبة او حب** (*)

٢٦ — ص ٢٦ ، السطر ١٣ : **صراف والاصل صرف بمعنى غير** .

ويقوم الصرافون (او الصيارف) بتقييم وتبديل النقود ، ويلجأ هؤلاء

(*) تكتفى الملاحظتان ٢٤ و٢٥ باعطاء المقابل العربى وبحروف عربية كذلك لهاتين الكلمتين العربيتين واللتين يوردهما المتن بحروف لاتينية . (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بصفة خاصة لاجراء الحسابات (اللازمة لهذه العملية) اذ يلزم جهد وعناية ووقت رجل او اكثر متمرسين لحساب مبلغ ولو كان ضئيل الأهمية ،بسبب كثرة اقتسام وتفريعات النقود .

٢٧ — ص ٢٦ ، الهامش رقم ٢٤ : **فى كتابه المسمى المسالك .**

والمسالك بالعربية تعنى الطرق ، وهذا العنوان شائع ومشترك فى كثير من الأوصاف (او المؤلفات) الجغرافية .

٢٨ — ص ٣٠ ، الهامش رقم ٢٥ : **اغا الشرطة .**

ويطلقون عليه فى العربية اسم **المحتسب** من الأصل حسب اى عد او اجرى الحساب (انظر الهامش رقم ٩٧ من ترجمة المسيو دى ساسى لمقالة النقود للمقريزى) ، واغا كلمة تركية تعنى الضابط الآمر (القومندان)

٢٩ — شرحه ، الفقرة ٢ : **ويذهب الاغا الى الأسواق والميادين العامة والأسواق العمومية (بازار) .**

وكلمة بازار كلمة فارسية ، وهذه الأسواق العمومية المسماة بازار مسقوفة ومقفولة على نحو قريب الشبه بمثيلاتها فى فرنسا والتى تقام داخل ابنية او اسوار وتحيط بها امكان العرض المغطاة والمحال .

٣٠ — شرحه ، الفقرة ٤ : **أما هذه العقوبة فعبارة عن ضربات بالكرباج .**

وتعنى هذه الكلمة (كرباج) الشىءالمبرم (بتشديدالراء) او المفتول، اذ تصنع الكرابيج عادة من جلد الثيران المفتول ، ومن شىء يشبه القضيب او العصا يماثل سوط السايس عندنا ، او بتعبير اكثر دقة ، يماثل ماتسميه نحن عصب العجل ، وتجلب القوافل بعضا منه يصنع من سيور من جلد الفيل او الكركدن ، ويسميه اهل البلاد عصب او قضيب الفيل ، وهو تعبير قريب من التعبير الذى نستخدمه نحن .

٣١ — شرحه ، الفقرة ٥ : **ويمسكون بساقيه بواسطة نوع من النير الخشبى (الفلقة) .**

فحيث ان كل الوسائل التى يستخدمها العرب لايقاع العقاب (بالمذنبين) بالغة البساطة ، فانهم يستخدمون للامساك بقدمى الشخص

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعـــاقب ((بفتح القاف) بضربات الكرباج ، مايشبه قوسا مصنوعا من الحبال ، وفرعا من فروع نخلة (جريدة) ثقب من عند طرفيه ، ويضمون اسفل الساقين بالحبال ، ويقوم اثنـــان من الرجال برفع قدمى المـــذنب سامين كل منهما الى الاخرى ، ممسكين ، كل منهما ، بأحد طرفى القوس.

٣٢ — ص ٣٦ ، السطر ٨ : **تالارى (أو : تالر) .**

بخصوص هذه العملة النقدية ، انظر دراستنا عن النقود فى مصر (الدراسة الثانية فى هذا المجلد) .

ملاحظة : عند رسم الكلمات العربية بحروف فرنسية اتبعنا فى المتن وفى غالبية الهوامش والملاحظـــات والتعليمات التى اشارت بها وتبنتها شعبة العلوم والفنون فى مصر ، اما فى الهوامش التى ليست سوى استشهادات (منقولة) ، فقد كان علينا أن نحتفظ بنمطها الاملائى نفسه التى استخدمه المسيو سلفستر دى ساسى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكتاب الثانى

النقود العربية

تأليف : صاموييل برنارد

« العنوان الأصلى للدراسة : « بحث حول النقود المتداولة فى مصر » وقد جاء بالهامش أنها قد نشرت عام ١٨٢١ » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمة

هدف وجدوى البحث فى موضوع النقود العربية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على الرغم من انه ينظر الى النقود عادة باعتبارها مجرد عملات متداولة ، فانها تعد فى حقيقة الأمر مؤسسات تاريخية ، تقوم بتعريفنا، بشكل تتفاوت درجات دقته ، وبالتاريخ للوقائع والأحداث ، وبعهود الحكام واسمائهم والقابهم ، وكذلك بمدى التقدم او التدهور المتتابعين فى ميدان الفنون والصناعات . ومن الواضح ان هذا النوع من المؤسسات ، عند العرب ، يحتم عليها القيام بدراسة مثابرة ومتعمقة بنفس القدر الذى تقل به معرفتنا بتاريخهم ، برغم الأهمية التى يستحقونها بسبب طول سطوتهم، وبقدر ماتكشف مثل هذه المنشئات عن الكثير من تطورات الأحداث ، بقدر مانجدهم محرومين كلية او بشكل جزئى من المصادر نفسها التى تقدم للأوربيين كى تتصل وتستمر ذكريات العصور الغابرة ، فنون النحت والرسم والجماعات العلمية ، والوثائق (الأرشيف) وبصفة خاصة ، المطبعة والمكتبات .

اما اذا نظرنا للأمر فى اطار النظم المالية والتجارية ، فان من الأمور الاساسية فى الوقوف على تعداد اى شعب ، الالمام بنظام النقود السائد عنده ، والالمام كذلك بالقيمة الحقيقية والاسمية لهذه النقود ، وعلاقة كل ذلك بقيم النقود لدى الأمم الأخرى ، وكذلك الالمام بكمية النقود المطروحة للتداول عند هذا الشعب الخ . وكلما زادت التغيرات التى تتناول النقود، كلما زادت ضرورة الحصول عليها وفحصها ، حتى يمكن الوقوف على الاثار (المؤلفات) والكتابات التى اتخذت من النقود موضوعا لها ، ولكى نتمكن بقدر الامكان من الحصول على افكار دقيقة عن القيم المختلفة التى تشير اليها التسميات نفسها التى تطلق عليها ، او التسميات المتنوعة التى يمكن ان تتجاوب او ترتبط بنفس هذه القيم .

ان الفنون والاساليب المتبعة عند شعب ، تتعارض لهذه الدرجة تقاليده وعاداته وافكاره مع عاداتنا وافكارنا لن يفوتها بالقطع ان تثير فضولنا ، ولقد لمس هذه الحقيقة على نحو جاد واحد من رجالنا بالغ الثقافة واسع المعرفة ، كان يعد من بين المتبحرين فى كل الفنون والذى قدم لكل ضرورة الفن خدمات جليلة ، وان كان موت ميتسر ارعن قد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انتزعه منا (١) ، حين كان موكلا بالاشراف على تنفيذ الرســـوم والبيانات الخاصة برحلتنا (حملتنا) الى مصر ، ولقد بلغ اهتمامه بهذا الامر حد انه سجل فى سلسلة من اللوحات النابضة بالحياة جزءا من الفنون والصناعات عند المصريين ، ومع ذلك ، فقليل من الفنون لها الأهمية نفسها التى لفن النقود ، تتطلب اهتماما مماثلا بالاهتمام الذى استحوذت عليه فنون اخرى ، ويمكنها أن تقدم فكرة اكثر دقة عن مدى التطور الصناعى والحضارى الذى بلغته أمة من الامم .

موضـــوع واقسام هذه الدراسة

كنا قد انتوينا منذ البداية أن نعرف بكل النقود العربيـــة التى قـــد نتعرف عليها باعتبارها قد ضربت فى مصر منذ بسط الخلفاء (المسلمون) سيطرتهم عليها وحتى اليوم ، ومع ذلك ، فحيث قد انشغل المسيو مارسيل Marcel بصفة خاصة بموضوع المنشئات والنقوش الكوفية والمسكوكات العربية ، وحيث قد امكنه ان يجمع عددا كبيرا من هـــذه المسكوكات التى تتفاوت فى درجة اثارتها للاهتمام ، فقد وجدت أن من دواعى سرورى أن اعطيه تلك التى امكننى ان احوزه منها ، تاركا له مهمة أن يعالج كل ما له صلة بالمسكوكات التى قد تعد ، بصفة عامة ، تاريخية ، كى أتفرغ بشكل اكثر خصوصية للتصدى لكل ما يتصل بفن صناعة النقود .

وسنتناول فى الباب الأول النقود العربية والأجنبية ، التى صنعت أو التى يجرى تداولها فى مصر ، كما سنتناول كل ما له صلة بشكل ونمط وقيمة نقود هذه البلاد ، وكذلك التغييرات التى اصـــابتها بدءا من عصر الخلفاء حتى أيامنا هذه .

اما فى الباب الثـــانى ، فسنتصـــدى للنظام النقدى الحالى عنـــد المصريين كما وجده الفرنسيين مستقرا فى مصر ، وكما ســـيظل مستمرا بالتأكيد مع تعديلات طفيفـــة فى ظل حكومة البكوات والبـــاشوات ، كما

(١) توفى المسيو كونتيه Conté رئيس زمرة قادة الناطيد وعضو المجمع العلمى المصرى ، ومدير اكاديمية الفنون والصناعات فى باريس فى السابع من ديسمبر عام ١٨٠٥ .

سنشير الى كل مايتصل بسعر الذهب والفضة ونفقات صنع النقود،وكذا الأساليب المتبعة فى القاهرة لهذا الغرض ؛ واخيرا اى فى الباب الثالث سنتعرض لما له صلة بادارة النقود .

واذا كانت التفاصيل التى سيضمها هذان البابان الأخيران تبسترعيان قدرا اقل من الانتباه عما لو كانت ستفعله لو كان الأمر يتصل بشعوب قديمة ، فان هذه التفاصيل ، مع ذلك ، لاتبدو فى نظرنا اقل نفعا فى تجميعها . وتبعا لذلك . فاننا بتلمسنا الحالة الراهنة للعملات المصرية ، نتفادى أو ندحض الكثير من الاخطاء والكثير من المعلومات غير الدقيقة . واذا حدث ان كان البعض قد دونوا فيما مضى ، فى بعض المؤلفات او المخطوطات ، مختلف الانظمة النقدية التى ادخلت الى الشرق عصرا فى اثر عصر ، كما تناولوا معطيات مفصلة على هذا النحو واكيدة الى هذا الحد، فقد لايكون قد بقى بعد ذلك ، فيما يتصل بعلم المسكوكات العربية ، اى اثر من غموض .

وبرغم ان اهتمامنا قد اقتصر على النقود المصرية ، فان جزءا مما قلناه يمكنه أن ينطبق بشكل عام على كل العملات الاسلامية ، كما انه يلقى الضوء على فن سك النقود فى الامبراطورية العثمانية (١) ، وكذلك عند الشعوب الشرقية على وجه العموم ، مما قد يعطى لهذا الموضوع بعض اهمية لو أن قد اتيح له ان يعالج بيد اكثر دربة .

وفى الوقت نفسه فانه لم يفتنا أن نعرف بالعادات الخاصة باهل البلاد ، عندما نجد لهذه بعض صلة بموضوعنا ، وان كنا لم نفعل ذلك كى نجعل من دراستنا هذه اقل جفافا ، بقدر ما كنا نفعله كى نحقق واحدة من الغايات الرئيسية التى نذر انفسهم لها اعضاء شعبة العلوم والفنون فى مصر ، وهى تقديم فكرة دقيقة عن تقاليد وعادات المصريين .

---

(١) اتخذت هذه الامبراطورية اسمها من الأمير عثمان مؤسسها ، والذى يعود عهده الى العام ٧٠٠ من الهجرة (١٣٠١ من تقويمنا) ومن هنا ايضا جاءت كلمة العثمانلى التى يشار بها الى رعايا السلطان او الى الباب العالى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مؤلفون آخرون ممن كتبوا
عن النقود العربيـــة

لعب العرب فى عصر الخلفاء دورا بارزا وساطعا فى التاريخ ، فقد اخضعوا بسلاحهم جزءا كبيرا من العالم ، كما نجحوا فى استزراع الفنون والعلوم ، ولا يزال كثير من مؤلفيهم يحتفظون بيننا بشهرة كبيرة ، وقليلة هى مسائل وقضايا التشريع والاخلاق والسياسة ، التى لم يعالجوها ، ولقد اورثوا هذا التذوق للعلوم الى حفدتهم ، وبشكل خاص الى كتـــاب مصر ، ومع ذلك فحيث بدا التعليم والحضارة منذ الوقت يسقط فى هوة التـــدهور ، فان نتـــاج مؤلفيهم المحدثين لم يعد فى غالبيته سوى مجرد انتحالات او اقتباسـات أو تعليقات أو شروح على المؤلفات القديمة .

وللعرب بخصوص النقود والموازين والمكاييل مؤلفات قديمة وحديثة ، واشهر هذه المؤلفات مؤلف المقريزى (١) ، وهو كاتب يحظى بالاحترام ، الف فى موضوعات عديدة تتصل بالادارة والحكومة والتاريخ ، وقـــد قدم ترجمة لها المسيو سيلفستر دىساسى Silvestre de Sacy ، وهو الشهير بتبحره فى اللغات الشرقية (٢) .

ويبدا هذا المؤلف ، كما تبدا كل المؤلفات العربية بالابتهـــال « بسم الله الرحمن الرحيم » ، وهذه الصيغة المقدسة تجنب المؤلف مشقة العثور على نقطة بدء ، فبها تبدا مؤلفـــات العـــرب فى العلوم والآداب ، وكذلك مؤلفاتهم فى الأخلاق والدين ، كما يضعونها فى بداية الـــكتب التى تتناول الفكر المجرد بل يضعونها كذلك فى صدارة كتابات بالغة التفاهة او بادية البطلان ، واحيانا شديدة الفجور والبذاءة .

---

(١) بخصوص اسم ومؤلفات هـــذا المؤلف انظر المسيو مارسيل عن مقياس جزيرة الروضة ، اما فيما يتصل بهجاء الأسماء العربية ، فانظر الهامش الموجود فى نهاية دراستنا الموجزة عن الموازين العربية (الدراسة السابقة من هذا الـــكتاب) (*)

(٢) Traité des Monnaies Musulmanes, traduit de l'arabe, de Makrizi par A. I. Silvestre de Sacy (à Paris, Chez Fuchs, rue des Mathurins, 1797).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد ذلك تقابلنا فترة من القرآن (١) ، تتصل بموضوع الكتاب مباشرة أو بشكل بعيد ، وغالبا ماتكون بعيدة عن موضوع الكتاب : وبعد هذا، لايفوت المؤلف ان يعود بالعلم الذى يؤلف فيه حتى عهد آدم (٢) .

ويشغف العرب على الدوام بالاشتقاقات اللفظية ، وبالأقوال المأثورة والحكايات .

وبالرغم من كون مقالة المقريزى لا يمكن أن تتسم بالكمال ، وبرغم قلة العناية التى بذلها المؤلف عند تمييز النقود والموازين فى مختلف البلدان التى خضعت للمسلمين ، وهو أمر يضفى على دراسته بعض من غموض، فان دراسته هذه ، تضم مع ذلك ، وقائع مهمة كثيرة ، ذات صلة بفن صنع النقود عند العرب .

وقد رجعنا — فى دراستنا هذه — كذلك الى مؤلف المسيو تيخسين Tychsen عن فن النقود الاسلامية ، وهو مؤلف سيجنى منه كل أولئك الذين يرغبون فى التعمق فى دراسة النقود العربية فوائد مثمرة ، فقد قدم جدولا بالمؤلفين الذين كتبوا عن النقود الكوفية والعربية ، بالاضافة الى تقديمه لمجموعات أساسية للمسكوكات العربية التى تعرف عليها فى أوربا .

وكمقدمة لدراستنا هذه عن النقود ، جاءت دراستنا الموجزة عن الأوزان العربية فى الماضى والحاضر ، كما سنقدم هنا لوحة تشتمل على عملات القاهرة التىأشرنا برسمها والتى وردذكرها فى ثنايا هذه الدراسة، مع جدول يوضح علاقة أو نسبة قيمة هذه النقود الى قيمة نقود أخرى كثيرة تتداول فىمصر والقسطنطينية ، كما يشيرهذا الجدول الىالتغييرات التى طرات على هذه النقود وتناولت وزنها وتسميتها وعيارها وكذلك قيمتيها الاسمية والحقيقية الخ .

---

(١) القرآن ومعناه القراءة ، وهو اشتقاق من الفعل قرأ .

(٢) يقرر ابو بكر بن ابى شيبه فى مؤلفه « المصنف » ان اصل النقود يعود الى آدم الذى ضرب دنانير ودراهما ، وانه بدون هذين النوعين من العملات لا يمكن للمرء ان يتمتع بالتوافق مع الحياة (انظر مقالة المقريزى عن النقود ، ترجمة سيلفستر دى ساسى) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الأول

عن النقود العربية والأجنبية المتداولة أو المصنوعة فى مصر ابتداء من عصر الخلفاء حتى اليوم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الاول

اسماء وانواع العمـــلات المختلفة

اولا : النقود الذهبيــــة

ينظر الى الذهب عادة باعتباره معدنا نفيسا (*) اما الذهب الذى تحول الى نقد ، او العملة المصنوعة من الذهب ، فتسمى ، دون ان يوضع فى الاعتبار حالتها هذه ، عينا (عين) (١) ، اما النقود الذهبية المسكوكة او قطع الذهب « المنقودة » سواء صنعت فى داخل البلاد او كانت قادمة من الخارج ، فكانت تسمى فى الماضى دينارا (٢) .

ويورد المقريزى فى مقالته عن النقود قولا مأثورا قرر الرسول (ص) بموجبه انه قد ترك لكل بلد مكاييله ونقوده وانه قد ترك لمصر اردبها (٣) ودينـــارها .

وفى العام العشرين من الهجرة (٦٤١ من تقويمنا) ، فرض عمرو ابن العاص الموفد من قبل عمر (بن الخطاب) ، بعد ان اتم فتح مصر ، على الأقباط ان يسددوا الجزية بالدنانير .

ومنذ عهود الوثنية ، حتى استقرار الاسلام (٥) ، حتى غزو التركمان

(*) هنا تصرف طفيف فى الترجمة املته ضرورة النص (المترجم) .

(١) تعنى هذه الكلمة : عين ، النقود الذهبية وكذلك النقود الفضية .

(٢) انظر اسم وقيمة الدينار المستخدم كمثقال فى دراستنا عن الأوزان العربية (الـــكتاب الأول من هذا المجلد) .

(٣) الأردب مكيال سعة يستخدم فى كيل الحبـــوب اساسا ، ولا يزال اسمه واستعماله شائعين فى مصر ، والأردب كلمة مصرية ، انظر عبد اللطيف ، ص ١٥٠ .

(٤) دخل عمرو بن العاص مصر فى العـــام التاسع عشر من الهجرة (٦٤٠ من تقويمنا) .

(٥) الاسلام هو دين محمد ، وهو مشتق من الكلمة العربية ســـلام واصلها السلام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بقيادة صلاح الدين ، كانت العملات الوحيدة المتداولة بصفة مشروعة أو قانونية ، طبقا لقول المقريزى ، هى العملات الذهبية ، فكانت هى وحدها التى تستخدم فى تقدير اجور الأيدى العاملة واثمان السلع ، وحساب عوائد الدولة والضرائب .

ولسوف يتبدى لنا هذا الزعم اقل غرابة واكثر احتمالا ، برغم ماهو باد من تعارض استخدام الذهب مع استخدام اكثر شيوعا عند مختلف امم الأرض ، اذ يتم تقييم كل شيء عن طريق الفضة ، حين نسترعى الانتباه الى أن النقود الذهبية قد كانت ، منذ البداية ، ضئيلة الوزن ، وفوق ذلك ، منخفضة العيار ، والى أن تفريعاتها كانت بالغة الصغر حتى تكاد تقترب فى قيمتها من النقود الفضية التى تستخدمها الأمم الأخرى ، كما سوف نرى عند تعرضنا لمسالة الوزن .

ويبدو مؤكدا ، حتى قبل استقرار الاسلام بمصر بوقت طويل ، ان كانت تصنع بها دنانير ، أو على الاقل ، ان كثيرا من النقود الذهبية كانت تتداول فيها ، وهو امر كان شائع الحدوث فى الجزء الأكبر من الشرق .

كانت ترد الى مصر تلك الدنانير او النقود الذهبية التى كان يضربها الأروام ، وينبغى أن نفهم من هذا اللفظ ، على النحو الذى يشير اليهم به المقريزى ، الامبراطورية الرومانية (الشرقية) التى تحولت الى القسطنطينية (٦) ، والتى نطلق عليها نحن اسم الامبراطورية الواطئة

---

(٦) هى بيزنطة القديمة ، تسمت باسم القسطنطينية **Constantinople** اى مدينة قسطنطين ، وهو اسم امبراطور كان يحمل هذا الاسم ، هو الذى جعل منها عاصمة للامبراطورية الشرقية ، ويطلق عليها العرب كذلك اسم القسطنطينية او قسطنطينة ، ويشار اليها فوق العملات النقدية فى بعض الأحيان بهذا الاسم ، وفى احيان أخرى باسم اسلام بول اى مدينة الاسلام ، فالمقطع الأخير boul أو poul يعنى فى اللغة اليونانية مدينة ، ولكن النطق الشائع لها هو استامبول وهو ما اخذنا به **Stamboul** ، ومع ذلك ، فاذا شئنا تنميق الكلمات ، او اللعب بالالفاظ او قصدنا اسلوبا متكلفا ، فبامكاننا تحريف معنى اسمها الى مدينة السلام ، اذا ما اردنا ان نشتق المقطع الاخير من اسمها ، بول ، من اللغة التركية ، وهذا امر اكثر طبيعية ، وهو يعنى الامتلاء او الوفرة ، بدلا من اشتقاق المقطع ذاته من كلمة بوليس **Pols** اليونانية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

le Bas-Empire ، ولا يزال اهل مصر حتى يومنا هذا يطلقون على ابناء هذه المنطقة اسم الأروام اى الرومان . وطبقا لشهادة عديد من المؤلفين العرب ، فقد كانت النقود الذهبية القديمة ؛ الآتية من القسطنطينية تسمى هرقلة ، وهو اسم تسرب اليهم من اسم الامبراطور هرقل Heraclius (٧) .

اما النقود الذهبية لمختلف الشعوب التى كانت تمارس التجارة مع مصر ، فكانت تتداول فى هذه البلاد على نطاق يتفاوت ضيقا أو اتساعا ، تبعا لدرجة نشاط تجارة هذه الشعوب معها ، وكذلك ، وبشكل خاص ، طبقا لما ان كانت نقود هذه الأمم ذات عيار اكثر (او اقل) ارتفاعا .

اما العلاقات التى كانت يمكنها ان تقوم بين مصر وبين المدينةالمركزية او مقر الحكومة ، وهى القسطنطينية (او استامبول) اليوم . فلابد انها كانت تؤدى الى ان تصب فى مصر بعض نقود هذه العاصمة والعواصم الاخرى .

وحيث ظلت جنوة والبندقية تستحوزان لفترة طويلة على تجارةبالغة الاتساع مع امم الشرق ، فقد تدوولت فى مصر منذ فترة بالغة القدم سكينات (سكين Séquin) جنوة ، وسكينات البندقية بشكل خاص ، وهذه وتلك مصنوعة من ذهب بالغ النقاء ، ولا يزال الطلب يشتد علىهذه النقود حتى اليوم ، وقبل وصول الفرنسيين ، كانت هذه العملات الذهبية تبتاع بسعر غال ، وكان كل المماليك ، الذين يجردهم جنودنا (من ملابسهم بعد مصرعهم) فى ميدان المعارك ، يحملون معهم جميعا منها كميات كبيرة يتفاوت حجم ضخامتها (من مملوك لآخر) .

وكانت نقود اوربا الذهبية تسمى فى مصر افرنتى (٨) ، وهذه الكلمة

---

(٧) ارتقى هرقل العرش فى العام ٦١٠ من التقويم الميلادى (العام الحادى عشر قبل الهجرة) ومات فى العام ٦٤١م (وهو العام الحادى والعشرين من التقويم الهجرى) ، وفى نهاية عهده انتزعت منه مصر على يد عمر (اى عمرو ، الا اذا كان يقصد ان ذلك قد تم فى عهد الخليفة عمر رضى الله عنه) .

(٨) الفرنتى (بفتحة على كل من الالف واللام) ، وانكانت كلمة Francs اليوم تلفظ فى مصر افرنجى (بالجيم غير المعطشة) [والترجمة بتصرف يتفق مع مقتضيات النص العربى] .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مشتقة من فرانك Franc (او افرنج) وهو الاسم الذي يخلعه اهالي البلاد عادة على الاوربيين .

وتعود كلمة افرنج Franc هذه الى زمن الحروب الصليبية ، ذلك ان الفرنسيين هم الذين لعبوا الدور الرئيسى فى هذه الحروب الدينية ، ولأن مليكهم لويس قد هاجم مصر ، وتلك هى جهالة المصريين المحدثين بالجغرافيا ، تلك التى تحدو بهم لان يظنوا كل مسيحيى اوربا ، — فى عرفهم — فرنجة (اى فرنسيين) ، والتى تجعلهم لايعرفون من فرنسا الا مدينة مارسيليا .

اما قطع النقود الذهبية ، وكذلك الفضية ، والتى تعود الى زمن اكثر قدما ، والتى صنعت فى شكل جميل ، ومن معدن اكثر نقاء ، والتى ليست بالوفرة الكافية لحد يبيح تداولها كعملات ، فيجد الطلب عليها لكى تستخدم حلية للاطفال والنسوة ، فليست زينة الرءوس فى معظم الاحيان شيئا آخر سوى قطع من النقود يتفاوت قدمها ، زودت بحلقة صغيرة تعلق عن طريقها ، او كانت ببساطة تثقب ثقبا او ثقبين (٩) لكى يمكنها ان تعلق بعمامة الراس (١٠) .

ومن عادة كل النسوة أن يفرقن شعورهن فى عدد كبير من الضفائر الصغيرة تجدل مع شرائط من الحرير من اللون نفسه ، وبالطريقة نفسها التى جدل بها الشعر ، وفى هذه الجدائل التى تتدلى من الراس حتى الحزام ، تضفر الماسات والجوهرات والحلى الذهبية او الفضية فى بعض الأحيان ، ونجد من بينها بصفة خاصة قطع النقود الذهبية التى ترجع الى تواريخ متفاوتة القدم ، كما يتفاوت عياراتها العالية دوما ، بشكل تكون معه هذه الحلى النسائية بمثابة خزائن لمسكوكات حقيقية ، حتى انه يصبح

---

(٩) انظر القطع المرسومة فى اللوحة الملحقة بهذه الدراسة والتى تحمل الأرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١٢ .

(١٠) تكتفى النساء الفقيرات بنوع من المسبحة او الشريط المزخرف يعقد اسفل العمامة ، تعلق به قطع المدينى ، وتسمى عمامة المراة بالعربية طربوش ، وهى كلمة يحتمل انها جاءت من الكلمة العربية طرة (بشدة على الراء المفتوحة) وتعنى خصلة او ناصية ، ثم من الفارسية بوش وتعنى ملبس ، اى ان الطربوش هو العمامة التى تغطى قمة الراس .

بامكان هواة التحف والآثار القديمة ان يعثروا داخل معـاقل الحريم (١١) والسرايات (١٢) على عملات نقدية بالغة الاثارة والندرة .

وقد واصل الأمراء الأول (١٣) الذين وكل اليهم الخلفاء حكم مصر وكذلك الخلفاء انفسهم الذين قدموا اليها ليتخذوا منها مقرا لخلافتهم ، أو اولئك الذين استطاعوا الاستيلاء على الحكم ، واصل كل هؤلاء ضرب العملات النقدية المستخدمة فيالبلاد بالأوزان نفسها والعيار ذاته ، وكذلك على النمط الذى كان معتادا ، ثم بعد ذلك ، قللوا من ثم في عيارها أو ادخلوا على انماطها تغييرات مختلفة .

وعندما كانت تبلغ هذه التغييرات حدا يمكن معه اعتبار هذه النقود اصدارا جديدا أو عملات من نوع مخالف ، كان يشار اليها عادة — حتى يمكن تمييزها عن ضروب النقد التى سبقتها — باسم الأمير او من ينوب عنه .

وهكذا ، ففى العام ٢٥٤ من الهجرة (٨٦٨ من تقويمنا) ، أمر الامير ابو العباس احمد بن طولون ، الذى كان قد عين حاكما على مصر من قبل الخليفة المتوكل على الله ، والذى استقل بعد ذلك بمصر وتلقب بلقب السلطان — امر عندئذ بضرب دنانير سميت بالدينار الاحمدى ، اى سميت باسمه .

وفى نحو العام ٣٨٥ من الهجرة (٩٦٩ من التقويم الميلادى) أمر القائد ابو الحسن جوهر (١٤) بصنع دنانير سميت بالدينار المعزى ، على اسم الخليفة المعز (١٥) (لدين الله الفاطمى) .

وفى عهد الناصر فرج (١٦) (ابن السلطان برقوق) أول المماليك

---

(١١) تعنى كلمة حريم فيالعربية المكان المحرم ، اىالممنوع ، والاصل حرم اى منع .

(١٢) السراية كلمة محرفة عنالتركيةسراىومعناها القصر (والترجمة بتصرف طفيف املته مقتضيات النقل الى العربية) .

(١٣) تعنى كلمة الامير فى العربية الأمير او الحاكم .

(١٤) واسمه بالكامل ابو الحسن جوهر الخطيب الصقلى .

(١٥) وهى الكنية التى كنى بها الخليفة ابو تميم معد .

(١٦) وقد بدأ عهده فى العام ٨٠١ من الهجرة (١٣٩٩ من التقويم المسيحى) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشراكسة (أو الشركسية) والذى ارتقى العرش من جديد فى عام ٨٠٨ من الهجرة (١٤٠٥ ميلادية) تم تحريف عيار الدنانير وتطرق الى صنعها اهمال بالغ ، وكانت هذه الدنانير تسمى بالناصرى باسم كنيته الناصر ، وهى كلمة تعنى المنتصر .

وهناك احتمال كبير ان كانت تصنع فيما سلف انصاف دنانير وأرباع دنانير برغم ان المؤلفين الذين رجعنا اليهم لم يشيروا الى ذلك ، فلم يتحدث المقريزى مثلا عن صنع ارباع الدنانير الا عند تناوله لقطع النقد الذهبية التذكارية اى التى كانت تسك فى المناسبات .

اما احدث العملات النقدية الذهبية ، اى تلك التى حلت مع الايام محل الدنانير فهى الفندقلى او السكين Séquins ، وان كنا لم نتأكد ان قطع الفندقلى (١٧) هذه هى التى امر بسكها قبل غيرها فى مصر . ومع ذلك فقد توقف صنعها منذ نهاية عهد عبد الحميد .

وحيث كانت هذه القطع النقدية تتداول فى القسطنطينية ، فان من المحتمل أن تعود نشأته الى هـــذه العـــاصمة ، ويحتمل كذلك ان يكون الهــدف من اصدارها ، مع تقريبه من عيار الدينار القديم (١٨) ، هو ان توضع فى التداول قطع من النقود ذات قيمة اعلى من السكين البندقى الذى كان بمرور الزمن قـــد حل محل الدنانير ، ومع ذلك فمنذ ذلك الوقت بدأ ينقص وزنه وعياره .

كذلك كانت تصنع فى مصر انصـــاف دنانير تشبه الفندقلى فى كل شىء ، عدا أن سطحها كان اقل اتساعا ، وان حروف نقوشها كانت ارفع ، وعدا أن وزنها كان يبلغ اقل من نصف وزن الفندقلى .

ولسنا نجزم بانه كانت تصنع بشكل معتاد ارباع الفنـــدقلى ، اللهم الا اذا كانت مجرد قطع الزينة او كانت تسك بقصد تقديمها كهـــدايا او

---

(١٧) بالعربية فندقى (بندقى) وفيما مضى كانت عملات البندقيـــة الذهبية Séquins ، ولا يزال الأمر كذلك حتى اليوم ، تسمى بندوقى او بندقى ، وهى كلمة وافدة من اللغة الاجنبية . اما كلمة فندقلى ، فهى كلمة محرفة عن الكلمة التركية ونديكلى (فنديقلى) بمعنى فنـــدقى (نسبة الى البندقية) ، ويشار اليوم الى البندقية فى مصر باسم بندق .

(١٨) او بالأحرى شكل وعيار السكين Séequin البندقى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

باعتبارها عملة تذكارية (او استهلالية اى تضرب فى غرة الاعوام الهجرية) .

ولا تستخدم كلمة سكين Séquin ، وهى بالايطالية زتشينو Zecchino ، للاشارة الى النقود الذهبية التى تطلق عليها ، الا بواسطة التجار الاوربيين وتراجمة البلاد ، هؤلاء الذين يستخدمون لهجة ماخوذة عن الايطالية والفرنسية محرفتين ، تعرف باللغة الافرنجية (او الافرنكية) .

اما العملة الذهبية المحلية فيطلق عليها اسم زر محبوب (٢٠) ، ويقتصر عادة عند الاشارة اليها على كلمة : محبوب .

وهذا السكين او الزرمحبوب هو عملة ذهبية يختلف وزنها وعيارها وقيمتها وقطعها عن الفندقلى الذى اشرنا للتو اليه ، وتوجد هاتان العملتان كذلك معا متنافستين فى القسطنطينية .

ولسنا نعرف — كذلك — على وجه الدقة من هو اول حاكم امر بضرب هذه العملة ، وفى نفس الوقت فاننا نعتقد ان هذه العملة سابقة على الفندقلى ، وانها تدوير او تحريف للدينار القديم .

كذلك ، يجرى تداول نوعين من العملات الذهبية ، يكادان لايختلفان الا فى القطع (بفتحة على القاف وتسكين الطاء) ، اما اولهما فلهوجهان تغطيهما نقوش متشابهة مرتبة على وجه التقريب فى العدد نفسه من السطور ، وعلى الوجه ا نجد اسم السلطان بكامل حروفه فى حين يحمل النوع الثانى على الوجه نفسه تاشير او طغراء السلطان ، أما الوجه ب فهو نفسه فى كلا الضربين من العملة .

---

(١٩) تقترب الكلمتان Sequin و Zecchino كثيرا من الكلمتين العربيتين سكه (بكسرة فشدة مفتوحة) وسكة (بفتحة اولا) من الاصل سك (اى ضرب النقود) وتعنى الكلمة الثانية مسمار اما الاولى فتعنى « الكليشية » التى تضرب او تدمغ به النقود وان كان يشار بها كذلك الى عملية الدمغ او السك ذاتها .

(٢٠) ومعناها ذهب (او الذهب) المحبوب ، من الكلمة الفارسية زر ومعناها الذهب (وليس كما تقول بعض الاشتقاقات من زهر وتصغيرها زهير ومعناها الورود) ثم من كلمة محبوب بالعربية ومعناها العزيز او المعشوق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت تصنع فى مصر كذلك انصاف سكين (اى انصاف زرمحبوب) كان يطلق عليها على سبيل الاختصار اسم نصفية ومعناه النصف ، وايضا ارباع سكين تسمى ربعية بمعنى الربع ، وكان نمط هــذه القطع الأخيرة يتفاوت كما سنرى لأن حجمها كان اصغر من ان يحوى قدرا من النقوش يماثل مانجده على القطع الكاملة « الزرمحبوب) (٢١) .

لكننا لم نر مطلقا اية ربعية من النوع الأول من النوعين اللذين تحدثنا عنهما من قبل ، اى تلك التى لاتوجد بها تاشيرة او طغراء ، وأن كان ذلك لا ينفى امكانية وجودها بالفعل .

ثانيا : النقود الفضية والبرونزية

تقابل كلمة فضة بالعربية كلمة argent بالفرنسية .

وتطلق الكلمة فى العربية ، كما هو الحال فى الفرنسية ، على المعدن وعلى النقود التى تصنع من هذا المعدن .

ويشار الى هذه النقود نفسها بكلمة فلس (للمفرد) والى الجمع بكلمة فلوس (٢٢) ، وتعنى هذه الكلمة قشور السمك ،وتستعمل على نحو مجازى للدلالة على الشىء المستدير بالغ الرقة (ضئيل السمك) ، وكان يشار بها فيما مضى الى النقود النحاسية ، ثم اصبحت تطلق على النقود الفضية وحدها ، اى على قطع المدينى .

وكانت القطع الفضية التى سكت فى شكل نقود تسمى فيما مضى درهم والجمع دراهم ، وهو اسم كان يطلق كذلك على واحد من الأوزان كانت تساويه « أو تعادله) قطعة النقود هذه (٢٣) .

وحتى منتصف القرن الخامس الهجرى (القرن الحادى عشر من

(٢١) انظر اللوحات الملحقة بهذه الدراســـة ، القطعتـــان الذهبيتان رقما ٨ ، ١٠ .

(٢٢) لم تعد تستخدم هذه الــكلمة الا فى صيغة الجمع .

(٢٣) انظر دراستنا عن الأوزان العربية .

التقويم الميلادى) كانت النقود الذهبية ، كما سبق لنا القول ، هى العملة الوحيدة المشروعة او القانونية فى مصر ، ومنذ غزاها الغز او التركمان تحت قيادة صلاح الدين (٢٤) فى نحو العام ٥٦٧ من الهجرة (١١٧١ م) بدا يسمع فى مصر لأول مرة اسم درهم ، بمعنى انه منذ ذلك الوقت فى تقييم السلع وتقدير الضرائب .. الخ بالدراهم ، ذلك انه حتى من قبل مجىء الاسلام ، لم يكن يتداول الناس فى مصر دراهم اجنبية وحسب، بل كذلك دراهم من صنع محلى ، وهى التى استمرت تضرب فى عهد أوائل أمرائها (من العرب) دون ان يتناولها أى تغيير فى البداية ، ثم بعد ذلك، فى عهد خلفائها (الذين استقلوا بها) بقطع وأوزان وعيارات تختلف عن الدراهم القديمة .

وقد اتبعت اوربا فى بعض الأحيان عادة اطلاق اسم الحاكم على النقود المضروبة فى عهده ، فاطلقت اسماء كارلوس وفيليب ولوبس الخ، على عملات نقدية ضربت بأمر من هؤلاء الحكام على اختلافهم .

وكانت الدراهم فى مصر — كما سبق لنا أن لاحظنا بالنسبة للدنانير — تاخذ فى غالبية الأحيان اسم الأمير او الحاكم الذى أمر بضربها، مثال ذلك الدرهم الناصرى المضروب فى نحو العام ٥٨٣ هـ (١١٨٧م) والتى استمدت اسمها من اسم الناصر وهو الكنية التى كان يكنى بها السلطان صلاح الدين ، ثم الدرهم الكاملى الذى ضرب فى نحو العام ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) فى عهد الملك الكامل ناصر الدين ، والدرهم الظاهرى الذى تم ضربه فى نحو العام ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) فى عهد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (٢٥) ، ثم الدرهم المحمودى المضروب فى نحو العام ٧٨١ هـ (١٣٧٩ م) باسم الأمير محمود بن على ، واخيرا الدرهم المؤيدى المضروب فى نحو العام ٨١٨ هـ (١٤١٥ م) بأمر السلطان الملك المؤيد ابو نصر الشيخ المحمودى .

وكانت العملات الأجنبية الأكثر تداولا فى مصر عند بداية الهجرة

---

(٢٤) ولد صلاح الدين فى العام ٥٣٢ من الهجرة (١١٣٨ م) وتوفى فى العام ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) .

(٢٥) وكان يكنى بالبندقدارى .

تنقسم ألى نوعين من المسكوكات طبقا لما يورده المقريزى ، وكان النوع الأول يعرف باسم الدراهم السوداء وهذه ثقيلة الوزن ، وكانت تسمى كذلك البغلى (٢٦) ، أما النوع الثانى فكان يعرف باسم الدرهم الطبرى ، ولا يزيد وزن هذا الدرهم عن نصف وزن الدرهم عن نصف وزن الدرهم من النوع الأول .

وكانت الدراهم البغلى ترد من فارس ، ويذكر هايد Hyde فى تاريخه عن ديانة الفرس القدماء (٢٧) ان مدينتى اورمياه وشيراز قد بنيتا على يد رجل ثرى اسمه راس مجوس (٢٨) ، وقد اطلق عليه العامة الكنية راس البغل ومنها جاء اسم هذا النوع من العملات النقدية التى تسمى الدرهم البغلى ، وان كان المسيو دى ساسى لا يرى أن هذا الاشتقاق يقوم على أساس صحيح .

اما صفة اسود ، التى الصقت بالدراهم القديمة فقد جاءت دون شك من التعارض القائم بين اللون الذى اكتسبته هذه الدراهم مع مرور الزمن وبين المظهر اللامع او البراق للدراهم التى ضربت حديثا والتى كانت تتميز باسم الدراهم البيضاء . وليس هناك مجال للافتراض بأنه كانت هناك قط عادة عدم جلو النقود قبل سكها ، وان كانت ثمة ظروف كثيرة يمكنها أن تعطى لقاع النقود الفضية(*) هذا اللون الاسود (او المائل للسواد) مثل دفنها بالأرض او مثل تاثير النار والرطوبة وبصفة خاصة بخار الماء (٢٩) .

وتستعيد الحروف والنقاط البارزة ، عن طريق دعك خفيف ، رونقها

---

(٢٦) انظر دراستنا عن الأوزان العربية (الكتاب الأول من هذا المجلد) .

(٢٧) ص ١٠٤ ، ط ١٧٠٠ .

(٢٨) كلمة مجوس تعنى : عبدة النار .

(٢٩) وبشكل خاص الأبخرة التى تحتوى على الهيدرو سلفور او حمض الهيدروسلفور .

(*) المقصود بالقاع هناك الجزء غير البارز من السطح (اى الأرضية) فى حين ان النقوش والصورة او الطغراء الخ هى الجزء البارز (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المدنى مما يجعلها تتمايز بقوة ، حتى لتكاد تظنها منفصلة عن قاع العملة الذى يظل على سواده . .

ويرى المسيو تيخسين Tychsen أن الدراهم الطبرية تستمد اسمها من اسم مدينة طبرية (٣٠) ، أما لأن هذه العملات قد ضربت بالفعل فيها، واما لأن العرب كانوا يترددون كثيرا على هذه المدينة بسبب تجارتهم مع الرومان ، ومن هناك كانوا يحصلون على العملات التى ضربت على يد الأباطرة .

ويذكر المقريزى كذلك الدراهم المغربية والدراهم اليمنية (٣١) باعتبارها شائعة ومتداولة فى التجارة ، وكلمة المغرب تعنى الغروب ، وقد اطلقها العرب على كل بلدان أفريقيا التى نسميها نحن بلاد البربر ، وقد اطلقها على طرابلس وتونس والجزائر وفاس ومراكش .. الخ ، وان كان العرب يمتدون بها لتشمل فى الوقت نفسه اسبانيا وبقية البلدان التى فتحوها فى اوربا ، اما اليمن فقد أطلق على البلاد التى عرفت قديما باسم العربية السعيدة ، واما قطع النقود المعنية هنا فكانت تأتى فى الأساس من المدينة ومكة .. الخ .

وحين انتقل السلطان المؤيد من دمشق الى مصر ، حمل جيشه وكذلك كل من صحبوه كمية هائلة من الدراهم البندقية ، التى سميت بهذا الاسم لأنها كانت تأتى عن طريق التجارة مع البنادقة . وكذلك كمية كبيرة من الدراهم النوروزية التى سميت هكذا ، بلا جدال ، باسم الأمير نوروز الحافظى (٣٢) ، وقد تدوولت هذه العملات فى مجالات التجارة : واستقبلت

---

(٣٠) مدينة فى الجودية بناها هيرودوس اجريبا على شرف تيبيروس [أما تيبيروس فهو ثانى أباطرة الرومان وهو ابن ليفى وابن اغسطس بالتبنى ، وكان حاكما حذرا ومستنيرا ، ولكن طبيعته الشكاكة جعلته يرتكب ابشع ضروب القسوة . وقد ولد فى العام ٤٢ ق.م ومات فى العام ٣٧ بعد الميلاد — المترجم] .

(٣١) اذا كانت المغرب تعنى الغروب فان كلمة اليمن بدورها قد اشتقت من اليمين .

(٣٢) بدأ هذا الأمير يحكم دمشق عندما انتقل الملك المؤيد الى مصر ، ويطلق على الهدايا التى تقدم فى الأول من العام اسم هدايا نوروزية نسبة الى نوروز ، وهو اسم يعنى بالفارسية اليوم الجديد أو أول أيام السنة ، ويبدو ان النعت المصاحب للدراهم « دراهم نوروزى » قد اشتق من هذا المعنى ، فاذا صح ذلك فاننا نكون بصدد دراهم (أو عملات) تذكارية .

هذه النقود بترحاب كبير ، فقد مضى وقت طويل لم تصنع خلاله الدراهم فى مصر ، لدرجة لم تعد ترى معها سوى النقود النحاسية .

اما القرش الأسبانى ، فقد كان ، من بين كل العملات الحديثة القادمة من الخارج ، هو اكثر هذه العملات شيوعا واكثرها استخداما حتى مجىء الجيش الفرنسى الى مصر .

وكانت عملية تغيير او تحويل هذه العملة ، وهى اكثر وفرة من كل العملات — وقد ترتب على هذه الميزة ، بالاضافة الى وفرتها فى سوق العالم أنهم يكادون يحولون الى قروش كل الفضة التى يستخرجونها من هذه المناجم — تعود بربح وكسب يفوق مايحققه تحويل أو استبدال بقية العملات ، وقد ترتب على هذه الميزة ، بالاضافة الى وفرتها فى سوق التداول انها كانت أوسع العملات انتشارا فى كل تجارة العالم ، وانها اصبحت على نحو ما عملة تعاقد (اى تتم العقود على اساسها) ، فتستخدم من جهة ، وسيلة للتبادل مع غالبية الدول . وتغذى من جهة اخرى ليس فقط كل عملات الدول المختلفة على وجه التقريب وانما جزءا من حليها كذلك ، ولم يكن استخدامها فى مجال التجارة يقتصر على تسديد اثمان السلع ، بل كانت تشكل فى حد ذاتها تجارة هائلة غير مشروعة ، تشكل فى اغلب الاحيان جزءا من حمولات السفن والقوافل .

اما التالارى او التالر (٣٣) فهو عملة المانية يشار اليها باسم الرسدال risdale او الريال التعاقدى (الذى تعقد على اساسه الاتفاقيات) écu de convention ، وكانت تصنعه دول متعددة لتستخدمه وسيلة للتبادل التجارى مع مختلف الأمم ، وينطبق هذا بصفة خاصة على الرسدال النمساوى ، وكان التالر ، شانه شان القرش الاسبانى ، بالغ الانتشار فى مصر ، وقد بلغت القطعة النقدية ، فى التعريفة التى وضعتها لجنة

---

(٣٣) كلمة تالر أو تالرى Thalari مشتقة من الالمانية jeischsthaler والتى اخذنا عنها كلمة رسدال risdale ، أو بمعنى آخر كلمة تالر Thaler التى اضيف اليها فى اللغة الافرنكية المقطع الايطالى (وهو المد بالكسرة) وتشير هذه الكلمة Thaler فى بعض بلدان المانيا وبخاصة فى سكسونيا وهانوفر وبروسيا الى النقد الحسابى ، وتماثل كلمة écu او ريال عندنا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الفرنسيين والتجار الوطنيين ، سعر القرش نفســـه ، بل لقد كانت عمليات التحويل تتم لصـــالح التالر ، برغم أن القيمة الجوهرية او الفعلية لنقرش تزيد تشكل طفيف عنـــها فى التـــالر بسبب ارتفاع العيـــار فى القروش ، ولعل هذه الميزة لا تعود فقط الى طبيعـــة العلاقات التجارية، وانما تعود كذلك الى حقيقة ان وزن التالر كان اكبر (من وزن القرش) وربما ايضا الى حقيقة انه كان أكثر دقة فى صنعه .

ويطلق العرب على كل من القرش الاســـبانى والتالر الالمانى أسم الريال (ريال) ، ويميزون القرش الأســـبانى بتسمية خاصـــة به هى ابو مدفع ، بسبب صورة الملك الموجودة على احد وجهيه وصورةالعمودين الموجودين على الوجه الآخر ، اذ أخذ (٣٤) القوم أعمدة هيرقل هذه على انها مدافع ، أما التالر او التـــالرى فيشيرون اليه باسم ابو طـــاقة (أبو بوطاقة) وهى كلمة تعنى صاحب النافذة (٣٥) ، وجاءت هـــذه التسمية بسبب الصورة التى ترى على احد الوجهين ، وصورة الأسلحة المدلاة من عقاب مقسوم الى اربعة اقسام ، والموجودة على الوجه الاخر ، اذ يشبه هذا الشعار الموجود بوسط وجه القطعـــة النقـــدية بعض الشيء تلك النوافذ ذوات القضـــبان الحديدية الشائع استخدامها بالبلاد ، ومن كلمة بوطاقة هذه جاءت على سبيل التحريف كلمة pataque فى اللغة الافرنجية ثم انتقلت بدورهاالى اللغة العربية الدارجة « بطاقة » .

وقد بات قبول النقود الفضـــية كبيرة الوزن ، والتى انتهينـــا من الحديث عنها للتو ضرورة ملحة فى تجارة الجملة خصوصا بعد ان أصبح يصنع فى مصر قليل من العملات الذهبية . وكذلك حين لم تعد توجدهناك

---

(٣٤) ويحذف الألف احيانا لأنها اخذت على انها أداة ، ولفظت الكلمة بوطاقة putaque او بطاقة pataque مع تحويل الباء الثقيلة P فى بعض الاحيان الى باء خفيفة b كما يحدث مع كلمة باشا pacha و Bâcha

(٣٥) لكى ندرك ما ادى اليه هذا التشابه الغريب لابد ان نعرف أن نوافذ البيوت فى مصر مزودة بنوع من القضبان (او المشربيات) على هيئة شبكة مكونة من اجزاء بالغة الضآلة من الخشب المستدير ، مجمع بعضه الى بعض مما يشكل اشكالا متنوعة منها ، لها صلة برســـوم الدانتيل او بالاوراق المثقوبة اربعة ثقوب مسننة عندنا .

قط لا عملات فضـــية تقترب في قيمتها من النقود الذهبية ، ولا تلك العملات التي تكون واسطة بين النقود الذهبية والعملات الصغيرة .

وفى القسطنطينية ، حيث خامات الفضـــة اكثر وفرة بدون جدال ، وحيث التجارة اكثر نشاطا ، وحيث اساليب العمل فى دور سك النقود اكثر نضجا وتطورا ، تصنع قطع فضـــية منخفضـــة العيـــار من ذوات الـ ١٠٠ ، ٨٠ ، ٦٠ ، ٤٠ ، ٢٠ ، ١٠ بارات بل تصنع هناك كذلك قطع نقدية من ذوات الخمس بارات .

لـــكن مصر لم تأخذ على نحو ممتـــاد بهذه السلسلة من العملات التى تشكل نظاما نقديا كاملا من النقود الفضية او البرونزية والتى تنهض على تقسيمات السلم العشرى ، الذى تكون فيـــه البـــارة واحدة هى ادنى درجاته .

ويبدو ان المملوك على بك (٣٦) ، المكنى بالكبير ، والذى صنع لنفســه بشجاعته وجرءة مشروعاته اسما مدويا فى الشرق، بل وامكنه ان يسترعى انظـــار اوربا حينـــا من الدهر ، يبـــدو انه الوحيد الذى امر بضرب قطع نقـــدية من ذوات الاربعين والعشرين مدينى على غرار تلك التى تصنعها القسطنطينية ، بل يؤكد بعض كذلك انه قـــد امر بضرب قطع من ذوات الثمانين ومن ذوات المائة مدينى ، وان كنا لم نستطع الحصول على شيء منها ، ويمكن الافتراض على الاقل أن عددا قليلا من هـــذه العملات قـــد جرى تداوله .

وكان يطلق على هذه القطع اسم غروش (٣٧)، وكانت هذه مضروبة بسكة (بكسر السين وشدة مفتوحة على الكاف ومعنـــاها اداة السك) السلطان الحاكم او على الاقل كانت تحمل تأشيرة او طغراء هذا السلطان، وقـــد امرنا بتصـــوير قطعـــة من ذوات الأربعين مدينى ، ونجـــدها فى

---

(٣٦) تعنى كلمة Bey او Beyk بالتركية السيد او الشريف .

(٣٧) يظن المسيو دى ساسى ان هذه الكلمة قد جاءت من الالمـــانية ومعناها (اسم احد اجرام الوزن) ، وتحمل بقطع قطع النقد الالمانية على سبيل الاختصار اسم Groschen بحروف كبيرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللوحة المرفقــة برقم ١٦ ، واخرى من ذوات العشرين مدينى ونجدها فى نفس اللوحة برقم ١٨ . وعندما سنتناول بالحــديث العملات النمطية او المعيــارية وارقام او نقوش المسكوكات فسوف نشير الى الخصوصيات التى تميز نقود على بك .

وحيث اصــبحت خامات الفضــة بعد موت هــذا المملوك نادرة ، وحيث كان صنع الغروش يعود بنفع اقل مما يعود به صنع المدينى ، فقد توقف صنع القطع من ذوات الأربعين والعشرين مدينى ، ويبدو انه كان كافيا ان تحيق الهزيمة بعلى بك ، لكى تفقد النقود التى سكها كل ثقة وان تسحب من التداول او تلغى كنقود ، كما لو كان الأمر ضربا من التجديد .

ويذكر فولنى Volney فى تاريخه لعلى‌بك (٣٨) ان نقود هذا المملوك قــد فقدت ٢٠٪ من قيمتها اذ سرى زعم بانها كانت محملة لاكثر ممــا ينبغى بمعادن خليطة ، ويذكر كذلك ان واحدا من التجار قــد سرب منها الى مارسيليا عشرة آلاف قطعة فـــادت عند صـــهرها بربح كبير للحد الــكافى ، ولو لم تكن هذه العملات قــد فقدت اكثر من ٢٠٪ من قيمتها الاسمية لكان من المستحيل ان تحقق هذا الربح عند نقلها الى الخارج ، وان بعض النــاس قــد يرى فى المعلومات التى قدمها المسيو فولنى للتو عن عملات على بك ، ان الأمر هنــا يختص بالعمــلات الفضــية وليس بالعملات الذهبيــة ، فهــذه هى التى ينطبق عليها بصــفة تامة ما جاء فى هذه الفقرة السابقة .

وعقب ذلك اعدمت الماكينات التى كانت تستخدم فى صــنع غروش على بك ولم نعثر لها على اثر فى دور سك النقود القاهرة .

وقرب نهاية العام ١٧٩٨ (١٢١٣ من الهجرة) امر القائد العــام ان يعاد اصــدار القطع النقدية ذوات الأربعين والعشرين مدينى ، وكلفنــا بالعمل على اعادة بنــاء المصــانع والآلات اللازمة ، وقد استقبلت هذه القطع النقدية استقبالا طيبــا للغاية فى مجال التجارة ، كما ان صنعها سيظل امرا لا ينسى فى مصر ، مثلما كانت قروش على بك .

---

(٣٨) Voyage en Syrie et en Egypte, tom Ier, Chap 8 Précis de l'histoire d'Ali bek, Pag 110, note 1ère, édit de 1787.

اما الدراهم ، وكان وزنها منذ البداية ضـــئيلا ، فقد تناءلتها بصفة متتالية بعض تغييرات (نحو الادنى) فى وزنها وفى عيارها ، بفعل جشع اولئك الذين كانوا يحكمون مصر ، ومع ذلك فان بعضا من هؤلاء الحكام، اكثر بعدا عن الهوى والمصلحة ، او ممن كانوا يسترشدون فى ادارتهم بافـــكار اكثر ورعا واكثر عدالة ، قد رفعوا من جديد وزن وعيار هـــذه العمـــلات .

ويذكر المقريزى ان السلطان صـــلاح الدين ، بعـــد ان الغى تداول الدراهم الســوداء ، تلك التى كانت بالفـــة الثقل وذات عيـــار عال ، امر بضرب دراهم تمتزج فيها الفضـــة والنحـــاس بنسبتين متســاويتين ،ولعل عيـــار ووزن هذه العملة قـــد ظلا منخفضين حتى الوقت الذى اصـــدر فيـــه الملك الـــكامل امرا بابطال كل الدراهم التى كانت تعرف عنـــدئذ بالقاهرة والاسكندرية باسم **اوراق** ، وامر باصـــدار دراهم جـــديدة كانت تقترب ســـواء فى عيارها او وزنها من الدراهم القديمة اى العملات ذات المزيج الجيد .

وقد يكون بمقدورنا ان نلمح فى هذه القطع النقدية المسماة اوراق، ومفردها ورق ، منشأ قطع المدينى التى تصنع اليوم من صفائح من البرونز مسطحة او مصقولة بفعل دقات مطرقة ، بل لعل المدينى لم يكن ســـوى فرع (او قسم) من هذه العملة التى كانت تستخدم حاملة اسم اوراق .

ويقدم لنـــا الشيخان اسماعيل وعبد الرحمن ، وهمـــا اللذان ينظر اليهما فى القاهرة باعتبارهما يتميزان بغزارة معلوماتهما ، المعلومات الآتية حول الاشتقاق اللغوى لكلمة مدينى التى تعنى فى اللغة العربية الميدى :

عندما اصبح الملوك الشيخ خليفة ، واتخذ لنفســـه القاب السلطان الملك المؤيد ابو نصر الشيخ (وهى اسماء والقاب تعنى الامبراطور الملك، الذى تؤيده العناية الالهية ، صاحب النصر ، الشريف) ، امر بأن تضرب انصـــاف دراهم سميت باسمه : **المؤيدى** او **الميدى** على سبيل الاختصار، وكان يطلق عليها كذلك اسم **نص** وهى كلمة لاتزال تســـتخدم حتى اليوم للاشارة الى المدينى او البارة .

وسواء كان القوم قـــد اعتبروا المـــدينى بمثـــابة تحوير او تحريف للدرهم القديم ، او كانوا قد نظروا اليه باعتبـــاره عملة جـــديدة ادخلت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صناعتها الى مصر كما ادخلت الى القسطنطينية حيث تضرب هناك عملة مشابهة تعرف بالبارة Parah (٢٩)، فلن يكون اقل من ذلك صحة ان هذه العملة العجيبة ، الاكثر رقة من ورقة ، والتى تكفى اقل نفخة لبعثرتها والتى يوضع الالف منها فى قاع قمع ورقى « قرطاس » ضئيل الحجم ، قد اصبحت هى النقد الرئيسى فى مصر ، اى تلك تتخذ اساسا فى ابرام الصفقات الكبيرة وكذلك فى عمليات البيع بالتجزئة وكذلك التى تتم بها كل الحسابات وتحصل الضرائب .

اما بخصوص نسبة النحاس التى تمزج بها الفضة التى تستخدم فى صنع النقود ، فانه لاتستخدم قط فى مصر كلمة بعينها للاشارة اليها ، وليست هناك كلمة تقابل كلمة نقد برونزى التى نستخدمها نحن . واذا ما طبقنا هذا الاسم ، نقد برونزى على كل النقود التى يشكل النحاس النسبة الغالبة فى سبيكتها ، فان القطع ذوات الاربعين والعشرين مدينى ، وكذلك قطع المدينى التى تحدثنا عنها تعد فى واقع الامر نقودا برونزية (وليست فضية) ، فمنذ زمان طويل للغاية لم تصنع فى مصر نقود فضية بمعنى الكلمة ، ونحن من جانبنا لم ندخل تحت هذه التسمية (اى النقود الفضية) قطع المدينى والقطع ذوات الاربعين والعشرين مدينى ، الا لان هذه القطع قد حلت محل العملات الفضية التى جاءت النقود التى تحدثنا عنها لتقوم مقامها .

ثالثا ـ النقود النحاسية

تطلق كلمة نحاس فى العربية على المعدن الذى نسميه نحن Cuivre وفيما مضى كانت النقود النحاسية تسمى فلس والجمع فلوس .

وكانت هذه النقود النحاسية عبارة عن قطع من هذا المعدن ، قطعت باوزان تكاد تكون متساوية ، ولم يعد يتداول من هذه النقود اليوم الا كمية ضئيلة ، ولم يكن الناس يضعون النحاس فى مرتبة النقود .ولم يكونوا يستخدمونه عندئذ الا فى شراء السلع ضئيلة الثمن او فى المطالب المنزلية البسيطة . وقد كانت السلع الغذائية الضرورية منخفضة السعر

---

(٢٩) فى التركية بالباء الثقيلة P ، وفى العربية بالباء الخفيفة B

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتى ان ابنـــاء الشعب قلما كانوا ينفقون فى اليوم الواحـــد مايزيد عن بضعة قطع من العملات النحاسية لشراء اقواتهم .

واستمرت هذه الحال حتى نحو العـــام ٨٠٠ من الهجرة (١٣٩٨ من التقويم المسيحى) وحيث بدات النقود الذهبية والفضـــية بمرور الزمن تصبح بالغة الندرة ، وبشكل خاص بسبب الــكوارث التى كانت تحدثهـــا القلاقل والاضطرابات والثورات التى حدثت فى مصر منذ العـــام ٨٠٦ من الهجرة (١٤٠٤ م) ، فقد اصبحت العملة النحاسية اكثر ضرورة ،واشتد الطلب عليها لهذا السبب وارتفعت قيمتها كثيرا فى عمليـــات الاتجار غير المشروع حتى تجاوزت قيمتها الحقيقية كثيرا .

وبدات هذه العملة تتسرب الى مجال التجـــارة متنافسة مع النقود الفضية منذ الوقت الذى اصبح الظاهر برقوق فيـــه اميرا ، اى فى نحو العام ٧٨١ من الهجرة (١٣٧٩ من التقويم المسيحى

وحين اصبح برقوق سلطانا ، امر محمود بن على ، الذى ولاه وظيفة استادار (٤٠) بأن يضرب فى القاهرة كمية كبيرة من الفلوس اى من النقود النحاسية بسبب الربح الذى كان يعود به مثل هذا الصنع وامر بايقـــاف سك الدراهم التى اصبحت بالغة الـــندرة ، وقد صهر الصـــاغة الـــكثير من هذه الدراهم ، كما صـــدروا الى الخـــارج كمية ضخمة منها ، ومما لاشك فيه انه قد ضربت نقود نحاسية ذات قيم مختلفة ، كما كان لـــكل واحدة من هذه العملات اقسامها او تفريعاتها .

وقد استمر سك العملات النحاسية لسنوات طويلة فى عهد برقوق وفى عهد ولده النـــاصر فرج ، وفى هـــذه الاثنـــاء جلب الفرنجة كميات هائلة من النحاس الأحمر الى مصر .

وكان سعر التداول الاجبارى الذى تقرر للفلوس او القيمة الاسمية التى تحددت لها وهى أعلا بكثير من قيمتها الحقيقيـــة ، هى السبب فى

---

(٤٠) تتكون هذه الكلمة من كلمتين فارسيتين : استا (او اسطى) بمعنى مدبر أو مدير ، ودار ومعنـــاها قصر ، وهى تماثـــل عندنا كلمة majordome اى مدير القصر او المتصرف فى شئونه .

ادخال كميات كبيرة من النقد المزيف ضمن هذه العملات خلال تلك الفترة.

ومنذ البداية ، وحتى عام ٨٠٦ من الهجرة كانت النقود النحاسية تتداول على اساس العد ، ومنذ هذا التاريخ صدر الامر بتداولها على اساس الوزن اما لانه تبين ان عددا كبيرا منها لم يكن مستوفى الوزن ، واما لانه كان يلزم وقتا بالغ الطول في عدها مما كان يتسبب في حدوث ارتباكات شديدة ، ثم انتهى الامر بالنقود النحاسية ان اضحت هي العملات الوحيدة المستعملة ، واصبحت كل السلع ، بما في ذلك الذهب نفسه، تقدر بالفلوس .

وبمرارة شديدة ، يشكو المقريزي ، وهو الذي كتب مقالته (عن النقود) بين عامي ٨١٨ و ٨٢٢ من هذا الاجراء الذي لا يمكن احد ان يعقله ، والذي يشعر المرء بالعار من مجرد تدوينه . ويضيف ان النحاس لم يكن قط ، في اي بلد من بلدان العالم ، لا في قديم الازمان ولا في حديثها ، عملة رئيسية ، ولم يحل عليه الدور في ان يتداول كعملة الا في عهد اكثر الحكام جدارة بالمقت والكراهية ، وهو الناصر فرج ، فالفضة ، بصفة خاصة ، هي العملة المشروعة ، التي لم يكف تداولها على الاطلاق في انحاء العالم ، ويؤكد المقريزي انها ، هي ، هذه العملة النحاسية التي ضربت في مصر .

واقترح المؤلف على السلطان الذي كان يتولى مقادير مصر في ذلك الوقت ، وهو الملك المؤيد ، الذي كان قد اعاد صنع واصدار الدراهم :

اولا : الا تدون اى مبالغ في كل العقود العامة والخاصة ، وفي كل السجلات المالية ، وكذلك في كل المعاملات والصفقات الا بالدراهم المؤيدية .

وثانيا : ابطال تداول الفلوس القديمة ، على ان تقوم مقامها فلوس جديدة مؤيدية تنشا على الاسس التالية : تضاف الى ثمن قنطار النحاس المستورد من بلاد الفرنجة كل النفقات التي تتحملها دور سك النقود لتحويله الى فلوس ، ويقدر على اساس ذلك كم عدد الفلوس التي تكون مساوية للدينار وكم منها يكون مساويا للدرهم المؤيدي ، وحاول هذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المؤرخ التدليل على جدوى هذه العملية ، ومع ذلك فقد كان من المؤكد ان عملية كهذه سوف تلحق ضررا كبيرا بعامة الناس وبصفة خاصة ابناء الطبقة الدنيا منهم ، والذين تنتشر بينهم العملات الصغيرة ، والذين كانت مصادر دخولهم المتواضعة ستتعرض لهزة عنيفة لتنقص دفعة واحدة .

ولعل الاجراء العادل والشريف الذى كان يمكن اتباعه كان ان نستبدل فى دور سك النقود بتلك الفلوس الملغاة تبعا للقيمة التى كانت لها عند تداولها فى مجال التجارة وقبل ابطالها ، دنانير ودراهم ، ومن المستطاع تقدير هذه القيمة اذا اخذنا كحد وسط اثمان السلع الضرورية (كالقمح على سبيل المثال) مقدرة بالدنانير والدراهم الجديدة ، ومع ذلك فقد يحدث ، دون ريب ، أن نجد فى مجال التداول كمية من الفلوس اكبر بكثير من تلك التى ابطلتها الحكومة ، وتصبح العملية على هذا النحو مدمرة ومستحيلة التنفيذ ، ذلك ان الحكومة حين امرت متجاوزة بذلك كل حد ممكن بصنع كمية بالغة الضخامة من النقود ، ذات قيمة اعتبارية او صورية وسعر تداول الزامى ، قد وجدت نفسها ، حين اصبح الأمر ملحا عليها بان تعالج السوءات التى نجمت عن ذلك على مفترق طريق : فاما ان تثقل كاهل نفسها بالديون اذا شاءت ان تسحب هذه النقود طبقا لقيمتها الاسمية ، واما ان تسبب فى خراب او افلاس الناس ، اذا هى لم تسترد النقود الملغاة الا حسب قيمتها الحقيقية أو الجوهرية .

وعندما عاد صنع العملات الفضية ليستقر من جديد ، وعندما تضاعفت هذه النقود وتزايدت كذلك تفريعاتها ، وعندما اخذ وزنها وعيارها يتناقصان بشكل مستمر ، ونقصت نتيجة لذلك قيمتها ، اصبح من المستطاع استخدامها فى شراء السلع الرخيصة . وحلت بذلك محل العملات الصغيرة « الفكة » ، وبذلك سهل التخلص من النقود النحاسية ، تلك التى كانت اكثر من غيرها عرضة للتلف ، والتى كانت تبعث برائحة غير مستحبة ، والتى كانت من جهة أخرى قد ساءت سمعتها او قلت الثقة بها بسبب الكميات الهائلة منها ، التى فاقت كل حد متصور ، والتى طرحت للتداول — كما كانت تسبب الكثير من الضيق والارتباك بفعل حجمها ، والتى تطلبت بسبب ذلك نفسه القيام بعمليات اصدار اكبر ضخامة

(وتكلفة) مما كان يعود بذلك على الحكومة بنفع اقل . ولقد انقضى بل أوقف كلية اصـدار النقود النحاسية ، واصبحت كلمـة الفلوس ، وهى التى كانت تعنى منذ البداية ، وبصفة خاصـة ، النقود المصنوعة من النحاس ، تشير بعد ذلك الى العملات الفضية ، واصبحت كلمة نوعية (تدل على النوع) تقابل اللفظ الفرنسى : نقود او فضة monnciue ou argent (٤١).

اما العملات النحاسية التى صنعت اما فى عهـد المؤيد كما تستخدم بمثابة نقود معاونة ان متممـة للدراهم التى زاد عيارها ، واما فى عهود اخرى كى تواجه ندرة العملات الفضية فقد اتخذت اسم جـديد (٤٢) اى ما صنع حديثا او النقود التى صنعت مؤخرا .

وقد أوردنا تحت رقمى ٢٥ ، ٢٦ اثنين من هذه الأجداد (وهو جمع جديد) النحاسية ، ينتمى كل منهما الى عهدين مختلفين ، كما انهما قـد صنعا من نوعين مختلفين من النحاس ، وبقطعين مختلفين .

وباختصار ، فحيث ظلت قيمة السلع الغذائية تواصـل ارتفاعها ، فى حين استمرت قيمة المدينى تواصل انخفاضها ، لدرجة لم يعد الأمـر يستوجب معها اللجوء الى النقود الادنى قيمة ، فقد توقف صنع الأجداد منذ وقت طـويل ، وان كان فقـراء النـاس لا يزالون يستخدمون فى معـاملاتهم اما هذه الأجـداد نفسها بأنواعها المختلفة ، واما قطعـا من النحاس غير مسكوكة ضربت بشكل خشن ، يحصلون عليها من عند تجار النحاس كى يستطيعوا شراء السلع ضئيلة القيمة مثل الحشائش (علف

(٤١) يقول المصريون : هات فلوس ، مقابل قولنا donne de l' argent او donn e de la monnaie اذا كان الامر يتصل بعملات ذهبية أو بالقروش (الريالات) ويقولون كثير فلوس مقابل قولنا Beaucoup d'argent (والترجمة هنا بتصرف يقتضيه النص العربى) .

(٤٢) ويلفظونها فى القاهرة جديد بدون تعطيش للجيم . وتلفظ فى بلاد اخرى مع تعطيش الجيم . وقد استقر رأينا عند نشر وصف مصر على ان نقدم الجيم العربية سواء كان يعقبها حرف الـ e أو الـ i [وهما حالتان تلفظ فيهما الـ g مثل الـ j] كما تلفظ اذا اعقبتها اى حروف متحركة اخرى [اى على كتابة الجيم المعطشة بالطريقة نفسها التى يكتبون بها الجيم غير المعطشة ـــ المترجم] .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحيوانات) وبالنسبة للكميات التي يقل ثمنها عن المدينى الواحد او البارة، وكانت تلزم عشرة من هذه القطع لكى تساوى مدينى واحدا ، بحيث يمكننا تمثلها على النحو الذى كانت عليه الدراهم deniers عندنا .

رابعا : المسكوكات أو العملات التذكارية

لم يعرف الشرق مطلقا ، او على الاقل ، لم تستقر فيه - على شكل نظام متبع ، كما هو الحال عند الاوربيين ، عادة سك العملات التذكارية المختلفة ، التى يكون القصد من اصدارها اما تكريس او تخليد لذكرى احداث بارزة تمت فى عهد من العهود بواسطة استخدام الرموز او نقش التواريخ او النقوش .

ومع ذلك فقد جرت هنالك عادة او تقليد بالغ القدم لايزال متبعا حتى ايامنا هذه ، وهو تقليد يقضى بان تسك فى فترات بعينها احتفالا باستهلال او غرة الاعوام (الهجرية) او لتقديمها كعطايا او اكراميات ، نقود ذهبية لم تكن تختلف عادة عن النقود الاخرى الا فى ان سطحها اكبر اتساعا بكثير ، والا فى أن الدينار كان يعطى لكتابتها فى بعض الاحيان قدرا اكبر من الاناقة ومن « التحسين » مع بذخ فى زخرفات الاطار ،او كان فى بعض الاحيان يخط اطارين مركزيين من الحبيبات ، احدهما يدور باستدارة القطعة النقدية والاخر فوق حافتها ، او كان يضع بين هذين الاطارين ، زخرفا على هيئة عقد من الورود او على هيئة ضفائر او كتابات مضفرة او ضروب اخرى من الزينة ، وان كانت النقوش والعيار والوزن (لهذه العملات التذكارية) هى نفسها فى النقود الاخرى ، او كان يضاعف الوزن لكى تصنع قطعة ذات اثنين من الفندقى او تساوى اثنين من العملات الذهبية الاخرى ، او كان الوزن يزاد فقط بمقدار النصف لتساوى القطعة فى الحالة الاخيرة ١١/٢ فندقلى او سكينا واحدا ونصف سكين وهذه هى القطع التى اوردناها فى اللوحة المرفقة بهذه الدراسة تحت رقمى ١ ، ٣ (٤٣) .

---

(٤٣) يمثل الشكل الاول قطعة من ذوات ٢ فندقى ، ويمثل الشكل الثانى قطعة فندقى عادية ، انظر اللوحة الملحقة بهذه الدراسة (وقد قسمت فى الطبعة العربية الى اربع لوحات متعاقبة، مع مراعاة ان يتوافق تسلسل وارقام الاشكال فى اللوحات مع ما جاء فى النص العربى — المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع ذلك فقد كانوا يغيرون فى بعض الاحيان من النقوش ، ويسهبون فى بيان القاب الحاكم اما لتمييز هذه القطع عن العملات الاعتيادية واما لامتداح الأمير ، وتقدم القطعة الذهبية التى اوردنا رسما لها برقم ٦ من اللوحة الأولى (رقم ١٢ من اللوحة الاصلية) مثالا على ذلك ، وهى اكبر حجما من الأخريات ، كما انها فيما هو واضح احدى عملات الزينة او واحدة من العملات التذكارية ، وهى كذلك تختلف عن القطعة الذهبية المرسومة برقم ٥ من اللوحة الاولى (١١ من اللوحة الاصلية) ، برغم انهما قد سكتا ، كلاهما ، بالقاهرة وفى عهد مصطفى بن احمد نفسه، وهو الذى ارتقى عرش القسطنطينية فى العام ١١٧١ من الهجرة (١٧٥٧ من التقويم الميلادى) .

وبرغم ان قطع النقد الترفيهية (قطع الزينة) هذه اقرب كثيرا شبها بالعملات منها بالمسكوكات ، فقد كانت محدودة التداول ، وكان يحتفظ بها مثلما نحتفظ نحن بقطع الائتمان او قطع الزواج او الاحتفالات وكانت تحمل بمثابة زينة او تعطى فى شكل اكراميات ، وفى بعض الاحيان كانت تباع الى اليهود الذين كانوا يقومون باعادة صهرها .

تقليد كهذا كان موجودا عند الفرس ، فقد كانت تصنع فى فارس تبعا لرواية شردان (٤٤) Chardin قطع نقدية لم يكن لها نفس الرواج الذى للعملات وانما كانت توزع عند حلول راس السنة .

اما العملات الذهبية المستخدمة فى القسطنطينية والتى نشرها المسيو بونفيل Bonnville بارقام ٦، ٧، ٨ ، ١٠ ، ١١، ٢٠ باللوحات ١، ٢، ٣ عن النقود التركية ، وكذلك عن نقود القاهرة بارقام ٤، ٥، ١٥، ٢١ من اللوحات نفسها(٤٥)، فلم تكن هى على وجه الدقة هى النقود المتداولة، وانما كانت نقودا استهلالية او تذكارية اى نقود صدرت لمناسبة بعينها ، وكانت القطع الأولى من نوع البندقى ، اما الثانية فكانت من نوع الزرمحبوب .

---

(٤٤) Voyage de Chardin en Perse, tom IV p. 279, édit 1711.

(٤٥) دراسة عن النقود الذهبية والفضية المتداولة عند مختلف الشعوب .. الخ ، باريس ، ١٨٠٦ ص ٢٠٥ وما بعدها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويذكر المقريزى فى خططه عند وصفه لاحتفـالات راس السنة ان الخليفة كان يعطى عند انتهاء العـام امرا بأن تصنع فى دار سك النقود، فى التاريخ نفسه المحدد لسك نقود السنة الجديدة ، عدد محدد من الدنانير ومن الربعيـات (٤٦) والقراريط والـدراهم المستديرة ، وكان يبعث بها كاستبشار الى الوزير والى اقاربه والى كل العسكر من حملة السيف او حملة القلم (الجنود والـكتبة) ، كما كانت ترسل قطع الدنانير وحدها هدايا الى الضباط واصحاب الرواتب فى عيد الفطر (*)، الذى يستغرق ثلاثة ايام ، والذى ينهى شهر رمضان الذى يشكل عند المسلمين وعلى نحو ما يمثله الصوم الـكبير عندنا .

ويورد المقريزى فى فقرة اخرى انه كانت تضرب فى زمن الفاطميين (٤٧) فى دار سك النقود القديمة ، وهى اول دار انشئت فى مصر ، الدنانير او بالاحرى الخردبات الخاصة بغرة العام (الهجرى) او بخميس العدس ، وهو الخميس المقدس عند الاقبـاط ، وقد اطلق عليه هـذا الاسـم لان الاقباط يطبخون فيـه العدس ، كما كان هـذا اليوم ، فى زمن المقريزى كذلك ، يوافق الاحتفال بأحد الموالد ذائعة الصيت فى القـاهرة ، وكل ولايات مصر ، وكان المقريزى يسميه ايضا خميس العهد .

ولا يتعلق الامر ، فى الفقرة الاولى التى اقتبسناها للتو من المقريزى، بالقيراط وانما بالربعية فقط وكذلك بالدراهم المستديرة التى يشير اليهـا باسم مقشقلة ، وهى صـفة كان السبو دى ساسى يجهل ماتعنيه ، كذلك فان المقريزى عند حديثـه عن قطع الاستبشار او القطع الاستهلالية التى تسك بمناسبة بدء العـام الهجرى لم يعـد يشير الى الدراهم المستديرة وانما الى التراريط ، وفى مكان آخر ، الى الخردبة (٤٨) . ويستنتج دى ساسى أن الدراهم موضوع الحديث هى نفسها ما عاد المؤلف يسميها بعد

---

(٤٦) اى ارباع الدنانير

(*) فى الاصل : عيد الأضحى .

(٤٧) الفاطمية او الفاطميون ، نسبة الى فاطمة ابنة النبى وزوجة على ، والتى يدعى هؤلاء انهم من نسلها ، وقد اسـتقروا فى بدايتهم فى افريقيا ثم استولوا بعد ذلك على مصر .

(٤٨) انظر دراستنا عن الاوزان العربية (الكتاب الاول من هذا المجلد) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك بالقراريط ، ويبدو لنا ان الاكثر احتمالا من ذلك هو ان القيراط والخردبة كانا يشيرا الى قطعة نقد ذهبية واحدة ، وكان المثقال ، وهو نفسه وزن الدينار ، ينقسم الى اربعة وعشرين قيراطا ، ومن المعروف ان القيراط يساوى وزن الخردبة او حبة الخروب . وبلا جدال فان هناك بترا قد تم فى الجزء الاول من نص المقريزى ، اذ كان ينبغى عليه ان يذكر القراريط بعد ذكره للربعيات . اما عند حديثه عن الاكراميات التى كانت تقدم الى الوزير والى اقاربه والى عسكر السيف وعسكر القلم فان الحديث هنا لم يعد يتصل الا بالنقود الذهبية ، والقيراط هو اصغر قطعة من العملات المصنوعة من هذا المعدن . وسوف يتحدث عنه مؤلفنا بعد ذلك تحت اسم خردبة . واخيرا فان الدراهم المستديرة كانت عملات فضية ، ولم تكن توزع الا على رجال او اتباع الوزير ورجال كبار الشخصيات المهمة وعمال سك النقود .

اما فى خميس العهد فلم تكن تضرب الا الخردبة ، ويتراوح عدد هذا الاصدار النقدى مابين ١٠ الاف وعشرين الفا من هذه المسكوكات، ويستخدم فى ذلك من ٥٠٠ الى الف دينار ، والى جانب ان وزن الدينار يمكن بسبب تآكل النقود بفعل الاستعمال او بسبب غش فى وزن النقود الذهبية ، ان يكون ادنى من مثقال واحد ، اى اقل من ٢٤ قيراطا ، فقد كانت الدنانير الزائدة تستخدم فى سداد فروق الوزن وفى الانفاقات اللازمة لسك هذه النقود ، وكمنح للعاملين فى الضربخانة .

ونستنتج مما قلناه للتو ان قطع النقد المسماة قراريط او خردبات كانت بالغة الضآلة وذات قيمة متواضعة ، اذن فقد كانت بالنسبة للنقود الذهبية ما كانه المدينى او البارة بالنسبة للعملات الفضية .

وحتى اليوم لايزال القوم يحتفظون بعادة سك النقود الذهبية احتفالا بغرة الاعوام ، او لكى تقدم اكراميات ، او تعطى لأشخاص متميزين كانوا يطلبونها بانفسهم ، او كانوا يرسلون الذهب من عندهم لتحويله الى قطع نقدية والى نصفيات وربعيات (من هذه القطع) ، ولم يكن هذا كله يختلف فى شىء عن العملات المماثلة الا فى انها ذات سطح اكبر اتساعا والا فى العناية التى يبذلها الحفار فى كتابة وحفر النقوش .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتسمى الهدايا او الاكراميات بخشيش (٤٩) . وفى بلاد ترزح تحت نير الاستبداد ، وبصفة خاصة ، فى تلك البلاد تعقد فيها السلطة للأقوى والاكثر جسارة ، تكون الوسيلة الفعالة ، والمعتادة للغاية ، لاصطناع الاتباع هى الاعطيات والاكراميات ، اذ قل أن تكون هناك حقوق مؤكدة ثابتة ، أو عدالة فى التوزيع ، وانما كل شيء هو منحة وعطاء ، ففى هذه البلدان يعطى النذر اليسير دوما فى شكل رواتب ثابتة ، ويوهب الكثير احيانا فى شكل منح واعطيات :

فى هذه البلاد يجهل الناس ما التحفظ ، أو هذا النوع من الرصانة والحياء اللائق بشخص من يعطى بقدر ماهو جدير بشخص من يأخذ . وفى الأعياد الخاصة التى تحييها على سبيل الترفيه العالمات اى الراقصات من أهل البلاد ، والموسيقيون ، فان المدعوين ، اذا اخذتهم النشوة من مهارة العازفين ، يقدمون لهؤلاء العوالم اعطيات فضية (نقوط) فتعلن العالمة بصوت عال اسم من أعطى وقيمة عطائه ، هنا تختلط مشاعر الكبرياء باحاسيس المكابرة ، فتدفع العجرفة المهينة احد المشايخ او واحدا من البكوات (عندما يرى غيره قد قدم اكثر منه) انيعطى «نقوطا» يبلغ ١٠٠ دينار الى واحد من هؤلاء « الآلاتية » المنفرين .

ولدى كبار القوم ارتال من الخدم ، يتبعونهم فى كل مكان ، ولا يحصلون من سادتهم قط على مكافئات او اجور ، ويقتصر مايحصلون عليه منهم على اعطيات من الملابس وبعض قطع صغيرة من الذهب فى اعياد بعينها ، وان كان هؤلاء السادة يتركون لهم الحق فى ان يدخلوا فىخدمتهم كل من يحتاج الى سيد ، وقلما يكون بمقدور احد أن يدنو من هذا السيد دون ان يوزع البخشيش على الخدم والاتباع ، وهؤلاء يطالبونك به اذا نسيت أن تقدمه اليهم ، وفى بعض الاحيان يفرضونه فرضا ، ومن جهة اخرى ولا تزال ثمة عادة مماثلة فى بعض بلدان اوربا حيث ينتذرك خدم البيت ، حتى الخدم فى قصر الأمير نفسه ، والذين يسمون la famiglia وانت فى طريقك الى سيدهم ليلحوا فى طلب الـ bouna mano

---

(٤٩) وهى كلمة فارسية تعنى هبة او هدية ، وهى مشتقة من الفعل بخشيدن بمعنى يعطى او يهب .

والدراهم الفضية المستديرة الفضية هى المسكوكات الوحيـدة التى امكننا ان نسمع بها والتى تسك عند بداية ((غرة)) الأعوام . وحيث أصبح المدينى ، فى الوقت الحاضر ، هو العملة الفضية الوحيدة المستخدمة فى مصر ، فانه يوزع ، دون تغيير شىء فى نمط صنعه على موظفى وعمـال دور سك النقود عند استهلال الأعوام وفى نهاية شهر رمضان .

خامساً : النقود الزائفـة

كلما زاد الفرق بين القيمة الأسمية والقيمة الحقيقية و الجوهرية للنقود كانت الحكومة عرضة لأن تجد من يزيفون نقـودها ، سـواء فى الداخل ((على يد رعاياها) أو فى الخارج على يد اجانب .

ولعل هذا هو السبب فى تلك المـكاسب الهائلة التى كانت تحققها بالضرورة صناعة النقود النحاسية ، حين اصبحت هذه النقود هى العملات الاساسية أو الوحيدة التى تتداول فى مصر ، كما ان علينـا أن نعزى ، بالضرورة كذلك ، هذه الـكميات الضـخمة من العملات النحاسية التى وجدت فى مصر الى تساهل مصر وسماحها بتداول نقود البلدان المجـاورة فيها ، وقد صنعت هذه وتلك بشكل ردىء ، وقلدت على وجهيها ، وبطريقة منفرة الأنماط القديمة والأطر القديمة ، بل كذلك اسـماء وصـور الحكام المسيحيين والأمراء المسلمين .

وقد امكن الطبقات الدنيا من عربان (٥٠) وفلاحين ، وهى اليوم كما كانت بالأمس بالغة الجهالة ، ان تدخل الى اعماق البلاد نقودا متنوعة ، دون ان يدرك هؤلاء ما ان كانت هذه النقود زائفة او اجنبية ، ولقد قابلنا فى مصر ، مثالا فريدا على هذه الجهالة ، فحين وصل جيشنا كان الفلاحون المساكين لايحسنون التفرقة بين العملات وبين القطع المعدنيـة حتى انهم كانوا يترددون فى اخذ نقودنا الفرنسية لأنهم لم يكونوا معتادين على رؤية عملات نقدية بهذا السمك والوزن ؛ وكانوا — من جهة اخرى — يتبادلون مع جنودنا ، الذين كانوا دهشين بقدر ما كانوا سعداء بنجـاح ما كانوا

---

(٥٠) نقصد بالعربان اولئك المقيمين منهم على تخوم مصر واولئـك المستقرين فيهـا .

يسمونه خدعة الحرب ، كل صنوف المأكولات مقابل ازرارهم النحاسية او المصنوعة من القصدير او من خليط منهما ، شريطة انتكون هذه مسطحة وان تكون قد نزعت عنها الحلقات التي تستخدم في شبكها . لقد كان الفلاحون يأخذونها على انها نقود ، لأنها كانت اقرب كثيرا الى شكل ومظهر النقود ذات العيار المنخفض ، والذين كانت لديهم عنها فكرة منقوصة، ونتج عن ذلك أن ملابس العدد الاكبر من جنودنا ، عند وصولهم الى القاهرة ، وجدت خالية من الأزرار .

ونستطيع أن نضيف ان التدليس فى عيار النقود يكون أكثر سهولة عند امة اقل تنورا ، لاسيما ان فن التمحيص يكون سرا قل أن يعرف او يمارس الا فى مجال النقود ؛ ان فنون الصناعات متدهورة ومتخلفة لدرجة تتجاوز الحدود فى مصر ، كما أن العمال ، لدرجة تتجاوز الحد ايضا ، عارون عن تلك القدرة على التنفيذ ، وعارون من المعارف والمهارة ، ويتعرضون لوشايات ورقابة شرطة قاسية ، جهمة وصارمة ، لدرجة لايمكن معها قط ان ينشأ او يستتر هناك ، وبقدر كبير بعض الشيء ، صنع نقود زائفة ، وقد استطاع بعض العمال ، فى عهود مختلفة ، ان يصنعوا بعض عملات مزيفة عن طريق وسائل سهلة قليلة التعقيد لاتتطلب سوى الصبر ومهارة اليد ، ولعل الامر كان يتم بالمطرقة وقوالب السك ، وان يكن الأمر الاقرب الى الترجيح هو أن يكون ادخال النقود المزيفة الى مصر ناتجا عن منافسة وموجدة وجشع الأمم او الشعوب الصغيرة المجاورة لها . كذلك ، فكل شيء يدفع على الاعتقاد بان الذين كانوا يستولون على السلطة فى عهود الفوضى او الاستبداد ، كانوا يدفعون بانفسهم، فى بعض الاحيان ، والى درجة بعيدة الى مساوىء المضاربة بالنقود لحد جعلتهم يصنعون نقودا زائفة .

ويذكر المقريزى ان عبيد الله بن زياد (٥١) ، كان اول من حور فى شكل الدرهم ، فامر بضرب دراهم زائفة ، وذلك عندما هرب من البصرة فى العام ٦٤ من الهجرة (٦٨٤ من التقويم المسيحى) ، وتضاعفت اعداد الدراهم الرديئة وانتشرت فى كل الولايات فى عهد الاسر الفارسية من آل بويه وفى عهد السلاجقة .

---

(٥١) كان ابن زياد حاكما على البصرة من قبل الخليفة معاوية بن يزيد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويورد المسيو تيخسين Tychsen أمثلة لعملات عربية من النحاس تحمل على حافتها : « هذا الدينار ـ أو هذا الدرهم ـ ضرب فى .. الخ » وحيث كانت الدنانير عملات ذهبية والدراهم قطع نقود فضية ، فيبدو بوضوح ان كانت هذه نقودا مزيفة قد طليت بالذهب عند اصدارها ،اللهم الا اذا كان (اولو الأمر) ، كى يتجنبوا اى انفاق فى صنع قوالب جديدة، كانوا يستخدمون فى سك هذه النقود النحاسية ، تلك القوالب التى كانت تستخدم فى ضرب الدنانير .

وهناك من يرتاب فى امر المماليك عندما استولوا على صناعة النقود بالقاهرة ويتهمهم بانهم فى فترات القحط او الأزمات كانوا «يلعبون» فى اوزان النقود وبانهم بصفة خاصة كانوا يامرون بسك عملات ذهبية زائفة . وقد راينا فى القاهرة كثيرا من قطع الفندقلى يمكنها ان تعد زائفة . وقد اوردنا رسما لها يحمل رقم ٩ من اللوحة الثانية (٥ فى اللوحة الأصلية) ، وتحمل على الوجه ا تأشيرة السلطان عبد الحميد بن احمد وعلى الوجه ب : سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٤ من تقويمنا) ، وهى السنة التى تولى فيها هـذا السلطان مقاليد الامور ، وفى اعلا القطعة نجد الرقم ٩ الدال على ان هذه القطعة قد صنعت فى العام ١١٨٩ هـ (١٧٧٥م) وهو التاريخ الذى يوافق الوقت الذى يستعد فيه المملوك محمد بك ، المسمى ابا الذهب ، بسبب بذخه ، وبعد ان اعقب على بك ، سيده الذى خانه وسعى لهلاكه ، لأن ينقل الحرب الى سوريا ضد الشيخ ظاهر العمر ، الحليف القديم لعلى بك ، ومع ذلك ، فقد لاتبرهن هـذه الأرقام التى تحملها قطع الفندقى هذه على انها قد صنعت بشكل محدد فى الفترة التى تشير اليها ، اذ من المحتمل كثيرا ، حين يتصل الامر بنقود مزيفة ، ان يكون التاريخ (المدون عليها) نفسه غير صحيح .

وقد وجدنا بين قطع المدينى التى تتداولها التجارة ، بعضا منها من النحاس الاصفر تم جلوها او تبييضها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سادسا : النقود الحسابيــة

نطلق اسم نقود حسابية على وحدات النقد الاعتبارية ، التى تستخدم فى حساب القيم المختلفة وفى تقديرها ، وذلك تمييزا لهــا عن النقــود الحقيقية ، كما هو الحال بالنسبة لجنيهنا التورى الذى نتخذه اليوم عملة حسابية ، اذ نعبر عن المبــالغ الاجمــالية بهذا الجنيه برغم ان هــذا الجنيه لم يعد اليوم قط عملة حقيقية .

وقد راينــا المصريين فى البداية يقدرون حســاباتهم على اســاس الدنانير ، ثم بالدراهم ، وكذلك بالفلوس او العملات النحاسية ، وهم اليوم يقدرونها على اساس المدينى ، بيد ان الضرائب ظلت تقدر منذ ماض بعيد بعض الشىء على اساس عملة اعتبارية تسمى بوطاقة (*) ، فبعد ان كانت الضرائب تتم فى الأصل بالدينــار ، ثم بعد ذلك بالعملة الذهبية التى حلت محل الدينــار ، يبدو انه بدأ يقبل سدادها بواسطة هذه النقود الذهبية ، وقد أصبحت بالغة الندرة لحد لايمكن معه تسديد الضرائب عن طريقها ، والى جانبها عملات القروش والتالرى او الريال ، التى كانت وفيرة فى مجال التجارة ، والتى اصبحت لها على وجه التقريب القيمة نفسها التى كانت للعملات الذهبية ، وذلك فى مجال التداول النقدى على النحو الذى يمكن أن تكون عليه الدراهم والفلوس وقطع المدينى .

اما البوطاقة ، هــذه العملة الاعتبــارية فقــد قدرت عند مجىء الفرنسيين الى مصر بــ ٩٠ مدينى ، وهو السعر نفسه الذى ثبت عليه علىّ بك فى نحو العام ١٧٧٣ من تقويمنا قيمة التــالار ، وعنــدئذ كانت البوطاقة سواء باعتبارها عملة حسابية تقدر وتجبى على اساسها الضرائب او باعتبارها عملة حقيقية متداولة او التــالر — كانا كلاهمــا معا ولبعض الوقت يقدران بــ ٩٠ مدينى ، ومع ذلك ، فعلى حين ظلت البوطاقة فى مجال الضرائب تساوى ٩٠ مدينى ، اخــذت قيمة التــالر (او البوطاقة النقدية) تمضى فى ارتفاعها بسبب تدهور المــدينى حتى اصبحت تساوى عند مجيئنا مايبلغ ١٥٠ مدينى ، وحيث كان الزر محبوب فى هــذه الفترة

(*) انظر ص ٧٣ الفقرة الثانية وكذلك الهامش رقم ٣٤ من الصفحة نفسها . (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نفسها يساوى ١٨٠ مدينى ، فقد كانت القطعة الواحدة من انصافه تساوى ٩٠ مدينى اى بوطاقة كاملة كعملة حسابية .

واذا عدنا الى الزمن الذى تقرر فيه تقدير الضريبة بالبوطاقات فسوف نجد ان هذه العملة الحسابية ، او تلك التى حلت هى محلها ، كانت تعادل اقل من ٩٠ مدينى . وكان الصيارفة (٥٢) والاقباط (٥٣) ، أولئك الذين وكلت اليهم جباية الضرائب ، والذين كانوا قرب غزو مصر على يد الفرنسيين ، يحصلون فى العادم ٩٠ مدينى من كل بطاقة (حسابية) لكنهم لايقدمون حسابها للملتزم الا بواقع ٨٠ أو ٨٥ مدينى ، ويحتفظون لانفسهم بالفرق اما باعتباره ربحا تعسفيا او باعتباره جعلاً متعارفا عليه ، اما اذا قام احد المولين مصادفة بسداد الضريبة بواسطة انصاف الزرمحبوب فان هؤلاء الصيارفة لم يكونوا يحتسبون هذه القطع الا على اساس انها بوطاقة (حسابية) تساوى ٨٥ مدينى ، لكنهم يقدمونها فى حساب الملتزم باعتبارها مساوية لـ ٩٠ مدينى .

وحيث ظلت قطع المدينى تفقد بصفة مستمرة جزءا من قيمتها ، فى حين كانت غلة الأراضى ، سواء اكانت فى شكل ضرائب او فى شكل اتاوات او عادات (هدايا) للملتزم ، مثبتة بموجب بوطاقات حسابية ، فقد كان على الحكومة والملتزمين ، حتى لا يجدوا دخولهم عرضة للتناقص بشكل مستمر ، ان يسلكوا احد سبيلين ، فاما ان يقدروا البوطاقة (الحسابية) بعدد اكبر من المدينى يتفق او يعوض القدر الذى تدهورت به قيمة العملة الأخيرة ، واما ان يفرضوا ضرائب جديدة .

ويكاد يكون من المؤكد انه لم يتم اللجوء قط الى الوسيلة الأولى ، وان كان اولو الامر جدوا فى استخدام الوسيلة الثانية ، فاستحدثوا حشدا

---

(٥٢) او المبدلون المموميون ، انظر دراستنا عن الأوزان العربية .

(٥٣) انظر فيما يختص بالوظائف التى كان يشغلها الأقباط والصيارفة فى مجال جباية الضرائب ، دراسة المسيو لانكريه عن النظام المالى والادارى لمصر العثمانية ، تأليف المسيو استيف . (الكتاب الأول من المجلد الخامس من الترجمة العربية) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الضرائب الاضافية انتهى بها الأمر ان تجاوزت فى مجمل حصيلتها ماتدره الضرائب المبدئية (٥٤) .

وبرغم ان هذا السلوك هو على وجه التقريب سلوك غالبية الحكومات التى ترفع من حصيلة ضرائبها بقدر احتياجات الدولة ، فتقوم بفرض سنتيمات اضافية او ضرائب متفرقة بدلا من ان تلجأ الى زيادة الضريبة العقارية او الضريبة الأساسية بشكل مباشر ، فقد كانت لحكام مصر فيما يبدو لنا مصلحة خاصة فى عدم رفع قيمة البوطاقة (الحسابية) فى نظام جباية الضرائب .

فحيث كان الميرى ، وهو الضريبة العقارية التى انشأها سليم ، او بالأحرى خليفته سليمان الأول ، لكى تصب فى خزينة سلطان القسطنطينية ، يجبى على اساس البوطاقات الحسابية ، التى تظل قيمتها هى هى ، فلم يكن يسدد للسلطان ، عن هذا المال الميرى الا المبلغ نفسه من المدينى نقدا ، اما كل الاستقطاعات او الأتاوات الاضافية التى استحدثها المماليك او الحكام ، بل وكذلك الملتزمون (٥٥) ، فكانت حصيلتها تعود عليهم وحدهم .

وتقدر المبالغ الكبيرة بالاكياس ، وكل كيس قدره ٢٥ الف مدينى ، فى حين لا يقدر الكيس فى القسطنطينية الا بـ ٢٠ الف بارة فقط .

---

(٥٤) المرجع السابق .

(٥٥) الملتزم هو مالك او سيد الأراضى التى لم يكن الفلاح او المزارع سوى مستاجر لها . انظر دراستى لانكريه واستيف اللتين سبقت الاشارة اليهما (الكتابان الأول والثانى من المجلد الخامس ، من الترجمة العربية).

الفصل الثانى

شكل العملات وقطرها

— ١ —

الشكل

اذا ما صدقنا مايذكره المقريزى ، فقد كان العرب قبل الاسلام لايستخدمون سوى قطع من الذهب والفضة ، غير مصنعة ، تتفق تقسيماتها مع اوزان ذلك العصر وتحمل نفس اسمائها ، وكانت لدى بعض الشعوب عملات نقدية مربعة الشكل ، ولا تزال تصنع حتى اليوم — او كانت تصنع منذ سنوات قلائل — فى بلاد البربر ، نقود من الفضة ذات شكل بيضاوى (١)، او على هيئة متوازى اضلاع ، اسطحه محدبة بعض الشيء (٢) ، وان كان الشكل الغالب على الدوام هو الشكل الدائرى ، اذ ان هذا الشكل فى مجال العملات النقدية هو اكثر الاشكال ملاءمة ، واقلها عرضة للتلف بفعل الملامسة عند تداولها .

وقد كان امير المؤمنين عبد الله بن الزبير ، الذى اعلن نفسه خليفة فى مكة فى العام ٦٤ من الهجرة ، هو اول من امر بتدوير النقودالفضية،

---

(١) لدينا واحدة من هذه العملات بيضاوية الشكل ، ولهذه اطار او برواز على حافتها ، وهى تزن ٣٥/١٠٠ ٢٧ جراما ، مما يجعلها فيما يبدو ذات مزيج جيد (او سبك جيد) ، وتحمل على احد وجهيها « ضرب فى رباط الفتح » وعلى الوجه الآخر، وفى ثلاثة سطور « احد ، احد، احد، ١١٩١» اى الله واحد وحيد ، ويوافق العام ١١٩١ من الهجرة العام ١٧٧٧ من تقويمنا . اما الارقام فقد كتبت بالشكل الاوربى وليس بالشكل العربى .

(٢) ليس للعملة الاخرى اى اطار او برواز ، وتبدو مصبوبة ، وهى باختصار تشبه العملة السابقة فيما يتعلق بالنقوش التى غلبها فيما عدا ان سنة الاصدار هى ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ من تقويمنا) ، وتزن هذه القطعة ١٨/١٠٠ ٢٨ جراما .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى حين كانت العملات التى صنعت من قبله مسطحة (اى مطروقة) خشنة رديئة التنفيذ ، ومع ذلك فيمكن الافتراض بأن الشكل الدائرى الذى أعطى للنقود لم يكن بالغ التمام ، وبان العمال كانوا يسطحون (او يطرقون) المعدن بواسطة المطرقة ، وانهم كانوا يسكونه بالمخصف ، وانهم لم يكونوا قط يعرفون آلة الصقل او المخرطة ، او الرقاص ، وهذا هو نفس ما كان متبعا فى الأزمان الماضية عند الاغريق والرومان ، ثم بعد ذلك فى اوربا ، اما فى فرنسا فلم تستخدم آلة الصقل الا فى عهد هنرى الثانى ، ولم يحدث ان استخدمت المخرطة مع الرقاص فى صنع النقود الا فى نهاية عهد لويس الثالث عشر (٣) .

وفى العام ٦٢٢ من الهجرة (١٢٢٥ من تقويمنا) ، امر الملك الكامل ، وهو الذى الغى كما سبق ان قلنا المسكوكات التى كانت تتداول فى مصر ، بان تضرب دراهم دائرية الشكل . ونحن اليوم نجهل متى يحين الوقت الذى تتبنى فيه مصر استخدام المخرطة ، ومع ذلك فقد لايكون مستحيلا انها استعملت هناك فى زمن سابق على الزمن الذى استخدمناها فيه ، فى اوربا ، فمن المعروف انه عندما كانت الفنون والعلوم تزدهر عند العرب ، كانت أوربا لا تزال فى حالة قريبة من الوحجية .

لكن الناس اليوم فى مصر لا يخرطون العملات الذهبية قط بواسطة المخرطة .

وينتج عن الطريقة التى يستخدمها القوم هناك لتدوير النقود ، وعن ضربها بالسكة (بتشديد وكسر السين) ان يكون القطر فى مختلف القطع النقدية ليس هو نفسه على نحو دقيق او صارم ، وانها نادرا ماتكون كاملة الاستدارة او ذات سمك مستو ، وانها تتآكل فى بعض الأحيان

---

(٣) انظر : « اعتبارات عامة حول النقود » ، تاليف مونجيه Mongez ، وقد قرئت هذه الدراسة فى الحجرة الثانية من المجمع فى السابع عشر من جرمينال من العام الرابع (٦ ابريل ١٧٩٦) والتى نشرها فى العام نفسه Agasse وهو الناشر المقيم بشارع Pointevins وهذا المؤلف الرائع هو واحد من تلك المؤلفات التى اسهمت اكثر من غيرها فى أن تضع فى متناول الجميع افكارا واضحة ، بقدر ماهى دقيقة ، حول فن صنع النقود ، التى ظل يستحوذ عليها لوقت طويل نوع من العلم السرى او الغامض ، كانت له لغة خاصة ، همجية ، وتكاد تستعصي على الافهام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عند حوافها ، وان نقش احد الوجهين لا يظهر كلية اذا كانت قطعة العملة بالغة الصغر اذا ما اساء العامل وضعها تحت الرقاص ، واذا لم تضبط المسكوكات بشكل جيد ، واخيرا ان يضيع جزء من النقوش او سنة الضرب ، او ان يجد المرء مشقة بالغة فى فك حروفها .

وحيث كانت العملات الفضية او القروش التى صنعت فى عهد على بك ، وتلك التى صنعت خلال وجود الفرنسيين فى مصر ، قد قطعت بواسطة المخرطة ، فقد كانت ، كما هو حال قطع المدينى ، ذات قطراكثر تماثلا، كما كانتافضل استدارة فيما عدا العملاتالتى تشوهت، لأنهاضربت بسكة حرة ، وهذا هو الحال بالنسبة لقطعة النقود الصادرة فى عهد على بك والتى نجدها فى لوحاتنا برقم ٢٢ من اللوحة الرابعة (١٨ فى اللوحة الأصلية) ، وبالنسبة لقطعتى المدينى رقمى ١٨ ، ١٩ من اللوحة الثالثة (٢٠ ، ٢١ من اللوحة الاصلية) (٤) ، وان كان الأمر الذى ساهم اكثر من غيره فى جعل القطع النقدية ذوات الأربعين والعشرين مدينىاقل تماما فى استدارتها هو انه كانت لدى القوم تلك العادة السيئة ، عادة طرقها فوق حافتها ، بدلا من طرقها على الوجه كما يحدث فى فرنسا ،او بان يزيلوا ، وهو امر افضل ، طبقا للاسلوب المستخدم فى باريس ، وفى بعض دوائر اخرى فى صناعة النقود ، طبقة خفيفة من هذا الوجه او ذاك بواسطة اداة التنعيم فى آلة المعايرة (او التعيير ، وهى الآلة التى تجعل العيار مضبوطا) .

اما النقود النحاسية فهى التى تبدى بصفة عامة اكبر مظاهر التشوه وعدم الاستواء فى اشكالها وعدم الدقة فى صنعها ، اما لأن العاملين فى دور سك النقود كانوا يتوقعون ولابد ان يحصلوا على ادنى اجر حتى ولو اجادوا صنعها بسبب قيمتها الدنيا ، او لأن هؤلاء العمال قد ابدوا الكثير من التعجل والقصور فى صنعها ، عندما ضربت كميات كبيرةمنها فى اوقات الأزمات (التى ضربت فيها) والتى لابد ان تكون النقود فيها بالضرورة قد صنعت فى اكثر الأشكال رداءة .

---

(٤) انظر اللوحة الملحقة ، وقد اخذت هذه القطع كيفما اتفق ، من بين تلك التى تعانى من عدم الانتظام او الاستواء ، ولعل الحفار قد بالغ بعض الشىء فى العيوب التى بها .

(*) اداة فولاذية تسك بها النقود المعدنية والشارات (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيــا : القطر

كان لابد لقطر النقود الذهبية ، تبعا لمــا انتهينا من قوله ، ان يتغير كثيرا (من قطعة لأخرى) ، ومع ذلك فان هذا القطر لم يكن قط كبيرا لحد مبالغ فيــه لأن وزن اية قطعة من النقود الذهبية لم يتجاوز قط فيما يبدو مثقالا واحدا ، او اكثر بنحو طفيف من جروو gros واحد ، فيما عدا العملات التذكارية او القطع التى تصــدر عند غرة الأعوام والتى تناولناها بالحديث من قبل ، والتى كانت فى معظم الأحيان ذات وزن اكبر ، والتى يتحقق لها على الدوام مظهر افضل وقطر اكبر بكثير .

وكان قطر اكبر عملة شاهدناها فى القــاهرة من هــذا النوع يبلغ ٣٤ مم ، على هذه الشاكلة كانت القطعة ذات الــ ٢ فندقى ، وهى التى رسمناها برقم ١ (٥) ، أما القطعة رقم ٧ من اللوحة الثانية (٣ فى اللوحة الأصلية) وهى ليست سوى فندقى صــدر فى غرة العام ، فيبلغ قطرها ٢٥ مم فى حين لا يبلغ قطر الفنــدقلى العــادى سوى ١٩ مم فى الظروف الاعتيادية (٦) .

ويماثل هذا القطر ، بطريقة شبه مؤكدة ، قطر الدنانير القــديمة ، وقد شاهدنا الكثير منها ، ولدينا واحد منها محفوظ فى حالة جيدة وسط آخرين ، وقد ضرب فى العام ٩٧ من الهجرة (٧١٦ م) ، ويبلغ قطره هو الآخر ١٩ مم ، وهو على وجه التقريب القطر نفسه الذى كان للعمــلات الذهبية ومسكوكات النذور التى كانت تستخدمها الامبراطورية الرومانية الشرقيــة (٧) ، والذى نجده كذلك فى سكين البندقيــة وروما ودوكات هولاندا ، الخ ، لذلك فلن يكون تعسفا من جانبنا أن ننسب هذا التقارب

(٥) انظر اللوحات الملحقة بهذه الدراسة، اما قطعة النقود الذهبية الصادرة فى القسطنطينية ، والتى نشرها المسيو بونفيل برقم ٦ (اللوحة الأولى من النقود الذهبية التركية) والتى تساوى فندقى فيبلغ طول قطرها ٤٦ مم ، أما القطع المرسومة برقم ٧ والتى تساوى القطعة منها ٣ فندقى فيبلغ طول قطرها ٣٦ مم .

(٦) انظر القطع اشكال ٢ ، ٨ ، ٩ (حسب ورودها فى الطبعــة العربيــة) .

(٧) مثال ذلك نذر ايليوس كونستانيوس قطعا من النقود الذهبيــة للامبراطور فالان ، وقد جلبنا ذلك كله معنا من مصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى القطر والوزن (٨) الى عامل التقليد والى تأثير العلاقات التجارية ، وان ننسب اليه كذلك هذا التقارب من العيار الذى كان فيما مضى للنقود الذهبية عند شعوب شديدة التباين لهذا الحد .

ويبلغ قطر نصف الفندقى عادة نحو ١٤ مم .

وبرغم ان وزن الزرمحبوب اقل من وزن الفندقلى فقد كان قطر الاول اكبر من قطر الاخير بنحو طفيف ، ويصل طوله عادة الى ٢١ مم .

اما العملات الذهبية التى تصدر بمناسبة غرة الأعوام ، فلها وجه اكبر اتساعا بكثير ، اذ يصل قطر القطعة المرسومة برقم ٦ من اللوحة الأولى (١٢ من اللوحة الاصلية) الى ٢٧ مم فى حين قلما يزيد قطر القطعة العادية ، الصادرة فى العهد نفسه والمرسومة برقم ٥ من اللوحة الأولى والذى له الوزن نفسه ، عن ١٩ مم .

وفى معظم الأحيان يحتفظ قطر قطعة النصفية الذهبية والذى يبلغ نحو ١٨ مم ، بالعلاقة نفسها القائمة بين قطر القطعة الذهبية (الكاملة) ووزنها ، بل يحدث فى بعض الاحيان ان تتساوى هذه النصفيات ، وبصفة خاصة عندما تكون معدة للاصدار بمناسبة غرة العام او لتقديمها كعطايا او اكراميات ، فى مساحة وجهها مع وجه القطعة (الكاملة) ، كما يمكننا ان نرى ذلك فى قطعة النصفية المرسومة برقم١٤ ، لذلك فقد نخلط بينهما للوهلة الأولى ، وان كان التمييز بينهما ميسورا للغاية عن طريق السمك .

ونستطيع ان نقول شيئا قريبا من ذلك ، فيما يتعلق بالربعيات (ربعية) التى يقترب اتساع وجهها فى بعض الاحيان من الاتساع الذى ينبغى ان يكون عليه اتساع وجه النصفيات ، ويبلغ متوسط طول قطر هذه الربعيات ١٦ مم .

ولابد ان القيراط والخردبة ، كليهما ، كانا عملتين ذهبيتين ، قطرهما بالغ الصغر حيث يمثل كل منهما جزءا واحدا من اربعة وعشرين جزءا من الدينار او المثقال ، برغم ان من بيدهم الامر قد حرصوا بتقليلهم لسمكها

---

(٨) كان وزن قطع الفندقى القديمة ، وبخاصة القطع من اصدار القسطنطينية هو الوزن نفسه الذى نجده فى سكين Séquin البندقية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على زيادة اتساع وجهها ، وان كنا لم نستطع الحصول على أى من هذه القطع الذهبية الصغيرة .

ويختلف القطر فى الدراهم بشكل محسوس كما هو الحال بالنسبة للدنانير ، واذا اخذنا فى اعتبارنا ان النقود الفضية كانت تتساوى فى الاصل مع الدينار ، فمن المحتمل أن تكون قطع النقود الفضية ذات قطر اكبر من قطر الدينار لأن الوزن النوعى للفضة اقل منه للذهب ، وان كان قطر هذه النقود الفضية قد قل بدوره عندما نقص وزن الدراهم ليصبح وزن كل عشرة منها مقابلا لوزن كل سبعة دنانير ، ويبرهن لنا هذا ، فيما يبدو ، على صحة فقرة بالغة الطرافة عند المقريزى يذكر فيها ان احد الاسباب التى دفعت عبد الملك بن مروان أن يقدر لكل ١٠ دراهم وزن سبعة مثقالات او دنانير هو ان الوزن النوعى للذهب اكبر منه للفضة وانه قد استوثق ان النسبة بين الوزنين النوعيين لكلا المعدنين تبلغ ١٠ ، ٧ (٩)، ولكن لماذا يلاون كل هذا الاعتبار لهذا الوزن النوعى اذا كان جل همهم هو أن يجعلوا الدراهم مساوية فى مساحتها وسمكها الدنانير !

وقد حصلنا على درهم ، نقلناه معنا من مصر ، ضرب فى عهد الظاهر ركن الدين بيبرس ، يكاد يبلغ طول قطر الطول نفسه للدنانير القديمة .

واذا كان على بك قد امر بأن تضرب فى القاهرة قطع من ذوات المائة وذوات الثمانين مدينى ، شبيهة بتلك التى كانت تضرب فى القسطنطينية، فقد كان من الضرورى ان يبلغ قطر هذه العملات ، كما هو الحال فى العملات الاخيرة ، نحو ٤٣ أو ٤٥ مم .

اما المدينى ، وهو اصغر قطعة نقد مصرية على الاطلاق ، والذى يمكننا ان نقارنه ، من حيث حجم سطحه ، بقطعنا ذوات الـ ٢٥ سنتيما، وان كانت هذه القطع اكبر منه سمكا ، فيبلغ قطره ١٥ مم ، ولسنا نعرف ما ان كانت فى القاهرة فى الماضى قطع تساوى اجزاء من المدينى كما حدث

---

(٩) يبلغ الوزن النوعى للذهب النقى المصهور وغير المزيف ١٩٢٥٨١ ويبلغ الوزن النوعى للفضة النقية ١٠٤٧٤٣ طبقا لما يراه بريسون Brisson مما يجعل النسبة بين الوزن النوعى لكل من هذين المعدنين تصل الى ١٠ مقابل ٥٤٣٩/١٠٠٠ ، وهو امر يبتعد كثيرا عن النسبة التى يقررها المقريزى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى القسطنطينية ، وقــد نقلنا معنا من مصر قطعا بانصاف ، وثلاثة ارباع البارة ، ضربت فى استانبول ، ولا يبلغ قطر هذه سوى ١٢ مم .

وتختلف اقطار العملات النحاسية ، فيما بينها ، اختــلافا كبيرا ، حيث نجد فى العملات النحاسية ، بشكل خاص ، قطعا نقدية مختلفةالعيار والحجم ، ويمكن ان يقارن قطر اكبر القطع التى رايناهـا حجما بقطر قطع عملاتنا النحاسية ذات الـ ٢ سو (*) او الـ ١٠ سنتيمات ، وتلكهىالقطع التى رسمناها برقمى ٢٥ ، ٢٦ من اللوحـــة الرابعة (نفس الرقمين فى اللوحة الاصلية) والتى يبلغ قطرها نحو ١٨ مم .

ولم يتحدد طول القطع النقدية فى فرنسا بشكل حاســم ودقيق الا منذ ان ضربت فى شكل حلقة بارزة ، وقد نتج عن ذلك ان ســمكها كان يتفاوت بشكل طفيف للغاية تبعا لـــا ان كان المعدن اكثر او اقل انضغاطا بفعل طرقات الرقاص (بالمخرطة) ، وعلى العكس من ذلك كان من المحتم ان يختلف هذا السمك اكثر من ذلك ، عندما تضرب هذه العملات بالسكة الحرة او اليدوية وعندما يصبح من السهل على الحفار ، حتى عندما تحتفظ قطع النقد بالوزن نفسه فى كل مرة يتم فيه اصدار نقدى ، ان يصغر او أن يزيد السمك على نحو متفاوت طبقا لـــا يعلق عليه الحفار من اهمية وتبعا لذوقه الخاص او كفاءته الخاصة التى تملى عليه أن يكتبها بحروف رفيعة او بحروف اعرض او اكثر امتلاء ، وعما اذا كان يروقــه ان يعطى القطعة النقدية قـــدرا اكبر من الدقة والرقة او قـــدرا اكبر من الاتساع وحسن المظهر ، وحين تنتهى القطعة النقدية الى ما اصبحت عليـــه من حيث طول القطر والوزن ، فان سمكها يتحدد بطريقة تتناسب مع ذلك ، لكننا لسنا بصدد قضية عامة عندما نتصدى لموضوع النقود والمسكوكات ، فلسنا نسوق هنــا اية كلمة الا لكى نعطى فــكرة اكثر دقـــة عن مظهر العملات فى مصر .

ويمكن ان يقارن سمك الفندقى بسمك عملاتنـــا القديمة ذوات الـ ٢٤ سو ، لـــكن سمك قطع السكين Séquin اقل من ذلك لان لها سطحا اكبر اتساعا ووزنا اقل .

(*) كان السو Sou يساوى ١/٢٠ من الفرنك (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن جهة اخرى ، فيمكن مقارنة القطع ذوات الاربعين مدينى ،وهى ذات سمك اكثر توحدا (اى ان سمكها يكاد يكون هو نفسه فى كل القطع النقدية ، لانهما مرت بآلة الصقل وتم قطعها بالخرطة ، بعملاتنا من ذوات الفرنكين ، اما بخصوص قطع المدينى ، فحيث تكتسب الكثير من الاوراق أو الصفائح بالغة الرقة) التى تستخدم فى صنعها ، شكلها المسطح فى وقت واحد معا ، بفعل طرقات مطرقة ، فاننا نجد سمك هذه القطع بالغ التنوع ، ويوجد بعض منها بالغ الرقة ، وفى النهاية فان سمك النقود النحاسية يتنوع فيما بينها بقدر ما تختلف اقطارها من قطعة لاخرى ، اذ يبلغ سمك قطعة الجديد التى اوردنا رسما لها برقم ٢٥ اكثر من ملليمترين (١٠) فى حين لم يتجاوز سمك القطعة من نفس النوع والتى رسمناها برقم ٢٦ سوى ٣/٤ مم .

ويبدى المسيو تيخسين Tychsen دهشته من الكمية الهائلة من النقود العربية التى نجدها مبتورة وتساءل عن السبب فى ذلك ، وقد يعود ذلك الى السلوك الغريب ، بالغ القدم ، الذى كان يسلكه الكثير من الأمراء والحكام والقادة العرب الخ ، عندما كانوا يطلبون الى القوافل والتجار والمسافرين المارين بأرضهم ان يقتطعوا جزءا من كل قطعة من نقود البلدان المختلفة التى يحملونها معهم ، اما لانهم كانوا يخشون ان تكون ثمة خدعة فى قيمة هذه العملات ، واما لان التاجر او الحاج كان يستطيع بهذه الطريقة تسجيل أو اثبات حجم ضريبة الطريق التى جبيت فى شكل حصة من نقوده .

---

(١٠) يبدو ان هذه القطعة قد صنعت بواسطة قطعة اسطوانية صغيرة من النحاس ، مسطحة الشكل ، وبفعل ضربة رصاص ، كما هو الحال بالنسبة لقطع الزر محبوب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

الأنماط أو القوالب

أولا : صور البشر والحيوانات

من المعروف بصفة عامة ان كل الشعوب التى تدين بالاسلام ، قد اتفقت فيما بينها على النظر الى تمثل صور البشر والحيوانات على أنها ممارسة آثمة تفوح منها رائحة الوثنية ولا يفعلها سوى الكفار ، ومع ذلك فهناك اعداد كبيرة من العملات والمسكوكات تحمل نقوشا وحواشى عربية بالاضافة الى اسم الله والنبى او بعض آيات من القرآن نرى فوقها صورة امير ورد اسمه عادة فى الحاشية او نرى صورا متنوعة لبعض الحيوانات .

ولتفسير ممارسة كهذه تبدو بالغة التناقض مع تقاليد ومعتقدات المسلمين ، قدمت افتراضات مختلفة .

فيرى المسيو تيخسين Tychsen ان هذه النقود او الأوسمة قد ضربت بواسطة شعوب مسيحية اما لأنهم كانوا رعايا او تابعين ، دافعى جزية لاتباع محمد ، ارغموا عنوة على أن ينقشوا فوق عملاتهم اسم الأمير المنتصر او الحاكم المسلم وكذا الشعار الذى يتخذه ، وان كانوا قد احتفظوا مع ذلك بعادتهم القديمة بأن يضعوا على هذه العملات صورة أو اسلحة أمتهم او مدينتهم ، واما لأنهم كانوا هم انفسهم المنتصرين او كانوا متحالفين مع المسلمين او تجارا اساسيين معهم ، لكنهم سجلوا اسم الامير الأجنبى (اى العربى) او بعضا من آيات القرآن سواء كان ذلك بدافع سياسى ان بدافع من مصلحة تدفعهم لتملق جار قوى او لكى تروج عملاتهم فى البلدان التى تخضع لحكم المسلمين وكى يسمح لها بأن تتداول فى التجارة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومما يؤكد الراى القائل بأن هذه العملات لم تضرب بواسطة الامراء المسلمين هو ان الصور قد مثلت على هذه العملات فى معظم الاحيان فى اوضاع ، ومع رايات ، وتيجان ، وصولجانات وملابس واشكال لشعر الراس (تسريحات) .. من الواضح أن ليست لهبا اية صلة بالتقاليد الاسلامية (١) .

ونرى فوق بعض من هذه القطع النقدية ، قنطورس أو سنتور (*) او احد رماة النبال او السهام ، ولا يمكن هذا كله الا ان يكون اغريقيا ويستحيل ان يعود الى العرب ، واخيرا فهناك بعض العملات التى تحمل إضافات واشكالا لامراء مسيحيين مع حواشى وعبارات عربية ، بل يحمل كذلك اسم النبى محمد (ص) .

ويشير المسيو تيخسين فى مقدمته الى فن المسكوكات عند المسلمين الى مرسوم صادر من البابا انوسان الرابع Innocent IV يحرم فيه على المسيحيين ، مهددا اياهم بالحرمان او الطرد من الكنيسة اذا ماخالفوا مرسومه هذا ، ان يضربوا نقودا شبيهة بذلك .

وطبقا لما يقول بارتيليمى Barthélemy ، الذى نشر حول هذا النوع من النقود دراسة بالغة الاثارة (٢) ، فقد ظن ادلر Adler انالسلاجقة والتركمان وهم شعب همجى يتكون فى معظمه من عربان رعاه ، ولصوص قطاع طريق ، عندما انتشروا فى البلدان المختلفة التى فتحت لهم لم يتمثلوا نمط العادات الأجنبية او ديانة المسلمين الا بدافع سياسى حتى يقللوا حجم المقاومة التى قد يلقونها ضد اغتصاباتهم وتعدياتهم ، ولكى يحتفظوا

(*) كائن خرافى نصفه نصف رجل ونصفهالآخر نصف فرس ،وكان يعيش فىتساليا حسبالأسطورة وقد يكون المقصود أن الصورة المرسومة على العملة تمثل بشخص راسه راس انسان وجسمه جسمفرس (المترجم)

(١) ترسم فوق النقود الذهبية لامبراطورية المغول صورا مختلفة للبروج . انظر مؤلف المسيو بونفيل عن النقود الشرقية ، اللوحة الثانية، اما القطع المرسومة برقمى ٩ ، ١٠ (فى مؤلف بونفيل) فتمثل شكلا لأحد رماة النبال .

(٢) Dissertation sur les médailles Arabes, par A. Barthélemy, Mémoires de l'Académie, Tom. XXVI, pag. 557.

بالأوضـــاع الجديدة بطريقة اكثر يسرا وسهولة ، وأن كانوا قد ادخلوا على تقاليد وعادات المهزومين جزءا من العـادات والتقاليد التى اعتادوها او تمثلوها من البلدان الاخرى التى جاءوا منها ، وطبقـا لذلك فقد يبدو اقل مدعاة للدهشة ان نراهم يظنون أن بمقدورهم أن يزينوا العملات بالصور المختلفة تقليدا للشعوب الأخرى ، أو ان النفور او المقت الشديد للصور والرسوم هو بالاحرى راى خاص او هو مبدا استنه المشرعون والفقهـاء اكثر منه قانونا أو مرسوما ملزما ، ولا نزال نرى حتى اليوم ، عند شعوب مختلفة تعتنق الاسلام صورا ولوحات تمثل بشرا ، وحيوانات .

وحيث كان المسيحيون فى الشرق ، فى هذه الفترة ، اكثر عددا مما هم عليه اليوم هناك ، وحيث كان كل الموكلين بشئون النقود والضرائب، فى غالبيتهم العظمى ، من اليهود أو المسيحيين ، فيمكننا القول بأن هـذه الظروف قد استطاعت أن تسهم فى استحسان « موضة » رسم الصور على النقود ، وبصفة خاصة ، عندما لايعترض من بيده الامر من الحكام على ذلك أما بسبب من لا مبالاة ، واما لأن سلوكا كهذا لايبـدو فى رايه الخاص منفرا أو بغيضا .

وفى النهاية ، اليس بامكاننا ان نحدس أن العرب قـد عمدوا فى بعض الأحيان الى ضرب نقود يقلدون عليها بشكل تتفاوت درجة خشونته صورا تستخدمها الشعوب المسيحية لكى يتجروا معهم ، أو لـكى يحققوا مكاسب طائلة عندما يدسون عليهم نقودا زائفة .

اما عن التناقضات التى تمثلها هـذه الأشكال او الوجوه مع عادات المسلمين فقد نتجت من ان الفنون قد كانت ضئيلة الازدهار فى هذا العهد، وان الغزاة (الفاتحين) أو الحكام ، الذين لم تكن لديهم اية معرفـة ولو سطحية بشئون النقود قد تركوا مهمة صنع النقود الى رجال جهـلاء ، اكتفوا ، حيث هم لا يملكون درجة من المهارة تكفى لانشاء لوحـة ، بأن يقلدوا على نحو غير دقيق الاشكال او الرسوم التى كانت للنقود القديمة، الاغريقية او الرومانية او حتى لعمـلات شـعوب اخرى ، والتى كانوا يستطيعون التزود بها او التى يجدونها هى الاقرب الى اذواقهم ، وكانوا ينقشون من حولها ، او على الوجه الآخر من العملة ، بحروف عربيـة ، اسم أمير او حاكم البلاد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحين اصبح هؤلاء اكثر تمرسا ، وحين استشعروا الضرر الذى ينجم من عملية تقليد غريبة لهذا الحد ، فقد سموا الى رسم الملامح والملابس الخاصة بأمرائهم ، ومع ذلك ، فحيث لم يكن لهم بعد من هاد يحذون حذوه ، وحيث لم يكونوا بعد مهرة فى فن الرسم لحد يكفى لصنع تكوين ، فقد جاءت رسومهم اكثر مدعاة للسخرية واكثر سوءا عند التنفيذ ، مثال ذلك تلك الصور او الأشكال التى يرسمون فيها الأمير جالسا فوق أريكة او ديوان (٣) وساقاه متشابكتان على طريقة الاتراك ، ممسكا بيده سيف ، وبالاخرى راسا مقطوعة .

واذا كان المرء لايقابل الا نادرا ، فى مجال التجارة والمسكوكات فى اوربا سوى عملات نحاسية تحمل هذه الرسوم التى تحدثنا عنها ، فقد يكون بمقدورنا ان نقدم سببا لذلك ان العملات الذهبية والفضية يشتدعليها الطلب من جانب لتتخذ منها النساء زينة ، فلا تخرج الا فيما ندر من أيدى الحريم ، وأن قيمتها الحقيقية — من جهة أخرى — قد حددت فى مختلف الظروف اولئك الذين يقتنونها بقصد اعادة بيعها ولكى يتم صهرها ، الى الصرافين والصاغة واليهود الذين يمونون (بهذين المعدنين) دور سك النقود فى تركيا ، بحيث اصبحت هذه العملات نادرة ، أو لعلها تداختفت بشكل تام . وفضلا عن ذلك كله فان النقود النحاسية قد ضربت بكميات بكميات هائلة للغاية ، وبصفة خاصة فى اوقات الاضطرابات والمحن ، حين يكاد يصبح النحاس هو العملة الوحيدة المتداولة .

ومع انه من المحتمل ان يكون الكثير من هذه المسكوكات قد ضرب بواسطة شعوب مسيحية ، طبقا لراى المسيو تيخسين ، وبرغم ان لدينا ما يحملنا على الظن بصفة خاصة بوجود عدد كبير من النقود الزائفة بين هذه العملات ، صنعت داخل البلاد ، أو تسربت اليها من بلدان مجاورة، فمن المؤكد ، مع ذلك ، ان المسلمين انفسهم قد سكوا بعضا من هذه النقود ، فى عصور الاسلام الأولى على الاقل .

---

(٣) كلمة جاءت من الفارسية ، تعنى فى الأصل اريكة او نوعا من المقاعد بالغة الانخفاض تزينها مربعات يجلس فوقها الشرقيون ، وتعنى بصفة عامة جماعة أو تجمعا من اشخاص جالسين ، ومن هنا جاءت الكلمة الفرنسية douane اى الجمارك أو المكوس أو ديوان (قصر) الجمارك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولما كانت عادة رسم صور الأمراء او رسم اشكال مختلفة تتخذ من البشر والحيوانات رموزا ، شائعة عند مختلف الشعوب عندما استقر الاسلام ، فقد اتبع العرب هذه العادة او قلدوها ، حين لم تكن كراهيتهم للصور بعد قد اصبحت عامة ، ويمكن القول بأن هذه الكراهية قد تطورت تدريجيا بعد ذلك الى ان دخلت — كما يمكننا القول — فى مجال القانون .

وفيما يذكر مؤلفون متفرقون ، فان النبى (ص) نفسه قد استخدم نقودا كانت متداولة فى عصور الوثنية ، لكنه تركها على حالتها نفسها التى كانت عليها قبل نشأة الدين الجديد ، ولقد فعل ابوبكر الذى خلف النبى محمدا الشىء نفسه ، كما ترك امير المؤمنين ابو حفص عمر بن الخطاب ، الذى فتح مصر وسوريا والعراق ، النقود على طرزها القديمة نفسها حتى العام الثامن عشرة من الهجرة (٦٣٩ من تقويمنا) عندما امر ، طبقا لما يورده المقريزى ، بأن تضرب دراهم على الشكل نفسه ، وبالنقوش نفسها التى كانت تستخدم فى زمن كسرى (٤) ، واكتفى بأن اضاف على بعض منها عبارة « الحمد لله » ، وعلى بعض آخر عبارة « محمد رسول الله » ، وعلى بعض ثالث « لا اله الا الله » . وعلى البعض الرابع فى النهاية كلمة « عمر » ، وقد نستنتج من هذا النص ان الدراهم التى امر عمر بضربها تقليدا لدراهم ملوك فارس كانت تحمل صورا ، وان الحواشى كانت مكتوبة بالفارسية .

وفى نحو العام السادس والاربعين من الهجرة (٦٩٦ أو ٦٩٧ من تقويمنا) امر عبد الملك بن مروان بأن تضرب دنانير ودراهم فى كل من مصر والعراق ، وعندما وصلت مسكوكاته هذه الى المدينة ، حيث لم يزل بها بعض من صحابة الرسول فان هؤلاء لم يستهجنوا فيها الا طريقة دمغ نقوشها ، وحيث كانت هذه النقود تحمل صورة فقد اضاف المقريزى بأن سعيدا بن مصعب قد استخدمها دون أن يجد فيها ماينتقده .

ويبدو ان رسم صور الحيوانات اقل تنفيرا للمسلمين ، وبصفة خاصة صورة الاسد ، ونرى هذه الصورة بصفة عامة فى اعمال النقش والحفر

---

(٤) كسرو ، هو اسم فارسى محض (خسرو) ، ويلفظه العرب كسرى ، وهو الاسم الذى يطلقونه بصفة عامة على ملوك فارس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الرسوم التى تستخدم زينة فى بيوتهم وأثاثهم ، وتحمل كل سفنهم على مقدمتها صورة محفورة أو مرسومة لأسد .

وقد أمر الظاهر ركن الدين بيبرس ، الذى ارتقى العرش فى العام ٦٥٨ من الهجرة (١٢٦٠ من تقويمنا) بضرب دراهم سميت بالدرهم الظاهرى ، وأمر بأن يرسم عليها شعاره وهو صورة الاسد ، ولدينا واحدة من هذه القطع الفضية التى تحمل تحت الحواشى المكتوبة بالعربية صورة اسد يجرى فاغرا فاه (٥) .

ويذكر أبو الفرج فى كتابه عن تاريخ مصر أن السلطان غياث الدين ابن كيقباد ، من الأسرة السلجوقية ، أراد بدافع من حبه لزوجته ، التى كانت ابنة لأحد أمراء جورجيا أن يضع صورتها فوق العملات التى امر بسكها ، وانه قد تلقى النصيحة بأن يضع عليها طالعه ، والذى كان عبارة عن شمس فى صورة أسد .

وقد نشر ادلر فى مؤلفه Musée Borgien قطعة نقد عربية نجد عليها صورة شمس تحت صورة اسد ، وعلى وجهيها كليهما صورة نجمة ، وتحمل هذه تاريخ العام ٦٣٧ من الهجرة (١٢٣٩ او ١٢٤٠ من التقويم الميلادى) .

ويحوز المسيو مارسيل Marcel (*) قطعة نقود تحمل النقش نفسه .

ثانيا : النقوش الدينية أو المقتبسة من القرآن

استقرت العادة التى تقضى بالا توضع على النقود سوى حواشى بسيطة منذ وقت مبكر ، وهذا واحد من اقوى الأسباب التى تدفعنا الى الظن بان القطع النحاسية التى تحدثنا عنها هى عملات زائفة او انها لم تضرب بين المسلمين ، حيث تكاد تعود فى غالبيتها الى القرن السادس أو

---

(٥) انظر جدول العملات الملحق بهذه الدراسة ، وتحمل هذه العملة الرقم ٥٤ .

(*) أحد مؤلفى وصف مصر وله دراسة عن النقوش الكوفية على المبانى الاثرية المصرية وله دراسة اخرى عن مقياس الروضة فى مصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السابع من الهجرة (الثالث او الرابع عشر من تقويمنا) ، وترتبط بالأسرة السلجوقية ، فى الوقت الذى توجد فيه نقود ذهبية وفضية ونحاسية قد ضربت منذ القرن الاول من الهجرة (السابع الميلادى) لا تحمل صورا وانما مجرد حواشى ، ونجد مثيلات لها ضربت بيد السلاجقة انفسهم .

وينسب الى عبد الملك بن مروان ، الذى بدا حكمه فى العام الخامس والستون من الهجرة (٦٨٥ ميلادية) انشاء نمط جديد اسلامى (فى مجال المسكوكات) يشتمل فقط على حواشى بغير صور .

ويقال انه قد تبنى هذا الاجراء تبعا لنصيحة يزيد بن خالد بن يزيد الذى اخبره بأن احبار الشعوب التى تقتنى (او نزلت عليها) الكتب القديمة المقدسة يزعمون ان الحكام الذين طال بهم العمر هم اولئك الذين قدسوا اسم الله فوق عملاتهم .

وطبقا لرواية اخرى فان ابن مروان بعد ان ذكر اسم النبى (ص)على راس واحد من كتبه الى امبراطور الروم . تلقى من هذا الأخير ، الذى لم يقع فى نفسه سلوك ابن مروان موقعا حسنا ، ردا يقول فيه « اذا لم تعدل عن هذا الاسلوب فى السلوك ، فسنذكر اسم نبيكم فوق دنانيرنا بالفاظ لن تكون مرضية لكم » ، وصدمت هذه الكلمات ابن مروان ، ونصحه خالد بن يزيد حين استشاره بأن ينشىء نمطا اسلاميا (فى مجال النقود) وان يكف عن استخدام الدنانير الرومية ، وهو ما فعل .

ونقرا فى مرآة الزمان ان عبد الملك بن مروان ، فى العام الخامس والسبعين من الهجرة (٦٩٥ او ٦٩٦ من تقويمنا) حين وجد دراهم ودنانير تحمل تاريخا سابقا على الاسلام باربعمائة عام ، وعليها نقش يقول: باسم الأب والابن والروح القدس ، قد امر بصهرها ، وبان توضع فوق العملات التى استخدمت هذه النقود المصهورة فى صنعها : اسم الله ورسوله وبعض آيات من القرآن .

ومنذ ذلك الوقت اصبحت الحواشى المختلفة عبارات دينية اختارها الحاكم او هى من اقواله هو او من اختيار الشخص الذى وكل اليه امر صنع النقود ، او صارت آيات او نصوصا اقتبست حرفيا من القرآن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكى نعطى فكرة عن هذه النقوش او الحواشى ، سنذكر تلك التى كتبت بخط كوفى والتى يحملها دينار نقلناه معنا من مصر :

على الوجه أ ، وفى ثلاثة سطور ، نجد الشعار الاسلامى :

لا اله الا
الله وحده
لا شريك له

وفى الحاشية ، فى سطر دائرى، نجد هذا النص المقتبس من احدى آيات القرآن : **محمد رســول الله ، ارسله بالهــدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .**

ونجد على الوجه ب ، وفى ثلاثة سطور . هذا النص المــاخوذ من السورة ١١٢ من القرآن :

الله أحد الله
الصمد لم يلد
ولم يولد

ونجد فى الحاشية ، فى سطر دائرى :

باسم الله ضرب هذا الدينار سنة سبع وتسعين [٧١٦ من تقويمنا] .

وقد اورد المسيو تيخسين رسما لدينار ، مماثل (اللوحة الاولى رقم ١) عقب مقدمته عن فن النقود عند المسلمين .

وكما نرى ، فانه لم يوضح على هذه الدنانير لا المكان الذى صنعت فيه ولا اسم الأمير الحاكم ، ومن المعروف ان هذه الدنانير قد ضربت فى دمشق . وتحمل دراهم تنتمى الى العهد نفســه ، بالاضـــافة الى حواشى مماثلة ، اسم مدينة دمشق ، وقد كانت مصر على الدوام ، منذ فتحها وحتى بداية القرن الثالث الهجرى ، مقرا لأحد الأمراء ، وكانت عملتها النقدية هى العملة نفسها التى يصـــدرها الخلفاء . وتقدم الدراهم المعزية التى ضربت فى القاهرة فى العام ٣٥٨ من الهجرة (٩٦٩ من تقويمنا) ، وطبقا لما يورده المقريزى ، النصوص نفسها من القرآن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت هذه النقوش تزيد أو تنقص تبعا لاتساع او ضيق سطح القطعة النقدية او تبعا لما ان كانت تستبدل بهذه النقوش اسماء او القاب الخليفة أو نوابه وولاته واسم المدينة . وان كانت الكلمات التى نراها فى اغلب الاحيان والتى استمرت باقية لاطول وقت على مختلف القطع النقدية هى تلك التى تدل على شعار الايمان بالعقيدة الاسلامية (الشهادة) : **لا اله الا الله محمد رسول الله** وقد وجدناها على نقود القرن السابع الهجرى [الثالث عشر من تقويمنا] (٦) .

ولكى نلم بهذه النصوص المختلفة يمكننا ان نرجع الى مقالة المقريزى والى المؤلفات المختلفة التى نشرت عن النقود الاسلامية ، وبصفة خاصة، المتحف السكوفى Museum cuficum لادلر ، وكذلك مؤلف المسيو تيخسين ، والى مقالة المسيو مارسيل عن المسكوكات العربية والسكوفية فى كتاب وصف مصر .

وقد استهجن بعض الناس عادة تدوين عبارات دينية فوق النقود ، فى ذلك الوقت ، واستهجنها بصفة خاصة قارئى القرآن الذين استشاطوا غضبا أو وجدوها بمثابة اهانة أن يروا اسم الله والرسول وآيات القرآن تساق فى لغة دارجة او سوقية (٧) . فوق نقود هى عرضة لأن يحملها اليهود والنصارى والكفار والرجال على غير طهارة والنساء وقت الحيض او غير متطهرات (*) ، بل ان بعض الفقهاء المسلمين قد حرم استخدامها على الناس عندما لا يكونون فى حالة الطهارة التى يوجبها الشرع .

ومع ذلك فان فقهاء آخرين لم يكونوا من الراى نفسه ، وقد اجاب امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز هذه الاجابة التى تسترعى الانتباه ، حين اقترح عليه احدهم ان يحذف هذه العبارات الدينية ، اتريدون ان تظن الامم اننا غيرنا عقيدتنا فى اله واحد وفى نبينا !!

---

(٦) وبصفة خاصة نقود بيبرس التى سبقت الاشارة اليها ، القطعة رقم ٥٤ (بالجدول) .

(٧) استخدم الخط الفارسى فى البداية .

(*) الترجمة هنا ترجمة للمعنى . (المترجم)

وبرغم ذلك ، فبعد هذا بوقت طويل فقد انتهى الامر بذلك الراى الذى كان ينظر الى هذه العادة باعتبارها رجسا ان انتصر وظهر على غيره من الآراء ،ولم يعد يوضع فوق العملات الا اسم الحاكم والقابه وتاريخ ارتقائه وتاريخ سك العملة والمكان الذى سكت فيه .

ثالثا : اسماء والقاب الامراء

وبالاضافة الى هذه العبارات الدينية ، كانت النقود تحمل فى بعض الاحيان اسم الخليفة او الامير الحاكم .

ويبدو أن ابا جعفر المنصور ، الذى بدا حكمه فى العام ١٣٦ من الهجرة (٧٥٤ من تقويمنا) هو اول خليفة عباسى يأمر بوضع اسمه على النقود ، وان يكن من الملاحظ ان ذلك لم يحدث الا منذ العام ١٥٣ (٧٧٠ من تقويمنا) ،أما النقود التى تعود الى السنوات السابقة على ذلك فلم تكن تحمل سوى نصوص من القرآن .

وحين اصبح الامير ابو العباس احمد بن طولون مطلق السلطة فى مصر (اى حين استقل تماما بحكم مصر) ، كما سبق لنا القول ، امر بأن تضرب دنانير لعله قد أمر بأن ينقش عليها اسمه .

ونتيجة لذلك ، فلسنا نعرف متى توقف تدوين أو نقش العبارات الدينية فوق النقود المصرية بحيث لم تعد تحمل سوى أسماء والقاب الامير الحاكم ، ولابد ان هذه العادة الاخيرة تعود الى سلاطين آل عثمان ، ونعتقد أنها قد بدأت فى عهد مراد بن اورخان الذى ارتقى العرش فى العام ٧٦١ من الهجرة (١٣٦٠ من التقويم الميلادى) .

وكان اسم الامير ينقش كاملا ، بالأحرف كاملة ، وليس فى شكل توقيع او تأشير (طغراء) ، ويليه اسم والده ، جريا وراء العادة التى نقلوها عن العرب .

وهكذا نستطيع ، عن طريق هذا التوسع فى نقش اسم والد الحاكم ، أن نميز السلاطين الذين يحملون الاسم نفسه ، فلم تكن لدى العرب عادة التمييز بين هؤلاء عن طريق اسماء رتمية كما نفعل نحن بالنسبة لملوكنا ؛

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فرانسوا الاول ، هنرى الرابع ، لويس الثالث عشر ، وحين نطلق اسماء مراد (٨) الثانى ومراد الثالث ومحمد الثانى ومصطفى الثالث ، فانما نفعل ذلك استجابة لعادة نتبعها نحن فى اوربا .

لذلك فنحن نقرا على العملات التركية اسماء :

مراد بن محمد
مراد بن سليم
محمد بن مراد
مصطفى بن احمد
سليم بن مصطفى

وتتميز الطريقة التى يتبعها الاوربيون فى الاشارة الى ملوكهم انها تدلنا على الترتيب الذى جاء عليه الامراء الذين يحملون الاسم نفسه ، فى حين ان الطريقة العربية ، لاتدلنا بشكل موضوعى بذلك فحسب ، بل انها تلقى مزيدا من الشكوك وعدم الدقة عندما يحدث ان يتكرر كل من اسم الاب والابن كما نجد ذلك عند كثير من السلاطين ، وهكذا نجد لدينا اثنين من السلاطين باسم محمد بن مراد ،او (طبقا لما اتبعناه فى الاشارة اليهما) محمد الثانى ومحمد الثالث ، واثنين آخرين باسم احمد بن محمد وهما احمد A hmed الاول واحمد الثالث ، واثنين ثالثين باسم مصطفى بن محمد ، وهما مصطفى الاول ومصطفى الثانى .

وهناك عملات ذهبية من الزرمحبوب كتبت عليها الاسماء هكذا بالحروف كاملة (٩) ، وهى تلك التى استمر ضربها حتى الوقت الذى شاع فيه بصفة تكاد تكون عامة تمثيل اسم السلطان على شكل نوع من التوقيع او التاشير ، وقد جاءت هذه العادة من القسطنطينية ، ويطلق اسم

---

(٨) مراد هو ما نطلق عليه اسم امورات Amurath.

(٩) انظر لوحات النقود ، الاشكال ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، وهى التى رتبت فى جدول النقود الذهبية بالارقام من ٢٧ الى ٣١ ، ٣٩ ، ومن ٤١ الى ٤٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طغراء (١٠) على الحروف او التوقيع المختصر للسلطان .

اما قطع الفندقلى ، وكذلك القطع ذوات الاربعين والعشرين مدينى، وكذلك الربعيات وقطع المدينى ، بل واحيانا قطع الجديد ، فلم تكن تحمل على الوجه أ سوى هذه الطغراء ، التى تشغل كل وجه القطعة ، اما وحدها ، واما بصحبة بعض الزخارف المنقوشة على هيئة ورود صغيرة والتى تستخدم بمثابة زينة .

واما فى العملات الذهبية التى يكتب فيها اسم الأمير على شكل توقيع او تأشير فتشغل الطغراء الجزء الأعلى من الوجه أ ، كما يمكننا ان نرى ذلك فوق القطع الذهبية التى رسمناها فى الأشكال ارقام ١٢ ، ١٣ (من اللوحة الثانية) و ٥ (من اللوحة الأولى) [١٠ ، ١٢ ، ١١ من اللوحة الأصلية بهذا الترتيب] . وهذا الرمز او التوقيع ، طبقا لما يورده المسيو تيخسين لا يمثل فقط اسم السلطان مجدولا ومتشابكا فى خطوط ، بل انه يصور كذلك ، اذا ما نظرنا اليه من الجانب ، فارسا يجرى وقد اطلق لحصانه العنان ، وهو امر يبدو بالنسبة للمسلمين اختراعا حاذقا ، يتناسب بصفة عامة مع الروح القتالية عند الأتراك وهم الذين كانوا يفضلون القتال على ظهور الخيل فيما مضى .

ومن جهة اخرى ، فصحيح ان العرب ، شأنهم فى ذلك شأن الاغريق فيما مضى ، فى اوقات انحدار الذوق السليم ، وكما هو الحال عند كتابنا ممن يتمتعون بمهارة يدوية تفوق مهارتهم فى التعبير ، يولون اهمية كبرى لهذه اللعبة الصبيانية التى يصورون فيها عند كتابتهم ، وبواسطة الحروف وخطوط الريشة الطيور والحيوانات المختلفة الخ ومع ذلك فان فكرة محاولة تشبيه تأشير السلطان برجل يمتطى جواده قد جاءت فيما يبدو من بعيد ، بل تبدو ايضا متكلفة ومصطنعة باكثر مما نجد عليه غالبية انتحالاتهم .

اما الامر المؤكد فهو اننا نستطيع أن نميز فى هذه الرموز ، بالاضافة الى الخطوط المختلفة ، التى لا تستخدم فى العادة الا على سبيل الزخرفة،

---

(١٠) طغرا (او طغراء) ، وهى كلمة تركية ، تختلف عن كلمة طغراى التى تعنى الحقيقة والتى يقدمها المسيو تيخسين باعتبارها اشتقاقا من هذه الكلمة الدالة على توقيع او تأشير السلطان .

حروفا من اسم السلطان مجدولة ومتداخلة على نحو قريب الشبه من شكل الطغراء او التأشير . ونلاحظ فى بعض الاحيان كذلك اسم والد السلطان، كما نلاحظ بصفة دائمة وجود لقب خان (١١) ومعناه الامبراطور .

ويقدم المسيو تيخسين فى مقدمته لؤلفه فى النقود عند المسلمين ، ص ١٩ وما بعدها ، سلسلة الخلفاء الاول ، وخلفاء الامويين ، وخلفاء العباسيين الذين ظلت مصر تابعة لامبراطوريتهم لوقت طويل ، ويقدم فى ص ١١٤ سلسلة الخلفاء الفاطميين الذين سيطر بعض منهم على مصر ، وفى ص ٢٣ سلسلة الخلفاء العباسيين الذين تولوا الخلافة التى خلقتها سلاطين مصر بعد موت المستعصم بالله ، وفى ص ٢٨ سلسلة الايوبيين الذين اتخذوا فى مصر لقب ملك ، اما بالنسبة لقائمة المماليك فقد احال الى قوائم المسيو ذى جنى M. de Guignes ، ويقدم فى النهاية فى ص ١٧٣ قائمة بسلاطين القسطنطينية ، والتى ينبغى ان نضيف اليها اليوم اسماء مصطفى بن عبد الحميد او مصطفى الرابع الذى ارتقى العرش فى العام الهجرى ١٢٢٢ (٢٧ فبراير ١٨٠٨) ومحمود بن عبد الحميد او محمود الثانى او محمد السادس الذى ارتقى العرش فى ١٢٢٣ من الهجرة (١١ اغسطس ١٨٠٨) .

وكان الحكام او الأمراء يضيفون بصفة عامة كنيات والقابا مختلفة الى اسمائهم .

وكانت هذه الالقاب فى العادة القابا دينية مثل عبد الله اى خادم الرب ، والظاهر بأمر الله الذى سما او انتصر بمشيئة الله ، والناصر لدين الله اى الذى يعمل على نصرة الدين ، والمنصور بالله والمستنصر بالله اى الذى ينصره الله او يستمد من الله النصر . وهذه الاضافة « بالله » قد استخدمها على التوالى كافة الأمراء العباسيين على وجه التقريب والحقوها هم بكنياتهم بدءا من المعتصم بالله بن هارون الرشيد الذى بدأ حكمه فى العام ٢١٨ من الهجرة (٨٣٣ من تقويمنا) وحتى المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين المقيمين ببغداد والذى لقى حتفه

---

(١١) يقال على الدوام الخان الاكبر للتتار .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى العــام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) حين استولت على هــذه المــدينة قوات امبراطور المغول منكوخان بقيادة هولاكو .

اما الخلفاء من سلالة العباسيين الذين نصبهم ســلاطين مصر او اعترفوا بهم عقب موت المستعصم بالله تاركين لهم ظلا من السلطـــة او بمعنى اصح لقبــا لا فاعلية له وشرف تدوين اسمهم على العملات النقدية فقد ظلوا فى غالبيتهم ، يضيفون الى القابهم كلمة « الله » بدءا من المستنصر بالله فى العام ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ من تقويمنا) حتى المتوكل على الله آخر الخلفـــاء العباسيين الذى اصــطحبه السلطان سليم الأول معــه الى القسطنطينية بعد ان تم له غزو مصر (١٢) .

وقــد اتخذ الخلفــاء الفــاطميون القــادمون من افريقيا واسبانيا كنيات مشابهة .

وتشـابه هذه العبارات الدينية الملحقــة باسماء الخلفــاء مع تعبير Dei gratiâ اى بفضل الله والتى دونت لوقت طويل ، اما كاملة وإما مختصرة فوق عملات كثير من الامراء المسيحيين ، وبصفة خاصة فوق النقود الفرنسية .

اما الالقاب التى اتخذتها الاسرة الايوبية التى بدا حكمهــا لمصر فى العام ٥٦٨ هـ (١١٧٣ م) ، والتى تسمت على هذا النحو باسم ايوب والد صلاح الدين فقد كانت تنتهى بكلمة الدين (١٣) اى عقيدة الاسلام بدلا من ان تنتهى بكلمة الله اى الرب ، مثل صلاح الدين اى اصلاح او امن الدين ، ونصر الدين بمعنى دعم ومساندة الدين ، وسيف الدين ونجم الدين وغياث الدين اى حاميه ، وهذه الكنية الاخيرة كانت الكنية التى اتخذها المعظم (١٤) الذى بدا حكمه فى العام ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) والذى انتهت بنهاية حكمه

---

(١٢) فى العام ٩٢٢ هـ (١٥١٦م) امر سليم كذلك بان يشنق على احد ابواب القاهرة (باب زويلة) طومان باى اخر سلاطين مصر ، وقد تم ذلك فى العام ٩٢٣ هـ (١٥١٧ من تقويمنا) .

(١٣) عندما تاتى اداة التعريف ال امام كلمة تبدا بحرف من الحروف التى يسميها العرب الحروف الشمسية ، يحل اول حرف فى الكلمة عند النطق محل اللام فبدلا من ان تقول تقى الدين (بتسكين اللام وكسر الدال) تقول ادين (بحذف اللام وتشديد وكسر الدال) .

(١٤) ولكنه اشتهر باسم توران شاه .

الأسرة الايوبية . وفى بعض الأحيان كانت هذه الالقاب تاتى للتفخيم أو للتعظيم مثل الملك العادل ، والسلطان الأعظم اى بالغ القوة والنفوذ ، والناصر ، وتميز هذه الكنية او اللقب بشكل خاص سلالة المماليك الشراكسة الذين استولوا على حكم مصر .

وكان الايوبيون فى مصر ، بدءا من صلاح الدين فى العام ٥٦٨ هـ (١١٧٣ م) حتى المعظم غياث الدين ، يسبقون اسمهم بلقب الملك ، وسار على نهجهم كل من المماليك البحرية والمماليك الشراكسة .

اما لقب سلطان فقد اتخذه امراء متفرقون منذ زمان ضارب فى القدم ، وتبناه بشكل دائم الاباطرة الاتراك فى القسطنطينية وجعلوه على الدوام يسبق اسماءهم .

وكانوا يضيفون بعد اسمهم واسم آبائهم ، سواء كانت النقود تحمل الاسم كاملا او فى شكل تاشير او طغراء ، كلمة خان ، وكنا نقرا على الوجه الثانى (ب) من العملة هذه الكلمات مرتبة فى اربعة سطور :

سلطان البرين
وخاقان البحرين
السلطان بن
السلطان (١٥)

ولم تختلف هذه الالقاب قط فوق العملات الذهبية من الزرمحبوب منذ زمان طويل ، وتنتسب اقدم قطعة راينا عليها هذه الالقاب لمراد بن سليم الذى ارتقى العرش فى العام ٩٨٢ هـ (١٥٧٤ من تقويمنا) ، ولعلهاكانت تنتمى لفترة سابقة ، بيد اننا نجد انفسنا نعود فى غالبية الأحيان ، فوق النقود الذهبية التذكارية ، الى حواشى قديمة ، فبدلا من ان يوضع اسم السلطان فى شكل تاشير او طغرا ، نجدهم يعودون فى بعض الأحيان الى عادة كتابة اسم السلطان بكل حروفه ، وبدلا من القاب الحاكم التى

---

(١٥) البرين : اى الارضين اى اوربا وآسيا ، والبحرين : اى البحر الاسود والبحر الابيض المتوسط ، اما كلمة خاقان فتعنى عند التتار كلمة : ملك .

انتهينا من ذكرها ، نراهم يعاودون استخدام القاب اخرى كانت مستعملة فى ازمنة اسبق ، وهكذا نقطع على القطعة الذهبية التذكارية المرسومة فى الشكل رقم ٦ من اللوحة الاولى والتى لا تحمل قط تاشيرا او طغراء ، وعلى الوجه ا منها :

سلطان مصطفى
بن احمد خان
عز نصره ضرب
فى مصر سنة
١١٧١ [اى فى العام ١٧٥٧ من تقويمنا]

وعلى الوجـــــه ب :
ضارب النضر
صاحب العز والنصر
فى
البر والبحر
٨٧ [اى فى العام ٨٧ــ١١ هـ ويوافق ١٧٧٤ م]

وهى السنة التى ضربت فيها هذه العملة التى لابد أن ننسبها الى المملوك محمد بك (ابى الذهب) الذى خلف فى هذا العام على بك الشهير والذى جمع الى سلطة شيخ البلد التى اغتصبها من سيده وولى نعمته على (بك) ، لقب باشا الذى انعم عليه به السلطان مصطفى .

وهذه الصيغة هى على وجه الدقة الصيغة نفسها التى نجدهافوق العملات الذهبية التى يذكرها المسيو تبخسين والتى تنتمى لعهود عديدة كما تدل على ذلك ســـنوات التنصيب او التتويج ٩٧٤ هـ (١٥٦٦ م) ، ٩٨٢ هـ (١٥٧٤م) ، ١٠٠٣ هـ (١٥٩٥م) ، ١١٤٣ هـ (١٧٣٠م) والتى ضربت فى القسطنطينيـــة والقـــاهرة والجزائر المدينـــة وتونس المدينـــة وطرابلس (١٦) ، وهى الصيغة نفسها كذلك التى نجدها على نقود ذهبية ذات قطر اقل والتى نشرها المسيو بونفيل Bonaville برقم ١٦ عن النقود الذهبية التركية التى ضربت فى عهد على بك ، كما سنوضح فيما بعد ،

---

(١٦) ص ١٨٠ من مقدمة كتاب فن النقود والمسكوكات عند المسلمين .

اماالسنة التى صنعت فيها وهي ١١٨٣ هـ (١٧٦٩ أو ١٧٧٠ م) ، فهى سابقة باربع سنوات على تلك السنة التى ضربت فيها القطعة الذهبيـــة التى ورد ذكرها من قبل .

رابعا : الأسماء والألقـــاب والحروف المميزة لنواب السلطان والحكام فى مصر الخ

فى بعض الأحيان كانت النقود تحمل ، بالاضافة الى اسماء الملوك او السلاطين الذين كانت مصر تابعة لهم ، اسماء النواب او اســم ابن الخليفة المرشح اليكون خليفته (ولى العهد) واســـم حاكم مصر الخ مع اضافة كلمة « مما امر به الخليفة » (١٧) فى بعض الأحيان او « مما امر به » (١٨) احيانا اخرى ، او بدون هذه العبارة فى غالبية الأحيان ، وكما نرى على سبيل المثال ، فوق دينار حصلنا عليه واوردنا هنا حواشيه ، التى بدت لنا بالغة الاهمية اذ بينت عليه سنة ومكان الصنع .

ويحمل الوجه ا النصوص القرآنية نفسها التى نجدها على الدينـــار الذى تناولناه فى ص ٣٥٣ من هذه الدراسة ، فيما عدا اننا نجد فى منتصف القطعة ، اعلا الرمز ، اسم المامون ، وهو الخليفـــة المسلم الســـادس والعشرون ، والسابع من خلفاء العباسيين ، والابن الثانى لهارون الرشيد والذى بدا الحكم فى العام ١٩٨ هـ (٨١٣ من تقويمنا) .

وعلى الوجه ب ، فى منتصف القطعة ، وفوق صيغة : محمد رسول الله ، نقرأ اسم : « طاهر » ، وعند اسفل هذه الصيغة نجـــد اسم : السرى . اما طاهر ، فكان الوزير ، وكان يتمتع بكل ثقة ومحبة المـــامون الذى منحه بعد ذلك بوقت قصير حكم اقليم خوراسان وكل الشرق حيث استقل بالأمر هنـــاك ، اما السرى فكان حاكما لمصر ، والذى توفى بها فى العام ٢٠٥ من الهجرة (٨٢٠ من تقويمنا) .

---

(١٧) حول هذه الصيغة ، انظر المرجع السابق ، تاليف تيخسين ، ص ٦٦ وما بعدها .

(١٨) مع بنـــاء الفعل للمجهول .

أما على حواف القطعة ، وبدائرها فنقرا :

بسم الله ضرب هـــذا الدينـــار بمصر ســـنة ثلث (ثلاث) ومايتين
(أى ٨١٨ — ٨١٩ م) .

وهذا التاريخ يثير الفضول حيث كان ابراهيم بن المهدى قد حل فى الخلافة محل المامون فى العام ٢٠٢ من الهجرة (٨١٧ أو ٨١٨ م) وان كان قد عزل فى العام ٢٠٣ من الهجرة (٨١٨ أو ٨١٩ م) ، وتبرهن هذه المسكوكة التى نتعرض لها هنا ان السلطة قد اعيدت الى المامون فى العام ٢٠٢ من الهجرة ، او تدل على الاقل ، ان النقود حتى هذه السنة كانت لاتزال تضرب باسمه .

ولم يكن يدون فوق العملات المختلفة — فيما نرى — ســـوى اسم الوزير او نائب الخليفة ، برغم ان هذا الوزير لم يعلن نفسه قط مستقلا ، فى حين راينا ان هؤلاء الذين استولوا على السلطة ، فى ازمنة اخرى ، واعلنوا من انفسهم ملوكا او سلاطين ، قد ظلوا يحتفظون ، على النقود التى امروا بان توضع عليها اسماءهم والقابهم ، باسماء الخلفاء الذين لم يعودوا يعترفون لهم بسلطة على الاطلاق ، وذلك اما لكى يقدموا لهـــؤلاء ولاء لن يترتب عليه اى التزام ، واما لكى لا يدخلوا الشكوك على مسكوكاتهم الجديدة التى امروا بصنعها .

وفى عصور اكثر حداثة ، اضاف شيخ البلد (حاكمها أو سيدها)(١٩) والباشوات والبكوات الذين كانت تتبعهم دور سك النقود (الضربخانة) الحرف الاول او الحرفين الاولين من اسمائهم على قطع النقود ، فى عهود مختلفة ، كعلامات مميزة ، وكانت هذه الحروف توجد فى اماكن متفرقة ، فنجدها على الفندقلى نحو اسفل القطعة ، على الوجه ب قبل او بعـــد تاريخ التنصيب او التتويج والمعبر عنه بالارقام ، كما يمكننا ان نرى ذلك على قطعة الفندقلى المرسومة فى الشكل رقم ٨ من اللوحة الثانية (٤ من اللوحة الاصلية) وعلى النصفية (نصف فندقلى) المرسومة فى الشكل

---

(١٩) لقب او منصب لايرجع انشاؤه الى ماقبل العـــام ١١٦٧ من الهجرة [١٧٥٣ م] .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رقم ٤ من اللوحة الأولى (٧ من اللوحة الاصلية) (٢٠) حيث نجـــد الرقم ١١٤٣ وهو سنة تنصيب او تتويج محمد بن مصطفى (١٧٣٠ من تقويمنا) مسبوقا بالحرف س (٢١) . وتوجد قطع اخرى من الفندقلى تعود للعهـــد نفسه ، نرى عليها سنة التنصيب نفسها متبوعة بحرف ن .

ونلاحظ كذلك ، على قطع فندقى القسطنطينية ، وبشكل خاص فوق القطع التذكارية (او الاســـتهلالية اى التى تضرب عند مستهل العـــام الهجرى الجديد) منها حروفا مميزة على الوجه ب نحو اعلا القطعة . وفوق حرف البـــاء من كلمة ضرب (*) ، وتلك هى قطع الفندقلى التى نشرها المسيو بونفيل بأرقام ٦ ، ٧ ، ٨ عن النقود الذهبية فى تركيا .

ونجد هذه الحروف الأولى فوق العملات الذهبية ، وعادة علىالوجه ب عند نهاية السطر الثالث من الحاشية ، فوق الحرف الاخير من كلمـــة ابن وهو النون (٢٢) ، فى مكان الزخرف المرسوم على شكل ورود صغيرة أو فى مكان الطغرا التى نلاحظ وجودها على قطع نقود ذهبية أخرىوفوق الحرف نفسه .

اما العملات الذهبية التى لا تحمل حـــروفا أولى او طغرا ، والتى ضربت فى عهد مراد بن أحمـــد (٢٣) ، الذى اعتلى العرش عام ١٠٣٢ هـ (١٦٢٣ م) والتى رســـمناها فى الشـــكل رقم ١١ من اللوحـــة فتحمل « لام الف » (لا) .

ونلاحظ على الوجه ا للقطعة الذهبية التى نشرها المسو بونفيـــل تحـ ترقم ١٦ ، اللوحة الثانية ، عن النقود الذهبية التركية ، والتى نجد

---

(٢٠) انظر اللوحات الملحقة بهذه الدراسة ، وانظر أيضا عقب هذه الدراسة قطع الفندقى المذكور بجدول النقود بأرقام ١١ ، ١٣ ، ١٤ .

(٢١) انظر الجدول ، القطع من ١٠ الى ١٤ .

* تبدو هذهالحروففى رقم ٦ ا٦ وتتابل ـ أو ح ، وفى الأرقام ٧ ، ٨ عين (عـ — ع) أو عـ ب ولعلها الحروف الأولى لكلمتى عبد الله

(٢٢) بن أو ابن ، وأحيانا تقرأ هذه واحيانا تقرأ تلك فوق قطعالنقود ، وان كنا نقرأ الأخيرة فى أغلب الأحيان .

(٢٣) Amurath IV.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حواشيها وأطرها هى الأطر والحواشى نفسها التى للمسكوكات الذهبية التذكارية التى عملنا على رسمها فى الشكل رقم ٦ من اللوحة الأولى (١٢ من اللوحة الأصلية) عند أعلى القطعة ، وفى مكان الاطار الوردى الذى تحمله العملة المشار اليها (رقم ٦ من اللوحة الاولى فى هذه الدراسة) وجود حرفى العين واللام ، وهما الحرفان الأولان من اسم على بك ، موضوعين بعد كلمة سلطان وفوق كلمة مصطفى ، اما على الوجه فنجد الرقم ٨٣ الدال على ان هذه القطعة قد ضربت فى العام ١١٨٣ من الهجرة (١٧٦٩ او ١٧٧٠ من تقويمنا) وهى الفترة التى استقل فيها على بك ، وعلى هذا فان على بك لم يأمر قط بضرب النقود بسكته الخاصة (اى باسمه) كما يذكر المؤرخون (٢٤) ، وانما ضربها بسكة السلطان الحاكم مصطفى بن احمد ، فهو اذن لم يفعل سوى أن انتهج نهج شيخ البلد عندما امر بنقش الحروف الأولى من اسمه فوق قطع النقود .

اما القطعة الذهبية التى نشرها بونفيل برقم ٩ من اللوحة الأولى الذهبية التركية فتحمل حرف صاد (ص) (٢٥) ، وقد ضربت هذه القطعة فى القاهرة فى عهد السلطان عثمان بن مصطفى الذى ارتقى العرش فى العام ١١٦٨ من الهجرة (١٧٥٤ من تقويمنا) .

اما القطعة الذهبية التى رسمناها نحن فى الشكل رقم ٥ من اللوحة الأولى (١١ من اللوحة الاصلية) والتى ضربت فى القاهرة فى عهد مصطفى بن احمد الذى تولى الحكم فى العام ١١٧١ من الهجرة (١٧٥٧ من تقويمنا) فتحمل حرفى الميم والدال (٢٦) ، ويلاحظ وجود هذين الحرفين

---

(٢٤) Volney, Voyage en Egypte et en Syrie, p. 110, 1er Vol, édit 1787.

(٢٥) وهو يقابل حرف الـ s عندنا ، وقد اتفقنا عند اعداد وصف مصر على أن نجعل الـ s الفرنسية مقابلة للسين أو الصاد اذ نحن لانستطيع فى حروفنا أن نبرز الفرق القائم بين النغمتين الصوتيتين لهذين الحرفين العربيين . ويلجأ بعض المهتمين ، حتى يفرقوا بين الحرفين ، أن يجعلوا الـ sh مقابلة للصاد . انظر التنويه الوارد عقب مقدمة وصف مصر (وقد وردت عقب مقدمة المسيو فورييه ، التى نشرناها ملحقة بالمجلد الأول من الترجمة العربية ، الطبعة الثانية — المترجم) .

(٢٦) مد ، ولعلهما اختصار لأحمد أو محمد .

تنسبهما على قطعتين ذهبيتين نشرهما المسيو بونفيل ، احداهما تذكارية برقم ١٥ والاخرى عادية نشرت برقم ١٤ (اللوحة الثانية من النقود الذهبية التركية) ، وقد ضربت كلتاهما فى القاهرة فى العهد نفسه والسنة نفسها التى ضربت فيها القطعة الذهبية التى نشرناها نحن ، وان كان ذلك قد تم بسكة مغايرة ، كما نستطيع أن نرى ذلك عن طريق الاختلاف البين سواء فى حبيبات الاطار أو فى حروف الكتابة .

وتتميز كل واحدة من هذه العملات الثلاث بأنها تحمل ، الى جانب الحروف المميزة التى انتهينا من الحديث عنها ، رقما يدل على سنة الصنع ، وهو رقم لا نجده فى غالبية القطع الذهبية الأخرى اذ ان الحرف المميز يشغل مكانه (اى مكان الرقم) .

وتحمل القطع الذهبية الأخرى ، التى تدخل ضمن جدول العملات الملحق بهذه الدراسة ، بارقام مسلسلة هى ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، والتى تعود الى عهد مصطفى الذى تولى الحكم عام ١١٧١ هـ (١٧٥٧ م) ، وفى مكان التاشيرة او الطغراء المميزة الحرفين ميم طاء أو ميم صاد (٢٧) .

وهناك قطع ذهبية اخرى ، وردت برقم ٢٧ (اللوحة رقم ٣ من النقود الذهبية التركية للمسيو بونفيل) ، ضربت فى القاهرة ، فى عهد سليم الذى تولى الحكم فى العام ١٢٠٣ من الهجرة (١٧٨٩ من تقويمنا) تحمل الحرفين : الف وسين (ا س) ، وهما الحرفان الاولان من اسم اسماعيل بك الذى ترك له حسن ، قائمقام باشا ، حكم مصر ، بعد حملته ضد البكوين ابراهيم ومراد ، والذى مات فى جائحة الطاعون الشهيرة بالقاهرة فى العام ١٢٠٥ من الهجرة (١٧٩١ من تقويمنا) .

واخيرا ، فهناك بين قطع النقود الذهبية والنصفيات التى ضربت (فى مصر) فى عهد الاحتلال الفرنسى عملات ضربت بمعرفتنا ، وقد احتفظنا ببعض منها ، وكان الحرف المميز الذى نقشناه عليها هو الحرف الفرنسى b ، وهو الحرف الأول من اسم القائد العام بونابرت **Bonaparte**.

---

(٢٧) مـ صـ ، وقد تكون مص او مط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اما فيما يختص بالغروش التى امر على بك بضربها ، فان الحروف الاولى من اسمه توجد على الوجه ب عند اعلى القطعة ، وفوق حرف الباء من كلمة ضرب ، وفيها نجد حرف اللام متحدا بحرف الباء من كلمة ضرب ، عن طريق واحدة من هذه الزخارف المتكلفة الشائعة عند الكتاب العرب ، بطريقة تجعل منهما لاما وياء (لى) الامر الذى تتكون معه كلمة على باكملها كما نستطيع ان نرى فوق القطعة ذات الاربعين مدينى التى معنا والتى رسمناها فى الشكل رقم ١٦ من اللوحة الثالثة (و ١٦ من اللوحة الاصلية) وفوق القطعة ذات العشرين مدينى والتى رسمناها فى الشكل رقم ٢٢ من اللوحة الرابعة (١٨ من اللوحة الاصلية) .

وتتميز قطع المدينى التى ضربت فى عهد على بك بنفس الحروف الاولى والتى رتبت بطريقة مشابهة ، وقد نشرنا صورة واحدة منها فى الشكل رقم ١٨ من اللوحة الثالثة (٢٠ من اللوحة الاصلية) . وفى الوقت نفسه فاننا نجد فى غروش على بك خاصية بالغة الاهمية ، اذ راق له ان يغير فى سنة الاصدار (او السنة التى تحملها القطعة النقدية)فجعلها سنة ١١٨٣ هـ (١٧٦٩ او ١٧٧٠ م) بدلا من العام ١١٧١ هـ (١٧٥٧ م) وهى السنة التى تولى الحكم فيها السلطان مصطفى ، ان مادفعه لتجديد كهذا ، لم يسمح لنفسه به عند اصدار عملات اخرى هو بلا جدال رغبة خفية من جانبه فى تحسس الوقت الذى يمكنه فيه أن يعلن استقلاله او فقط تلمس السنة التى ينشىء فيها فى مصر صناعة هذه العملات ، ولم يحتفظ على بك فيها مطلقا الا بطغراء السلطان الحاكم ، بحيث لانستطيع القول مطلقا بأن هذه العملات النقدية نفسها برغم انها من انشائه ، اى من انشاء على بك ، قد ضربت بسكته .

وحتى وقت قليل ، لم يستطع احد ان يقدم تفسيرا لمعنى او لسبب استخدام هذه الحروف التى نلاحظ وجودها فوق كثير من العملات التركية ، والتى ـ اى الحروف ـ بدت فوق نطاق الحصر او بغير ذات معنى ، لكننا سوف نستخدمها ، اذا ماتوصلنا الى معرفة اسماء الحكام من مشايخ البلد والباشوات او البكوات الذين تشير اليهم هذه العملات ، والى معرفة الزمن الدقيق او المحدد (لتوليهم السلطة) فى تحديد فترة الصنع بدقة ، بالاضافة الى كل ماسبق ، لأن هذه الحروف تاخذ عادة فوق القطع التى نلاحظها

عليها، مكان الأرقام التى كانت ستستخدم فى الدلالة على سنة تولى الحكم او سنة الصنع فى حين لم تكن القطعة تحمل الا سنة تنصيب السلطان كما سنرى عند الحديث عن تاريخ الاصدار .

خامسا: الأدعيات أو الأمانى المرجوة للأمير الحاكم

وهذه صيغات مهذبة فى شكل دعوات وامنيات ، يتم التعبير عنهـا بأسلوب متميز نجده بصفة خاصة عند العرب ، بفعل عادة ضـاربة فى القدم ، وتضاف رغبة فى التكريم بعد أسماء كبار الشخصيات عندما يرد ذكرها ، مثال ذلك اسماء النبى وآل بيته والسلاطين او الحكام . واكثر الصيغات التى نقرؤها ، من هذا النوع ، فوق المسكوكات وقطع النقود هى : صلى الله عليه وسلم ، خلد الله ملكه وسلطانه ، خلد الله ملكه ، دام ملكه — وهذه الأدعية الأخيرة هى ما تحمله القروش او العملات التى لا تحمل طغراء السلاطين والمضروبة فى القسطنطينية ، والتى اورد المسيو بونفيل رسوما لها فى مؤلفه ، وتعود أولاها ، وهى المرسومة فى الشكل رقم ١ ، لعهد مصطفى ، الذى تولى الحكم فى العـام ١١٧١ الهجرى (١٧٥٧ من تقويمنا) ، أما الثانية والتى رسمت فى الشكل رقم ٤ فتعود الى عهد عبد الحميد ، الذى ارتقى العرش فى العام ١١٨٧ هـ (١٧٧٤ من تقويمنا) .

اما الصيغة التى شاعت منذ وقت طويل فهى : عز نصره ، ونجدها فى الوقت نفسه الذى نجد فيه الأدعية السابقة (دام ملكه) ، منقوشة فوق قطعة نقود تعود الى عهد بايزيد ، ثم نجدها وحدها فوق قطعة نقد ذهبية من عهد سليمان بن سليم الذى ارتقى العرش عام ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ من تقويمنا) ، ونلاحظ ان نقوش هذه القطعة هى النقوش نفسـها التى سبق ان ذكرناها فى ص ٣٥٩ من هذه الدراسة .

وتشكل هذه الأدعية وحدها احد عناصر النمط الذى شاع استخدامه من العملات الذهبية على يد السلاطين منذ مايقرب من ثلاثة قرون ، كما يمكننا ان نرى فوق العملات الذهبية المختلفة التى رسمناها فى اللوحـة

الملحقة بهذه الدراسة (٢٨) .

ونجد هذه الصيغة نفسها على الوجه ا لقطع الزرمحبوب تالية لاسماء السلطان ، بعد كلمة خان ، بالنسبة للقطع الذهبية التى تحمل اسم السلطان مكتوبا بحروفه كاملة (٢٩) واسفل طغراء السلطان بالنسبة للقطع التى تحمل اسمه فى شكل تأشير او طغراء (٣٠) . ثم نجد هذه الصيغة نفسها عند اعلا القطعة على الوجه ب بالنسبة لقطع الربعيات (٣١) ، وتقابل هذه الأدعيات تلك التى كانت تستخدمها فرنسا .

Domine, salvum fac Reg m.

اى حفظ الله الملك ، وهى التى نجدها محفورة على حواف نقودنا .

سادسا : المدن التى تسك فيها النقود

لم تكن المسكوكات القديمة تحمل اسم المدن التى ضربت فيها ، ولدينا على ذلك امثلة عديدة ، ذكرنا اثنين منها صص ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، من هذه الدراسة ، بالاضافة الى مثال آخر سيرد ذكره فى صفحة ٣٦٧ .

وقد استقرت منذ وقت طويل وبشكل مستمر عادة ذكر المدينة التى تضرب فيها النقود .

لكن المصريين المحدثين لم يستخدموا ، مثلما فعلت شعرب اخرى كثيرة ، عند الاشارة الى المدن او دور سك النقود ، رموزا او اشارات متفقا عليها او اختصارا او حرفا واحدا كما تحمل كل العملات الفرنسية

---

(٢٨) الوجه ا للأشكال ٥ ، ٦ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ والوجه ب من الشكل رقم ١٥ (من الطبعة العربية) .

(٢٩) انظر اولا : القطعتين رقمى ١٠ ، ١١ حيث تتجزأ فيهما هذه الصيغة : عز ونجدها فى نهاية السطر الثانى ، ونصره ونجدها فى بداية الثالث ، ثانيا : القطعة رقم ٦ حيث نجد الصيغة كاملة فى نهاية السطر الثانى ، ثالثا : القطعة رقم ١٤ حيث نجد الأدعية نفسها فى بداية السطر الثالث .

(٣٠) انظر القطع المرسومة فى الأشكال ٥ ، ١٢ ، ١٣ .

(٣١) انظر الشكل رقم ١٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتى اليوم ، ويجدر بالذكر أن هذا الحرف ليس هو بالضرورة الحرف الاول من اسم المدينة اذ يشار الى باريس بالحرف A والى لاروشيل la Rochelle بالحرف H الخ (٣٢) .

ويخيل الينا ان النقود لا يمكنها ان تقدم ماننشده من الوضوح فى مجال الدلالات او الرموز ، اذا نحن نظرنا اليها باعتبارها ابنية او منشئات تاريخية ، ان الاختصارات لا تكون ضرورة لا مفر منها الا حين تقتضى ذلك قلة اتساع سطحها ، ومن الأفضل الا تمس هذه الاختصارات سوى الكلمات بالغة الشهرة او المالوفة للغاية ، وكذلك الكلمات الأقل اهمية والتى نستطيع ان نحددها بسهولة . لا شيء اذن يمكنه ان يحول دون ان نضع فوق عملاتنا اسم المدينة (التى سكت فيها) كاملا او مختصرا او على الاقل ان نشير اليها بالحرف الأول من اسمها .

اذن فقد كان المصريون ، ولا يزالون ، يكتبون اسم المدينة كاملاً ، ولكى يكون الامر بعيدا عن اى شك فانهم يكتبونه مسبوقا بكلمتى : ضرب فى ، ونقرا اسم المدينة فوق كلمة « سنت » على الوجه ب خلف التاشير او الطغراء وذلك فوق قطع الفندقلى ، وربعيات الفندقلى وكذلك فوق القطع ذوات الاربعين مدينى وذوات العشرين مدينى وفوق قطع المدينى ايضا ، اما فوق العملات الذهبية الأخرى ونصفياتها ، سواء كانت تحمل طغراء او كانت بدونها (٣٣) فاننا نجدها على الوجه أ فوق سنة الاصدار مباشرة ، ومتبوعة فى السطر نفسه بكلمة « سنت » مكتوبة بحروف اصغر بكثير .

وتحمل القطعة رقم ٢٥ اسم المدينة : مصر ، موضوعا فى اعلا القطعة ، فوق اسم السلطان محمود ، ويرجح انكانت فوقها بعض حروف

---

(٣٢) بخصوص الحروف الدالة على المدينة او الدار التى سكت فيها النقود ، انظر مؤلف المسيو بونفيل ص xxii ، وكان يشار الى مدينة بو بعلامة مميزة هى شكل بقرة ، بدلا من استخدام الحروف.

(٣٣) انظر على وجه التحديد الأشكال ١،٢،٣،٤،٧،٨،٩ ، وكذلك الاشكال من ١٥ الى ٢٦ فيما عدا الشكل رقم ٢٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم نستطع تبينها ولم يستطع الحفار بسبب انطماسها ان يتمثلها عند حفره الشكل نفسه (رقم ٢٥) .

وفيما مضى ، كان اسم المدينة ياتى مسبوقا بحرف الجر ب (٣٤) ويقابل عندنا حرفى الجر à, par ثم استبدل به نهائيا ، ومنذ وقت طويل حرف الجر فى (٣٥) ويعنى عندنا dans ,a .

اما مدن مصر ، التى كانت تضم فى الماضى دورا لضرب النقود فهى الاسكندرية ، والمنصورة ، وقوص والفسطاط او مصر العتيقة ، والقاهرة او مصر (بفتح الميم) .

والاسكندرية هى المدينة التى نطلق عليها نحن اسم Alexandrie، ودار سك النقود فى هذه المدينة البالغة القدم ، والتى تتمتع منذ اسسها الاسكندر بتجارة هائلة ، هى بالضرورة سابقة على دور ضرب النقود الاخرى ، اذا كانت لاتزال تعمل فى القرن السادس الهجرى (الثالث عشر من تقويمنا) ، ولم تكن دار سك النقود بالمنصورة قد انشئت بعد ، حتى

---

(٣٤) بدمشق ، بمصر (بفتح الميم) بالقاهرة .

(٣٥) الطريقة التى ترسم بها هذه الكلمة تسترعى النظر ، فحرف الياء يلتف ويستطيل ليقسم وجه القطعة الى قسمين ، انظر الاشكال ١، ٢، ٣، ٤، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١ ، ومن ١٤ الى ٢٤ ثم ٢٦ ، اما فى القطع الذهبية ونصفياتها . التى تحمل طغراء او التى لا تحمل هذه الطغراء يستطيل حرف الباء من كلمة ضرب كذلك اسفل الياء من كلمة فى بطريقة يشكل معها هذان الحرفان خطين متوازيين يمضيان الى نهاية القطعة . انظر القطع ٥ ، ١٢ ، ١٣ . وفى بعض الاحيان نجد الياء غير منقوطة كما توضح ذلك اغلبية القطع المرسومة فى اللوحة الملحقة بهذه الدراسة ، وفى احيان اخرى توجد نقطتان اسفل الباء والى اليسار منها كما نجد فى القطع ارقام ٤، ٧، ٨، ١٦، ٢٢، ٢٣، ٢٦ وفى احيان ثالثة توضع النقطتان فوق الياء على جانبى طغرا السلطان كما نجد ذلك فى الشكل رقم ١٢ .

واخيرا نجد فى القطع الذهبية ونصفياتها ، التى تحمل تاشيرا او طغراء ، حرف الجر فى قد انتقل لياخذ مكانه اسفل الطغراء مباشرة ، ونجدها فى ترتيب الكلمات المكتوبة الاولى من نقوش الحاشية وان كانت فى ترتيب النطق تاتى الرابعة ولابد ان تسبق كلمة مصر كما يحدث فى بقية القطع الاخرى ، وهذا التبديل فى ترتيب الكلمات امر شائع الحدوث فى الكتابة العربية .

هذا المهد ، وقد بنيت المنصورة ، التى كان مؤلفونا القدامى يسمونها la mans u'e ؛ بالقرب من النيل ، على فرع دمياط ، على يد المنصور بالله (٣٧) والد المعز لدين الله فى نحو العام ٣٣٨ من الهجرة (٩٤٩ من تقويمنا) ، وقد اشتهرت هذه المدينة بهزيمة الصليبيين الفرنسيين بقيادة القديس لويس ، الذى اقتيد فيها اسيرا . وكانت هذه المدينة فى بعض الاحيان مقرا للخليفة ، ونجد اسمها فوق بعض من قطع النقود وبعض المسكوكات او الانواط الزجاجية بالاضافة الى اسم المعز لدين الله (٣٨).

اما قوص ، وهى ابوللينو بوليس بارفا فى مصر العليا ، فتقع على بعد ١٣٠٠ متر من شواطىء النيل ، وقد اختيرت ، بسبب موقعها القريب من النيل ومن مدينة القصير دون شك ، لكى تكون نقطة لقيام ووصول القوافل التى تتعهد تجارة الجزيرة العربية والهند مع مصر . واذا ماصدقنا مايذكره ابو الفداء ، فقد كانت هذه المدينة ، هى اهم مدينة فى كل البلاد بعد الفسطاط ، وقد كانت هى مرفا التجارة الكبرى التى كانت تتم عن طريق الخليج العربى (البحر الاحمر) ، وتتطابق مساحات الانقاض الواسعة التى تحيط بموقع المدينة تمام التطابق مع شهادة ابى الفداء ، لكن قوص اليوم لم تعد سوى نجع صغير ، وتحولت اعداد كبيرة من مساكنها المهجورة الى خرائب ، اما الغالبية العظمى من سكانها ، فهم من المسيحيين الاقباط (٣٩) .

وكانت مصر العتيقة ، او الفسطاط (٤٠) قديما ، تقع على النيل

---

(٣٦) او المنصورية :

(٣٧) توفى المنصور بالله فى عام ٣٤١ هـ [٩٥٣ من تقويمنا] .

(٣٨) انظر :

Adler, museum cuficum Borgianum, tom II, p 151.

(٣٩) انظر : دراسة موجزة عن خرائب قفط وقوص ، تاليف السيدين جولوا وديفيلييه ، وصف مصر ، العصور القديمة ، المجلد الثانى ، الفصل العاشر ، ص ٦٦ .

(٤٠) الفسطاط وتعنى الخيمة ، فقد بنيت هذه المدينة بامر من عمرو ابن العاص ، فى المكان نفسه الذى امر بان تضرب فيه خيمته على شاطىء النيل ، وتسمى اليوم مصر العتيقة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مباشرة ، وتقع القاهرة الجديدة على مسافة قريبة منها ، وهناك ترعة يحمل اليها مياه النيل .

وطبقا لما يقول المقريزى ، فقد دخل جوهر الخطيب الصقلى مصر على رأس جيش المعز لدين الله فى العام ٣٥٨ من الهجرة (٩٦٩ من تقويمنا) ، وبنى فى المكان نفسه الذى كان قد عسكر فيه القاهرة (٤١)، التى اصبحت مقرا لامبراطورية الخلفاء ، وامر بأن تضرب باسم الخليفة المعز كمية هائلة من الدنانير ، كان السطر الثالث من النقوش المدونة عليها يحمل عبارة : ضرب فى مصر سنت ٣٥٨ .

ونادرا ما يشار فى العربية الى القاهرة باسمها هذا ، بل يطلقون عليها اسم مصر (بفتح الميم) فى السياق التاريخى ، ويطلق هذا الاسم كذلك على مصر كلها ، وهى الكلمة الوحيدة التى نقرؤها فوق العملات منذ قرون كثيرة ، فيما عدا درهم ركن الدين بيبرس الذى سبقت الاشارة اليه ، حيث نقرا عبارة : ضرب بالقاهرة .

وقد اقيمت دار سك النقود فى البداية بجوار محل للتروس او الدروع ، كانت تسمى فى زمن المقريزى باسم خان مسرور الكبير (*) .

وحين امسك صلاح الدين بمقاليد الامور فى مصر ، امر بنقل هذه الدار الى مكان آخر ، فبنيت دار جديدة تسمى القشاشين ، واطلق عليها اسم الدار الآمرية باسم الخليفة الآمر بأحكام الله ، اما الدار القديمة فقد بقيت لضنع بعض المسكوكات الخاصة حيث كانت تضرب العملات التذكارية ، ومسكوكات خميس العدس التى تناولناها من قبل فى ص ٣٣٩ من هذه الدراسة ، وهى اليوم فى قصر قلعة القاهرة ، وقد بنيت فوق جدران القصر تجاه جبل المقطم (٤٢) ، الذى يكتشف المرء عند سفحه ، حين يطل من اعلا القلعة ، مدينة المقابر ، وهى اقدم واهم جبانة فى القاهرة .

---

(٤١) القاهرة اي الظافرة ، وتبعا لما يقول ابو الفداء فقد وضع جوهر أساسها فى العام الهجرى ٣٥٩ (٩٦٩ من التقويم الميلادى) .

(٤٢) وتعنى الكلمة بالعربية المقطوع ، وهو الجبل الذى يحف بالشاطىء الشرقى للنيل ، فى مواجهة الهضبة الليبية التى تمتد بطول الشاطىء الآخر .

(*) خان أى سوق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ودار سك النقود فى القاهرة هى وحدها التى توجد حاليا فى مصر، يعود انشاؤها الى العام الالف من الهجرة (١٥٩١ من تقويمنا) ،وتسمى ار سك النقود بالعربية باسم دار الضرب اى الدار التى تضرب او تسك يها النقود (الضربخانة) .

سابعا : تاريخ الاصـــدار

توضح النقود العربية الضاربة فى القدم سنة الصـــنع لكنها لاتذكر سنة تنصيب أو تتويج الأمير ، ويعبر عن تلك السنة بالحـــروف كاملة . قد قدمنا لذلك من قبل مثالين : احدهما من العام ٩٧ من الهجرة (٧١٦م) ى ص ٣٥٤ من هذه الدراسة ، وثانيهما من العـــام ٢٠٣ من الهجـــرة ٨١٨ أو ٨١٩ من تقويمنا) فى ص ٣٦٠ من هذه الدراسة ، وبامكاننا ن نورد من ذلك امثلة اخرى عديدة ، لـــكننا نكتفى بان نشير ، كمثـــال الث ، الى دينار حصلنا عليه يحمل هذه العبارة : بسم الله ضرب هـــذا ادينار فى سنت ثنتين وسبعين وميه (١٧٢) ، وهو تاريخ يوافق عهد ارون الرشيد ، الذى بدا حكمه فى العـــام ١٧٠ من الهجرة (٧٨٦ من لتقويم المسيحى) . اما العبارات القرآنية المدونة عليه فهى نفسها التى كرناها فى ص ٣٦٠ ، وان كانت هذه القطعة النقدية لا تحمل لا اسماء لخليفة ولا اسماء عماله ولا اسم المدينة التى ضربت فيها .

ويحسن بنا ان نسترعى نظر اولئك الذين لم يالفوا اللغة العربيـــة لى ان الارقام تكتب وتلفظ بدءا من الآحاد ، فهم يلفظون العدد ١٧٢ على سبيل المثال على النحو التالى : اثنان وسبعون ومائتان " وهكذا " فبرغم ن العرب يرتبون الأعداد التى استعاروها منا بالترتيب نفسه الذى نضعها ليه ، فانهم يقراون ويكتبون الارقام معكوسة مثل بقية كتاباتهم اى باتجاه عاكس لاتجاهنا ، ذاهبين من اليمين الى اليســار .

ولا يزال القوم فى بعض اقطار الامبراطورية العثمانية يسجلون على لعملات ، وبحروف عربية " سنة صنعها ، وهو مانراه فوق القطعة الذهبية القطعتين الفضيتين ، وهى القطع الثلاث المرسومة فى مؤلف المســيو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بونفيل ، اللوحة ٥ ، الخاصة بالعملات النقدية فى اقطار البربر ، بارقام ٢٤،١٤٦ ، والمضروبة فى تونس المدينة ، الاولى فى عهد مصطفى فى العام الهجرى ١١٨٧ (١٧٧٣ م) والثانية فى العهد ذاته فى العام ١١٨٦ من الهجرة (١١٧٢ م) اما الثالثة فتعود الى عهد سليم فى العام ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) .

ومع ذلك فقد رجحت منذ زمان طويل ، وفى الغالبية العظمى من دور سك النقود فى الامبراطورية العثمانية عادة ان تبين فوق النقود سنة التتويج بدلا من سنة السك وان تكتب الأعداد بالحروف وليس بالأرقام ، كما نستطيع ان نرى على كل القطع المرسومة فى اللوحات الملحقة بهذه الدراسة .

وقد قادت هذه العادة الكثير من المؤلفين الى الخطأ ، فقد اخذوا السنة التى تحملها القطعة باعتبارها سنة الصنع ، فى حين يحتمل ان تكون القطعة النقدية قد ضربت بعد ذلك بسنوات عدة .

وقد اشير الى العملات التركية الواردة فى المؤلف الرائع الذى وضعه بونفيل عن النقود الذهبية والفضية فى الدول المختلفة ، باعتبارها تنتمى لهذه السنة او تلك وليس لهذا العهد او ذاك (اى انه اعتبر سنة التتويج هى سنة الاصدار) .

ونعتقد أن علينا هنا أن نورد الأرقام العربية مقابلة بارقامنا حتى نلم باشكالها الحالية وحتى نتعرف بعد ذلك على قيمتها فى المسكوكات التى رسمناها فى وصف مصر :

٠	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
0	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10

ويأخذ رقم خمسة (٥) عندهم رقم الصفر (0) عندنا ، فى حين يكتبون هم الصفر على شكل نقطة .

وتوجد سنوات التتويج ، بالنسبة لقطع الفندقلى والقطع ذوات الاربعين والعشرين مدينى والمدينى والعملات النحاسية ، مدونة على الوجه ب عند اسفل القطعة وهو الوجه المقابل للوجه الاخر الذى يحمل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طغراء السلطان . اما فى القطع الذهبية الأخرى (الزرمحبوب) فيوجد هذا التاريخ على الوجه أ الذى يحمل اسماء السلاطين مكتوبة بالحروف كاملة أو فى صورة طغراء .

وعلى الدوام ، تسبق كلمة سنة ، وهى تعنى كذلك العام ، تاريخ الضرب المكتوب بالحروف كاملة او بالارقام على العملات المصرية القديمة والحديثة ، كما يمكننا ان نرى من الأمثلة التى ذكرناها من قبل ، وفى العملات التى رسمناها فى اللوحة الملحقة بهذه الدراسة ، فى حين اننا لا نقرا كلمة « سنت » هذه على اى من عملات القسطنطينية ، كما يمكننا من ذلك من فحص كل القطع التى نشرها المسيو بونفيل فى مؤلفه ،وكما يدعم ذلك الراى ، تلك القطع التى حملناها معنا من مصر .

وقد سبق لنا ان لاحظنا ان المملوك الشهير على بك ، الذى امتثل هو نفسه للعادة السائدة بشكل عام فى القسطنطينية والقاهرة الخ حين امر بأن تكتب على العملات (التى اصدرها) سنة تنصيب السلطان مصطفى وهى العام ١١٧١ الهجرى (١٧٥٧ م) ، وانه قد نحى هذه القاعدة فى الوقت نفسه ، من القطع ذوات الـ ٤٠ والـ ٢٠ مدينى التى تحمل كلها « سنت » ١١٨٣ (١٧٦٩ أو ١٧٧٠ من تقويمنا) .

ونلاحظ ، بخلاف الأرقام الدالة على سنة التنصيب او التتويج ، وفوق قطع نقدية عديدة من اصدار القاهرة والقسطنطينية وجود ارقام تختلف التفسيرات بشأنها ، وان كانت تتفق كلها فى النظر اليها باعتبارها جاءت خصيصا للاشارة الى زمن الصنع .

وتوضع هذه الارقام فى قطع الفندقى ، والقطع الفضية وقطع المدينى ، بل كذلك العملات النحاسية ، والتى تحمل كلها طغراء السلطان ، على الوجه ب ، عند اعلا القطعة ، فوق حرب الباء من كلمة ضرب (٤٣) ، وهو الشيء نفسه الذى لاحظه المسيو تيخسين Tychsen فى مقدمته عن

---

(٤٣) انظر القطع المرسومة فى الاشكال ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦ ، وكذلك القطع الواردة بجدول النقود او العملات بارقام مسلسلة : ٢٥، ٥٩، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٨٣، ٨٤ .

من النقود الاسلامية بخصوص القطع التى ضربت فى القسطنطينية والتى تحمل طغراء السلطان . ومع ذلك فلا يبــدو انه قد لوحظ من قبل وجود ارقام اخرى كذلك فوق القطع الذهبية صنع القــاهرة والقسطنطينية ، وسواء كانت هذه العملات تحمل اسم السلطان كاملا ام تقتصر على طغرائه، الغرض منها ان تشير بايجاز الى سنة الصنع او سنة التنصيب وتوجــد بالمثل على الوجه ب ، تحت السطر الثالث او السطر قبل الاخــير على يسار القطعة فوق حرف النون من كلمة ابن (٤٤) وتعنى ولد ، او عنــد اسفل القطعة على اليسار كذلك كما نجد ذلك فى القطعـــة رقم ٦ من اللوحة الاولى فى دراستنا هذه ، او على اليمين كما فى القطع المرسومة فى مؤلف المسيو بونفيل ، برقم ١٢ من اللوحة الثانية عن النقود الذهبية فى تركيا .

وقد ظن المسيو دى ساسى فى البداية ان هذه الارقام كانت تدل على الترتيب فى عدد السنوات التى استغرقها العهد (اى ترتيبها فى مدة حكم السلطان) ، وقدم هذا التفسير الى ادارة المسكوكات والنقود فى باريس.

كذلك ظن المسيو تيخسين فى الجزء الذى اضـــافه الى مقدمته لفن النقود عند المسلمين ص ٦٣ ، ان هذه الارقام التى نلاحظ وجودها زيادة على سنة التنصيب ، والتى لم يستطع أن يعطى تفسيرا لها فى مقدمته ، تدل ببساطة على السنة التى تولى فيها السلطان ، ولاحظ ان هذه هى العادة نفسها المتبعة فى امبراطورية المغول .

وقد كان تخمين هذين العالمين صحيحا بخصوص قطع نقدية عديدة، وعلى سبيل المثال فان الرقم ٢ الذى نلاحظ وجوده على الوجــه ب قرب السطر قبل الأخير ، فوق نصفيات القطع الذهبية التى نشرناها برقم ١٤ من اللوحة الثانية، والمضروبة فى القاهرة فى عهد السلطان عبدالحميد بن احمد الذى اعتلى العرش فى العام ١١٨٧ من الهجرة (١٧٧٤ م) ، وعلى القطعتين الذهبيتين اللتين نشرهمــا بونفيل برقمى ١٧ ، ١٩ والمضروبين

---

(٤٤) انظر القطع المرسومة فى الاشكال ٥، ٦، ١٢، ١٣، ١٤ فى اللوحات المرفقـــة وكذلك القطع الواردة بجــدول العملات بارقام مسلسلة : ٣٤ ، ومن ٤٠ الى ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٣ .

كذلك فى القاهرة فى العهد نفسه ، يدل فى الواقع وبوضوح على السنة الثانية من عهد هذا السلطان .

والأمر نفسه بخصوص رقم ٢ الذى تحمله قطع المدينى المرسومة برقم ١٩ من اللوحة الثالثة من اللوحات الملحقة بهذه الدراسة ، ونتيجة لذلك فان هذه القطع الأربعة قد ضربت فى السنة نفسها وهى السنة نفسها من عهد عبد الحميد ، اى فى العام ١١٨٨ أو ١١٨٩ من الهجرة (١٧٧٥ من تقويمنا) .

وواضح أن هذه الاشارة نفسها قد اتبعت بصفة عامة فى عهد عبد الحميد ، وبشكل خاص فى القسطنطينية بالنسبة لقطع الفندقى ، كما تمكن رؤيتها على القطع المرسومة فى مؤلف المسيو بونفيل سواء فى ذلك الفندقى الكبير المرسوم فى الشكل رقم ٢٠ من اللوحة الثالثة والقرش المرسوم فى الشكل رقم ٣ من اللوحة الرابعة ، عن النقود التركية .

وتعود هاتان القطعتان الى السنة الأولى من عهد عبد الحميد ، ويعود القرش المرسوم فى الشكل رقم ٥ الى السنة الثانية ، ومثيله المرسوم برقم ٤ الى السنة الثالثة ، اما القطعة ذات نصف الفندقى الواردة بالشكل رقم ٢٣ من اللوحة الثالثة والمضروبة فى استانبول فتعود الى العام الخامس عشر اى الى العام ١٢٠١ أو ١٢٠٢ من الهجرة (١٧٨٧ او ١٧٨٨ م) واخيرا فان الفندقلى المرسوم فى الشكل ٢٢ ، المصنوع بذوره فى استانبول ، قد ضرب كما يدل رقم ١٦ الذى يحمله فى العام السادس عشر أو العام الأخير من حكم عبد الحميد اى فى العام ١٢٠٢ هـ (١٧٨٨م) أو فى بداية العام ١٢٠٣ هـ وهى السنة نفسها التى توافق السنة الأولى من حكم سليم الثالث اى سنة توليته الحكم ، وهو الأمر الذى تم فى السابع من أبريل عام ١٧٨٩ م .

ومع ذلك ، فان مما يسترعى الانتباه بشدة هو أن هذه الاشارة نفسها ، لم تكن تتبع على الدوام فى عهد عبد الحميد نفسه ، وهو نفس الأمر الذى سيسترعى انتباهنا بخصوص عهد سليم كذلك .

ويبدى المسيو تيخسين فى ص ١٨٢ من مقدمته عن فن النقود والمسكوكات عند المسلمين الملاحظات التالية :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أولا : ان العملات ذات الاقطار الكبيرة وحدها ، من بين تلك القطع التى تحمل على أحد وجهيها طغراء السلطان وحدها ، هى التى تحمل ، بالاضافة الى سنة الاصدار ، رقما آخر فوق حرف البـاء من عبارة ضرب فى .

ثانيا : ان العملات ذات القطر الصغير لاتحمل قط كلمة : ضرب عند راسها .

ثالثا : ان الأرقام ، بخلاف تلك الدالة على سنة التنصيب او سنة الضرب . هى خاصة على نحو ما بالنقود ذات القطر الكبير فقط ، والتى صدرت على وجه التحديد فى عهد مصطفى الثالث ، والتى سكت فى القسطنطينية دون غيرها ، وانه يستبدل بها على القطع من ذوات القطر الصغير شريطا من الزهور أو النجوم .

رابعا : ان الأرقام التى نلاحظها فوق القطع المذكورة آنفا من عهد مصطفى هى : ٢،٣،٤،٦،٨،٩،٨٣،٨٥،٨٦،٨٧ وان كان هو نفسه يجهل ماتعنيه هذه الأرقام ، مع ملاحظة أن هذه الأرقام لايمكنها أن تشير الى السنوات التى استمر خلالها عهد مصطفى لأن حكمه لم يدم الا سبعة عشر عاما وليس ثمانين عاما وبضع سنوات .

خامسا : انه لم يلاحظ من بين النقود التى اصدرها مصطفى قطعة واحدة ، سواء كانت تحمل طغراء او لم تكن تحمل هذه الطغراء تحمل ارقاما اخرى بخلاف الرقم ٨٠ وبضع ، اذا مااستثنينا تلك التى تحمل رقما واحدا بمفرده .

سادسا : انه يفترض ، عندما يكون هناك رقمان (اى عددا مكونا من رقمين) فاننا بجمعهما نصل الى تلك السنة من العهد ، التى ضربت خلالها هذه العملات ، فعلى سبيل المثال ، فان الرقم ٨٧ قد يدل على السنة الخامسة عشرة من حكم (هذا السلطان) .

ونحن بدورنا نلاحظ ما يلى :

اولا : ان الأرقام التى يشغلنا أمر العثور على معنى لهـا لايقتصر وجودها على النقود ذات الأقطار الكبيرة ، وانما هى توجد كذلك فوق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القطع ذات القطر الصغير ، وتقوم العملة النحاسية التى اوردنا رسما لها فى الشكل رقم ٢٦ مثالا على ذلك ، وسنقدم امثلة كثيرة اخرى عن ذلك تبينها لنا العملات الذهبية زرمحبوب الصادرةفى العهد نفسه ، وهى التى لا يمكننا ان ننظر اليها باعتبارها من ذوات القطر الكبير .

ثانيا : من المؤكد أن اصغر قطعة من العملات الفضية تضرب فى القسطنطينية ، وهى التى رسمها المسيو تيخسين فى لوحته الرابعة برقم ٤٧ ، والتى تقل قيمتها عن بارة ، لا تحمل كلمة : ضرب ، وقد نقلنا معنا من مصر قطعنقود صغيرة مشابهة ، ضربت فى المثل فى استانبول ، ومع ذلك ، فلابد ان صغر سطح هذه العملة هو الذى حتم على المختصين ان يضعوا عليها هذه الكلمة التى نجدها على كل النقود او العملات الاخرى سواء المضروبة فى القاهرة أو القسطنطينية حتى تلك القطع ذوات القطر الصغير ، ولدينا قطعة من ذوات نصف الفندقلى ، مضروبة فى استانبول يعود اصدارها الى سنة التتويج ، وقد اوردناها داخل جدول العملات الملحق بهذه الدراسة برقم مسلسل ٥ ، نقرا عليها كلمة ضرب ، شأنها شأن قطع العملة ذات القطر الكبير .

ثالثا : اما الأرقام الخاصة التى نحن بصددها فيلاحظ وجودها كما سنرى فوق قطع نقود اخرى تنتمى لعهود أخرى غير عهد مصطفى ،فالقطع النقدية الصادرة فى عهد سليم تقدم لنا امثلة كثيرة على ذلك ، وقد أوضحنا للتو ان وجود هذه الأرقام لايقتصر فقط على العملات ذات القطر الكبير . لذلك فلسنا نعتقد انه لم يحدث قط ان راينا الأرقام التى نحن بصددها تستبدل بها فوق القطع من ذوات القطر الصغير زخرفا علىشكل عقد من الزهور او النجوم ، وان كانت تحل محلها فى بعض الأحيانحروف مميزة بالنسبة للقطع من ذوات القطر الصغير والصادرة فى عهد مصطفى، كما تدل على ذلك قطعة المدينى التى اوردنا رسما لها فى الشكل رقم ١٨ من اللوحة الثالثة ، وكذلك بالنسبة لقطع من ذوات القطر الكبير ، ضربت فى عهود اخرى ، ويمكننا ملاحظة ذلك على قطع الفندقلى الثلاث المنشورة فى مؤلف المسيو بونفيل ، اللوحة الاولى من النقود التركية .

رابعا : واليكم الآن حقيقة ماتعنيه هذه الأرقام ، إنها الأرقام الأخيرة من سنة الضرب او اذا شئنا الدقة فهى اختصار لتاريخ الضرب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فاذا حدث ، عندما يتولى سلطان ما ، أن كان الرقم الأخير من سنة التنصيب هو الذى يتغير ، فان قطعة العملة لا تحمل سوى رقم واحد (هو الذى يتناوله التغيير) ، وعلى هذا فان قطع النقود التى يذكرها المسيو تيخسين ، والمضروبة فى عهد مصطفى ٣ الذى بدأ حكمه فى العام ١١٧١ هـ (١٧٥٧ م) تحمل الأرقام ٢،٣،٤،٤،٦،٨،٩ لأنها ضربت فى الأعوام الهجرية ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٦ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ .

وتحمل قطعة النقد الذهبية المسكوكة فى القاهرة والتى أوردنا لها رسما فى الشكل رقم ٥ من اللوحة الأولى ، على الوجه ب الرقم ٦ الذى يدل على أن هذه القطعة التى سكت فى عهد مصطفى قد ضربت فى العام الهجرى ١١٧٦ (٦٢ أو ١٧٦٣ م) ولسنا نشك فى أن قطعتى النقد الذهبية ، اللتين نشرهما المسيو بونفيل برقمى ١٥ ، ١٤ من لوحته الثانية من النقود التركية ، وأولاهما قطعة عملة تذكارية فى حين أن الثانية قطعة نقد عادية ، وكلتاهما تنتمى للعهد نفسه — لسنا نشك فى أنهما لم تضربا فى السنة نفسها التى تحملها القطعة التى فى حوزتنا ، ونرى أن الرقم الدال على سنة الصنع والذى لم يحفر بشكل جيد ليس كذلك هو الرقم ٦ .

خامسا : اذا كانت الأرقام الأخيرة من سنة الضرب أو الاصدار تختلف عن الأرقام المقابلة فى سنة التتويج ، فان قطعة النقد فى هذه الحالة تحمل رقمين : فالاعداد ٨٣ ، ٨٥ ، ٧٦ ، ٨٧ التى يوردها المسيو تيخسين تشير بالنسبة لتحديد سنة الاصدار الى الأعوام ٨٣ — ١١ ، ٨٥—١١ ، ٨٦—١١ ، ٨٧—١١ من الهجرة (٤٥) ، وحيث أن مصطفى الثالث قد بدأ حكمه فى العام ١ — ١١٧ حتى العام ٨٧—١١ من الهجرة ، فانه يكون من الواضح أن الأرقام الدالة على سنة الاصدار لايمكن أن تأتى متضمنة فى الاحاد أو فى الرقم ٨٠ .

سادسا : لقد رسمنا قطعة نقد ذهبية فى الشكل رقم ٦ من اللوحة الأولى ، ذات قطر كبير وتعود الى عهد مصطفى الذى تولى الحكم فى العام

---

(٤٥) وهى تقابل السنوات ٦٩ أو ١٧٧٠ ، ١٧٧١ ، ١٧٧٢ ، ٧٣ أو ١٧٧٤ من التقويم المسيحى . انظر الهامش التالى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١١٧١ هـ ، وضربت فى القاهرة ، وتحمل على الوجه ب الرقمين ٨٧ (٤٦)، مما يعنى انها قد سكت فى العـــام ١١٨٧ هـ (٧٣ او ١٧٧٤ م) ، وهى السنة السادسة عشرة من حكم مصـطفى ، او بـداية السابعـة عشرة والاخيرة من حكمه فى الوقت نفسه ، فلو اننـا قمنا بجمع الرقمين ٨+٧ فلن نحصل عندئذ الا على الرقم ١٥ (الذى يدل على السنة الخامسةعشرة من عهد مصطفى) .

اما قطعة العملة النحاسية ذات القطر الصـــغير والتى ننشرها فى الشكل رقم ٢٦ والتى ضربت فى عهد مصطفى ، فقد صدرت فى العــام الهجرى ١١٨١ (٦٧ او ١٧٦٨ م) كما يوضـــح لنـا الرقم ٨١ المنقوش عند اعلا القطعة . اما القطعة الذهبية المرسومة فى الشكل رقم ١٦ من اللوحة الثانية من النقود التركية فى مؤلف المسيو بونفيل ، والمضروبة فى القاهرة ، والتى تحمل الحروف الأولى من اسم على بك فتعود الى العام الهجرى ١١٨٣ (١٧٦٩ او ١٧٧٠ م) ، وتعود القطعة المرسومة برقم ١٢ (فى مؤلف المسيو بونفيل) والمضروبة فى اسلامبول الى العامالهجرى (٧٢ او ١٧٧٣ م) ، وباختصار ، فلن يذهب سدى أن نحاول المقارنة بين القطعة ذات الاربعين مدينى التى اصدرها على بك والمضروبة فى القاهرة والتى قمنا بنشرها وتناولناها فى ص ٣٦٨ بقطعة اخرى ذات ٤٠ مدينى كذلك ، ضربت فى القسطنطينية فى السنة نفسها كما يوضح ذلك الرقم الذى تحمله وهو ٨٣ ، وتحمل التاريخ ٧١ـــ١١ وهو سنة تنصيب مصطفى (النقود الفضية فى تركيا ، القطعة رقم ٢) .

عندما تختلف سنة الصنع او الاصدار عن سنة التنصيب او التتويج فى الأرقام الثلاثة الأخيرة نلاحظ وجود ثلاثة ارقام على القطع النقدية ، فقطعة المدينى المرسومة فى الشكل رقم ٢٠ من لوحتنا الثالثة والتىتحمل الرقم ١٨٧ـــ١ ، وهى سنة تنصيب عبد الحميد بن احمد تحمل فى اعلاها

---

(٤٦) وهى اختصار ١١٨٧ وهى السنة نفسها التى تولى فيها الحكم عبد الحميد بن احمد الذى خلف مصطفى الثالث فى ٢٣ يناير ١٧٧٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرقم ٢٠٠ (٤٧) الذى يوضح أن هذه القطعة قد ضربت فى العام الهجرى ٢٠٠ـ١ . والأمر هو نفسه بخصوص القطع الذهبية التذكارية التى نشرها المسيو بونفيل تحت رقم ٢١ ، اللوحة الثالثة من النقود التركيـة والتى تحمل الرقم ٢٠٠ نفسه ، وهكذا نرى أن هاتين القطعتين قد ضربتـا فى القاهرة فى السنة نفسها ، لـكنهما مثالان لاشارتين مختلفتين كنا قـد ذكرنا من قبل ان دور سك النقود تستخدمها فى العهد نفسه لكى تشـير الى سنة الصنع .

ويلاحظ المسيو نيخبسين ، الملحق الذى إضافه الى مقدمته عن فن النقود عند المسلمين ان المسيو اكربلا Akerblad يزعم ــ دونما سند ــ أن الأرقام التى نلاحظها فوق نقود مصطفى هى اختصارات لسنة الضرب ــ وهكذا يتطابق تخمين او حدس المسيو اكربلا بشكل تام مع ماانتهينـا نحن اليه .

وفى النهاية ، فان هذه الطريقة فى الاشارة الى تاريخ الاصدار ، لبست كما سبق ان راينا ، اسلوبا خاصا بعهد مصطفى ، فلقد راينـاها للتو مستخدمة على احدى العملات من عهد عبد الحميد ، كما كانت متبعة بصفة دائمة فى القاهرة فى عهد سليم الثالث على الأقل ، وهوالسلطان الحاكم فى الفترة التى غزا الفرنسيون فيها مصر .

واذا عدنا للقطع المرسومة فى اللوحات الملحقة بهـذه الدراسة ، ونقصد هنـا القطعة ذات الأربعين مدينى ، شكل رقم ١٧ ، والقطعة ذات العشرين مدينى ، شكل رقم ٢٣ ، فسنجد أن « سنت » الاصدار هى نفسها سنة تتويج السلطان سليم ، أما الرقم ١٣ الموضوع عند أعلا القطعـة فيدل على العام ١٣ـ١٢ هـ (١٧٩٩ م) وهى سنة الصنع (أو الاصدار) وكان الفرنسيون هم الذين أمروا بضرب هذه القطع التى اعادوا اصدارها

---

(٤٧) انظر جدول العملات . وقد ورد فيه برقم ٦٩ ذكر مدينى آخر يحمل الأرقام ٢٠١ الدالة على سنة الصنع ٢٠١ ــ ١ هـ (٨٦ أو ١٧٨٧ من تقويمنـا) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد أن ابطل تداولها منذ على بك (٤٨) ، وقد نشر المسيو بونفيل قطعة منها ذات عشرين مدينى برقم ١٠ من لوحته الرابعة عن النقود التركية .

اما الرقم ١٥ الذى نقرؤه على القطعة الذهبية المرسومة فى الشكل رقم ١٣ فى نهاية السطر الثالث فيشير الى الرقمين الاخيرين من العام الهجرى ١٥–١٢ (ويوافق العام التاسع من التقويم الذى اتبعه الفرنسيون فى ذلك الوقت فى مصر او العام ١٨٠١ من التقويم المسيحى) (٤٩) .

وبرغم ان هذه الاشارة نفسها ، فيما يبدو ، كانت متبعة بصفة عامة فى القاهرة ، بالنسبة للقطع المضروبة فى عهد سليم على الاقل ، فقد لاحظنا مع ذلك ان قطعة المدينى التى اوردنا رسما لها فى الشكل رقم ٢١ تحمل الرقم ١ الدال على السنة الاولى من عهد هذا السلطان برغم انها قد ضربت فى القاهرة ، وهو نفس مانلاحظه على قطعة نصف الفندقى المرسومة فى مؤلف المسيو بونفيل برقم ٢٥ من لوحته الثالثة عن النقود التركية ، وقطعة الفندقى برقم ٢٤ حيث نجد تاريخ التتويج محفورا عند اسفل القطعة بين زخارف حبيبات الاطار (٥٠) ، وتحمل القطعة الاولى الرقم ١ اما الثانية فتحمل الرقم ٢ وهما رقمان يشيران الى السنة الاولى ثم السنة الثانية من عهد سليم الثالث .

ومن بين هاتين الطريقتين للاشارة الى سنة الاصدار او الضرب ، يسهل علينا ان نرى ان اكثرهما دقة وتحديدا هى ان نأخذ فى اعتبارنا الأرقام الاخيرة من تاريخ الضرب التى تغيرت منذ التتويج ، وفى الواقع

---

(٤٨) أو بعد على بك بقليل ، وقد رأينا قطعة ذات عشرين مدينى مضروبة فى القاهرة ، وتحمل طغراء عبد الحميد الذى تم تنصيبه عام ١١٨٧ هـ ، اما الرقم ٩ الذى نجده فوق كلمة ضرب فيدل على ان سنة الصنع هى ١١٨٩ الهجرية وهى فترة سيطرة محمد بك (ابو الذهب) .

(٤٩) اذا نظرنا الى الرقم ١٥ باعتباره دالا على السنة الخامسة عشرة من عهد سليم الثالث فسيكون علينا ان ننسب صنع هذه القطعة التى تم سكها تحت أعيننا الى العام ١٢١٨ من الهجرة (العام الثانى عشر من التقويم الثورى الفرنسى او العام ١٨٠٤ م) .

(٥٠) نلاحظ بخصوص هذه القطعة ان تاريخ التتويج قد حفر بشكل زدىء ، فبدلا من ١٢٠٢ كان ينبغى ان يكتب ١٢٠٣ وهى السنة التى تولى الحكم فيها السلطان سليم الثالث ، وقد ضربت هاتان القطعتان كلتاهما فى استانبول :

فان سنة التتويج تبدأ بصفة شبه دائمة عند نهاية عام هجرى وبداية عام آخر ، بحيث لانستطيع ان نعرف فى اى عام من هذين العامين سكت القطع النقدية .

وقد بدا لنا من المفيد ، حتى نعرف بالفائدة التى يمكن أن تقدمها الأرقام التى تحدثنا عنها عند التمييز بين عهود الحكم المختلفة ، أن نقابل بين قطعتين من النقود ، مضروبتين فى السنة نفسها وفى عهدين مختلفين، فى ضربخانة واحدة ، تحمل احداها سنة الصنع ، التى تدل عليها الارقام الاخيرة من تاريخ الاصدار ، وتحمل الاخرى سنة التتويج ، اما الاولى فكانت قطعة ذهبية ذات قطر كبير ، ضربت فى القاهرة فى عهد مصطفى وسكت طبقا لما اوردنا فى العام ١١٨٣ هـ (٧٣ او ١٧٧٤ م) برغم انها تحمل تاريخا هو ١١٧١ هـ (١٧٥٧ م) وهو العام الأول من عهد مصطفى ، اما الثانية فهى عملة ذهبية نجدها مرسومة فى مؤلف المسيو بونفيل فى الشكل رقم ١٨ من لوحته الثانية عن النقود التركية ، وهى مضروبة فى القاهرة كذلكفى عهد عبد الحميد بن احمد ، خليفة مصطفى، ويشير الرقم ١ الموضوع فوق الحرف الاخير من السطر قبل الاخير الى السنة الاولى من عهد عبد الحميد .

فاذا نظرنا الى التاريخين ١١٧١ و١١٨٧ اللذين تحملهما هاتان القطعتان باعتبارهما سنتى الصنع او الاصدار لكان لنا ان نظن انهما قد ضربتا بفارق ستة عشر عاما فيما بينهما فى حين انهما ضربتا فى عام واحد ، وفى المقابل ، فقد يمكننا الظن بأن قطعتين تحملان التاريخ نفسه قد ضربتا فى السنة نفسها فى الوقت الذى يكون هناك فارق زمنى بين اصدار كل منهما يصل الى خمسة وعشرين او ثلاثين عاما اذ تكون القطعة الاولى فى بداية عهد حاكم ما والاخرى فى نهاية عهد الحاكم نفسه ، بل قد يبلغ الفارق الزمنى لنحو نصف القرن اذا ما استمر عهد احد الحكام لمدة خمسين عاما مثل عهد سليمان الاول على سبيل المثال (٥١) .

---

(٥١) بدأ سليمان بن سليم الحكم فى العام الهجرى ٩٢٦ (١٥٢٠ من تقويمنا) وخلفه سليم الثانى فى العام ٩٧٤ من الهجرة (١٥٦٦ م) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اما اذا كانت قطعة العملة قد سكت فى سـنة التنصيب نفسها ، فقد يبدو غير مجد ان يشار الى سنة الصنع سـواء يتم ذلك باسـتخدام الطريقة الاولى فى الاشارة الى ذلك اى بأن يدون عليها الرقم ١ ، وهو الامر الذى كان يحدث فى اكثر الأحيان برغم ذلك (٥٢) للاشارة الى السنة الأولى من عهد احد الحكام او بالطريقة الثانية اى بتكرار الرقم الاخير من تاريخ التنصيب (٥٣) ، ولعل هذا هو السبب فى اننا لانرى فوق قطع نقدية كثيرة اية ارقام (بخلاف تاريخ التنصيب) وان كان يحل محلها فى هـذه الحال اطار (أو عقد) من الزهور أو النجوم أو حروف لها دلالتها مثل تلك التى سبق أن تناولناها عند الحديث عن اسماء والقاب نواب الحكام ،ومع ذلك فلسنا نظن ان كل القطع التى نجدها على هذه الحالة نفسها قد ضربت فى السنة الاولى من بدايات العهود ، مثال ذلك القطع الذهبية التى تعرضنا لها فى المجال الذى اشرنا اليه من قبل ، ولهذا فينتج عن غيبـة الأرقام المنفصلة التى يدور الحـديث عنها ان نفقد الوسيلة اللازمة للتعرف على التاريخ المحـدد الذى سكت فيـه عملة ما .

ثامنا : نمط الخط وشكل الحروف

اصبحت النقوش المستخدمة على النقود المصنوعة فى مصر ، والتى كانت تتم من قبل بحروف يونانية فى عهد خلفاء الاسكندر ، ثم باليونانيـة او الرومانية فى عهد السيطرة الرومانية ثم بالفارسية قبل مجىء الاسلام، اصبحت تكتب بعد استقرار الاسلام فى هذه الديار بالحروف الكوفية .

وفى الواقع فان المكين (٥٤) يورد فى مؤلفه عن تاريخ العرب ، نقلا

---

(٥٢) اوردنا عن ذلك امثلة عـديدة من قبل فى الفصـل الخـاص بسنة الاصـدار ، بل يمكننـا القـول بأن هـذه العـادة قـد اتبعت بشكل عام بخصوص كل السنوات الاولى لبدايات كل العهود حتى تلك التى اتبعت بشأنها الطريقة الثانية للاشارة الى السنوات الاخرى (اى السنوات بعد الأولى) من عهد ما .

(٥٣) لم نر امثلة لقطع يتكرر عليها الرقم الاخير ، او الرقمان الاخيران من السنة للدلالة على أن صنع هذه القطع قد تم فى سنة التنصيب نفسها.

(٥٤) انظر بخصوص اسماء هذا المؤلف وعنوانه مؤلفه دراسة المسيو مارسيل عن مقياس الروضة ، وصف مصر ، الدولة الحديثة ، المجلد الثانى ص ٣٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن شهادة ابى جعفر ، ان نقوش النقود الذهبية قبل الاسلام كانت تكتب باليونانية ، اما نقوش العملات الفضية فكانت تكتب بالفارسية ، وقد امر الخليفة عمر ، فى نحو العام الثامن عشر من الهجرة (٦٣٩ من تقويمنا) تبعا لنص المقريزى الذى سبق ان اشرنا اليه (٥٥) بأن تصنع دراهم على غرار دراهم ملوك فارس ، كما امر بأن تنقش عليها ، باللغة الفارسية تلك النقوش التى اوضحناها .

اما الحروف الكوفية (او الخط الكوفى) فتستمد اسمها من اسم الكوفة (٥٦) ، وهى مدينة فى بلاد مابين النهرين حيث يوجد امهر الكتبة. وقد اشتهرت هذه الحروف الكوفية واتسع ذيوعها بعد أن استخدمت فى كتابة القرآن ، ويسترعى هذا الخط النظر ، بصفة خاصة ، بغيبة كل النقط والعلامات الدالة على الحركات وعلى تضعيف الحروف غيبة تامة ، الأمر الذى يترتب عليه ان يكون للكلمة الواحدة اساليب نطق مختلفة ، ولابد ان يكون الانسان متمرسا على اللغة العربية القديمة ، ومتبحرا فيها حتى يمكنه ان يحدس عن طريق الاحساس بالكلمة وبالجملة كيف ينبغى له ان يقرا ويلفظ ويترجم ، وان كانت الكتابة الكوفية هذه لم تظل هى الكتابة المعتادة الا لحوالى القرن الثالث من الهجرة (التاسع من تقويمنا) وان استمرت تكتب بها لفترة طويلة نقوش المبانى اذ اصبحت بمثابة حروف مقتضبة عند العرب ، وظلت تستخدم فى نقوش النقود حتى القرن السابع من الهجرة (الثالث عشر من تقويمنا) . او على الأقل ظل يستخدم فى ذلك خط قريب منها او متفرع عنها ، مثل ذلك الخط المسمى خط القرمة (٥٧) .

وفى الوقت نفسه ، فان هذا الخط نفسه لم يحتفظ لنفسه بشكل بالغ الثبات غير قابل للتغير ، ونلاحظ فى المخطوطات ، كما نلاحظ فى

---

(٥٥) فى الفصل الخاص باشكال البشر والحيوانات عند الحديث عن الخليفة ابى بكر .

(٥٦) الكوفة هى احدى مدن العراق البابلى الذى يضم ارض الكلدانيين .

(٥٧) انظر دراسة المسيو مارسيل Marcel عن النقوش الكوفية، الدولة الحديثة ، المجلد الاول ، ص ٥٣٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نقوش المسكوكات ، ان الخط يتغير ويتحور بشكل مضطرد ، بحيث نستطيع ان نتتبع ، حتى نقطة معينة ، الشوط الذى قطعه الخط الكوفى باضطراد حتى اصبح الخط العربى الحديث .

وتحمل غالبية المبانى العامة ، وبصفة اساسية المساجد ، نقوشا كثيرة هى فى نسبتها العظمى آيات من القرآن ، اما كل الكتابات القديمة فهى كتابات كوفية ، وهناك كتابات او خطوط اكثر حداثة تنتمى جزئيا الى هذا النوع من الكتابة او كتبت بحروف قريبة منها ، ونستطيع ان نقول الشىء نفسه بخصوص بعض النقوش التى يزدان بها على الدوام داخل المساكن وهذه مقتبسة اما من القرآن ، واما من اقوال بعض المؤلفين والشعراء العرب .

وليست للحروف العربية ، بخلاف الاشكال المتنوعة التى تعطى لها تبعا لمكان وجودها فى بداية او فى وسط او فى نهاية الكلمة ، شكل دائم ومحدد بطريقة صارمة شان ما لحروفنا الكبيرة majuscules وحروفنا المحفورة او المطبوعة ، فالحروف العربية تتنوع بشكل محسوس شان حروف الكتابة عندنا وطبقا لمزاج الكاتب او الحفار ، ومع ذلك ، فبرغم الفوارق او درجات الاختلاف بالغة الكثرة ، والتى يمكننا ان نلاحظها فى مختلف حروف او خطوط المخطوطات والنقوش ، فان من المستطاع مع ذلك ان نميز عددا بعينه من الخطوط او الكتابات الاساسية ، تطلق عليها اسماء خاصة وتقدم عنها امثلة تستخدم بمثابة طرز او انماط مبدئية تقارن وتصنف على اساسها الخطوط المختلفة التى تدخل ضمن النوع نفسه (٥٨) وخير مانفعله ، لكى نعطى القارىء فكرة عن هذه الخطوط ، هو ان نحيل الى الدراسات التى نشرها المسيو مارسيل والتى تشكل جزءا من وصف مصر

---

(٥٨) يمكن ان نقارن هذا التمييز لانواع الخطوط العربية التى تعطى اسماء مختلفة بذلك التباين فى خطوطنا والذى جعلنا نخلع على انواع هذه الخطوط المتباينة اسماء مثل : المتتابع او الزاحف ، الدوار ، المستدير الخ ، فعلى هذا النحو كذلك تتنوع الكتابات العربية فى البلدان (العربية) المختلفة على نحو شبيه بالكتابات الاوربية التى تختلف فى فرنسا عنها فى ايطاليا وعنها فى انجلترا الخ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والتى تشتمل على دراستين : واحدة عن نقوش مقياس الروضة (٥٩) والاخرى عن النقوش الكوفية التى جمعت من مصر .

وحيث لم يكن فن الطباعة قد انتشر فى الشرق (٦٠) ، فقد علقت على مهارة الكتاب اهمية اكبر درجة بكثير عنها فى اوربا ، فحرفة الكتابة (هناك) تشكل مصدر عيش لطائفة كبيرة العدد . لها مكانتها واعتبارها وتعيش عيشة لاتنقصها الرفاهية ، وتعطى هذه الكتابة مظهرا بالغ الفخامة للمخطوطات وبشكل خاص فى مخطوطات القرآن ، ويحتوى مؤلف رحلة فى مصر Voyage en Egypte على نماذج عدة من الخطوط فى انواع الكتابات المختلفة ، ولقد نقلت الى فرنسا الكثير من المخطوطات العربية التى تدعو الى الاعجاب لجمال ووضوح خطوطها .

وبرغم ان فن حفر النقوش لم يكن يمارس بهذه الدرجة من المهارة ولم يذهب لابعد مما ذهب اليه فن الكتابة فان المرء ، حتى ولو لم يكن قد اعتاد بالقدر الكافى على رؤية الخطوط العربية ، يستطيع ان يلاحظ بسهولة ، بالنظر الى جزئيات الحروف وتفاصيلها ، وطريقة وضعها وثبات الخط ووضوحه ، ان هناك فروقا محسوسة بين مهارات الحفارين الذين نفذوا هذه السكة او تلك ، ولهذا فنحن نستطيع ان نميز على القطع الذهبية الثلاث التى تحمل الارقام ١٤،١١،٥ فى لوحاتنا ، والتى يحمل الوجه منها النقوش نفسها ، ثلاثة انماط فى الكتابة بالغة التباين ، ونستطيع ان ندرك بسهولة ان الكتابة على القطعة الذهبية رقم ١٤ اكثر صحة وتالقا من تلك التى نجدها على المسكوكتين الاخرين .

وكلما كانت العبارات المنقوشة طويلة ،وبشكل خاص حين تكون عبارة عن فقرات من القرآن ، كلما لاحظنا ،على الدراهم والدنانير القديمة،

---

(٥٩) المقياس ، هو مقياس اقيم لتقدير ارتفاع مياه النيل ، انشاه المصريون المحدثون فى احدى جزر النيل المسماة جزيرة الروضة ، على مسافة قريبة من القاهرة .

(٦٠) لم يمارس فن الطباعة فى الشرق الا فيما ندر ، وعلى يد اوربيين ، لكنه لم ينتشر هناك ، وكان الفرنسيون قد اقاموا فى القاهرة مطبعة فرنسية واخرى عربية كان يديرهما المسيو مارسيل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن الـكتابة تتم بحروف صغيرة شديدة التقارب (مزنقة) ، وان هناك، بخلاف الحاشية ، التى تشتمل عادة على ثلاثة او اربعة سطور مستقيمة ومتوازية ، سطرا دائريا يدور حول القطعة ، واحيانا سطرين ، من الكتابة (٦١) ،ولدينا قطعة عملة نحاسية نقلناها معنا من مصر ، صغيرة القطر (٦٢) ، وان كانت بالغة السمك بالنسبة لمحيطها ، لانقرا على الوجه الاول منها ، وفى سطور ثلاثة مستقيمة ، وبحروف كبيرة بعض الشىء سوى الجزء الأول من الشعار ، اما الجزء الثانى فنجده على الوجه الثانى (٦٣) .

وعندما لم تعد تكتب على العملات الذهبية نصوص من القرآن ، وضعت الـكتابة ، التى لم تعد بالغة التقارب ، فى سطور مستقيمة ، ولكن عادة تغيير مواضع عدةحروف ، واحيانا كلمات باكملها او وضع هذه الكلمات فوق كلمات اخرى ، كانت تعطى شكل الـكتابة انتظاما لاباس به واحيانا كانت تجعل السطور ناقصة الانتظام، ويمكننا ان نرى امثلة على كل ذلك فى الشكلين رقمى ١٠ ، ١١ من لوحتنا الثانية .

ومنذ فترة طويلة بعض الشىء ، تصور القوم ، رغبة منهم فى اعطاء مزيد من الانتظام لهذه الـكتابات ، ان يخطوا خطوطا مستقيمة ، متساوية الطول ، تقسم الوجه ب من قطعة العملة الى اربعة اجزاء متساوية ، تستخدم بمثابة اطر لكل سطر من سطور الـكتابة ، وتتجمع هذه السطور عند الطرفين بواسطة اقواس تقترب بشدة من السطر الدائرى الذى يفصل حبيبات الاطار عن بقية وجه القطعة (٦٤) .

---

(٦١) وهو الدينار الذى وضعناه فى ص ٣٥٣ ، الفقرة الأخيرة .
(٦٢) بدفع قطرها ١٤ مم وسمكها ١/٢ ٣ مم .
(٦٣) نجد النقوش على الوجه الاول مرتبة كما يلى :

لا اله
الا الله
احده (كذا)

ونجدها على الوجه ب كما يلى :

محمد
رسول
الله

(٦٤) انظر الاشكال ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، من اللوحة الثانية من اللوحات المرفقة بهذه الدراسة .

تاسعا : الزخارف

بامكاننا أن ننظر الى الخطوط التى انتهينا من الحديث عنها باعتبارها جزءا من الزخارف التى تحملها قطع النقود ، ومع ذلك فلسنا نظن ان هذه العادة تعود الى زمن بعيد ، كما انها لاتدل كثيرا على براعـــة من جانب الحفارين ، فهؤلاء يبدون وكأنهم يحزون صفحة القطعة لمجرد توجيه سطور الـــكتابة ، وقد يكون أكثر رونقا واكثر صحة كذلك ان نحصل على سطور جيدة الترتيب (والاستقامة) دون الحاجة الى ان نلجأ لتنظيم صفحة القطعة النقدية التى ننقش عليها (بواسطة الخطوط) .

اما الزخارف الأخري ، التى نلاحظ وجودها على قطع النقود الحديثة ، وهى اكثر بساطة واقل تكلفا ، فهى :

١ ــ الزخارف الزهرية (اى التى تأتى على هيئة زهيرات صغيرة) .

٢ ــ حبيبـــات الاطـــار .

٣ ــ الاطار (البارز) الذى يوضع على حافة العملات .

وبامكاننا كذلك ان ننظر الى تأشيرة السلطان او طغرائه باعتبارها زخرفا ، وقد تناولناها فى الفقرة التى تعرضت لأسماء الأمراء او الحكام (من هذه الدراســة) ، وان كنا نكتفى هنا بأن نسترعى الانتباه الى أن العملة النحاسية المضروبة فى عهد محمود الذى تولى الحكم فى عام ١١٤٣هـ (١٧٣٠ من تقويمنا) والتى رسمناها فى الشـــكل رقم ٢٥ تحمل بدلا من هـــذه الطغراء نجميـــات او زهيرات او تشبيكات زهرية (مجدولة) تشغل سطح القطعـــة كلها .

اما الزخارف الزهرية فيحملها الوجه ا فى الفراغات التى تتركهـــا طغراء السلطان . وفى اغلب الاحيان ، نجد فوق الوجه ب لقطع الفندقى زخرفا زهريا عند اعلى قطعة ، فوق حرف الباء من كلمة ضرب ، وهى تحل هنـــاك محل الرقم الدال على سنة التنصيب او على سنة الاصدار كمـــا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

توضح لنـــا العملات الواردة بالاشكال ١،٢،٣،٤،٧،٨ (٦٥) ، واخيرا فاننا نجد بعض هذه الزخارف موزعة بأعداد متفاوتة ، قلة وكثرة ، تبعا لذوق الحفار ، فوق وبين سطور الـــكتابة . وتحمل قطعة النقد الذهبيـــة التى وردت مرسومة فى مؤلف المسيو بونفيل برقم ١ من لوحته الأولى عن النقود الذهبية التركية كمية كبيرة من هذه النقوش (٦٦) .

ويتنوع شكل هذه الزخارف الزهرية . اما الشكلان اللذان يسترعيان الانتباه اكثر من غيرهما واللذان يتكرران فى اغلب الاحوال فهما :

١ ــ الشكل الذى تحمله القطعة التي اوردنا رسما لها فى الشكل رقم ٢٣ ، الوجه أ .

٢ ــ الشكل الذى نراه على الوجه ب من القطعة رقم ٤ .

ويظن البعض انه قد لاحظ فى الزخرف الاول وجود الحروف المكونة لـكلمة الله أو اختصارا لها مجدولة او متداخلة مع هذا الزخرف ، وانه قد لاحظ فى الزخرف الثانى الشيء نفسه بالنسبة لكلمة محمد (٦٧) ، وان كان الاقرب الى الاحتمال ان هؤلاء يحاولون ان يعتسفوا وجود معنى فى هذه الزخارف البسيطة ، التى صنعت بقصد الزينة ، ربما لم يكن اولئك الذين اخترعوها يفكرون فيه على الاطلاق .

وربما كان اقرب الى الطبيعى أن نرى فى الزخـــرف الاول بدايات

---

(٦٥) انظر اللوحات الملحقة بهذه الدراسة . اما الزخرف الزهرى الذى تحمله القطع الثلاث ارقام ١،٢،٨ فهو نفس ماتحمله القطعتان رقما ٣ ، ٤ ، فيما عدا انه يعلو هذا الزخرف فى الأوليات زخرف زهرى بالغ الصغر بالشكل نفسه الذى تحمل منه القطعة رقم ٤ ، الوجـــه أ ، ثلاثة امثلة .

(٦٦) يمكن ان نتامل كذلك الترش المرسوم برقم ٦ فى مؤلف بونفيل، اللوحة الرابعة .

(٦٧) هناك تشابه بين صنع زخارف بالحروف المتداخلة هناك وبين ممارسة شائعة فى فرنسا تشير الى اسم المسيح بالعلامة والى اسم مارى ــــ والى اسم لويس بحرفى L متشابكين (وهو ما نجده على الـــكثير من عملاتنـــا) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشعار لا اله .. الخ ، اما الشكل الذى اعطى لهذا الزخرف على القطعة الواردة فى مؤلف بونفيل برقم ٤ فهو فيما يبدو فى الواقع وبطريقة يمكن تمييزها لام الف (لا) مكررة مرتين احداهما مقلوبة او معكوسة .

وتحمل القطع الذهبية والفضية ، بل حتى النحاسية ، على كيبلا وجهيها ، بحروف بارزة ، وعلى حوافها ، حبيبات مكونة اما من نقط دائرية واسعة او ضيقة يشبهها العرب بعقد من اللؤلؤ (٦٨) ، واما من نقط مستطيلة او حبوب من الشعير (٦٩) او تكون هذه الحبيبات عبارة عن عقدات صغيرة او زخارف من زهيرات صغيرة (٧٠) ، وهناك خط مبسط او منقوط يفصل بين هذه الحبيبات ، على اختلاف اشكالها ، وبين النقوش.

وبالنسبة لقطع الفندقلى ، والعملات الذهبية الاخرى ذات القطر الكبير ، وبالنسبة كذلك للعملات التذكارية وجود قسم دائرى او طوق خال من الزخارف (سادة) ، ونستطيع ان نرى ذلك فى الاشكال ٦١،٦٢،٧٧، ويرجع ذلك الى ان هذه القطع ، برغم كونها ذات مسطح اكبر كثيرا من قطع الفندقلى او النقود الذهبية المعتادة ، قد ضربت مع ذلك بالسكة نفسها ، فكانت هذه السكة تدمغ وسط قطع العملة ، تاركة الجزءالباقى خاليا من اى نقوش او زخارف .

اما قطع العملات التى تم صنعها بقدر اكبر من الفخامة ، وبخاصة قطع الفندقلى الكبيرة من صنع القسطنطينية ، فكانت تضرب بسكات حفرت لهذا الغرض ، وباحجام القطع النقدية نفسها ، وتزدان هذه العملات باطارين من الحبيبات ، تترك المسافة التى بينهما خالية من النقوش او كانت بورود صغيرة متنوعة او تشبيكات زهرية او زخارف على شكل غصينات ، كما يمكننا ان نرى على قطع العملات التى نشرها بونفيل .

---

(٦٨) انظر الاشكال ٦٥،٦٦،٦٩،١٠،١١،١٢،١٤ من اللوحات الملحقة بهذه الدراسة .

(٦٩) انظر الشكل رقم ٢٢ من اللوحة الرابعة .

(٧٠) انظر القطع ارقام ٦٥،٦٦،٦٧،٦٩،١٠،١١،١٢،١٤ من اللوحات نفسها، ويكاد يكون هذا الخط هو الزخرف الوحيد الذى يلاحظ وجوده على قطع العملات القديمة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويعد محمد بن مصطفى ، الذى جرت العادة على ان يشار اليه خطأ باسم محمد الخامس ، والذى ارتقى العرش فى العام الهجرى ١١٤٣ (١٧٣٠ م) واحدا من سلاطين القسطنطينية التى بذلوا عناية كبيرة فى اعطاء النقود مظهرا فخيما . ونستطيع ان نتاكد من ذلك بملاحظة قطع الفندقى ذات القطر الكبير ، والتى نشرها بونفيل برقمى ٦ ، ٧ ، وقد نقلنا معنا من مصر واحدة من هذه المسكوكات ، وهى ذات عيار مرتفع ، ومصنوعة بجودة بالغة .

اما فى اوربا فلم يكن الدافع من وراء حفر الرسوم او النقوش المختلفة على حواف العملات بصفة عامة ، هو حب الترف او السعى وراء مظاهر الزخرف والفخامة عند صنع النقود ، بل كان الهدف من ذلك هو الحيلولة دون ادخال الغش او التدليس على هذه العملات — وهى التى لا يمكن لأحد انقاص وزنها عن طريق انقاص قطرها دون ان يسترعى ذلك الإنتباه بمجرد النظر — وذلك باللجوء الى اتلاف او محو هذه الزخارف او النقوش .

وعندما لاتدفع القطع النقدية فوق حافة قطعها ، فلن يكون هناك ماهو اسهل من اقتطاع بعض منها دون ان تبدو تالفة ، اذ ان هذه القطع ليست فى شكل دوائر كاملة الاستدارة ، كما ان (طول) محيطها يختلف فيما بينها ، اما حين تكون حواف القطع هذه غير مرسومة الا بزخرف خفيف فان تزيينها او تقليدها سوف يصبح اكثر من ميسور ، ذلك أن الحروف او النقوش المكتوبة تستعصى على التقليد بغير حدود .

وفيما مضى ، كانت الحروف المنقوشة فوق حواف قطعات عملاتنا ناتئة او بارزة ، لكنها كانت تنمحى بغتة اما بفعل الدعك او بفعل مايحدث من نقصان الوزن من اثر (طول) الاستعمال ، اما فى ايامنا هذه فقد اخذت هذه الحروف توسم على الأجوف (اى تحفر بدلا من أن تكون بارزة) . ويجعل هذا الاجراء الاحتياطى ، بالاضافة الى ان لعملاتنا الذهبية والفضية المضروبة بالـ Vriol (٧١) القطر والمحيط نفسيهما وبدقة ، من

---

(٧١) الـ Vriol هى لوحة من الصلب ، مثقوبة عند وسطها بثقب دائرى توضع به قطعة العملة لتتلقى ضربة الرقاص .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المستحيل حدوث أقل انقاص فى طول القطر (باقتطاع أجزاء من المحيط) دون أن يلاحظ المرء ذلك عند النظرة الأولى ، خصوصا اذا ماقربنا قطعة عملة من قطعة اخرى مماثلة لم يمسسها سوء .

اما زخارف الدنانير والدراهم القديمة التى اتيح لنا أن نراها ، فلم يبد لنا قط انها قد وسمت عند حافة قطعها مع احتمال قائم هو أن يكون هذا النقش قد انمحى بسبب تآكل النقود بفعل الاستعمال ، أو تمت ازالته على يد أولئك الذين يحترفون مهنة تحريف النقود (بانقاص وزنها) ، وفى الوقت نفسه ، فان من المؤكد فيما يبدو أن القوم هناك قد ظلوا لمدة طويلة يعتادون عدم وضع اية سمة او بصمة على حواف قطع العملات ، وبشكل خاص عندما كانوا يكتفون باعطائها الشكل الدائرى عند قصها .

وتحمل قطع الفندقلى ، شأن كثير من قطع النقود لدينا ، نوعا من النقوش يشبه بعض الشيء حبلا أو جديلة ، ومن هنا جاء اسم الجديلة أو القيطان الذى يطلق بصفة عامة على كافة انواع النقش أو البصم التى تحملها قطع النقود على حواف قطعها ، (بفتح القاف وتسكين الطاء) .

وتحيط هذه الجدائل بقطع النقد الذهبية بالطريقة نفسها على وجه التقريب أو تكون مسننة على نحو طفيف ، كما سنرى ، عند تناولنا لأساليب صنع النقود .

وقد نجد أن من الممكن لكثير من العملات الفضية ذات الوزن الكبير ، بل وكذلك بالنسبة للقطع ذوات الأربعين والعشرين مدينى ، وعملات أخرى كثيرة من النحاس ، أن تحمل عند قطع حوافها جدائل أو نقوشا ، لكن صناعة النقود فى مصر ليست متقدمة لحد يمكن معه تبنى الأسلوب الذى تستخدمه أوربا فى حفر حروف على حواف قطع النقود برغم كونه أسلوبا بالغ البساطة بقدر ماهو حاذق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع

القيم المختلفة للعملات

أولا : الــوزن

لم تضرب فى مصر ، فيما يبدو ، بصفة عامة قطع نقود ذهبية تجاوز وزنها درهما واحدا ونصف الدرهم (٦١٨/١٠٠٠ ٤ ج) * او المثقال بوزنه الحالى (١) ، بل كذلك المثقال القــديم الذى كان يســاوى ١٢/٧ درهم (٣٩٨/١٠٠٠ ٤ ج) . وفى واقع الأمر ، فقد كان هــذا هو حال وزن الدنانير التى واتتنا الفرصة لتفحصها .

ولم يحدث ــ الا شذوذا عن هــذه القاعدة ، وفى حالات خاصــة ، ن ضربت فى بعض الأحيان قطع نقد ذهبية اكبر وزنا ، مثل القطع ذوات الــ ٢ فندقى وتلك القطع التذكارية من ذوات الفندقى ونصف (الفندقى) التى تعرضنا لها من قبل فى الباب الخاص بالنقود النحاسية .

وفى نفس الوقت فان الأمراء او الحكام الذين تضرب باسمهم النقود، قد حرفوا فى فترات مختلفة اوزان هــذه النقود ومعاييرها بقصد تحقيق اكبر ربح ، ومع ذلك فحيث أن تحريف وزن العملات امر يمكن ملاحظته على الدوام وبسهولة اكبر من القدرة على التحقق من تحريف العيار ، فقد كان التحريف فى الوزن وئيدا وحثيثا حتى يمضى دون أن يسترعى الانتباه .

ولم يكن يتجاوز وزن اقدم واحدة من قطع الفندقى ، التى ظلت على

(*) آثرت تحــويل الكسور العشرية الى كسور اعتيــادية حتى لا يختلط الأمر على القارىء بينها وبين العلامات التى توضع لتقسيم الاعداد الكبيرة الى وحدات رقمية تسهيلا لقراءتها . (المترجم)

(١) عن المثقال ، انظر دراستنا عن الأوزان المغربية (الكتاب الأول من هــذا المجلد) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حال جيدة ، والتى اختبرنا زنتها ، تتجاوز درهما واحدا و ١٠٠/١٥ من الدرهم (١٠٠٠/٥٤١ ٣ ج) اما القطع ذوات نصف الفندقى (النصفية) فتزن النصف من هـــذا الوزن .

وكان ينبغى أن يكون وزن العملة الذهبية زر محبوب فى الأصل على هذا النحو ، ونستطيع ان نتـــاكد من ذلك من جدول النقود المرفق بهذه الدراســة ، وان كان قـــد نقص وزنها منذ بدء عهد مصطفى بن احمـــد ، الذى ارتقى العرش فى العام الهجرى ١١٧١ (١٧٥٧ م) ليبلغ ١٠٠٠٠/٨٤٣٥ من الدرهم (١٠٠٠/٥٩٧ ٢ ج) ثم ثبت فى عهد سليم بن مصطفى الذى توفى فى العـــام ١٢٠٣ من الهجـــرة (١٧٨٩ م) على ١٠٠٠/٨٤٢ من الدرهـــم (١٠٠٠/٥٩٢ ٢ ج) ، وقد ابقاها الفرنسيون على هـــذا الوزن ، اما تفاوت الوزن المسموح به زيادة او نقصا فقد ثبت بموجب لائحة التسوية الصادرة من المدير العام ومحاسب الموارد العامة بتاريخ ٢٥ نيفوز من العام التاسع

(١٥ يناير ١٨٠١) بدرهمين (*) اى ما يعادل	٠,٠٠٢٣٧٥
أما التفاوت الذى كان مسموحا به قديما فى فرنسا فيبلغ ١٥ حبة من زنة مارك اى ما يعادل	٠,٠٠٣٢٥٥
ولكنه بلغ عند صنع القطع ذوات الأربعين فرنكا وتلك من ذوات العشرين فرنكا (٢)	٠,٠٠٢٠٠٠

وعلى هـــذا فقد كان التفاوت المسموح به فى مصر (زيادة او نقصا) اقل من مثيله المسموح به فى فرنسا بالنسبة لقطع اللويس الذهبية ولكنه قريب من التفـــاوت المعمول به بخصوص القطع الذهبية ذوات الأربعين والعشرين فرنكا ، ومع ذلك ، فحيث كان الذهب (اى العملات الذهبية) اكثر انقساما (اى ان هناك نصفيات وربعيات ... الخ) بكثير فى مصر (عنه فى فرنسا) فلا بد ان التفاوت قد كان (فى الحقيقة) اكبر . هكذا كان قريبا من المستحيل ان تبلغ قطعة نقد بمفردها ، وبدقة ، الوزن المحدد . وحيث لم يكن العامل ليعوض عن اية زيادة تتم فى الوزن ، وحيث لم تكن

(*) لكل مائة قطعة كما ستيتضح من السياق . (المترجم) .

(٢) وقد احتفظ بهذا التفاوت نفسه فى المراسيم الصادرة فى ٢٣ مايو ١٧٧٤ ، و ٣٠ اكتوبر ١٧٨٥ ، و ٩ ابريل ١٧٩١ ، و ٥ فبراير ١٧٩٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقبل النقود الذهبيـــة ما لم تزن كل مائة منهـــا ، وبدقة تامة ٨٤ درهما (٢٥٨ ١٠٠٠/٦٢٨ ج) فقد كان من مصلحة العامل ان يوازن القطع النقدية بدقة كافية ، وباختصار ، فكلما زاد اتساع سطح العملة كلما اكتشفنا أن وزنها يقل فجاة بفعل التداول . وفى مصر ، كما فى غالبية بلدان العالم ، يوجد اناس يدفعهم الجشع الخسيس الى احتراف مهنة التلاعب فى وزن العملات الذهبية ، يحرص الصرافون او المبدلون على وزنها حين يبدو هذا الوزن بالغ النقصان .

واذا كانت العملات الذهبية الحالية ، قد حلت كما سبق أن افترضنا محل الدنانير القديمة التى كانت كل سبعة منها تزن فى الأصل عشرة دراهم واذا كانت كل سبعة قطع من العملات الذهبية الحاليـــة لا تزن اكثر من خمسة دراهم و ١٠٠٠/٨٩٤ من الدرهم فان الفرق فى الوزن بين هذه وتلك سيصل الى ٤ ١٠٠٠/١٠٦ دراهم اى ان وزن العمـــلات الذهبية قد نقص (بالنسبة للعملات القديمة) بنسبة تزيد عن ٤١٪ .

ومن جهة اخرى فلابد لانصاف العملات او النصفيات ان تزن نصف وزن القطعة الواحدة اى ٤٢ درهما على الاقل لكل مائة نصفية (حوالى درهما (نحو ½ ٤٦ ج) لكل مائة ربعية . اما بخصوص اوزان الخردبات القديمة ١٢٩ ٣/١ ج) وان تزن الأرباع او الربعيات ربع وزن القطع الكاملة اى فيرجى الرجوع الى ما سبق لنا ان تلناه بخصوص هـــذه العملات الذهبية الصغيرة . فى الفصل الخاص بالعملات التذكارية .

وقد سبق ان اوضحنا فى دراستنا الموجزة عن الأوزان العربية ان قطعة النقود الفضية المسماة درهما والقطعة الذهبية المسماة دينارا كانتا تزنان كلتاهما مثقالا فى الأصل ، وعلى قدم المساواة . وبمرور الايام ادخلت فى التداول دراهم من اوزان متنوعة قادمة من بلدان مختلفـــة . وكانت الضرائب او العشور التى تفرض على الفضة التى صنعت نقودا تدفع على نصـــفين : نصف يســـدد بالدراهم ثقيلة الوزن ونصف آخر يســـدد بالدراهم خفيفة الوزن وحين أراد ابن مروان أن يقيم نظـــامـــا موحـــدا للنقـــد ، فقد خشى اذا هو اختار الدراهم كبيرة الوزن ان يثقل كاهل الناس ، او ان يقلل حجم الضريبة اذا هو اختار الدراهم الصغيرة ، لذا فقد اتخذ الحـــد الاوسط (بين هذين النوعين من الدراهم) وأمر بأن تصنع دراهم تزن كل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عشرة منها سبع مثقالات . وقد استقر رايه على اتخاذ هـــذه النسبة بدافع مثير للفضول تعرضنا له عند حديثنا عن قطر العملات .

وقد اصبح الدرهم الجديد هو وحدة الوزن التى احتفظت ، شـــانها شأن العملات ، باسم الدرهم فى حين ان القطعة من النقود لم تعد تزن سوى ١٠/٧ من المثقال ، بل حتى بعد ان اختفت النقود التى تسمى بالدراهم.

ولكى نفرق بين الدرهم فى مجال العملات وسميه فى مجال الوزن تجنبنا عند الاشارة الى قطعـــة النقد الكلمة العربيـــة درهم dirhem واستخدمنا الاشارة الى الوزن الكلمة الفرنســـية دراخمة drachme التى يرتبط اصلها كما هو واضح بالكلمة السابقة (٣) .

ويبدو ان عادة جعل العمــــلات مســـاوية فى وزنها لأوزان متداولة واعطائها الأسماء نفسها التىلتفريعات اواقسام هذه الأوزان هى عادةضاربة فى القدم اتبعتها شعوب كثيرة ، فقد عرفنا فى اوربا نقودا كثيرة باسماء livre (جنيه — رطـــل) و once (اونســـة — اوقية) و gros (١/٨ من الأوقية) وهى كلها نقود ذهبيـــة او فضـــية ، والى ان تبنينا الفرنكات فى نظامنا النقدى الجديد كانت كلمـــة livre تطلق فى وقت واحد على وحدة وزن ووحـــدة نقدية ، برغم انه لم تكن لدينـــا قط عملة تزن رطـــلا .

واذا كان علينا الا ننظر الى قطع المدينى الحالية باعتبارها انحرالها بالدراهم القديمة وانما باعتبارها نقودا جديدة نجهل نحن الفترة التى انشئت فيها على وجه التحديد الا انه من المؤكد انها فى المـــاضى كانت اكثر ثقلا ، وكان الباب العالى يرسل اوامره ، بل ويرسل مفوضين او مفتشين خاصين من طرفه حين كان يبلغه سوء الحال التى انحدرت اليها النقود حتى يعود باوزان وعيار النقود الى القواعد نفسها التى تتبعها القسطنطينية : ففى العام ١١٧٦ من الهجرة (١٧٦٢ من تقويمنا) ، اى فى عهد الســـلطان

---

(٣) انظر دراستنا عن الأوزان العربية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مصطفى ، وعندما كان المملوك رضوان ، كخيا(٤) ابراهيم ، يمسك بمقاليد الامور فى القاهرة ، ارسلت القسطنطينية احمد اغا خطيب زاده مع الباشا رحاب للتفتيش على النقود ، فثبت وزن الالف من قطع المدينى على ١٢٥ درهما (اى ١٠٠٠/٨٦٢ ٣٨٤ ج) ، اما فى بداية عهد سليم ، اى فى العام ١٢٠٣ هـ (١٧٨٩ م) فقد صدر امر الباب الذى يقضى باعادة رفع وزن قطع المدينى التى كانت قد انتقصت من ١١٥ درهما (لكل ١٠٠٠ قطعة) الى ١٠٠ درهم فحسب ، ولكن الحكام تشبثوا بما معهم من تفويض لهم فى مجال النقود يخول لهم حق تخفيضها من جديد ، وهكذا نقص وزنها فى ,دى عشرة اعوام بشكل متوال حتى بلغت زنتها ٧٣ درهما (لكل الف) اى ١٠٠٠/٧٦٠ ٢٢٤ ج . وعندما امتلك الفرنسيون امر النقود فانهم لم يغيروا شيئا فى النظام (النقدى) المستقر منذ زمن محدد ، قبل مجيئهم . وهكذا ايضا نجد ان وزن المدينى قد نقص على مدار الـ ٣٧ سنة الاخيرة بنسبة ٢/٣ ٤١٪ .

واذا شئنا ان نقارن الوزن الحالى لهذه العملات ، وهى الوحيدة التى تصنع الآن من الفضة او بالأحرى من البرونز عالى العيار ، والمتداولة فى مصر منذ وقت طويل بوزن تلك التى كانت تصنع فى مصر قديما تحت اسم الدرهم فسوف نتبين ان قطعة المدينى تقل فى وزنها عن وزن الدرهم ثلاث عشرة او اربع عشرة مرة .

وتجعل رقة هذه العملات وكذلك الطريقة التى تصنع بها من المستحيل ان يتكرر الوزن نفسه فى كل قطعة ، لذلك يكفى ان تزن الألف قطعة منها ٧٣ درهما لتكون رقيقة الوزن بالقدر الكافى . وكان يسمح تحت ادارتنا بتجاوز قدره درهم واحد (١٠٠٠/٧٨ ٣ ج) زيادة او نقصا (فى كل الف قطعة) اى ان التفاوت في الوزن بالنسبة للقطعة الواحدة كان يبلغ نحو ١٠٠٠/١٤ ، ومع ذلك فلابد ان تكون اعداد محددة من الوف قطع المدينى قد جاءت مساوية للوزن المطلوب .

---

(٤) كلمة كخيا او كخايا يلفظها العامة كيخى والتى يكتبها مؤلفونا كياهيا kiahya او كيايا kiaya هى تحريف لكلمة كتخدا وتعنى المؤتمن على السر او الملازم .

ولسنا نستطيع ان نقارن هـذا التجاوز فى الوزن بالنسبة للألف من قطع النقود بالتفاوت المسموح به فى فرنسا فى وزن كل قطعة على حدة ، ومع ذلك فقد اتبع هناك كمبدأ ، انه كلما كثرت تفريعات قطعة العملة كلما كان التفاوت المسموح به فى زنتها كبيرا ، وفى حين امكننا نحن ان نثبت هـذا التفاوت المسموح به بخصوص القطعة ذات الخمسة فرنكات عند ٣٠٠ر فقد كان يبلغ بالنسبة للقطعة ذات الـ ٢٥ سنتيما ١٠/١٠٠٠ وبمعنى آخر كان يقدر بـ ١٠ جرامات فى الكيلو جرام الواحد .

ولابد ان الميزة التى تحقق من وجود عملة فضية يسهل عدها عن عد قطع المدينى ، وتقع قيمتها موقعا وسطا بين قيمة العملات الذهبية وقيمة المدينى التى ما كان ينبغى استخدامها الا كنقود صغيرة (فكة) او نقود مكملة ، هى التى دفعت على بك دون شك الى ان يامر بصنع قروش على غرار قروش استانبول .

وينتج عن المعلومات التى حصلنا عليها من القاهرة انسلسلة القروش او القطع الفضية ذات القيمة الكبيرة التى امر على بك بصنعها او التى كان قد شرع فى اصدارها لم تكن تشتمل قط على قطع من ذوات الـ ٦٠ ولا من ذوات الـ ٣٠ مدينى ، وان لابد لوزن هـذه العملات ان سيكون على النحو التالى :

القطع ذوات الـ ١٠٠	مدينى	١١١/٤ درهما (٥) .
القطع ذوات الـ ٨٠	مدينى	٩١/٤ دراهم .
القطع ذوات الـ ٤٠	مدينى	٤١/٢ دراهم .
القطع ذوات الـ ٢٠	مدينى	٢١/٤ من الدراهم .

ومع ذلك فان العملات التى ضربت فى عهد هـذا البك والتى حصلنا فى مصر على قطع منها باعتبارها من ذوات الـ ٤٠ او الـ ٢٠ مدينى كانت تزن ١٤٣/١٠٠٠ ٥ دراهم الى ١٧٢/١٠٠٠ ٥ اى بحد وسط قدره ١٦٣/١٠٠٠ ٥ دراهم .

ايمكن ان تكون هـذه القطـع هى العمـلات من ذوات الـ ٦٠

---

(٥) بخصوص تقييم الدراهم بالأوزان انظر الجدول الملحق بدراستنا الموجزة عن الأوزان العربية .

و الـــ ٣٠ مدينى ؟ لا يبدو هـــذا فى راينا محتملا ، حيث اكد محدثونا انه لم تكن قد ضربت بعد قطع مسكوكات من هذا النوع . اذن فهل هـــذه هى القطع الأصلية من ذوات الـــ ٤٠ والـــ ٢٠ مدينى التى امر على بك بضربها فى حين أن القطع التى اصدرت بعد ذلك قد انقص وزنها الى ٤١/٢ و ٢١/٤

من الدراهم ؟ ان الشىء الذى قد يدعو الى الأخذ بهذا الرأى هو أن افندى النقود الذى حصلنا منه على المعلومات حول سلسلة النقود المختلفة التى تناولناها فيما سبق لم يعهد اليه باصدارها الا الى العام ١١٨٥ من الهجرة فى حين أن القطع التى حملناها معنـــا من مصر وأجرينا عليها الفحـــوص ورسمناها (٦) تحمل تاريخ اصدار هو ١١٨٣ . اذن فيتبقى علينا أن نعرف ما ان كان هذا الرقم يمكنه ان يدل قط على الســـنة التى أصـــبح فيها على بك مستقلا أو على السنة نفسها التى سكت فيها هذه النقود .

لقد تحتم ان تزن القطع ذوات الـــ ٤٠ والـــ ٢٠ مدينى التى عاود الفرنسيون ضربها نحو ٤ و٢ من الدراهم .

وطبقـــا لذلك يكون النقص الذى اعترى وزن هـــذه النقود مقارنة بمثيلاتها فى عهد على بك قد بلغ نحو درهم واحد و ١٦٣/١٠٠٠ من اجمالى زنة قدرها ١٦٣/١٠٠٠ ٥ دراهم اى ما يعادل ٢٢١/٢٪ اذا ما كان وزن القطعة ذات الأربعين مدينى قد بلغ ١٦٣/١٠٠٠ ٥ من الدراهم او ١٦٣/١٠٠ ١١٪ فقط اذا لم تكن الواحدة من هـــذه العمـــلات تزن سوى ٤١/٢ من الدراهم .

ولمـــا كانت الأهمية التى تعلق عادة على النقود النحاســـية جـــد ضئيلة ، ولمـــا كانت قد تناولتها تغييرات مستمرة ، وكانت لها على الدوام تقريبا قيمة اعتبارية او صورية ترتبط بالحاجات اليومية للناس الذين كانوا يحصلون عليها كى يستخدموها اشارة او وسيلة تبادل عنـــد شراء المواد ضئيلة القيمة ، ولمـــا كان من النادر ان يضع الناس فى اعتبارهم ، لهذه الأسباب كلها وكذلك لانخفاض ثمن المعدن الذى تصنع منه ، الوزن الذى يمكن ان يكون لكل قطعة منها فقد بدا لنـــا أن ليس ثمة أهمية كبيرة فى تلمس أوزان النقود النحاسية فى العصور المختلفـــة ، وان كنـــا نكتفى

---

(٦) انظر اللوحات الملحقة بهذه الدراسة ، الشكل ١٦ من اللوحـــة الثالثة والشكل ٢٢ من اللوحة الرابعة .

بملاحظة أن القطع النحاسية ذات القيم الأكبر والتى تم ضربها منذ عهد الخلفاء لم يتجاوز وزنها فيما بدا لنا سبعة دراهم ونصف الدرهم اى ما يزيد على ٢٣ جراما بنحو طفيف . وتزن قطعة عملة نحاسية ، تحمل كلمة اينار مكتوبة بخط كوفى ، وتنتمى الى العملات النحاسية التى تناولناها فى صفحة ٣٤٢ درهما واحدا و ٦٤٤/١٠٠٠ من الدرهم اى نحو ٥ ٦٢/١٠٠٠ جرامات ، اما تلك التى تحدثنا عنها فى صفحة ٣٧٧ فتزن درهما وحدا ٦١٤/١٠٠٠ من الدرهم اى ٤ ٩٦٩/١٠٠ جرامات .

وقد يبلغ وزن قطعة الجديد التى رسمناها فى الشكل رقم ٢٥ من اللوحة الرابعة نحو درهم واحد و ٧٥٠/١٠٠٠ من الدرهم اى ٥ ٣٨٨/١٠٠٠ جرامات ، اما قطع الأجداد (جديد) التى ترجع الى عهد مصطفى ، الذى تولى الحكم فى العام ١١٧١ الهجرى (١٧٥٧ من تقويمنا) ، والتى رسمنا واحدة منها فى اللوحات الملحقة بهذه الدراسة فى الشكل رقم ٢٦ فيتراوح وزن القطعة منها بين ١/٢ و ٢/٥ من الدرهم ، واخيرا فان الأجداد التى لا تحمل نقوشا والتى تناولناها بالحديث قبل ذلك عند نهاية الفصل الخاص بالنقود النحاسية . لم تكن تزن كل عشرة منها معا سوى ٢١/٤ الى ١/٢" من الدراهم ، بواقع زنة القطعة الواحدة ١/٤ الدرهم على أكثر تقدير .

ثانيا : العيـــار

كانت العملات الذهبية والفضية ، عند نشأة غالبيـــة النقود ، ذات عيار مرتفع للغاية لذلك فان النقود القديمة ، عند اغلب الشعوب ، هى عادة اكثرها نقاء (اى اكثرها قربا من المعدن الخالص) . وهكذا فقد تبين أن عيار الدينار الذى تناولناه فى صفحة ٣٥٣ على سبيل المثال والذى يعود الى العام ٩٧ من الهجـــرة (٧١٦ من التقويم المسيحى) ، والذى تعرض لاختبارات وفحوص بالغة الدقة فى باريس ، يبلغ ٩٨٧ من الالف اى ٢٣ قيراطا و ٢٢/٣٢ من القيراط .

وطالمـــا لم تكن للحكومات مصلحة خاصة فى تحميل سبائك النقود بالاخلاط والشوائب فسيكون الأمر الطبيعى اكثر من غيره ، بالنسبة لهـــا ، أن تمنح هـــذا الرمز الممثل لكافة القيم الاخرى اكبر قيمة ممكنة فى اقل

حجم مستطاع ، مما يجعل حمله والاحتفاظ به اكثر يسرا ، ومما يقلل كذلك من نفقات صنعه ، ومع ذلك فلا يصح لنا ان نعتقد بأن من الأفضل ان نبلغ بالذهب او الفضة اعلا عيار لهما ، فقد علمتنا التجربة أن نسبة معينة من المزاج (بكسر الميم) تعطى لهذين المعدنين قدرا اكبر من الصلابة وتجعلهما أقل قابلية للتلف او التحور بفعل التآكل الناجم عن كثرة التداول .

وحيث كانت غالبية دور سك النقود ، بالاضافة الى الاعتبارات السابقة ، تحصل على احتياجاتها (من المعادن النفيسة) عن طريق المسكوكات النقدية المصنوعة على يد الاسبان والبرتغاليين ، الذين يمتلكون مناجم بالغة الوفرة والثراء ، فقد كانت الأمم الأوربية الأخرى تضطر الى مزج نقودها بالنسب نفسها، على وجه التقريب، التىتمزج بها نقود هؤلاء، وبمعنى آخر فقد كان على هذه الامم الاوربية ان تتحمل كخسارة صافية مصروفات تمحيص او تنقية النقود الاسبانية والبرتغالية (اى فصل المعدن النفيس لاستخدامه فى صنع نقود خاصة بهذه الأمم) .

وبعيدا عن هـذه الدوافع الخاصة ، فان الدافع الوحيد الذى يمكنه ان يحدو بالحكومات المختلفة الى تحريف النقود (اى الغش فيها بانقاص عيارها) هو الرغبة فى تحقيق منفعة تتم دوما على حساب الأفراد (المواطنين) ، تنتهى — هذه المنفعة — بأن تصبح قاتلة للدولة ، وللحكومة نفسها ، اذ هى تخرب تجارتها وائتماناتها وكذلك الثقة فيها . كما انها تلقى بالاسواق المالية فى ارتباك عسير يصعب اصلاحه فى غالبية الأحيان .

ولما كان من غير الميسور ان يحوز الأفراد ، وبصفة خاصة فى البلدان التى لم تتقدم فيها الفنون والصناعات ، وسيلة اكيدة لمعرفة العيار الدقيق (لعملة ما) فيما عدا اولئك الذين يحترفون مهنة تعيير النقود ، فقد استطاع اولئك الذين تنهض عليهم صناعة النقود فى الشرق أن يخرفوا (أو يغشوا) المرة بعد المرة عيار المسكوكات الذهبية والفضية دون رادع، وان يستحوذوا لأنفسهم ، لمدة طويلة ، على كل الربح الذى يجنونه من وراء ذلك .

وفى بعض الاحيان كان بعض هؤلاء (الحكام) يصطنعون لانفسهم شرف اعطاء النقود درجة اعلا من النقاء (او عيارا اعلا) عما حققه اسلافهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

او جيرانهم ، وان كانت هذه الحكومات ، بعودتها الى مبادىء اكثر عدالة واكثر استنارة ، قد أدركت ان من صالح الافراد ، ومن صالحها الخاص كذلك ، ان تعمل على سك نقودها بعناية اكبر وبمزيج افضل كى تمنح هذه النقود قدرا اكبر من الثقة فى مجال التجارة الداخلية ولكى توفر لها ميزة التبادل مع الخارج .

ولعل احمد بن طولون كان هو الحاكم الوحيد فى مصر ، منذ استقرار الاسلام بها ، الذى ضرب بها انقى او اخلص الدنانير ، وسميت هذه باسمه ، ((الدينار الأحمدى ، او الأحمدى فقط)) ، حتى اخذت هذه التسمية تطلق بعد ذلك للاشارة الى الذهب الانقى .

اما السبب الذى قاد الى هذا الاجراء فيبدو لنا ، بالشكل الذى يروى به ، بالغ الطرافة برغم انه يعطينا فكرة لا باس بها عن الملمح الأسطورى لغالبية الحكايات التى يندفع المؤلفون العرب فى تجميعها بكثير من الثقة .

يورد المقريزى ان احمد بن طولون قد اكتشف جرة مليئة بالدنانير عندما امر باجراء تنقيبات فى منطقة الاهرام املا فى العثور على كنوز هناك ، وكانت سدة هذه الجرة تحمل هذا النقش ، بحروف قديمة : ((انا فلان ابن فلان ، انا الذى خلصت الذهب من شوائبه ، وكل من يريد ان يعرف كم كان عهدى اسمى من عهده ليس عليه الا ان ياخذ فى اعتباره كم كان مزج دنانيرى افضل من مزج دنانيره ، ذلك ان الذى يطهر ذهبه مما يشوبه ، يكون هو نفسه الذى يتطهر فى حياته وبعد مماته)) .

وقد امر احمد بتمحيص هذه الدنانير ، فوجد ان عيارها فى الواقع اعلا بكثير من عيار النقود التى ضربت من قبله ، فبذل اكبر قدر من العناية فى تحسين عيار عملاته الذهبية .

واذا افترضنا ان الدينار الأحمدى كان يماثل فى نقائه سكين Séquin البندقية الذى يقدر عياره العالى للغاية فى تعريفة النقود الفرنسية (٧)

---

(٧) التعريفة الصادرة فى ١٧ بريريال من العام الحادى عشر (٦ يونيه ١٨٠٣) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بـــ ٩٩٦ (فى الالف) ، وحيث يبلغ العيار القـــانونى لعملات القـــاهرة الذهبية اليوم ٢٤/٣٢ ١٦ قيراطا اى ٦٩٨ (فى الالف) ، فمعنى هـــذا أن تحريفا متتابعا قد اصاب عيـــار النقود الذهبيـــة بلغ ٢٨٨ على ١٠٠٠ اى نحو ٢٩٪ .

وكان عيار العملات الذهبية ، قبل تدخل الفرنســـيين فى عمـــلات القاهرة ، يبلغ فى بعض الأحيان اقل من ٢٤/٣٢ ١٦ قيراطا ، ويبدو أن العيار الأكثر انخفاضا كان هو عيار العملة الذهبية التى نشرها بونفيل فى مقالته عن النقود الذهبية والفضية التركية برقم ٢١ ، وتعود هـــذه القطعة الى عهد عبد الحميد الذى تولى الحكم فى القسطنطينية فى العام الهجرى ١١٨٧ (١٧٧٤ م) ، وقد ضربت هـــذه فى القاهرة فى العام ١٢٠٠ من الهجرة (١٧٨٥ او ١٧٨٦ من التقويم المسيحى) وقد سبكت بعيار قدره ٢٥/٣٢ ١٥ قيراطا اى ٦٤٥ (على ١٠٠٠) فى وقت كان ينبغى أن يبلغ عيارها فيـــه نحو ٢٨/٣٢ ١٦ قيراطـــا اى ٧٠٧ (على ١٠٠٠) مع تفـــاوت مسموح به (لأعلا او لأدنى) قدره ٤/٣٢ من القيراط اى ٥٢/١٠٠٠ .

وقد ثبت الفرنسيون عيار الزر محبوب عند ٢٤/٣٢ ١٦ قيراطا اى ٦٩٨ من الالف بتجاوز مسموح به قدره ٣/٣٢ لأعلى أو لأقل .

اى نحو ٣٩٠٠ر٠

اى (مع التقريب) . ٤٠٠ر٠

فى حين يبلغ التجاوز القانونى المسموح به فى فرنسا بالنسبة لقطع اللويس ١٢/٣٢ من القيراط .

اى نحو ١٥٦ر٠

وكان يبلغ فى الوقت نفسه بخصوص القطع الذهبية ذوات الأربعين والعشرين فرنكا نحو ٢٠٠ر٠

وعلى هـــذا فقد كان التفاوت المسموح به قانونا (فى مصر) يقل بنحو ثلاث مرات عن مثيله فى فرنسا ونحو الضعف من التفاوت الذى كان مسموحا به بالنسبة للقطع ذوات الاربعين والعشرين فرنكا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحيث كانت اساليب التمحيص التى سنعرض لهـا عند نهاية هذه الدراسة اقل تقدما عنها فى فرنسا فقد نتج عن ذلك ان التجاوز القانونى بالنسبة لعيار العملات الذهبية لم يكن (فى الواقع) كبيرا للحد الكافى ، فقد كانت قطع الفندقى التى توقف صنعها منذ عهد عبد الحميد بن احمد ذات عيار اعلى من قطع السكين Séquins

وقد قدر عيار العملات الذهبية التركية من الزر محبوب فى تعريفة النقود الفرنسية الصادرة فى ٧ بريربال من العام الحادى عشر (٦ يونيه ١٨٠٣) بـ ٩٩٦ ، وهو عيار يبدو اعلى مما هو مطلوب عندما نكون بصدد عملات اكثر قدما واشد نقاء .

كذلك فان قطع الزر محبوب التى ضربت فى القاهرة فى عهد السلطانين احمد بن محمد ، ومحمد بن مصطفى ، اللذين توليا الحكم فى ١١١٥ و ١١٤٣ من الهجرة (١٧٠٣ و ١٧٣٠ م) كانت هى الاخرى ذات سبك بالغ الجودة ، اما تلك التى تعود الى عهد عبد الحميد بن احمد الذى بدا حكمه فى العام الهجرى ١١٨٧ (١٧٧٤ من تقويمنا) والتى رسمناها فى الشكل رقم ١١ من اللوحة الثانية فقد كان عيارها بالغ الانحراف حتى ان القطع التى ظلت تتداول منها فى مجال التجارة بالقاهرة كانت تبدو وكانها مزيفة او كانها نقود فضية قد مزجت بالذهب ، كما سبق لنا ان قلنا ، برغم انها قد ثبتت فى عمليات التمحيص التى اجريت عليها فى باريس بين عيارى ٧١٠ و ٧١٥ (٨) . وهكذا ، وبصفة قاطعة ، فان هذه العملات لم تكن زائفة وان كانت حكومة البلاد قد طرحتها بقيمة مساوية لقيمة الفندقى القديم ، وعلى ذلك فقد طرحت بقيمة اعلى مما كانت لها فى حقيقة الامر .

اما الدراهم الناصرية التى امر بضربها صلاح الدين (انظر الفصل

---

(٨) انظر جدول النقود ، القطعتين رقمى ٢٤ ، ٢٥ . وقد ثبت عيار فندقلى القسطنطينية فى عهد عبد الحميد الى ١٩/١ ٤ قيراطا اى ٨٠٢ (على الف) . وكان يضرب فى القاهرة دون شك بالعيار نفسه الذى كان للقطعة الذهبية زر محبوب . وكان الفندقلى بحكم وزنه وعياره . لا يساوى الا ٦٦/١٠٠ ١٦٦ مدينى لكنه ثبت عند ٢٠٠ مدينى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخاص بالنقود الفضية او البرونزية) فكانت طبقا لما يورده المقريزى مزيجا من الفضة والنحاس بنسب متساوية .

ولعل الدرهم الوحيد ، الذى يعد قديما بعض الشىء ، والذى حملناه معنا من مصر ، فهو الذى ضرب فى العام ٦٦٥ او ٦٧٥ من الهجرة (١٢٧٦ او ١٢٧٦ من التقويم المسيحى) ، فى عهد الظاهر ركن الدين بيبرس ، وقد تناولناه فى صفحة ٣٥٢ ، الفقرة الخامسة ، وقد بلغ عياره ، طبقا للتمحيص الذى اجرى عليه فى باريس ٦٧٢ (على ١٠٠٠) (٩) .

وليست لدينا معطيات دقيقة عن اعلى عيار تكون قد بلغته الدراهم القديمة ، فاذا ما افترضناه ٩٨٣ (من الف) ، وهو اعلى عيار بالنسبة للنقود الفضية ، سجلته تعريفة ١٧ بريريال من العام الحادى عشر (٦ يونيه ١٨٠٣) ، فلابد ان يكون قد حدث تناقص مستمر فى عيار هذه النقود بلغ فى النهاية نحو ١/٢ ٣١٪ .

وقد ثبت احمد اغا خطيب زادة المفوض او المفتش الذى ارسله الباب العالى فى العام ١١٧٦ من الهجرة (١٧٦٢ م) للتفتيش على عملات القاهرة، عيار قطع المدينى عند ٥٨٠ (من ١٠٠٠) ، اما عند قدوم الفرنسيين فقد انخفض العيار الى نحو ٣٤٨ ، الامر الذى يوضح ان تدهورا مستمرا قد بلغ فى مجمله ١/٢ ٣٩٪ اى نحو ٤٠٪ فى فترة زمنية تقدر بـ ٣٧ عاما .

وقد راينا انه كان يضاف ، فى الفترة الاخيرة ، الى كل درهم واحد من الفضة الخالصة مزاج قدره درهم واحد $\frac{٨٧٠٤٣٢}{١٠٠٠٠٠٠}$ من الدرهم ، فاذا لم تكن هذه النسبة تتعرض لأى تغيير عند الصنع فسوف نجد انفسنا ازاء عيار قدره ٣٤٨ بالنسبة لقطع المدينى .

وبدءا من الاول من فندمير من العام التاسع (٢٣ سبتمبر ١٨٠٠) ثبتت نسبة المزاج الذى ينبغى اضافته الى كل درهم من الفضة الخالصة عند درهمين ، ولولا ان خامة المدينى تمحص بشكل محسوس فى مختلف

---

(٩) يورد المقريزى ان سبيكة الدرهم الناصرى قد صنعت على قاعدة ٧٠٪ من الفضة الخالصة ، وهو عيار لا يبتعد كثيرا عن العيار الذى نجده فى نقود باريس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مراحل المعالجة اليدوية التى تخضع هـذه الخامة لها لبلغ عيارها بدقة ٣٣٣ (من الف) اى الثلث من الفضة الخالصة ، لكن غالبية عمليات التنقيد (ان صح التعبير ويقصد به تحويل المعادن الى نقود) مثل الصهر والسبك والتجمية او الإنضاج وبصفة خاصة عملية الصقل تؤدى الى انفصال نسبة من النحاس تتبخر او تحترق مكونة لهبا اخضر اللون او تتأكسد او تنفصل عند السطح لتزول فى عملية الجلو او التبييض بحيث يزيد صفاء الخامة او الفضة الممزوجة مع توالى هـذه العمليات بطريقة تصبح محسوسة فى النهاية لأن سطح قطع المدينى بالغ الاتساع بالنسبة لكتلتها (اى وزنها) ، وبهذه الطريقة يرتفع العيار الحقيقى لهذه العملة ، اما قطع المدينى التى تفحصها المسيو فوكيلان Vauquelin عضو المجمع العلمى والمعيارجى الذى يقوم بدمغ وفحص الذهب والفضة فى باريس فقد بلغ عيارها عندئذ ٣٥٦ ، وكانت هـذه قد صنعت تحت اشرافنا فى القاهرة فى العام ١٢١٣ من الهجرة (٩٨ او ١٧٩٩ م) ، وان كانت عمليات تمحيص اخرى اجريت مؤخرا فى دار سك النقود بباريس على قطع مدينى من النوع نفسه وصلت بعيارها الى ٣٥٢ — ٣٥٤ بدلا من نسبة ٣٤٨ التى كان ينبغى ان تعطيها نسبة المزاج المضاف كما سبق لنا ان اوضحنا فى الفقرة السابقة .

وقد برهنت تجارب بالغة الدقة اجريت حديثا على يد المسيو دارسيه Darcet مفتش عمليات التعيير فى دار سك النقود بباريس بخصوص تكوين البرونز ، اننا اذا صهرنا معا كميات كبيرة من النحاس النقى والفضة من عيار معروف لنا جيدا ، فان عملية التعيير التى تتم بعد ذلك تعطينا كمية من الفضة الخالصة اقل بنحو طفيف عن كمية الفضة التى اضفناها ، وعلى هـذا فبامكاننا كذلك ان نصل بنسبة التكرير او التمحيص (او المزج) التى تمت فى المراحل المختلفة من عمليات صنع المدينى الى درجة اكبر قليلا من تلك التى تبينها عمليات التمحيص التى ذكرناها فيما سبق .

اما بالنسبة لصنع العملات ذوات الاربعين والعشرين مدينى ، فقد كان يضاف فيه بالمثل الى كل درهم من الفضة الخالصة درهما واحدا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و ٨٧٠٩٤٣٢ / ١٩٠٠٠٩٠٠٠ من الدرهم ، وان كان من الممكن لعيارها ، اذا ما حدثت عمليات تكرير أو تصفية خلال مراحل عملية التنقيد ، ان يصل الى نحو ٣٤٨ (من الف) بل يمكنه ان يرتفع الى ٣٥٠ لأن عمليات التكرير التى تتم خلال صنع هذه المسكوكات هى بالضرورة اقل حجما من تلك التى نتطلبها قطع المدينى (*) .

ثالثا : القيمة الاسمية

تتبنى كل الشعوب التى تعرف استخدام النقود ، وحدة بعينها ، حقيقية أو افتراضية تجعل منها طرفا للمقارنة عند تقييم العملات الأخرى، والسلع المختلفة ، وعند حساب كل الأسعار ، على هذا النحو كان الجنيه فى فرنسا هو وحدتها النقدية ، فيما مضى ، ومنذ وضعنا نظامنا النقدى الجديد ، اصبح الفرنك وحدتنا النقدية .

اما القيمة الاسمية لعملة ما فهى عدد هذه الوحدات النقدية التى يرى انها مساوية لها . وقد استقرت غالبية الأنظمة النقدية على معدنين جنبا الى جنب هما الذهب والفضة ، وتقبل فى اغلب الأحيان كذلك معدنا ثالثا هو النحاس ، وفى بعض الأحيان تقبل نوعا رابعا من المعدن المركب هو البرونز .

وتشكل الفضة فى معظم الأحيان الوحدة النقدية لانها اكثر وفرة من الذهب فى مجال التجارة ، كما انها اطوع حين تستخدم عادة وسيلة للتبادل، فكمية بعينها من الفضة ، من حجم يسهل حمله والانتقال به ، لن تكون بذات قيمة اكبر مما ينبغى (حتى يخشى عليها) ولا بذات قيمة ادنى مما تتطلب الامور لسد الاحتياجات العادية والاستخدامات اليومية .

اما الذهب ، والغرض الأساسى من استخدامه هو تقييم الصفقات أو المشتريات الضخمة وجعلها قابلة للنقل (او التحويل) بشكل اكثر يسرا، فنادرا ما يشكل وحدة نقدية ، ومع ذلك فقد رأينا عند حديثنا عن العملات

(*) ربما بسبب النسبة بين مساحة الوجه وبين الكتلة او الوزن فى كلتا العملتين . (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذهبية ، كيف كانت الحسابات ، وكذلك العقود وجباية الضرائب تتم كلها فى مصر ، فيما مضى بالدنانير .

ومنذ ان استبدلت بالذهب عملات فضية اجنبية ، تدوولت هناك فى شكل عملة فضية وطنية ، موحدة ، تسمى درهما ، مستمدة اسمها من الوزن الذى كانت تساويه فى الاصل ، اصبح الدرهم هو الوحدة النقدية ، بمعنى ان كل شيء اصبح يقيم بالدرهم .

وعندما توقف صنع الدراهم ، اصبح المدينى ، الذى قام مقام هـذه العملة الفضية ، هو الوحـدة النقدية التى لا زالت تستخدم حتى اليوم ، ولعله اصغر وحـدة نقدية من هـذا النوع على الاطلاق تستخدمها امة من الامم لتقييم صفقات (او مشتريات ، او خدمات ...) ضخام .

اما النقود النحاسية فلا تستخدم عادة الا كنقود معاونة للنقود الفضية، ومع ذلك فلابد ان تنشا فى هـذه الحالة نفسها وتستقر رابطة من قيمة تبادلية بين هذين النوعين من النقود . اما اذا لم تكن هناك نقود ذهبية ، بشكل تصبح معه النقود الفضية نفسها نادرة ، والنحاسية وفيرة ، فلسوف تتم التقديرات عندئذ بالنقود النحاسية ، بشكل اعتيادى وشائع ، بحيث ينتهى الامر بوحدة من هـذا النوع من المسكوكات بان ينظر اليها باعتبارها الوحدة النقدية الوحيدة ، وهذا هو ما حدث فى مصر ، فى نحو القرن الثامن من الهجرة (بداية القرن الخامس عشر من تقويمنا) ، عندما انتهى الامر بكل شيء ، حتى الذهب نفسه ، ان اصبح يقـدر بالفلوس ، اى بالعملات النحاسية .

وحين تقيم نقود مصنوعة من معدن ما ، وليكن الذهب على سبيل المثال ، بوحدات نقدية مصنوعة من معدن آخر مثل الفضة ، تنشا بالضرورة مقارنة او علاقة (تبادلية) بين قيمتى هذين المعدنين ، وقد تتنوع هـذه العلاقة بسبب ظروف مختلفة بحسب الحالة التى يكون عليها احد المعدنين من الندرة او الوفرة .

ولهذا السبب فان كثيرا من المؤلفين الذين يحظون بالتقدير ، لصواب ارائهم واتساع معارفهم قد اقترحوا عدم تثبيت القيمة الاسمية الا للنقود الفضية وان تدون فوق النقود الذهبية وزنها وعيارها فقط ، بدلا من تدوين

قيمتها الاسمية ، تاركين للتجارة مهمة تحديد العلاقة (التبادلية) بين الذهب والفضة .

ومع ذلك فنادرا ما يبدو اجراء كهذا قابلا للتنفيذ ، اذ سوف ينتج عنه فقدان ثقة مستمر فى القيمة الخاصة بهذين النوعين من النقود ، اذ تظل هذه العلاقة (التبادلية) برغم الجهود التى قد تبذلها الحكومة فى العمل على ذيوعها ، مجهولة من الغالبية العظمى من ابناء الشعب ، والذين سيصبح اجراء كهذا مبعثا على ضيقهم اذ سيضطرون لاجراء حسابات نقييم على الدوام ، وهذا شىء مستحيل عليهم ، لا يألفه الا الصرافون واولئك الذين يشتغلون بالعمليات التبادلية والمالية .

وتلك هى الدوافع التى حالت دون تبنى هذه الفكرة فى نظامنا النقدى الجديد والتى اسهمت فى جعل تدوين القيمة الاسمية بالفرنكات على النقود الذهبية ، كما فعلنا بالنسبة للعملات الفضية ، امرا ضروريا .

وحين كانت العملات الذهبية هى وحدها النقود القانونية فى مصر ، وحين لم يكن يتداول هناك سوى بعض نقود فضية اجنبية ، فقد كانت القيمة النسبية لهذه العملات أو سعر التداول تتحدد عن طريق التجارة فحسب ، وهذا ما دعا المسيو دى ساسى الى الظن بأن القوم تحت حكم الفاطميين كانت لديهمفكرة أكثر دقةفى مجال اقتصاديات النقود عن تلك الفكرة الكامنة وراء النظام النقدى المتبع اليوم فى غالبية دول أوربا ، حين يظن بأن من المستطاع أن تقوم علاقة تناسب ثابتة وغير قابلة للتغيير بين الذهب والفضة ، ومع ذلك فهل يحتمل أن يكون ثمة ، فى تلك الفترة التى نتحدث عنها ، نظام اقتصادى يفترض حضارة على هذه الدرجة من التقدم ، ولا يمكن أن يأخذ به الا رجال المصارف والتجار — قد وضعته حكومة مصر ؟

فحيث لم يكن يتعلق الأمر الا بعملات فضية اجنبية ، ذات قيم متنوعة ، فلم يكن من الممكن ان تتخذ حيالها سوى قاعدة بالغة البساطة ، وطبيعية للغاية كذلك ، واخذت بها فضلا عن ذلك غالبية الامم الاوربية ، ونعنى بذلك عدم وضع سعر أو تعريفة للعملات والسماح بتداولها بالسعر الذى تحدده لها سوق التجارة أو حركة التبادل مع الأمم التى توفر هذه النقود ، ولكن فبمجرد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن أصبحت لمصر عملة فضية خاصة بها ، لم يعد هنـاك مناص من ان تلتزم الحكومة (المصرية) بتثبيت العلاقة بين قيم هـذه النقود (الوافدة) وبين قيم نقودها الذهبية كما حدث فى كل بلاد العالم على وجـه التقريب ، وهو الامر الذى تبرهن عليه كذلك فترات عديدة وردت عند المقريزى .

بل لقد كان على امراء او حكام مصر ان يبدوا غيورين على حقهم فى تثبيت القيمة الاسمية للنقود ، اذ اعتادوا جميعا ان يسعوا لتحقيق اكبر منفعة ممكنة من وراء صنعها ، فاذا كانت هـذه هى حقيقة الاحوال ، فان هـذه المنفعة المبتغاة لم يكن من المستطاع تحقيقها الا باعطاء النقود سعر تداول الزامى او عن طريق قيمة اسمية لهـا اعلى من قيمتها الجوهرية أو الفعلية ، ولهـذا الغرض نفسه فقد اعتادوا فى حالات كثيرة ان يامروا بابطال ، ليس فقط كل المسكوكات الاجنبية التى دخلت فى نطاق التداول فى عصور مختلفة بل بابطال العملات التى اصدرها اسلافهم وطلب تسليمها حيث لم يكن يتم قبولها على اكثر تقدير الا طبقا لقيمتها الجوهرية او الفعلية، وبعد ذلك كانت تحول الى اصدار نقدى جديد ذات مزيج ادنى .

ومع ذلك ، فحيث كان يحدث بالضرورة ، برغم جهل الناس من جهة، وبرغم سلطة الحكومة من جهة اخرى ان تحيل النسبة بين القيمة الاسمية للنقود والقيمة الجوهرية او الحقيقية لهـا الى التوازن بطريقة متفـاوتة الايقاع ، متفاوتة الدقة كذلك ، فلم تكن هنـاك اية وسيلة قهرية يمكنها أن تحول على المدى الطويل دون ارتفاع اثمان السلع الغذائية ، وكذلك اثمان سبائك الذهب والفضة ، وبالتالى ثمن الذهب المحول الى نقود ، اذا لم يكن قد تناوله غش كبير وخصوصا عندما يصبح تحريف وزن وعيـار المسكوكات محسوسا بطريقة فاضحة ، وكذلك عندما كانت تطرح للتداول كميـة من النقود بالغة الضخامة لحد يفوق الحاجة ، ذات مزيج منخفض، وينتهى الامر بأن تجد الحكومة نفسها مضطرة عندئذ لأن تغير بنفسها القيمة الاسمية للنقود الذهبية (١٠) ، ولكى تواصل هـذه الحكومة تحقيق الأرباح التى تجنيها من وراء صنع هـذه النقود . فقد كانت تخفض من جديد عيار العملات وتفرض تداول هذه النقود وفقـا للتحديد الجديد لقيمتها الاسمية

---

(١٠) انظر ما سبق ان قلناه عن البوطاقة الفصـل الخاص بالنقود المسابية .

كما لو كانت هـذه العملات قد احتفظت بالقيمة الجوهرية او الفعلية نفسها التى كانت لها من قبل (*) .

واليكم الآن السبب الذى كان يحول دون أن تتوازن النسبة بين القيمة الاسمية والقيمة الحقيقية للمدينى بشكل قاطع ، فحيث لم تكن كمية هـذه العملات ، التى كانت في الوقت نفسه تستخدم فى الصفقات الكبرى والمشتريات الصغرى (الجملة والقطاعى) فى كافة انحاء مصر ، بل كذلك فى البلدان المجاورة ، وفيرة لحد يفى باحتياجات التجارة ، فقد كانت تتحقق لها قيمة افتراضية (او حسابية) كبيرة بعض الشيء باعتبارها وسيلة للتبادل ، وهى قيمة كانت تحتفظ بها بصفة جزئية ، حتى برغم ان انخفاض مزيجها او سبيكتها كان حقيقة شائعة بشكل عام .

ويمكننا ان نلتمس عند المقريزى تلك التغييرات الأساسية التى تناولت القيمة الاسمية للنقود خلال القرون السبعة الاولى من الهجرة ، ونكتفى هنا بأن ننقل عنه فقرة بالغة الاهمية ، تتطابق مع ما سبق لنا ان تلناه .

فى نحو العام ٣٦٣ من الهجرة (٩٧٤ من تقويمنا) كان سعر التداول للدينار المعزى يبلغ ١/٢ ١٥ درهما .

وحيث زاد عدد الدراهم لحـد كبير فى عهد امير المؤمنين الحاكم بأمر الله ابو على المنصور بن العزيز فقد ارتفع سعر الدينار حتى بلغ ٣٤ درهما وتغيرت كل اسعار السلع الغذائية ، ونتج عن ذلك اضطراب كبير فى احوال الناس ، وعندئذ الغى تداول الدراهم ، ونقلت من القصر عشرون صندوقا من الدراهم الجديدة ، وقطعت رقبة كل من رفض مهنة الصيرفة .

ونشر مرسوم يحرم اتمام اية صفقة قدرت بالدراهم القديمة ، وأمر كل حائزى هـذه المسكوكات بأن يحملوا كل ما كان لديهم منها الى دار سك النقـود فى مدى ثلاثة ايام ، وتسبب ذلك كله فى حدوث فوضى واضطراب كبيرين ، واخذت كل اربعة من الدراهم القديمة فى مقابل درهم

(*) المقصود بالقيمة الجوهرية او الفعلية كما سنرى فيما بعد هو قيمة المعدن المستخدم فيها بالاضافة الى نفقات صنعها . (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واحـــد من الدراهم المضروبة حديثا ، ونظمت العلاقة (التبادلية) للعملات الجديدة بواقع ١٨ درهما مقابل الدينار الواحد .

ويبين جدول العملات الملحق بهـــذه الدراسة القيمة الأسمية بالمدينى التى ثبت عليها الفندقلى وقطع النقد الذهبية الأخرى والقروش ســـواء بمعرفة الباشوات والبكوات فى عهود مختلفة أو على يد الفرنسيين اثناء اقامتهم بمصر .

وقد تم هـــذا التثبيت الأخير بموجب تعريفة أصدرتها لجنة تكونت فى الاسكندرية وتشكلت من فرنسيين ومن أناس من أهل البلاد ، ووضعت هـــذه التعريفة نفسها القيمة التبادلية التى تتداول على اســـاس عملات فرنسا والبلدان المختلفة الأخرى مقدرة بالعملات المصرية ، ولهذا كله اهمية مباشرة بالنسبة لموضوعنا ، لدرجة نعتقد معها انه ينبغى لنـــا ان نوردها هنـــا ، وان كنا اكتفينا بأن نضيف بحذاء هـــذه التعريفة عمودا يضم تقييما لهذه العملات نفسها بالفرنكات ، على اساس ١٤٢ مدينى فى مقابل القطعة ذات الخمسة فرنكات .

تعريفـــة النقود المصرية

تم الاتفاق بين المواطنين سوسى Sucy رئيس مندوبى الصرف ، وبرتوليه Berthollet ومونج Monge ، عضـــوى المجمـــع الوطنى الفرنسى ، وبوسييلج Poussielgue مراقب مصروفات الجيش واســـتيف Estève الخازن العـــام ، وماجالون Magalon القنصـــل العـــام بالاسكندرية ، وهم المفوضون الذين عينوا من قبل القائد العام — وبين الحاج حومد أبو الريزو ، تاجر ، والحاج عبد الوهاب الحوشى ، شيخ ، وعلى مباركى الدقاق ، تاجر ، والثلاثة مقيمون بالاسكندرية . وقد استدعوا لهـــذا الغرض — على أن تتداول النقود الفرنسية والتركيـــة والعملات الأجنبية الاخرى طبقاً للتعريفة التى ستطبع نتيجة لهـــذا الاتفاق بالعربية والفرنسية ، وعلى أن تتبادل طبقاً للقيم الواردة بالتعريفة المذكورة ، على النحو الآتى :

النقود الذهبية	التعريفة: بالعملة المحلية (بارة ومديني)	التعريفة بالعملات الفرنسية: كور	د	س	جنيه	تحويلها إلى فرنكات على أساس ٤٢ آمديني لكل ٥ فرنكات: كور	سنتيم	فرنك
الخردبة الاسبانية تساوى .	٢٣٥٢	—	—	—	٨٤	٦٩	٨١	٨٢
نصف الخردبة . . .	١١٧٦	—	—	—	٤٢	٨٤	٤٠	٤١
¼ الخردبة	٥٨٨	—	—	—	٢١	٤٢	٧٠	٢٠
⅛ الخردبة	٢٩٤	—	—	١٠	١٠	٢١	٣٥	١٠
١/٣٢ من الخردبة . . .	١٤٧	—	—	٥	٥	٦١	١٧	٥
القطعة الفرنسية ذات ٢ لويس	١٣٤٤	—	—	—	٤٨	٣٩	٣٢	٤٧
قطعة اللويس	٦٧٢	—	—	—	٢٤	١٩	٦٦	٢٣
سكين البندقية . . .	٣٤٠	٢/٧	١٠	٢	١٢	١٨	٩٧	١١
الزر محبوب إصدار القاهرة	١٨٠	٦/٧	٦	٨	٦	٨٠	٣٣	٦
قطعة بنصف زر محبوب . .	٩٠	٣/٧	٣	٤	٣	٩٠	١٦	٣
عملة ذهبية إصدار القسطنطينية[1]	٢٠٠	٢/٧	١٠	٢	٧	٢٢	٤	٧
» » » هنجاريا وهولندا	٣٠٠	٣/٧	٣	١٤	١٠	٣٤	٥٦	١٠
النقود الفضية								
ريال فرنسا ذو الستة جنيهات écu	١٦٨	—	—	—	٦	٤٢	٩١	٥
» » » الخمسة » »	١٤٢	١/٧	٥	١	٥	—	—	٥
» » » الثلاثة » »	٨٤	—	—	—	٣	٧٧	٩٥	٢
القطعة ذات الثلاثين سو(*) sous	٤٢	—	—	١٠	١	٨٨	٤٧	١
» » ١٥ » »	٢١	—	—	١٥	٠	٤٩	٧٣	٠
ريال روما écu . . .	١٤٠	—	—	—	٥	٩٥	٩٢	٤
ريال مالطة	٦٧	٢/٧	١٠	٧	٢	٩١	٣٥	٢
القطعة ذات الريال و½ الريال (مالطة)	٨٤	—	—	—	٣	٧٦	٩٥	٢
» » ٢ ريال »	١٣٤	١/٧	٨	١٥	٤	٨٣	٧١	٤
» » ٢ ½ ريال »	١٦٨	—	—	—	٦	٥٥	٩١	٥
القرش الأسبانى . . .	١٥٠	٠/٧	١	٧	٥	١٧	٢٨	٥

(١) لم توضع تعريفة للفندقلى ، وكان يقدر بـ ٣٠٠ مدينى ، انظر الباب الأول ، الفصل الاول ، الفقرة اولا : الخاصة بالنقود الذهبيـة .

(*) sau عملة تساوى ١/٢٠ من الفرنك . (المترجم) .

	التعريفة					تحويلها الى فرنكات على أساس ١٤٢ مديني لكل ٥ فرنكات		
	بالعملة المحلية	بالعملات الفرنسية						
	ابرة او مديني	كسور	د	س	جنيه	كسور	سنتيم	فرنك
التالر (التالارى) (الألمانى)	١٥٠	٥/٧	١	٧	٥	١٧	٢٨	٥
ريال جنوة ذو الثمانية جنيهات	١٨٦	٢/٧	١٠	١٢	٦	٩٣	٥٤	٦
ريال ميلانو ذو الستة جنيهات	١٣٠	٢/٧	١٠	١٢	٤	٧٤	٥٧	٤
وتوجد أربعة أنواع من النقود التركية :								
النوع الأول ويساوى . .	١٠٠	١/٧	٥	١١	٣	١١	٥٢	٣
« الثانى « . .	٨٠	٥/٧	١	١٧	٢	٦٠	٨١	٢
« الثالث « . .	٦٠	٣/٧	١٠	٢	٢	٢٧	١١	٢
« الرابع « . .	٤٠	٦/٧	٦	٨	١	٨٤	٤٠	١
وتبعاً لهذ الحساب فإن :								
الجنيه النورى يساوى . .	٢٨	—	—	—	١	٥٩	٩٨	—
والبارة الواحدة تساوى . .	١	٤/٧	٨	—	—	٥٢	٣	—

ملاحظة : كانت موارد وانفاقات الجيش تحسب بالبارات .

صدر بالاسكندرية فى ١٧ ميسيدور من العام السادس من قيام الجمهورية الفرنسية ، وبالتقويم الهجرى فى العشرين من شهر المحرم(١) .

(توقيعات)

---

(١) من العام ١٢١٣ (٥ يولية ١٧٩٨) والمحرم هو الشهر الاول من السنة الاسلامية .

وختاما لكل ما يتصل بالقيمة الاسمية ، نتبين الدوافع التى استخدمت اسسا للتعريفة السابقة .

كانت المهمة التى كان على اللجنة ان تضطلع بهـا بخصوص تثبيت هـذه التعريفة تقف بين حدين ، فاما ان تضع تعريفـة بالغـة الصرامة للعملات المحلية طبقا لقيمتها الجوهرية او الحقيقية ، واما ان تعطى هـذه العملات اكبر قيمة ممكنة بالنقود الفرنسية .

اما الاختيار الاول ، فبالاضافة الى انه يبدو نظريا اكثر الاجـراءات مطابقة لمبادىء الادارة السليمة ، فكان يبدو مسترشـدا بمصلحة افراد الجيش الذين كان عليهم — وهـذا امر طبيعى — عند دخولهم الى مصر ان يستبدلوا بالعملات التى جلبوها معهم من اوربا أكبر كمية ممكنة من عملات البلاد فى حين ان سلوكا كهذا سيكون فى واقع الامر ، عملا مجافيا لكل الاعتبارات السياسية ، فحين نحط على هـذا النحو من قدر عمـلات البـلاد ، فلن يكون اكبر الاضرار الناجمة عن ذلك هو اننا باجراء كهـذا ؛ نحرم الخزانة من كل الربح الذى يمكنها ان تحققه من عملية صنع النقود ، ولا حتى اننا سنثقل كاهل الخزينة بالنفقات باهظة اذا ما وقع على عاتقنا عبء صنع هذه النقود ، فحيث كانت الضرائب تحصل بالـمدينى فان من الواضح أن الخزانة التى ستظل تجبى المبالغ نفسها من المدينى ، سوف تجد نفسها وقد تناقصت مواردها بشكل هائل ، اللهم الا اذا زادت من حجم الضرائب ، وهو امر يشكل مساوىء اكبر .

اما اذا اخذنا بالاختيار الثانى (بان نجعل القرش على سبيل المثال مساويا لـ ١٠٠ مدينى والزر محبوب لـ ١٢٠) فقد كنا سنحصل على النتائج الاتيـة :

١ — حيث ان رواتب الجيش كانت مقدرة بالعملات الفرنسية ، فان مصروفات الخزينة حين تدفعها بالمدينى كانت ستقل بمقدار الثلث .

٢ — وحيث ان الضرائب تقدر وتجبى بالمدينى ، فان الحصيلة ، مع استمرار جباية المبالغ نفسها ، ستزيد بفعل ذلك بمقدار الثلث .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ — كذلك فان الفائدة التى يعود بها صنع هذه النقود كانت ستزيد هى الاخرى لحد يتناسب مع هذه النسبة .

ومع ذلك ، فحيث ان القيمة الاسمية للنقود تتجه دون انقطاع نحو الاقتراب من القيمة الجوهرية او الفعلية ، وحيث انه عندما توجد فى اى مكان زيادة ملموسة فى عدد المستهلكين الذين عليهم ان يشتروا كل شىء دون ان يبيعوا (او ينتجوا) شيئا ، وبصفة خاصة حين ينفق هؤلاء بسهولة ، وحين يجلبون الى التداول كمية كبيرة بعض الشىء من المسكوكات الاجنبية ، فان سعر السلع سيرتفع بسرعة ، وسوف يكون من العسير ، بل ربما من المستحيل ، ان نعاود رفع سعر المدينى فى القاهرة او حتى ان نحتفظ له ، ولوقت طويل ، بنفس معدل سعره ، وقد يستوجب الامر ، لهذا الغرض ، ان نتخذ اجراءات صارمة وربما مجافية لاصول السياسة ؟! ولهذا السبب فان هـذه اللجنة قد اتخذت فى الواقع ، وحسب وجهة نظرنا ، الاختيار الاكثر معقولية والاكثر نزاهة حين وقفت موقفا وسطا بين الحدين اللذين عرضنا لهما فيما سبق ، وبتثبيتها قيم الزر محبوب والقروش الاسبانية بقيمتهما الاسمية من المـدينى التى كانت قد بلغتها فى القاهرة (عند مجيئنا) الا كان من الطبيعى لهذه المدينة ، بفعل اهميتها ، وبحكم صفتها كعاصـمة ومركز للتجـارة والحكومة ، ان تنظم اسـعار تداول العمـلات .

رابعا : القيمة الجوهرية او الحقيقية

بين المسيو مونجيه Mongez فى مقالته الرائعة ، والتى كان عنوانها : اعتبارات عامة حول النقود (١١) ، ان القيمة الجوهرية لعملة ما (عندما لا نكون مضطرين لاعادة تكرير المعدن — اى استخلاصه من مزيج معدنى ما) تتكون من القيمة الاصلية للمعدن مضافة اليـه نفقات الضرب (او السك) ، ومع ذلك ، فلكى نقدر قيمة المعدن منفصلا او ممزوجا فقد يتطلب الامر ان نقارن هـذه القيمة بقيم السلع الغذائيـة الرئيسية فى البلاد . ثم يبقى بعد ذلك ، ولكى تتكون لدينا فكرة دقيقة عن اثمان السلع الغذائية ان نقارن هـذه الاثمان باثمانها التى بلغتها فى بلادنا ، وفى المقام

---

(١١) سبق ان اشرنا اليها فى ص ٩٤ ، الهامش رقم ٣ .

الثانى فلابد لنـــا ان نلاحظ إن نفقـــات « تنقيد » هـــذه المعـــادن ليست هى نفسها فى بلادنا ، فهى فى مصر اكبر بكثير (عنها عندنا) بفعل انماط النقود وطبيعتها هى نفسها ، واكبر كذلك عمـــا كان عليها ان تبلغه (هذه النفقات فى مصر) لو ان الفنون هنـــاك كانت اقل تخلفـــا ، وهكذا فان الوسيلة الوحيدة لتقديم فكرة مبسطة ، يسهل استيعابها ، عن القيمـــة الجوهرية للنقود المصرية هى ان نقارنها ، فى ضوء هـــذه الاعتبـــارات بالنقود الفرنسية ، مفترضين ان نفقات السك هنـــا وهنـــاك متماثلة . وهذا هو نفس ما فعلناه فى الجدول الملحق بهذه الدراسة .

خامسا : نسبة الذهب والفضة
فى سبيكة العملات المصرية

لكى ندرك هـــذه النسبة بصفة عامة ، علينا ان نقارن ، فى هذين النوعين من العملات ، قيمة وزن متساو من الذهب والفضة الخالصين ، أو من عيـــار واحـــد ، دون ان نحسب حســـاب قيمـــة المزاج او المعدن المضـــاف (١٢) .

وفى نظـــامنا النقدى الحالى فى فرنسا ، فحيث أن نسبتى كل من الذهب والفضة تبلغان العيار نفسه (يمزج كلاهما بمقدار العشر) ، وحيث ان تفريعات كليهما تتبع النظام العشرى ، فليس هناك ما هو اسهل من تحديد النسبة التى نحن الآن بصددها ، وفى واقع الأمر فحيث أن كيلوجراما من الفضة المحولة الى نقود يحوى ١٠ × ٢٠ فرنكا ، وكيلوجـــراما من الذهب المحول الى نقود يعطينا ١٥٥ قطعة من ذوات الـــ ٢٠ فرنكا ، فاننا نتبين على الفـــور أن نســـبة الذهب الى الفضـــة هى ١٠ الى ١٥٥ أو ١ الى ١٥١/٢ .

ويقدم المسيو موتجيه فى ملاحظاته العامة عن النقود ، تفصـــيلات بالغة الاهمية حول تنوع نســـبة الذهب الى الفضـــة فى البلدان والعصور المختلفـــة .

---

(١٢) لا يحسب حساب المزاج فى العادة ، ولكن عندما توجـــد فى النقود الذهبية كمية كبيرة بعض الشىء من الفضة فيبدو ان من الواجب ان ناخذ فى الاعتبار بعضا من قيمة هذه الفضة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكي يتيسر لنـــا ان نلم بالنسب التي اتبعت في مصر فلابد ان يكون المؤلفون قد نقلوا الينا في الوقت نفسه القيمة الاسمية والوزن والعيـــار المحددة للنقود الذهبية والفضية ، وهو امر لا توضحه قط مقالة المقريزى التي تقدم في بعض الأحيان وزن عملة وفي احيان أخرى وزن غيرها ، وفي احيان ثالثة قيمتها الاسمية او سعر تداولها ، ونادرا ما توضح لنا عيـــار هـــذه العملات دون ان تحدثنا في هـــذه الحالة عن وزنها . ولسنا نستطيع أن ناخذ قيمة الدنانير التى اوردها المقريزي مقدرة بالدراهم فى الفترات التى اوردنا ذكرها ص١٦٩ باعتبارها ممثلة للعلاقة بين الذهب والفضـة(١٣)، فلكى نتبنى وجهة النظر هـــذه فلابد أن يكون الدينار عندئذ من الوزن نفسه والعيار نفسه الذى كان للدراهم ، وهو امر لم يحدث .

وحيث ان وزن وعيار النقود الفضية فى مصر قد عانيا من التحريف او التلاعب أكثر مما حدث للنقود الذهبية فان النسبة التي نتحدث عنها كانت تتجه دوما نحو الانخفاض ، حيث كان القوم يعطون على الدوام الفضـة فى دور سك النقود قيمة افتراضية اعلى بكثير من القيمة التى كانت عليهـــا سبائك الفضة في مجال التجارة وعند الامم الاخرى ، او حتى في مجـــال الفضـة التي تدخل فى صناعة النقود .

وفي عهد احمد بن محمـــد الذى ارتقى العرش فى العـــام الهجرى ١١١٥ (٣ — ١٧٠٤ من تقويمنا) بلغت النسبة التى نحن بصددها فى قطع الفندقلي ١ الى ١٤١/٢ (١٤) ، وفي هـــذه الحالة فان هـــذه النسبة ، مع تقريب كبـــير ، هى النسبة نفسها التى تقررت فى فرنسا على يد لويس الخامس عشر عند اعادة صهر (النقـــود) فى عام ١٧٢٦ ، وهى نفسها كذلك النسبة التي وحدها روميه دي ليسل Romé de Lisle قائمة

---

(١٣) انظر ترجمة مقالة المقريزى عن النقود الاسلامية والتى قام بها المسيو دى ساسي ، ص ٤٢ .

(١٤) ١٠٠ فندقلي تزن ـــر١١٤ درهما بعيار قدره ٩٦٨ وتســـاوى ٠٠٤ر١٣ مديني .

١٠٠ مديني تزن ـــر١٢٥ درهما بعيار قدره ٩٤٤ .

بين النقود الذهبية والفضية فى عهد قسطنطين (الاول) ✻ اى قبل ذلك بنحو اربعة عشر قرنا ، وقد جاء هـذا التعادل (فى النسـبة) طبقـا لملاحظات المسيو مونجيه « مفاجاة تامة اذ كان يبدو أن اكتشاف العـالم الجديد سيقطع ولابد الصلة بين الذهب والفضة بفعل الوفرة التى تدفق بها هـذا المعدن النفيس على قارتنا نتيجة هـذا الكشف » .

اما فى مصر ، وبعد مرور نحو نصف القرن فقط من عهد احمد الثالث (اشمت Achmet) ، عندما استولى على بك على السلطة ، كانت النسبة فى الزر محبوب وقطع المدينى قد انخفضت بالفعل الى ٣٦/١٠٠ ١١ أى اكبر بنحو طفيف من ١/٢ ١١ (١٥) ، وعند وصولنا كانت هـذه النسبة قد انخفضت ، طبقا للوزن والعيار والقيمة الاسمية التى اعطيناها للعملات الذهبية والمدينى (١٦) الى ٤/٥ ٧ .

وبرغم ان القطع ذات الاربعين والعشرين مدينى لم تكن قط عمـلات معتادة فى مصر فسوف نرى ، اذا ما قارناها فى عهـد على بك بالنقود الذهبية ، ان نسبة الذهب والفضة فى العمـلات الذهبيـة والقـروش (بافتراض ان العملات الأخيرة كانت بالعيار نفسه الذى للمدينى وان المائة منها تزن ٥١٦ درهما) كانت أكبر بنحو طفيف من ١/٢ ١٣ (١٧) ، وانها بلغت فى عهد الفرنسيين ٢/٢ ١٠ .

(✻) امبراطور روما من ٣٠٦ م الى ٣٣٧ . وقد ادى انتصاره على ماكزانسيوسى تحت اسـوار روما الى اعترافه بالمسـيحية كدين رسمى للامبراطورية ، وفى العام ٣١٣ اقر بموجب مرسوم ميلانو الحرية الدينية وقد نقل عاصمته الى بيزنطة (القسطنطينية) . (المترجم) .

(١٥) ١٠٠ قطعـة ذهبيـة تزن ٢٣/١٠٠ ٨٤ درهما بعيار قدره ٧٥٠ وتساوى ١٢٫٥٠٠ مدينى .
١٠٠٠ مدينى تزن ١١٥ درهما بعيار قدره ٥٠٠ .

(١٦) ١٠٠ قطعـة ذهبيـة تزن ٢٠/١٠٠ ٨٤ درهما بعيار قدره ٦٩٨ وتساوى ١٨٫٠٠٠ مدينى .
١٠٠٠ مدينى تزن ٧٣ درهما بعيار قدره ٣٥٠ .

(١٧) ١٠٠ قرش تزن ٥١٦ درهما بعيـار قـدره ٥٠٠ وتسـاوى ٤٫٠٠٠ مدينى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتعود هـــذه النســـبة الاعلى الى ان القروش كان لهـــا بحـــكم وزنها قيمة جوهرية اكبر مما كان لقطع المدينى (١٨) .

ونستطيع ، طبقا للجدول الذى نجده عقب هذه الدراسـة ، ان نحسب العلاقة بين قيمة الذهب والفضة فى النقود فى العهود المختلفة التى يقدم عنها هـــذا الجدول المعطيات الضرورية . وسنلاحظ بالنسبة لتلك العملات المتضمنة فى تعريفة النقود التى ســـبق ان اوردناها عند حديثنا عن القيمة الاسمية للنقود ، ان القيمة الاسمية نفسها بالمدينى قـــد اعطيت لكل من الفندقلى والزرمحبوب فى مختلف العهود برغم ان قيمتها الجوهرية تختلف كثيرا ، وانها كانت تساوى عددا اقل من المدينى عما كانت تساويه وقت اصدارها .

---

(١٨) ١٠٠ قرش تزن ٤٠٠ درهم بعيـــار قـــدره ٢٤٨ وتســـاوى ٤٠٠ر٠٠ مدينى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الثانى

الحاله الراهنه للعملات النقديه

اساليب صنعها ــ ادارتها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القسم الأول

الفصل الأول

النظام النقدى الحالى

كانت النقود الوحيدة المستخدمة فى مصر ، قبل مجىء الفرنسيين، والتى ظلت مستعملة منذ ذلك الحين هى .

أولا : النقود الذهبية

وهى :

العملة الذهبية زرمحبوب المخلوطة بالفضة بعيار قدره ١٦٣/٤ قيراطا اى اقل قليلا من ٦٩٨ ، وتزن القطعة ٨٤٢/١٠٠٠ من الدرهم اى جرامين و ٥٩٢/١٠٠٠ من الجرام ، وتساوى ١٨٠ مدينى (٦ فرنكات و ٨٠ سنتيما من النقود الفرنسية) ، وتحمل طغراء السلطان ، ونفس النقوش العربية التى نجدها على القطعة التى رسمنا شكلا لها برقم ١٣ من اللوحة الثانية .

ثم ، نصف الزرمحبوب او النصفية وقطرها اقل بقليل (من قطر الزرمحبوب) ، ويعادل وزنها نصف وزنه ، ولها نفس عياره ، وقيمتها هى نصف قيمته ، وتحمل نفس التوقيع او الطغراء وكذلك النقوش نفسها .

وبعد ذلك ربع الزرمحبوب او الربعية وقطر هذه اقل من قطر النصفية ، وتزن نصف وزنها ، ولها نصف قيمتها ، وهى من العيار ذاته ، وتحمل على احد وجهيها توقيع او طغراء السلطان ، وتحمل على الوجه الآخر جزءا من النقوش نفسها التى تحملها النصفية . انظر الربعية المرسومة فى الشكل رقم ١٥ من اللوحة الثانية من اللوحات الملحقة بهذه الدراسة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا : النقود الفضية أو بالأحرى النقود البرونزية

وتشمل :

المدينى ، وهو قطعة نقدية بالغة الصغر ، يزن الالف منها ٧٣ درهما (أى ٢٢٤ ٧٦/١٠٠ جراما) بعيار قدره ٣٥٠ (من الف) من الفضة الخالصة، على احد وجهيه توقيع سلطان القسطنطينية او طغرائه وحدها ويحمل على الوجه الآخر عبارة ضرب فى مصر (أى القاهرة) سنت (سنة تنصيب السلطان) . انظر شكل المدينى المرسوم برقم ٢٤ من اللوحة الرابعة من اللوحات المرفقة بهذه الدراسة .

اما القطع ذوات الأربعين والعشرين مدينى او القروش ، فلم تسك منها سوى كمية ضئيلة الاهمية فى عهد الجنرال بونابرت ، ويمكن النظر الى هذه العملات باعتبارها لم تعد تشكل جزءا من النظام النقدى الحالى فى مصر ، ويمكن أن نرى شكلين لها فى الرسمين رقمى ١٧ من اللوحة الثالثة ، و ٢٣ من اللوحة الرابعة من اللوحات المرفقة .

وللالمام بكل ما يتصل بالعملات الحالية نشير الى ما قلناه فىالفصول والنبذ المختلفة التى سبقت والتى نجد موجزا لها فى نهاية هذه الدر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثانى

مبادلة أو مقايضة خامى الذهب والفضة

اولا : الوسائل التى تتزود بها القاهرة بخامى الذهب والفضة

كان المصدر الرئيسى الذى يزود دور سك النقود بخامى الذهب والفضة ، منذ زمان لا تعيه الذاكرة . هو اخلاط من اليهود يحترفون تزويدها بهما .

وقد آثر اليهود فى مصر ، كما فعلوا فى كل مناطق العالم ، أن يعكفوا على الاتجار فى المعادن والأحجار الكريمة ، فهم يشترون المجوهرات وقطع المصوغات والعملات الذهبية والفضية من البلدان المختلفة ، وكذلك المسكوكات وتراب الذهب (التبر) من القوافل الخ .. وينبغى على عالم الأثريات أن يتوجه الى هؤلاء كى يتزود بالمسكوكات الذهبية والفضية (القديمة) ويكفيه لتحقيق غرضه من ذلك أن يعطيهم فى مقابلها سعرا أعلى بقليل من قيمتها الجوهرية .

ويتحلى اليهود بهذا الصبر ، هذا التوفر ، هذا التشبث أو العناد ، هذا الحرص على عدم التفريط فى أى ربح مهما كان تواضعه .. تلك الصفات التى تميزهم والتى لا تنتمى الا اليهم ، وهم هناك ، كما هم فى كل مكان آخر يتعرضون للصد والجفاء والمهانة من كل طبقات الشعب كما يتعرضون للقهر على يد الحكومة . وانها لفكرة مسبقة ، عامة وشائعة بعض الشيء ، ان تجارة المعادن النفيسة تدر مكاسب طائلة ، لكنها فى حقيقة الأمر ضئيلة الربح ، واقل ربحا بكثير من تجارة المعادن بالغة الوفرة رخيصة الثمن ، ويدين الصاغة وصناع المجوهرات فى أوربا بأرباحهم الى « اجرة يدهم » والى الأثمان الاعتبارية او الخيالية التى تعطيها الأبهة وضروب الفنون لكل من الذهب والفضة ، لكنهم لا يكادون يحققون ربحا على الاطلاق من الخامات نفسها .

ولليهـود الذين يحترفون توريد هذين المعدنين لدور سـك النقود صرافون أو مبدلون كثيرون فى القاهرة ، ولهم فى المدن الاخـرى وكلاء يشترون لحسابهم .

وفى القاهرة ، يذهب الذين لا يريدون البيع (أو الشراء) بواسـطة الصرافين الى وكالة (١) او محل اليهود الذين يقدرون قيمة المعـادن عن طريق الفحص اذا كان الأمر يتصل بكمية ضئيلة من خامات لها نفس السبك (او العيار) أو عن طريق المحك او المصداق ، اما بالنسـبة للعمـلات المختلفة وقطع المجوهرات فيتم الفحص لمجرد النظر .

وهم يجرون فحوصهم على الذهب والفضة فى وكالتهم عن طـريق عيارى النقود ، ولكنهم يتفحصون بأنفسهم كل قطع الذهب التى يشترونها عن طريق المحك .

ولدى هؤلاء ابر صغيرة من الذهب ، منفصلة كل منها عن الأخريات، ولكل منها كذلك عيار مختلف ، ويدعكون على المحك ، وهو من النوع نفسه المستخدم فى أوربا ، قطعة الذهب التى يريدون فحص عيارها ، ويضاهونها المرة بعد الأخرى بهذه الابر الذهبية او بنجوم العيار (*) التى يرونها اقرب من غيرها الى عيار قطعة الذهب نفسه ، وهم يقدرون الذهب بكثير من الدقة والنزاهة ، مقارنين مظهر الشذرات التى خلفتهـا قطعـة الذهب المفحوصة فوق المحك (بالابرة او النجمة الذهبية المناسبة) .

اما فى فرنسا ، فانهم يمررون على الشذرات التى تتم بهذه الطريقة بمـاء النار (الذى يعد لهذا الغرض من حمض النيتريتيك مع قليل من حمض الموريات) من درجات متفاوتة ، وبعد ذلك يمكن الحكم بشكل تقريبى على عيار الذهب عن طريق مقارنة درجة المقاومة الجزئية التى تبديها هـذه الشذرات أو تلك لمفعول الحمض ، اما اذا اختفت الشذرات بشكل تام (أى تحللت) فمن المعروف اى عيار تكون عليه شذرات الذهب لكى تتحلل بفعل ماء النار .

---

(١) الجمع وكايل .

(*) قطعة من الذهب او الفضة على شكل نجمة ، كل ذراع منها له عيار معين وتستخدم لقياس عيار هذين المعدنين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد ذلك يخلط اليهود الذهب بالنسب التى تتفق مع ما يكون عليه من عيارات مختلفة ، ويقتربون كثيرا وفي معظم الأحيان من العيار المحدد لقطع العملات الذهبية وبذلك يضعون أنفسهم داخل حدود التفاوت المسموح به (زيادة أو نقصا) وبذلك أيضا يجنبون أنفسهم مشقة اعادة صهر ذهبهم لكى يبلغ ((بدقة)) العيار المطلوب ، أما اذا نتج عن عملية « التعيير » التى تجرى فى دور سك النقود ان السبائك قد تجاوزت حدود التفاوت المسموح به ، بأن زادت عليه أو نقصت عنه ، فانهم يضطرون لحملها من جديد لاعادة صهرها ثم سبكها بطريقة اكثر دقة .

وعندما يلزم خفض عيار الذهب ، فانه لا يفوتهم أن يفضلوا استخدام الفضة المذهبة ((لهذا الغرض)) ، وهم لا يشترونها من الأسواق الا بالسعر نفسه الذى للفضة العادية ، وبهذه الوسيلة يثرون سبائكهم بالمادة الذهبية التى يحتويها هذا النوع من الفضة التى يستخدمونها كمزاج (بكسر الميم) ، وهم يحرصون كذلك على التقاط شذرات الذهب التى تتبقى فوق المحك ، باستخدام قطعة من الشمع ؛ ويلقون داخل البوتقات بهذه الكرات من الشمع الذى يساهم فى العملية كمدر لمعدن الذهب وفى منع تاكسد سطحه .

وفى كل عام تجلب القوافل التى تمضى من المغرب قاصدة مكة (٢٠)، وتلك التى تاتى قادمة من دارفور وسنار كمية محددة من تراب الذهب ، وان كان كل هذا التبر لا يباع لحساب دور سك النقود لأن التجار الذين يريدون ان يستبقونه لانفسهم او لموكليهم ، يعرضون على الدوام سعرا أعلى من الثمن الذى تدفعه دور سك النقود .

ونكاد لا نجد فى هذا الذهب ، الذى يتكون من شذرات تراكمت دون شك فى مجارى الأنهار والأخوار أو استخلصت من الرمال الحاملة

---

(٢) تجمع هذه القوافل فىطريقها حجاج الجزائر وتونس وطرابلس والقاهرة ، وتصل الى المدينة الأخيرة فى نحو منتصف ابريل ، اما قوافل دارفور وسنار فتصل الى النيل عند اسوان وسيوط فى صعيد مصر .

للذهب أيا من هـــذه القطـــع الكبيرة بعض الشيء ، والمتماسكة ، والتى يسميها نحن فى اوربا Pepie (*) .

ويوضع التبر داخل قطعة من قماش ابيض ناعم ، تحيط به قطعتان او ثلاث قطع من قماش اكثر سمكا ، وتعقد قطعة القماش بخيط لتأخذ شكل صرة ، ويغلف الجميع بقطعة من جلد مخيط ومجفف فى الشمس ، ويشكل الجلد الذى يجفف على هـــذا النحو ، وبعد أن ينكمش ، غلافا مضغوطا ومتينا ، وتشكل لحزمة او مجموعة الذهب هـــذه مظهر حقيبة محلية باللون الذى نستخدمه ، او منظر ثمرة الـــ solanum المسماة بالطماطم .

وفى كل واحدة من هذه الحقائب توجد على الدوام بعض المجوهرات او الحلى التى تم شراؤها من الافريقيين او الزنوج ، وتكاد تكون كل هـــذه الحلى عبارة عن حلقان او خواتم او دلايات للأذن او عقود للرقبـــة ، اما العمل الوحيد الذى ادخل عليها فهو نوع من النقش او الرسوم تمثل اناث البرغى بالغة الدقة ، وتكاد تكون كل الحلقان فى شكل ثعابين ، وقد راينا احدى حلى الرقبة فى شكل سلحفاة ، راسها واقدامها ناتئة .

وتكاد تكون كل حقائب الحلى او مجموعات الذهب من الوزن نفسه، اذ تكاد تزن جميعها نحو ٩٧ درهما او ٦٥ مثقالا ، اما عيارها فيتراوح بين ٢١ و ١٦/٣٢ ٢٢ (قيراطا) (٣) ، وكان ذهبها فيما مضى اكثر نقاء طبقا لزعم افندى النقود واليهود اما لأن الشذرات كانت أكثر ثراء (اى بها نسبة أعلى من الذهب الخالص) واما لأن الحلى المضافة الى كل مجموعة كانت ذات عيـــار اعلى .

وكانت هـــذه الحزم ، التى كانت تباع الواحدة منها عادة مقـــابل ٢٤٤ ترشا اسبانيا تمثل عمـــلات حقيقية ، تستخدمها القوافل وســـيلة للتبادل ، وكانت لها قيمة ثابتة او محددة تؤخذ بها او تعطى دون أن يضطر الناس حتى لوزنها او فتحها ، ويمكن للمرء ان يوليها ثقته التامة وان ياخذها بنية سليمة تجعل منها الممارسة والديانة بل ومصالح التجار انفسهم قانونا بالغ الصرامة .

(*) تعنى هـــذه الكلمـــة فى الأصل نوعا من الورم يصيب لســـان الطيور فيمنعها من الاكل ، لكنه لا يمنعها من الشرب . (المترجم) .

(٣) اى بدرجة نقاء قدرها ٨٧٥ الى ٩٣٨ من الالف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع ذلك ، ففى دور سك النقود ، كان يتم التأكد اولا من وزن وعيار واحدة من هـذه الحزم ، تؤخذ بشكل عشوائى ، وكان اليهـود ، وهم متمرسون على الحكم على الذهب من مجرد مظهره ، يقدرون ما ان كانت قطع الذهب تقع ضمن مدى التجاوز المسموح به وهـو ٢/١ قيراط لاعلى او لادنى .

واذا كان السعر (المعروض) مناسبا للتاجر ، الذى يبيع ما معـه دوما فى حضور أو عن طريق شيخ القافلة ، كان (البـائع والمشترى) يتلامسان بالأيدى وتتم البيعة ، اذ لم يكن مباحا ، حسب مبـادىء عقيدة هؤلاء المسافرين المتدينين ، أن تباع (أو تشترى) معادن فى مقابل معادن، ولتفادى هـذا المحظور ، ذلك انه توجد فى كل الديانات أساليب للتملص أو المراوغة من قواعد (المحرمات) ، لم يكن يطلق على هـذه العمليـة عملية شراء ، وانما عملية تبادل ، فكانت صرة الذهب توضع فى جانب ، وتوضع النقود المتفق عليها فى الجانب الآخر ، ويطلب البائع الى المشترى اى هاتين الكومتين ينال اعجابه اكثر ، عندئذ يأخذ المشترى صرة الذهب ، وتبقى النقود فى يد البائع .

ثانيا : أسعار الذهب والفضة فى مصر

قبل الحملة الفرنسية على مصر ، كان الذهب ، من عيار قطع النقود الذهبية ، وهو عيار ٢٤/٣٢ ١٦ قيراطا (٦٩٨ من الف) يباع ، وقد بيـع دوما للفرنسيين ، بواقع ان كل ١١٢ قطعة من هـذه النقود أو ٢٠ر١٦٠ مدينى تعـادل ١٠٠ درهم ، وحيث تحتوى هـذه الدراهم المـائة على ١٠/٨ ٦٩ درهما من الذهب الخالص ، فان المائة درهم من الذهب الخالص تعادل ١٠٠٠/٥٢١ ٢٨٨٢ر٢٨ مدينى اذا لم نقم وزنا للفضة التى مزجت بالذهب عند صنع السبائك (٤) .

وحيث ان كل ١٠٠ درهم من عيـار ٦٩٨ تحوى ٢ر٣٠ درهمـا من الفضـة ، يمكن الافتراض بأن عيارها لا يتجاوز عيار ٩٠٠ (من الف) ممـا

---

(٤) بخصوص هذا الافتراض ، انظر المـادة الأولى من الجدول الوارد فى نهاية هذه الدراسة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعطينا ١٨ر٢٧ درهما من الفضة الخالصة ، تساوى ١٠٠٠/١٣٦ ٥٢٠ مدينى ، بواقع ثمن الدرهم الواحد ١٠٠٠/١٣٦ ١٩ مدينى وهو ثمن مثيله فى فرنسا .

فاننا حين نخصم من مبلغ الـ ١٦٠ر٢٠ ، وهو ثمن مائة الدرهم من الذهب عيار ٦٩٨ مبلغ . . . . . ١٠٠٠/١١٦ ٥٢٠ر (هو ثمن الفضة الخالصة المزوجة بالسبيكة) ، فسيتبقى لدينا ثمنا لـ ٨ر٦٩ درهما من الذهب الخالص مبلغ ١٠٠٠/٨٨٤ ١٩ر٦٣٩ مدينى ، وعلى هذا فلن تساوى مائة الدرهم من الذهب الخالص سوى ١٠٠٠/٣٦٩ ٢٨ر١٣٧ مدينى ، ومع ذلك فنحن لا نستطيع ان ندخل فى حساب السبائك المزوجة بالفضة قيمة كل الفضة التى تحويها هذه السبائك ، اذ ينبغى علينا ان نخصم من هذه القيمة ، نفقات عملية التكرير اللازمة لفصل الذهب عن الفضة .

وقد ثبتت هذه النفقات فى فرنسا ، بموجب مرسوم اصدرته الحكومة فى ٤ بريريال من العام الحادى عشر بـ ٣٫٢ فرنكا لكل كيلوجرام واحد من الفضة الخالصة يضمه الذهب الخاضع لعملية التكرير هذه . وعلى هذا ، فان هذه العملية سوف تكلفنا فيما يتعلق بـ ٨ر٦٩ درهما من الذهب الخالص ، اى ١٠٠٠/٩٠٧ ٢١٤ جراما ستة فرنكات و ٨٧ سنتيما و ١٠٠٠/٧٠٢ من السنتيم اى ١٠٠٠/٢٠٧ ١٩٥ مدينى ، ينبغى ان نضيفها الى ثمن مائة الدرهم من الذهب عيار ٦٩٨ وهو كما سبق أن رأينا ١٠٠٠/٨٨٤ ١٩ر٦٣٩ مدينى ، وبذلك يصل الثمن المقدر لهذه الكمية الى ١٠٠٠/١٩١ ١٩ر٨٣٥ مدينى ، وعلى هذا فان ثمن مائة الدرهم من الذهب الخالص سوف يبلغ ١٠٠٠/١٧٩ ٢٨ر٤١٧ مدينى .

ويزن تراب الذهب الذى كان يشترى لصنع النقود فى العام السابع (١٧٩٩) من قافلة مراكش ، قبل صهره ، ٢٩١٩ درهما ، تعود بعد صهرها بوزن صاف قدره ٢٨٣٧ درهما تضمها سبائك من عيار ١٢/٢٢ ٢١ الى ٢٠/٢٢ ٢٢ قيراطا ، تحوى فى مجموعها ١٠٠/٥١ ٢٦٠٢ درهما من الذهب الصافى . ويدفع ثمنا لتراب الذهب هذا ٢٣٨ر٧٣٠ مدينى ، مما يجعل

ثمن مائة الدرهم من الذهب الصافى (٥) . . . ١٠٠٠/٩٨٩ ٥٨ ٢٨ر٠ مدينى .

وينتج عن اجراء المقارنة بين هذه الاسعار وبين مثيلاتها فى فرنسا ، كما يمكننا ان نرى من الجدول الذى سيلى هذه الدراسة :

اولا : انه حتى عندما لا نحسب اى حساب لقيمة الفضة التى مزجت بها سبائك الذهب ، ان ثمن الذهب الخالص يقل فى مصر بنحو ١٣١ فرنكا و ٣٥ سنتيما في الكيلوجرام الواحد عنه فى فرنسا اى بنسبة تقترب من ٤٪ .

ثانيا : انه عندما نحسب حساب قيمة الفضة وحدها ، وهو خصم نقوم به من مصروفات عملية التكرير ، فسوف يقل سعر الذهب الخالص فى مصر عنه فى فرنسا بواقع ١٤٨ فرنكا و ٥٧ سنتيما فى الكيلوجرام اى بنسبة تزيد عن ٢/١ ٥٪ .

ثالثا : ان تراب الذهب يباع هناك فى مصر بسعر اقل مما يباع به فى فرنسا بواقع ٢٢٥ فرنكا و ٢٣ سنتيما فى كل كيلوجرام من الذهب الخالص اى بانخفاض يتجاوز نسبة ٢/١ ٦٪ .

اما الطريقة التى كانت تشترى بها الفضة لدور سك النقود فهى تسترعى الانتباه بعض الشىء :

فى البداية كان يتم تعييرها ، فكانت تحسب الفضة الخالصة التى تحويها السبائك ثم يضاف الى الناتج ٢٪ من الوزن الاجمالى للفضة الخام ، ويدفع عن هذا الاجمالى الصافى الناتج من عملية الجمع هذه بواقع الدرهم ١٨ مدينى .

ويمكن التاكد من ان هذه الطريقة فى الحساب تؤدى لان يدفع ثمن

---

(٥) للمقارنة بين هذا السعر للذهب الخالص وبين السعر الذى حددته تعريفة النقود فى فرنسا ، انظر المادة ٤ من الجدول الملحق بهذه الدراسة .

الفضة الخالصة (٦) منفصلة بواقع — ١٨٣٦ مدينى وثمن المزاج على اساس ٣٦ مدينى فى كل ١٠٠ درهم .

وحيث لا يساوى النحاس المستخدم مزاجا للفضة عند تحويلها الى نقود سوى ٤٠ مدينى مقابل كل ١٤٤ درهما اى ٢٧ ٧٧٧/١٠٠٠ مدينى لكل مائة درهم ، فاننا ندرك لماذا كان اليهود حريصين على توفير الفضة من ادنى مزيج وكذلك على ان يضيفوا اليها بعض المزاج . فاذا كانوا قد وفروا الفضة بعيار المدينى نفسه اى بأن يكون كل درهم من الفضة الخالصة فى مقابل درهم واحد و ٠٠١٢٢/١٠٠٠٠٠ من المزاج فلابد ان تساوى كل مائة درهم من الفضة الخالصة ١٩٠٣ ٢٣٥/١٠٠٠ مدينى (٧) مع تحمبل اجمالى الثمن على الفضة الخالصة ، اما اذا كانت مصلحة النقود ، على العكس من ذلك قد جهزت كل المزاج ، فان مائة الدرهم من الفضة الخالصة تساوى اولا (٨) . . . ر١٨٣٦ مدينى . وعندما نضيف اليه قيمة ١٨٧ درهما و ٤٣٢/١٠٠٠٠ من الدرهم هى وزن المزاج ، بواقع ٤٠ مدينى لكل ١٤٤ درهما ، والتى ستبلغ اى هذه القيمة (على هـذا الاساس) ٥١ ٩٥٦/١٠٠٠ مدينى ، فيكون الاجمالى فى هـذه الحالة ١٨٨٧ ٩٥٦/١٠٠٠ مدينى ، بفرق يصل الى ٥ ٢٧٩/١٠٠٠ مدينى يكون من المناسب ان نضيفها الى ثمن مائة الدرهم من الفضة الخالصة كى نحسب بطريقة اكثر دقة كم ستكلف مائة الدرهم

---

(٦) لتكن خ هى الفضة الخالصة و م هى المزاج الذى يحويه درهم واحد من الفضة من عيار ما فستكون قيمة هذا الدرهم ممثلة فى هـذه المعادلة خ + م = خ + ٢/١٠٠ (خ + م) × ١٨ مدينى = ١٨ مدينى

(١٠٠ خ + ٢ خ + ٢ م) / ١٠٠ = ١٨ مدينى (١٠٢ خ + ٢ م) / ١٠٠ =

(١٨٣٦ مدينى خ + ٣٦ مدينى م) / ١٠٠ ، مما يعطى كقيمة ١٠٠ (خ + م)

= ١٨٣٦ مدينى خ + ٣٦ مدينى م ، فاذا لم يكن هناك مزاج قط فعندئذ تكون م = ٠ وتكون قيمة مائة الدرهم من الفضة الخالصة هى ١٨٣٦ مدينى اما اذا حدث العكس وكانت خ = ٠ اى كانت كل الكمية من المزاج فستكون قيمة مائة الدرهم منه هى ٣٦ مدينى .

(٧) بخصوص هـذا الافتراض انظر المادة الثانية من الجدول الوارد فى نهاية الدراسة .

(٨) انظر نصوص هـذا الافتراض المادة الخامسة من الجدول المشار اليه .

الخالصة عادة دار سك النقود بغض النظر عن عنصر المزاج (المزاج) طبقا للعادة التى كانت متبعة بان يدفع الى اليهود ثمن سبائك الفضة التى يقومون بتوفيرها (٩) بانفسهم . وينبغى ان نلاحظ ايضا ان عملية التعيير (تحديد العيار) بسبب من عدم دقتها كانت تعطى الفضة على الدوام درجة من النقاء ليست لها فى الواقع ، ولهذا فان الفضة الخالصة كانت تباع فى الواقع بثمن اغلى مما تقدمه الحسابات فى الظاهر .

وحيث تحدد عيار القروش ، طبقا لاكثر عمليات التعيير دقة بواقع ٨٩٥٨٣٣/١٠٠٠ فان الالف من القروش والتى تزن فى مجموعها ٨٧٥٠ درهما، لم تكن تحوى من الفضة الخالصة سوى ٧٨٣٨ ٥٤١/١٠٠٠ درهما ، وهو ما يعطينا كثمن لكل مائة درهم من الفضة الخالصة ١٩١٣ ٦٠٠/١٠٠٠ مدينى بواقع ١٥٠ مدينى قيمة لكل قرش (وذلك بدلا من ١٨٣٦ مدينى كما سبق بيانه) (١٠) .

وهذا هو الثمن الذى يدفع لشراء الفضة التى يوفرها اليهود ، طبقا لعمليات تحديد العيار بالغة الصرامة ، بدون أن نضيف الى الصافى الذى كانت تحويه ٢٪ من اجمالى الوزن ، وبدون أن نحاسبهم على المزاج الذى يضيفونه .

وحيث كانت عملية التنقية بالغة الصعوبة ، وباهظة النفقات لاكثر مما ينبغى ، فان اليهود لم يكونوا يجدون من مصلحتهم فصل النحاس عن الفضة ، وهكذا كان كل المزاج الموجود فى السبائك يشكل ربحا لدار سك النقود ، اما عن المزاج الذى كان على دار سك النقود ان تضيفه الى السبائك لكى تبلغ بها العيار المطلوب فقد كان من الارخص لها أن توفره (بنفسها) عن أن تدفع ثمنا له بواقع ٣٦ مدينى لكل ١٠٠ درهم .

ولما كانت الفضة الخام قد اصبحت بمرور الوقت اكثر ندرة ، فقد بدا يدفع ثمنا لمائة الدرهم من الفضة الخالصة ١٩٥٠ مدينى (١١) ، ثم بلغ

---

(٩) انظر المادة السادسة من الجدول نفسه .

(١٠) انظر بخصوص هذا التقدير لثمن الفضة المادة التاسعة من الجدول نفسه .

(١١) انظر المادة العاشرة من الجدول نفسه .

ثمنها فى النهاية ٢٠٠٠ مدينى (١٢) .

وعند المقارنة بين اثمان الفضة الصافية فى مصر والأثمان التى كانت لهـا فى فرنسا ، كما جاء بالجدول المرفق نجد ما يلى :

اولا : ان اسعار الفضة الخالصة التى كانت محددة فى مصر قبل دخول الفرنسيين كانت فيما يبدو اقل بنحو طفيف من سعرها الذى ثبتته تعريفة النقود الصادرة فى ١٧ بريريال من العام الحادى عشر (٦ يونيه ١٨٠٣) ، ولكنها كانت فى الواقع بالقيمة نفسها ، بل ربما كانت أغلى (فى مصر منها فى فرنسا) بسبب عدم دقة عمليات تحديد العيار .

ثانيا : ان سعر الفضة الذى حدده الفرنسيون فى مصر قد تأسس على قيمة العملات الفرنسية .

ثالثا : ان تزايد عمليات الشراء التى تمت فى فترتين مختلفتين ، والتى كان الدافع اليها هو ندرة خامات الفضة قد رفعت ثمن الفضة من ٢ الى نحو ٢/١ ٤ ٪ زيادة عن القيمة التى لها فى فرنسا ، وان كانت المكاسب التى كان المعنيون يحققونها من تحويل الفضة والعملات الاوربية الى مدينى كانت تسوغ بسهولة زيادة عمليات الشراء .

---

(١٢) انظر المادة ١١ من الجدول نفسه . وقد تمت هذه الزيادة بموجب مرسوم صادر فى الأول من نيفوز من العام التاسع (٢٢ ديسمبر ١٨٠٠) .

جدول لمقارنة أسعار الذهب والفضـــة الخالصين

فى مصر وفرنسا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السعار

توضيح لشروط أو ظروف الدفع	في مصر — بالمدينى — مائة درهم أو ٣٠٧ جراما و ٨٩٠٤ر٠ — قبل الغزو الفرنسى	بعد الغزو الفرنسى	٣٢٤ درهما و ٧٩٠٩ر٠ أو كيلو جرام واحد	بالـــ — بواقع ١٤٢ مدينى لكل ٥ فرانكات كيلو جرام — كسور سانتيم	فرانك
	مدينى	مدينى	الدفنى	كسور سانتيم	فرانك
عندما لايحسب حساب الفضة الممزوجة بالذهب . . .	٢٨٨٨,٥٢١	٢٨٨٨,٥٢١	٩٣٨٠٧,٧٩٩	٩,١٤	٣٣٠٣
عندما تخصم كل قيمة الفضة الممزوجة بواقع ١٩ مدينى و ١٣٤٤ر٠ للدرهم وهى القيمة التى حددتها التعريفة فى فرنسا	٢٨١٣٧,٣٦٩	٢٨١٣٧,٣٦٩	٩١٣٨٧,٦١٤	٨٧,٣٢	٣٢١٧
عندما يقتصر على خصم قيمة الفضة دون رسوم التكرير	٢٨٤١٧,١٧٩	٢٨٤١٧,١٧٩	٩٢٢٩٦,٤١١	٨٧,٣٦	٣٢٤٩
سعر شراء تراب الذهب من قوافل المغرب	—	٢٨٠٣٨,٩٨٩	٩١١٢٣,٠٤٣	٩٠,٩٩	٣٢٠٨

اسعار

إذا كانت الفضة قد سلمت لدار سك النقود نقية تماما	١٨٣٦,٠٠٠	١٨٣٦,٠٠٠	٣٩٦٣,١٦١	٩٧,٠٤	٢٠٩
إذا أدخلنا فى الاعتبار فرق ثمن المزيج بالنسبة إلى ثمن النحاس الذى كان ينبغى إضافته	١٨٥١,٣٧٩	١٨٥١,٣٧٩	٦٠١٣,١١٠	٧٢,٩٢	٢١١
إذا كانت دار سك النقود قد جهزت بنفسها كل المزيج	١٨٨٧,٩٥٦	١٨٨٧,٩٥٦	٩١٣١,٩٠٩	٩١,٥٣	٢١٥
إذا كانت الفضة قد قدمت وهى ممزوجة بالعيار نفسه المقرر لقطع المدينى	١٩٠٣,٢٣٥	١٩٠٣,٢٣٥	٦١٨,٠٥٨	٦٧,١٠	٢١٧
إذا لم نلق بالا لعملية المزج . .	—	١٩١٣,٦٠٠	٦٢١٥,١٩٨	٨٤,٥٠	٢١٨
شرحه	—	١٩٥٠,٠٠٠	٦٣٣٣,٤٢٢	٠٠,٧٨	٢٢٣
شرحه	—	٢٠٠٠,٠٠٠	٦٤٩٥,٨١٨	٧٢,٥٩	٢٢٨

الذهب

فى فرنسا — فرنكات — مع الاستقطاعات — الكيلو جرام — كسور سنتيم فرنك	فى فرنسا — فرنكات — بدون الاستقطاعات — الكيلو جرام — كسور سنتيم فرنك	الفرق بين الثمن فى مصر والثمن فى فرنسا — مع الاستقطاعات — لأكثر — بالكيلو جرام — كسور سنتيم فرنك	الفرق — مع الاستقطاعات — لأقل — بالكيلو جرام — كسور سنتيم فرنك	الفرق — بدون الاستقطاعات — لأكثر — بالكيلو جرام — كسور سنتيم فرنك	الفرق — بدون الاستقطاعات — لأقل — بالكيلو جرام — كسور سنتيم فرنك
		٣٠و ٣٥ ١٣١	—	٣٠و ٣٥ ١٤١	—
٤٤و ٤٤ ٤٣٤٣	٤٤و ٤٤ ٣٤٣٤	١٢و ٥٧ ٢١٦	—	١٢و ٥٧ ٢٢٦	—
		٠٨و ٣٧ ١٨٤	—	٠٨و ٣٧ ١٨٤	—
		٤٥و ٥٣ ٢٢٥	—	٤٥و ٥٣ ٢٣٥	—

الفضة

مع الاستقطاعات	بدون الاستقطاعات	مع الاستقطاعات لأكثر	مع الاستقطاعات لأقل	بدون الاستقطاعات لأكثر	بدون الاستقطاعات لأقل
		٨٤و ٩١ ٨	—	١٨و ٢٥ ١٢	—
		٩٦و ١٥ ٧	—	٣٠و ٤٩ ١٠	—
٨٨و ٨٨ ٢١٨	٢٢و ٢٢ ٢٢٢	٦٥و ٩٧ ٢	—	٩٩و ٣٠ ٦	—
		٧٨و ٢١ ١	—	١٢و ٥٥ ٤	—
		٣٨و ٠٤ ٠	—	٧٢و ٣٧ ٣	—
		—	٩٠و ١١ ٤	—	٥٦و ٧٨ ٠
		—	٧١و ٨٣ ٩	—	٢٧و ٥٠ ٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

الأرباح التى تحققها الحكومة من عملية صنع النقود

أولا :

اجمالى الاستقطاعات التى تتم فى دار سك النقود سواء باعتبارها نفقات الصنع أو باعتبارها رسم حق السيادة المتمثلة فى اصدار النقود

كان الذهب ٪ من نفس عيار النقود الذهبية ، وكما راينا فى الفترة الخاصة باسعار الذهب .

يباع بواقع ١١٢ قطعة ذهبية او

١٦٠ر٢٠ مدينى لكل . . . .   ٠٠٠ر١٠٠ درهم (مائة)

وحيث كان الوزن القانونى لقطعة
العملة الذهبية هو ٨٤٢٠ر٠

وحيث كان الذهب الذى تحويه
قطعة العملة الذهبية يساوى فى
الواقع . . . .   ٧٤٧٢ر١٦٩ مدينى

وحيث كانت قيمتها (الاسمية)
قد تحددت بـ . . . . . .   ٠٠٠ر١٨٠ مدينى

فقد كان اجمالى ما يتم استقطاعه
لدار سك النقود (من القطعة الواحدة)
هو . . . .   ٢٥٢٨ر١٠ مدينى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا كان حق السيادة المتمثل فى حق اصدار النقود أو الـ monétagium ، كما كان يسمى قديما فى فرنسا ، والذى يشتمل على نفقات ضرب العملة ، وعلى المكاسب التى يمكن الحكومة ان تحققها ، يبلغ اقل من ٧ر٥٪ او . . . . ٠٥٦٩٦ر٠٫ فى حين كان يبلغ حق السيادة هذا فى فرنسا منذ نحو قرن . . . . . ٠٦٧٧٠ر٠٫ على سك العملات الذهبية ، فهو على هذا النحو اكبر من ذلك الذى استقر فى مصر ، والذى ابقى عليه الفرنسيون ، برغم أن نفقات الصنع ، فى دار سك النقود بالقاهرة ، هى بالقطع أكبر (من مثيلاتها فى فرنسا) ، فقد افترضت كل الاشياء ، فضلا عن ذلك ، متساوية بسبب الانقسام الأكبر فى الذهب (بسبب صغر حجم العملات الذهبية فى مصرعنها فى فرنسا . .) وحيث كانت قطع العملات (هناك) اصغر كثيرا ، واقل قيمة من لويساتنا (قطع العملة المسماة لويس Louis) (*)

وحيث كانت الفضة الخالصة التى تحويها القطع ذوات الاربعين والعشرين مدينى تبلغ (بما فى ذلك المزاج الذى ينبغى ان نضيفه اليها بعد ذلك) كما بينا من قبل ٩٥٦/١٠٠٠ ٨٨٧ر١ مدينى لكل ١٠٠ درهم :

وحيث كانت القطعة الواحدة تزن	ر٤ دارهم
تحوى من الفضة الخالصة ماقدره	٣٩٣٥ر١ درهم
فقد كانت دار سك النقود تتكلف	
ثمنا للفضة وللمزاج معا . . .	٣٠٨٦ر٢٦ مدينى
وحيث كانت القيمة الاسمية	
للقطعة هى	٠٠٠٠ر٤٠ مدينى
فقد بلغ بذلك حق السيادة عن	
القطعة الواحدة	٦٩١٤ر١٣ مدينى

اى بنسبة ٢٢٩/١٠٠٠ ٣٤٪ ، اى ما يزيد على ٣٤٪ بنحو طفيف(١)، وهى

---

(١) لم يكن حق السيادة ، بخصوص الفضة ، يتجاوز فى دور سك النقود بفرنسا ، منذ وقت طويل ٩ر٥٪ وان كان قد وصل فى عهد شارل السابع الى ٧٥٪ ، انظر ص ١٧ من مؤلف المسيو مونجيه Mongez الذى سبقت الاشارة اليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نسبة ينبغى ان نخصم من محصلتها فروق الوزن وكل نفقات سك النقود لكى نستخلص منها الربح الصافى الذى تحققه دار الضرب (الضربخانة) .

اما بخصوص قطع المدينى ، التى كان كل الف منها يزن ٧٣ درهما ، ويحوى نفس النسبة (من الفضة) مثل سابقتها .

فكان وزن المزاج يبلغ	٤٧ر٠٥٦٨ درهما
اما وزن الفضة الخالصة فكان يبلغ بدوره	٤٥ر٤٣٢ درهما
تساوى بالسعر نفسه الذى بيناه فى مكان آخر	١٤٥ر٤٨٠ مدينى
وبذلك تبلغ قيمة حق السيادة	٥١٩ر٨٥٥ مدينى*
اى ٥١٨٩ر٠ اى ما يقرب من ٥٢٪ .	
وحين يدفع ثمنا للدرهم الواحد من الفضة الخالصة ٢٠ مدينى بخلاف ثمن المزاج ، فان هذه الفضة الخالصة التى يحويها الف من المدينى تساوى .	٥٠٨ر٦٤٠ مدينى
ويساوى المزاج ، بواقع ١٠مدينى لكل ٣٦ درهما	١٣ر٢١٣ مدينى
وبذلك يكون اجمالى ثمنها او تكاليفها	٥٢٢ر٨٥٣ مدينى

وبذلك ايضا تكون رسوم السيادة عن كل الف مدينى هى ٤٧٨ر١٤٧ مدينى او ٤٧٨١ر٠ ، اى مع التقريب ، نحو ٤٧ر٨٪(٢) .

(*) فى الأصل ٥١٦ر٨٥٥ وهو خطأ مطبعى واضح ، ويلاحظ كذلك ان العلامة بين الأرقام هنا تدل على الكسر العشرى . (المترجم)

(٢) انظر الهامش السابق ، ويفترض فى هذه الحسابات أن عيار المعدن لم يكن عاليا عند صنع هذه النقود ، انظر ص ٨٣ ، الفقرة الثانية وما بعدها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيـــا :

تقييم مستقل لنفقات الصنع ، وحساب التوالف والفواقد (*) واجور الايدى العاملة ، وصافى الربح

تعود علينا كل ١٠٠٠ درهم من الذهب تستخدم فى صنع العملات ، بـــ ١١٨٠ قطعة عملة ذهبية تزن فى مجموعها ٩٩٣ر٥٦ درهما ، وبذلك يبلغ فرق الوزن فى كل ١٠٠٠ درهم من الذهب (يجـــرى سكها) نحـــو ٦١/٢ دراهم .

او بشكل اكثر دقة ٠٠٦٤٤ر٠

اما فى فرنسا ، فكان يســـمح
فيما مضى بفرق وزن قدره ٠٠١٨٧٥ر٠

فى حين لم يعد يســـمح اليـــوم
هنـــاك باكثر من ٠٠٢٠٠ر٠

ومع ذلك فينبغى ان نلاحظ ان الذهب (فى فرنسا) اقل انقســـاما بكثير (عنه فى مصر **) وان اساليب صنعه اكثر تقـــدما عنهـــا بكثير فى مصر .

وعلى هـــذا فان اجمـــالى فرق الوزن فى الـــ ٨٤٢ درهما ، هى زنة ١٠٠٠ قطعة عملة ذهبية .

كان يبلغ	٤٦ر٥	دراهم
ثمن الدرهم الواحد منها	٢٠١ر٦٠	مدينى
وبذلك يبلغ اجمالى ثمنها	١١٠٠ر٧٣	مدينى
اى باستخدام الأرقام الدائرية ***	١١٠٠ر	مدينى

(*) المقصود هنـــا هو ما يتعرض له خام المعدن من نقص بسبب الفضالات او النفايات التى تترسب منه (المترجم) .

(**) نفس التوضيح السابق بخصوص صغر حجم العملات الذهبية المصرية عن مثيلاتها الفرنسية وكثرة تفريعاتها (نصفية ، ربعية وهكذا) (المترجم) .

(***) اى مضاعفات العدد ٥ وهى ما تنتهى بصفر او الرقم ٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحيث كان العمال الذين يعملون فى صنع العملات الذهبيه هم بشكل جزئى ، الذين يستخدمون فى صنع العملات الفضية انفسهم ، وحيث كانت نفقات الادارة وصيانة الادوات الخ .. عامة او مشتركة ، فلن يكون بمقدورنا ان نحسب بشكل صارم اجمالى النفقات التى كانت تجرها عملية ضرب النقود الذهبية ، وان كان من السهل علينا ان نستنتج انه كلما زادت كمية العملات المضروبة ، كلما نقصت هـــذه المصروفات فيما يتصل بالأجور والنفقات الثابتة .

ومع ذلك ، فاذا اعتبرنا ان هـــذه النفقات الاخيرة كانت ستحدث حتى ولو لم تصنع نقود مطلقا بسبب من نقص الخامة ، فاننا نستطيع ان نقدر مصروفات صنع النقود الذهبية بحوالى ٠٠٣ر دون ان ندخل فى ذلك اجور الأيدى العاملة ، وبذلك نجد انفسنا ازاء المصروفات التالية عنــد صنع الف قطعة نقد ذهبية تساوى ٠٠٠ر١٨٠ مدينى :

نفقات سـك	٥٤٠ مدينى
فـروق وزن كمـا راينــا فى مرضــع آخــر	١٠٠ر١ مدينى
فيكون اجمالى المصروفات . . .	٦٤٠ر١ مدينى(٣)
وحيث يبلغ الفرق بين القيمة الاسمية والقيمة الجوهرية لكل الف قطعة	٢٥٢ر١٠ مدينى
فاذا خصمنا من ذلك النفقــات وفروق الوزن المقــدرة آنفا بـــ	٦٤٠ر١ مدينى
فان ما يتبقى كربح صاف لدار سك النقود عن كل ٠٠٠ر١٨٠ مدينى . .	٦١٢ر٨ مدينى

اى ما يساوى ١٠٠٠/٧٨٥ ، اى ما يزيد قليلا عن ٤ ١/٢ ٪ .

وفى نفس الوقت ، فحيث كان الذهب ، من ناحية اخرى ، ارخص

---

(٣) اى ما لا يزيد عن ١٠٠٠٠٠/٩١١٠٠ اى اقل من ١ ٪ كمصروفات وفروق وزن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثمنا فى مصر عنه فى فرنسا ، بالنسبة نفسها على وجه التقريب ، فقد راينا ان العملات الذهبية زرمحبوب صنع القاهرة كانت نقود بالغة الجودة (اى مجزية) ، ولهذا فان اولئك الذين حملوا معهم بعضا من هذه العملات ، لن يكونوا قد خسروا شيئا ، اذا كانوا قد حرصوا ، على ان يصهروها فى سبائك وان يقدروا عيارها فى دور سك النقود الفرنسية وان يبيعوا هذه السبائك بالسعر الذى حددته التعريفة بدلا من تحمل ما يجره عدم الثقة فيها من خسارة .

وطبقا لما هو معتاد فى دار سك النقود ، والاتفاق المعقود مع الافندى المختص بصنع النقود فان :

الف قرش يبلغ وزنها	٨٧٥٠ درهما
كان يضاف اليها مزاج تبلغ زنته	١٣٧٥٠ درهما
مما يعطى قبل الصهر وزنا اجماليا قدره	٢٢٥٠٠ر درهما
ينبغى أن تعود بقطع مدينى مضروبة عددها ٢٧١ر٥٠٠ مدينى تزن بواقع الالف ٧٣ درهما	١٩ر٨١٩ درهما
مما يشكل فرقا (او فاقدا) فى الوزن قدره	٢ر٦٨١ درهما

اى ما يقرب من ١٢ ٪ ، ويعود هذا الفاقد الضخم فى الوزن بصفة اساسية الى :

اولا : التقسيم الكبير للخامة ، والذى كان سببا فى تعريض جزء كبير من سطح القطعة النقدية لاثر الحك ولفعل النار ، وفى انه كان يعود بلا انقطاع الى الصهر بكمية هائلة من الجذاذات والرقائق وقطع المدينى المهشمة والمقطعة .

ثانيا : الى عدم تقدم الاساليب المتبعة وبصفة خاصة وسائل الصقل او التنظيف او الجلو ، وهى الاساليب التى تنزع بفعل المادة المذيبة وعملية الحك قدرا لا باس به من الخامة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهـــذا التخلف فى الأساليب والوسائل هو الذى كان قد أوحى الى المسيو روزيتى Rosetti التاجر البندقى الذى تحدث عنه فولنى Volney فى مؤلفه رحلة فى انحاء مصر Voyage en Egypte ان ينصح على بك بأن يصنع اقراص * المدينى فى أوربا .

وقد جالت الفكرة نفسها بخاطر القائد العـــام بونابرت ، واجريت بالفعل فى دار سك النقود بباريس تجارب لصنع صفائح المدينى تبلغ فى سبيكتها الفضة نسبة الثلث ، ومن المؤكد ان اجراء كهذا لو تم سيكون اقل تكلفة بكثير بسبب تمام (تطور) الفنون فى اوربا ودقـــة آلات الصـــقل والتصفيح التى كانوا سيستخدمونها لتحويل الخامة الى صفائح . وبهذه الطريقة كان يمكن ان تكون الأرباح التى تجنيها الحكومة (من صنع النقود) اكبر كثيرا وبشكل ملموس ، ومع ذلك ، فلعل التحسن الكبير للغاية الذى كان سيطرا على شكل هـــذه العملات كان سيصبح سببا فى فقدان الثقة بها اذ ستبدو وكأنها قد صنعت فى الخارج (برانى) .

كان لابد أن تكون نفقات صنع النقـــود فى مصر بالضرورة بالغـــة الضخامة بسبب تعقد العمل ، كما قد اصبحت اكبر من ذلك ضخامة بكثير بسبب عادة الشرقيين السيئة فى ان يفرضوا على كل فرع من فروع الدخول عددا كبيرا من الرواتب غير المجدية او الباهظة لحـــد مبالغ فيه وكذلك عددا لا حصر له من المعاشات والأعطيات والاتاوات والانعامات ، ويمكننا ان نقدر هـــذه المصروفات المتضاعفة بنحو ٨١٫٢٪ ، وهكذا فان من شأن كل من فاقد الوزن ومصروفات الصنع أن تنقص الربح الصافى العائد من عملية اصدار النقود الى اكثر قليلا من ٣١٪ .

وبرغم أن فاقد الوزن ونفقات الصنع ، بالنسبة للقطع ذوات الأربعين والعشرين مدينى ، اقل حجما من ذلك بكثير ، فقد رأينا قطعة من ذوات العشرين مدينى تزن . . . ٢ر درهمين .

فى حين تزن ٢٠ قطعة من ذات المدينى الواحد ١ر٠٤٢٦ درهم ، على

(*) المقصود قطعة العملة غير مضروبة بسكة الحـــاكم أى ملساء عارية عن أى نقوش او رسوم ، والكلمة الفرنسية المستخدمة هى flaon (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أساس ان كل الف منها تزن ٧٣ درهما ، ولذلك فقد كانت للغروش (او القروش) قيمة جوهرية اكبر برغم كون هذه القيمة التى لها لاتزال ادنى من قيمتها الاسمية ، ومن ان الربح الذى تحققه قد ظل ادنى بكثير ، وهو الامر الذى جعل المسئولين يوقفون اصدار هذه النقود بمجرد ان باتت الخامات نادرة بعض الشيء ، لحد انها لم تكد تفى باحتياجات الصنع اليومى لقطع المدينى .

ثالثا : كميات النقود المصنوعة

بلغت كمية العملات الذهبية المسكوكة فى مصر ، فى مجموعها ٢٦١٫٧٢٧ قطعة عملة ذهبية تساوى ٤٧٫١١٠٫٨٦٠ مدينى أو ١٫٦٥٨٫٠٣٣ فرنكا و ١٠ سنتيمات خلال الشهور الثلاثة والثلاثين التى ادار الفرنسيون خلالها شئون النقد فى القاهرة ، مما لا يعطى حدا وسطا شهريا لصنع النقود سوى ٧٥٠ قطعة عملة ذهبية اى ٤٧٥٣ فرنكا و ٥٥ سنتيما .

ويعود هذا النشاط الضئيل فى مجال صنع او اصدار النقود الذهبية، بشكل جزئى ، الى ان المماليك والتجار ، وبعد ذلك الفرنسيين ، كانوا يتلهفون على قطع سكين البندقية وقطع الفندقى والقطع القديمة وتراب الذهب ، وسبائك الذهب ذات العيار المرتفع كى يحتفظوا بثرواتهم أو ارصدتهم فى شكل اموال اقل تذبذبا من القروش واكثر حقيقة من قطع المدينى .

وقد بلغت كمية المدينى المصنوعة تحت ادارتنا ١٦٠٫٨٢٩٫٩١٢ مدينى تساوى فى مجموعها ٥٫٦٦٣٫٠٢٥ فرنكا و ٧ سنتيمات .

وقد تولينا شئون صنع النقود فى الثامن من ترميدور من العام السادس (٢٦ يونيه ١٧٩٨) وتخلينا عنها فى الثامن عشر من ميسيدور من العام التاسع (٧ يوليه ١٨٠١ م) ، وبذلك بلغ اجمالى المدة التى ادرنا

فيها شئون النقود نحو ثلاثة اعوام الا عشرين يوما :

اى . . . . ١٠٧٥ يوما

وبخصم المدة التى انقضت من ٣٠ نيفوز الى ٢٤ فلوريال من العام الثامن (من ١٩ فبراير الى ١٤ مارس ١٨٠٠) التى سلمت اثناءها الضربخانة او دار سك النقود الى الباشا او التى اغلقت خلالها . . . . . . ٨٤ يوما

يكون صافى المدة التى اشتغلنا فيها هو . . ٩٩١ يوما

اى بواقع (متوسط انتاج) فى اليوم الواحد ١٦٢ر٢٩٠ مدينى ، اما اذا استبعدنا كذلك يوم الراحة الاسبوعية وهو جمعة المسيحيين (كذا) (٤) ، ونحو خمسة اعياد فى السنة فلن يتبقى لدينا كأيام عمل سوى ٨٣٦ يوما مما يقفز بمتوسط الانتاج اليومى فى صنع النقود الى ١٩٢ر٣٨٠ مدينى .

وقد ارتفع اجمالى عدد القطع ذوات الاربعين والعشرين مدينى التى صنعت (فى عهدنا) الى ٣٠ر٥٧٢ قطعة من ذوات الاربعين مدينى تساوى ١ر٢٢٢ر٨٨٠ مدينى او ١٥ س ٤٣ر٠٥٩ فرنكا و ٩٠ر١٧٣ قطعة من ذوات العشرين تساوى ١ر٨٠٣ر٤٦٠ مدينى او ١١ س ٦٣ر٥٠٢ فرنكا . وبذلك يكون اجمالى قيمتها ٣ر٠٢٦ر٣٤٠ مدينى او ٢٦ س ١٠٦ر٥٦١ فرنكا .

فاذا اضفنا الى المبالغ الموضحة آنفا تلك التى فى شكل قطع مدينى او قطع نقود ذهبية فسنحصل على :

---

(٤) يوم الجمعة اى يوم التجمع ، وهو اليوم السادس من الاسبوع عند المسلمين ، ويتفق اول يوم فى الاسبوع عندهم مع يوم الاحد عند المسيحيين .

فى شكل قطع من ذوات المدينى الواحد :

س

١٦٠ر٨٢٩ر٩١٢ مدينى تساوى ٠٧   ٥ر٦٦٣ر٠٢٥ فرنكا

وفى شكل قطع من ذوات الـــ ٤٠ و الـــ ٢٠ مدينى :

س

٣ر٠٢٦ر٣٤٠   مدينى تساوى ٢٦   ١٠٦ر٥٦١   فرنكا

الاجمالى بالفضة :

س

١٦٣ر٨٥٦ر٢٥٢ مدينى تساوى ٣٣   ٥ر٧٦٩ر٥٨٦ فرنكا

ثم فى شكل قطع ذهبية ونصفيات وربعيات :

س

٤٧ر١١٠ر٨٦٠   مدينى تساوى ١٠   ١ر٦٥٨ر٨٣٣ فرنكا

وبذلك يبلغ الاجمالى العام :

س

٢١٠ر٩٦٧ر١١٢ مدينى تساوى ٤٣   ٧ر٤٢٨ر٤١٩ فرنكا

واذا اردنا ان نعرف فى النهاية النسبة القائمة بين كميـــة الذهب وكمية الفضة التى فى صنع النقود ، فاننـــا نجـــدها ١ فى مقـــابل اقل من ٤ ١/٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع

التزود بالمواد المختلفة اللازمة لضرب النقود وأسعارها المتنوعة

كان هناك واحد من الكتبة الاقباط ، يشغل وظيفة حارس مخزن ، وقد وكل اليه حفظ واستعمال الخامات اللازمة لصنع النقود .

وبرغم ان حالة الحرب وتوقف التجارة الخارجية قد أعطى لغالبية السلع قيمة اكبر مما كان بمقدورها ان تكون عليها فى اوقات السلم، فقد يكون مفيدا لنا ان نلم باثمان المواد المختلفة المستخدمة فى صنع النقود .

أسماء المواد	أوزانها: المحلية	أوزانها: الفرنسية	قيمتها: بالمدينى	قيمتها: بالفرنك (س)	قيمتها: بالفرنك (ف)	ملاحظات.
نحاس	رطل أو ١٤٤ درهما	٤٤٣, ك*	٤٠	٤٠	١	للمزج أى كمزاج
رصاص مكرر	»	»	٢٠	٧٠	٠	لعملية قياس العيار
حديد	قنطار	٤٤,٣٠٦ ك	١٠٠٠	٢١	٣٥	للأدوات والماكينات
صلب	رطل	٤٤٣, ك	٣٠	٠٥	١	شرحه واصنع السكات
صفائح الصلب	القطعة	—	٨٩	١٣	٣	لصنع اللوالب (أو السلاسل)
حبال (حبل)	رطل	٤٤٣, ك	٣٠	٠٥	١	شرحه وكذلك لشد الملقط أو الكماشة إلى الخنزيرة وهى آلة لرفع الأثقال
عصى (عصا)	الواحدة	—	٩	٣١	٠	شرحه وللإدارة (لف) الخنزيرة
شمع	رطل	٠,٤٤٣	٧٠	٤٦	٢	لتشحيم اللولب أو السلسلة
نشادر	»	»	—	—		لجلو الذهب وتستخدم هذه أيضا لجلو العملات ذات الأربعين مدينى ويخصص للعامل المختص بالجلو مبلغ ٤٠٠ مدينى شهريا للتزود بهذه المواد .
نطرون (نترات البوتاس)	»	»	—	—		
جنزار	»	»	—	—		
بورق او بوراكس (بورات الصودا)	٤ دراهم	٠,٠١٢	٩	٣١	٠	لصهر الذهب
شبة أزمير (١)	رطل	٠,٤٤٣	٣٠	٠٥	١	لجلو قطع المدينى
طرطير	»	»	٤٠	٤٠	١	دون تخليصه من الشوائب
ملح (موريات الصودا)	أردب (٢)	—	١٦٨	٩١	٥	

(١) وهى تستخدم ايضا فى اعداد ماء النار او حمض النترات .

(٢) مكيال وهو الصاع المحلى .

(*) كيلوجرام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أسماء المواد	أوزانها		قيمتها			ملاحظات
	المحلية	الفرنسية	بالمديني	بالفرنك س	بالفرنك ف	
بوتقات محلية	الواحدة	—	٩٠	١٦	٣	تخصص لمن يقوم بعملية الصهر مبلغ ٦٠٠٠٠ مديني شهريا ليتزود بها بمعرفته.
فحم (خشبي) (٣)	قنطار	٤٤,٣٣٦	٣٠٠	٥٦	١٠	
حطب (٤)	حملة	—	٢٠٣	١٧	٤	من خشب مهشم ومجزأ تماما
منخل	الواحد	—	٣٠	٠٥	١	لتنظيف قطع المديني
ورق أبيض (٥)	١٠٠ ورقة	—	١٠٠	٥٢	٣	
ورق رمادي (٥)	«	—	٧٥	٦٤	٢	
قفف (قفة) (٦)	الواحدة	—	٨	٢٨	٠	لنقل قطع المديني
مياه من النهر (٧)	القربة	—	٦	٢١	٠	
مياه الآبار (٨)	القربتان	—	٥	١٧		

(٣) حيث أن مصر تكاد تكون محرومة كلية من الغابات فانها تستورد الخشب بواسطة القوافل القادمة من جبل سيناء الذى يطلق عليه بالعربية اسم جبل الطور .

(٤) ويجلب من اليونان ، ويستهلك الجزء الاكبر منه فى معامل الجلو (انظر الصفحات القسم الثانى ، الفصل الأول ، الفقرة ثامنا ، والفصل الثانى ، خامسا ، والفصل السادس الفقرة : حادي عشر ، وينتقى خشب الزيتون لانضاج او تحمية صفائح البرونز المخصصة لصنع المدينى (انظر ص ٢٢٥) اما الحملة فهى حمولة الحمار .

(٥) ويستخدم الورقة بصفة خاصة فى تغليف الفضة والمزاج ، وثانيا فى تغليف قطع المدينى (كقراطيس) .

(٦) القفة هى ما يشبه سلة مصنوعة من سعف نخيل مجدول ، وينتشر استخدامها فى مصر بشكل واسع ، وحيث هى مرنة بقدر ما هى متينة ، فانهم يقربون حوافها ويخيطونها مما يشكل غلافا رائعا لعبوة البن او الأرز او غالبية السلع .

(٧) كانت مياه الشرب المخصصة للعمال والتى تستخدم فى جلو او تبييض قطع المدينى تاتى من المدينة فى قرب ، وتغترف اما من الترعة اثناء فيضان النيل او من الاسبلة او الخزانات العامة التى تخزن بها مياه النيل ، بقية العام . وهذه الاسبلة ، وهى نوع من المنشئات الخيرية تدين بوجودها لاعمال خيرة يقوم بها الحكام والكبار والاثرياء والمحسنون . وهى واحدة من معالم تجميل القاهرة .

(٨) اما المياه التى كانت تاتى من البئر المسمى بئر يوسف ، الموجود بالقلعة ، فهي مالحة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القسم الثانى

اساليب وطرق صنع النقود

الفصل الاول

صنع قطـع المدينى

اولا : تحديد عيار خام الفضة (١)

كان العيـار (بشدة على الياء) الذى يقوم بفحص او تعيير خامة الفضة ، بعضا من رماد العظام المتكلسة ، سبق أن اعده هو بنفسه .

وكان يفضل لهذا الغرض استخدام عظام الفراريخ (الدجاج الصغير) الذى يسهل عليه التزود به بوفرة بسبب استهلاك هـذه الفراريخ على نحو واسع فى مصر ، حيث ظل المصريون منذ زمان ضارب فى القـدم يقومون بافراخها بالالوف ، فى افران خصصت لهذا الغرض (*) .

ويكون العيار على الأرض كومة دائرية من هذا الرماد ، ثم يسطحها ويغوص فيها بيده كى يمنحها شكلا بيضاويا ، وبعد ذلك يضع فوق هـذا

---

(١) نقصد بكلمة تحديد العيار او الفحص ما يطلق عليه بالعربيـة كلمة ششنى (عينة) وجمعها شيشانى ، ويظن المسيو دى ساسى أن هذه الكلمة قد جاءت من الفارسية جشن (بالجيم المعطشة) او جشنى وتعنى التذوق ، من جشدن بمعنى يذوق او ينذوق ، ويدفع عن كل عملية ششنى ٣٠ مدينى .

(*) انظر دراسة عن معامل التفريخ تاليف روزيير وروبيه ، المجلد الخامس من الطبعة العربية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشكل الذى يمكن ان نعده بوتقة او مصفاة قطعة الفضة التى سبق فصلها عن السبيكة (العينة) ، المطلوب تحديد عيارها بحضــور افندى النقود ورقيب أو مفوض من قبل الحكومة .

وتتم العملية على عينة تزن اربعة دراهم (اى ٠٠١/٢١٥ ١٢ جراما) ، ويضاف اليها رصاص تقدر وزنها خمسة الى ثمانية مرات حسبما يفترض أن تكون عليه نسبة المزاج الذى تحويه الفضة .

وكان الرصاص المستخدم ينتقى من الأسواق ، ويراعى ان يكون انقى رصاص يمكن الحصول عليه .

ويرص العيار فوق هذا النوع من المصفاة قطع من الفحم واخرى من الخشب بالغة الجفاف حتى يغطيها ، ثم ياتى خادم ، هو الآخر ، شانه شان العيار ، يهودى من اهل البلاد لينفخ النار بقربته المزودة بخرطوم ' بزبوز) من الفخار ، صممت راسه على شكل منقار طائر .

وفور ذوبان او انصهار الرصاص ، تنصهر الفضة والمــزاج الذى تحويه ، وحين يكون الخليط (الفضة والرصاص) قد ظل فى حالة انصهار لوقت طويل لحد كاف بسبب تاثره بهذه الحرارة الشديدة ، يقوم العيــار بابعاد قطع الفحم بعض الشيء حتى لا يحول ملامسته لهذا الخليط دون تاكسد الرصاص ، ثم يضع قطع الفحم هذه بشكل تكون معه ما يشــبه قبوا فوق حمام (٢) ، وبعد ذلك يدير هواء منفاخه تحت هذا القبو مما يبقى من جهة على النار ويساهم من جهة اخرى فى اكسدة الرصاص .

ويبعد العيار بلا انقطاع ، وبطرف ملقط من الحــد الملتهب القشرة الرقيقة المتاكســدة ، التى لا تزال بعد سائلة ، والتى تغطى المغطس ، وتحتوى هــذه على الرصاص والمعادن الاخرى الموجودة بهذا الخليط ، والتى يتشربها رماد البوتقة ، فى الوقت الذى ليست له فيه خاصية تشرب الفضة (المصهورة) .

---

(٢) كان علينا ان نخشى خلال هذه العملية أن تنتزع بعض جزيئات الفضة مع اول اكسيد الرصاص وهو الأمر الذى تفاديناه باللجوء الي وسيلة اخرى ، انظر ما بعده .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعندما يصبح انفصال الفضة (عن مزاجها وبقية الخليط) تاما ، فانها ، وهى فى هذه الحالة من النقاء ، وحيث أنها ليست الآن فى درجة حرارة تكفى لبقائها منصهرة ، تنتقل على الفور تقريبا من حالة السيولة الى حالة الصلابة لتصبح معدنا بالغ التوهج ، ثم تفقد على الفور كذلك هذا التوهج ، وفى هذه الأثناء يحدث نوع من وميض يسميه العيارون فى فرنسا : الق .

وبعد ذلك تتبقى صفيحة دائرية من المعدن تسمى العقب (بكسر القاف) أو القاع وتكون عملية الشقشنى ناجحة بقدر ما تكون هذه الصفيحة المعدنية اقرب الى الشكل المخروطى ، وبقدر ما يكون الجزء العلوى منه اكثر تالقا وبريقا ويكون الأسفل كامدا (أى غير لامع) واكثر نقاء .

فاذا التحمت بحواف او اسفل هذه الصفيحة بعد ذرات المرتك (اول اكسيد الرصاص) ، فان العيار يقوم بفصلها عنها بان يطرقها بالمطرقة بضربات خفيفة ، وبعد ذلك يوزن عقب العينة لكى نتبين عن طريق حساب الوزن الذى فقدته الدراهم الأربعة من الفضة الى معرفة كمية المزاج التى كانت تحويها .

كانت عملية فحص العينات واحدة من أوائل الأشياء التى لا بد لها أن تتطور ، ولقد سعينا الى ادخال واستخدام المصاهر او افران الصهر ، ومع ذلك فحيث لم يكن لدينا لتنفيذها سوى عمال من اهل البلاد فقد عانينا فى ذلك من كل صنوف المتاعب ، وقد استحال علينا بشكل خاص أن نعثر، من بين كل انواع الطين التى جربناها فى القاهرة لصنع الفخاريات ، على طينة نستطيع ان نصنع منها افران صهر جيدة .

وبرغم ذلك فقد توصلنا الى تحسين طريقة قياس عيار العينات بشكل ملموس ، فقد جعلنا العمال يعدون تحت اشرافنا رماد البوتقة ، مفضلين — من جانبنا — عظام الضأن لاحتوائها على نسبة كبيرة من الفوسفات الجيرى ، وهو عنصر له خاصية تامة فى عمليات تصفية او تنقية الذهب والفضة ، كما استخدمنا القوالب لصنع بوتقات بالغة الانتظام وبذلك انقصنا عينة الفضة الواجب تعييرها الى ١١/٢ درهم (٦١٨/١٠٠٠ جرامات) ، وهو امر يتطلب كمية اقل من الرصاص ، ثم اننا حين وضعنا البوتقة تحت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تبو الفحم واججنا النار بريح صادرة عن منفاخ ذى تيار مستمر ، فى حين كان تيار منفاخ الكير او المنفاخ ذى القربة متقطعا ، فاننا قد اسرعنا بعملية التاكسد وعندما ابقينا على المعدن (الفضة) فى حالة الانصهار بالاحتفاظ له بحرارة اعلى ، فقد امكننا ان نفصل عنه ذرات الرصاص الاخيرة والمزاج الذى كان يلتحم به (بالفضة) بشكل متين .

وحيث اننا كنا قد توصلنا فى فرنسا ، وبشكل صارم الى تحديد كمية المزاج التى تحويها قطع العملات ذات الخمس فرنكات ، فقد اتخذنا منها (فى مصر) طرفا للمقارنة ، وقد تاكدنا اننا بوسيلتنا الجديدة هـــذه كنا نقترب بشدة من بلوغ العيار الدقيق ، بقدر ما كان يتاح لنـــا ان نفعل ذلك عن طريق وسائل اقل دقة ، وبشكل خاص ، عن طريق استخدام موازين اقل تماما (اقل انضباطا) عما هى عليه الموازين المستخدمة فى فرنســـا لقياس العيـــار .

ثانيا : عملية المزج

برغم ان دار سك النقود كانت تضطر لشراء النحاس اللازم لمزج (او لسبك) قطع المدينى ، فانها مع ذلك لم تكن تحاسب اليهود على كمية النحاس التى توجد ملتحمة فى السبائك التى يوردونها اليها ، ومع ذلك فحيث كانت الفضة المتوفرة فى الأسواق بشكل عام وكما سبق ان قلنا ، ذات عيار منخفض ، فقد كان من عادة هؤلاء اليهود ان يوفروها من عيار اقل بحيث كانت نسبة المزاج التى ينبغى اضافتها اقل من تلك التى تضاف الى القروش التى يتم صهرها (لتصنع منها قطع المدينى) .

اما النحاس فكان يتم توفيره على يد رجل تركى يعمل شيخا للصرافين فى دار سك النقود فكان يشترى من الأسواق النحاس الاحمر المتخلف عن الآنية القديمة ، فحيث تكاد تكون كل اوانى الطبخ والاوانى المنزلية الاخرى مصنوعة من النحاس ، فقد قامت على هـــذه الآنية التى تجلب من الخارج، والتى يفضل لها ان تكون من النحاس الاحمر تجارة كبيرة .

وفى البداية كانت هذه الاوانى (القديمة) تبسط ، وتقطع ، وتسطح، بطريقـــة تجعـــل منها بقـــدر الامكان سطحا مستويا من الناحية التى كانت تبيض بالقصدير .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان هـذا السطح المقصدر يتعرض لدفقة من اللهب يتم بواسـطة تيار هواء يصدره منفاخ ، وعن طريق هـذه العملية يتأكسد القصـدير ويسقط فى شكل قشور ، وينزع ما يمكن أن يتبقى منه عن طريق الكشط او الحك . وعندما تصبح هـذه الصفائح النحاسية نظيفة لامعة ، خالية من القشور لحـد ما فانها تطوى عدة طيات مع طرقها بواسطة بيزر (*) من الخشب أو بفعل مطرقة حتى يتقلص حجمها لتشغل اقل حيز ممكن .

وبعد ذلك يلقى بهذه القطع من النحاس فى مصاهر فخارية شبيهة بتلك البوتقات التى تستخدمها دور سك النقود ، توضع فوق مصفاة فخارية فى قاع فرن اسطوانى الشكل يملأ بالفحم .

وتغطى فوهة الفرن بصفيحة عادية من الحديد او الفولاذ .

وفى داخل الفرن يؤجج منفاخ مضغوط ، يصدر تيارين من الهواء ، نارا شبيهة بتلك التى يصدرها كور الحداد ، وتكفى لصهر النحاس ، وكلما اخذ حجم الفحم فى التقلص والهبوط نتيجة الاستهلاك ، يعبأ الفرن من جديد (بالفحم) ، وحين يبدأ النحاس فى الانصهار تضاف من الفحم كمية كافية كى تملأ البوتقة الى نحو ثلاثة قراريط من حافتها .

ويراعى ان يترك فوق المصهرة أو البوتقة ، ولا تكون هـذه مغطاة قط ، فحم مشتعل يحول دون تأكسد الرصاص ، وينشر على السـطح مسحوق البورق (او البوراكس او بورات الصودا) الذى يستخدم كمدر والذى يتولى كذلك تنقية المعدن باستبعاده للمواد الغريبة .

وعندما يصبح قوام النحاس بالغ السيولة ، تسحب البوتقة بامساك حافتها بواسطة ملقط أو كماشة طويلة ، او بواسطة مشـبك مسطح ، وتستبعد الشوائب المعدنية بواسطة مسوط (بكسر الميم) حديدى (أى ملعقة) ، ثم يصب النحاس المصهور من ارتفاع متر ونصف المتر ، فى شكل خيط رفيع بعض الشىء ، فى حوض ملىء بالمياه حيث يتفتت الى حبيبات .

ويباع النحاس ، معدا على هـذا النحو ، الى الضربخانة (دار سك

(*) البيزر ، مطرقة خشبية ذات راسين .   (المترجم) .

النقود) بواقع ٤٠ مدينى ثمنا للرطل زنة ١٤٤ درهما ، أى بواقــع ثمن الكيلوجرام ٣ فرنكات و ١٧ سنتيما .

اما اذا كنا بصددصهر القروش ، تكون نسبة المــزاج التى لابد ان تضاف الى كل ١٠٠٠ منها تبلغ .. ١٣ر٧٥٠ درهما أى ١٠٠٠/٣٣٥ ٤٢ كيلوجراما فى حين تزن هــذه القــروش الألف .. ٨ر٧٥٠ درهمـــا أى ١٠٠٠/٩٤٠ ٢٦ كيلوجراما .

باجمالى وزن قدره ٢٢ر٥٠٠ درهما أى ١٠٠٠/٢٧٥ ٦٩ كيلوجراما .

وكان يؤخذ كل ٦٠ قرشا تزن ٥٢٥درهما أى ١٠٠٠/٦١٦ الكيلوجراما .

ليضاف اليها مزاج وزنه ٨٢٥ درهما أى ١٠٠٠/٥٤٠ ٢ كيلوجرام .
وبهذا يكون الوزن الاجمالى لمـــا يوضع فى كل بوتقة ١ر٣٥٠ درهما أى ١٠٠٠/١٥٦ ٤ كيلوجرامات . وذلك بخلاف نحاتة وقراضة الفضة التى تنتج عن عملية الصهر .

اما اذا كانت الفضة المخصصة لصــنع النقود قــد جاءت فى شكل سبائك ، تأكد المختصون من قبل من عيارها عن طريق عملية الششنى ، فانها تقطع متساوية ، وبوزن كاف ليجعل كل واحدة منها تزن نحو ١٤٠٠ درهم أى ١٠٠٠/٣١٠ ٤ كيلوجرامات ، ثم توزن كل قطعـــة وتضـــاف اليها السكمية اللازمة من المزاج .

ولحساب كمية المزاج هذه ، على نحو أيسر ، كانت تستخدم جداول اعدت لهذا الغرض ، قامت على أساس تحديد نسبة المزاج المقررة عنــد صهر القروش .

وتقدر تعريفة النقود الفرنسية عيار القرش الاسبانى بـــ ٨٩٦ ، ومع ذلك فبافتراض أن هذا التفاوت المسموح به يتجاوز حده احيانا زيادة او نقصا ، طبقا لنتائج عينات اجريت فى فرنسا قبل وضع هذه التعريفة، فقد قــدرناه نحن فى مصر بـــ ١٠ر٧٥ دراهم deniers من الفضـــة الخالصة او بعيار قدره ١٠٠٠/٨٣٣ ٨٩٥ .

وطبقا لذلك ، فان الف قرش تبلغ زنتها	٨ر٧٥٠	درهما
لابد لها ان تحوى من الفضة الخالصة على	٧ر٨٣٨ ٥٤١/١٠٠٠	«
ومن المزاج على مازنته	٩١١ ٤٥٩/١٠٠٠	«
كان يضاف اليها مزاجا قدره	١٣ر٧٥٠	«
وبهذا يصل اجمالى وزن المزاج الى	١٤ر٦٦١ ٤٥٩/١٠٠٠	«
يضاف الى كمية من الفضة الخالصة تزن	٧ر٨٣٨ ٥٤١/١٠٠٠	«
ليتحقق اجمالى سبق بيانه هو	٢٢ر٥٠٠	«

مما يعطى فى مقابل كل درهم واحد من الفضة الخالصة درهما واحدا و $\frac{٨٧٠٤٣٢}{١٫٠٠٠٫٠٠٠}$ من المزاج (٣) .

وطبقا لهذه المعطيات تم حساب جداول المضاف او المزاج التالية ، وهى التى تستخدم فى تحديد كمية النحاس الواجبة اضافتها الى الفضة سواء بخصوص القطع ذات المدينى الواحد او ذات العشرين والأربعين مدينى، ابتداء من ٢٦ يولية ١٧٩٨ (الثامن من ترميدور من العام السادس) وحتى بداية العام التاسع (٢٣ سبتمبر ١٨٠٠) وهو التاريخ الذى حددت فيه نسبة المزاج او المضاف بجزئين (من النحاس) مقابل جزء واحد من الفضة الخالصة .

---

(٣) ويشار اليه باسم المضاف اى الذى اضيف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جدول المضاف (أو المزاج)

الفضة الخالصة	وزن المضاف اليها			
١ درهم	٨٩٣	٤٣١	٨٧٠	ر١ درهم
٢ درهمين	٧٨٦	٨٦٣	٧٤٠	ر٣ دراهم
٣ دراهم	٦٧٩	٢٩٥	٦١١	ر٥ »
٤ »	٥٧٢	٧٢٧	٤٨١	ر٧ »
٥ »	٤٦٥	١٥٩	٣٥٢	ر٩ »
٦ »	٣٥٨	٥٩١	٢٢٢	ر١١ درهما
٧ »	٢٥١	٠٢٣	٠٩٣	ر١٣ »
٨ »	١٤٤	٤٥٥	٩٦٣	ر١٤ »
٩ »	٠٣٧	٨٨٧	٨٣٣	ر١٦ »

وتغلف الفضة الخالصة والمضاف او المزاج وهو فى شكل حبيبات فى ورقتين : الأولى من الورق الأبيض اما الثانية فمن ورق رصاصي اللون ، وتطوى وتفتح كلاهما بمعرفة الافندى الموكل بصنع النقود ، وبحضور المشرف الادارى او مفوض الحكومة وكذا الوزان وشيخ الصهارين .

ثالثا : مصنع الصهر أو السبك

كان هؤلاء الأشخاص انفسهم ، يشرفون على نقل الخامات الى مصنع الصهر وعلى تعبئة البوتقات ، وكذلك على صب المزيج المصهور فى شكل سبائك .

ويضاف الى كل بوتقة نسبة متساوية من الجذاذات وقراضات الفضة المتخلفة عن عملية صنع المدينى (السابقة) .

وكانت البوتقات المستخدمة قبل مجىء الحملة الفرنسية بوقت قصير

من نفس نوع البوتقات المسماة بالبوتقات الرصاصية (*) ، وكانت تجلب من اوربا ، وتستطيع الواحدة منها أن تحوى نحو ٤٠٠ درهم اى مايزيد على اثنى عشر كيلوجراما من الخام ، وتســاوى من خمسين سنتيما الى ثلاثة فرنكات .

وقد اقتضى الأمر ، حين نفدت البوتقات التى كان يمكن العثور عليها فى اسواق القاهرة ، حيث توقفت كل ضروب التجارة بشكل شبه تام مع اوربا ، صنع بوتقات من الطين المحلى .

وفى البداية ، خلطنا مع هذا الطين المحلى ، كمية كبيرة بعض الشيء من الرصاص (الجرافت) الذى تخلف عن البوتقات القديمة التى كنا قد احتفظنا ببقاياها ، وان كان الأمر قد انتهى بهذا المعين ان نضب .

اما البوتقات الفخارية التى يصنعها العمال المحليون فكانت ذات جسم اسطوانى وقاع كروى الشكل ، وكان يعيب طينتها انها اقل مرونة ولدانة واكثر مسامية وقابلية لأن تترجج (تتحول الى زجاج) اذا تعرضت لنيران شديدة .

وقد نتج عن العيبين الأولين انهم كانوا يضطرون هناك لصنع بوتقات بالغة السمك وبشكل خاص من ناحية القاع ، مما كان يجعل جفافها عسيرا ، وكان ينتج عن عدم استواء ســمكها وعن مساميتها انها كانت تتشقق او تنكسر عند سحبها من الفرن ، اما اقل عيوبها النــاتجة عن ذلك فهو انها كانت تتشرب جزءا من الخامات . اما تزجج هذه البوتقات فكان اقل هذه العيوب حدوثا وقلما كان يحدث الا فى السطح الخارجى قريبا من القاع ، حيث كانت تتركز اكبر درجات الحرارة ، وان كان ذلك فى معظم الاحيان هو السبب فى سهولة تشقق البوتقة سواء عند ملامستها الهواء او عندما كان يراد صب الخامة المنصهرة او كذلك عند ملامسة النار حين كان يراد القيام بعملية صهر اخرى فى البوتقات التى سبق استخدامها بالأمس .

(*) الكلمة المستعملة هى Plombagine وتعنى المادة التى تصنع منها اقلام الرصاص .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبرغم كل المحاولات التى بذلناها فى اختبار ومزج الطين فاننـــا لم نتوصل للاقتراب من خواص البوتقات الرصاصية أو حتى من خواص انواع معينة من البوتقات الفخارية التى نستخدمها فى فرنسا ، ولعل الأمر كان يتطلب منا ان نحاول البحث عن انواع اخرى من الطين (٤) او ان نجلب هذا الطين من سوريا .

وكانت عملية الصهر تتم فى ثمانى بوتقات وتوضع فى عدد مماثل من الافران ذات المنافيخ ، متساوية واسطوانية الشكل ، وليست لها مداخن ، اقيمت بطول رصيف او مصطبة تبعد بنحو المتر عن حائط المصنع ، وبنيت من الطوب الاحمر والطين الصلصالى والأسمنت .

اما فى قاع الفرن ، حيث يوجد ثقب دائرى توضع فيه البوتقة ، فوق مصفاة أو حلقة او اسطوانة صغيرة من الطين ، فقد اعد بين اللبنات فراغ يكفى لاستيعاب الرماد الذى يتدفق ولكى يسمح بمرور هواء المنفاخ ، اما البوتقات فكانت تحاط وتغطى بالفحم الخشبى ، ومع ذلك ، فحيث كانت طبقة الفحم قليلة الـكثافة لحد كبير ، فقد كان هناك عامل عليه ان يقوم بصفة دائمة باعادة ملء الافران بالفحم .

وقد ثبت عند كل فرن منفاخ له جراب ، وهذا النوع من المنـــافيخ غريب الشكل ، ويميل على الفور الى طفولة الفن ، وهو عبارة عن قربة او جلد ماعز ، ربط باحد طرفيها خرطـــوم من الطين المحروق فمفتوح على شكل فتحة حقيبة مزودة بنوع من السدادة تتكون من اسطوانة مشقوقة من الخشب تبعا لمحورها ، ويستطيع رجل بمفرده ان يحرك منفاخين فى آن واحد ، اذ يمسك بمنفاخ فى كل يد ، ثم يباعد بين جزئى الاسطوانة الخشبية او السدادة ويجرهما اليه (مما يفتح ويبســـط الجراب) ويدخل منهما الهواء ، وبعد ذلك يقرب ويضغط جزئى الاســـطوانة ، كـــلا منهما

---

(٤) الطين فى كل وادى مصر هو من النوع نفسه ، فالأرض هناك عبارة عن تربة رسوبية نتجت عن ترسيبات بطيئـــة ومتعاقبة من النيل ، وهى تصلح فى كل مكان لصنع الطوب الأحمر المطلوب للبنـــاء ، ومع ذلك فليست لها خاصية مقاومة النيران الشديدة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالآخر ، ثم يدفعهما نحو القربة التى يضغط عليها ليخرج الهواء المتراكم فيها عن طريق الخرطوم .

ويظل النافخون جالسين على الارض بين المصطبة والحائط ، وهم يحتمون من الشرارات (المتطايرة) بواسطة حاجز او متكأ صغير يسيطر من جهتهم على طول المصطبة ، وهؤلاء هم عميان بؤساء تغطيهم مزق من القماش ولا يكسبون طول اليوم اكثر من ٤ الى ٥ مدينى اى ما يعادل ١٤ الى ١٩ سنتيما .

وعندما يصبح الانصهار كاملا ، وهو مايتم التأكد منه بواسطةقضيب من الحديد يستخدم فى الوقت نفسه للتقليب والمزج ، يجذب احد العمال البوتقة ، ممسكا اياها من حافتها ، مستخدما فى ذلك ملقطا مسطحا ، ليحملها الى الصاهر او السباك نفسه ، وهو الذى يتخذ مكانه اماممنضدة عمل بنيت من الطوب والصلصال ، ويضع السباك البوتقة فوق الرماد الساخنة ، على حافة اناء فخارى (برنية) ، اصطفت بها قوالب السبك المزودة بيد ، والمتماثلة فى الشكل والحجم ، والتى يراعى أن تدلك قبلذلك بقليل من الشمع او الزيت ، ويأخذ قالب السباكة باليد اليسرى ويمسك باليمنى الملقط او الكماشة ويميل البوتقة ، ثم يملأ على التوالى كل القوالب .

ولا يتجاوز سمك السبائك التى تنتج عن ذلك ٢ سم ولا يتجاوز طولها ٣٥ — ٤٠ سم .

وحين تتم عملية الانصهار ، يحمل رئيس المصنع (الأسطى) سبائكه ليتم وزنها ، ويترك له (كفرق وزن او تالف) مايعادل ١٦/١٠٠٠ مقابل الرواسب او الجذاذات ، وهى اكبر حجما بكثير من تلك التى تخلفها عندنا العملات البرونزية ، وان كان علينا ان نلاحظ ان ثلثى الخامة المعطاة الى السباك كانت فى شكل جذاذات بالغة الرهافة ، كما كان سطحها ، بعد ان تأكسد بشده ، قد تراكمت عليه مواد دهنية وكربونية بسبب من كثرة ماتداولتها الايدى ، وهى كلها ظروفتزيد بشكلمحسوس من حجمالفضلات المتخلفة عن الصهر .

ولم يكن رئيس المصنع ليسلم قط ومن اول مرة الكمية المحددة من السبائك التى عليه أن يسلمها ، وكان الافندى يحمل هذا العجز مع باقى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العهده على حساب العامل . وبعد ذلك ينظف الأسطى مصنعه ، ويغسل الرماد والكناسات ، ويأمر بأن تهرس عن طريق عامل موكل بهـذا الأمر الجزء من البوتقات التى يظنها قد تشربت جزءا من خامة المعدن ، ويسحق العامل رواسب الغسيل الذى تم بواسطة الزئبق ، ثم يفصل الملغم (*) عن الطين والرماد بواسطة عمليات غسيل متتابعة .

بعد ذلك يدخل السباك هذا الملغم فى آنية زجاجيـة صـغيرة ، مخروطية الشـكل ، ذات رقبـة طويلة ، أو فى نوع من المطرات (**) matras, يلطخها بالطين بعناية ، ثم يصف هـذه المطرات فى نوع من المواقد أو الأفران وسط الفحم ، ويدخل فى رقبة المطرات قطعة من البوص بدلا من الأنابيب الزجاجية ، لكى يستقبل فى آنيـة زجاجيـة أخرى غير ملطخة بالطين جزءا من الزئبق الذى تصاعد فى عملية التقطير ، وعنـد المساء يشعل العامل الفحم تاركا عملية البخر أو التقطير تتم أثناء الليل . وفى الصباح يسحب المطرات مليئة برواسب معـدنية محببـة لها شكل الأسفنج ومظهر النحاس لـكنها تحتوى على فضة ، وعندئذ يحطم الزجاج ويفصل الرواسب كى يوزعها فى أجزاء متساوية على بوتقات ، فاذا كانت عملية الصهر الجديدة هذه ستؤدى الى اتمام الـكمية التى عليه أن يقدم الحساب عنها الى الأفندى ، يعفى العامل من العجز (السابق تسجيله) أما اذا حصل من هذه العملية على مايزيد عن هذا العجز فقد كان يجنب الزيادة لحسابه ليكمل بها نقصا مقبلا، ولـكنه ملزم ، اذا ماحصل على مايقل من تعويض هذا العجز بأن يشترى فى بداية الأسبوع التالى وأن يجلب كمية الفضة التى نقصت .

وبلا شك ، فان لطريقة الصهر فى بوتقة وحيدة ، داخل فرن واحـد الكثير من المزايا ، مثال ذلك اننـا نستخدم هنـا عددا أقل من السواعد ، كما اننا ننفق وقتا ونستهلك وقودا أقل ، ونحصل بسهولة أكبر ، وبشكل أكثر وثوقا على خامة متجانسة ، وتترسب لدينا فضلات أقل عما لو كنـا

(*) الزئبق وقد امتزج بمعدن أو بمعادن أخرى (المترجم) .
(**) مطيرة أى اناء زجاجى طويل العنق مما يستعمله الكيميائيون ، وأصلها العربى مطرة بمعنى قربة . (المترجم) .

قد اجرينا عملية الصهر بشكل منفصل وعلى دفعات صغيرة ، كذلك فاننا لن نكون عرضة لأن يتكسر الكثير من بوتقاتنا او لأن « تندلق » فضتنا في الرماد فنضطر لاعادة عملية الصهر ، ومع ذلك فان البوتقات كبيرة الحجم تتطلب جهدا كبيرا للغاية — وحتى اذا كانت لدينا كميات كبيرة من الخامة بشكل ملموس ، ينبغي صهرها ، فانه لأمر صعب وباهظ التكاليف، حتى في فرنسا . ان نصنع بوتقات من الحديد المطروق ، وقلما تستخدم هذه الا في باريس ، كما أن عادة الصهر في بوتقات رصاصية (٥) لاتزال تستخدم في غالبية دور سك النقود في فرنسا وربما في اوربا كلها ، وباختصار، فانه يبدو لنا، في الحالة الأخيرة ، أن من الأفضل أن تتم عمليات الصهر في الأفران ذات المنافيخ، وقد ابدلنا هذه في عام ١٨١٨، في دار سك النقود في لاروشيل la Rochelle ، التي عهد الينا بادارتها بأفران كبيرة ذات تيار هوائية ، وحققنا بذلك وفرا كبيرا في نفقات الانشاء ، واقتصادا طفيفا في الوقت المطلوب لعملية الصهر بالاضافة الى توفير مايقرب من النصف في استهلاك الفحم .

رابعا : مشاغل الحدادة او الطرق

تسلم السبائك بعد ذلك ، بالوزن ، الى شيخ مصانع الطرق او الحدادة .

ولا تتطلب الفضة او البرونز من الصنف العالي درجة حرارة كبيرة كي يتم طرقها ، اذ تكفي حرارة بسيطة تصدر عن الفحم دون منفاخ كور او حدادة حتى تكتسب السبيكة اللون الاحمر الكرزي* ، ويمسكها احد العمال بملقط مسطح ليطرقها ، يعاونه في ذلك واحد او اثنان آخران من العمال، ويقوم الجميع بطرقها بالتبادل ، بواسطة مطرقة مسطحة ، اما فوق سنديان صغير حوافه متثلمة واما فوق سنديان مسطح ، وهو نفس مانحصل عليه اذا اقتصرنا على طرقها فوق سنديان مسطح بمطارق ذات

---

(٥) لاتتسع البوتقات الرصاصية التي نستخدمها عادة الا لـ ١٨ الى ٢٠ كيلوجراما .

(*) نسبة الى ثمرة الكرز او الكريز .

راسين ، مع الطرق عليها احيانا بالجزء المدبب من المطرقة واحيانا بالجزء المسطح منها .

وهذا العمل بالغ البساطة ، كما أن العمال جد متمرسين عليه ،فهم يضربون ثلاثتهم (فعددهم ثلاثة) بقدر من السرعة ودقة التصويب ،وبايقاع بالغ التمييز ، حتى ان المرء عندما يراهم لأول مرة ، لايستطيع أن يكتم دهشته من مهارتهم وهمتهم .

اما السبيكة التى يطرقونها فى البداية على شكل مربع ، ثم فى شكل سهم دائرى مع الحرص على جعل اطرافها اقل سمكا لكى تمر بعملية السحب ، ويصبح شكلها اقرب الى المثلث مع المضى فى انتقاص ثخانة سمكه ،وتكتسب السبيكة قدرا اكبر من الليونة والمرونة والقابلية للسحب، فاذا لم تطرق لهذا الحد فسوف يكون سحبها مستحيلا فى هذه الحالة ، لأنها ستكون عندئذ اكثر قابلية للانكسار . .

خامسا : مشغل السحب

يضع المداد (٦) لوحة السحب بواسطة صفائح من الصلب المصهور تباع فى الأسواق ، لها شكل غير مستو بعض الشىء ، بل ان سطحها كذلك يعانى من عدم الاستواء ، ويتناقص سمكها بدءا من مركزها حتى الحواف .

وهو يقوم بتحمية هذه اللوحات من الصلب ، أو يزيل سقايتها (*) لكى يثقبها على شكل زهرات باستخدام مثقاب من الصلب ، ولا يحرص العامل قط على نسق معين فى احداث ثقوبه وهو يقوم بتنفيذها بشكل متعاقب ، مع تصغير حجمها اكثر فاكثر ، بواسطة مثاقيب متنوعة ذات اسماك مختلفة ، أو بواسطة مثقاب واحد ، يخففه او يحميه فى كل مرة (يحدث فيها ثقبا) ويواصل العامل احداث ثقوبه هنا وهناك بقدر مايمكن صفيحة الصلب ان تتسع له من ثقوب .

---

(٦) بشدة على الدال الاولى والجمع مدادين ، من الفعل مد بمعنى سحب او مط .

(*) تعبير فنى خاص بالفولاذ والصلب ، ويشير الى عملية تتم بتسخين المعدن ثم تبريده فجاة مما يكسبه صلابة ومرونة . (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعد ان يتم اعداد لوحة السحب على هذا النحو يضعها باتجاه لسان مزدوج مزود عند طرفيه بقطعة من الخشب ، تغوص فى الأرض .

ويقوم احد العمال مستخدما احدى يديه بتمرير طرف السبيكة التى تحولت الآن الى قضيب معدنى رقق طرفه فى ثقب لوحة السحب، ويمسك به بواسطة ملقط او كماشة ذات فكين محززين .

ولهذا الملقط فروع او روافع بالغة القصر يمسك بها مايشبه حلقة حديدية ملوية من ناحية ومربوطة من الناحية الأخرى بحبل يلتف حول خنزيرة (آلة رفع) .

ويقوم عاملان بلف هذه الخنزيرة بواسطة زوجين من الروافع المتشابكة ، تبعد كل منها عن الاخرى بمسافة تكفى لكى لاتعوق احداهن الاخرى . ويدور طرفا المحور داخل كماشة اعدت فى قمة قطعتين من الخشب المتين ، تغوصان فى الأرض .

ويضغط العمال على ذراعى الكماشة محدثين رجة هائلة ، مما يجعل اسنانها تعض بشدة على القضيب المعدنى (الناتج عن طرق السبيكة) والذى يدفعه العمال ليمرروه قسرا ، بينما هو يستطيل (اى يسحب) من خلال ثقوب لوحة السحب .

وحيث لايتبع تضاؤل حجم هذه الثقوب نسقا منتظما ؛ وحيث تعانى الخنزيرة ، وهى مبنية بشكل خشن بالغ الرداءة من حركة احتكاك هائلة (مما يعنى وجود مقاومة شديدة للجهد المبذول)، وحيث ان ذراعى الرافعة قصيرتان لحد بالغ ، وحيث لايكون المزاج فى معظم الاحيان بالغ النقاء ، بشكل يظل معه المعدن فى بعض الاحيان صلبا قابلا للكسر ، فلابد من بذل جهود هائلة لسحبه ، وفى العادة يعمل الرجال الموكلون بادارة (بلف) الخنزيرة — وهم يختارون من بين اشد الرجال قوة وامتنهم بنية — وهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شبه عراة (٧) ليقوموا بعمل بالغ المشقة يستعينون فى انجازه بأيديهم واقدامهم ، وتتم اعمال هذه المصانع ، كما تتم اعمال غالبية المصانع الاخرى وسط ضجيج نوع من الصياح او الغناء ، يتردد بطريقة منتظمة ، على نحو قريب مما يفعله رجال بحريتنا فوق سفنهم الحربية عند اجراء مناوراتهم .

وعندما تمرر القضبان المعدنية لعدد محدد من المرات من خلال ثقوب لوحة السحب ، وهى عملية تهدف الى فصل شذرات المعدن والتخلص منها ، فينبغى الحرص على تحمية هذه القضبان مرة اخرى لكى يصبح المعدن اكثر مرونة واقل قابلية للكسر .

ثم تصف القضبان على شكل طبقات تفصل بينها قطع صغيرة من الفحم توقد عند حلول المساء ، ويقوم صبية المشغل ، وهم مزودون بما يشبه مراوح من الريش ، بالتهوية على الفحم ويترك ايتآكل خلال الليل .

ويحرص الصبية كذلك على ترقيق القضبان المعدنية عند اطرافها ، وعلى التقاط وجمع القطع التى تنفصل عنها من ثقوب السحب ، وعلى كنس المشغل . وهؤلاء الصبية هم فى غالبية الاحوال ابناء العمال انفسهم ، ويحصلون على جعل متواضع يستخدمه اهلوهم فى اعاشتهم ، وهم يتعلمون منذ نعومة اظفارهم ، وبشكل تدريجى ، حرفة آبائهم نفسها ، فقد ظلت حتى اليوم فى طبقة الصناع ، كما هو الحال فى معظم الحرف الاخرى ، تلك العادة القديمة عند المصريين ، عادة تنشئة الأطفال على الدوام على حرفة آبائهم .

ويتجاوز ، بخصوص كل عملية سحب وتحمية تتم فى مشغلين بنسبة فاقد يبلغ ٥ر٪ (اى ٥/١٠٠٠) .

---

(٧) لابد ان عادة الشرقيين فى ان يعيشوا فى عزلة عن النساء ، وابقاء هؤلاء النساء محجبات وحبيسات هى السبب فى ان اصبح الرجال فيما بينهم اقل حياء واحتشاما ، وفى انهم ينظرون دونما دهشة الى نفر منهم ، فقراء او دراويش ، يمضون عراة فى الشوارع ، وفى اننا نرى كثيرا من العمال يعملون عراة فى مصانعهم ، وهذا الاختلاف (بيننا وبينهم) فى العادات والتقاليد ، هو الذى يجعلهم ينظرون بكثير من الدهشة الى النسوة الاوربيات وهن يخرجن سافرات ، يختلطن ويتنزهن ويتحادثن مع الرجال ، وان يشغفن بشكل خاص بزيارة مصانعهم . وكانت الفكرة الاولى التى راودت هؤلاء العمال هى ان ينظروا الى هؤلاء النسوة جميعا باعتبارهن مومسات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سادسا : مشغل الترقيق

عندما يتم انقاص قطر القضبان المعدنية ، ليبلغ نحو ٢ مم ، يعهد بها الى الرقاق(٨) ويقوم هذا الرقاق بتقطيعها الى قطع طول كل منها من ٢٥ الى ٣٠ سم ، وبعد ذلك يضعها فى فرن يحمى بالخشب الجاف حتى تلتهب .

وهذا الفرن ذو شكل دائرى ، وله خمس او ست فوهات ، وعلى مقربة من كل فوهة يقام سنديان او كتلة من الصلب ، لها سطح دائرى ومصقول .

ويأخذ شيخ العمال واحدا من هذه الاسلاك (او القضبان) بواسطة كماشة او ملقط مسطح ، ثم يقوم بترقيق او تسطيح هذا السلك المعدنى بكل طوله بواسطة مطرقة ذات راسين مسطحين ودائريين .

وبعد ذلك يثنيه ليصنع منه فرعين ، ثم يرقق الفرعين من جديد مع طرفهما واحدا فوق الآخر ، ومع امساكهما لهذا الغرض بواسطة ملقط ، مرة من عند نقطة التقائهما ، ومرة اخرى من ناحية طرفيهما .

وعندما تكون كل الاسلاك او القضبان المعدنية قد رققت بالقدر الكافى عن طريق هذه الوسيلة ، وتكون قد اكتسبت عرضا يبلغ نحو ٢ سم، يقوم صبية المشغل بفتحها وبتشكيلها ستة ستة بطريقة تدخل معها كل الثنيات او المفاصل كل منها فى الأخرى .

وعندئذ يمسك شيخ المشغل هذه الوريقات الست مجتمعة ويربطها بالزيت فى معظم الأحوال كى لاتتاكسد او تحترق او تلتحم ببعضها البعض، ثم يجففها فى الفرن ، ثم يضعها على السنديان ، ويقوم هو وعامل آخر بطرقها بضربات قوية من مطرقتيهما المسطحتين ، ويحرص فى بعض الاحيان على ان يوقفها ليطرقها ، وهى على هذه الحال ، بطرقات بالغة الخفة . فوق الحافة .

---

(٨) أي الذى يرقق المعدن والجمع رقاقين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا العمل بالغ المشقة ، وكل من يؤدونه من العمال متينو البنية الغاية ، ويظلون على الدوام منهمكين فى اداء اكثر الاعمال صعوبة ،حيث تنهمر جداول من العرق من اجسادهم المفتولة ، ويذكرك مشهد هذا المشغل (٩) المعتم ، الشبيه بكهف او بمغارة ، تملؤها سحب الدخان ، والذى يطن فيه ضجيج المطارق بايقاعها الثقيل وصداها ، مع صيحات الطارقين الذين يعملون على بصيص ضوء صادر عن نار افرانهم ، يذكر بشكل تام بكهف سيكلوبيس (*) .

اما الرقائق التى تنتج عن عملية الترقيق هذه ، فكثيرة العيوب ، فهى غير مستوية السمك ، وبشكل خاص عند اطرافها ، كما انها مهترئة عند الحواف ، وهى فى معظم الأحيان متكسرة ومليئة بالثقوب . وهذا هو السبب فى انه توجد عند مرحلة القطع او القص كمية هائلة من الجذاذات او القراضات ، تعود مرة اخرى الى الصهر ، وتخرج « اقراص » النقود (او التى ستصبح قطع نقود) شديدة السواد متاكسدة ، ولابد ان يزال جزء من سطحها ليتم جلوها او تبييضها .

كان الأمر يقتضى منا ان نستخدم فى اعداد هذه الرقائق آلة تصفيح تبنى بقدر كبير من الدقة ، لكن العمال من اهل البلاد ، لم يكونوا مهيئين لانجازها .

ولم تكن نسبة التالف المسموح بها فى مشاغل الترقيق تتجاوز ٢٥/١٠٠٠٠ (٢٥ر٠٪) اى الربع فى كل الف .

---

(٩) يضم المصنع كورين لكل منهما ستة سنديانات .

(*) سيكلوبيس جن خرافى ، له عين واحدة الى وسط جبهته ، كان يطرق فى اتنا ، وهو بركان يقع الى الشمال الشرقى من صقلية ، صواعق جوبتر بامر من فولكان Vulcain ، والأخير هو اله النار والمعادن عند الرومان ، وهو ابن جوبيتر وجونون ، زوج فينوس ، وقد ولد قبيحا نسائه الخلقة ، فالقت به امه من فوق جبال الأولب فسقط فى جزيرة ليمنوس ، وكان يعرج لهذا السبب ، وقد اقام تحت اتنا كور حدادة حيث كان يعمل مع سيكلوبيس (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سابعا : مشغل التقطيع او القص

بعد ان توزن الصفائح او الرقائق وتفحص ليتم التاكد من ان لهـا سمكا مناسبا ، تسلم الى شيخ مصنع القص او التقطيع (١٠) .

وتتكون آلات القص او القطع من لولب ثبت فى الطرف الادنى منـه مجوب (*) او مكبس هو عبارة عن جزء من مخروط ، قاعـدته المسقية بالصلب رهيفة وقاطعة . ويدخل هذا المـكبس فى جزء يسمى منظار او نظارة ، احدث به ثقب دائرى يكاد يكون كامل الاستدارة ، كما ان حوافه هو الآخر رهيفة وقاطعة .

وعند الطرف الآخر من اللولب وضع بشكل ملائم الرقاص ، وهـو رافعة بذراع واحدة تستخدم فى تحريك اللولب والمكبس .

ويثبت العامل بيده اليسرى الصفيحة او الورقة المعدنية فوق المنظار ، وبيده اليمنى ينزل المـكبس الذى ينتزع الشريحة او القطعة المعدنية التى نسميها نحن فى دور سك النقود عندنا قرص flaon والتى تسـقط من خلال مائدة مثقوبة اعدت على هذا النحو ، لهذا الغرض ، داخل سلة او قفـة معدة لاستقبالها — فى الوقت نفسـه الذى يدير فيه الرافعة نصف دورة .

وتتم هذه الحركة بسرعة بالغة ، كما ان العمل هنا بالغ السهولة ، ويقوم به شبان يافعون ، ويستطيع عامل بمفرده ان يقص او يقطع مايزيد على ٢٠ الف مدينى فى اليوم الواحد .

وتتركز عيوب آلات القص هذه فى ان اللولب مخروطى الشكل بدلا من ان يكون له شكل الاسطوانة الكاملة ، مما يؤدى لحدوث شىء من الخلل او مما يجعل الحجم الذى يقتطعه المجوب يتفـاوت بين قطع واخـرى ، وهناك عيب آخر هو ان المجوب ، بدلا من ان يدور وفق اصول وحسابات محكمة ، وبدلا من الا تكون له اية حركة غير الصعود والهبـوط ، يرتبط

---

(١٠) يطلق على من يقوم بالقص او التقطيع اسم دوغرمة ، من الكلمة التركية دوغريق او طوغرامق ، ومعناها يقطع الى اجزاء صغيرة .

(*) المجوب اداة لانتزاع قطع المعادن او الجلد الخ (المترجم) .

باللولب ويدور معه ، وهو أمر يؤدى الى حدوث بعض الخلل او الاضطراب فى حركته ، وهناك عيب أخير هو أن قطر المنظار اكبر مما يلزم بالنسبة لقطر المجوب مما ينتج عنه فى معظم الأحيان ان تنطمس القطعة المعدنية او تحدث بها نتوءات حيث هى بالغة الرقة ، مقعرة من ناحية المجوب ومحدبة من ناحية المنظار .

وتدعك القطع التى تم اقتطاعها فى بعض من النخالة ليتم تخليصها من باحدى حافتيها ومنتهيا بالحافة الاخرى ، وهو يتفادى ان يقطع او يقص من الاجزاء بالغة الرقة لاكثر ما ينبغى او الأجزاء الممزقة ، أما الجذاذات التى تتبقى فتبلغ اكثر من ثلثى الصفيحة ، وتعود هذه الى الصهر (اى تصهر من جديد لتعاود هذه الدورة) .

وتلك القطع التى تم اقتطاعها فى بعض من النخالة ليتم تخليصها من الزيت الذى علق بها من آلة القص ، كذلك تستبعد منها القطع المعيبة او غير التامة بشكل يسترعى الانتباه .

وبعد أن تنظف القطع المعدنية على هذا النحو ، وتنتقى وتوزن ، تسلم الى « الجلائين » .

ثامنا : مشغل التبييض أو الجلاوة (١١)

فى البداية تغلى القطع المعدنية او الاقراص المعدنية داخل غلاية من النحاس تحتوى على بعض من الدردى والشبة والملح البحرى ، مع مراعاة تقليبها وتحريكها ، وهذه العملية الأولية تذيب الزيت وتنتزع المواد الدهنية او الكربونية وكذلك جزءا من الاوكسيد الموجود على السطح ، وعندئذ تأخذ القطعة لونا يميل الى الاحمرار شبيه بلون البرونز .

ولم تكن هذه العملية الاولية بكافية لجلو قطع المدينى ، فكان يلقى بها فيما يشبه الحوض أو المزود على هيئة دن متين من الخشب او صنعت من جذع جميز ، ثم يضاف اليها الشبة والملح البحرى والدردى وكذلك بعض

---

(١١) يسمى من يقوم بعملية الجلوة او التبييض بالعربية جلاء (بشدة على اللام) ، والجمع جلايين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرمال ، ثم يجلس عاملان متينا البنيان على كل طرف من طرفى الحوض الخشبى ، يقلبون ويمسحون ويدعكون القطع النقدية ، ويستطيعون بذلك ان يعطوها مظهرا معدنيا شبيها بمظهر نقودنا البرونزية ولما تزل بعد جديدة .

وقد سبق أن ذكرنا بأنه ينتج عن عدم كفاية (او تطور) آلات القص ان يكون احد وجهى قطع المدينى متعرا ، وهو الوجه الذى يجلى اكثر من الوجه الآخر ، وذلك لتعرضه لقدر اكبر من الدعك .

وبعد ذلك تغسل القطع المدنية الصغيرة عدة غسلات ، وتجفف وتمسح بدعكها بالنخالة فوق غربال ، وفى النهاية تفرز او تنحى القطع المهشمة او تلك التى لم يكن قد تم جلوها بشكل كاف .

ومن السهل لنا ان نستنتج كم ستكون الفضالات او الجذاذات كثيرة بقدر هائل فى مثل هذه العملية ، وبرغم ان الجزء الذى تأكسد والذى تزيله المذيبات او المحللات يكاد يكون كله من النحاس ، فلابد ان الدعك وحده مع ذلك يزيل هو ايضا نسبة من الفضة ، وكان يلقى بمياه الغسول ، ويستخلص قدر بالغ الضآلة من المعدن والرواسب الاخرى ، اما فاقد الوزن المسموح به فى هذه العملية فيبلغ ٥٥/١٠٠ .

وقد كانت لدينا رغبة فى تطوير وتحسين اساليب الجلو ، ولابد أن تأثير الملح والدردى ، بعد الوصول بهما الى درجة الغليان ، يكون كافيا بلا جدال ، ومع ذلك فلم يكن هناك بد فى هذه الحالة من العثور على وسيلة بسيطة وسهلة لتحريك القطع النقدية بصفة دائمة داخل الغلاية ، ومن تعريض كل من وجهى العملة فى الوقت نفسه لفعل المذيب ، فى حين كان المعتاد ، برغم العناية التى تبذل فى تقليب هذه القطع فى الغلاية بواسطة مسوط او ملعقة ، ان تتلاصق وان تتلاحم غالبية القطع ببعضها البعض ، بحيث يظل واحد من الوجهين او جزء من كليهما يحتفظ بمظهر اسود او على الاقل بمظهر نحاسى .

ولسوء الحظ فقد خاب مسعانا فى كل مشروعاتنا التطوير بسبب استحالة تشغيل العمال الفرنسيين لمدة طويلة ، فقد كان عدد هؤلاء بالغ الضآلة ، كما كانوا يستخدمون فضلا عن ذلك فى حشد من الاعمال التى

كان على عبقرية المسيو كونتيه Conté الخلاقة ان تعيد خلق كل شيء فيهـــا بدءا من ابسط اداة حتى اعقد آلة بعد ان كان كل ما كنا قد جلبناه من فرنسا من هـــذا النوع قد سلب او تحطم اثناء فتنة القاهرة ، وكانت نمطية وجمود العمال من اهل البلاد عقبة اخرى ، بل لعلهـــا كانت اكثر العقبات استعصاء على التذليل .

وبتفحص ما كان يتم فى عملية الجلو او التبييض ، فان لدينا ما يدعونا لتاكيد ان نسبة الحمض الطليقة التى يمكن ان يحويها الدردى والشـــبة ، تنزع وتذيب بسبب تاثيرها على سطح القطع المعدنية ، كمية كافية من النحاس المؤكسد ، كى تعطيها هـــذا المظهر من البياض الكامد (اى غير اللامع) الذى يكون للفضة بالغة النقاء بعد مرورها بحمض الكبريتيك ، وقد ادى هـــذا المظهر الذى ياخذه البرونز ، وان كان ينمحى عن طريق الدعك ، الى ظهور الخطأ الشائع الذى يزعم بان هـــذه القطع النقـــدية مصنوعة من النحاس المغشى بالفضـــة ، فيقول ســـافارى Savary فى رسائله عن مصر ان قطعة المدينى هى عملة نقدية صغيرة من النحاس المغشى بالفضة تساوى ستة لياردات ⁎ .

تاسعا : مشغل السك

تسلم الاقراص المعدنية الصغيرة او الـــ Flaon التى تم اعدادها بالطريقة التى انتهينا من بيانها ، بالوزن ، الى شيخ مشغل السك .

وتتكون ادوات السك او الرقاصات ، شانها شان ادوات القص ، ولكن باحجام اكبر كثيرا ، من لولب متحرك داخل صندوق او حلزونة من النحاس .

وثبتت فى الطرف الادنى من اللولب ، وبشكل ملائم ، سكة فولاذية تغوص بسهولة داخل تجويف اعد فى قمة اللولب ، وعند الطرف الآخـــر

---

(١٢) Lettres sur L'gypte ، رسالة ٥ اكتوبر ١٧٧٧ .

(⁎) الليار Liard هو نقد نحاس قديم بالغ الضآلة ، كان يساوى ١/٤ سو ، اما السو Sou فهو قطعة ذات ٥ سنتات (١/٢٠ من الفرنك) اى ان الليار يساوى سنتيما وربع السنتيم (المترجم) .

وضع رقاص مزود براسين من الرصاص ، وتثبت السكة السفلية داخل مربع من الحديد وبواسطة اركان حديدية ، ويكلف واحد من العمال ، وهو شاب فى العادة ، بأن يضع القطع على السكة السفلية ، فيأخذ من هذه القطع حفنة بيده اليمنى ، ويسربها من بين سبابته وابهامه فوق السكة ، ويفصلها بواسطة ابهام يده اليسرى ، فى حين يكون هناك عامل آخر ، يحرص الرقاص باحدى يديه ، وهو يرقب القطع التى وضعت فى اسفل .

اما العمال فهم مدربون للغاية على هذا العمل حتى ان الشخص الذى يقوم بوضع القطع لا ينظر قط فى معظم الاحيان الى السكة العلوية، وحتى ان الشخص الذى يحرك الرقاص ينهمك فى حركته الرتيبة والمنتظمة، واثقا من نفسه ، دون ان يثبت عينيه على القطعة التى توضع تحت السكة ، ويكاد لم يحدث قط ان قطعة ما قد ضربت مرتين او ان الشخص الذى يقوم بوضعها قد انحشرت اصابعه بين السكتين .

وتعانى الرقاصات من العيوب نفسها التى لاحظناها فى آلات القص، اى ان اللولب هنا مخروطى الشكل على نحو طفيف بدلا من ان يكون اسطوانيا كاملا ، وان السكة تدور مع اللولب بدلا من ان تصعد وتهبط فى سرعات منتظمة ، وينتج عن ذلك ان السكة العلوية تهتز ولا تتطابق قط بشكل صارم مع السكة الاخرى ، بحيث انه يندر ان يتوافق النقشان كما يندر ان يكونا ، كما هو الحال فى نقودنا الفرنسية ، فى الوضع نفسه فى كل منهما بالنسبة للآخر ، اما حركة الفتل او اللف اى الحركة الدائرية التى تتأثر بها القطعة فى اللحظة التى تنضغط فيها بين السكتين فتؤدى الى محو او امالة النقوش . ويكون عمق خط الحفر فى كلا السكتين ، وهو كبير لحد يزيد عن المطلوب ، بالاضافة الى قلة سمك الصفيحة او الورقة المعدنية سببا فى ان تقوم الاجزاء الناتئة فى احد الوجهين بدفع المعدن فى الاجزاء المجوفة من الوجه الآخر ، فتبدو نقوشها وكأنها ممحوة او متقطعة او متآكلة بشكل جزئى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عاشرا : مشغل الصرافين

او مرحلة عد ووزن قطع المدينى

يكون على شيخ مشغل سك النقود الوزن نفسه والذى تسلمه فى شكل اقراص معدنية ، على هيئة قطع مدينى مدموغة (اى مسكوكة) ، حيث يستحيل أن تتبقى لديه اية فضالات (اى ليس له نسبة من وزن تالف) فى اثناء هـذه المعالجة اليدوية .

وتسلم قطع المدينى ، بعد ان توزن على هـذا النحو الى العـداد او الصراف (١٣) .

ويخلط شيخ الصرافين بعناية قطع المدينى التى ضربت ، ثم ياخـذ منهـا ، كيفما اتفق ، كمية معينة ثم يعد منها بضعة الوف ، ويزنها .

فاذا تبين ان كل الالوف تزن وزنا اكبر مما هو محدد لهـا (اى للألف منهـا) ، او اذا جاء وزنها اقل مما كان ينبغى ، بشكل محسوس ، يطلب الرقاق ان يجعل الصفائح اكثر رقة او اكثر سمكا بنحـو طفيف (حسب الاحوال) ، ثم ينتظر انتـاج (الطرحـة) الثانية ليتم خلط نتاجهـا مع الطرحة الاولى .

فاذا اعطى هـذا الخليط نحـو ٧٣ درهمـا بالتقريب (اى نحـو ٢٢٥ جراما) عن كل الف مدينى يبدأ العدادون فى العد .

وقبل ذلك يكون شيخ هؤلاء قد اعد اقماعا ورقية ، يصنع الواحـد منها من نصف فرخ من ورق رصاصى اللون ، حسب بحساب وزنه منـذ البداية ليؤخذ فى الاعتبار عندما توزن كل حفنة من هـذه العملات ، ويعد الصرافون او العدادون قطع المدينى فوق لوحات صغيرة ، مزودة بحواف وتنتهى بمجرى للتفريغ . ويحرص هؤلاء على استبعاد القطـع المعيبة ،

---

(١٣) من المفهوم أن الصراف هو الشخص الذى يغـير ويراجع او يراقب النقود : أما العداد فهو مانقول نحن عنه بلغتنا Compteur
(والترجمة فى هذا الهامش تمت بتصرف اقتضاه النقل الى العربية) .

ثم يسلمون القطع بعد عدها على هذا النحو بواقع ٥٠٠ قطعة (فى الدفعة) ، فاذا لم يتجاوز وزنها ٣٦ ١/٢ درهما فانه يجمع كل اثنين من انصاف الالوف هـذه ليضعها فى قمع واحـد ، يقفله ، ويدون فوقه اسم العداد .

فاذا كانت بعض انصاف الالوف هـذه اكبر (وزنا) مما ينبغى بنحو طفيف ، وكانت الانصاف الاخرى اقل (وزنا) مما ينبغى بنحو طفيف ، يقوم شيخ العدادين بخلط ٥٠٠ قطعة من النوع الأول بخمسمائة قطعة مدينى اخرى من النوع الثانى ، ويتوصل عن طريق هذه الاحتياطات او التوازنات الى تشكيل الوف من المدينى تتساوى فيما بينها فى الوزن مع اختـلافات طفيفة للغاية .

وعند نهاية اليوم تعد الاقماع ، وتوزن معا ، ويخصم من هـذا الوزن الاجمالى فرق وزن الورق لتتم معرفة ما ان كان العدادون قد ردوا بشكل دقيق الوزن نفسه الذى كان قد اعطى لهم .

وتطرح الاقمـاع ذات الالف مدينى ، وهى على هـذه الحـال ، للتـداول .

فاذا كان الشخص الذى يعطى واحدا منها من هـذه الأقماع سدادا لثمن شىء او وفاء لدين ما معروفا ، وكان اسم الصراف او العداد مدونا فوق القمع فان متلقيه لا يعـده ولا يزنه ، وان كان فى بعض الأحيـان يكتفى بوزنه .

وفيما مضى ، كانت تختار من بين قطع المدينى المعيبة ، التى يستبعدها العدادون ، تلك القطع التى تكون اقلها عيوبا ، مهما تكن اقل من الوزن المقرر بشكل ملحوظ ، او مهلهلة ، او مجلوة بشكل ردىء ، او حتى مقعرة ، شريطة ان تظهر عليها بعض من النقوش ، كى تستخدم فى سداد اجور العمال ، وقـد اعترضنا ، من جانبنا على هـذه السوءة التى تؤدى فى النهـاية الى ان تطـرح فى التـداول كميـة لا باس بهـا من نقود معيبة او بالغة الرداءة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثانى

صنع القطع ذوات الأربعين والعشرين مدينى

أولا : المزاج والصهر

تتم كل الخطوات التى تتصل بعملية مزج وصهر خامات القطع ذوات الاربعين والعشرين مدينى ، بنفس الأسلوب الذى تحدثنا عنـــه بخصوص هاتين العمليتين عند صنع قطع المدينى ، والفرق الوحيد هو أن الفضة هنا تصب على هيئة صفائح بدلا من أن تصب فى شكل سبائك .

وعندنا فى فرنسا ، لكى تصب الفضة أو الذهب على هيئة صفائح ، تستخدم قوالب هى عبارة عن ملقط او كلابة قوية ومتينة ، يزيد طولها عن المترين ، وتتكىء الى حمالة أو مسند من الحديد ، يقترب منهـا طـــرف الرافعتين (ذراعى الملقط) وينضغط ، لكى يطبق الفكان باحكام كل منهما على الآخر بواسطة قوس معقوف من حديد قاطع مزود برافعة . اما الفكان فهما كتلتان مستطيلتان من الحديد الزهر ، حفر فى السطح الداخلى لواحدة منها أخدود ينبغى ان يستخدم قالبا لصفيحة الفضة التى تصب فيه ، وهذه الآلات التى يصعب تنفيذها (فى مصر) ، والتى تتطلب الكثير من الدقة والمهارة ، يبلغ ثمن الواحدة منها ٥٠٠ فرنك .

ومع ذلك فان الوسيلة المتبعة فى مصر كانت بسيطة للغاية واقتصادية فى الوقت نفسه .

فقد كان لدى السباك صندوق او صناديق كثيرة ، مستطيلة ، تمتلىء برمل خاص يستخدم فى عملية القولبة (اى صب الفضـــة المصهورة فى قوالب) .

---

(١) هذه الأداة قريبة الشبه بسيف مستقيم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكى يقوم العامل بتشكيل القوالب المخصصة لكى تصب فيها الصفائح ، يستخدم مسطرة من الحديد ، مزودة بمقبض من الخشب ، يغرسها لهذا الغرض فى الرمل ، ثم يخرجها منه بحذر .

وعندما يميل بوتقته ، فانه يصب المعدن مصهورا فى الفراغات التى أعدها على هذا النحو ، والتى تبعد عن بعضها البعض بمسافات محددة، ويسعى جاهدا للحيلولة دون ان يتشكل فى الجزء العلوى قمما يكون عليه أن يكسرها او يصهرها مرة اخرى .

ويبلغ طول كل صفيحة نحو ٤٥ سم ، بعرض قدره ٤ سم للقطع ذوات الاربعين مدينى ، اما عرضها بخصوص القطع ذوات العشرين مدينى فيبلغ ٣ر٢ سم فقط .

وحيث كانت الصفائح تتأكسد بعض الشيء عند سطحها بفعل ملامستها للرمال وامتصاصها جزءا من الرطوبة التى كانت هذه الرمال مشبعة بها، وحيث كان من المحتمل ان يكون قليل من الرمل قد التحم بسطح المعدن ، وهو أمر سوف يؤدى فجأة الى اعطاب أو اتلاف آلات التصفيح ، فقد كان يتم غسل الصفائح فى مياه حمضية ، ثم تجفف بعد ذلك بعناية .

ثانيا : آلات التصفيح

(عملية تحويل القوالب الى صفائح)

كانت أسطوانتا ، او لفافتا هذه الآلات ، وهى مكسوة بالصلب ، مثبتة داخل اطار من النحاس أو البرونز (٢) ، يتحكم فى حركتها . اما الجزء العلوى من المخدات أو الوسادات ، وهو ايضا من النحاس ، فكان

---

(٢) كنا قد انجزنا على يد العمال من اهل البلاد ، وهم عارون من اية تجربة ، الآلات المختلفة لصنع القطع ذوات الأربعين والعشرين مدينى، وقد صهرت — بعد ذلك — اجسام الرقاص الكبير وآلة التصفيح وآلات القص أو القطع لصنع قنابل من البرونز ، وسلمناها الى المدفعية ؛

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

متحركا ، لكى يصبح بالامكان ان نقرب الاسطوانتين قليلا او كثيرا عن طريق ركائز ومكبس الضغط .

وكان محور الاسطوانة العلوى مزودا بمطحنة تدور بها عجلة كبيرة مسننة ، بشكل افقى .

وتتحرك هـذه العجلة بفعل رافعة تمر فى محورها الراسى ، مثبتة فى مدارها ، ومتجاوزة قطر العجلة بقـدر كاف كى تستطيع الثيران ان تدور خارج الاسطوانتين .

وبتمرير كل الصفائح (اى القوالب التى ستتحول الى صفائح او رقائق) بين الاسطوانتين لثلاث مرات او اربع على الاكثر ، مع التقريب بين الاسطوانتين على التتابع عددا مماثلا من المرات ، تتقلص الصفائح الى السمك المطلوب ، وهو ما يتم التأكد منه بتمريرها فى شق او مزلق تم احداثه فى قاعدة من الصلب تسمى المعيار او القالب * ، وحيث كانت الصفائح قد سكبت بشكل قريب فى سمكه من ذلك السمك الذى ينبغى ان تكون عليـه القطع النقدية ، فلم يكن هناك ما يدعو لاعادة تحميتها ، كما يحدث فى فرنسا ، بعـد تمريرها بآلة التصفيح الخاصة بالتشذيب او الترقيق .

ثالثا : آلة القص أو القطع

لم يكن عرض الصفيحة ليتسـع الا لقص او قطـع قطعـة نقدية واحـدة .

وقد بنيت آلات القطع على نحو تقريبى بنفس الشكل الذى لآلات قص او قطع المدينى فيما عدا ان هذه اقوى ، وفيما عـدا ان الرافعـة او الرقاص كان له راسان مزودان بالرصاص .

---

* الكلمة الفرنسية المستخدمة هى calubre وهى كلمة من اصل عربى وتعنى القالب . (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رابعا : عملية الضبط *

كانت قطع العملات توزن واحدة واحدة ، وحيث كان ((المعنيون)) حريصين على ابقاء هذه القطع بصفة عامة فى وزن اعلى من المطلوب بنحو طفيف ، فقد كانوا يضبطون وزن القطعة اذا ما تجاوزت اربعة دراهم ، بالنسبة للقطع ذوات الأربعين مدينى ، وذلك عن طريق بردها قليلا على سطحها او حول حافتها ، اذا ما كانت آلة القطع قد تركت هنـاك بعض النتوءات . ولم تكن تعاد عملية تحمية القطع كما يحدث فى فرنسا ، فى بعض من دور سك النقود قبل عملية الضبط هـذه (٣) برغم ان الخـامة كانت ولابد اقل لدانة او قابلية للسحب من تلك التى نستخدمها فى صنع عملاتنا . وهكذا نراهم ((فى مصر)) يتفادون او يوفرون عمليـة معاودة التحمية اصلا ، وكذلك عملية التحمية عند برد النتوءات ، مما كان يوفر النفقة والوقت اللازمين لعملية صنع النقود .

خامسا : عملية الجلوة او التبييض

لجلو او تبييض قطع العملات هـذه ، كان المعنيون يقومون بغليها ، كما يحدث بالنسبة لقطع المدينى ، فى محلول من الدردى والشبة والملح البحرى ، وبعد ذلك يقومون بتحميتها فى الفرن ، ثم يقذف عليها بمسحوقى ملح البارود وملح النوشادر ، ثم تغسل وتجفف بدعكها بعناية ، وبذلك

---

* ajnstage ويسمى العامل ajusteur ، ويسمى بلغة اهل الصنعة المعاير، كان المعنى المقصود هنا هو عملية ضبط الوزن وهذا ما رأيت استخدامه هنا لكى لا يختلط المعنى بعملية قياس العيار .

(٣) لم تكن تحدث على الدوام عملية تحمية للقطع النقدية قبل ضبطها فى مختلف دور سك النقود فى فرنسا ، وان كانت هذه العملية ظلت تمارس باستمرار ((فيما مضى)) فى دار سك النقود فى لاروشيل ، وقـد اقنعتنا التجربة ان بالامكان استبعادها دون حدوث اية اضرار .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يأخذ السطح مظهرا فضيا ، كما سبق أن قلنا عنـــد حديثنا عن عمليـــة الجلوة التى تمر بها قطع المدينى .

سادسا : عملية السك أو النقش

تسك هـــذه العملات بواسطة رقاص قوى ، بنى على نفس الأســس التى نهضت عليها الرقاصـــات أو الروافع التى تستخدم فى صنع الذهب أو قطع المدينى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

صنع العملات الذهبية

أولا : عملية الصهر

كان الذهب الذى يتم توفيره عن طريق اليهود ، يسلم كقاعدة الى دار سك النقود محولا الى سبائك بالعيار المقرر لصنع العملات الذهبية ، اما الافراد ، فلم يكونوا ليوفروا قدرا ما من الذهب تستخدم فى التبادل ، وكان اليهود يشترون لحسابهم تراب الذهب الذى كانت تجلبه القوافل . وهكذا لم تكن تتم عملية صهر النقود عادة فى الضربخانة ، وكان الشخص الذى يوكل بذلك فى العادة هو معير الذهب (المعيارجى) الذى كان يصهره باستخدام منفاخ ، كور ذى تيارين داخل بوتقات من الرصاص ، ويحتفظ لنفسه (مقابل ذلك) بكمية صغيرة منه (٤) .

وكان تراب الذهب يحتوى فى العادة على بعض الاجسام الغريبة ، ويحتاج لان يصهر بعناية شديدة ، مرتين على الاقل ، وان ينقى من الشوائب لكى تصنع منه سبائك متجانسة المعدن لدنة مرنة قابلة الطرق والسحب . ويتطلب تراب الذهب كى يتم صهره بالاضافة الى كمية من البورق (البوركس او بورات الصودا) ، درجة حرارة عالية للغاية ، اعلى بكثير مما يتطلبه الذهب الذى تمت من قبل تنقيته ، وترتفع نسبة التالف أو الفاقد من المواد المتبخرة او التى تتحد بالبورق لتتحول الى رواسب" الى ٢٨/١٠٠٠ ، ولكن عندما يعاد صهره مع المزاج (بالاضافة الى المعدن الذى يمزج به) فان تالف الوزن لا يتجاوز فى هذه الحالة ٤/١٠٠٠ .

(٤) كانت نسبة الفقد أو التلف المسموح بها عند صهر الذهب تصل الى ٢/١٠٠٠٠ .

وقد اعطت تجارب تعيير عديدة اجريت فى دار سك النقود بباريس، تمت على يد السيدين شيفيو . Chévillot وشوديه Chaudet المعيرين ، وفى حضور السيدين دارسيه Darcé المفتش وبريان Bréant المراجع ، اعطت العيارات الآتية عن قطعة عملة ذهبية

واحدة من اصدار القاهرة : ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ وعن قطعة اخرى ٩٣٩ ، ٩٤١ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ولا يمكن ان نرجع هـذه الاختلافات التى لا تقدمها فى معظم الأحيان ، عمليات فحص او تعيير تجرى على قطعة نقد واحدة ، الا الى عملية الصهر غير الدقيقة أو المعيبة لتراب الذهب الذى كان قد استخدم فى صنع قطع النقود القديمة التى يتصل الأمر هنا بها .

ثانيا : عملية المزج

كان كل الذهب المشغول او الذى يحول الى نقود يمزج بالفضة ، وتكسبه عملية المزج هـذه لونا شاحبا ، اصفر شفافا ، يضرب الى خضرة خفيفة ، ويقترب من مظهر النحاس الأصفر ، او النحاس المزوج بالزنك .

مثل هـذا الاسلوب (فى المزج) ظل متبعا فى فرنسا حتى فترة لا تزيد على قرن ، ولا تزال الجنيهات فى انجلترا تمزج بالفضة .

ومع ذلك ، فقد حبذت اوربا ان تمزج الذهب بالنحاس لانه ارخص ثمنا ، ولأن المزيج الناتج عنهما معا يكون اكثر صلابة ، واكثر قابلية لان يعطى سطحا اكثر استواء واكثر بريقا ولمعانا ، فاللون الاحمر الذى يعطيه النحاس للذهب اكثر نضارة واكثر جذبا للعين عن هـذا اللون الشاحب ، المائل للخضرة الذى تضفيه عليه الفضة ، ومع ذلك ، فتلك على الاقل هى قوة العادة التى تجعل اهل البلاد لا يظنون ان لويساتنا هى عملات ذهبية ، او انها جيدة المزج ، بسبب من لونها الأحمر ، وهو امر كان يكسبها نوعا من عدم الثقة (فى نظرهم) .

وفى كل بلدان الشرق ، حيث تستخدم الفضة فى عملية المزج ،نراهم يجدون فى البحث ، بأساليب مختلفة ، لاكساب المعدن بريقا اكبر ، واصفرارا اشد واقرب الى اللون الاحمر ، هو من خواص الذهب الخالص، وسنتناول هذه الأساليب عند حديثنا عن عملية الصقل او الجلوة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثا : عملية التعيير (قياس العيـــار)

لكى يتم التاكد مما اذا كانت السبيكة الموردة الى دار ســك النقود من العيار المطلوب ، وهو عيار ٢٢/٢٤ ١٦ (٦٩٨ من الالف) كان يؤخذ من طرفيها ووسطها(٥) درهما ونصف الدرهم (٦١٨/١٠٠٠ ٤ دراهم) من الذهب، اى مايعادل الوزن الذى يسمى : مثقال (٦) .

بعد ذلك يضاف اربعةدراهم (٣١٦/١٠٠٠ ١٢ جراما) من فضةالقروش الاسبانية فى شكل كرتين ، يبلغ عيارها من ٩٠٦ الى ٩١٠ (من الف) .

وهذه العملية ، هى تلك التى نشير اليها فى فرنسا باسم inquartation لان الذهب يشكل هنا الربع من السبيكة : لكنهم فى مصر ، لا يحرصون، كما هو الحال فى فرنسا ، على تمرير هــذا المزيج اولا فى البوتقـــة او المصهرة ، وصهره مع الرصاص بالطريقة نفسها التى تتبع عنــد قيـــاس عيار الفضة ، وهذه عملية تجهيزية تهدف الى فصل الذهب والفضــة عن المعادن الأخرى التى قد تكون ممتزجة بها .

وبعد ان يزن المعير ، باكبر قدر ممكن من الدقة ، كلا من الذهب ، المطلوب تعييره ، والفضة منفصلين ، ثم يزنهما معا بعد ذلك ، يضعهما فى قاع بوتقة صغيرة من الفخار يدخلها فى فرن كور دائرى الشـــكل تؤجج نيرانه بواسطة منفاخ (٧) ، ويستخدم المعير مســحوق البورق أو بورات

---

(٥) كانوا يكتفون قبل مجيئنا بأن ياخذوا كيفما اتفق قليلا من الذهب من احد طرفى السبيكة مما قد يؤدى الى الحصول على نتائج خاطئة ، اذ يحتمل أن يكون بالسبيكة نفسها اختلافات فى العيار اذا لم تكن الخامة تدصهرت بشكل جيد او سبكت كذلك على نحو جيد .

(٦) انظر دراستنا عن الأوزان العربية (الـكتاب الأول من هــذا المجـلد) .

(٧) المنفاخ المستخدم هنا هو نوع من النافيخ المسماه المنفــاخ ذو القربة ، ولـكنه بدلا من أن يوضع بشكل افقى ، يوضع رأسيا ، وله ولكن بحجم اصغر ، الشكل نفسه الذى لفوانيسنا المصنوعة من ورق متغضن.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصودا كمدر ، ويعنى بتقليب الذهب والفضة بقضيب صغير من الحديد حتى يأتى المزج بالغ الدقة (٨) .

وعندما يصبح المزيج فى حالة انصهار تام ، يصبه المعير من ارتفاع معين فى كبسولة من النحاس مليئة بالمياه ، مما يؤدى الى تفتت المزيج ، وتحوله الى حبيبات معدنية .

وبعدئذ يصفى الماء وتجفف الكبسولة ، وتجمع كل الحبيبات بدقة ، ثم تسطح أو ترقق فوق ركامة من الصلب تلك القطع (من المزيج) التى بقيت فى حجم كبير ، وتقسم بواسطة مقص (من النوع الذى يستخدمه الصاغة) .

وبعد ذلك يوضع الذهب بعد أن يقص على هذا النحو فى مطرية(*) ويصب عليه فيها نحو مائتى جرام من حمض النيتريك .

وهذه المطرية التى يستخدمها المعير مصنوعة من زجاج ابيض ، ولها شكل كرة صغيرة ، ذات رقبة طويلة ، وترد فيها خمور قبرص (٩) .

ويضع المعير مطريته فوق فحم مشتعل فى برمة أو برنية صغيرة(**) ويؤجج النار بواسطة مروحة من الريش (١٠) ، ويواصل عملية الغلى حتى

---

(٨) اذ كان من الممكن ان تلتحم بعض شذرات الذهب بالقضيب الحديدى كنا نأمر بامساك البوتقة بملقط مسطح ، لتتم عملية المزج هذه بحرص تام .

(*) اناء زجاجى طويل العنق ، والجمع مطرات ، من العربية مطرة بمعنى قربة (المترجم) .

(٩) كى لا تنكسر هذه الزجاجات اثناء عملية النقل ، وهى فى حد ذاتها هشة ، يحيطونها بجدائل من سعف النخيل او الطحلب البحرى .

(**) اناء خزفى يستخدم فى طهو اللحوم .

(١٠) لا يعرف القوم فى مصر قط استخدام المنافيخ اليدوية ، وبدلا من هذه الأداة المكلفة لا يستخدمون لتأجيج النار او لاشعال الفحم الا نوعا من المراوح المصنوعة من الريش او من سعف النخيل تسمى مقشة (والكلمة الأخيرة واردة فى الاصل بلفظها العربى) ، انظر اللوحة رقم ٩ من الفنون والحرف — الدولة الحديثة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاتظل هناك فقاعات حول الذهب وهو الأمر الذى يتـاكد منـه ، بسحبه للمطرية لحظة وتركه السائل قليلا ليهدأ ويبرد .

ويبقى الذهب ، بعد ان يتم انفصاله عن الفضة ، التى تكون قد ذابت كلية بفعل حمض النيتريك ، مترسبا فى قاع المطرية على شكل ذرات ذات لون أرجوانى قاتم . ويصفى المعير حمض النيتريك بعد أن يهدأ ويصبح رائقا للغاية ، ولكى يستخلص كل مافى المطرية من ذرات (ذهب) ، ولكى يغسل ذرات الذهب (المترسبة) جيدا ، يقلب المطرية فى طبق فنجان من البورسلين ملىء بالمياه الرائقة (١١) .

اما البخار الذى كان بالمطرية ، وهى لا تزال بعد ساخنة ، والذى كان قد حل فيها محل الهواء ، فيتكثف فجاة عند احتكاكه بالهواء البـارد ، ليتشكل فراغ فى داخل الاناء ، يصعد فيه الماء قدر تكثف البخار ، ويفصل المعير ، بهزه المطرية ، التى تبقى على الدوام رقبتها مغمورة فى المـاء ، ذرات الذهب ، لتنزل بعد ذلك فى الطبق ، عند رفعه للمطرية .

بعد ذلك يترك المعير الماء ليهدأ ، ثم يصب منه ذلك الجزء الذى صار بالغ النقاء ، أما ذرات الذهب ، التى وصفناها بأنها ذات لون أرجوانى قاتم فهى قليلة التأثر بالأوكسيجين حتى انه بسحقها قليلا بمدقة من العقيق او اليشب فان الجزء الاكبر منها يستعيد بريقه من جديد ويتجمع فى شكل كتلة مستديرة ، تبدو سائلة مثل بثرة من الزئبق ، وان كان لها بريق ولون الذهب ، وهذه الكرية التى قد نظنها ذهبا مذابا ، ليست سـوى ذرات من الذهب ، سوف تتفتت دون ادنى التحام اذا تبخر الماء .

أما الماء الذى يبقى ، والذى يمكن ان تظل عالقـة به بعض ذرات الذهب ، فيصب مع ذرات الذهب فى بوتقة صـغيرة من الحجر الرملى ، وينزل المعير من الطبق ، فى هذه البوتقة ، ذرات الذهب عن آخرها .

وبعد ذلك يضع بوتقته فى فرن شبيه بفرن الحداد ، وعندما يتبخر الماء وتجف البوتقـة ، يضـيف (الى البوتقـة) مسحوق البورق (او البوراكس) الذى ينبغى استخدامه كمدر .

---

(١١) كذلك فانهم لا يعرفون فى مصر المياه المقطرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويشكل الذهب المصهور فى هذا المدر الذى تحول الى سائل ، بقعة أو نقطة تبرد على الفور ، بمجرد أن تسحب البوتقة ، وقبل أن يتحول البوراكس عن حالة السيولة التى هو الان عليها .

ويصب المعير كل هذا فى الماء ، ليتحلل البوراكس ، ويحصل على زرار دائرى ، نقى وكامد عند سطحه ، خابيا بعض الشىء ، ولا يضم سوى الذهب الخالص .

ومهما تكن المهارة والعناية التى يمكن أن تتم بها هذه العمليات اليدوية المختلفة ، فانه يكاد يكون مستحيلا الا بزيل حمض النيتريك ، والماء وبورات الصودا بعضا من جزيئات الذهب ، والا يلتحم بعض منها بالمدقة، وبالآنية المستخدمة ، وكذلك بالبوتقة ، وعلى هذا فان الطريقة التى انتهينا من وضعها لا يمكنها أن تكون على نفس الدرجة من الثقة والدقة اللتين تقدمهما الوسيلة التى نتبعها نحن فى فرنسا .

فبعد أن ننتهى نحن من اجراء عمليتى « التفضيض » (*) inquartation والتصفية نحول المزيج من الذهب او الفضة ، الى ورقة ضيقة ورقيقة ، عن طريق تمريره بآلة التصفيح ، ثم تطوى هذه الورقة لتلف حول نفسها بشكل لا تكون الطيات معه متلاصقة ، وبحيث تترك مسافة كافية بين هذه الطيات .

وتقوم مياه النار المستخدمة فى هذه العملية ، بدرجة من التركيز اقل مما تكون عليه فى هذه العملية فى مصر ، باذابة الفضة دون ان تهدم تلاحم جزيئات الذهب التى تظل متجمعة فى شكل ورقة مطوية ، تجفف وتسخن بشدة داخل بوتقة . وعندئذ تتقارب جزيئات المعدن وتزول الاكسدة التى علقت بها ، وتحتفظ ورقة الذهب التى نسميها قمعا (او قرطاسا) بقوام متماسك ويمكنها أن تبسط دون أن تكون بحاجة لكى تصهر قبل ذلك .

ولو اننا كنا نستخدم مياه نار شديدة التركيز ، لكانت قد فصلت جزيئات الذهب (بمعنى أنها افقدت تماسكها) ولحولتها الى ذرات متاكسدة

(*) وهى عملية تتم بأن يضاف الى الذهب والنحاس ثلاثة اضعاف وزن الذهب من الفضة قبل صهر هذا المزيج (المترجم) .

بنحو طفيف ، وفى هذه الحالة لن يتيسر لنا الحصول على قمع ، ونصبح بازاء عملية فاشلة أو يكون علينا ان نمر بمراحل اخـــرى كما هو الحـــال فى مصر .

ولم تسمح لنا استحالة صنع آلة تصفيح دقيقة للحد الكافى بان نحول المعدن الى شرائح او صفائح بالغة الرقة ان ننقل الذهب من مصر فى شكل اقماع وان كنا قد ادخلنا هناك طريقة ان نضيف كمية بعينهـــا من حمض النيتريك ، اشد تركيزا ، بعد ان نكون قد صفينا مياه النـــار التى حللت الفضة والنحاس الملتحمين (أو المزوجين) بالذهب ، وذلك لتخليص الذهب من آخر ذرات المزاج او المعدن المضاف .

ويقوم معير (بضمة ثم بكسرة مشدودة على الياء) دار سك النقود بنفسه باعـــداد ماء النار الـــلازمة له ، وذلك بتقطير الشـــبة (سلفات الألمنيوم) والنيترات (نترات البوتاسيوم) .

أما حمض الســـلفور المتحد بأوكســـيد الالومنيوم — ذلك ان له مع البوتاس الفة اكبر مما له مع حمض النيتريك ، بتحليل نترات البوتاسيوم ، ليشكل ملحا محايدا مع البوتاس ، اما حمض النيتريك فيتصاعد ويتبخر .

وتتم عملية التقطير فى نوع من الجرار المصنوعة من الحجر الرملى او فى آنية من الفخار مخروطية الشكل ، تشبه على وجه التقريب تلك التى نسميها فى فرنسا خمسية quine والتى نثبت عليها قمة زجاجية لها رقبة وفتحة على شكل منقار . وتلتحم هذه القمة برقبة جهاز التقطير بواســـطة طين صلصالى ، اما الفتحة التى هى على شكل منقار فتؤدى الى رقبـــة زجاجية او بالونة من الزجاج الأبيض ، مغمورة فى المـــاء .

وكان هذا المعير مسيحيا ارمنيا ، وهو الوحيد فى مصر الذى كان يستحوذ وحده ، منذ سنوات طوال على فن انتقل اليه عن طريق سلسلة متعاقبة من الأجيال فى عائلته ، وكان ، هو ، ينظر الى فنه هذا باعتباره علما عميقا وفنـــا عجيبا ، ولقد اعترته دهشة بالغة حين راى الشـــبان الفرنسيين الملتحقين بادارة النقود ، والذين لم يرثوا قط عن آبائهم هـــذا التراث من الأسرار الملغزة ، والذين لم يتخذوا من ذلك قط حرفـــة لهم ، يعرفون ، برغم كل هذا طريقة اعداد ماء النار وطريقة قياس عبار الذهب،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد تضاعفت دهشته حين اكدنا له أن مياه النار يمكن أن تعد بطرق اخرى عديدة غير تلك التى يعرفها ، وذلك على سبيل المثال بأن نقطر حمض الكبرينيك اما مع سلفات الحديد او مع نترات البوتاسيوم ، وقد اجرينا تجارب على ذلك امام عينيه وان كان ، هو ، لم يصدق قط اننا قد توصلنا الى النتيجه نفسها التى يحصل عليها فى العادة ، ولم يقتنع بذلك الا عندما اجرى بنفسه تجربة مقارنة مع حمض النيتريك هذا ، نجحت بقدر ماتنجح طريقته .

ولقد ادخلنا على وسائله او اساليبه من التحسينات قدر ما كان ممكنا لنا ، وذلك باستبعاد الوقود ، وبتلطيخ الأنابيب بدقة ، وبتكثيف حمض النيتريك فجاة ، وقد كان من قبل يترك جزءا منه فيتطاير من تلقاء نفسه .

رابعا : الحدادة أو الطرق

عندما تصبح السبيكة فى عيارها المحدد ، تسلم الى الحداد ، وهو نفسه الشخص الموكل بأشغال الحديد ، فيقوم بتسخين السبائك حتى تكتسب لونا احمر فى لون ثمار الكريز ، ثم يطرقها ليصنع منها قضبانا مستديرة ، يبلغ قطر الواحد منها نحو ثمانية ملليمترات ، يرقق عند قمة طرفيه ليصبح بالامكان تمريرها من جهاز السحب .

ويسمح فى هذه العملية بتالف او فاقد قدره ١٠٠٠٠/٢٥ اى ربع الواحد فى كل الف .

خامسا : عملية أو مشغل السحب

بعد ذلك يتم تمرير الذهب فى جهاز السحب ، وتتم هذه العملية فى المشغل نفسه الذى يتم فيه مد او سحب الفضة (١٢) عند صنع قطع المدينى، وكان يكفى ان تمرر اسياخ الذهب ثلاث مرات او اربعا باداة السحب حتى تكتسب على الدوام القطر نفسه (فى كل الأسياخ) ويبلغ نحو خمسة او ستة ملليمترات .

---

(١٢) يسمى العامل الذى يقوم بسحب أو مد الذهب : مداد ؛

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اما نسبة الفاقد والتالف المسموح بها فى هذا المشغل فتبلغ بدورها ربع الواحد فى الالف .

سادسا : عملية أو مشغل القطع أو القص

تجزا قضبان او اسياخ الذهب التى تخرج من عملية السحب وهى على شكل اسطوانات صغيرة يبلغ طول الواحدة منها نحو خمسة الى ستة ملليمترات ، على نحو التقريب (١٣) .

ويقوم عامل بتمرير القضيب الذهبى فى ثقب تم احداثه فى دعامة او ركيزة من الصلب يدعم طرفها بقطعة من الحديد تستخدم كمنظم او ضابط .

ويقوم عامل آخر ، يحمل ازميلا ، مقعرة سنه ، بقطع القضيب الذهبى بالطرق بمطرقة فوق راس الازميل ، وقريبا بقدر الامكان من دعامة الصلب .

وفى هذا النوع من العمل ، يسمح بنسبة التالف نفسها التى يسمح بها فى العمليات او المراحل الأخرى .

سابعا : عملية التسطيح أو الترصيع

تتسطح او تترصع كل اسطوانة صغيرة من الذهب تحت رقاص قوى، سكته غير مدموغة .

وهناك عامل (١٤) يضع الأسطوانة الذهبية الصغيرة ، وهى واقفة ، فوق السكة الفولاذية الدنيا ، وهناك كذلك عاملان آخران ، يحدثان حركة سريعة فوق السكة العليا بواسطة رقاص قوى مزود براسين من الرصاص، فيتم ترصيع الأسطوانة بضربة واحدة .

---

(١٣) يسمى العامل الذى يقوم بقطع او تجزئة القضبان الذهبية الى اسطوانات بالقطاع (بشدة على الطاء) اى الشخص الذى يقوم بالقطع .

(١٤) يسمى العامل الذى يسطح او يرصع : الرصاع (بشدة على الصاد) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذه الضغطة القوية والسريعة ، والتى ترفع درجة حرارة القطعة الذهبية التى لا يمكن انسان أن يضمها فى كف يده على الفور دون أن تحترق أصابعه ، تحدث فى بعض الأحيان تمزقا فى حواف القطعة ، وان كان لا ينظر الى هذا العيب او الخلل باعتباره دافعا لرفض العملات التى تأثرت به ليستوجب الأمر بالتالى اعادة صهرها .

ويسمح فى هذه العملية بنسبة فاقد أو تالف قدرها ٧٥/١٠٠٠٠ اى ثلاثة أرباع الواحد فى كل الف .

ثامنا : عملية ضبط الوزن *

يزن العامل الموكل بضبط الوزن بعد ذلك كل القطع النقدية واحدة فواحدة ، ثم يدورها بواسطة مقراض أو مقص ، محاولا جهده أن يعطى لكل واحدة منها ، وبأكبر قدر من استطاعته ، الوزن الذى لابد أن يكون لها ، ثم بعد ذلك يسلمها الى شيخ العمال الموكل بعمل اطار الحافة .

وتقدر نسبة التالف والفاقد المسموح بها فى هذه العملية ٥/١٠٠٠٠ اى نصف الواحد فى الألف .

تاسعا : عملية الترقيق

لا تكون القطع حتى هذه المرحلة ، وبعد أن تم ترصيعها وضبط وزنها ، مرققة او مسطحة بالقدر الكافى ، وفضلا عن ذلك فانها لم تصبح بعد ، على الاطلاق ، لا جيدة الاستدارة ولا متناسقة السمك ولا موحدة القطر ، فتعطى ، وهى على هذه الحال ، الى العمال الذين يطرقونها ويرققونها (١٥) ، وذلك بطرقها فوق قاعدة من الصلب ، وبواسطة مطرقة صغيرة ضئيلة الرأس .

---

* كلمة أهل الصنعة المستخدمة هنا هى التعيير ويسمى العامل هنا المعاير لكننى آثرت ترجمتها على هذا النحو لأنه أكثر مطابقة المعنى المقصود من جهة ولكى لا يختلط المعنى على القارىء بمعنى قياس عيار الذهب . (المترجم) .

(١٥) يسمى العامل الذى يقوم بعملية الترقيق : منكيس .

وعن طريق هــذه العملية ، يتوصل العمال الى اكتساب العملات سمكا متناسقا ، والى جعلها أكثر رقة واستدارة بقدر الامكان..

وتماثل نسبة التالف او الفاقد المسموح بها فى هــذه العملية تلك النسبة المسموح بها فى العملية السابقة .

عاشرا : صنع الاطار فوق الحافة

توضع قطعة العملة (أو بالاحرى قرص العملة لانها لم تضرب بعد) التى يراد وضع اطار حافتها بين لوحتين صغيرتين ومستديرتين من الصلب، لهما قطر أصغر على نحو طفيف (من قطر قرص العملة) بحيث تتجــاوز حافة هــذا القرص المعدنى والذى سيتلقى الدمغ فيما بعد حواف اللوحتين اللتين سينحصر وينضغط القرص بينهما .

وتزود كل واحدة من هاتين اللوحتين عند منتصف سطحها الخارجى، بقمة مدببة على هيئة محور او قلب ليدخل هذان المحوران ، كلاهما فى واحدة من ذراعى ملقط مزود بزنبرك .

وعندئذ يقوم العامل بدحرجة القطعة الذهبية ، على حافتها ، داخل حز او اخدود محفور فى الصلب ، وحيث ان احتكاك قطعتى الصلب لا يتم خارجيا الا عند نقطة تلامس القضيبين اللامعين او المصقولين على نحو جيد والمشحمين بالزيت جيدا مع طرفى (او ذراعى) الملقط ، فى حين أن الاحتكاك لا يحدث داخليا ، بكل اتساعهما وسطحهما المحزز على شكل مبرد فوق الوجهين الكامدين (غير اللامعين) لقطعة الذهب (قرص القطعة) ، فان هــذه القطعة الذهبية وكذلك لوحتى الصلب تدوران معا كما لو كانت هذه الاشياء تشكل كلا واحدا بين يدى الملقط ذى الزنبرك .

وبهذه الطريقة تصبح حافة القطعة الذهبية مسننة ومنقوشة على نحو خفيف .

---

(١٦) ويسمى العامل الذى يصنع أطر القطع الذهبية بالعربية زنجرلى او زنجيرلى ، وهى كلمة تركيــة انتقلت الى العربيــة الدارجــة ، وفى القسطنطينية يطلق هــذا الاسم على بعض القطع الذهبية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما نسبة التالف والفاقد المسموح بها هنا فهى النسبة نفسها المسموح بها فى العملية السابقة .

حادى عشر : عملية الجلوة

لم يعد يتبقى الآن سوى القيام بجلو القطع الذهبية (أو الاقراص الذهبية) قبل الشروع فى سكها .

ولذلك ، فهى تغلى فى محلول الشبة (سلفات الالمنيوم) والدردى (حمض رواسب البوتاس) ، بغية انتزاع طبقة خفيفة من الاوكسيد والشحوم التى تلوث وجهيها .

وبعد هــذا توضع فى مجرفة من الحديد ، ويتم تسخينها فى داخل فرن حتى تحمر .

ثم يلقى فوق هذه القطع الملتهبة خليط من حمض النوشادر (موريات محلول النوشادر) (١٧) ، وملح البارود (نترات البوتاس) والكبريتات الزرقاء (سلفات النحاس) والملح البحرى (موريات الصودا) ، وتتكرر هــذه العملية مرتين ، ويتم تقليب القطع خلالهما وذلك بهزها وارجحتها داخل المجرفة الحديدية .

وعن طــريق تحلل الأمــلاح ، يتكون حمض هو خليط من النترات والموريات ، وربمــا قلبل مع حمض الموريات المؤكسد ، ويقوم هذا الخليط بجلو سطح الذهب بشكل تام ، اذ يقوم باذابة الاكســيد المترسب على السطح .

ويحتمل كذلك ان تؤدى بعض اكسدة خفيفة للذهب الى اكسابه لونا بالغ الحيوية واعطــائه صــفارا اكثر كثافة ، واكثر قربا من لون الذهب الخالص .

---

(١٧) يستخدم فى بعض الاحيان لاعادة البريق الى الذهب ، ملح زئبقى او مصعد (بشدة على السين) يسمى بالعربية بالسليمانى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحين يتم اخضاع الذهب من عيار مرتفع لفعل هـذه الأملاح ، فإنها تكتسب فى معظم الأحيان بصيصا من لون احمر ارجوانى .

وترتفع نسبة الفاقد والتالف المسموح بها فى عملية الجـلوة الى ٣٥/١٠٠٠٠ اى ٣ ١/٢ فى كل الف ، وهى نسبة كبيرة لحد زائد .

ثانى عشر : الدمغ أو السك

بعد ذلك يتم ضرب الاقراص الذهبية بفعل رقاص قوى لا يستخدم الا عند سك القطع الذهبية ، وتتمثل فيه العيوب نفسها التى تتمثل فى الرقاصات المستخدمة فى ضرب قطع المدينى .

ويقوم شيخ العمال ، بوضع القطع تحت السكة ، ويكفى عاملان قويان لادارة او تشغيل الرقاص .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع

حفر السكات

يكاد يكون مجهولا فى الشرق ، فن الحفر على المعادن ؛ اذ ان رسم وتجسيد الاشكال من الامور التى حرمها الدين ، وهناك ، يقتصر هذا الفن على نقش قطع المجوهرات وحفر أختام من المعدن أو من الأحجار شديدة الصلابة .

وهنا ، فى كل دار لسك النقود ، يوجد عامل موكل بحفر السكات بصفة خاصة ، ولعل من العسير ان نعثر فى مكان آخر (فى مصر) على شخص غيره يمكنه أن يقوم مقامه ، ويقرر المقريزى(١) ان عبد الله المأمون ، بعد ان جمع كل امبراطورية الخلفاء تحت طاعته ، لم يجد حرفيا واحدا ليقوم بحفر سكة تسك بها الدراهم ، وتم حفرها تبعا لذلك بواسطة العجيلة ، على النحو الذى يتم به حفر الأختام .

اما فى دار سك النقود بالقاهرة ، فكان احد ابناء الافندى (المشرف على ادارة النقود) هو الموكل بحفر السكات التى تستخدم فى صنع العملات المختلفة .

وتعد السكة ، او قطعة الفولاذ المخصصة لحمل الشكل الذى ستكون عليه قطع النقود ، على يد صانع الأقفال ، الذى يطلق عليه فى العربية اسم الساعاتى .

ويقوم الحفار بازالة سقاية هذه القطعة الفولاذية ثم يحفر عليها بواسطة مخصف او ازميل الحروف والزخارف التى تقرر استخدامها فى كل نوع من المسكوكات ثم يعيد سقايتها (*) بعد ذلك .

---

(١) ص ٣٣ من مقالته عن النقود الاسلامية ، ترجمة المسيو دى ساسى .

(*) تتم سقاية الحديد او الفولاذ عن طريق تبريدهما فجأة بعد ان نبلغ بهما درجة حرارة عالية بالقدر الكافى ، ويكتسب المعدن بهذه العملية قدرا كبيرا من الصلابة والمرونة فى وقت واحد . (المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اما فى فرنسا ، فيقوم الحفار الملحق بدار سك النقود بباريس ، وفى بعض الأحيان يقوم بذلك اشهر الحفارين الذين يتم اختيارهم فى مسابقة، بتكوين وحفر النموذج او النمط الذى ينبغى استخدامه ، ليس فقط بالنسبة لدار سك النقود بباريس وحدها ، وانما كذلك لكل دور سك النقود بالملكة، وعندما يتم اختيار واعتماد الشكل الافضل فيمابيدو، تشكل السكات — القوالب التى تستخدم فى استنساخ اعداد لا حصر لها من النمط المختار باكبر قدر من الدقة والامعان .

لكن عكس ذلك هو مايحدث فى الشرق ، ففى كل مرة تستهلك او تتلف فيها سكة ما ، يقوم الحفار بصنع سكة اخرى ، ويتم ذلك عادة فوق القطعة الفولاذية نفسها (٢) وبرغم انه يتبع على وجه التقريب الشكل او النمط المتبنى فان لكل سكة خاصيتها التى تختلف فيها مع الاخريات ويتمثل ذلك شكل الحروف وعمليات التنقيط والزخارف الخ ، مما يجعل مهمة المزيفين بالغة اليسر ، ومما يؤدى الى استحالة تمييز قطع النقد الزائفة .

وكان من المعتاد كذلك الاحتفاظ ببعض من عهود مختلفة للاسترشاد بها فى صنع نماذج على اساسها ، ومع ذلك فحيث لايوجد اى تبصر او نظام او انتظام يحكم المؤسسات العامة عند الشرقيين عادة ، فانهم لم يفكروا هناك ، كما حدث فى فرنسا ، فى تكوين سلسلة غير مقطوعة من كل السكات التى حفرت فى كل عهد ، مع ان مثل هذه السلسلة امر بالغ الاهمية ليس فقط بالنسبة لتاريخ وتطور هذا الفن ، بل كذلك بالنسبة للتاريخ التاريخى للمملكة الفرنسية ، لكننا لم نجد فى دار سك النقود بالقاهرة الا عددا بالغ الضآلة من السكات القديمة ، فقد استخدمت الاخرى (اى التى اختفت) ، عن طريق اعادة طرقها فى صنع سكات جديدة .

---

(٢) هناك موروث دينى يحول دون تحطيم السكة التى تحمل شعارات اسلامية والا اصيب فاعله بحالة من اليأس والقنوط ، ولابد ان ينصرف الذهن هنا الى الدراهم والدنانير ، اما الغاية من هذا الموروث او التقليد او المبدا فهى منع تحريف او صهر نقود الأمير الحاكم ، وقد جرمت القوانين واللوائح فى البلدان المختلفة هذه الفعلة او الجريمة وقررت لها عقوبات تتفاوت فى خطورتها .

وبرغم قلة مهارة الحفارين ، فان من السهل مع ذلك ان نميز كما سبق لنا القول بعض فترات كان تطور الكتابة فيها يدل على يد اكثر مهارة وتمرسا على تشغيل الازميل ، وعلى تقدم فى مجال الفنون ، وعلى عناية اكثر خصوصية فى صنع النقود .

وكانت السلطات شانها شان النقود مستديرة الشكل ، وقد كان لها هذا الشكل منذ وقت طويل ، ومع ذلك فان كثيرا من العملات القديمة، عند العرب ، كما عند شعوب اخرى فى اوربا ، تحمل ، مع كونها مستديرة سكة مربعة الشكل او بالاحرى تحمل مربعا فى سكتها ، يتشكل عن طريق خطوط او عن طريق تنسيق وضع الكلمات ، والى هذا الشكل الذى كان للانماط القديمة يعود اسم مربع الذى كان يطلق قديما على السكة ،والذى ظل يستخدم ،حتى فى ايامنا هذه ، فى التعبيرات الخاصة بفن النقود .

وعندما كان الحفار يضع نقطة فى مركز السكة ليرتكز عليها ببرجله، فقد كانت هذه النقطة ، التى لا يكلف نفسه عناء محوها ، تظل باقية فى معظم الاحيان فوق القطعة ، كما يمكننا ان نرى فوق كثير من العملات المحفورة (٣) وفى بعض الاحيان تواتى الحفار نفسه فكرة ان يصنع من هذه النقطة نوعا من زخرف ، اما بجعلها اكثر وضوحا واما بتحويلها الى زخرف وردى او نجمية صغيرة ، ولم نكن نحن لنشير الى هذه النقطة هنا ، لو لم يكن المقريزى قد اوردها كشىء هام او متميز .

اما فيما يختص بالانماط فاننا نحيل الى ماسبق لنا ان ذكرناه فى ص ١٠١ وما بعدها .

---

(٣) انظر اللوحات الملحقة بهذه الدراسة ، الأشكال ارقام ٢ ، ٣ ، ٧ ، ٢٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القسم الثالث

الادارة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اولا : الرقابة والادارة

كانت رقابة وادارة دور سك النقود ، كأمر لابد منه ، محط انظار ومثار اهتمام الأمراء والحكام ، حتى ان هذه الادارة كانت تعتبر ، بخلاف اهميتها الطبيعية فرعا هاما على الدوام من فروع الموارد العامة .

وقد مارس الخلفاء الأوائل حتى هارون الرشيد ، باشخاصهم ، مهمة التفتيش على صنع الدنانير والدراهم ، وان كان الرشيد قد ارتأى أن الواجب يقتضى منه ان يعهد بالمسكوكات النقدية الى جعفر البرمكى، وقد كان هذا الأمر واحدا من الأسباب التى اسهمت فى ظهور اسم هذه الشخصية الشهيرة فى سماء الشرق ، اذ لم يسبق لأحد من قبله ، حسب قول المقريزى ، ان تمتع بمثل هذه الميزة .

ومنذ ان دخل المسلمون مصر ، كان اميرها الحاكم يراقب النقود المضروبة بسكة الخلفاء .

وحين اصبحت مصر مقرا لأحد الخلفاء ، فقد مارس هذه الرقابة بنفسه ، أو عهد بها الى وزيره او الى واحد من ضباطه .

وقد استولى السلاطين المماليك الأوائل ، منذ استحوذوا على حكم مصر ، على عملية صنع النقود ، وان احتفظوا فى بعض الأحيان ،بسكة الخليفة كبقية من ولاء .

وحدث الشيء نفسه فى عهد سلاطين القسطنطينية ، وحين احتفظ الباشوات بكل السلطة التى خلعها عليهم الباب العالى ، فقد كانت الرقابة على دار سك النقود تتم اما بواسطتهم مباشرة واما بواسطة واحد من ضباطهم او موظفيهم او بواسطة مندوب خاص يرسله الباب العالى ، ومع ذلك فحين استطاع البكوات المماليك أن ينتزعوا السلطة من الباشا، غير تاركين له الا بعض مظاهر شرفية لا فاعلية لها ، فقد كان على هذا الباشا ان يتخلى عادة الى البك شيخ البلد عن ادارة دار سك النقود

مقابل أتاوات ثابتة . وعندما افلت المماليك كلية من قبضة الباب العالى فقد استولوا بشكل تام على ادارة دار سك النقـود وعلى الأرباح التى كانت تدرها .

وعندما دخل الفرنسيون القاهرة وكلت الينا اللجنـة الادارية التى شكلها القائد العام بصفة انتقالية ، والتى كانت تتكون من السادة مونج Monge وبرتولليه Berthtollet عضوى المجمع الفـرنسى وماجاللون Magalon القنصل العام مهمة التفتيش على ادارة سك النقود ، وتركت لنا سلطة تعيين معاون .

وقـد اقتضى مرسومها الصـادر فى ١٧ من ترميدور من العـام السادس (١) ان نصدر الأوامر الضرورية لكى تدار على الفور كل اعمـال دار سك النقود على النحو الذى كانت تدار به من قبل .

وبعد ذلك تم تعيين أمين صندوى موكل فى الوقت نفسه بتبـديل وصرف العملات طبقا للتعريفة الصادرة بشأنها (٢) .

وفيما بعد ، عين مراقب لدار سك النقود بالقاهرة ، حيث كان يوجد مراقب لـكل واحدة من الادارات الفرنسية .

وكانت وظائفنا ، بصفة مطلقة ، هى الوظائف نفسها التى يقوم بها مفوضو الحكومة فى دور سك النقود الفرنسية ، اما الحسابات التى كانت تحرر بالعربية بمعرفة الأفندى الموكل بعملية الصنع تنظم وتفحص وتراجع ثم تسلم عن طريقنا باللغة الفرنسية الى الادارة المالية ، والى لجنة خاصة عينت لمراجعتها ومطابقتها وضبطها بشكل نهائى .

---

(١) ٢٥ يوليه ١٧٩٨ .

(٢) انظر هذه التعريفة فى صفحة ١٧١ و١٧٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا : الموظفون ، شيخ المصنع ، العمال

يورد المقريزى فى وصفه التاريخى والطبوغرافى لمصر (*) ، ان ادارة صنع النقود كانت فى الماضى (بالنسبة لعصره) من اختصاص قاضى القضاة والموظفين الذين يأتمنهم ، ولكن هذا العمل فى عصره — اى فى عصر المقريزى — لم يعد يعهد به الى مسلمين مزعومين ليسوا فى الحقيقة سوى فجار آثمين من اليهود — والكلام كله للمقريزى — كانوا تحت قناع من اعتناق ظاهرى للاسلام يحتفظون بكل ضلالهم وتضليلهم .

ولابد ان يحدث ، كامر متكرر ، فى بلد تسيطر عليه الديانة الاسلامية ، وحيث يحوز اتباع محمد كل السلطة والامتيازات ، وحيث يضطهد ويحقر كل اتباع الملل الاخرى (كذا !) ، فقد كان الأمر ينتهى بهذا الفريق من المقهورين ، الذين يلح عليهم طموح اكبر من مجرد ارتباطهم بملتهم ان يعتنقوا ديانة المنتصرين والحكام ، وتوجد فى مصر ، عائلات كثيرة من اهل البلاد ومن الأجانب ، من المسيحيين او اليهود ، قد جعلوا من انفسهم مسلمين (**) .

(*) اى فى خططه .

(**) اعل فى دراسات السادة جيرار ولانكريه واستيف فى وصف مصر عن النظام المالى والادارى لمصر وعن احوال الزراعة والتجارة والصناعة (انظر المجلدين الرابع والخامس من الترجمة العربية لوصف مصر) مايدحض هذا الافتراء من اساسه ، اذ تبرهن هذه الدراسات ان هذه الوظائف الحساسة كان يعين فيها على الدوام غير المسلمين ، بل ان الفلاح كان يرتجف رعبا من سطوة المباشر والصراف ، وكان لهما حق جلده لارغامه على دفع الضرائب (انظر رحلة الى اعماق الدلتا ، تأليف دى بوا — أيميه ، المجلد الثالث من الترجمة العربية)— لقد كان عصرا عانى فيه كل المصريين ، والعبرة ليست بامور شكلية او مظهرية لكنها تستمد من الوقائع السائدة ، واذا كان صحيحا ان نتخذ الدين او الملة اساسا لتفسير ما كان يحدث لبعض المصريين ، فكيف يمكننا ، وعلى اى اساس ، أن نفسر القهر والظلم اللذين عانى منهما الفلاحون والحرفيون ، حيث كان المصرى من هؤلاء يعيش عيشة يحسد معها العبد الرقيق الذى يباع ويشترى كما نلمس ذلك مما ذكره بهذا الخصوص شابرول ، وهو لايقل فى هذا الصدد تحاملا عن مؤلفنا هنا ، فى دراسته عن عادات وتقاليد المصريين ، انظر المجلد الأول من وصف مصر ، الترجمة العربية ، الطبعة الاولى والثانية .

(المترجم).

وعند دخول الفرنسيين مصر ، كان الافندى الموكل بصنع النقود ، والذى ظل يدير هذا العمل لوقت طويل ، تارة تحت ادارة الباشوات، وتارة اخرى تحت ادارة المماليك ، يهوديا قديما جعل من نفسه مسلما .

وكان ابنه الاكبر ، الذى نشأ على الديانة الاسلامية ، هو مساعده، ويمسك حساباته .

وكانا معا ، وهما يجلسان فوق منصة عالية ، تشرف على غالبية اجزاء المشغل (او فروع العمل) ، والى جوارهما وزانان للنقود ، يمضيان كل يومهما ، جالسين فوق اريكة ، متكئين الى مخدة ، ومبسم الأرجيلة فى فمهما ، يصدران الأوامر اللازمة بنأمة من اصبع او طرفة من عين، ويدونان ويحسبان كل ماله صلة بصنع النقود ، اما فى فترات الراحة التى تتخلل العمل فكانا يؤديان الصلاة ، او يتناولان القهوة ، ثم يولمان عند منتصف النهار وليمة بالغة التقشف ، لا تتكون عادة الا من قطعة خبز صغيرة ، انضجت تحت الرماد ، مع بضع بلحات او بضع حبات من زيتون .

وكانت نسبة التالف والفاقد المسموح بها فى كل مشغل او مرحلة ، وما ينبغى ان تعود به الف قرش اسبانى تتحول الى قطع من المدينى ،او الى قطع من ذوات الاربعين والعشرين مدينى ، او ماترده مائة درهم من ذهب تتحول الى قطع من عملات الزرمحبوب ، وكذلك مصروفات الصنع واجور العمال ورواتب الموظفين ، وحتى استهلاك الخامات .. كان كل ذلك ينظم بدقة وصرامة او بشكل تقريبى او تخمينى يتم حسابه مقدما بتقديرات جزافية او عن طريق سلع تهرب الى الافندى ، لكننا عن طريق رقابة يومية على كل تفصيلة قد توصلنا الى اجراء وفورات كبيرة بعض الشىء فى نسب التالف والفاقد ، وفى استخدام الخامات ، وفى الاجور والرواتب برغم ارتفاع اسعار المواد الغذائية بسبب الحرب وبرغم زيادة الاستهلاك التى تسبب فى حدوثها وجود الجيش الفرنسى وبسبب التوقف التام للتجارة الخارجية .

ولعل اهم التحسينات التى كنا نرغب بشدة فى تحقيقها كانت تخفيض نسب التالف والفاقد التى وجدناها هائلة لاكبر مما ينبغى ، ولقد حدثت عدة مرات، سواء تم ذلك بايدينا انفسنا ، او تم على يد لجنة خاصة كان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المسيو كونتيه Conté عضوا فيها سلسلة من التجارب على الفواقد والتوالف التى تتم فى كل مرحلة او مشغل ، لكن النسبة التى حصلنـــا عليها كانت تماثل على الدوام النسبة السابقة من حيث حجمها ، بل لقد وجدناها فى بعض الأحيان اكبر بنحو طفيف مما كانت مثبتة عليه من قبل .

لقد كان الامر يقتضى منا كما سبق القول ان نغير كل اساليب ونظام الصنع وكل الآلات وان نشكل عمالا آخرين ، لكنه كان امرا غير قابل للتنفيذ فى الظروف التى وجد الفرنسيون أنفسهم فيها عندما كانوا حديثى العهد بمصر .

اما الأتراك ، فقد كان من مبدئهم وعاداتهم — وهم فى هذا الصدد يسلكون عكس مايفعله الأوربيون — أن يسعوا لأن يستعيضوا عن الماكينات والأدوات بأيدى البشر ، فى الوقت الذى يسعى الأوربيون فيـــه لاحلال الآلات والأدوات محل الجهد الانسانى .

لقد كانوا ابعد من ان يهدفوا الى تقليل عـــدد المستخدمين والعمال، فلقد كانوا يعتنقون مبدءا دينياواخلاقيا يؤدى بهم لأن يلحقوا بالعمل الواحد أكبر عدد من الرجال يقدرون عليه كى يتيحوا لهم فرصة لـــكسب العيش، ولذلك فقد كان عدد هؤلاء الملحقين بدار سك النقود يبلغ اكثر من مائتين وثمانين عاملا ، بمن فيهم ، وهذا صحيح ، ابناء العمال ، وان كان هؤلاء الأطفال يساعدون جميعا ، وعلى نحو ما ، فى العمل ، ويحصلون فى الوقت نفسه على اجور زهيدة .

وهؤلاء هم بعض الموظفين وأصحاب الأجور على اختلاف انواعهم، والذين يعملون بدار سك النقود :

وزانان احدهما مسيحى والآخر تركى ، يعملان بصفة دائمة فى وزن المواد والخامات التى تسلم الى كل شيخ او رئيس مصنع ، ويزنان كذلك المواد التى يقوم هؤلاء باعادة تسليمها ،

امين مخزن قبطى موكـــل بشراء وحفـــظ وتوزيع وحســـابات المواد الاساسية المختلفة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معير (بضمة ثم كسرة مشددة على العين) لخامات الذهب ،

حددادون يعملون بصفة يومية فى صنع واصلاح الأدوات والماكينات الضخام ، ويعملون فى بعض الأحيان فى طرق سبائك الذهب كما سبق ان ذكرنا ،

عامل ميكانيكى يسمونه الساعاتى (وهى كلمة تطلق بالفرنسية على صانع الساعات) ، موكل بتحسين وصيانة الماكينات والقطع الدقيقة مثل السكات او المربعات والمناظير ومكبس آلات القطع او القص ،

حفار كان عمله الوحيد ادخال تعديلات (او رتوش) او اعادة حفر السكات او الأنماط النقدية ،

بواب وحراس ليليون ،

سقاءون ، يذهبون كل يوم الى المدينة لاحضار المياه اللازمة للعمال ولمراحل العمل المختلفة فى قرب ، اذ كانت ميــاه آبار القلعة تميل بعض الشىء الى الملوحة ،

كاتب قبطى يدفع كل مساء أجور العمال ويمسك ســجلا بالمبـــالغ المستحقة والمدفوعة لــكل واحد من هؤلاء ،

واخيرا امام او واعظ اسلامى ملحق بزاوية صغيرة توجد فى دار سك النقود ، وكان الموظفون الاترك يذهبون اليها للوضوء والصلاة .

ويترك العمال عند دخولهم الى مصانعهم ملابسهم التى يطوونهـــا ويعلقونها بالخارج قريبا من الباب ، ويظل بعض منهم عراة فى حين لا يرتدى بعض آخر سوى السراويل ، ويضيف فريق ثالث منهم الى ذلك قميصهم ، وهو بصفة خاصة من نسيج ازرق اللون .

وعند خروجهم يفتشهم شيخ المصنع جميعـــا ، ويضطرون لاظهــار افواههم من الداخل ، ولأن يمدوا سيقانهم واذرعهم ويهزون ايديهم واقدامهم مباعدين ما بين اصابعهم ، وبرغم ان عمالنا فى فرنسا لم يكونوا فى العادة خاضعين لمثل هذه الاحتياطات المهنية فقد كانت خيانة الأمانة بينهم بالغة

الندرة ، وهذا ابلغ دليل على أن التقدم الحضارى ، أكثر تحبيذا للاخلاق اكثر منه مضادا لها ، ذلك انه يوجد اقل القليل من الأخلاقيات فىكل مكان لايستطيع المرء فيه أن يستوثق من نزاهة البشر الا عن طريق تفتيشهم ، او من فضيلة النساء الا بامساكهن خلف ابواب احكم رتاجها .

اما العقوبات التى كانت تلحق بالعمال فتشتمل على طردهم اذا ما اتوا اعمالا خطيرة ، وعلى ضربهم بعصى من الجريد فوق الظهر أو بطن القدمين ، وكان الأفندى نفسه هو الذى يقوم بانزال هذا العقاب ، اما عند الأوربيين ،وهم أكثر رقيا وأكثر دماثة فى تقاليدهم فقد كان ينظر الى أمر قيام رئيس بضرب مرءوسيه باعتباره عملا منفرا ومهينا ، أما فى الشرق ، فالناس هناك غيورون على ألاتيان بكل مايتصل بممارسة السلطة والسيطرة ، معتبرين ذلك مجدا وفخارا لهم .

وكان مايقرب من نصف عدد العمال من المسيحيين الاقباط ، وهناك نوع من التسامح يجعل المسلمين يعيشون فى سلام معهم ، ومع ذلك فلن نعدم وجود امثلة على الجشع والحقد أو عدم التسامح تدفع الأتراك فى بعض الأحيان ، باعتبارهم المتمصرين والحكام والمتشيعين للديانة السائدة، ينظرون لأنفسهم باعتبارهم جنسا له امتيازه ، وتدفعهم كذلك الى الوشاية والنميمة للاستيلاء على مكان يشغله قبطى ، مثال ذلك ماقصه علينا احد المسيحيين العاملين فى دارسك النقود ، كان من قبل رئيسا لشغل الجلوة، من ان مساعده ، وكان مسلما ، قد شغل مكانا بعد أن وشى به وامسك به ، مستخدما شهود زور قرروا انه قد جدف فى حق الله ورسوله .

ولا ينفق العمال قط ، كما يحدث عندنا ، الساعات الطوال فىتناول وجباتهم ، فهم متقشفون للغاية ، ويأكلون فى مصانعهم ، بل وفى اثناء ادائهم لأعمالهم .

لقد كانت قوتهم وهمتهم ، فى ظروف طقس وبلد سكانه فى العادة خاملون لا مبالون لهذا الحد ، مبعث دهشة لنا فى أول الأمر ، وهم فى الواقع رجال مختلفون للغاية عن اولئك الذين يمضون يومهم جالسين القرفصاء ، يدخنون ارجيلتهم ، مستبقين انفسهم بفعل تناول القهوة والتبغ والنباتات المخدرة فى حالة دائمة من السرحان شبيهة بحالة السكر .

وينبغى ان ننسب هذا الميل العام الى الاسترخاء والى القعود ، فى قلبله ، الى تاثير الطقس ، وان ننسبه ، فى كثيره ، الى فعل الاستبداد وسطوة الاعتقاد فى القضاء والقدر ، تلك التى تقنع غالبية المسلمين بان لاجدوى من ان يتعب الانسان ذاته فى ان يسعى اليوم الى رفاهية لن يكون هو على ثقة من ان يستمتع بها فى الغد ، او ان يسعى للخروج من حالة يفترض ان العناية الالهية قد شاءت له ان يكون عليها ، فالصدفة (او المشيئة) هى التى اوجدتك فيها (او خلقتك عليها) (*) . وليس ثمة من شك فى ان حكومة اخرى وانظمة او مؤسسات فكرية اخرى سوف يكون بمقدورها ان تجعل من الرجال اقوياء ، اشداء ، متحمسين للعمل ونشطاء شأنهم فى ذلك شأن الناس فى كل مكان آخر من العالم ، مادام انه يكفى، أن نغير بعض الشيء من طبائعهم وعاداتهم وبعض الظروف الخاصة التى تحيط بهم ، لتكون شبيهة بتلك التى يعمل فيها امثال هؤلاء العمال الذين تناولهم ، فهؤلاء ينشأون منذ نعومة اظفارهم داخل هذه المهنة المثابرة ، ويتعلقون بها عن طريق التنشئة والقدوة والعادة والثقة فى انهم سيتمتعون دون منغصات باجورهم الزهيدة . وفى واقع الامر ، فانهم يحصلون بانتظام ، وبصفة يومية ، على أجورهم من دار سك النقود ، ولا يتعرضون قط للاقلاق ، ولا يرغمون كذلك على اداء اعمال اضافية او اعمال سخرة، وفى الوقت نفسه ، يحصل ابناؤهم الذين يربونهم من حولهم ، على اجور متواضعة بل ان هؤلاء العمال يحصلون على اعانات عندما تجعلهم اعمالهم او عاهات قد يصابون بها ، غير صالحين للعمل .

وينبغى ان نلاحظ فى النهاية ان العمال ، الاكبر حماسة ، والاكثر توقدا ، والاشد استعصاء على التعب هم اولئك الذين يمارسون اعمالهم وهم واقفون ، وهذه عادة نادرة بعض الشيء ، حتى بين الحرفيين الذين لاتعمل الغالبية منهم الا وهممحنيون ، على نحو قريبمما هم عليه الخياطون عندنا ، لذلك ، فسوف تكون اهم اكبر نقطة انطلاق ، كى نجعل الشرقيين اكثر قوة واكبر نشاطا ، هى ان نعودهم على القيام باعمالهم وهى واقفون كما يفعل الاوربيون .

(*) واضح كل الوضوح كيف يتعارض كل مايقال هنا عما دعا اليه الاسلام من السعى والجد واعتبر ذلك فى مرتبة الجهاد المقدس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع ذلك فان واحدا من الاسباب التى تعمل اكثر من غيرها الى ايثار لحب الراحة والدعة والقعود هو هذا النوع من الخجل او الازدراء الذى تذوى او تتضاءل معه قيمة العمل عند شعب توجد به بصفة تكاد تكون دائمة طبقتان شديدتى التميز : طبقة المنتصرين او السادة الذين يقومون بالقيادة والحكم ، وطبقة المهزومين والعبيد الذين يرغمهم الاولون على ان يعملوا من اجلهم هم ، السنا نرى ، لا نزال ، آثارا بالغة الوضوح لفكرة مسبقة شبيهة ، حتى عند الامم الاوربية بالغة التحضر ، حيث كانت طبقة النبلاء الاقطاعيين ، تلك التى تستمد مكانتها من حقوق الغزو ومن قوة السلاح ، تعتقد على الدوام انها ستحط من قدرها ومكانتها اذا هى عملت ؟

ولقد اجاب واحد من هؤلاء الاتراك ، المتعجرفين على نفس قدرجهالتهم ، على صانع فرنسى كان يستحثه على الاعجاب بتفوق الأوربيين على العرب فى مجال الصناعات والفنون : اننى ارى ذلك جيدا ، اما انتم ايها الكفار فقد قضى عليكم بالعمل ، فى حين اننا نحن ، اتباع محمد ، قد خلقنا للراحة وللتامل فى عظمة القرآن (*) .

(*) ليس هناك ماهو ايسر من دحض هذه الترهات ، ايا كان شخص القائل لها ، فهى تتنافى بوضوح بالغ مع كل ما دعا اليه الاسلام من حب للعمل والسعى على المعاش ، وهذا مايستطيع ان يدلل عليه اى تلميذ صغير ، لكنه التحامل او الفكرة المسبقة او النظرة القصيرة او المغرضة ،
(المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لوحات النقود

التى ورد ذكرها فى ثنايا الدراسة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملاحظة من المترجم

كانت هذه اللوحات الاربع فى الاصل لوحة واحدة (فى الطبعة الاولى من وصف مصر) لكن مقتضيات الطبعة العربية املت علينا ضرورة تقسيمها الى لوحات اربع بيانها كما يلى :

اللوحة اولى : وتضم ستة اشكال برقم مسلسل من ١ الى ٦ وهو الرقم الذىعولنا عليه فى سياق النصالعربى ، وان كنا قد اجرينا الترتيت على اساس الطبعة الفرنسية ، اى من الشمال الى اليمين ، ويمثل كل شكل قطعة نقدية واحدة بوجهيها ا ، ب ويشار اليها فى اللوحة بـ A B (من الشمال الى اليمين) .

وتقابل الاشكال : ١،٢،٣،٤،٥،٦ الواردة هنا الاشكال ١،٢،٦،٧، ١١ ، ١٢ فى الاصل الفرنسى .

اللوحة الثانية : وتضم تسعة اشكال بارقام مسلسلة من ٧ الى ١٥، وتقابل اشكال : ٧،٨،٩،١٠،١١،١٢،١٣،١٤،١٥ الاشكال : ٣،٤،٥،٨، ٩،١٠،١٣،١٤،١٥ فى الاصل .

اللوحة الثالثة : وتضم ستةاشكال من ١٦ الى٢١ ، وتقابلالاشكال، ١٦،١٧،١٨،١٩،٢٠،٢١ الواردة بها الاشكال : ١٦،١٧،٢٠،٢١،٢٢،٢٣ فى الاصل .

اللوحة الرابعة : وتضم خمسة اشكال : من ٢٢ الى ٢٦ ، وتقابل الاشكال : ٢٢،٢٣،٢٤،٢٥،٢٦ الواردة بها الاشكال : ١٨،١٩،٢٤،٢٥، ٢٦ الواردة بالاصل الفرنسي .

اللوحة الأولى

من الشمال الى اليمين

الشكل ١ : ويمثل قطعة ذهبية ذات اثنين فندقلى (أو فندقى) .

الشكل ٢ : " " " " فندقلى (أو فندقى) واحد .

الشكل ٣ : " " " " نصف فندقى .

الشكل ٤ : " " " " نصف فندقى ايضا .

الشكل ٥ : " العملة الذهبية زرمحبوب .

الشكل ٦ : " " " زرمحبوب .

اللوحة الأولى

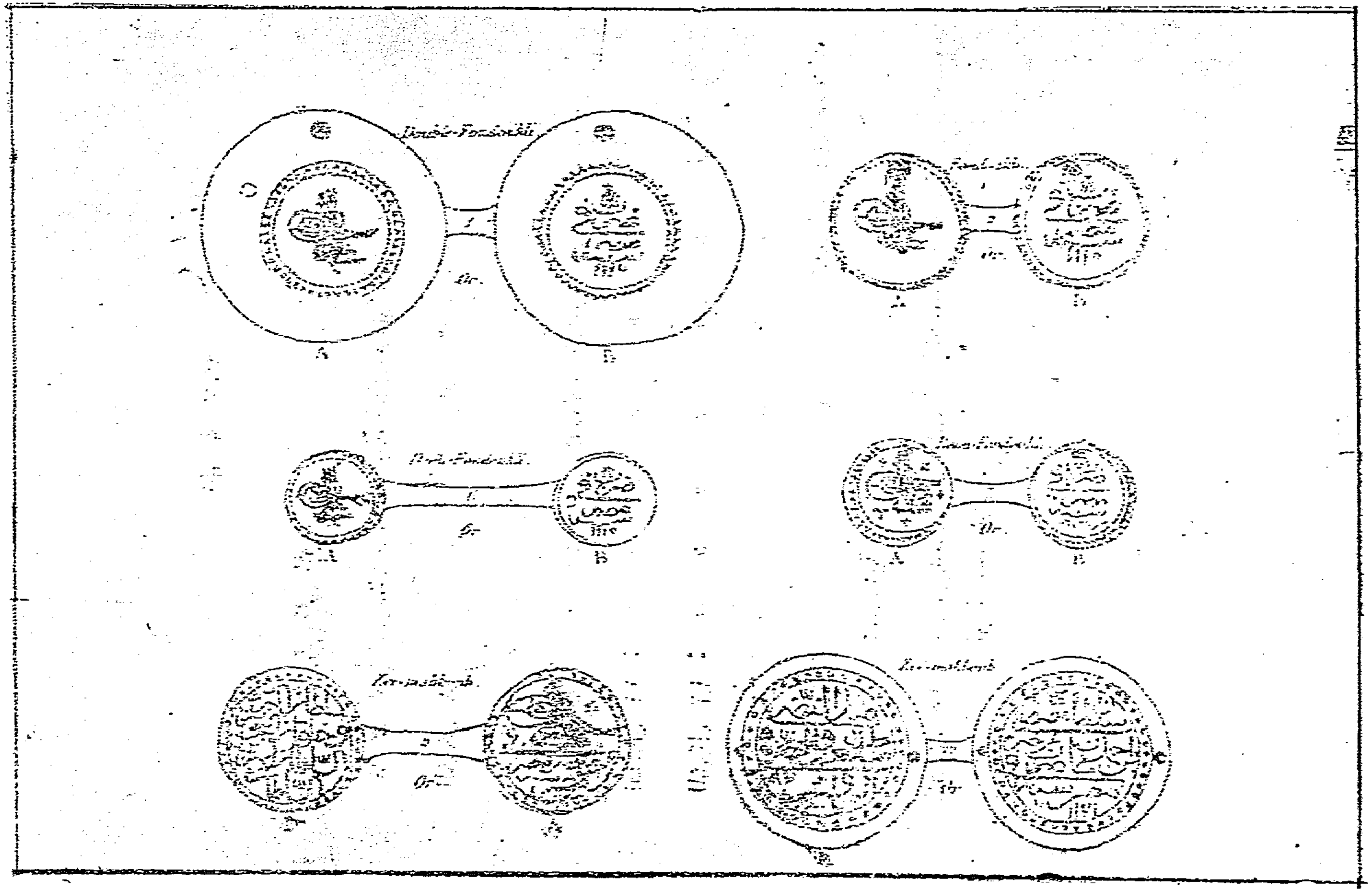

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللوحة الثانية

من الشمال الى اليمين :

الشكل ٧ : ويمثل قطعة ذهبية ذات فندقى واحد .

الشكل ٨ : » » » » » » »

الشكل ٩ : » » » » » » »

الشكل ١٠ : » قطعة من العملات الذهبية زرمحبوب ،

الشكل ١١ : » » » » » » »

الشكل ١٢ : » » » » » » »

الشكل ١٣ : » » » » » » »

الشكل ١٤ : » » » » » ذات ١/٢ زرمحبوب او
نصــفية .

الشكل ١٥ : ويمثل قطعة من العملات الذهبية ذات ١/٢ زرمحبــوب
او : نصــفية .

اللوحة الثانية

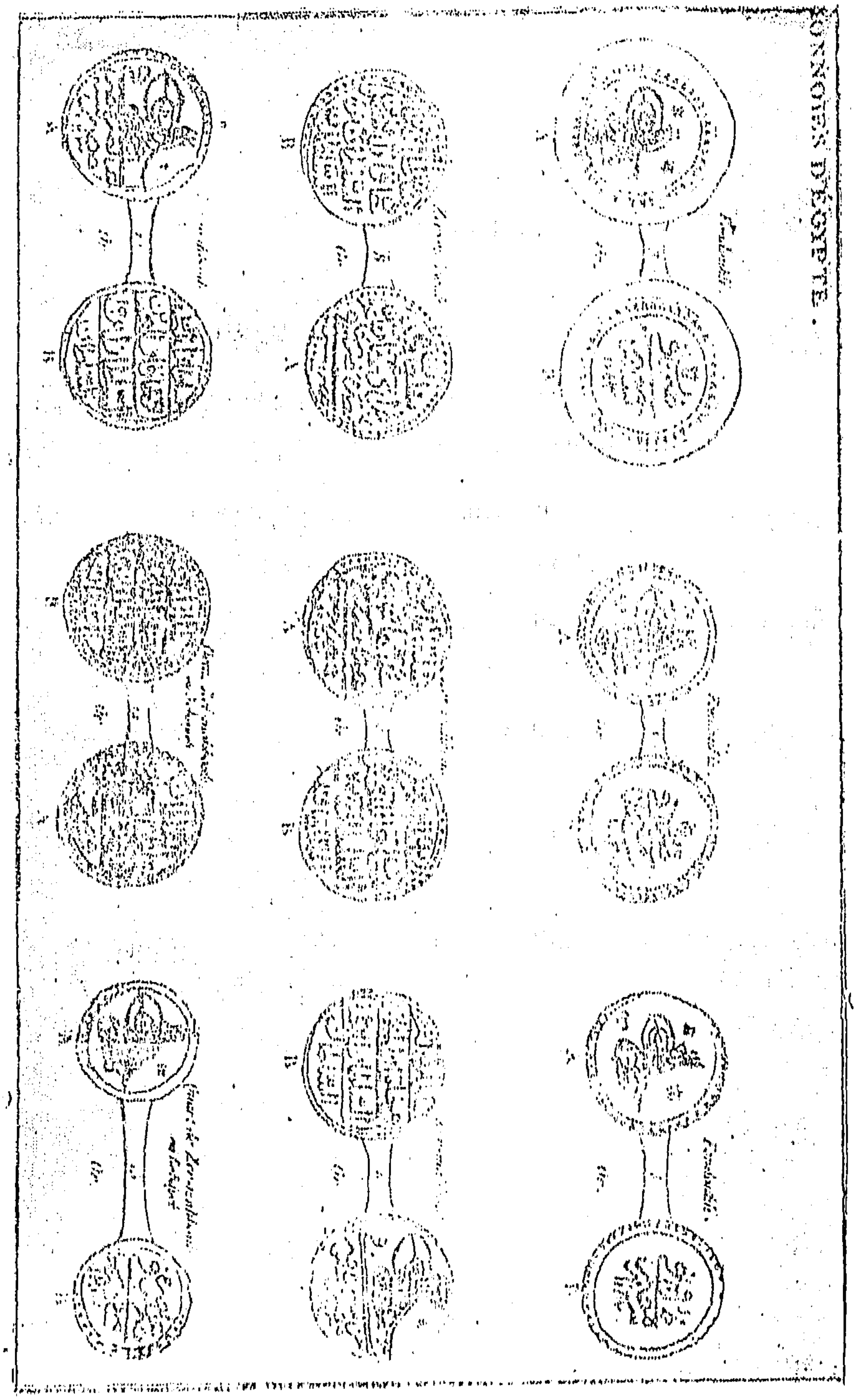

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللوحة الرابعة

من الشمال الى اليمين :

الشكل ٢٢ : ويمثل قطعة من العملات الفضية او البرونزية ذات العشرين مدينى وتسمى غرش والجمع غروش .

الشكل ٢٣ : ويمثل قطعة من العملات الفضية او البرونزية ذات العشرين مدينى وتسمى غرش والجمع غروش .

الشكل ٢٤ : ويمثل قطعة من العملات الفضية او البرونزية ذات المدينى الواحد .

الشكل ٢٥ : ويمثل قطعة من العملات النحاسية وتسمى جديد (والجمع اجداد) .

الشكل ٢٦ : ويمثل قطعة من العملات النحاسية وتسمى جديد (والجمع اجداد) .

اللوحة الرابعة

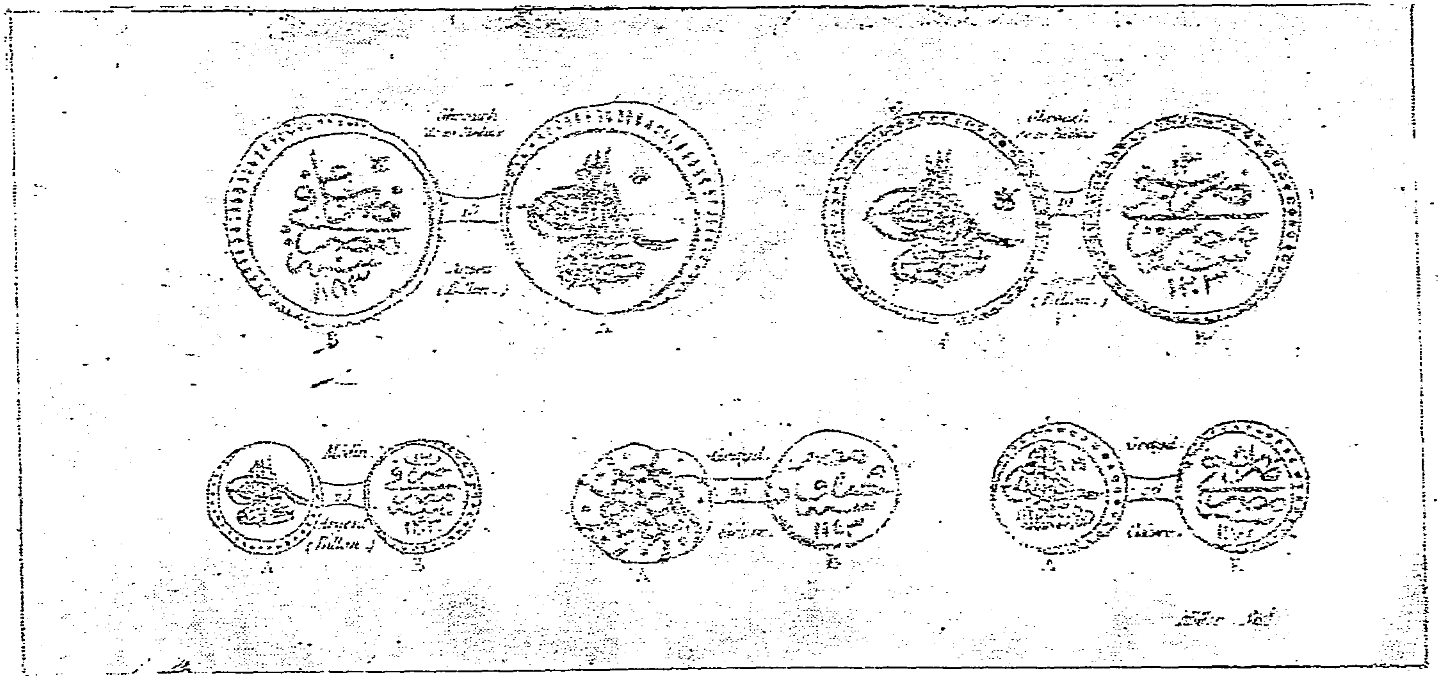

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفهرس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صفحة

مقـــدمة المترجم ٥

الـكتاب الأول : الموازين العربيـــة . . . . . . ٩ — ٤٨

الأوزان العربيـــة القديمـــة ١١ ، الأوزان الحاليـــة
المستخدمة فى التجـــارة ٢٣ ، الأوزان المستخدمة فى
مجال النقود ٣١ ، ملاحظات ٤١

الـكتاب الثانى : النقود العربية ٤٩

المقدمة : هـــدف وجدوى البحث فى موضوع النقود
العربيـــة ٥١

مؤلفون آخرون ممن كتبوا عن النقود العربيـــة . ٥٦

الباب الأول : عن النقود العربية والأجنبية المتداولة
والمصنوعة فى مصر من عصر الخلفاء حتى اليوم . . ٥٩ — ١٧٨

الفصل الأول : اسماء وانواع العملات المختلفة . . . ٦١ — ٩٢

اولا : النقود الذهبية ٦١

ثانيا : النقود الفضـــية او البرونزية ٦٨

ثالثا : النقود النحاسية ٧٧

رابعا : المسكوكات او العملات التذكارية . . . ٨٢

خامسا : النقود الزائفة ٨٧

سادسا : النقود الحسابية ٩٠

الفصل الثانى : شكل العملات وقطرها . . . . ٩٣ — ١٠٠

اولا : الشكل ٩٣

ثانيا : القطر ٩٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صفحة

الفصل الثالث : الانماط والقوالب . . . . . ١٠١ — ١٥٢
اولا : صور البشر والحيوانات ١٠١
ثانيا : النقوش الدينية او المقتبسة من القرآن ١٠٦
ثالثا : اسماء والقاب الأمراء ١١٠
رابعا : الاسماء والالقاب والحروف المميزة لنواب
السلطان والحكام فى مصر ١١٧
خامسا : الادعيات او الامانى المرجوة للامير الحاكم ١٢٣
سادسا : المدن التى تسك فيها النقود . . ١٢٤
سابعا : تاريخ الاصدار ١٢٩
ثامنا : نمط الخط وشكل الحروف ١٤١
تاسعا : الزخارف ١٤٦
الفصل الرابع : القيم المختلفة للعملات ١٥٣
اولا : الوزن ١٥٣
ثانيا : العيار ١٦٢
ثالثا : القيمة الاسمية ١٦٧
رابعا : القيمة الجوهرية او الحقيقية ١٧٤
خامسا : نسبة الذهب والفضة فى سبيكة
العملات المصرية ١٧٥
الباب الثانى : الحالة الراهنة للنقود فى مصر . ١٧٩
اساليب صنعها — ادارتها ١٧٩
القسم الأول : الحالة الراهنة للنقود ١٨١
الفصل الأول : النظام النقدى الحالى ١٨١
اولا : النقود الذهبية ١٨١
ثانيا : النقود الفضية او بالأحرى البرونزية . ١٨٢
الفصل الثانى : مبادلة او مقايضة خامى الذهب
والفضة ١٨٣
اولا : الأساليب التى تزود بها دار سك النقود
بالقاهرة بخامى الذهب والفضة ١٨٣
ثالثا : اسعار الذهب والفضة فى مصر . . ١٨٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صفحة

الفصــــل الثالث : الأرباح التى تجنيها الحكومة من عملية صنع النقود ١٩٦
اولا : اجمالى الاستقطاعات التى تتم كحق سيادة ١٩٦
ثانيا : تقدير منفصل لنفقات الصنع ونسبة التالف والفاقد ، واجور الايدى العاملة ، وصافى الربح ١٩٩
ثالثا : الــكميات المصنوعة ٢٠٣

الفصل الرابع : توفير السلع المختلفة اللازمة لصنع النقود واثمانهـــا ٢٠٦

القسم الثانى : اساليب وطرق صنع النقود . . . ٢٠٩

الفصل الأول : صنع قطع المدينى ٢٠٩

اولا : تعيـــير خامة الفضـــة ٢٠٩
ثانيا : عملية المزج ٢١٢
ثالثا : مشغل او عملية الصهر ٢١٦
رابعا : مشغل او عملية الحدادة او الطرق . ٢٢١
خامسا : مشغل او عملية السحب ٢٢٢
سادسا : مشغل أو عملية الترقيق ٢٢٥
ســـابعا : « « التقطيع . . . ٢٢٧
ثامنـــا : « « التبييض او الجـــلوة ٢٢٨
تاســـعا : « « الرقاصات أو مصانع ســـك العملة ٢٣٠
عاشرا : مشغل الصرافين او مرحلة عد ووزن المدينى ٢٣٢

الفصل الثانى : صنع القطع ذات الاربعين والعشرين مدينى ٢٣٤
اولا : المزج والصهر ٢٣٤
ثنيـــا : آلات التصفيح او عملية تحويل السبئك الى صفائح ٢٣٥
ثالثـــا : آلة القطع ٢٣٦
رابعـــا : عملية التعيير ٢٣٧
خامسا : عمليـــة الجلوة او التبييض . . . ٢٣٧
سادسا : عمليـــة السك أو الضرب . . . ٢٣٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صفحة

الفصل الثالث : صنع العملات الذهبية . . . ٢٣٩

اولا : عملية الصهر ٢٣٩

ثانيا : عمليــة المزج ٢٤٠

ثالثا : قياس العيــار ٢٤١

رابعا : الحدادة أو الطرق ٢٤٦

خامسا : اداة السحب ٢٤٦

سادسا : القطع ٢٤٧

سابعا : عملية الترصيع او التسطيح . . . ٢٤٧

ثامنا : عملية ضبط الوزن ٢٤٨

تاسعا : عملية الترقيق ٢٤٨

عاشرا : وضع الأطر فوق حواف العملات . . ٢٤٩

حادى عشر : عملية الجلوة ٢٥٠

ثانى عشر : عملية السك او الضرب . . . ٢٥١

الفصل الرابع : حفر السكات ٢٥٢

القسم الثالث : الادارة ٢٥٥

اولا : الرقابـــة والادارة ٢٥٧

ثانيا : الموظفون ، شيخ المصنع ، العمال . . ٢٥٩

اللوحات ٢٦٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتب أخرى للمترجم

أولاً : فى مجال الأدب :

١- المطاردون (مجموعة قصص قصيرة) .

٢ - حكايات من عالم الحيوان .

٣ - المصيدة (مجموعة قصص قصيرة) .

٤ - موتى بلا قبور (مسرحية تأليف چان بول سارتر) .

٥ - السماء تمطر ماء جافا . . .

(رواية تسجيلية تتناول وقائع الوحدة المصرية السورية وانفصالها) .

ثانيا : فى مجال التاريخ :

١ - تطور مصر من ١٩٢٤ إلى ١٩٥٠ . تأليف مارسيل كولب .

٢ - فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية . تأليف أندريه ريمون .

ثالثا : الترجمة العربية الكاملة لموسوعة وصف مصر تأليف علماء الحملة الفرنسية .

١ - المصريون المحدثون .

٢ - العرب فى ريف مصر وصحراواتها .

٣ - دراسات عن المدن والأقاليم المصرية .

٤ - الزراعة ، الصناعات والحرف ، التجارة .

٥ - النظام المالى والإدارى فى مصر العثمانية .

٦ – الموازين والنقود .

٧ – الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين .

٨ – الموسيقى والغناء عند المصريين المحدثين .

٩ – الآلات الموسيقية المستخدمة عند المصريين المحدثين .

١٠ – مدينة القاهرة – الخطوط العربية على عمائر القاهرة .

رابعاً : لوحات موسوعة وصف مصر :

١ – المجلد الأول والثانى للوحات الدولة الحديثة .

٢ – المجلد الأول من لوحات الدولة القديمة .

خامسا : من موسوعة وصف مصر :

(دراسات مختارة من الموسوعة فى كتيبات)

١ – كيف خرج اليهود من مصر القديمة .

٢ – مدينة الأسكندرية .

٣ – مدينة رشيد .

تحت الطبع

– مقياس الروضة .

– القاهرة المملوكية .

– بقية مجلدات لوحات موسوعة وصف مصر .

– بقية الدراسات المختارة من موسوعة وصف مصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رقم الايداع بدار الكتب ٢٠٧٤/١٩٨٠

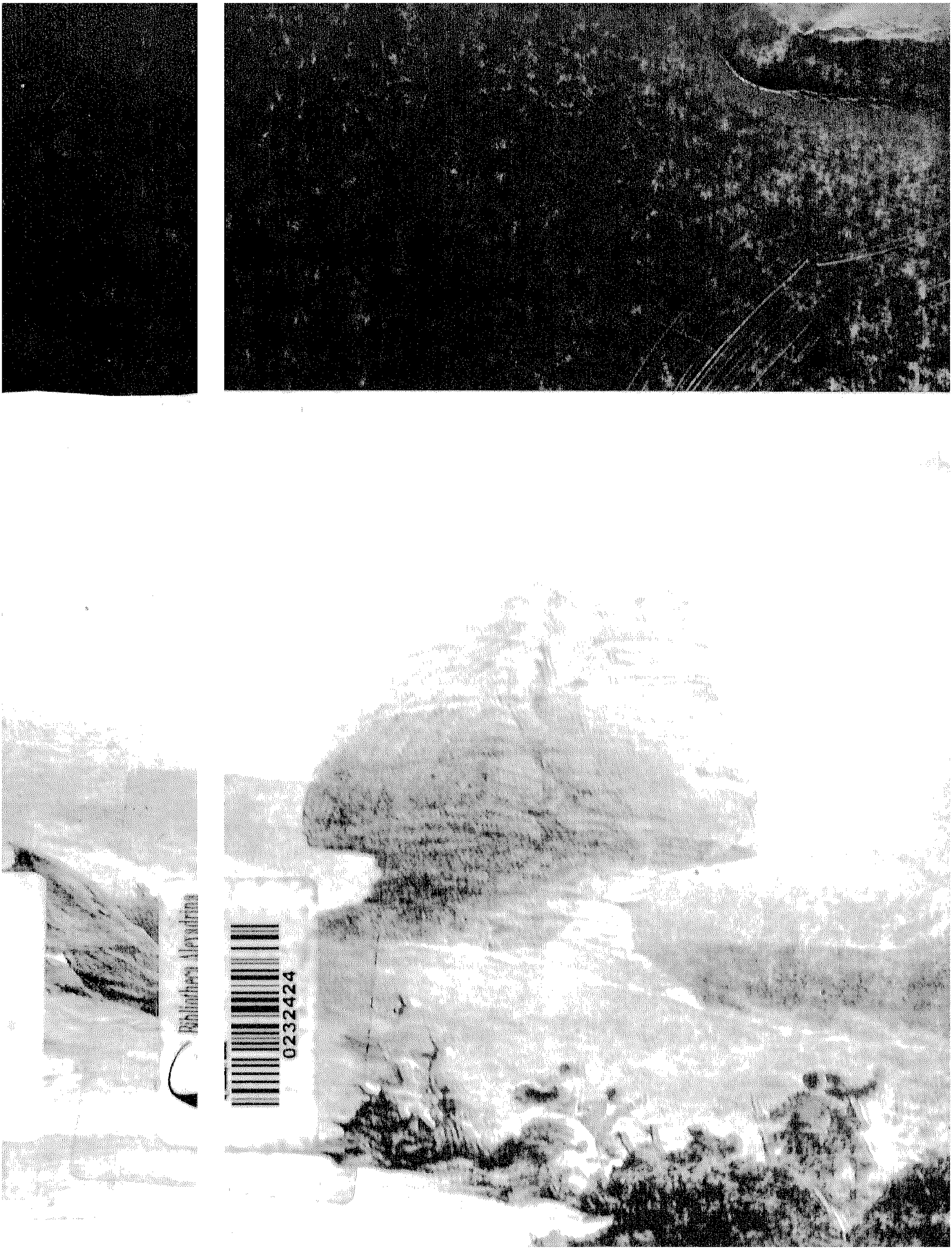

Bibliotheca Alexandrina
0232424

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الترجمة الكاملة
(٧)

وصف مصر

تأليف
علماء الحملة الفرنسية

ترجمة
زهير الشايب

الموسيقى والغناء
عند قدماء المصريين

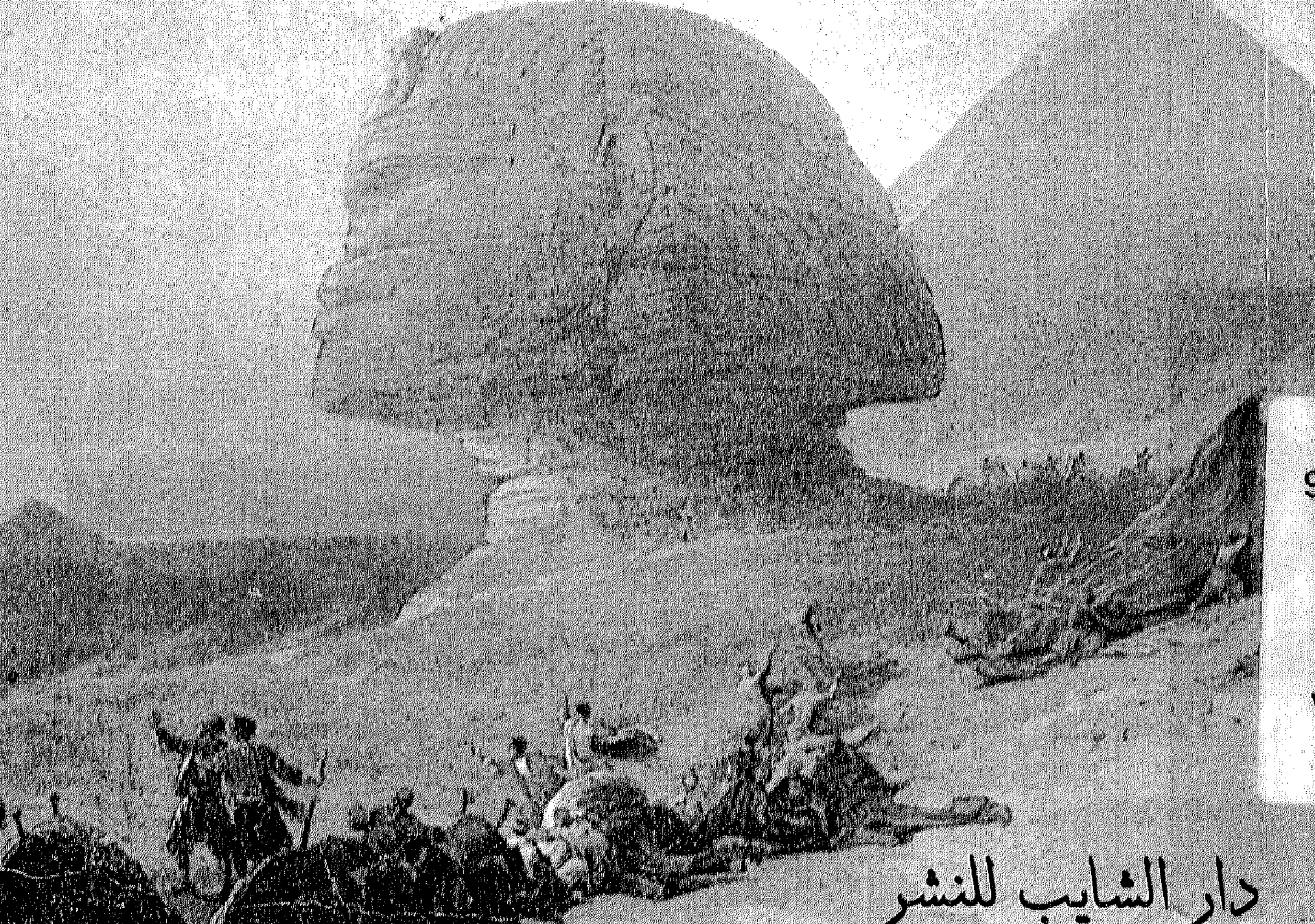

دار الشايب للنشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٧
وصف مصر
الترجمة الكاملة

وصف مصر

الموسيقى والغناء
عند قدماء المصريين

تأليف
علماء الحملة الفرنسية

ترجمة
زهير الشايب

دار الشايب للنشر
١٠ ش سليمان الحلبى - التوفيقية
ت: ٥٧٤١٣٧١ - ٥٧٢٦٨٣٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفهرس

القسم الأول

مقدمة ٥

المبحث الأول :

الدوافع من وراء هذه الدراسة ،

وبيان وسائلها وخطة العمل فيها.............................. ٩

المبحث الثانى :

عن الموسيقى المصرية القديمة فى

حالتها الأولى ٢٥

المبحث الثالث :

عرض موجز لطبيعة الموسيقى ،

وبصفة خاصة فن الغناء عند الأقدمين ٣٩

المبحث الرابع :

أصل ومنشأ الموسيقى فى مصر

طبقا لروايات التاريخ وللروايات الشائعة ٥٩

المبحث الخامس:

الحالة الثانية للموسيقى فى مصر .. ٩٩

القسم الثانى

ص

الفصل الأول : عن الآلات الوترية ١٣٩

ملاحظات تمهيدية ١٤١

المبحث الأول : عن الطيبونى ، أو عن الاسم النوعى الذى

أطلقه المصريون القدماء على الآلات الوترية طبقا لما يذكره جابلونسكى ١٤٣

المبحث الثانى : عما إن كان الطيبونى يوقع أو ينقر بالريشة ،

وما هو الغرض الرئيسى من استعماله ١٤٧

المبحث الثالث : ما هو مشترك بين الطيبونى وبين الآلات

الأخرى ، وكم كان هناك من أنواع الطيبونى ١٤٩

المبحث الرابع : كان اسم البسالتريون هو الأقدم والأكثر انتشارا . وهو اسم لآلة مصرية قديمة . أصل هذا الاسم . كان الاسم يستخدم كصفة للطيبونى ١٥٣

الفصل الثانى : عن الأنواع المختلفة من آلات النفخ عند المصريين القدماء ، عن أصلها واستعمالها وأسمائها ١٥٦

المبحث الأول : عن ابتكار وأصل النايات بصفة عامة ١٥٦

المبحث الثانى : عن ابتكار وأصل الناى المصرى ١٥٨

المبحث الثالث : عن اسم الناى المستقيم فى اللغة المصرية ، وعن تأثيره واستخدامه ١٦٢

المبحث الرابع : عن اسم المزمار والناى المقوس فى اللغة المصرية ١٦٦

الفصل الثالث : عن الآلات الصاخبة أو الجرسية عند المصريين القدماء ١٦٩

المبحث الأول : عن رأى بعض العلماء حول شكل واسم المزهر ١٦٩

المبحث الثانى : عن اسم المزهر فى اللغة المصرية وعن اشتقاق كلمة سستر (مزهر أو جلجل) ١٧٣

المبحث الثالث : عن نوع آخر من الآلات الجرسية عند المصريين القدماء وعن اسمه فى لغة هؤلاء الأقوام ١٧٩

الفصل الرابع : عن آلات الإيقاع المستخدمة فى موسيقى قدماء المصريين ١٨١

المبحث الأول : ملاحظات تمهيدية ١٨١

المبحث الثانى : عن آلة ايقاع معينة فى موسيقى قدماء المصريين ؛ عن شكلها واستخدامها ؛ وعن صلتها الحميمة بنوع من الآلات المستخدمة فى بعض الكنائس المسيحية فى الشرق ١٨٢

المبحث الثالث : عن الدف القديم فى مصر ١٨٤

المبحث الرابع : عن اسم الدف القديم فى اللغة المصرية وهو المعروف فى لغتنا الدارجة باسم دف الباسك ١٨٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة

على الرغم من أن الدراسة التى يتضمنها هذا الكتاب تدخل ضمن نطاق دراسات الدولة أو الحالة القديمة لمصر ، فى السفر الكبير المسمى « وصف مصر » ، فــإن المنهج الذى اختطته لنفسها الترجمة العربية قد حسم ضرورة ورودها فى هذا الترتيب ؛ فهذه الدراسة التى تتناول فى ثناياها الحالة التى كان عليها فن الغناء والموسيقى فى مصر القديمة ، وهى فى حد ذاتها دراسة متكاملة تتناول موضوعا له أهميته ، إلا أنها تعد فى الوقت نفسه ، وفى الاطار الذى شاءت الترجمة العربية أن تضعها فيه ، مقدمة لا غنى عنها لموضوع المجلدين القادمين ، الثامن والتاسع ، إذ يتناول المجلد الثامن الحالة الراهنة ـــ وقت الحملة الفرنسية ـــ لفن الموسيقى والغناء عند المصريين المحدثين ، ويتناول المجلد التاسع الآلات الموسيقية التى يستخدمونها ، وهكذا نستطيع أن نطلق على مجموعة المجلدات السابع والثامن والتاسع اسم : موسوعة الموسيقى والغناء عند المصريين . وسوف يكتشف القارىء الكريم أن هذا التقسيم – فى هذه الموسوعة – لم يأت اعتباطا ، فلسوف يشار إلى الدراسة التى يتناولها الكتاب الذى بين يدينا فى مواضع عدة من الكتابين اللذين سيعقبانه : أى الثامن والتاسع .

ولسوف يكون تكرارا مملا أن نعيد إلى الأذهان خطة الترجمة العربية فى إعادة تبويب دراسات وصف مصر على أساس منهجى وموضوعى فقد تمت تغطية هذه الفكرة فى مقدمات الأجزاء الستة التى تم صدورها ، ومع ذلك فينبغى القول إن القسمين اللذين تتكون منهما هذه الدراسة ، لم يأتيا متجاورين ضمن دراسات الدولة القديمة ، بل لقد جاءا متناثرين : فالقسم الأول الذى يشتمل على فن الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين قد استغرق الصفحات من ٣٥٧ إلى ٤٢٦ ؛ فى حين جاء القسم الثانى والذى يتناول الآلات الموسيقية التى كان يستخدمها المصريون القدماء فى الصفحات من ١٨١ إلى ٢٠٦ ؛ وهكذا تجىء الترجمة العربية لتضم هذا الشتات المبعثر لتجعل منه وحدة عضوية واحدة ؛ وليس فى هذا أى ادعاء أو محاولة للتباهى ، وإنما هو مجرد تبرير يجىء لدعم صحة المنهج الذى اختطته لنفسها هذه الترجمة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن جهة أخرى فإن هذه الدراسة تقدم لنا فرصة تسنح لأول مرة ، فى مسيرة هذا العمل ؛ فهــا نحن بصدد دراسة تتناول جانبا من الحياة فى مصر القديمة ، تمت كتابتها فى العصر الحديث ، من قبل أن يتم الكشف عن أسرار الكتابات والنقوش المصرية القديمة ؛ ولسوف يجد فيها القارىء العادى أمورا جديرة بالاهتمام ، أما القارىء المتخصص فسيجدها فرصة مواتية للمقارنة بين النتائج التى انتهى إليها علماء الحملة ، والأسس التى أقاموا عليها دعواهم أو افتراضاتهم بهذا الخصوص ، وبين ما نطقت به الرموز بعد أن فكت طلاسمها ، والشهادات التى لا تزال تدلى بها كل يوم الاكتشافات الأثرية التى تتم والمؤلفات الهامة التى تصدر داخل وخارج مصر. وقد تكون هذه الدراسة ذات إسهام كبير فيما يتصل بتاريخ العلم ، لكننى أظن ، ولست فى هذا أصدر حكما قاطعا ، وإنما هو مجرد اجتهاد ، ان الدارس هنا لم يكن بعيدا عن الصواب فى الكثير مما قال ومما انتهى إليه ، ذلك أنه لم يصدر عن فراغ مطلقا ، وإنما هو قد تقصى — بمعنى الكلمة — كل ما كتب فى مؤلفات العصور القديمة متناولا شئون مصر ، واعتمد على مؤلفين لهم شأنهم ، كثيرون منهم كانوا معاصرين للأحداث وشهود عيان عليها كفلاسفة اليونان ومؤرخيهم وشعرائهم ، وبعضهم الآخر كان قريبا من هذه الأحداث ، مشهودا له بالدقة وسعة الأفق .

ومع أننى لست من هواة استعراض المصاعب التى تواجهنى فى عملى ، إذ اعتبرها من خصوصياتى وحدى من جهة ، ولأننى أعتبر المصاعب التى تنتهى أمرا فى حكم الشىء الذى لم يكن ، أو الذى هو من طبائع الأمور ، إلا أننى لابد لى من أن أشير إلى صعوبة واحدة التمس بها العذر ألا وهى طول الجملة الفرنسية ، التى تعد من سمات مؤلف هذه الدراسة والدراستين التاليتين ، ولست أسوق ذلك إلا لكى أعتذر بدورى عن الطول المرهق للجملة العربية فى الترجمة ، التى أتوخى فيها أن تأتى مطابقة ليس فقط للمعنى وإنما لروح كاتبها كذلك ؛ وهناك صعوبة ثانية تتمثل فى تلك النصوص اللاتينية الكثيرة التى وردت فى حواشى هذه الدراسة ، وكذلك فى أسماء العشرات من المؤرخين والفلاسفة والشعراء والأبطال والآلهة ، وبعض هؤلاء جميعا لم نسمع ، ربما ، باسمهم ، والذين ترد أسماؤهم متخذة الشكل الفرنسى الذى شاء الفرنسيون أن يدونوا ويلفظوا بها هذه الأسماء بما يتفق مع لسانهم هم وليس كما هى عليه فى أصولها التى جاءت عنها ؛ وكذلك فى مئات المؤلفات التى تشير إليها هذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدراسة ، وغالبيتها لم يسمع بها من قبل . وكان يمكن أن يشكل ذلك ثغرة خطيرة فى هذا العمل ، لولا أن شاء الصديق الأستاذ الدكتور حمدى إبراهيم أستاذ اللغات القديمة بكلية الآداب بجامعة القاهرة أن يتولى عن طيب خاطر سد هذه الثغرة التى أشفقت منها على العمل برمته ؛ ولقد بذل فى سبيل ذلك جهدا مضنيا ومشكورا . ولم يقتصر على ترجمة النصوص المطلوبة فحسب ، بل لقد شاء أن يقدم ترجمة إلى العربية للمراجع التى يشير إليها النص الفرنسى نقلا عن اللغتين اليونانية واللاتينية . ولقد رأيت أن آخذ بها منحيا الأصل ، على اعتبار أن هذه المراجع المشار إليها ليست متيسرة للقارىء العربى ، ومن الأفضل ، كما افترضت أن يكون القارىء فى الصورة عن أن يكون فى متناوله ما لا يفيد منه ؛ كما قام الصديق الكريم برد كل الأسماء التى عرضتها عليه فى شكلها الفرنسى إلى أصولها اليونانية واللاتينية وهو ما يتفق مع منهجنا عند الترجمة إلى العربية ؛ ومع ذلك فإن اسما مثل بلوتارخوس كان يرد مرة على هذا النحو ومرة أخرى بلوتارك ، وكنت أحرص على الشكل الثانى للاسم عندما نكون بصدد عمل له عاد فيه مؤلفنا إلى الترجمة الفرنسية له وليس إلى أصله اليونانى مثل أسطورة إيزيس وأوزيريس .

وإذا كنت لا أذهب إلى بعيد حين أوجه للأستاذ الدكتور حمدى ابراهيم شكرا لا مزيد عليه ، فإننى فى نفس الوقت لا أنسى ما وجدته من عون من الصديق الأستاذ رينيه خورى ، والأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف وغيرهما ؛ وفى الوقت نفسه فلست أمل من توجيه الشكر للأستاذ الدكتور عبد العزيز الدسوقى رئيس تحرير مجلة الثقافة على ما يوليه لهذا العمل ولصاحبه من عون وتشجيع ؛ كما أوجه شكرا وافيا لمكتبة الخانجى على ما تبذله فى سبيل الارتفاع بمستوى هذا الكتاب طباعة وإخراجا ، وعلى ما تبذله بسخاء حتى يكتمل صدور العمل كله ، نصا ولوحات فى شكل جدير به .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجنبنا العثرات وأن يأخذ بيدنا ، وأن يوفقنا فى تقديم هذا العمل الذى نرجو أن يكون فيه نفع وطننا مصر ، وأخوتنا فى الوطن العربى الكبير .

ابريل ١٩٨١

زهير الشايب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الأول

الدوافع من وراء هذه الدراسة ، وبيان وسائلها وخطة توزيع العمل فيها ، أو بمعنى آخر : المقدمة التى نتفحص فى ثناياها ماهية الوقائع والشهادات ، والأدلة التى يمكن أن نستخلص منها بعض النتائج التى تفيد فى التوصل إلى معرفة الحالة التى كانت عليها موسيقى قدماء المصريين ؛ والتى نتصدى فيها فى نفس الوقت (أى فى هذه المقدمة) للشكوك التى اعتاد البعض أن يلقى بظلالها على درجة النضوج التى بلغها هذا الفن فى الأزمنة الضاربة فى القدم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل شيء بمصر يعود بذهن الرحالة إلى ذكريات بالغة العظمة ، وكل ما فيها يترع روحه بعاطفة بالغة العمق ، بالغة القوة لدرجة لا يستطيع معها أن يقنع – هناك – بمجرد الإعجاب السلبى والعقيم ؛ فهذه الأهرام الضخام التى يراها الناس تعلو هذا العلو السامق ، فى الصحراء عن يسار النيل ، والتى يتجمع بعضها ، بل قل يتكدس على نحو ما قريبا من الجيزة ، فى حين يتناثر بعضها الآخر فى خط يمتد من سهل سقارة حتى منطقة قريبة من أسوان ؛ وهذه المقابر الفسيحة والرائعة ، المحفورة فى جبال الهضبة الليبية والتى تزدان برسوم تحتفظ ألوانها – ما تزال – بزهوتها ؛ وهذه الألوف من الكهوف أو المغارات التى تخترق صلابة هذه الجبال فى الجزء الأكبر من امتدادها ؛ وهذه الجبانات الفسيحة والعميقة ، والتى تتراكم فيها ألوف المومياوات ؛ وهذه التماثيل العماليق ؛ وهذه المسلات التى يصل ارتفاعها لأكثر من ثمانين قدما ، والمصنوعة من قطعة واحدة من الجرانيت وبتصميم وتنفيذ بالغى الدقة ؛ وهذه المعابد ، هذه القصور ، هذه الأعمدة التى لا يمل المرء البتة من إبداء إعجابه بعمارتها المدهشة والمتناسقة ؛ وهذه الخرائب الهائلة والمهيبة التى تنتشر أو تنتثر من كل جانب وفى كل مكان والتى استنفد فيها كل من الغضب الجاهل المدمر ، وهمجية التعصب كل جهودهما التى لا تجلب إلا الكوارث عادة ؛ وباختصار فإن كل هذه المنشآت التى انحنى الزمن احتراما لها . والشواهد الخالدات على عظمة الأمة التى تنتمى إليها[1] تصدم بقوة خيال المراقب ، وتشعره بنشوة روحية حتى ليظنن نفسه معاصرا لأعظم وأشهر فلاسفة ومشرعى العصور القديمة ، وحتى ليتوهمن أنه يراهم يهرعون من كل مكان – لا يزالون – كى يتوجهوا إلى هذا البلد الشهير حتى يتلقوا هناك دروس الحكمة ، ولكى يكونوا هناك أفكارهم الراسخة عن الدين والقوانين ، ولكى يوسعوا هناك من معارفهم : ولسوف يخيل إليه أنه يقفوا فى إثر خطوات ميلامب ، موسايوس ، وأورفيوس وهوميروس ، وليكورج وطاليس وسولون وفيثاغورث وأفلاطون ويودوكسوس ... وكثيرين غيرهم من الرجال اللامعين[2] المشهود لهم بجدارتهم فى

---

(١) لست أدرى لماذا تؤدى المصالح السياسية ، وهى لا تتفق كثيرا مع شئون الفنون والعلوم لأن نضحى بالكثير من هذه الصروح الرائعة وذلك بتركنا إياها بين يدى شعب همجى (كذا !) لا يكف عن هدمها وتدميرها ؟ أليس من الواجب على أوربا ، التى لابد لها أن تستشعر منذ الآن جدارتها الكاملة بهذه الصروح والآثار ، ان تتكاتف جميعا ، لتتفق على أن توكل هذه الآثار إلى أمة منظمة ومستنيرة ؟ .

(٢) Plutarque, d'Isi s et d'Osiris, pag, 320, trad. d'Amyot, Paris, 1597, in- fol. =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تلقيـــهـــم على يد القدماء المصريين أسرار العلوم المقدسة التى كان لهؤلاء المجد فى أن ينقلوها – هذه العلوم –إلى معاصريهم وفى أن يجعلوا من اسمهم إسما مخلدا وباقيا ، بل إن المرء ليظن أنه يعيش فى مجتمعهم وفى أنه يحضر اجتماعاتهم (أى اجتماعات فلاسفة اليونان) مع كبار الكهان ، وأنه يكاد يسمعهم يتناقشون فى النقاط بالغة الأهمية فى الميثولوجى والسياسة والأخلاق والعلوم والفنون . إن كل ما سبق للدراسة إن علمته لهذا المراقب عن أنظمة وتقاليد القدماء المصريين فسوف يخط فى ذاكرته من جديد وهو يقف بين هذه الأسوار الصامتة التى خصصت لتأمل عجائب الطبيعة ؛ ولابد انه سيأسف لأنه لم يعد بقادر على أن يستمع كذلك لهذه الأغنيات الالهية ، هذه التراتيل ذات الأنغام بالغة النقاء والتى كانت تتردد أصداؤها فيما مضى وطبقا لما يورده أفلاطون ، بين جدران هذه المعابد العظيمة والمعتمة والتى انشئت خصيصا للاحتفال بأسرار العبادات ، وسوف يفحص هذه المناظر المختلفة ، الواحدة بعد الأخرى ، وهى المناظر المنقوشة والمرسومة والتى تزدان بها الواجهة الكلية لهذه المبانى الثمينة سواء من الداخل أو من الخارج . ولسوف يجد فيها فى واقع الأمر أفكارا أكثر دقة وأكثر وثوقا عن تلك التى كان قد اغترفها من الكتب عن العادات والممارسات الدينية والسياسية والمدنية والريفية والمنزلية وغيرها لهذا الشعب ، الذى ينظر لنظامه السياسى باعتباره نموذجا لغالبية الشعوب القديمة(١). هنا سيتاح له أن يرى مشاهد رمزية ، وحفلات دينية ، ومواكب مصفوفة يصحبها موسيقيون ، بعضهم يغنى ، وبعضهم الآخر يقوم بالعزف باستخدام آلات عزف متنوعة ويتقدم هذه المواكب ويتبعها كهان موكلون بالقرابين . يذهبون لتقديمها للآلهة : هناك ، حيث يؤدى كل ذلك فى شكل ألعاب رياضية أو فى شكل رقصات : وأبعد من ذلك بعض الشيء توجد (رسومات تصور) هجمات ومعارك نميز فيها المنتصرين والمهزومين ، الأسرى أو عبيد الحروب ؛ أما فى مكان آخر فنجد المذنبين المدانين يتلقون صنوف العقاب أو يتحملون وطأة الموت (الذى حكم به عليهم) . وفى مكان آخر كذلك نلاحظ أنظمة كاملة من الأفلاك والنجوم ، ثم نجد رسوما تصور حفلات مختلفة عن الحياة

Diodor Sic. Biblioth. hist. lib. I, Cap, 98, pag. 289, gr. et lat., Biponti, 1793, in 8 °. = Clem. Alex. Storm., lib, I, pag. 302; lib VI, pag. 629; Luter, Paris, 1641.

(١) Diodor Sic. Biblioth. hist. lib I, Cap, 13, 14, 15, 28, 29, 96, 97, 98, édit sup. Cit.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المدنية : الزواج ، الزفاف ، حفلات التعميد ، حفلات التحنيط ، حفلات التطهير ، مواكب الجنازات ، الأعمال المتنوعة التى تشكل فى مجموعها الحياة الأسرية ، أعمال الزراعة ، والحرث ، والبذر ، والحصاد ، وجنى العنب ، والصيد ، وصيد السمك . ووسائل الحياة الرعوية : فكل عصور مصر القديمة تعود متجسدة إلى الحياة فى نظرة واحدة ، ذلك أن كل شيء هنا جديد (على المشاهد) يجذب انتباهه ، ويسترعى نظراته ، وسرعان ما يصبح موضوعا لدراسة تستحوذ عليه ، مع اهتمام يتولد دونما انقطاع : أما الفتنة التى تشع من هذه الرسوم فلها سطوتها حتى لا يستطيع المرء إلا بمشقة بالغة أن يخرج من إسارها وأن يحسم أمره كى يترك هذا الرسم ليتأمل الرسوم الأخرى ، واحدا بعد الآخر ، وكم يود المرء لو أمكنه أن يوجد فى كل مكان فى وقت واحد . أما الفضول — فضول كل من يرى ذلك ، وهو فضول نهم لا يشبع على الدوام أبدا ، فلا يخلى مكانه إلا بفعل لهفة أكثر نهما وجشعا تدفع كل من يراها كى يرى كل شيء .

على هذا الحال والمنوال ، وخلال رحلتنا إلى مصر ، قد عبرنا هذا البلد بكل امتداده : وبرغم أننى كنت لا أزال بعد فى حالة نقاهة عقب رمد طويل وقاس ، قاوم بعناد كل أفانين الطب ، وبرغم أننى كنت لم أزل بعد واهنا كذلك ، فقد تقدمنا ، يرشدنا فى مسيرتنا زملاؤنا الحاذقون المتبحرون فى العلم ، حتى بلغنا ما وراء الشلال (الجندل) الأول للنيل ، على مسافة قصيرة من المنطقة الاستوائية ، وفى قيظ الصيف ، ودون أن نعطى لأنفسنا راحة يوم واحد ، بل وبدون حتى أن نلقى بالا للتعب الشديد الذى اعترانا ، بل على العكس من ذلك فقد كنا نحس بقوتنا تتزايد ما إن يتعلق الأمر بزيارة أثر تاريخى (جديد) ، مهما يكن الطريق شاقا لبلوغ هذا الأثر ، إما لأن الأمر يقتضى منا أن نعبر سهلا فسيحا من رمال حارقة وإما لأننا نضطر للمشى فوق نتوءات سلسلة لا نهاية لها من الصخور ، وإما لأنه كان من الضرورى ان نتسلق جبالا وعرة أو أن نشق لأنفسنا طريقا فوق أكوام هائلة من الخرائب . وفى النهار كنا نسارع بتدوين مذكرات عماكنا قد شاهدناه ، وكنا نحرص بصفة خاصة على ألا نهمل أدنى شيء يتصل بموضوعنا ؛ وفى المساء ، كنا نراجع ما دونا ونعيد تبويب مذكراتنا أو نراجعها لتبلغ أقصى قدر من الدقة ، وقد كنا نحس بأننا نحصل على مقابل أكبر بكثير مما تعود به رحلة مماثلة (فى أماكن أخرى) ؛ حتى أننا لم نكن لنترك لحظة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واحدة تفلت دون أن نفيد منها . ولعلنا فى ذلك كله لم نكن مدفوعين لكل هذه الأمور بفعل الحماسة التى كانت تحفزنا أو بالرغبة فى الاقتداء بزملاء يجدر بنا أن نقتدى بهم ، بقدر ما كنا مدفوعين لذلك كيما نجعل أنفسنا جديرين بالمهمة الجليلة التى قبلنا القيام بها .

ومع كل هذا ، وها نحن أولاء نعترف بذلك ، فإن أبحاثنا بخصوص الموسيقى لم تؤت كل ،كلها ، فقد جاءت أكثر جدبا بكثير عما جاءت عليه – نسبيا – تلك الدراسات التى تناولت أى موضوع آخر ، كما كان عملنا فى هذا المجال شائكا وأكثر مشقة عما كان عليه العمل فى المجالات الأخرى ، بنفس القدر ، ذلك أنه لم تكن هناك بحوث تتناول موسيقى مصر القديمة على غرار تلك البحوث التى تتناول غالبية العلوم والفنون الأخرى . ولا يزال الاغريق – وقد كانوا تلاميذ مخلصين ومقلدين للمصريين القدماء – هم الذين تستطيع مؤلفاتهم أن تقدم لنا فكرة عن معارف أساتذتهم وعن النماذج التى قدمها هؤلاء كى يحتذوها هم فى الشعر والفلسفة والفيزياء والرياضيات والفلك والطب والعمارة والنحت : وفى الوقت نفسه فإن الصروح المذهلة والكثيرة التى أقامها المصريون فى القرون السابقة على التاريخ ، والتى لا نزال نرى بقايا منها رائعة الجمال ، تقدم هى الأخرى بدورها فى اللوحات المختلفة المحفورة على وجهات جدرانها ، سواء فى الأجزاء الداخلية أو الخارجية منها شواهد لا يكتنفها الغموض عن ممارساتهم الدينية والسياسية والحقلية والمنزلية ؛ ومع ذلك فأى عون يمكننا انتظاره من هذه الأبنية العارية من أية ذاكرة حتى نصل إلى المعرفة التامة لفن هو فى أساسه قمة فى رهافة حاسة السمع . بل والذى يبدو مستحيلا على امرىء ما أن يكون لنفسه أدنى معرفة عنه دون معونة هذه الحاسة ؛ وأى عون يمكننا توقعه عن فن لا يترك أدنى أثر يدل على وجوده ما أن تمرق اللحظة الخاطفة التى يتحقق خلالها ، وبصفة خاصة ، ولسبب بالغ القوة ، حين يتصل الأمر بزمن ضارب فى القدم ؟ .

وإذا كان هذا الفن نفسه قد تطور فى أوربا لهذه الدرجة فى أقل من ألف عام ، فى شكله ، وفى مبادئه وقواعده ، حتى أنه لم يعد يحتفظ بشىء به بعض شبه بما كان عليه فى الماضى ؛ وإذا كان كل شىء فى هذا المجال قد أوشك أن يصبح قابلا للفهم من جانب العدد الأكبر من الموسيقيين ، فأى اختلافات وأى مثالب لم يكن على هذا الفن أن يمر بها أو يكابدها منذ أربعين أو خمسين قرنا ؟ وكيف سيكون بمقدورنا أن نفهم بحوثا يمكن أن تكون مدونة فوق جدران المعابد فى مصر القديمة حتى لو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجدناها محفورة وقدر لنا أن نقرأها هناك ؟ وإذا كانت هناك قواعد ومبادىء مختلفة أدخلت منذ بضعة وعشرين قرنا على نظرية (مبادىء) وممارسة فن الموسيقى قد أعطت لعاداتنا وذوقنا ولأسلوبنا فى التذوق والحكم على الموسيقى ميلا أو اتجاها ما حتى أننا لم نعد نستطيع بعد أن نتبنى أفكار اليونانيين القدماء حول هذا الفن ، بل ولا حتى ان نعتقد فى التأثيرات المذهلة التى قيل لنا إن هذا الفن كان يحدثها ، فكيف نستطيع أن نحكم بشكل صحيح ، وصحى ، على ما يمكن أن تطلعنا عليه هذه الصروح المصرية القديمة من الناحية الفنية ؟

كان علينا ، وقد اضطررنا أن نلقى بأنفسنا متوغلين خلال القرون التى خلت ، وأن نخترق دياجير ظلمات أزمان ضاربة فى القدم ، وحتى نجتاز تلك الفجوة الواسعة أو الهوة السحيقة التى تفصلنا عنها ، كان علينا أن نلحق الحرص بالشجاعة حتى لا نجازف متسرعين بالوقوع فى هوة من الأخطاء قد لا يقدر لنا أن نخرج مطلقا منها ، وكان علينا أن نحرص ، مع شحذ كل انتباهنا واهتمامنا، على نقطة البدء التى حددناها وكذلك على الغاية التى كنا نستهدفها حتى نتعرف جيدا على اتجاه طريقنا وحتى نحسم أمورنا كى لا نحيد عنها . ولقد كان زيادة فى الحرص من جانبنا عند بلوغنا هذه الغاية الغامضة والمعتمة فى مقصدنا ، وقبل أن نكون قد تعودنا على (السير وسط) ظلمات الليل الكثيفة التى تكتنفنا من كل جانب ، وحتى يكون بمقدورنا أن نتبين الأمور التى لم يكن ليستطيع بصرنا فى البداية أن يفرق بينها أو حتى يستبينها — أن نحاول الامساك ، أو أن نتلمس ، فى البداية ، كل الموضوعات التى كانت تقع تحت يدنا حتى نجعل من أنفسنا بقادرين أن نجول بنظراتنا بعد ذلك بشكل أفضل ولولا هذه الاحتياطات من جانبنا لما استطعنا أن نخطو خطوة واحدة واثقة ، وَلَكُنَّا قد وصلنا إلى طريق لا أمل فى العودة منه . أما عندما لزمنا هذه الحيطة فقد وصلنا بنجاح إلى ما هو أبعد من القصد وفوق كل ما توقعنا : لقد كفت الظلمات أن تصبح بعد ، بالنسبة لنا ، غير قابلة لأن نلج فيها ، وميزنا بوضوح ما لم نكن نعرفه من قبل إلا متحسسين : لم تعد تعوز أبحاثنا الثقة ولم يعد الشك يكاد يجعل من اكتشافاتنا بددا ، ولقد استطعنا بشكل مثمر بعض الشيء أن نستخدم المعونات التى قدمت إلينا كى نعطى لملاحظاتنا مزيدا من الدقة ومزيدا من التحديد .

لم يكن كافيا أننا قد تفحصنا باهتمام كل ما تقدمه لنا صروح مصر القديمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خاصا بفن الموسيقى أو ما كان من شأنه فقط أن يلقى بصيصا من الضوء على ما يمكن أن يحسم حكمنا . فقد كان لزاما علينا كذلك أن نلجأ إلى المؤلفين الذين واتتهم الفرصة ليتناولوا ما كانه هذا الفن عند قدماء المصريين . وكان علينا ألا ننحى فى ازدراء أدنى هذه الشهادات مرتبة . وإنما كان علينا فقط أن نكون بالغى الحذر والتحفظ بل أن نكون متشددين فى اختيار واستخدام ما ينبغى اختياره واستخدامه من بين هذه الشهادات ، ذلك ان ما يثبط الهمم للغاية عندما نلتمس ما كتبه عن موسيقى المصريين الأول المؤلفون القدماء والشعراء والفلاسفة والمؤرخون والجغرافيون وغيرهم ، حتى أولئك الذين عاشوا فى العصور التى كان لهذا الشعب فيها علاقات اعتيادية مع الأمم المستقرة أو المنظمة فى أوربا ، هو أن نجد هذه الشهادات عارية من الوقائع الموضوعية حول هذا الفن لدرجة كدنا نتعرض معها فى البداية لغواية تنحيتها ، ناظرين إليها فى معظمها باعتبارها عاجزة عن أن تقدم لنا فائدة من نوع ما ؛ ولم نضطر للعودة إلى شهادات الأولين إلا بعد أن تفحصناها وقارناها بشهادات مماثلة عند آخرين ؛ وحين تابعنا ذلك بمزيد من الانتباه فقد قابلنا هنا وهناك عدة ملاحظات ينبغى الالتفات إليها ، ومع ذلك فإن ما كان يقوله هؤلاء عن هذا الفن قد كان يمس الامر من بعد بعيد كما لو كان الأمر قد أفلت منهم عفو الخاطر .

وبرغم هذا فإن الصعوبة الأشد لم تكن بعد هى أن نبحث عند عدد هائل من المؤلفين عن بقايا متناثرة وشبه خافية أو عسيرة على الفهم لنبذ (أفكار) عن الموسيقى حالة انتقالها عن طريق المصريين القدماء إلى الشعوب الأخرى ؛ لقد كان الأمر يعنى أننا نريد أن نشق لأنفسنا طريقا مأمونا فى موضع لم يتجاسر أحد قبلنا على السير فيه ، كان معناه أن نستبصر مواقع لأقدامنا برغم العقبات التى كانت تمثل لنا فى كل خطوة فى تلك التناقضات الظاهرية ، على الأقل ، والتى نجدها بين مختلف المؤرخين ، كل منهم بالنسبة لما يقوله الآخر ، أو التى يتناقضون فيها فى بعض الأحيان مع ما يقولونه هم أنفسهم فى مكان مغاير ؛ كان معناه أن نستطيع تمييز الصواب من الخطأ على الرغم من الأحكام المسبقة ، والخلط بين الأزمنة ، ذلك الخلط الذى يجعل المعلومات التى يقدمها لنا المؤلفون ، فى غالبية الأحيان ، مرتبكة لحد يبعث على الحيرة ، إذ يمكن القول بأنهم ، جميعا ، قد أخذوا على عاتقهم أن ينثروا الغموض من حول هذا الموضوع . فمن كان يظن ، على سبيل المثال أن ديودور الصقلى يناقض

نفسه بنفسه ، فبعد أن يقول لنا فى بداية تاريخه [١] أولا : « **إن آلهة مصر الأولين كانوا يستلذون بالموسيقى ويستصحبون معهم فى كل مكان فرقة من العازفين ، وأن واحدا من هؤلاء الآلهة قد اخترع القيثارة ثلاثية الوتر** » ثم نجده يقول فى موضع آخر [٢] ثانيا ! « **إن الكهنة كانوا يتوجهون باغنياتهم إلى هذه الآلهة نفسها** » لكنه يعود فيخبرنا بعد ذلك **أن المصريين كانوا يأنفون من الموسيقى باعتبارها فنا ليس له من خاصية سوى إضجار الروح وإتلاف الخلق** . هل هناك ظل لدليل على أن شعبنا ظل طابعه المميز على الدوام هو الارتباط بالدين والتشبث بطقوسه القديمة ومبادئه يستطيع أن يكون متقلبا لحد يلفظ معه موسيقاه الخاصة به ، تلك التى تستمد قدسيتها من كونها قد جاءت بفعل آلهته الأول ، والتى يؤمن — هو — عن يقين من أنها — أى هذه الموسيقى — كانت تشكل مسرات هؤلاء الآلهة ؟ ألن نجد فى ذلك ، من جانبه ، تعارضا منطقيا يبلغ مرتبة التجديف والزندقة ؟ وكيف سيقدر له أن يتجاسر على استجداء عون هذه الآلهة نفسها ، تلك التى سيكون ، هو ، بفعل مثل هذا الازدراء المدنس لقداستها ، قد صدها مزدريا المعونات التى تهبها إياه ، وهذه أعز عليها بكثير ؟ إننا لفى دهشة ألا يكون أحد من المؤلفين قد أدرك بعد هذا التضارب الذى يكاد يسمل العيون كما لا يمكننا أن نتصور السبب الذى يكون قد حدا ببعض الكتاب حين تبنوا النص الأخير من ديودور الصقلى ، والذى لا يحظى قط بأى ترجيح ، وإنما ينبىء عن عادات وممارسات تتعارض بشكل مطلق مع تلك العادات والممارسات التى ظلت ترددها على الدوام ، وبشكل عالمى ، كل شعوب الدنيا ، بدلا من أن يتمسكوا بمقولته الأولى ، تلك التى تبدو أقوم قيلا وأكثر جدارة بالاحترام .

ومما لا جدال فيه أن المصريين لم يكفوا قط عن ممارسة الموسيقى فى بلادهم ، فلقد استقرت هناك ونظمت بموجب قوانين دينية وسياسية فى عهد ملوك مصر ؛ وأفلاطون هو الذى يخبرنا بذلك فى « قوانينه » وفى « جمهوريته » باعتباره شاهد عيان ، ومن ناحية أخرى فإنه لا يتحدث عن هذه الموسيقى إلا بإعجاب شديد . وحين استولى الملوك الفرس على مصر فقد نقلوا إليها معهم الذوق الآسيوى فى هذا

---

(١) Bibl. hist. Lib I, cap. 15, édit, sup. cit

(٢) شرحه : Cap 81, édit. sup. Cit

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المضمار فأدى ترف هذه الموسيقى الآسيوية وبذخها إلى إتلاف الطابع الصوفى والرجولى الذى كان لموسيقى المصريين ، أما البطالمة الذين أعقبوا الفرس ، فقد بسطوا حمايتهم على هذا الفن وحفلوا به كثيرا ودرسوه هم أنفسهم بشغف شديد حتى أن المصريين ، وقد تشجعوا بالمثال الذى يقدمه حكامهم ، قد أقبلوا على فن الموسيقى بأكبر قدر من الحماسة وخطوا فى هذا المجال خطوات من التقدم واسعة وسريعة حتى اشتهر عنهم أنهم خير موسيقيى العالم طبقا لما يورده جوبا Juba نقلا عن أثينايوس Atlénée[١] ؛ ولنلاحظ أن هذه الفترة هى على وجه الدقة تلك التى كان ديودور الصقلى يزور خلالها مصر والتى أورد عنها أن المصريين يلفظون الموسيقى إذ ليس من شأنها إلا إضجار الروح وإتلاف الخلق . فهل كان هذا المؤرخ الذى يكن له العالم الطبيعى بلين Pline بالغ تقديره[٢] يروم خداعنا ! إن علينا بادىء ذى بدء ألا نسىء إليه بأن نرتاب فى نواياه ، وعلينا بدلا من ذلك الاعتقاد بأنه قد جاء وقت على المصريين أبدوا فيه نفورا من نوع من الموسيقى تختلف عن موسيقاهم ، ونظروا إلى تلك ، نتيجة لذلك باعتبار أنها لا شأن لها إلا أن تحدث آثارا ضارة على الأخلاق الحميدة . وعلى ذلك فليكن صحيحا أن الكهان المصريين الذين رجع ديودور إليهم ، لم تكن لديهم سوى فكرة مشوشة ، عن السبب المحدد الذى نتج عنه هذا المقت الذى بدا من جانب المصريين تجاه الموسيقى فى عصور متأخرة ، وليكن صحيحا كذلك أنه هو نفسه لم يجل بخاطره أن يسأل هؤلاء الكهان عن ذلك الشيء الذى كان ينصب عليه النفور الذى كان المصريون يبدونه تجاه هذا الفن ، وفى أية فترة كانوا يبدون فيه مثل هذا النفور أو الصد ، ذلك أنه لم يبدد حيرتنا حول هذه أو تلك من الفكرتين المتعارضتين ، وهو أمر سوف نأخذ كذلك على عاتقنا أن نوضحه ، وهو ما سوف يتوضح كذلك من تلقاء ذاته عندما نتصدى لدراسة حالة الموسيقى فى مصر القديمة .

لكننا ، لو أننا شئنا أن نتوقف لمناقشة كل هذه الأفكار الشاذة والمتناقضة والعشوائية ، تلك التى يقدمها لنا المؤرخون عن الموضوع الذى نعالجه ، واحدة بعد

---

(١) Deipn . lib.IV.

(٢) ولدى الاغريق كف ديودوروس (ديودور الصقلى) عن الخاتلة وكتب تاريخه عن المكتبة ، جايوس بلينوس سيكونورس (بلين) ، التاريخ الطبيعى ، الكتاب الأول « إهداء إلى فسباسيانوس المؤله » ، بازل ، ١٥٤٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأخرى ، البتة لا تنتهى قط . بل لسوف يكون هذا ، فضلا عن كل ما سبق ، أمرا لا جدوى منه على أقل تقدير ، ولن يؤدى إلا لمضاعفة كل دوافع الشك ، بل ربما إلى إضعاف ثقة الأشخاص الذين قد لا تكون لديهم الارادة ولا الوقت الكافى لكى يلزموا أنفسهم بنفس الدرجة ولنفس القدر من الزمن اللذين كان علينا أن نبذلهما ، وان يقارنوا كل هذه الاراء المتباينة فيما بينها كى يستوثقوا من الحقيقة ، بل ولسوف ينفر القارىء إذا ما جعلناه يستشعر مزيدا من الارهاق بدلا من أن نسارع بتقديم ثمرة أبحاثنا ودراساتنا إليه .

إن ما نعنيه أكثر من كل ذلك هو أن يعرف هنا ما كانت عليه حال الموسيقى عند واحدة من أقدم أمم العالم وأن يقف على الطابع الذى كان عليه هذا الفن وماذا كان الغرض الرئيسى منه ، وأن يلاحظ الأساليب التى كان يستخدمها فيه شعب مخلص بطبيعته لمبادئه ومثابر فى تمسكه بعاداته ، ظل لوقت بالغ الطول هادئا وهانئا[1] بفعل القوانين البسيطة ، والتى كان كل شىء فيه مع ذلك يبدو متوقعا (أى أنها قد عملت حسابا لكل شىء) . ومن المثير للاهتمام أن نعرف أية مكانة تلك التى شغلتها الموسيقى بين الفنون والعلوم التى كانت هى غرس مصر فى زمن بمثل هذا القدم وان نقدر درجة الاحترام التى حظيت بها عند شعب مشهود له بالحكمة وفى بلد كان — هو — مهد العلوم والفنون ، فيه ظهر وتشكل أشهر الشعراء والموسيقيين فى العصور القديمة ، والذى — أى هذا البلد — غدا مدرسة يهرع إليها الفلاسفة والمشرعون من أمم الأرض الأخرى ينشدون المعرفة والعلم على أرضها . ويعنى القارىء فى النهاية أن يلاحظ وأن يتابع كل التجديدات وكل التغييرات التى أدخلت على الموسيقى فى مصر ، وأن يقف بشكل خاص على الشىء الذى أسهم أكثر من سواه فى تقدم ونضوج هذا الفن ثم بعد ذلك فى إفساده وتدهوره أو لعل هذا الاعتبار الأخير هو الذى أمكنه ، أكثر من غيره ، أن يجعلنا نلمح ونحس بالرابطة الخفية التى تربط الموسيقى بالأخلاق .

ومهما تكن مقاومة المصريين على الدوام كبيرة لأى نوع من التغيير فى نظمهم وعاداتهم وأساليبهم فإن ذلك كله لم يكن ليحميهم من التقلبات وصروف

---

(١) Jerem. Cap. 42; Strabon. geogr. lil XVII pag. 24, Basileoe, 1571, in- fol.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزمن مما تتعرض له بقية الشعوب ، ففى كل مكان تحدث فورات وثورات تقلب وتدمر وتزيل امبراطوريات قادرة ، وفى كل مكان شاهدنا دولا جديدة تنهض ودولا أخرى تتفكك وتزول .

فلا جدال فى أنه قانون يتعلق به اتساق كل الأشياء التى تستضىء بنور القمر ، أما فحوى هذا القانون فهو أن ليس ثمة شىء يعيش فوق كوكبنا يظل دوما على حاله ؛ وأن الأمم ، وكذلك الأفراد من كل نوع ومن كل جنس ، يولدون عليها ثم يهلكون ، وهذه هى الدورة ؛ وأن وجه الأرض فى مجمله يتجدد دون انقطاع . كذلك تظل اختراعات البشر وعلومهم وفنونهم ، ولابد ، خاضعة بالمثل لهذا القانون نفسه .

وبعض هذه العلوم ، وبعض هذه الفنون مما كان مجهولا فى الماضى أو مما لم يكن لدى الناس بعد عنها سوى معلومات بالغة الضآلة هى اليوم علوم تدرس بأكبر قدر من النجاح . وعكس ذلك بعضها الآخـــــر ، مما كانت تحظى فى القرون الخوالى بأقصى قدر من التقدير ، إذ أنها قد بلغت درجة جد عالية من النضوج ومما كان الناس يجنون بفضله أكبر قدر من المكاسب فقد فقدت فى أيامنا هذه مكانتها بل تكاد تكون مزدراة اليوم إما بفعل انحلالها أو تفسخها وإما بسبب السوءات التى تنجم عنها وإما كذلك بفعل ضآلة النفع الذى يعود على البشر اليوم من ورائها . ولقد كانت الموسيقى والشعر بلا ريب من بين علوم النوع الأخير برغم أن الناس قد لا يتفقون معنا على ذلك بسهولة .

وعبثا يشهد أكثر ما تركه الشعراء والفلاسفة القدماء مدعاة للاحترام ، بنضوج وسطوة الموسيقى فى الأزمنة القديمة ؛ وعبثا كذلك أن يستطيع اتفاق أو اتساق كثير من الوقائع الحقيقية والشهادات الأصيلة التى لا يمكن عقل مستقيم أن يردها أو يشكك فيها ، أن تبدد كل الاعتراضات ، فكل ذلك فى حد ذاته لا يكفى بعد لتبديد التحيزات والأحكام المسبقة بل والتحفظات التى تمليها كرامتنا . فلقد نرنو كى نكون على يقين تام ، إلى أشياء مستحيلة : قد نريد أن نستمع إلى بعض من هذه الأغنيات التى توقف شدوها منذ الوف السنين أو على الأقل أن نطلع على نماذج لهذه الأغانى التى لم يدونوها قط ، بل التى لم يكن مسموحا على الاطلاق بتداولها عن غير طريق الصوت الحى ، ويبدو الأمر كما لو كان علينا الا نعتقد أنه منذ أن اختلطت الموسيقى والشعر معا ، فلم يعودا يشكلان سوى الفن نفسه ، إن لم يكن لأحدهما أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يأخذ وجهة تختلف عن وجهة الآخر ! وكما لو أنه ليس من الواضح أن أزمان أفضل الشعراء وأجمل الشعر كانت هى بالضرورة أزمان أفضل الموسيقيين وأجمل الموسيقى .

لماذا ينبغى أن نشك إذن فى روعة موسيقى القدماء ، بينما كل شىء يبرهن لنا أن هؤلاء القدماء لم يتجاوزونا ، فقط وكثيرا ، فى كل الفنون الأخرى ، كما فى الشعر والعمارة والنحت الخ تلك التى لا نزال نرى لها ، تحت أبصارنا ، نماذج تدعو للاعجاب . بل إن ما بقى من هذه كذلك حتى اليوم لايزال يستعصى علينا تقليده ؛ ولقد كان الأمر هو نفسه بالنسبة لكل من جاءوا مباشرة بعدهم ؟ لنعترف إذن بضمير مستريح أن هؤلاء الذين أقاموا مثل هذه الصروح وروائع الأعمال ، قد كان لديهم ولابد ذوق أكثر رقة ومبادىء أكثر وثوقا عما هو لدينا ؟ فإذا ما كان مثل هذا التقريظ الذى يكيله أمثال هؤلاء القضاة (المؤلفين القدماء) للموسيقى القديمة قد تجاوز فى كثير المديح الذى دبجوه لمنتجات الفنون الأخرى فليس ذلك إلا لأن الموسيقى كانت تفوق كل هذه الفنون (فى أزمانهم) بقدر كبير

ولكن كيف سنتوصل إلى حقيقة حال الموسيقى فى مصر القديمة فى حين يرفعها أفلاطون لدرجة كبيرة فوق موسيقى اليونانيين القدامى ؛ وفى حين يقترحها هو بإعتبارها الأنموذج الأفضل والأكثر اكتمالا للموسيقى سواء بسبب تدفقها وحيويتها وسمو تعبيرها أو لروعة جمال ألحانها ؟ وكيف يمكننا أن نتوصل إلى تكوين فكرة دقيقة لأنفسنا عنها بشكل يكفى كى يمكننا من دراستها ؟ وعلام سوف نؤسس ما سنقوله عنها ؟ أيكون ذلك على أساس ما تشهد به الآثار أو على أساس من شهادات المؤرخين القدامى أو على أسس مما يقدمه لنا هؤلاء وأولئك فى وقت معا ؟

سبق لنا أن استرعينا الانتباه إلى ضآلة العون الذى يمكننا انتظاره من الأولين (الآثار) والى هذا الحشد من التناقضات الصارخة التى نجدها فيما بين الآخرين (المؤرخين) ، تناقضات تقف حجر عثرة دون أن يتمكن المرء من استخدامها بنجاح إلا بعد أن تفحص وتقدم بأكبر قدر من العناية أفكار كل مؤلف ، وميوله ، وإلا بعد أن نكون ، بصفة خاصة ، قد حددنا العصر الذى لابد أنه ينتسب إليه ما يخبرنا عنه - بخصوصها - هؤلاء أو أولئك من المؤلفين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أولا : أما بخصوص المبانى القديمة التى لا تزال قائمة حتى اليوم فى مصر ، فإن كل شيء يخبرنا بأنها أبعد ما تكون عن أن تنتمى للقرون الأولى من الحضارة فى هذا البلد ، وهى القرون التى نذرنا أنفسنا للرجوع إليها مسترشدين بأوثق وأقدم الأقوال التى وصلت إلينا عن قدماء المصريين . إن نبل عمارة هذه المبانى وثراء وفخامة الزخارف و « التشطيب » وكل هذه المشاهد الرمزية ، وكل هذه الحفلات الدينية أو المدنية المنقوشة بأكبر قدر من العناية فوق الجدران ليست بقادرة على أن توحى لنا بإمكانية أن تعود إلى شعب انتظم منذ زمان قصير ، كما أنها ليست قط نتاجا شائها أو مجهضا لفن فى طور الطفولة ومن ناحية أخرى فإننا نجد من بين هذه المبانى[١] بعضا لم يكن قد اكتمل بناؤه فى حين نجد مبانى أخرى قد شيدت بأنقاض مبانى أكثر قدما . ولا يزال المرء يلمح أحجارا جديدة (أحجار ترميم) فى الأولى فى حين يلمح فى الثانية وبشكل خاص فى منشآت بعينها فى طيبة القديمة وفى داخل بعض البوابات أحجار تشكل كسرا أو فتاتا من تماثيل وضعت باتجاه مخالف (للنسق المتبع) وبدون أية رابطة تربطها بما يحيط بها . كما يلاحظ المرء فضلا عن ذلك ، وفوق الأفاريز حروفا هيروغليفية بل كذلك كتابات يونانية حلت محل كتابات هيروغليفية أخرى لما تنمح بعد آثارها[٢].

من هنا يمكن المرء أن يستنتج أن الآلات الموسيقية التى نقشت على هذه المبانى نفسها لم تكن هى ، بالمثل ، أول آلات موسيقية عرفتها مصر بل ليس من المستبعد أنها كانت مجهولة كلية من قبل المصريين الأول طبقا لما سوف تواتينا الفرصة لملاحظته فيما بعد ، عندما سنتصدى لتفسير طبيعة هذه الموسيقى فى حالتها البدائية .

---

(١) مهما يكن بعض هذه المبانى حديث البناء وبعضها قديما فإن نوع العمارة فى الحالتين لم يتغير قط ، فهى تخضع على الدوام للمبادىء وللقواعد نفسها ، تلك التى كانت تتبع منذ زمان لا تعيه الذاكرة ؛ ويؤكد لنا أفلاطون ذلك فى كتابه الثانى من القوانين . إذن فلا تزال هذه المبانى ثمينة للغاية من هذه الزاوية الأخيرة . وقد نجدها دون ريب أقل زخارف بكثير عما كانت عليه فى زمن كليمانس السكندرى Clément d'Alexand إذا ما حكمنا عليها على أساس الوصف الذى يقدمه لنا عنها حيث يقول إنها كانت تغص (فى زخارفها) بالأحجار الكريمة والماسات والذهب والفضة الخ : .Paedag. cap. 11, p. 216

(٢) ومع ذلك فلابد لنا أن نصدق طبقا لشهادة أفلاطون ، الذى زار مصر بعد أن تمكن المصريون =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيا : فليس هناك واحد من بين المؤلفين الذين واتتهم الفرصة للحديث عن هذا البلد ، والذين عرفوا على أكمل وجه النظم والعادات المستقرة هناك — قد أشار إلى الآلات الموسيقية ، على الرغم من أن هؤلاء يتحدثون على الدوام ، بنوع من الحماسة بخصوص الترانيم والأغنيات المخصصة للتعبد للآلهة ؛ أو أنهم لم يتناولوا فى أحاديثهم المزهر أو البوق (النفير) إلا لكى يقولوا فقط إنها آلات صاخبة . أما الآخرون ، وكما استرعينا الأنظار من قبل ، فيقولون لنا ، أحيانا ، أن الموسيقى قد دُرِسَتْ فى مصر على يد آلهة هذا البلد الذين اتخذوا من هذا الفن متعتهم ؛ أو يقولون فى أحيان أخرى ، ان هذا الفن كان محتقرا منكورا من المصريين باعتبار لا خاصية له سوى إتلاف الخلق وإملال النفوس .

إذن فقد قام فى مصر رأيان متعارضان تمام التعارض ، أحدهما مع الآخر بخصوص الموسيقى ، يفرضان علينا بالضرورة أن نستنتج ونحدد حالتين لهذا الفن بالغتى التميز وشديدتى الاختلاف لكنهما يتعارضان لحد لا يمكن معه أن يكونا قد عاشا فى عصر واحد . لذلك فنحن نلمس وجود عصرين وحالتين مختلفتين لفن الموسيقى فى مصر القديمة : أما الحالة الأولى فهى تلك التى يتحدث عنها أفلاطون فى قوانينه وديودور الصقلى فى مكتبته التاريخية — الكتاب الأول(١) ، وهى تلك التى ظلت فيها الموسيقى فى حالتها الأولية ، بعيدة عن التحريف ؛ أما المرحلة الثانية ، ويتحدث عنها كذلك ديودور الصقلى(٢) فهى التى قامت فيها ممارسة الموسيقى ضاربة عرض الحائط بالمبادىء القديمة ، وقد أدت هذه إلى انحدار هذا الفن حتى أدنى درجات التفسخ والفساد . ويحدد هذا التميز بطبيعة الحال التقسيم الذى قمنا به فى عملنا . ولهذا السبب فإننا قد ضمنا المرحلة الأولى لموسيقى مصر القديمة كل العصر الذى انقضى منذ نشأة الحضارة المصرية ومنذ ظهور أولى ترانيمها حتى العصر الذى أحدث فيه أجانب ، دخلوا هذا البلد ، بعض تحورات أو انحرافات فى أخلاق

= من طرد قمبيز وخلفائه عن عرش مصر ، أن المبانى الأثرية المصرية لم تكن فى ذلك الوقت قد دمرت بأكملها ، إذ يورد لنا أفلاطون أن المرء وكان لايزال فى عصره يرى فى المعابد أعمالا رائعة من الرسومات والنقوش يعود تاريخها لأكثر من عشرة آلاف عام ؛ أى أنه يفترض وجودها منذ زمان لا تعيه الذاكرة .

(١) Cap. 15 et 18.

(٢) Lib. I, Cap. 81.

المصريين،فبدل هؤلاء أو غيروا من عاداتهم وتعودوا نتيجة لذلك على أغانى أخرى وآلات موسيقية أخرى ، كانت كلها اغنيات هؤلاء الأجانب وآلاتهم ، وحصرنا فى المرحلة الثانية كل الزمن الذى انقضى منذ التغيرات التى حدثت فى موسيقاهم حتى الوقت الذى تقلصت فيه مصر نفسها لتصبح مجرد إقليم من أقاليم الامبراطورية الرومانية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الثانى

عن الموسيقى المصرية القديمة فى حالتها الأولى

عن أصل ، وعن مخترع ، وعن اختراع الموسيقى فى مصر القديمة تبعا لما ترويه الروايات الدينية فى هذا البلد – عن الفكرة السامية التى تدفعنا هذه الروايات لتصورها عن الموسيقى المصرية فى طورها الأول ، وكم تصبح هذه الفكرة بعيدة حين نقارنها بالفكرة التى تقدمها لنا ممارسة هذا الفن حاليا – عن الضرورة التى يمليها ذلك علينا لكى نستعيد بشكل موجز ما كانته الموسيقى القديمة ، وبشكل خاص ، ما كانت عليه الأغانى فى عصور وسيطة بين العصرين اللذين التزمنا بدراستهما (أى بين الموسيقى المصرية القديمة فى عهد المصريين القدماء وبين الموسيقى العربية فى مصر تحت حكم العثمانيين – المترجم) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عند شعب فاضل وجدير بالاحترام ، على غرار ما كان عليه شعب مصر القديمة ، بفضل حكمة نظمه ومؤسساته ، الدينية والسياسية ؛ وفى بلد كانت أنماط الحياة تتباين فى أقاليمه بقدر ما كان النظام العام ، وكانت النظم الاجتماعية ، تخضع فى مجملها لنير القوانين ، وحيث ارتبطت العلوم والفنون الرفيعة والفلسفية بالمذهب المقدس الذى لم يكن بمقدور طبقة الكهان نفسها أن تحدث به أوهى تغيير دونما ضرورة ملحة تفرض ذلك فرضا ، وبدون أن يكونوا قد فوضوا فى الأمر بشكل مشروع ؛ وأخيرا ففى ظل حكومة كان قد استقر عندها أن على الفنون أن تتوقف فى اللحظة التى تكف فيها عن العطاء والإفادة[١] فإن العلم أو الفن ، الذى كان يعلم الناس ترنيم الأغنيات التى كانوا يتضرعون بها إلى الآلهة أو تلك الأغانى التى كانت تخدم أغراض التعليم العام ، لم يكن ليتأسس على مبادىء باطلة متقلبة ، أو لتحكمه وتوجهه قواعد بالغة الصرامة أو تعوزها الدقة .

لم يكن فن الموسيقى بعد قد ابتعد بالقدر الكافى عن نشأته وأصله حتى يكون قد فقد تأثير طابعه الرجولى والسامى ، هذا الطابع الذى استقاه من الطبيعة نفسها عند نشأته ؛ كذلك فإن بعد هذا الشعب عن التجديد أو الابتكار يدفعنا لأن نستنتج ، وكل الأمور هناك تأتى لتدعم رأينا هذا ، أن هذا الفن فى مصر ، قد ظل لوقت طويل ، يحتفظ هناك[٢] بطابعه الأصيل .

ومن المؤكد أن المصريين الأول قد كانت لديهم فكرة سامية عن هذا الفن ، فهاهم أولاء ينسبون ازدهار حضارتهم ، بل ازدهار حضارة الشعوب كلها ، إلى الآثار البهيجة للموسيقى وإلى البلاغة الرخيمة والشجية لمشرعهم الأول ، الذى تمكن بفعل جمال أغنياته الباعث على الاقناع ، أن يجتذبهم وأن يستبقيهم إلى جواره ، وان يعودهم على حياة المجتمع ، وأن يجعلهم يتذوقون المباهج التى تجود بها هذه الحياة الاجتماعية ، حين أخذ على عاتقه أن يعلمهم بنفسه كيف يفلحون الأرض ، وحين هيأ نفوسهم لتلقى وتقبل القوانين والشرائع ، « فمنذ أن حكم أوزيريس المصريين ، كما تذكر إحدى رواياتهم القديمة ، فإنه قد خلصهم من الفاقة ومن الحياة الوحشية ، وذلك بأن جعلهم

---

(١) أفلاطون ، القوانين ، الكتاب الثانى .

(٢) المصدر نفسه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يعرفون مكاسب (الحياة فى) مجتمع ، فأعطاهم القوانين وعلمهم كيف يبجلون الآلهة ، وحين أخذ يجوب كل الأرض فقد بدأ يمدن أقوامها دون أن يلجأ فى حالة واحدة إلى قوة السلاح ، وإنما هو قد أخضع العامة بأحاديثه السلسة ، والرقيقة مجملا إياها بكل المفاتن الخلابة التى للشعر والموسيقى ، وهذا هو ما جعل الاغريق يعتقدون أن أوزيريس هو باخوس نفسه »[١].

ومع ذلك فمن كان أوزيريس هذا الذى علم المصريين وحضرهم عن طريق أغنياته ، والذى جاب أرجاء العالم كله ، وعلم وحضر كذلك كل الشعوب ؟ إنه فيما يعتقد المصريون هو الشمس التى لا ينظرون إليها فقط باعتبارها مبعث الحرارة والدفء والضوء ، وإنما كذلك باعتبارها مصدر المياه ، والتى تنبثق عنها كل العوامل الخيرة التى تخصب الارض وتثريها بألوف المنتجات المفيدة ، وباعتبارها كذلك مبدأ الحياة ومنشأ كل خير : فهى المبدأ الذى فاضت عنه نار العبقرية خالقة الفنون ومبدعة كل ما من شأنه الاسهام فى سعادة الجنس البشرى ، وفى كلمة ، باعتبارها الأصل الذى ينبغى على البشر جميعا أن ينسبوا إليه كل المميزات التى ترتبط بالمجتمع وبالحضارة[٢].

ومع ذلك فقد كان لهذا الإله فى الوقت نفسه عدو رهيب ذو عبقرية شريرة ، كان هو مبدأ لكل شر ، ولا هم له إلا أن ينصب لغريمه المكايد والفخاخ ، وأن يحدث القلاقل ويسبب الاضطرابات وأن يدمر كل خير . لذلك فقد كان لابد من أن توجد قوة أخرى ليس لها من شاغل إلا ان تصارع هذه العبقرية الشريرة ، وأن تتصدى دائما للشرور التى تريد هذه العبقرية الشيطانية أن تصنعها أو أن تصلح من أثر الشرور التى صنعتها بالفعل . ولقد تمثلت هذه القوة فى أخى أوزيريس (كذا) حورس إله الشعر أو النغم والذى أعطاه الاغريق اسم أبو للون (أبو للو)[٣]. وهو نفسه على هذا الأساس الذى يعطيه ديودور نفس الاسم فى الرواية المصرية الأخرى[٤]! « كان

---

(١) جميع أعمال بلوتارخوس الباقية ، الإغريق واللاتين ، لوتيتيا ، باريس ١٦٢٤

(٢) كل هذه الخصائص التى تنسب إلى الشمس توجد فى ترنيمات أورفيوس وفى أغانى هوميروس وكذلك عند بلوتارك فى مقالته عن ايزيس وأوزيريس (انظر الترجمة العربية للدكتور حسن صبحى بكرى ومراجعة الدكتور محمد صقر خفاجة ، سلسلة الالف كتاب ، دار القلم ، القاهرة) .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) Diod. Sic. Biblioth, histor. lib II Cap, 18 pag. 53 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أوزيريس يحب المرح والبهجة ، والموسيقى والرقص ، وكان يستبقى حوله على الدوام فرقة من الموسيقيين ، كان من بينهم تسع عذراوات كن بارعات فى كل الفنون التى تتصل بالموسيقى ، وقد اسماهن اليونانيون ربات الفنون أو الموسات وكان يرأسهن أبو للون الذى سمى لهذا السبب Musagète [أى قائد أو رئيس ربات الفنون] . ولو لم يكن بلوتارك (بلوتارخوس) قد أخبرنا أن هذا الذى أطلق عليه الاغريق اسم أبو للون كان هو نفسه من يسمى فى مصر باسم حورس (أو هورس) ، لما كان ليشك أحد فى حقيقة أن اسم أبو للون هو اسم يونانى محض ، كما أنه اسم لإله يونانى وليس أبدا اسما مصريا ولا هو اسم إله مصرى . ومن هنا فقد نكون محقين حين نستنتج أن ديودور قد استبدل بالاسم المصرى للمعبود المصرى الاسم الذى كان الاغريق قد اعطوه له ، وان كان هذا الخلط فى الأسماء فى اللغتين المختلفتين يظل إحدى السوءات فى ترجمة مؤلف ما : فقد كان ينبغى عدم إحداث أدنى تغيير فى هذه الأسماء دونما ضرورة ملحة .

وبرغم هذا كله فإن الأمر هنا لا يتصل مطلقا حتى الآن ، باختراع الموسيقى ولا بمخترعها ، ومع ذلك فمن الواضح ان هذه الموسيقى لابد وأنها قد بدأت تتخلق بالضرورة من قبل أن توجد ؛ فمن المحتمل ، طبقا لما تستوجبه هذه الرسوم المجازية أو الرمزية أو هذه التقلبات أو الروايات المقدسة التى انتهينا للتو من ذكرها ، أن الموسيقى كانت موجودة حتى عهد ما قبل أوزيريس الذى رحب بهذا الفن وبسط عليه حمايته واستخدمه هو نفسه بنجاح كبير . أما حورس (هورس) اله الشعر والنغم ، والذى كان يشرف على تنفيذها واستخداماتها فقد يكون – فيما يبدو – هو الأكثر قربا والأشد التصاقا بفن الموسيقى .

وطبقا لما تقرره رواية مصرية قديمة فإن اكتشاف هذا الفن يعود إلى مانيروس[١] Maneros . ولقد رأينا للتو ما كانه أوزيريس الراعى المبتهج لنفنون ورأينا بالمثل ما كانه هورس ، المشرف على العذراوات التسع اللائى أسماهن الاغريق بالموسات أى ربات الفتون واللاتى برعن فى كل الفنون التى تتصل بالموسيقى . ولم يعد يبقى علينا الآن سوى أن نعرف ما كانه مانروس ، مخترع هذا الفن .

---

(١) بلوتارك – المصدر السابق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يذكر لنا هيرودوت[١] أن المصريين كانوا يطلقون هذا الاسم على من كان الاغريق يسمونه لينوس Linus ، ويضيف أنهم كانوا ينظرون إليه باعتباره ابنا لأول ملوك هذا البلد . وقد ظن العلامة جابلونسكى Jablonski[٢] فى البداية أن اسم مانيروس قد يكون مركبا من كلمتين مصريتين : مينه Meneh أو مانه Maneh وتعنى الخالد وخروتى Chroti ومعناها ابن أو حفيد ، وبذلك نكون بازاء مينه خروتى أو مانه خروتى (لأن المصريين يلفظون حرف الـ E مثلما نلفظ نحن حرف الـ a) ، مما قد يعنى الابن أو الحفيد الخالد . وفى الوقت نفسه فإن جابلونسكى يسترعى الانتباه إلى أن رواية هيرودوت بخصوص مانيروس تبدو كما لو كانت تسوقنا إلى هذا التفسير ، ثم يضيف أن هيرودوت مع ذلك لم يعلق على روايته هذه أية أهمية . ، ثم يورد لنا بعد ذلك ما قاله هيسيخيوس فى شأن كلمة مانيروس ثم فى النهاية يقدم لنا – على هذا النحو ترجمة لنص من مؤلف هيسيخيوس : « **كان مانيروس ، بعد أن تدرب وتلقن الأسرار وتعلم على يد المجوس هو أول من علم اللاهوت للمصريين** » مستبدلا بكلمة Theologêsai كلمة Homologêsais التى نقرؤها فى النص (الأصلى) **لأن هذه الكلمة لم تقدم له فيما يبدو معنى مناسبا** . ومع ذلك ، أفلا يكون بمقدورنا أن نفهم من كلمة Homologesais (التى بدلها) معنى : **الذى جمعهم فى شكل مجتمع ، الذى حضرهم والذى منحهم الشرائع والقوانين** ؟ وقد لا يكون فى هذا المعنى شيئا مجافيا للصواب فى حد ذاته ، ولا هو يتنافر مع ما يخبرنا به كل من أفلاطون وبلوتارك : الأول حين يقول لنا إن كل اغانى المصريين كانت مكرسة لخدمة القوانين وكانت تحمل اسماءها[٣] ، والثانى حين يخبرنا بأن مانيروس كان ينظر إليه من قبل المصريين باعتباره الشخص الذى اخترع الموسيقى ! ذلك انه يترتب على المعنى الذى توحى به قولة أفلاطون أن مانيروس بتأسيسه لفن الموسيقى فى مصر قد أعطى – ولابد – القوانين والشرائع للمصريين . وفضلا عن ذلك فمن الممكن أن تكون الرواية نفسها التى تنسب إليه اختراع الموسيقى قد قدمته كذلك باعتباره أول من حضر المصريين

---

(١) Hist. lib II.

(٢) Jablonski, Opuscula, p. 128.

(٣) أفلاطون ، القوانين ، الكتاب الثانى .
ومن هنا بلا ريب كان الاغريق يسمون أغانيهم باسم Nomos وهى كلمة تعنى : القانون .

بأغنياته والذى منحهم الشرائع والقوانين ، فهذه فكرة نجدها ماثلة عند المصريين وعند الاغريق ، بل كذلك عند اللاتين ، ومؤداها أن كل الشعوب تدين بمباهج تحضرها وحضارتها نفسها لفن الغناء .

إن ما كان المصريون يقولونه عن أوزيريس ، والاغريق واللاتين عن أورفيوس[١] يمكن أن يقال ، ولأسباب أقوى فى هذه الحال ، عن مخترع الموسيقى ، ذلك أننا نجد هنا ، دون جدال ، ان البشر قد التزموا بتلقى الشرائع والقوانين من واحد من أشباههم ، وبأن يعترفوا به معلما ورئيسا عن طريق الاقناع وعن طريق المباهج الخلابة والطاغية التى للبلاغة ، أكثر منه عن طريق القوة أو العنف . أما هذه البلاغة أو الفصاحة المحفزة للهمة على نحو كبير والباعثة على الاقتناع الشديد ، كانت فى الواقع ، وكما سنرى للتو ، نفس ما أسسته وأقامته الموسيقى الأولى .

وحين يخبرنا المصريون أن مانيرؤس قد اخترع الموسيقى وأنه قد مات-وكان بعد صبيا – فزعا من نظرة إيزيس الغاضبة والتى اهتاجت من تجرئه على الاقتراب منها سرا ، ليفاجئها وهى تقبل وجه زوجها المسجى ؛ وحين يؤكد لنا هيرودوت أن لينوس الاغريق لم يكن شخصا آخر سوى مانيروس المصريين ، وأن هذا الأخير كان ابنا لأول ملوك مصر ؛ وحين يخبرنا هيسيخيوس أن مانيروس هو أول من حضر المصريين فإن ذلك كله يبدو وكأنه يبرهن لنا بوضوح كاف ، على أن الاغريق قد سعوا لتقليد هذا الرمز المجازى فى أسطورتهم عن لينوس ، حيث يقدمون لنا هذا الأخير باعتباره مخترعا لموسيقاهم ، وأنه هو الذى حضرهم بفضل أغنياته ، لكنه قتل بفعل ضربة سددها إليه هيرقل بقيثارته حين بلغ به الغضب منتهاه – أو على الأقل فإننا نجد الاغريق – على نحو قريب من هذا قد زيفوا ، أو على نحو ما ، قد حاكوا ، فى خفة ، الاستعارات والرموز الفلسفية الحاذقة التى كانت لدى المصريين .

وحيث لا يسمح لنا العقل ، أو قل لأننا لا نجد سببا معقولا ، حتى الآن ، فى

---

(١) ظن علماء كثيرون ان اسم أورفيوس Orpleus يعود لأصل مصرى ، وهو اسم يعنى ، عند قبولنا لفكرة هذا الاشتقاق ، ابن حور (هورس) Ourus الذى يكتبونه على هذا النحو Horus . انظر : – شميت ، الأعمال التى فسرت أثناء العصور القديمة وبصفة خاصة فى العصور المصرية ، الرسالة العلمية الثالثة عن أسماء أو ألقاب أورفيوس وأمنيون ، كارلسروا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن نرى فى الشخوص الذين تشير إليهم الحكايات المصرية القديمة شيئا آخر سوى كائنات استعارية أو رموز ، فإننا غير قادرين على أن نجد من الدوافع ما يكفى كى نستبعد التفسير الاشتقاقى لأسم مانيروس ، والذى قدمه جابلونسكى لنا بجعله : ابن الخلود أو ابن الأبدية ، برغم أن هذا التفسير نفسه لا يقدم كثيرا ولا يؤخر ، وان كان يتفق بشكل أفضل مع العقل أو الفهم الذى يمكن أن نتصور به كل الرموز المصرية الأخرى .

وكما قد أطلق على إيزيس التى نراها وسط الموسيقيين ، محبة للغناء والرقص وتجد فيهما بهجتها وسعادتها ، اسم الهة الخير أو جنية الخير ؛ وكما أن حورس رئيس الموسات أو ربات الفنون التسع قد كان ينظر إليه باعتباره إله الشعر والنغم ، فإن بمقدورنا بالمثل ، ان نعطى للعبقرية (أو الجن) الذى اخترع الموسيقى اسم ابن الخلود (أو ابن الأبدية) ؛ وبهذا الخصوص نفسه كان الاغريق يقولون عن أبو للون إنه ابن جوبيتر ، ولم يكن لدى هسيود[١] Hesiode ولا بلوتارك[٢] أسباب مخالفة عندما أطلقا على ربات الفنون اسم بنات جوبيتر ؛ بل ان لدينا سببا قويا لكى نستنتج أن المصريين كانوا يعتبرون مانيروس ابن الخلود أو ابن الأبدية أكثر مما كانوا يعتبرونه شيئا آخر . إذ نجدهم يقولون ان هذا الاسم لم يكن قط اسما لرجل[٣]، وإنما هو مجرد اشارة رمزية ، وكانوا يستخدمونها عادة بمناسبة بعض الأحداث السعيدة أو أن من المرجح أنهم كانوا يقولون أى ابن الخلود ، أى ابن الأبدية ، كما نفعل نحن حين نقول : يا إلهى ! يا إلهنا القادر ! أو كما يقول الايطاليون والأسبان سانتا ما دونا ! ، أى يا سيدتنا العذراء المقدسة ! أو كما يقول العرب : يا الله ! كذلك فحين يدعو المصريون مخترع الموسيقى باسم : ابن الأبدية ، وحين يدعون حورس رئيس ربات الفن باسم إله الشعر والنغم وأخ لربة أو جنية الخير ؛ وحين يصورون إيزيس محاطة بالموسيقيين ، تطرب للموسيقى ، فلقد أرادوا بذلك أن يقولوا – ولا ينبغى لنا قط أن نشك فى الأمر-إن

---

(١) Hesiode, Theog. v. 25 et 36

(٢) Plutarque, des Propos des tables, quest. XIII, pag. 436, E.G.

(٣) Plutarque, d'Isis et d'Osiris

الموسيقى[١] هبة سماوية يحكمها القانون والتناغم أو التناسق فى كل جزء فيها[٢] وأنها تنسجم مع كل ما يوجد من خير [أى أنها توجد حيثما يوجد] أو بالأحرى أن كل خير[٣] يشكل [فى حد ذاته] موسيقى ، أى شيئا كاملا ومتناسقا ، أو أى عمل [آخر] من أعمال ربات الفنون .

مع مثل هذه الأفكار حول أصل وطبيعة الموسيقى ، فإن علينا ألا ندهش حين نجد المصريين يولون لهذا الفن مثل هذا التقديس الكبير ؛ فإذا كانوا مدققين لحد الوسوسة وغير متساهلين قط فى اختيار [كلمات] أغنياتهم[٤]، واذا ما وجدناهم قد أباحوا بموجب قوانين أغنيات بعينها ، هى التى بدت لهم الأفضل ، ثم حجبوا عن قصد أغنيات أخريات ؛ واذا كانوا قد ألزموا كل امرىء ، الزاما لا فكاك منه ، بأن يقوم بدراسة الموسيقى وبأن يدرسها بدوره لوقت محدد ، واذا ما رأينا الموسيقى تشكل جانبا من مبدئهم المقدس وتصوغ كل تراتيلهم الدينية ، وكذلك اذا ما وجدناها ، حال انتقالها من المصريين إلى اليونان عن طريق مستعمرات هى — أى هذه المستعمرات — التى حضرت هذا البلد[٥]، قد أحدثت — أى الموسيقى — هناك تأثيرات مدهشة لهذا الحد ، واذا ما ظلت تثير هناك الاعجاب والتقدير طيلة الوقت

---

(١) كان القدماء يقصدون عموما بكلمة موسيقى كل ما هو خير وكل ما يتفق مع الصالح العام . ويستخدم أفلاطون كلمة موسيقى بهذا المعنى ، وكان شعراء الملاحم والبطولات ، وشعراء التراجيديا والكوميديا يعطونها فى أغلب الأحيان معنى مشابها .

(٢) ترتبط الموسيقى بالنظام ، حتى أننا لا نستطيع أن نضع لحنا جيدا ولا أن نقدم (هارمونى) جيدا باصطناع نغمات لا تنسجم فيما بينهما ، وليس هذا وحسب ، بل إن من المستحيل علينا أن نستخدم فى المجال الموسيقى نغمات ذات ترددات غيرمنتظمة أو غير مترادفة (أى متساوية الديمومة) . وقد أشار الأغريق إلى هذه النغمات المتسقة بكلمة enmelis التى لا نستطيع أن نوردها هنا إلا بكلمة mélodique أى نغمة لحنية إذ ليس لهذه الكلمة اليونانية مقابل دقيق فى لغتنا كما أن لغتنا لم تستوعبها بعد ، أما النغمات المخالفة لتلك (النغمات المتسقة) فكان يشار إليها بكلمة ekmelis والتى لا يمكن أن نجد لها مقابلا فى لغتنا إلا كلمة antimélodiqui (أى النغمات غير اللحنية أى النغمات النشاز) .

(٣) استخدم المؤلفون الاغريق القدامى فى بعض الأحيان كلمة موسيقى كصفة تعنى النظام الاسمى أو الأكمل وذلك عند وصف النسق الذى يقوم على أساسه شىء ما ، كما نصف على سبيل المثال النظام الأكمل الذى يلاحظ فى صفوف جيش مصطف لخوض معركة . وسوف يصبح ذلك كله أكثر وضوحا عندما سنشرح فى مبحثنا الرابع ما كانته موسيقى المصريين فى حالتها الأولى .

(٤) انظر فيما بعد المبحث الرابع .

(٥) AESChyl, suppl. init.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذى كانت لا تزال خلاله فى براءتها الأولى ، فلن يكون اعتباطا إذن ان أفلاطون ، الذى قد كان شاهد عيان (أو شاهد سماع ان جاز التعبير) لا يتحدث عن هذه الموسيقى الرفيعة إلا بقدر كبير من الاعجاب والحماسة .

وفى الوقت نفسه فإن ما يبدو لنا اليوم ، بلا ريب ، أمرا فريدا أو غير مألوف ، ولم يكن يبدو كذلك بالتأكيد فى الماضى ، هو أن المدينة التى أقامت بها أول مستعمرة من المصريين فى اليونان كانت تتشرف بأن تحمل اسم أرجوس Argos[1] والتى كانت فى حروفها المصرية تلفظ إرجو erdjo ؛ وتعنى موسيقار أو من يشتغل بالموسيقى ؛ وانه كان يشار باسم أومولب Eumolpe والتى تعنى المغنى اللطيف أو المحبوب ، إلى البطل المصرى الذى ينازع إريختيون عرش أثينا ، والذى انشأ فى هذا البلد فصلا دراسيا كهنوتيا على غرار مدارس الكهنة المصريين ، وظل أحفاده الذين كان يشار إليهم باسم أبناء أو حفده أو مولب Eumolpides يحتفظون لأنفسهم وحدهم بحق الالتحاق به ، ولعلنا نلمس من ذلك أن ما كان يميز المصريين بصفة خاصة كانت – وعلى وجه الخصوص – هذه الدرجة العالية من الاكتمال أو النضج التى بلغوها فى الموسيقى ، لاسيما فى الأغنيات ، كما لم يكن قد عرف لديهم من لقب أكثر مدعاة للشرف من لقب موسيقار أو مغن[2] .

وفى النهاية ، فإن الشيء الذى لابد وأن يجعلنا – بصفة حاسمة – على يقين بأن هذا الفن قد عرف مصر وانتشر بنجاح بالغ ، وبأنه قد تأسس هناك على مبادىء أكيدة هو أن أشهر الموسيقيين الشعراء فى العصور القديمة : ميلامبوس ، أورفيوس ، هوميروس ، موسايوس . تربااندر ، طاليس ، فيثاغورث هم على وجه الدقة الذين تكونوا فى مدرسة المصريين وأن لا أحد غيرهم منذ ذلك الوقت قد استحق ما ناله هؤلاء من التقدير ، ولا تمتع باعتبار يماثل ما كان لهؤلاء من كبير الاعتبار .

---

(١) Jablonski, opuscula, tom. I, pag. 36.

(٢) يبدو أن هذا اللقب (موسيقار ، أو مغن) كان فى واقع الأمر عند قدماء المصريين لقبا يعبر عن بالغ التكريم إذ كان يعطى لحامله حق الصدارة وسط كبار الكهان طبقا لما يخبرنا به كليمانس السكندرى Clément d'Abx . وقد كان الأمر على هذا النحو كذلك فى أوساط اللاويين عند بنى إسرائيل وبين الدرويد druide عند الغاليين ، كما كان الحال يسير على هذا المنوال بلا ريب فى كل مكان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولعل الأفكار المسبقة التى ولدتها فينا موسيقانا الحديثة قد ترتفع لاتهامنا بالمبالغة فيما نسوقه الآن ، ولكن العالم كله لا يعرف بلا جدال أن الموسيقى التى نتحدث عنها كانت بالغة الاختلاف عن تلك التى نصنعها اليوم والتى ليست فى واقع الأمر سوى اعتساف للفن يبلغ به مرحلة الفساد .

كانت الحقيقة والجمال والحيوية ودقة التعبير وعذوبته تشكل الموضوع الأساسى للموسيقى القديمة ؛ وكانت البساطة المهيبة ذات الجلال والسامية التى لا يوفرها سوى اختيار موفق تمليه المتطلبات الضرورية وحدها التى للفن - كان هذ كله هو الذى يعطى لسطوة تأثيرها على الدوام هذا النجاح المعصوم والمضمون ؛ أما الزخارف أى تلك النغمات الاضافية وكذا التعقيدات فإن بمقدورها - فيما يبدو - أن تبارك هذه المباهاة المتعجرفة والخاوية للفنان أكثر من أن تبلغ به الهدف الحقيقى للفن . العكس من ذلك هو ما يحدث فى موسيقانا الحديثة ، فإن النغمات الاضافية والتعارضات أو التعقيدات هى على نحو ما عناصر تكوين الفن ، وبدونها لا يكون الفنان فى عين العارف العامى أو المبتذل : أما الحقيقة ، أما الحركة والجمال وعذوبة التعبير ، فصفات أو ميزات ليس لذوقنا الاستعداد الكافى لاستيعابها ، أو حتى المران عليها ، حتى لم نعد نلقى لها كبير بال فى أيامنا هذه . أما فى العصور الضاربة فى القدم فقد كان كل شىء يحمل طابع الوقار والهيبة ، والعقل والحكمة فى حين يبرز كل شىء فى القرون اللاحقة ، وبصفة أساسية فى العصور الحديثة ، طابعا من النزق ، أو هو يكشف عن أبحاث من اللغو ، لا جدوى ولا طائل من ورائها ، تجهد نفسها كى لا تجسم فى النهاية سوى التفاهة .

ليست لدينا موسيقى منذ نحو ألفين إلى ثلاثة آلاف عام ؛ ومع ذلك فحتى لو أن كان لدينا اليوم شىء منها ؟.فمما لا جدال فيه أننا كنا سنلمس - لحد يدفعنا على الاعتراف بالحقيقة - أن الموسيقى الأقدم كانت هى الأكثر جمالا ونضجا ؛ وفى الوقت نفسه ، فإننا نستطيع أن نحكم على الأمر عن طريق عقد المقارنات بين منتجات الفنون الأخرى ؛ ولنأخذ البلاغة على سبيل المثال ، وهى التى كان لها أكبر قدر من الاصهار أو أواصر القربى مع هذه الموسيقى القديمة ، ولنتأمل وحسب ما يميز فصاحة الخطابة عند الموسيقيين عنها عند شيشرون ، وسنرى أن قوة الأسباب والبراهين عند الأول ، قد بزت الأشكال والصور ، فى حين تبدو هذه الأشكال

والصور عند الثانى ، وعكس ذلك ، هى التى سيطرت على الخطابة أو البلاغة حتى أنها تترك كل مقومات الفن عارية دون حماية . كذلك فإننا فى الشعر ، فى الرسم ، فى العمارة ، فى كل شيء ، سوف نجد تباينا مماثلا من نوع مخالف . وكم تبدو روائع أعمالنا فى النحت أدنى مرتبة من (تمثال) أبو للون Pythien(*) من (تمثال) لاوكون Laocon(**) .

إن كل شيء يقدم لنا شهادة لا يمكن ردها على أن الفنون تنأى كثيرا عن غايتها الحقيقية . بينما هى تقترب من عصورنا الحديثة ، وان البشر قد أصبحوا يولون اهتمامهم باساليبها أكثر مما يعكفون على أغراضها ، ولهذا السبب نفسه ، فقد أصبحت هذه الفنون ، بالقدر نفسه ، أقل نفعا وبالتالى أقل مدعاة للتقدير والاحترام . لقد سقطت موسيقانا الحالية من أعلى مراتب الأهمية التى كانت لها فى الماضى ، ولقد تعرت من كل نفوذ لها أو سطوة كانت تمارسهما على التقاليد فى العصور القديمة ، وبصفة خاصة عند المصريين ، حين لا تقدم للناس ، فى حالة الفساد والانحلال التى تزرى بها اليوم وتشوهها ، أو عندما لم تعد تقدم سوى أقل القليل من الوشائج والتى كانت تشيع فيها فى ماضيها القديم : إن الفرق المذهل القائم بين ما هى عليه اليوم وبين ما كانته فى مصر القديمة ، وتلك المسافة الزمنية الشاسعة التى قدر علينا أن نقطعها فى قفزة واحدة لكى نبلغ زمنا يمثل هذا البعد والتى تمثل فى بعدها هذا تلك الحقبة التى نضطر للعودة إليها - إن هذا كله ، بالاضافة إلى ألوف من الأسباب الأخرى كذلك ، يجعلنا ندرك أنه لا مناص لنا عن أن نقدم هنا بعض لمحات عن موسيقى العصور الوسيطة قبل أن نتوسع أكثر من ذلك فى محاولتنا لتبين حالة هذا الفن عند المصريين القدماء : ذلك أن المرء ربما قد لا يعرف (بغير ذلك) كيف يستوعب أو يخفف من هذا التباين والتنافر الباعثين على الصدمة لهذا الحد ، واللذين يبدوان عندما نعقد مقارنة ولو عابرة بين الموسيقى الحديثة والموسيقى القديمة ! فقد يكون بمقدور هذا التناقض ، الذى لم نمل من التنبيه إليه حتى أصبح محسوسا لدرجة كافية أو تزيد

(*) انظر الهامش رقم ٣ ص ٧٦ . (المترجم)

(**) ابن بيرام وهيكوب ، وكاهن ابو للون فى طروادة . وتقول الأسطورة إن أبناءه قد قتلوه خنقا بثعبانين عملاقين . (المترجم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن الكفاية ، إذا لم يتم إضفاء بعض الملاءمة عليه ، أن يخنق خيال أولئك الذين تشدهم الاحكام المسبقة ، وأن يلقى بظلال من الشك على ما بقى علينا أن نقوله (فى ثنايا هذه الدراسة) حتى ليبدو أمرا أقل رجحانا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الثالث

عرض موجز لطبيعة الموسيقى ، وبصفة خاصة فن الغناء عند الأقدمين – الغرض الرئيسى لهذا الفن عندهم ، استخدام الغناء الشفاهي التقليدى ،الذى كانت تأخذ به كل الشعوب فى العصور الضاربة فى القدم ، فكرة عن مبتكر وعن ابتكار الكتابة والحروف الهيروغليفية ، وعن النتائج التى نجمت عن ابتكار الحروف بالنسبة لكل من فنى الموسيقى والشعر ، وعن النفور الشديد الذى أبداه المصريون تجاه هذا الفن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه فكرة قد لا نكون بحاجة لأن نلح فيها حتى نجتذب إليها الانظار . وهى أننا كلما رجعنا إلى الوراء باتجاه العصور القديمة ، الضاربة فى القدم ، كلما اتخذت الموسيقى طابعها الوقور ، الجاد والنبيل ، وكلما اتسع مداها وزادت سطوتها ! وعلى العكس من ذلك ، فكلما اقتربنا باتجاه العصور الحديثة ، كلما بدأ هذا الفن تدريجيا يفقد من وقاره ومن صرامته ، وكلما أصبح هشا تافها ، ينطوى على نفسه ليتخبط داخل حدود ضيقة . وفيما مضى ، حين كان هذا الفن يرتبط بالشعر فى مبادئه ، بل كذلك بقواعد النحو ، فإنه لم يكن يختلف فى كثير عن البلاغة الحقيقية(١).

فالفعل يغنى ، عند القدماء . كان معناه أننا نعطى للصوت البشرى النغمات الصوتية الأكثر ملاءمة للمعنى الذى تأخذه – ولابد – كل كلمة من كلمات الخطاب(٢)، كان معناه أن نسمع النغمة الشعورية التى من شأنها ، أكثر من غيرها ، أن تحرك القلوب وأن تولد الاقناع وتؤكد الاقتناع ؛ ذلك أن كل خطاب يعد لكى يلقى فى جمهور ، كان ينبغى أن يكون شعريا ومنغما ويعد جزءا متكاملا مع الموسيقى(٣). ومن هنا جاءت العبارة التى كان الشعراء يبدأون بها أشعارهم ، إننى

(١) Plat., de Legib, lib II et lib V; de Republ. lib II et lib. III, et in Protagoras
Demosth. orat, de Corona

(٢) Strab. geogr. lib I, p. 16 et 17, gr, et lat., Basilae, 1571, in- fol.

وكل هذا النوع من التنغيم ، أى التغيير فى نغمة أو ايقاع الصوت كان يسمى فيما مضى غناء ، وعلى هذا النحو فإن يوريبيديس فى مسرحية إيفيجينيا (البيتين ١٤٥ – ١٤٦) يسمى الشكايات التى يطلقها الاحساس بالألم اغنيات غير غنائية (أى لا سبيل لأن تغنى على أنغام القيثارة antilyrique) وذلك بالطريقة نفسها التى يسمى فيها مسرحيته الفينيقيات (البيت ٨١٣) تلك الصيحات المفزعة التى ينتزعها الألم بالأغنيات العارية عن الموسيقى . وهى الأمر الذى يعنى ، فى الحالة الأولى ان الأغنية لم تكن محصورة فى نطاق الأغنيات التى تصحبها أو تدعمها أنغام القيثارة ، التى لم يكن ينبغى قط الابتعاد عنها عند القاء خطاب ، وهو يعنى فى الحالة الثانية أن الصوت كان يحدث بفعل وجود فجوات أو مسافات صوتية غير متناسقة وقعا غير مناسب للأذن تمجه الموسيقى . وقد استخدم الشاعر كذلك الفعل يغنى بمعنى أعلن أو نشر أو أذاع ؛ واننا لنجد فى التراجيديات الاغريقية ، بشكل خاص ، أكثر من غيرها نبذا وأفكارا رائعة وأكيدة لما كانت عليه الموسيقى القديمة .

(٣) وهو نفس ما قاله افلاطون بشكل صريح فى جمهوريته ، حين أجرى على لسان سقراط هذه العبارات :

« سقراط : ان الخطابة بلا جدال هى جزء من الموسيقى .

اديمانت : نعم .

سقراط : وهناك نوعان من الخطب : بعضها صحيح وبعضها الآخر مصطنع أو مختلق » . =

أنشد ، إننى أقدم لكم ألحانى . ومن هنا كذلك جاء اسم شعر Poème الذى كانوا يطلقونه على مؤلفاتهم أو مقطوعاتهم ، وهو كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية Piéo وتعنى إننى أصنع ، إننى أنظم بفن (أى باتباع قواعد بعينها) وذلك للتمييز بين هذه المنظومات المدروسة وبين تلك التى تنظم دون فن أى بدون اتباع لقواعد فنية ، أو بينها وبين أحاديث العامة . وهكذا جاءت كلمة ode (وتعنى قصيدة غنائية أو أنشودة) وقد اشتقت من الكلمة اليونانية Odhi ومعناها الغناء ، وهكذا بالمثل تكونت كلمة tragédie(١) (التراجيديا أو المأساة) وهى تشتمل على كلمتين : الكلمة السابقة Othi والتى تعنى ode أى غناء ، ثم كلمة Tragos وهى تعنى التيس bouc لأن الشخص الذى كان يحوز النصر فى أعياد باخوس كان يتلقى مكافأة له جلد تيس ، أى قربة مليئة بالنبيذ ، وعلى هذا المنوال جاءت كذلك كلمات كوميديا Comedie . رابسودى rapsodie ، باليوندى Paliondie ، بسالمودى Psalmodie ، ايبوده epode ، وبارودى Parodie .. الخ(*) ، إذ تتكون هذه الكلمات جميعا من كلمة Odhi وتعنى غناء بالاضافة إلى كلمة أخرى تحدد نوع هذا الغناء ؛ وأخيرا فعلى هذا النحو كذلك

= وهو يقصد بالأولى الأشعار الملحمية وبالثانية الأساطير أو الشعر الرمزى ، وكل بقية الكتاب مخصص لدراسة كل واحد من هذين النوعين من الخطابة ثم يقول سقراط بعد ذلك فى الكتاب الثالث من جمهورية أفلاطون :

« سقراط : يبدو لى أننا قد عالجنا حتى النهاية هذا الجزء من الموسيقى الخاص بالخطابة والأساطير ، لأننا قد استقصينا موضوعات وشكل الخطابة

اديمانت : إننى أرى نفس رأيك .

سقراط : يتبقى علينا إذن أن نتحدث عن هذا الجزء الآخر من الموسيقى الذى يختص بالغناء والتطريب . الخ »

وهكذا يتبدد كل غموض ، فمن الواضح أن أفلاطون كان يعتبر أن الخطابة جزءا متكاملا مع الموسيقى أو متمما لها .

(١) طبقا لما يذكره الأب فاترى Vatri (فى خطبة القيت فى الجمعية العمومية لأكاديمية الآداب والفنون الجميلة ، ابريل ١٧٤٨) فقد تكونت التراجيديا أو المأساة من الشعر الغنائى ، وان كان أفلاطون يظن أنها قد جاءت من قصائد المديح التى كانت تغنى على شرف باخوس . انظر :

Mémoires de l'Academie des inscriptions et belles- lettres, tome. XV, p. 235 et s.

(*) ومعانى هذه الكلمات بنفس الترتيب الذى جاءت عليه هى : ملهاة ؛ قصيدة شعرية ينشدها رواة محترفون (وهى اليوم تعنى منتخبات موسيقية ؛ قصيدة تراجعية : وهى تلك التى يتراجع فيها الشاعر عن شىء قاله من قبل ؛ الترتيل أو الانشاد الرتيب ، الايودة وهى قصيدة يونانية يعقب فيها بيت قصير بيتا أطول منه ؛ محاكاة ساخرة أو تحريف على سبيل الهذر أو السخرية [المترجم]

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جاءت كلمة بروزوديا Prosodhia أى Prosodie نفسها(*) وهى المكونة من كلمتين يونانيتين : pros ومعناها من أجل ، أو لغرض ، و odhia بمعنى الغناء ، لأن هذا الجزء من الأجرومية يشتمل على القواعد التى ينبغى على المرء اتباعها ، كى ينغّم خطابه على نحو جيد ، أى لكى يغنيه جيدا ؛ ذلك أن كلمة accentuer أى ينغم قد جاءت بدورها عن اللاتينية accentus وهى كلمة مركبة من كلمتين : ad بمعنى من أجل و cantus بمعنى الغناء ، وهذه كما نرى ترجمة دقيقة لكلمتى pros و odhi اللتين تعنيان بالمثل من أجل الغناء وهما الكلمتان اللتان تتكون منهما كلمة prosodie أى علم العروض .

وفى واقع الأمر فإن كلمة accentus عند اليونان ، مثلها مثل كلمة prosodia عند الاغريق ، كانت تعنى هذه الحركة التى يرتفع بموجبها الصوت أو ينخفض أثناء إلقاء الخطاب ، طبقا للقواعد التى كانت تجعل من الخطاب ضربا من الغناء ؛ ولهذا السبب أيضا فإن هؤلاء الذين كانوا يعلمون التأليف أو الخطابة ، كانوا يصطحبون معهم أحد العازفين كان ينظم لهم (إيقاع) خطابتهم ، بواسطة آلة موسيقية تسمى tonarion أى صانعة النغم ، اذ كانت هذه تعطى النغمة المبتغاة ، أو كانت تسمى phonasque أى الصوتية لأنها كانت هى التى تقود الصوت أو تهديه ؛ ولقد رأينا كذلك خطباء بالغى التميز عند الرومان(١) كانوا يجدون فى طلب ذلك ، حتى فى الخطب التى يلقونها على الجماهير ، سواء كان ذلك على منصات الخطابة أو فى ساحات المحاكم ، ومع ذلك فلم تكن هذه سوى سوءة ، فقد كانت مجرد سعى لمحض التباهى والفخفخة ، كان يعيبه شيشرون الذى كان يكتفى حسب قوله عندما يلقى خطبه بإحساسه الخاص ، وباستخدام قواعد العروض التى اعتاد الناس استخدامها . ولقد بلغ تعود الناس على هذه القواعد عند الإغريق ، وبصفة خاصة فى أثينا لدرجة أن الصدمة التى كانت تعتريهم عند سماعهم تغيرا فى مقام الصوت ، مخالفا للقواعد

(*) ومعناها علم العروض أو علم نظم الشعر ؛ وتعنى كذلك المنظومة الموسيقية ؛ كما تعنى طريقة العزف أو الغناء وتعنى أيضا المدخل الغنائى . [المترجم]

(١) Plutarque Oeuvres morales, comment il faut refrener la cholère, traduction d'Aymot.

[بلوتارك ، مؤلف فى الأخلاق ، كيف ينبغى أن نقهر الغضب]

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المألوفة لم تكن لتقل عما يعترينا اليوم عند سماعنا خطأ لغويا أو نحويا ؛ وحيث لم يكن الاغريق الآخرون يلقون كبير بال لقواعد العروض هذه بنفس الدرجة من الحرص التى كان يبديها الأثينيون ، فقد كان العامة ، حتى من أدنى طبقات الشعب يتعرفون على هؤلاء دون مشقة ، وبمجرد أن يتلفظوا ، عن طريق هذا العيب .

وترجع عادة استخدام آلة موسيقية لضبط واصطحاب صوت الخطباء والشعراء(١) فى الخطب المعدة والتى « جهزت » لكى تغنى ، أى لكى تلقى فى جمهور ، إلى عهد سحيق ، فلم يكن للقيثارة فى أصلها ولزمان طويل للغاية ، من استخدام أو نفع إلا ما تقدمه التوناريون أى صانعة النغم فى عصور لاحقة . وقد يكون من غير المعقول أن نفترض أن هذه الآلة الموسيقية التى ظلت لقرون عدة لا تحمل سوى أوتار ثلاثة ، يبعد كل وتر منها عن الآخر بفاصلة رباعية واحدة (فترة تتكون من أربع درجات) ، قد أمكنها فقط أن تستخدم فى اصطناع أغنية من تلك التى نلحنها نحن بكثير من المهارة ، فلقد كان فن الموسيقى عندئذ بالغ الصرامة شديد الوقار لحد يستحيل معه أن يكون على أقل استعداد لاستيعاب أو تقبل هذا النوع الهش ، والعاطل من كل معنى ، والذى يضحى فيه بالحقيقة وتدفق التعبير وحيويته فى سبيل تحقيق لذة تافهة لا طائل منها ؛ لذة حسية صرف ، اصطنعت لدغدغة الحواس ورخاوة النفس ، تأباها الروح ويمجها العقل ، فهذان لا يقدران على استيعابها على الاطلاق ، فهى قادرة على تشتيت الانتباه بل تغيير مساره بشكل تام وابعاده عن غايته الرئيسية ، والتى — أى هذه الأغنيات — تتعارض كلية مع الغاية التى كانت الموسيقى القديمة تبتغيها .

وحيث لم تكن الموسيقى والشعر والبلاغة (أو الفصاحة) فى العصور بالغة القدم سوى علم واحد ، ووحيد ، يستوعب كل ما يدخل فى دائرة الصوت والكلمة فى الحديث(٢) فقد كان الموسيقيون نتيجة لذلك هم وحدهم الشعراء والخطباء والمؤرخين ؛ وكان يطلب إليهم أن يتمايزوا بخاصياتهم(٣)، وكانوا يكرمون فى معظم

---

(١) كان الشعراء فى العصور القديمة هم فى الوقت نفسه الخطباء والمؤرخين والفلاسفة .

(٢) أفلاطون ، الجمهورية ، الكتابان الثانى والثالث .

(٣) Plat. de legib II et lib VII; de Rep. lib. III; Io, vel de Furore poetico.

(محاورة إيون ، أو عن الإلهام فى الشعر) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأحيان بأن تطلق عليهم ألقاب القديسين والأنبياء ورسل الآلهة . وعلى هذا النحو كان أولئك المكونون لطائفة المرتلين والمنشدين والمغنين والشعراء(*) بين اللاويين عند بنى اسرائيل وبين طبقة الكهان عند المصريين ، وهؤلاء الذين كانوا يشكلون طبقة شعراء الملاحم والبطولات بين الدرويد عند الغاليين ، وهكذا كان تاميريس Tamyris وميلامبوس ، وموسايوس وأورفيوس عند أهل تراقيا ، وفيميوس Phémius وديمودوكوس Demodocus وهوميروس وهسيود وأولمب وترباندر عند الاغريق ... وكان كل هؤلاء جديرين حقا بتلك الألقاب التى توجب الاحترام إذ كانوا يقدمون أحداث الماضى(١) ، باعتبارهم أكثر علما بها من الآخرين جميعا ، فى أشعارهم كدروس مستقاة من التجربة ، يخلدون ذكراها دونما توقف ويحتفظون لها على الدوام بالذكرى الوفية ، وينقلون بقدر متماثل وبكثير من القوة والحقيقة حتى تلك الانطباعات التى كانت هذه الأحداث تأتى بها على أولئك الذين أسهموا فيها(٢)، بل لقد كانوا يجعلون الناس يستشعرون مقدما الانطباعات التى كان لابد أن تأتى بها الأحداث التى يعلنون أو يتنبئون أنها ستهدد الأجيال القادمة إذا ما أهملت نصائحهم بتحريض من لا مبالاة آثمة(٣). لقد كانوا كذلك جديرين بهذه الألقاب لأن أشعارهم زاخرة بالعظات العميقة والحكيمة والمبادىء الرائعة(٤) وتقدم طيلة الوقت دروسا للبشر كان يرجع إليها حين يتصل الأمر بتنظيم مصالح الأمم أو تدبير مصالح الأفراد(٥)، وتهذب الشعوب

= Strabon, geogr., lib I, pag. 14; et lib X, pag. 533, edit. sup. laud. Aristid. Quint. de Musica, lib II, pag. 74, ienter Music. Auctores septem, edit, Meibom. Amstelod 1752, in 4°

(*) الكلمة الفرنسية المستخدمة فى النص الفرنسى هى Chantres وهذه تعنى كل هؤلاء . وقد أوردنا كل معانيها إذ يتفق ذلك مع السياق هنا . [المترجم]

(١) لأن كل من هو موهوب فى المعرفة لديه علم بأحداث الماضى ويمكنه التكهن بأحداث المستقبل . يعرف فنون الخطب وحلول الألغاز ، ويعرف سلفا العلامات والنذر وأحداث الأزمان ، كليمانس السكندرى ، ستروماتا ، الكتاب السادس ، ص ٦٦٠.

(٢) انظر فى الأوديسة ما ينقله الينا هوميروس عن تأثير أغنيات ديمودوكوس وفيميوس .

(٣) انظر فى التوارة الآثار التى كانت تحدثها النبوءات على الشعب اليهودى .

(٤) أفلاطون ، القوانين ، الكتاب الثانى والكتاب السابع .

(٥) ارسطو ، البلاغة الفصل الخامس عشر ؛ Aristid. Quint., de Musica, lib II, pag. 39-79; وانظر كذلك ما ذكرناه حول التماثل بين الموسيقى والفنون التى تقوم على محاكاة الكلام ، الباب الرابع ، الفصل السابع ، حول عالمية الرواية الشفاهية والمغناة ، عند كل شعوب العالم القديم بدءا من البطاركة الأول .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهمجية(١) وتجعل من طباع الشعوب المتوحشة طباعا رقيقة(٢)؛ وفضلا عن كل ذلك فلقد كانت هذه الأشعار ذات نفع كبير فى تهدئة حوادث العصيان والتمرد ، كما كانت تعمل على إيقاف الانشقاقات بين البشر وعلى تبديد خصوماتهم وعلى إعادة الوفاق والوئام فيما بينهم(٣)؛ كانت هذه الأشعار تدعم النفس وتشكلها على أساس الفضيلة(٤) ؛ وباختصار فلقد كانت كل هذه الأشعار التى تألف منها التراث الشفهى والمغنى ، ولعله هو الوحيد الذى تواتر استخدامه خلال عدد كبير من القرون لدى كل شعوب العالم ، هى الوسيلة الأكيدة والتى لا تخيب ، لكى ينتشر هذا التراث بدون عوائق تهدده ، وبشكل يجعله غير قابل للتحور ، حاملا معه المعرفة بالدين والقوانين والعلوم والفنون(٥).

وفى هذا الخصوص يؤكد لنا بلوتارك دون موارية ، وهو رجل تعد شهاداته ذات وزن ، ومن شأنها أن تضفى بالضرورة الثقة فيما يتصل بالعصور القديمة ، أن القدماء لم يكونوا يستخدمون سوى الشعر وسيلة لتأكيد المعارف ولتثبيتها . وإليكم كيف عبر هذا المؤلف عن ذلك فى مقالته التى عنوانها : عن نبوءات العرافة بيتى Pythie(٦) « يبدو أن استخدام اللغة يتعرض للتغيير على النحو الذى يتغير عليه استخدام النقود ؛ فلكل من هذه وتلك قيم مختلفة فى الأزمنة المختلفة ؛ عندئذ لا يتقبل الانسان إلا ما هو معروف ومتداول : وعلى هذا ، فلقد جاء وقت،لا شك فى مجيئه ، كان الناس فيه يدخلون أو يلحقون كل تأريخ ، وكل علم فلسفى بل كل فعل أو مثل بسيط وباختصار كل ما يحتاج لأن يبين بفعل نغمة صوتية أكثر وقارا ، بالشعر

---

(١) أرسطو وأرستيد كنتليان ، شرحه ؛ بلوتارك ، مقالات فى الاخلاق .

(٢) بلوتارك ، نفس المرجع : فيما ينبغي على الفيلسوف أن يناقشه مع الحكام . ص ١٣٤ .

(٣) بلوتارك ، عن الموسيقى ، ص ٦٦٢ ؛ أفلاطون ، القوانين الكتابين الثانى والثالث ، بروتاجوراس .

(٤) بلوتارك ، عن الموسيقى ، ص ٦٦٤ ؛ وقد جاء على لسان سقراط فى حوارية فيدون تأليف أفلاطون بشكل صريح : إن الفلسفة ليست سوى موسيقى رائعة أو بنص عبارته « الفلسفة هى الموسيقى فى قمتها » ؛ وفى الكتاب الثالث من الجمهورية يقول أفلاطون كذلك : « الفيلسوف دون غيره هو الموسيقى » .

(٥) فى بيت من الشعر شبيه بتلك التى نتحدث عنها قال ثيوجنيد Théognide :

أنشودة الخالدين هذه ترددها الأفواه

(Théognide, Sentent, V. 18)

(٦) Plutarchi, Chaeronensis opp. moralia, Tom II, de pythiae oraculis, p 406, B,C,E, gr. et lat. G. X ylands interprete, lutetiae, 1624, in- fol.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والموسيقى إذ كان الإيقاع والغناء يعدان سمة من السمات التى رسختها الخطابة . وهكذا فإن ما لا يكاد يدركه (اليوم) سوى القليل من الناس ، كان كل الناس (فى الماضى) يفهمونه بيسر ، بل يطربون لسماعه فى شكل أغنيات ؛ فلقد كان الرعاة والفلاحون وقناصو الطيور ، كما يذكر بندار Pindar ، بفضل الدربة والسهولة اللتين توفرتا لهم فى هذا الوقت فى مجال الشعر ، يهذبون الأخلاق على صوت القيثارة وعن طريق الأغانى ، وكانوا ينصحون باللجوء إلى الحكايات الرمزية والأمثال ، بل لقد كانوا يخضعون الأدعيات التى يتضرعون بها للآلهة ، وأناشيد الحرب أو النصر ، لكل من الوزن والايقاع ، تصطنع بعضا منها عبقرية حاذقة ومرحة في حين يأتى البعض الآخر (عفو الخاطر) وطبقا للعادة السائدة — ولهذا السبب فإن أبو للون لم يمقت الأناقة والزينة عند النبوءة ، بل لم يشأ أن يزيح عن الإثفية (وهى ركيزة ذات ثلاثة قوائم يوضع عليها القدر أو الاناء) ربة الفن التى كانت تشرفه (بحضورها) ، وإنما هو ، فضلا عن ذلك قد شجعها إذ كان محبا يسعى جاهدا إلى الطبيعة الشعرية ، بل إنه هو نفسه ، حين تعلق بها ، كان يثير همتها ويستثير قريحتها بفعل تصورات أو أفكار سامية باعتبارها شيئا جميلا وجديرا بالإعجاب . ومع ذلك فحيث طرأ تغيير فى الأخلاق مصاحب فى الوقت نفسه للتغير الذى انتاب الأقدار والأذواق ، فقد بدأت العادة تحث على استبعاد كل حشد (لا طائل منه) ، فدعت إلى الابتعاد عن الشعر المتخذ شكل الحلقان وإلى البعد عن الزينات الذهبية والمعاطف الباذخة ، لقد اجتذت خصل الشعر الطويلة وابطل الكوثرن (الخف الذى كان الممثلون يمتدونه قديما على المسرح) . وسرعان ما اعتاد الناس ، مستخدمين الحكمة والعقل ، على محاربة البذخ بسلوك طريق الاعتدال والزهد وجعلوا حليتهم أو زينتهم بسيطة متواضعة هاجرين السعى وراء صلف وعجرفة لا نفع من ورائهما . هنا وبعد أن تغير شكل الخطابة بدورها . انتقل التاريخ **بعد أن نزل عن مكانه فى مركبتها** ، من الشعر إلى النثر ، وأخذ ما هو حق يتميز عما هو خرافى بفعل هذا الأسلوب الشعبى (النثر) . وحيث تفضل الفلسفة الوضوح وحيوية التعلم على هذه الأشعار التى توحى بالفزع والتى تنظر إليها على اعتبار **أنها** قد عفا عليها الزمن ، فقد استبدلت بهذه الأشعار فى مصنفاتها أسلوبا يخلو من الوزن والايقاع »[1].

---

(١) العبارة التى كتبناها بالأسود : حدها تتكرر بنفس الطريقة على وجه التقريب عند سترابون ، كما =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ودعما لما يخبرنا به بلوتارك فى هذا النص ، قد نستطيع أن نقدم هنا عددا كبيرا من البراهين ، لكننا سنكتفى بأن نذكر الوقائع التالية :

كانت القوانين عند أبناء كريت تكتب منظومة فى أبيات من الشعر ، وكانوا يغنونها ويلقنونها لأولادهم ليغنوها كيما تحفر فى ذاكرتهم بأسهل الوسائل . أما القوانين التى منحها خاروناس Charonas لأهالى ثوريوم فى اليونان الكبرى فكانت مدونة بالمثل فى أبيات من الشعر ، وكانت معدة لكى يتم غناؤها على أنغام الموسيقى ؛ أما الأثينيون فقد كان لديهم ما هو أكثر من ذلك بكثير ، حتى أنهم اعتادوا أن يغنوا أثناء مآدبهم ، وطبقا لرواية أرسطو(١) فقد اعتاد الأجاتير Agatyras فى عصره على تداول قوانينهم عن طريق الأغانى ؛ كذلك كان التورديتان Turditans الذين كانوا يعيشون فى عصر سترابون(٢) ، والذين يعودون بالعصور القديمة لقوانينهم إلى ستة آلاف عام فلم يكونوا ينقلونها إلا عن طريق أشعار مغناة ؛ وإذ كان الهنود ، إذا كان لنا أن نصدق هذا المؤلف نفسه ، يجهلون فن الكتابة كلية فقد كانوا يثبتون معارفهم نتيجة لذلك عن طريق أغنيات يرددونها بأصواتهم ، كذلك يخبرنا سترابون مرة ثالثة أن الفرس القدماء اعتادوا ألا يحتفلوا بآلهتهم وأمجاد أبطالهم إلا عن طريق اشعار مغناة ؛ وعلى صعيد آخر لم يكن للجرمان ، طبقا لما يقوله تاسيت Tacite والغال طبقا لما يرويه سيزار من حوليات تروى تاريخهم إلا أغنيات شعراء الملاحم عندهم . وقد كان الشعراء حتى عصر هوميروس لا يزالون يكتفون بغناء أشعارهم دون أن يكلفوا أنفسهم عناء كتابتها ، بل لقد حرم ليكورج أن تدون قوانينه حتى لا يتم انتشارها أو انتقالها إلا عن طريق الأغانى ولكى تستوعبها الذاكرة على نحو لا سبيل لمحوها بعد ذلك ؛ ولقرون عدة لم تكن المعارف تدون إلا فى شكل أبيات من الشعر ، ليتيسر غناؤها ، ولقد حرر سولون فى أبيات شعر مماثلة مؤلفاته الكثيرة التى وضعها فى كل فروع المعرفة ، ويروى أنه كان قد أخذ على عاتقه أن يكتب بهذه الطريقة نفسها تاريخ سكان سواحل

= سنرى بعد ذلك . أما الاختلاف الوحيد الذى قد نجده بين هذين المؤلفين حول هذه النقطة فهو أن بلوتارك ، إما مجاملة منه لعصره ، واما لأنه قد ظن الأمر على هذا النحو ، يعتقد فيما يبدو أن هذا الانتقال من الأسلوب الشعرى إلى النثر كان نافعا أكثر منه ضارا ، لكن سترابون يقف من الأمر موقفا مخالفا .

(١) Arist. Problem, sect, XIX, quoest. 28

(٢) Strab. Geogr, lib III, de Boetica.

الأطلنطي، وإذا كان هو لم يتم هذا العمل ، فإن أفلاطون الذى استحوذ عليه هذا الأمر نفسه قد عالجه نثرا .

ولم يحدث إلا فى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد أن بدأ كادموس Cadmus وفيريكيويس (السورى) وهيكاتيوس Hécatée فى تقطيع أوصال الوزن الشعرى ، ثم بدأوا حثيثا يعملون على تقريب أسلوب الخطابة الذى كان منظوما وموزونا من هذا الأسلوب غير المنتظم الذى أطلق عليه اسم : النثر[١] ؛ وطبقا لما يقوله سترابون[٢] ، وهو يتفق فى ذلك مع بلوتارك ، فقد كان هؤلاء هم أوائل من عملوا على إنزال الخطابة من المكانة السامية التى كانت تشغلها قبل ليهبطوا بها إلى حالة الانحدار والمهانة التى نجدها فيها الآن .

إن الانسان لا يكاد يتصور ، بداءة ، كيف استطاع الشعر أن يوجد قبل النثر ، وكيف فضل الناس الأثر الشفهى والمغنى على الأثر المكتوب ؛ كما أن المرء ليصدم إذ يرى الشعوب القديمة تعاف أو تلفظ فنا مثل فن الكتابة الذى بات الآن عربة العلاقات الاجتماعية بالغة الأهمية ، فى حين أنهم ، فيما يتصل بفن الموسيقى الذى لم يعد الآن سوى زينة فارغة للغاية ، كانوا يولونه تقديرا يبلغ مراتب التقديس . وأنهم لم يترددوا فى أن يدخلوا فى إساره الصلوات والأدعيات التى كانوا يضرعون بها إلى

---

(١) « النثر كلام مرسل ، غير خاضع لقانون الوزن ؛ ذلك أن القدماء كانوا يقولون ان المنثور (من القول) مرسل ومباشر : ولهذا يقول فارو إنه تبعا لبلاوتوس فإن النثر الممتاز هو النثر المباشر ، ولهذا أيضا يقال إن النثر هو الكلام غير المقيد بوزن والمرسل فى (أسلوب) مباشر .

ويقول آخرون إن النثر قد سمى بذلك (الاسم) لأنه منثور متفرق أو لأنه يندفع ويتحرك بحرية أكثر رحابة ولا ينحصر فى حدود معينة (كالشعر) . وعلاوة على هذا فمن المعروف أنه كان هناك منذ وقت طويل اهتمام لدى قدامى الأغريق ، كما هو الحال لدى الرومان ، بالشعر أكثر من النثر ؛ ذلك أن كل المؤلفات قديما كانت تدون شعرا ؛ غير أن الاهتمام بالشعر صار إلى ازدهار مؤخراً . وكان أول من كتب لدى الإغريق كلاما منثورا هو فريكيويس السورى ، أما أول من مارس لدى الرومان الكتابة بالكلام المنثور فكان أبيوس كايكوس (فى خطبته) ضد بيّروس ؛ ومنذ ذلك الوقت حتى الآن ، كتب آخرون بالكلام المنثور » .

إسيدوروس هسباليسيس ، الأصول ، الكتاب الأول ، فصل ٢٦ ، الفقرة ١٢ ، بازل ، ١٥٥٧ .

(٢) Strab on, Geogr. lib I.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الآلهة . وهو نفس ما فعلوه بالنسبة للقوانين التى أصدروها وبالنسبة لكل المعارف الإنسانية التى كانوا يرون أن من المفيد نشرها .

وإن عقولنا التى أضناها الاهتمام بكل ما ترى ، لا تستطيع أن تدرك إلا بمشقة بالغة أفكارا تتعارض كلية مع تلك الأفكار التى تعودنا عليها ؛ وإذ ينسى المرء أن الموسيقى ظلت لزمان بالغ الطول فن التعبير عن أفكار البشر ، بقدر كبير من الرقة والحيوية ، فإنه لم يعد يلمح ، بعد ، تلك الوشيجة التى كانت تربط بينها فيما مضى وبين فن الخطابة والشعر(١).

ولكم يجد الانسان نفسه مدفوعا على الدوام ، وعلى الرغم منه ، إلى النظر إلى هذه الفنون الثلاثة باعتبارها كانت على الدوام منفصلة ، وباعتبار أن من الواجب عليها أن تظل كذلك . لكن المرء لا يحكم عليها على هذا النحو إلا متأثرا بهذه الحالة من العزلة التى دفعها إليها منذ زمان طويل للغاية ، هذا المسار الخاطىء الذى اتخذه كل فن من هذه الفنون حين انفصل عن الآخرين ، وحين ظل يتباعد أكثر فأكثر ، وكل يوم ، عن الغاية المشتركة التى قضت بها الطبيعة عليهم ، ثلاثتهم ، الا وهى تعليم البشر والتخفيف من غلواء عواطفهم وتهذيب أخلاقهم ، لكنا ، ما إن نواجه هذه الفنون فى حالة نضجها أو تمامها الأول حتى نعود لا نجد فيها سوى فن واحد ووحيد ، يتشكل من اندماج حميم لكل وسائلها ، ثم ما إن نتفحص بعد ذلك تلك السوءات التى جرتها عادة الكتابة حتى تتوقف دهشتنا ، وسرعان ما يقتنع المرء بأن هذه الحالة الأخيرة للفن لم تكن أقل إجحافا وإيذاء فيما يخص تقدم العلوم والفنون ، عنها فيما يتصل بعملية الحفاظ على الأخلاق الحميدة .

إنه لأمر يخرج عن نطاق كل شك حقا فى أنه لو أن الانسان لم يستخدم فن الكتابة لاحتفظ لوقت طويل بعادة الرواية الشفهية والمغناة ولما ترك الأسلوب القديم ، الشاعرى الموزون ذا الايقاع ، ولما كانت قد وهنت عادة تناغم الايقاع فى أبيات الشعر ، وهو الأمر الذى تحافظ عليه الأغنية وترعاه على الدوام ، والذى يجعلنا نشعر بقوة المعانى بشكل أفضل فى الوقت الذى نحس فيه برقة وجمال ايقاع الأسلوب ؛ ولما

---

(١) بلوتارك ، مقالات فى الأخلاق ، أحاديث المائدة ، الكتاب السابع ، السؤال الثامن ، ص ٤١٩ ؛ الطبعة المشار إليها سابقا .

كان الناس قد فكروا قط فى أن يستبدلوا بهذا الأسلوب النبيل ، الراق والمتناغم ، أسلوب النثر المستكين ، الهابط والسوقى ، والذى لوث ودنس العلوم على نحو ما، إذ أصبح الأمر، بسبب هذا التدهور الذى اعترى الأسلوب، فى متناول الكافة ! فلم يكن للعلماء الزائفين أو أنصاف العلماء أن يشوهوا ، بفعل ما يرتكبونه من أخطاء ، تلك المبادىء التى لم يكونوا هم (لو ظل الأسلوب على حاله من السمو) فى حالة تمكنهم من فهمها من تلقاء أنفسهم وبدون أن يتم تنويرهم على أيدى رجال حكماء ومثقفين ؛ ولما كان الناس قد شجعوا هؤلاء على أن يصدروا ما يشاءون من أحكام جسور متهورة فى أمور كان ينبغى عليهم أن يحترموا أسرارها وأن يحفظوا مكنوناتها ، ولما كان قد واتاهم ذلك الاندفاع الخالى من كل حيطة حين شاءوا أن يخضعوا الدين والقوانين لنزوات خيالهم المشوش ؛ وأخيرا لما كان المرء قد رأى الاضطرابات تنتشر فى المجتمع ، وهى التى ظل سببها منذ ذلك الوقت هو المجون والانحلال والتمرد ضد القوانين .

ومع ذلك فلنرجع البصر عن هذه الاضطرابات المحزنة ، والتى انتهينا نحن أنفسنا من استشعار تأثيراتها المفزعة ، لنطل على مساوىء ليست نتائجها بالأقل نحسا وخطورة وان كانت تمسنا عن بعد أكبر .

أليس مما لا يقبل الجدل أنه لو لم يكن استخدام الكتابة قد عمل على توقف استخدام الرواية الشفهية لما كانت الأغنية لتصبح فنا متميزا عن الشعر والخطابة ، ولما كانت لتبتعد كثيرا عن المبادىء التى كانت تربطها بمبادىء الكلمة المنطوقة . أما الشعر ، وهو يرتبط على الدوام بالأغنية ، فما كان ليفقد المزايا التى كان يستمدها من التعبير والايقاع اللذين يزيدنا الصوت احساسا بهما[1] ولظل الشعر والموسيقى يمارسان على الدوام ما لهما من سطوة خيرة على الروح ، يستمدانها من ارتباطهما الحميم ربما من طبيعة وسائلهما نفسها ، ولظلا على الدوام جديرين بنفس التقدير الذى كان الناس يولونه إياهما من قبل، وأخيرا لما كان لدينا سوى تعليم أصيل ، حقيقى وأكيد ، يهيئه لنا أناس يبعثون على الاحترام بقدر ما هم يثقفون ، والذين — حيث هم خاضعون لقوانين الدولة ، وتحت رقابة القضاة أو الولاة ، بل والجمهور نفسه — لن يدرسوا إلا ما قد يناسب كل إنسان أن يعرفه ؛ ولن يكون علينا عندئذ أن نخشى مغبة

---

(١) أفلاطون ، الجمهورية ، الكتاب العاشر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انتشار مبادىء ضارة وخبيثة ، بشكل سرى ، مستفيدة من سكوت المجتمع ، حيث تظل تبذر فى صمت بذور الشقاق والفتنة . وليس هناك ما يبرهن بشكل أفضل على حكمة المصريين فى هذا الصدد ، ويجعلنا نستشعر الدوافع التى كانت تحدو بهم أن ينأوا عن الكتابة سوى الأفكار التى نوردها هنا لواحد من ملوك مصر القدماء ويسمى تحام Tham[١] ، والذى قاوم وهو فى عاصمته طيبة[٢] كل السوءات التى تجرها الكتابة ، حين تحدث إلى تحوت Theuth (تحوتى) مبتكر الحروف الهجائية[٣] عندما تقدم الأخير إلى بلاط هذا الحاكم يطلب الاذن بادخال استعمال هذه الحروف فى تنظيم أحوال ملكه ، محبذا استخدامها باعتبار أن منبر الكتابة هذا أفضل الوسائل لتقوية الذاكرة ولنشر العلم[٤] ؛ فرد عليه تحام بهذه الكلمات « أى تحوتى يا شديد الولاء والاخلاص ، هناك شيء آخر حرى بأن تراعيه عند تدوين المؤلفات الفنية ، شيء لابد من أن نعرفه قبل أن نصدر حكما سليما على الفوائد أو المساوىء التى سوف يجلبها فن الكتابة لمن يستخدمونه ؛ إنك يامن هو أب لحروف الهجاء تتذرع ، طبقا لعاطفتك نحو هذه الحروف ، بأفكار هى عكس للأثر الذى لابد لها أن تحدثه ؛ ذلك أن استخدام هذه الحروف ، حين يؤدى إلى إهمال تنشيط الذاكرة الخصبة ، سوف يبذر بذور النسيان فى عقل من سيستعيرونها ؛ فلسوف يستريح هؤلاء على هذا النحو ، إلى ما ستقدمه لهم الحروف فى مبناها الخارجى ولن يستوعبوا فى عقولهم بعد الأشياء [المعرفة] فى ذاتها ، وهكذا فإنك قد ابتكرت الوسيلة التى تستدعى الذاكرة

---

(١) يقال إن هذا الملك كان يعبد منذ وقت طويل فى طيبة تحت اسم الإله آمون .

(٢) كانت هذه المدينة تسمي فى اللغة المصرية أمونو Amon- no (Jerom XLVI, 25) أو هامونو Hamon- no (Ezech, XXX, 15)أو نو آمون No- Amon (Nahum III, 8) وهو ما يعنى أملاك أو إقطاعية آمون ، وقد ظن البعض أن هذه الشخصية هي شخصية شام نفسه ، الاين الأكبر لنوح . والذى كان من نصيبه مصر وسوريا . ولعل ما دفع إلى هذا الظن هو أن سان جيروم قد كتب اسم Cham (شام) على هذا النحو : Ham وان كان جابلونسكى ليس من أنصار هذا الرأى . انظر للمؤلف الأخير : le Pantheon AEgyptiarum أى معبد كل الآلهة المصريين ، الكتاب الثانى ، الفصل الثانى ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٣) لابد ان كليمانس السكندرى (Storm. lib I, p. 303) عند حديثه عن هذا الملك الذى تقدم إليه تحوتى ، كان قد القى نظرة على نص أفلاطون الذى سبق لنا أن أشرنا إليه . ويذكر كليمانس السكندرى ، من بين رجالات مصر الذين بجلتهم بلادهم ووضعتهم فى مصاف الآلهة : هرميس الطيبى Hermes le thébain واسكولاب ممفيس ESculape de Memphis.

(٤) أفلاطون ، محاورة فايدروس أو عن الجمال .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وليست تلك التى تحفظها ، وإنك [بهذه الوسيلة] ستقدم لتلاميذك آراءنا فى العلم أكثر من أن تعطيهم المعرفة ، فهم عندما سيقرءون كل شىء ، دون أن يقودهم فى ذلك مدرس مثقف غزير المعرفة ، [لأنه بدوره معتمد على ما هو مدون وليس على ما تحتفظ به ذاكرته] فلسوف يبدون أمام العامة من الناس فى شكل من يعرفون الكثير فى حين أنهم لن يكونوا عندئذ سوى جهال ، وهكذا يصبحون أكثر تنافرا مع المجتمع لأنهم لن يكونوا قد تبحروا فى العلم ذاته بل سيكونون مخدوعين بالفكرة التى سيكونونها عن أنفسهم [عن غير حق] ».

إذن فلدوافع مشابهة ظلت كل الشعوب القديمة تحتفظ لوقت طويل بعادة الرواية **الشفهية** أو المغناة ، أى أن إبقاءهم على هذا التقليد لم يتم فقط بفعل العادة ؛ فمن الواضح على الأقل أن عادة الرواية الشفهية كانت هى الأولى [أو السابقة على الكتابة] وأن تاريخها يعود إلى منشأ المجتمعات الأولية ، وأن كل الشعوب قد استوحتها بفعل الطبيعة (دون ابتكار) ، ما دامت هى الطريقة الوحيدة التى عرفتها الشعوب ، والتى كانت ما فتئت تعرفها كل الشعوب فى العالم القديم أو الجديد على حد سواء ، والتى لم تخرج قط عن شكلها الحضارى الأول . وإذا كانت الأمور تسير على هذا النحو ، وإذ كانت هذه الرواية **الشفهية** قد غدت هى موضوع موسيقى القدماء المصريين ، ثم تطورت فيما يتصل بأسلوب الكلمة المنطوقة أو بالنسبة لتنغيم أو تلحين الأغنيات ، على يد شعب عاقل مثقف على النحو الذى كانه الشعب فى مصر القديمة[1] فقد لزم الأمر أن يكون لهذه الرواية الشفهية بالضرورة على الرواية المكتوبة أو المدونة ، نفس المزايا التى يقدمها رسم الأشياء أو الصور التى يستطيع أن يقوم بها خطيب جيد .

وإذا كانت هذه الرواية **الشفهية** قد نالت هذا الاحترام الكبير من جانب

---

(١) « الهنود جنس غنى بسكانه المزارعين ، حدوده شاسعة وموقعه بعيد عنا جهة الشرق ، على مقربة منه انثناءة المحيط ومشرق الشمس فى فلكها الأول من أقصى الأرض فوق المصريين العلماء ، واليهود المولعين بالخرافات ، والنبطيين التجار ، والأرساكيديين ذوى الأردية الفضفاضة ، والايتوريين الفقراء فى الثمرات ، والعرب الأثرياء فى العطور »

لوكيوس أبوليوس ، الأزاهير ، الكتاب الأول ، ص ٤٠٧ ، لوتيتيا ، باريس ، ١٦٠١ .

[عن اللاتينية]

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشعوب القديمة ، فذلك لأن هذه الشعوب جميعها قد تشربت نفس المبادىء ، ولأن هذه المبادىء بعد أن خرجت من منبعها [مصر] قد انتشرت فى كل بلدان أوربا وآسيا ، التى أرسل إليها المصريون البعثات ، فعلى يد هؤلاء المصريين فى الواقع تلقت غالبية الشعوب المبادىء الأولية للدين والقوانين والعلوم والفنون .

إن فن الكتابة نفسه قد اخترع فى مصر برغم أنه أقصى أو كان مكروها فى البداية ؛ ذلك أنه من الجلى أن تحوتى المصرى هو الذى ابتكر الحروف[1]؛ وعندما لم يتمكن من حمل الملك تحام على استخدامها ، قام هو نفسه بنقل معرفتها إلى الفينيقيين ، فكانوا أول من أعجبوا بها ثم نسب هؤلاء لأنفسهم فضل ابتكارها ؛ بل

---

(١) لاحظنا فوق منشآت أثرية كثيرة فى مصر العليا ، بين الأشكال المنقوشة أو المحفورة التى تزدان بها جدران ، وجود شكل لرجل له رأس كلب ، يمسك بيده اليسرى عصا طويلة أو مقياسا مثنيا من أعلاه حيث نراه يعلق عند هذا الطرف العلوى شيئا قريب الشبه بفانوس ، ويمسك بيده اليمنى إبرة أو مخصفا أو مثقابا يضعها على هذه العصا أو هذا المقياس الذى يبدو أن به كلابات تتجه من أعلى إلى أسفل . وقد ظننا أن هذا الشكل قد يكون صورة رمزية لعطارد الذى يصفه هورا بللون Horapollon على هذا النحو (Hierogl . 14).

« ما الذى يبغى توضيحه من يقومون برسم قرد له رأس كلب ؟ إنهم حينما يظهرون القمر أو الكرة (الأرضية) أو الحروف الأبجدية أو القربان أو الغضب أو السباحة ، فإنهم يرسمون قردا له رأس كلب . (يظهرون) القمر ... الحروف الأبجدية لأنه كانت توجد – فى اعتقاد المصريين – أمة وجنس من القردة ذوى رأس الكلب كانت تعرف الحروف الأبجدية . ومن أجل هذا فإن من كان يدخل إلى معبد مقدس للمرة الأولى كان (يرتدى ما يجعله فى صورة) قرد ذى رأس كلب ، وإذ ذاك يقدم له الكاهن لوحا كتابيا ، وفى الوقت نفسه قلما من البوص ومحبرة ؛ وهذا دون شك لكى يقدم الدليل على أنه يرسم الحروف الأبجدية أو على أنه ينتمى لذلك الجنس من القردة ذوى رأس الكلب ، الذين يفقهون الحروف الأبجدية ، وعلى ذلك فإنه يقوم برسم الحروف الأبجدية فى ذلك اللوح الكتابى . وفضلا عن ذلك فإن هذا الحيوان كان مقدسا لدى (الإله) ميركوريوس (عطارد) المشارك فى كل الحروف الأبجدية (أى فى كل صنوف المعرفة) » .

ويخبرنا كليمانس السكندرى ، الطبقات ، الكتاب السادس ، ص ٦٣٣ ، فى معرض حديثه عن هذا الموظف المنوط بالطقوس المقدسة فيقول : « وبالتالى فإن كاتب المقدسات وهو الموظف الذى يقوم بنسخ السجلات المقدسة ، لديه ريشة للكتابة على رأسه وكتاب بين يديه ومسطرة فيها محبرة للكتابة يبرز منها قلم من البوص كى يكتب به » .

ملاحظة : الأوصاف التى يقدمها كليمانس السكندرى هنا عن المحبرة (أو المقلمة) التى تصنع على شكل مقياس ، والتى كان قدماء المصريين يستخدمونها والتى كانت تضم الحبر والقلم المصنوع من الغاب المخصص للكتابة ، يمكنها أن تنطبق على أدوات الكتابة التى يستخدمها المصريون المحدثون .

إن تحوتى ، وليس بمقدور أحد أن يشكك فى ذلك ، هو نفسه الشخص الذى يطلق عليه سانشونياتون ، مؤرخ هذه البلاد،اسم تاءوث Taaut ناسبا إليه اختراع الحروف والرسوم الهيروغليفية ؛ ذلك ان اسم تحوتى Theuth كان يلفظ بطرق مختلفة طبقا لاختلاف اللغات وتعدد اللهجات المحلية التى يمر الاسم من خلالها ، ومع ذلك فمن السهل التعرف عليه فى غالبية التحريفات التى تناولته . وهو على الدوام ، وفى كل الأحوال ، مخترع الحروف الهجائية بأسماء تحويت (بسكون على الياء) Thoyth ، أو تحوت Thoth ، أو تحات Thath ، أو تاءوث Taaut أو Thaauth ، أو ثوث (أو توت) Thouth أو سوت Soth ، أو سوتن Sothen ، أو سوتين Sothin ، أو تيس Tis ، أو ديس Dis الخ ؛ وإن كان كل شىء يدفع على الاعتقاد بأن هذا الاسم كان فى أصله صفة تشير إلى موهبة أو كفاءة المبتكر ، أكثر منه اسم علم يدل على شخص بعينه[١].

وقد جعل الاغريق من هذا الاسم نفسه ، فى لغتهم ، هرميس Hermes وهو كذلك صفة لمعنى من هذا النوع ؛ ويقدم لنا أفلاطون،فى مؤلفه كارتيلوس Cartylus أو **مقالة فى المعنى الحقيقى للكلمات**،الاشتقاق اللفظى لهذا الاسم الاغريقى ، فهو يعنى تبعا لما يقول : **الشخص الذى اخترع فن [كتابة] الكلمة المنطوقة ، أو الخطيب الرائع المتميز**[٢]. ويبدو من ظواهر الأمور ، ان تحوتى قد سمى على هذا النحو على يد المصريين ، لأن الروايات القديمة كانت تشير إليه باعتباره **قد قام بدراسته الرئيسية فى التآلف النغمى أو الهارمونى وفى الخاصية التعبيرية التى للأنغام**[٣]. وفى واقع الأمر ، فقد كان تحوتى يكرم كإله فى مصر[٤] لأنه قد قام بتحليل الحركات المختلفة والمردودات المتباينة لعضو الكلام ؛ ولأنه قد ميز هذه المردودات عن بعضها البعض بأن حدد لكل منها إشارة خاصة ليكون من هذه الاشارات فن الكتابة ، ولأنه أسس

---

(١) انظر إيامبليخوس ، عن أسرار عبادات المصريين ، المقدمة ؛ وانظر كذلك جابلونسكى : معبد كل الآلهة المصريين ، الكتاب الخامس ، فصل ٥ ، فرانكفورت ، ١٧٠١ .

(٢) وقد وجد زويجا عن أصل المسلات ، Zoega (De orig. obelisc. sect IV, pag. 211, 1797 in- fol)

ان اسم هرميس مشتق من كلمتين مصريتين Er- emi وتعنى آبا العلوم Pater scientiae

(٣) Diod. sic. Bibblioth. hist. lib I. cap. 16, p. 48.

(٤) Plat. Philebus

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل هذه الاشارات على أسس ثابتة ، ويسر استخدامها بفعل قواعد لا تتزعزع يتكون منها علم القواعد أو النحو . ومن هذه الزاوية كما نرى فإن كلمة هرميس تشير بوضوح إلى كفاءة تحوتى ، أو أنه من الأرجح ان الاغريق لم يفعلوا سوى أن ترجموا إلى لغتهم اسم المصرى الذى اخترع الحروف والبيان ، كما قد فعلوا بخصوص أسماء الالهة المصرية الأخرى التى قاموا بعبادتها [مع إعطائها أسماء إغريقية] .

لكننا لنجهل ما ان كان اسم عطارد الذى كان يترجم إليه منذ ذلك الوقت اسم هرميس ، يعنى ، من ناحية الاشتقاق اللفظى ، الشيء نفسه كذلك ؛ ومع ذلك فمن المؤكد أن المؤرخين اللاتين ، وبصفة خاصة هوراس وأوفيد وبروبرس قد كرموا فى هذا الاسم [عطارد] اسم الشخص الذى اخترع الحروف الهجائية(١) والبيان والتمارين الرياضية . وهى فنون لم تكن فى الأصل تنفصل عن الموسيقى ، تلك التى كان لابد لها أن تقود وتهدى خطوها .

ومع ذلك فإن البيان والموسيقى والالعاب الرياضية قد سبقت فن الكتابة بالضرورة ؛ وعندما لا نجد شهادة ما تدعم هذا الرأى فإن إعمال الفكر وحده سوف يهدينا إلى ذلك ، فالفنون الثلاثة الأولى قد أدى إلى ابتكارها ، ما تولده احتياجاتنا نفسها من دوافع طبيعية ؛ أما الفن الأخير فيفترض وجود علاقات اجتماعية سابقة وواسعة لحد لا يمكن معه احتواؤها بما يمده لنا الصوت [الكلام المنطوق] من عون محدود .

وعبث ما قد يحاجوننا به من أن أفلاطون ، فى حواريته تيماوس ، أو بالأحرى هذا الكاهن المصرى الذى أدار فيلسوفنا الحوار على لسانه فى مقابلة مع سولون ، يؤكد أن البشر كانوا قد عرفوا الكتابة وتعودوا عليها وبأنهم حفظوا منذ عهود لا تعيها ذاكرة الانسان ، كل ما هو جدير بالحفظ أو التسجيل وأن الكهان الذين كانوا

---

(١) يعطى بلوتارك هذا الاسم أيضا إلى الشخص الذى ابتكر الحروف الهجائية فى مصر : ويحدد أو ببيان Oppien فى الأبيات الآتية عطارد على وجه التحديد باعتباره مخترع البيان .

« ان عطايا الموسيات وأبوللون هى حقا الأعبــ (الأناشيد) فى حين أن ميركوريوس (عصرد) قد منح (البشر) مجامعهم ؛ والمسابقات العيقة »

بلوتارخوس ، عن صيد الأسماك ، الكتاب الثانى ، وما بعدها

منوطين بهذا الواجب كانوا يعرفون صنوفا عدة من فنون الكتابة[١]: اثنتين منها كانوا يستخدمونهما فى أغلب الأحيان وتسمى إحداهما الكتابة المقدسة أو الهيروغليفية[٢] أما الأخرى فتسمى الكتابة الشعبية.[الديموطيقية] ؛ فكل ذلك كلام لا يهدم قط الأدلة التى قدمناها عن أسبقية الرواية **الشفهية** والمغناة على الرواية المكتوبة ، وعن المقاومة التى أبديت لوقت طويل ضد ادخال الرواية المكتوبة فى مصر أو فى أى مكان آخر من العالم القديم . ومن جهة أخرى فإننا لا نستطيع أن ننظر إلى الهيروغليفية على اعتبار أنها تنتمى إلى العصور الضاربة فى القدم ، حيث أننا لا نزال نرى فى النوبة منشآت أثرية بالغة القدم من العمارة المصرية ، تخلو تماما من النقوش الهيروغليفية بل من أية نقوش من أى نوع ؛ وبالمثل فإن الأهرام تخلو بدورها من أى أثر لحرف هيروغليفى أو لنقش من أى نوع سواء فى داخلها أو فى خارجها ، كما أن التابوت الحجرى الذى تضمه الحجرة المسماة غرفة الملك فى الهرم ، هى كذلك ملساء وعارية من أى زخرف . واذا كان التابوت الذى نراه فى المسجد المسمى جامع سانت اثناز فى الاسكندرية ، يزخر ، عكس ذلك ، بالنقوش الهيروغليفية التى نفذت بشكل بالغ الاتقان فلأنه [ينتمى لزمن] لاحق لزمن تشييد الصروح الأولى التى انتهينا من الحديث عنها ، وهى فترة لم تكن الهيروغليفية قد عرفت بعد فيها قط ؛ ولسبب أقوى ، فإن الحروف الهجائية التى لابد أن تكون آخر ما تم ابتكاره ، من كل الكتابات ، لا ينبغى أن تكون قد عرفت عند المصريين الأوائل .

والآن ، فلعل هذه المناقشة تدعو إلى الظن ، لأول وهلة ، أننا قد ابتعدنا عن موضوعنا الرئيسى ، ومع ذلك فإننا عن طريقها قد أزلنا أكبر الصعوبات التى كان

(١) لاحظنا وجود كتابات مائلة أو سريعة وأخرى هيروغليفية من أنواع عدة فى أماكن متفرقة وبصفة خاصة فى أحد الكهوف فى جبل سيوط ، وكان مدخل هذا الكهف مرهقا وضيقا للغاية ، ودلفنا إليه بصحبة السيد البارون فوريه ، زميلنا فى شعبة العلوم والفنون بالمجمع العلمى المصرى .

(٢) إليكم ما نقرؤه فى شقفة سانشونياتون التى أشار إليها يوسيبدس فى كتابه Preparation évangiliques الكتاب الأول ، الفصل الخاص بالكهنوت الفينيقى ، ص ٣٦ ، يونانى ولاتينى – باريس ، ١٦٢٨ : « وكان لميزور Misor ابن يسمى تاعوت Taaut وهو الذى اخترع العناصر الأولية للكتابة ، والذى يسميه المصريون تحور Thor ، ويطلق عليه السكندريون اسم تحويت Thoyth ويسميه الاغريق هرميس » ثم بعد ذلك يضيف المؤلف نفسه ، « وبعد أن جسد الاله تاعوت بالفعل أورانوس Uranus ، شكل كذلك صورا لكورنوس Cornus وداجون Dagon والآلهة الأخرى ثم صنع السمات المقدسة للعناصر أى الهيروغليفية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بمقدورها أن تعوق مسيرتنا ، وعن طريقها كذلك تلاشت كل الشكوك فيما يتصل بطبيعة وغرض الموسيقى القديمة . وعلينا الآن أن ندرك أن السبب المبدئى لأنماط هذا الفن [بعد ذلك] قد كان بالضرورة هو السبب الذى استبعدها عن الفنون الأولى الداخلة فى نطاق الصوت ، وذلك حين حادت عن المبادىء التى تربطها أو تدمجها بالكلمة المنطوقة ؛ وهو كذلك السبب الذى أضاع عليها حق مصاحبة الرواية [أى نقل الأفكار والأخبار] وهو الذى حرمها من أجمل مجالاتها واستلب منها كل ما للفن من سطوة ، وأرغمها على البحث عن مجالات جديدة القت بها إلى الحضيض وحطت من شأنها ؛ وهو أخيرا ، حين حاد بها عن غرضها الأصلى ، قد جعلنا نتخيل تلك الفكرة الأولية عن هذا النوع من الموسيقى الاصطناعية ، التى طمح فيها الانسان لأن يحل محل الآلة الطبيعية والحية التى للصوت ، آلات أخرى تتكون من أجسام لا حياة فيها ، وعارية بالتالى من كل شعور أو تعبير ، وان كان بمقدورها أن تستجيب لما عليه خيال الفنان من نزوات بالغة التطرف ؛ أو بمعنى آخر فإن الدوافع نفسها التى حدت بقدماء المصريين أن ينفروا من استخدام الكتابة كوسيلة للرواية أقل ثقة وأكثر خطرا ، هى التى استوجبت منهم كذلك أن يلفظوا الموسيقى الآلية باعتبارها أقل قدرة على تحريك مشاعر الروح ، فليس هذا الأمر من خواصها ، وباعتبارها أقل قدرة كذلك على السمو بالنفس البشرية والايحاء إليها بالمشاعر العظمى ، ثم باعتبارها أخيرا – أى الموسيقى الآلية – لا تبغى إلا أن تحيد بالفن عن وجهة أو غاية الحقيقي ، وباعتبار ألا خاصية لها إلا إتلاف الاخلاق الفاضلة ؛ ولكى نبرهن على كل ذلك ، فإنه لم يعد ينبغى علينا الآن إذن ، إلا أن نواصل متابعة النهج الذى اختططناه لأنفسنا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الرابع

أصل أو منشأ الموسيقى فى مصر طبقا لروايات التاريخ وللروايات الشائعة . البنية الفلسفية لهذا الفن . طابعه فى شكله الأول . مكوناته . طريقة تعلمه وممارسته . والأغراض التى كان يستخدم فيها فى العصور الأولى . الأبنية الجديدة بالاعجاب التى كانت للشعر المغنى والتى يستطيع المرء طبقا لها أن يحكم على روعة الموسيقى عند المصريين القدماء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والآن ، إليكم كيف يفسر لنا ديودور الصقلى[١] عند حديثه عن القرون الأولى من حضارة المصريين ما كان يشتمل عليه فنا الموسيقى والشعر ، ذلك أن أحدهما لم يكن لينفصل عن الآخر فى ذلك الوقت ، أو أنهما كانا بالأحرى يكونان – كلاهما – فنا واحدا ووحيدا : « كان أوزيريس يكن تقديرا كبيرا لهرميس (عطارد) إذ تعرف فيه على بصيرة حادة فى اكتشاف الأشياء التى بمقدورها أن تسهم فى اسعاد الحياة البشرية ، ويقال ان هذا الشخص ، هرميس أو عطارد ، كان أول من حدد نطق كلمات اللغة العادية ، وأعطى أسماء لكثير من الأشياء التى لم يكن لها من قبل اسم وابتكر الحروف[٢]، وعلم عبادة الآلهة ، وتقديم الذبائح والأضحيات ، وقام بالملاحظات الأولى عن مسارات النجوم ، **وكذلك عن التناغم الصوتى أو الهارمونى الذى للنغمات وعن خاصياتها التعبيرية** ؛ واخترع الرياضة البدنية وقام بتدريس فن تقليد حركات الجسم برشاقة وإيقاع ، **ووضع ثلاثة أوتار فى القيثارة التى ابتكرها ، محاكيا فى ذلك فصول السنة الثلاثة**[٣] ، **وحصل بهذه الوسيلة على ثلاث نغمات الحادة والغليظة والوسطى ، ومثل الحادة بالصيف والغليظة بالشتاء والوسطى بالربيع**[٤] ، وهو أبو البيان عند الاغريق[٥]، ومن هنا جاء اسمه هرميس[٦]» .

---

(١) Diod. Sic. Bibloth. hist. lib I, cap. 16

(٢) يجعل ترتزيس Tzetzés من عطارد مبتكر الحروف ومعاصرا ، ليس فقط لأوزيريس ، وإنما كذلك لنوح وباخوس فى الأبيات التى نقرؤها له فى الخليادة الرابعة Chiliade IV ، الكتاب الثانى البيت ٨٢٥ وما بعده :

ميركوريوس (عطارد) هو من لقب بالمصرى المعظم ثلاثا ،

وكان معاصرا لأوزيريس ونوح وديونيسوس ،

وهو الذى أوجد العبادة لله واخترع صور الحروف .

(٣) لا تنقسم السنة فى مصر إلا لثلاثة فصول : الربيع والصيف والشتاء ، وليس بها خريف قط ؛ وليس من قبيل الحشو ان نلاحظ أن الموسيقى تتفق فى هذا التقليد الذى تتبعه مع الفلك ، إذ ستتكشف لنا بعد ذلك أدلة كافية عن هذا الاتفاق ، فى التعليم نفسه ، عند المصريين .

(٤) نجد وصفا مشابها للقيثارة التى كانت لأبو للون فى أحد أهازيج أورفيوس وعنوانه :

Apollinis Suffimentum manna

أى : المن هو بخور أبو للون

(٥) ، (٦) لن نتوقف هنا لكى نشرح ما إن كان من المحتمل أن يستطيع رجل بمفرده أن يبتكر وحده الكثير من العلوم والكثير من الفنون فى القرن الأول من الحضارة فى مصر ، ثم يقوم بعد ذلك بتعليم البيان للإغريق ، فى الوقت الذى نرى فيه أن التقدم فى معارفنا لا يكاد يحرز خطوة واحدة كل قرن . وقد أوضح العلامة جابلونسكى هذه النقطة بشكل كاف فى مؤلفه Pantheon AEgyptiorum, part. V, cap. 5 (معبد كل الآلهة المصريين) ؛ =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن الأمر لا يتصل هنا ، كما رأينا ، بمولد اللغة أو نشأة الموسيقى ، فهذه وتلك تستمدان أصولهما بالتأكيد من الصيحات الناشئة عن احتياجاتنا(١) وعن عواطفنا أو انفعالاتنا(٢)؛ لكن الأمر يقتصر هنا على فن القول وفن الغناء ، أو بالأحرى فإن الفعل يقول يعنى أن الانسان يعبر عن أفكاره بالكلمات ، أما الفعل يغنى فمعناه أنه يعبر عن مشاعره بالنغمات ، ومن اتحاد هذين الفنين جاء الشعر .

ومع ذلك فمن المحتمل ألا يكون أسلوب ديودور المقتضب قد سمح له ، فى النص الذى انتهينا من إيراده ، بأن يدخل فى تفاصيل المحاولات الأولى التى بذلت قبل التوصل إلى تكوين أو تشكيل الفنون التى يشير إليها [وبالشكل الناضج الذى كانت عليه فى عهده] ، فما دونه المصريون عن هذه الأمور لم يكن مسهبا دون شك حتى يستوعب ذلك كله ؛ وفضلا عن ذلك ، فحيث كان ديودور يريد الالمام بكل تاريخ العالم [منذ نشأته] وحتى عصره ، فلم يكن بمقدوره أن يحشد عددا كبيرا للغاية من الوقائع فى حيز هو على هذا القدر من الضيق والذى حصر نفسه فيه ، أو أن يتوسع كثيرا فى الوقت ذاته حول كل شيء . أما أفلاطون فإنه فى واقع الأمر قد قدم باسهاب وتفصيل كبيرين ما يذكره هذا الشعب حول الأساليب التى اتبعها ذلك الشخص الذى اخترع فن اللغة ، ويلمس المرء من ذلك أن هذا الفن فى مبدئه كان يرتبط بوشائج مصاهرة وثيقة للغاية مع الموسيقى ، ومع ذلك فإننا نلمس هنا وجود فجوة واسعة بين المحاولات الأولية التى جازف فيها الانسان بالمحاكاة وبين الزمن الذى تكونت للفن فيه قواعد هذه المحاكاة ، ذلك أن اللغة لم تكن هى الأخرى فى منشئها إلا فنا من فنون التقليد(٣) وهى لا تزال كذلك حتى اليوم فى كثير من الحالات . وقد جاء على

= حيث نظر فى مؤلفه بأكمله إلى الإله توت أو تحوت Thoth باعتباره هرميس عند الاغريق ؛ ويكفينا ان نعرف هنا أن هذه الأشياء قد اخترعت فى مصر وأنها قد وجدت هناك قبل أن تعرف فى مكان آخر تبعا لرأى يجتمع عليه كل المؤلفين القدماء .وهكذا ، فلتكن هذه الابتكارات ثمرة أبحاث رجل واحد فى مدى حياته القصيرة ، أو لتكن ثمرة ملاحظات وتجارب عكف عليها عدد كبير من الأجيال خلال قرون عديدة ، أو حتى خلال ألوف من السنين ، فإن المتفق عليه بشكل عام أنها قد تمت فى مصر ، وليس لنا الحق فى أن ننشىء رأيا مخالفا .

بخصوص اشتقاق هذا الاسم ، انظر محاورة أفلاطون : Cartylus وما سبق لنا أن قلناه فى هذا الصدد .

(١) أفلاطون ، عن القوانين ، الكتاب الثانى ؛ لوكريتوس ، عن طبيعة الموجودات ، الكتاب الخامس ، بيت ١٠٢٢ وما يليه .

(٢) بلوتارك : أحاديث المائدة ، الكتاب الأول ، السؤال الخامس أو القضية الخامسة . ص ٣٦٥ .

(٣) أفلاطون ، محاورة كراتيلوس أو الفهم الصحيح للمسميات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لسان سقراط فى مؤلف افلاطون الذى عنوانه فيليب : « ان الصوت لا نهاية له ، ولكن هذا الاكتشاف قد جاء عن طريق إله أو على يد رجل مقدس كما يروى الناس فى مصر عن شخص يدعى تحوتى ، كان هو أول من لاحظ فى هذه اللانهاية الحروف المتحركة (أو الحركات الصوتية) باعتبارها ليست نغمات واحدة ولكنها نغمات أو حركات متعددة ، ثم لاحظ وجود حروف أخرى لها بدورها نغمات محددة ، مع اختلاف طبيعتها عن طبيعة الحركات الصوتية ، وعرف ان لهذه الحروف بالمثل عددا محددا ، وهو الذى ميز كذلك نوعا ثالثا من الحروف التى نطلق عليها اليوم اسم الحروف الصامتة أو الخرساء ، وبعد هذه الملاحظات قام بفصل الحروف الخرساء أو العارية من أى نغم حرفا حرفا ، وبعد ذلك صنع الشىء نفسه بخصوص الحروف المتحركة (أو الحركات الصوتية) والحروف الوسيطة ثم بعد أن حصر عددها بهذه الطريقة اعطى لكل واحد منها جميعا اسم عنصر، وفوق ذلك ، فحين استبصر تحوتى أن لا أحد منا سيكون بمقدوره ان يتعلم أى حرف من هذه الحروف على حدة دون أن يعرف الحروف جميعا ، فقد تخيّل الرابطة التى تربط بين هذه الحروف باعتبارها كلا واحدا ، وبعد أن تمثل ذلك كله باعتباره مجموعة وحدة واحدة ، فإنه أعطى لكل ما قام به اسم النحو أو الأجرومية معتبرا كل ذلك ، كذلك ، فنا واحدا » . ومع ذلك فإن على المرء أن يستشعر أن عملا على هذه الدرجة من التجريد ، وتحليلا بمثل هذه الدقة والرهافة والصعوبة يفترض بالضرورة وجود ملاحظات كثيرة تمت من قبل ، وسلسلة طويلة ومتعاقبة من المحاولات وتجربة ضخمة تم اكتسابها من قبل ، وهذا ما لا يستطيع أن يتصوره إلا العقل وحده .

فلنحاول إذن أن نلقى نظرة خاطفة على المحاولات الأولية التى قادت إلى الكشف الذى حققه تحوتى [أو هرميس] أو عطارد عن الهارمونى أو التناغم الصوتى وعن الخاصية التعبيرية التى للأنغام ، ولسوف تجعلنا هذه النظرة الخاطفة نتفهم بشكل أفضل تلك الدوافع التى كانت توجه المصريين عند تشكيل الفن الموسيقى ، وفى اختيار الوسائل التى اتبعوها لإحداثها ، وكذلك فى الاستعمال الذى اختصوها به .

تذكر الروايات المتواترة فى مصر[1] « ان الناس كانوا يحيون فى البداية حياة

---

(١) ديودور ، المكتبة التاريخية ، الكتاب الأول ، الفصل ٨ ، ص ٢٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

متوحشة ، وانهم كانوا يذهبون ، كل بمفرده ، ليأكلوا دونما إعداد ، الفواكه والأعشاب التى كانت تنمو تلقائيا دون جهد من جانب البشر : وفى الوقت نفسه ، فلما كانت تهاجمهم الحيوانات المفترسة فى غالبية الأحيان ، فإنهم سرعان ما استشعروا الحاجة للعون المتبادل ؛ وحين تجمعوا على هذا النحو ، بفعل الخوف فقد اعتادوا على بعضهم البعض فى مدى قصير ؛ وقبل ذلك ، لم يكن لهؤلاء سوى أصوات مختلطة غير واضحة النبرات والنغمات ، لكنهم بمجرد أن نطقوا عدة نغمات متمايزة أو واضحة ، قد تبدت لهم احتياجات مختلفة حتى توصلوا فى النهاية إلى أن يحددوا ، بهذه الطريقة ، كل شيء ؛ وحيث كان هؤلاء يصيحون وهم فى شكل عصب صغيرة ، وحيث كانت كل واحدة من هذه العصب الهائمة تلفظ الكلمات طبقا لما يطرأ على بالها [وتطلق من الأسماء على النحو الذى يخطر على عقلها] ، فقد باتت هذه العصب لا تتحدث لغة واحدة ومن هنا تعددت اللغات واللهجات ».

وليس هناك من يجادل فى أن الملاحظات الأولى للانسان [أى الأمور التى بدأت تسترعى انتباهه] ، كانت محكومة باحتياجاته ، وحيث أن العلاقات التى بدأت تربطه بأقرانه قد شكلت له بدورها حاجة لا محيص عن إشباعها ، وهى حاجته فى أن يظل على الدوام على صلة بهم وأن يفهمهم ويكون مفهوما لهم ، بافتراض أن هذا الانسان (البدائى) – ومن المعقول أن نفترض ذلك – قد كان تام التكوين منذ نشأته ، متمتعا بكل المواهب والكفاءات الطبيعية فى أعضاء جسمه وفى ذكائه ، فقد كان على هذا الانسان ان يفعل وعلى نحو أفضل بكثير ، هذا الذى ترى الناس يفعلونه كل يوم لأطفالهم ، قبل أن يكون هؤلاء قد أمكنهم بعد أن يميزوا الأشياء بوضوح وبأعضاء لا تزال غضة لم تنضج بعد ، وبأحاسيس غير متمرسة ، وذكاء لما يزل بعد محدودا للغاية ، كان عليه أن يصغى بانتباه **لأولئك الذين كانوا يكلمونه فى العادة أكثر من غيرهم** بغية أن يفهم ما كانت تعنيه التغييرات المختلفة التى تعترى أصواتهم ، ثم ليلاحظ بعد ذلك الأثر الذى كانت تحدثه فيهم صيحاته وما كانت تحدثه صيحاتهم فيه ؛ وكان من الضرورى أن تكون الخطوات الأولى فى تقدمه سريعة ، إذا ما حكمنا على ذلك من واقع الخطوات التى يتقدم بها الأطفال ، فهؤلاء ، حتى من قبل أن يستطيعوا أن يلفظوا كلمة واحدة ، يتوصلون بشكل مباغت للغاية إلى تمييز أمهم أو مربيتهم – عن طريق الصوت – من بين كل الأشخاص الآخرين المحيطين بهم ؛

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما دام هؤلاء الأطفال يتفهمون تعبيرات هذه أو تلك ، ويجعلون الغير يفهمونهم ، وما داموا كذلك يعبرون بشكل جيد عن احتياجاتهم وما داموا يتحكمون فيمن حولهم بفعل الصرخات التى يطلقونها على حسب إرادتهم بل فى كثير من الأحيان وفق نزواتهم ، وما داموا فى النهاية لا يلبثون أن يتسامروا بدرجة كافية مع هؤلاء الأشخاص ، وكم تستطيع العناية الإلهية العاقلة أن تقيم تواصلا أو تنشىء تراسلا حميما مخلصا بين قلوبنا وخلجات مشاعرنا ، كى ترغمنا ، على نحو ما ، على اقتسام المسرات والآلام بعضنا مع بعضنا الآخر ، وأن تهيئنا كى نتبادل العون فيما بيننا .

إذن فلقد كان على الناس كذلك من قبل أن يتوصلوا إلى التعبير عن أفكارهم عن طريق الكلمات ، أن يشيروا دون لبس أو غموض إلى الأشياء بأسمائها ، وأن يحشدوا انتباههم للتمييز بين ما كان يعبر ، فى صوت قرينهم ، عن الترحيب وما كان يعبر عن الموجدة ، بين ما كان يعلن عن بعض غضب وبين ما كان خاصا بنبرات السرور والترحيب الخ .. هكذا إذن نراهم قد درسوا ولابد الخاصية التعبيرية التى للأصوات والنغمات وأنهم جاهدوا للوقوف عليها كى لا يسيئوا فهمها ، وكى يستخدموها فى الوقت المناسب ، وبشكل مفيد فى العلاقات التى كانت بينهم ، وأخيرا لكى ينجحوا فى نقل المشاعر التى يريدون أن يوحوا بها لأشباههم بطريقة حية .

من هذه الدراسة تكون فن التعبير عن طريق الصوت ، أى فن الغناء الذى يسبق ، ترتيبا على ذلك ، فن القول ، ولذلك فإن الفن الأول ؛ بكل ما قد كان له من الكمال وما له من حقوق على الفن الثانى ، هو الذى قاد الخطوات الأولى للغة المنطوقة حين تكوّن وصحبها معه فى خطوات تقدمه ، ثم ما لبث أن هجرها أو فارقها بمجرد أن كف الشعور عن أن يكون على وفاق مع الفكر ، وحالما أصبحت للعقل لغة تختلف عن لغة القلب والوجدان .

وإنه لشقاء كبير دون شك ، أن يمكن للمرء هكذا أن يسىء استخدام أفضل الأشياء ! لكن هذا البلاء أمر لا ينفصم عن الطبيعة البشرية ، فها هو ذا الانسان يستخدم ذكاءه لإتلاف كل شىء ولاساءة استخدام كل ما يدخل فى نطاق استخداماته ، بنفس الطريقة التى سبق له بها أن استخدمه فى البداية ، كى يصلح من كل الأمور ، وكى يطور كل شىء ؛ وهو فى هذا المجال كذلك يشبه الطفل الذى

ينتهى به الأمر ، حين يمل من التسلى بألعابه ، بأن يلقى بها بعيدا عنه ، وبأن يركلها بقدمه ، وفى أن يحطمها فى أحيان كثيرة .

وعلى هذا فإن الانسان بحاجة لمن يقوده حتى فى استخدامه لاكتشافاته هو ، بنفس القدر الذى يحتاج فيه لمن يقوده وهو يستخدم ملكاته الفيزيقية والعقلية[1] . ولهذا السبب فإن قدماء المصريين قد كرسوا ، بفعل قوانين خاصة[2]، مبادىء فنى الرقص والموسيقى ، بالعناية نفسها التى أولوها فى إرساء مبادىء الحكم والدولة والمؤسسات بالغة الأهمية[3]، وهذا ما يؤكده لنا أفلاطون بطريقة بالغة الموضوعية ، فلقد كان هذا الفيلسوف طبقا لرواية ديودور الصقلى ، وكثيرين غيره[4]، قد أقام لوقت طويل ، ولقدر كاف ، فى مصر لكى يدرس بها الفلسفة والسياسة وكل العلوم المقدسة ، وقد تبحر فى ذلك كله فى مدرسة كهان هذه البلاد تحت إشراف أكثر أهل طبقة الكهنوت شهرة فى ذلك الوقت ، والذى كان يلقب بنبى ممفيس فى عهد سشينوفيس[5]، وعلى نحو ما فعل فيثاغورث فى عهد أونوفيس ، وأودوكس فى عهد شوتوفيس ، وكان هذا الأخير رجلا متبحرا للغاية فى معرفة الكتابات الهيروغليفية[6]، ولهذا السبب كان المصريون أنفسهم على يقين من أن أفلاطون قد نقل الكثير من مبادئهم وضمنها فى مواضع عدة فى قوانينه وجمهوريته[7]، وهو الأمر الذى يعطى

---

(١) أفلاطون ، كراتيلوس أو الفهم الصحيح للمسميات ، المؤلف نفسه ، بروتا جوراس ؛ المؤلف نفسه ، نياتيتوس ؛ المؤلف نفسه ، عن القوانين ، الكتاب الأول والثانى والسابع ؛ المؤلف نفسه ، الجمهورية ، الكتاب الثالث ؛ المؤلف نفسه ، خارميديس ؛ أرسطو ، الريتوريقا ؛ المؤلف نفسه ، فن الشعر ؛ لوكيانوس ، التدريبات الريتوريقية ؛ لوكريتوس ، عن طبيعة الموجودات ، الكتاب الخامس ، أبيات ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ؛ أثينايوس ، مأدبة الفلاسفة ، الكتاب الرابع عشر ، ص ٦٣١ .

(٢) أفلاطون ، عن القوانين ، الكتابان الثانى والسابع .

(٣) يرى علم الاشتقاق اللغوى بشهادة بعض القدماء دون شك أن الموسيقى لا تختلف فى شىء عن الأسرار الدينية .

(٤) ديودور الصقلى ، تاريخ المكتبات ، الكتاب الأول ، فصل ٩٦ ؛ بلينوس التاريخ الطبيعى ، الكتاب الخامس والعشرون ، فصل ١ : عن أصل فنون السحر ؛ لوكانوس ، الحرب الأهلية ، بيت ١٨١ وما يليه ؛ بروبرتيوس ، الاليجيات ، الكتاب الثالث ، الاليجية ٢٠ ؛ كليمنس السكندرى ، الطبقات ، الكتاب السادس ، ص ٦٢٩ ؛ أينياس جازى ، الفلاسفة الأفلوطونيون المسيحيون ، ثيوفرواستوس أو عن بعث النفوس الخالدة والأجساد ، محاورة مترجمة عن اليونانية إلى اللاتينية ، ف ٣٧٧، ٣٧٣د ، مكتبة الآباء القدامى ، المجلد الثانى .

(٥) كليمانس السكندرى ، ستروماتا أو الطبقات ، الكتاب الأول ، ص ٣٠٣ .

(٦) Plutarque, de l'Esprit familier de Socrate.

(٧) ديودور الصقلى ، تاريخ المكتبات ، الكتاب الأول ، فصل ٩٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لشهادته وزنا كبيرا فيما ينقله إلينا عن الموسيقى فى مصر القديمة ، وهو كذلك الأمر الذى أوحى لنا بكثير من الثقة بألا نخشى من أن ننقل عنه ، وألا نتردد من أن نستعير عن هذا الفيلسوف غالبية الأفكار التى نقولها حول هذا الفن .

وطبقا لما يذكره أفلاطون[١] فقد أحس المشرعون الأول لمصر بأن الأمر لم يكن يقتضى حتى يسعد البشر فى مجتمعاتهم ، إلا ضبط مشاعر اللذة والألم عندهم ، أو كبح جماحها ، وقد أدرك هؤلاء المشرعون ألا شيء أكثر صلاحية فى هذا الصدد من ادخال الاعتدال والتنظيم على تعبيراتهم المختلفة سواء فى الصوت أو فى حركات الجسم فى مناسبات المسرات والآلام ، وبالاضافة إلى ذلك فقد عرفوا أن اللذة وثيقة الصلة بما يحدثه التناغم (الهارمونى) والايقاع من شعور ؛ وإذ كان هؤلاء على يقين بان هذا الشعور كان واحدة من النعم التى أنعم بها أبو للون وربات الفنون للبشر[٢] كطريقة سهلة وملائمة ومضمونة لتصويب ، أو توق السوءات التى ترتبط بشكل حميم بالانفعالات الجموح ، والضارة على الدوام بكل من التناغم الذى ينبغى أن يسود حياة الفرد والمجتمع ، ومن هنا تتولد كل الشرور ؛ واذ كانوا على يقين ، بالاضافة لكل ما سبق ، من أنها حاجة لا محيص عنها للأطفال لأن يصيحوا وألا يكفوا عن الحركة ، ومن أن الرجل حين يحس باحساسات قوية أو حين يستثار استثارة عنيفة بفعل شهواته ، فإنه لا يستطيع احتواء الحركات التى تضطرم معها أحاسيسه ، والتى تتلف فى غالبية الأحيان وجدانه إذ هى تضلل عقله ، فقد ظلوا بالتالى مثابرين على اكتشاف الأغنيات التى من شأنها أن تبرز ، بدرجة تبلغ الكمال بقدر الامكان ، أجمل تعبيرات الصوت[٣] والرقصات التى تحاكى أجمل حركات الجسم وأكثرها رشاقة .

---

(١) أفلاطون ، عن القوانين ، الكتاب الثانى .

(٢) وهذا ما يفسر معنى الحكاية الرمزية التى يوردها ديودور الصقلى والتى سبق أن ذكرناها فى المبحث الثانى من هذا الكتاب .

(٣) كانت هذه المبادىء هى نفسها مبادىء الشعراء والفلاسفة بالغى الشهرة فى العصور القديمة . انظر : هوميروس ، نشيد إلى أبوللون ، بيت ١٦٢ وما يليه ؛ أفلاطون ، عن القوانين ، الكتب الثانى والثالث والسابع ؛ المؤلف نفسه ، الجمهورية ، الكتاب الثالث ؛ المؤلف نفسه ، كرايتلوس وثياتيتوس . استرابون ، الجغرافيات ، الكتاب العاشر ، ص ٥٣٢ ؛ كليمنس السكندرى ، الطبقات ، الكتاب السادس ، ص ٦٥٩ ؛ أثينايوس ، مأدبة الفلاسفة ، الكتاب الرابع عشر ، فصل ٧ ، ص ٦٣١ . وقد قدم تونوس ، الشاعر المصرى =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد وجب على الدوام أن تعبر هذه الأغنيات والرقصات عن نفس الرجل العاقل ، القنوع ، الشجاع ، المعتدل وأن يتسع تأثيرها بفعل ما لها من سطوة لتغرس في قلوب الأطفال[١] مشاعر النظام والاعتدال والشجاعة ولإبقاء ذلك حيا في قلوبهم ؛ ولهذا فقد لفظ المصريون بصفة نهائية كثرة الايقاعات وتنوعها ، إذ لا يستطيع الانسان في الواقع أن يصل إلى تطور حق أو نضج حق في الفنون ، وإلى هذا السمو الباعث على الجمال البسيط والجليل الذي صنع أمجاد الفنانين في العصور بالغة القدم ، بعكس البأس والفشل اللذين يقاسي منهما فنانو اليوم ، إلا عن طريق اختيار عاقل بقدر ما هو متنور وعن طريق بساطة الوسائل المستخدمة وليس عن طريق تعقدها . كان المصريون يريدون أن يكون التناغم والايقاع على الدوام تابعين للكلمات ، لا أن تكون الكلمات هي التي تتبعهما[٢]، ولم يكونوا أقل من ذلك تدقيقا عند اختيار الكلمات نفسها ، فلقد كان محرما – تحت وطأة عقوبات بالغة

= من القرن الخامس ، أفكار المؤلفين السابقين في هذه الأبيات :

« فالموسيات التسع كن يحركن الأنشودة التي تحمي الحياة ،
وكانت بوليمنا راعية الرقص الكورالي تثني يديها معا
وكانت تبين بجلاء أنها تحاكي الصوت الصامت ؛
وكأنها تعيد بيديها الشكل العبقري للصمت الحكيم »

ديونيسيوس ، الكتاب الخامس ، بيت ١٠٣ وما يليه .

ويخبرنا كاسيودوروس أيضا في معرض حديثة عن الموسيقى بالتالي :

« ذلك أن ما يوجد في أية مجموعة من النغم لا يعود إلى اعتدال النغم (الهارمونية) ، فنحن نفكر بقدر كاف ، ونتحدث بطلاوة ، ونتحرك بصورة مناسبة ، عن طريق هذا (الصوت) الذي يصل مرارا إلى آذاننا ، وفقا لقانون من نظامه هو ، فهو يفرض لحنه ، ويحرك المشاعر : سمع مرهف ومتعة ممزوجة بالجد » .

فارّو ، الرسائل ، الكتاب الثاني ، ف ٦٠ ب ، باريس ، ١٦٠٠

ويقول أثينايوس (Dipn. lib. XIV) إن تماثيل القدماء هي مخلفات الرقص القديم ، فلقد لوحظت الحركات وحددت من قبل إذ كان هناك سعي دائب لاكساب التماثيل أو لإعطائها حركات جميلة ونبيلة ، كان الغرض منها ان ينتج عنها تأثير نافع . وبعد ذلك تمثلت الجوقات هذه الحركات الحية وحاكتها ؛ ومن الجوقات انتقلت إلى الميادين الرياضية التي ساهمت ، حين ألحقت الموسيقى بالتدريب الجسدي المستمر ، في جعل المنخرطين فيها على أكبر درجة من قوة الروح . » .

(١) أفلاطون ، الجمهورية ، الكتاب الثالث .

(٢) أفلاطون ، المرجع السابق .

الصرامة – على أى شاعر أن يبتعد عن كل ما أقرته الشرائع كأمر مشروع وجميل وعادل وشريف ولم يكن التعليم شيئا آخر[١] غير فن جذب وتوجيه الأطفال ، نحو كل ما أقره القانون باعتباره مطابقا لما تمليه العقلية المستقيمة ، ونحو ما اعتبره المسنون ، بالغو الحكمة والتجربة ، كذلك . اذن فبقصد ألا تأتلف روح الأطفال قط على مشاعر لذة أو ألم لم ينظر إليها القانون على أنها كذلك ، أو لم ينظر إليها على أنها كذلك بالمثل أولئك الذين تشربوا القوانين واقتنعوا بها ، أو بالأحرى فبقصد ألا تقبل روح هؤلاء الأطفال على أمور أو ألا تنفر من أمور إلا تلك التى أقبل عليها أوعافها الشيوخ ، فإنهم قد ابتكروا أغانى كانت فتنة للنفوس وسحرا[٢]، ألفت لتهيىء الناس كى يتكيفوا مع القوانين في أفراحهم وأتراحهم على حد سواء [أى يألمون لما تجعله القوانين مؤلما ، ويفرحون لما يجعله القانون مبهجا] ؛ وبمعنى آخر فحيث لا يستطيع الأطفال أن يتحملوا صراحة الأمور الجادة ، فقد شاء المصريون ألا تقدم لأطفالهم هذه المبادىء إلا فى شكل أغنيات[٣]، فصنعوا أغانى لكل عيد[٤]، ولكل إله ، ولكل شهر ، ولكل سن ، ولكل جنس ، ولكل حالة ، ولكل وضع من أوضاع الحياة[٥]،

---

(١) أفلاطون ، القوانين ، الكتاب الثانى .

(٢) توجد فى اليونانية كلمة إيبوذة épodhé أو بالفرنسية épodes ، ولعلها كانت أغنيات من ذلك النوع الذى يستخدم نموذجا يحتذى فى الأغانى الأخرى ، وقد حرص عليها المصريون واستبقوها كأمر ثمين للغاية ، كما سنرى بعد ذلك .

(٣) أفلاطون ، القوانين ، الكتاب الثانى .

وقد كان الأمر يتم على هذا النحو فى كريت ولاكيديمونيا طبقا لملاحظات كلينياس فى هذا الحوار ، وعلى هذا فقد كانت قوانين الدولتين ، وبصفة خاصة تلك القوانين التى وضعها ليكورج فى لاكيديمونيا قد استنفدت اغراضها فى مصر باعتراف المصريين أنفسهم طبقا لرواية ديودور الصقلى فى تاريخ المكتبات ، الكتاب الأول ؛ الفصل ٩٨

(٤) أفلاطون ، القوانين ، الكتاب السابع .

(٥) لم تصلنا أسماء هذه الأنواع المختلفة من الأغنيات والرقصات التى كانت تؤدى فى مصر ، ولكى نقدم فكرة عنها فسنحيل إلى أغنيات مشابهة أداها الاغريق محاكاة لأغانى المصريين ، ويرجح أن عددا كبيرا منها ذو أصل مصرى . لقد كانت لدى الاغريق كذلك رقصات وأغنيات خاصة بكل عيد ، وبكل حالة وبكل جنس... الخ ، وكانت لديهم أغنيات يتم أداؤها عن طريق الصوت وحده ، كما كانت لديهم أغنيات أخرى يتم أداؤها بمصاحبة الناى . يقول أثينايوس (Athénée, lib XIV cap.) : « فى القرون الأولى لم تكن الموسيقى تستخدم إلا فى أداء كل ما هو جميل وشريف ، ولم تكن تعطى لكل أغنية إلا الحواشى التى تناسبها ، كما كان لكل واحدة من هذه الأغنيات المزامير الخاصة بها ؛ ونفس الشىء فيما يتصل بالألعاب الرياضية ، فكان لكل واحدة منها كذلك عازفها الخاص =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأقروا هذه الأغنيات كما لو كانت قوانين يؤدى أقل خرق لها إلى عقوبة مبرحة لمن

= كما كانت لها أغنيات تناسبها » . ويخبرنا يوانيس ملالا Jean Malala بالشيء نفسه (التاريخ ، الكتاب الثانى عشر ، عن عصر الامبراطور كومودوس والألعاب الأولمبية المقامة فى أنطاكية العظمى ، الموسوعة البيزنطية ، المجلد الثالث والعشرين) ونجد بالمثل ملاحظات مشابهة عند أفلاطون ، القوانين ، الكتابين السابع والثامن .

أما الأغنيات التى كانت تؤدى بواسطة الصوت وحده فكانت البيان Péans أى أناشيد الحرب والنصر وكانت تؤدى على شرف أبو للون والديتيرامبه Dithyrambes أى قصائد المديح وتؤدى هذه على شرف باخوس ديتيرامبه وأغنيات الفيليليوس Philelios وهى كلمة تتكون من كلمتين يونانيتين filin و ilios وتعنى الأولى الفعل يحب ، وتعنى الثانية الشمس أو الضياء وكانت هذه مخصصة لاله النور أو الشمس باسم أبوللون (انظر أثينايوس Deipn lib XIV cap 3 .) ، والأغنية أو النشيد يولوس Ioulos وهى كلمة تعنى اللحية التى نبتت حديثا من زغب ، إشارة إلى الخضرة الأولى التى تبشر بمقدم الربيع وكانت هذه الأغنية مخصصة لخيرس Cérès وبروزربين Proserpine .

وطبقا لما يقوله فوتيوس (Bibl. p. 983) فقد كانت هناك أغنيات توجه خصيصا للآلهة وأخرى كانت تخصص للبشر ، وهناك أغنيات تؤدى لهما معا . أما الأغنيات الموجهة إلى الآلهة بصفة خاصة فهى الأناشيد أو التراتيل (همنيس) ، والعروضيات (بروزوديا) ، وأناشيد الحرب والنصر (البيان) ، ثم النوموس (والجمع نوموى) وهى أغانى آلهة المقاطعات المحليين ، والأدونيون (والجمع أدوناى) أى أناشيد أدونيس [وهى نوع من الأغنيات اليونانية تتكون من دكتيلة أو تفعيلة وتتألف هذه من مقطع طويل ، ومقطعين قصيرين ، ثم من سبوندية ، وهى تفعيلة ذات مقطعين طويلين] والأيوباكيون (والجمع أيو باكايا (أى أناشيد عابدات باخوس) ، والهيبرخيما [أى الترنيم أو اللعب الذى يقوم به اثنان من المغنين ، أحدهما يغنى ثم يرقص ، وثانيهما يرقص ثم يغنى ، ثم يتناوب الاثنان بعدها الرقص والغناء] .

أما الأغنيات التى كانت توجه خصيصا إلى البشر ، فكانت :

الانكومويون (والجمع انكوميا) ، أى أناشيد المديح ؛ والايكنيون (والجمع إيبكينيا أى الأغانى الجماعية ؛ والسكولويون (والجمع سكوليا) أى أغانى المائدة ؛ والايروتيكون (والجمع إيروتيكا) وهى أغنيات غزل ؛ والايبيثالاميون (والجمع إيبيثالاميا) وهى أناشيد الزفاف ، والهيمينايون (والجمع هيميناياً) أى أغنيات الزواج ، والسيلوسْ (والجمع سلُوىْ) وهذه هجائيات ؛ ثم الثرينوس (والجمع ثرينوى) وهى بكائيات ؛ والايبيكيديون (والجمع إيبكيديا) وهى أناشيد الجناز .

أما الأغانى التى توجه لكل من الآلهة والبشر فهى :

أغانى البارثينيون (والجمع بارثينيا) أى العذريات ؛ ثم الدافنيفوريون (والجمع دافنيفوريا ، أى أغانى الاله دافنيس إله الرعاه [أو لعلها أغانى حملة أكاليل الغار] ؛ ثم أغنيات الأوسخوفوريون (والجمع أوسخوفوريا) وهى أناشيد حملة عناقيد العنب ؛ وأغنيات اليوكتيكون (والجمع يوكتيكا) وهى بمثابة دعوات أو ابتهالات .

ويشير كذلك إلى ترتيل يسمى كستون أى الحزام أو النطاق أو كيس النقود الذى يلف حول الوسط ، وقد ألفه باريس على شرف أفروديت (فينوس) التى كان يقدسها باعتبارها أولى الربات (يوانيس ملالا ، الموسوعة البيزنطية ، المجلد الثالث والعشرين ، ص ٣٨ .

وفوق ذلك كانت هناك الأغنية Oupingi وكانت تغنى للاتى يلدن لأول مرة ، وكانت هذه الأغنية مخصصة =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٧١

يتجاسر على ارتكابها ؛ ثم ابتكروا نوعا من التمثيل الصامت ، يتوافق مع هذه الأغانى

= لديانا ، وكذلك الغناء أو البكائية المسماه أولوفيرموس Olophyrmos وهى كلمة تعنى العويل أو الأنين ، وكانت تدخر هذه الأغنيات لأيام المآسى والمحن ، أما الأغنية المسماة Ialmos يالموس أى الغناء الفاتر الواهن والحزين فكانت تؤدى أثناء الجنازات . وقد أطلق يوريبيديس فى تراجيديته المسماة الفينيقيات على صيحات الحزن التى كانت تطلقها الأمهات وبناتهن عند موت إيتوكل وبولينيكا ، اللذين قتلا كلاهما فى معركة عجيبة ! Ialemi ke materos, Ialemi ke parthenos « ياحداد الأمهات وياحداد الفتيات » . ويضيف بأن صدى هذه الصرخات كان يرن فى البيوت ، ونحن هنا أمام تماثل شديد بين هذا العويل وبين تلك الصرخات التى لا تزال المصريات يطلقنها إلى اليوم من شرفات منازلهن أولا ثم فى داخل المساكن بعد ذلك ، فى كل مرة يموت فيها أحد أقاربهن أو أى شخص آخر عزيزعليهن ؛ وهن يكررن هذه الصرخات بشكل اعتيادى طيلة اليوم ، ويواصلنها فى بعض الأحيان لعدة أيام ، مبديات لوعتهن عن طريق عويل شبيه بذلك الذى انتهينا من ذكره فى تراجيديا يوريبيديس .

وكان هناك كذلك نوع الغناء المسمى ألينوس أو لينوس ويؤدى فى حالتى الحزن والفرح ، لأنه كان يخفف دون جدال من غلواء هذه الحالة وتلك بجلبه الهدوء إلى النفوس . ويؤكد هيرودوت أن هذه الأغنية من أصل مصرى ، وأنها هى نفسها الأغنية المصرية التى كانت تعرف باسم مانيروس ؛ وقد كانت لهذه الأغنية فى الواقع الميزة أو الخاصية التى يتحرى المصريون إعطاءها لغنائهم . أما بوزانياس Pausanias فكان يظن ، على العكس من ذلك ، أن هذه الأغنية إغريقية الأصل وأن الأغريق قد خصصوها للغناء على وفاة لينوس Linus أحد مبتكرى الموسيقى فى اليونان ؛ كذلك تذكر الأغنية شاروندناس Charondas التى كانت تغنى فى الولائم ، والأغنية اليتيس Alétés التى كان يغنيها المشردون والشحاذون كما تدل على ذلك الكلمة ، والأغنية كاتابو كاليزيس Katabaucalesés وهى خاصة بالمرضعات ، ومن خاصيتها أنها تجلب النوم اللذيذ إلى عيون الأطفال ، والأغنية إبيميليوس Epimylios أو أغنية الطحانين أو أولئك الذين يديرون الطاحونة أو الرحى ، كما كان يؤديها كذلك أولئك الذين يغترفون المياه بواسطة عجلة ذات قواديس لأن أداء وحركة هؤلاء جميعا متشابهة فيما بينهم ، ومع ذلك فقد كانت هناك أغنية خاصة بنازحى المياه هى تلك التى كانوا يسمونها هيميوس Himaeos ، وهى بدون جدال الأغنية التى كان أريستوفان يسميها (Ram. act V sect 2V41) Imoniostrofore أى أغنية مغترفى المياه . وقد احتفظ هؤلاء الذين يعبون المياه فى مصر حتى يومنا هذا بهذه العادة بل إنهم ينظمون حركاتهم على إيقاع أنغام بعض الأغنيات الخاصة بهم ، ويمكن الرجوع إلى بعض هذه الأغنيات فى دراستنا عن الحالة الراهنة لفن الموسيقى فى مصر ، الدولة الحديثة ، المجلد الأول . وكانت هناك أغنية أخرى هى يولوس Ioulos هى تلك التى يتغنى بها ندافو أو حلاجو الصوف ، وقد سبق أن ذكرنا نشيدا أو ترتيلة بهذا الاسم توجه إلى خيريس وبروزربين . وكان يشار باسم إلينوس Elinos إلى أغنية تخص النساجين ، وكانت هناك أغنية أخرى باسم Lityersés ليتييرسيس وتنسب إلى شخص يحمل نفس الاسم ، وهو ابن ميداس ؛ ومع ذلك فحين يقال انه كان يقطن كيلينيس Celénes وإنه كان يجذب المارة إلى هناك ، ويدفعهم إلى القيام بعملية الحصاد ، ثم يقطع بعد ذلك رءوسهم ويستبقى أجسادهم بين حزم القمح ، فإنه يخيل إلينا أن الأمر هنا يحمل طابع الأساطير القديمة التى تقدم ، فى شكل مرعب وخارج عن المألوف والمعقول ، رمزا فلسفيا عميقا ، وان كان المعنى الظاهرى له لم يصطنع إلا من أجل العامة الذين يحبون كل ما هو عجيب ولا يحترمون إلا ما يبعث على دهشتهم ؛ أما المعنى الخفى والعميق فكان وقفا على المثقفين . أما أغنية الذين يحولون المحصول بعد حصاده إلى حزم فكانت تحمل كذلك اسم يولوس Ioulos ، وهى كما نرى الأغنية =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والرقصات ، كانوا يقومون به فى داخل المعابد وخارجها فى أيام الأعياد وأيام الراحة ؛

= الثالثة ، أو النوع الثالث من أنواع الغناء ، الذى يحمل هذا الاسم . وكانت هذه مخصصة دون جدال لخيريس فى حين كانت الأولى توجه بصفة أكثر خصوصية إلى بروزرپين ، فمن المعروف أن خيريس كانت تترأس عمليات الحصاد وأنه كان يوجه الشكر والحمد إلى بروزرپين حين تنبت بدايات خضرة الربيع ، وعند ظهور بواكير الورود والثمار ؛ فضلا عن ذلك فلعل الحاصدين قد وجهوا تلك الأغنية إلى هذه الربة أحيانا ولتلك أحيانا أخرى لاستجداء معونتهما ولتقديم الشكر العميق لهما على هذا العون . أما الأغنية التى كان يغنيها رعاة الأغنام ورعاة البقر فكانت باسم بوكوليسموس Boucolismos ، كما كانت أغنية الذين يمخضون اللبن أو يصنع الزبدة تسمى تيروكوبيكوس Tyrocopicos أو كروزيتيروس Krousityros . ونحن نعلم أن قد كانت هناك كذلك أغنية خاصة بالنسوة اللاتى كن يدققن أو يسحقن الثمار وأن كنا نجهل اسمها . وقد كانت هناك بلا ريب أغنيات أخرى كثيرة من هذا النوع لكنها لم تصل إلينا قط ، كما لابد أن كانت هناك بالمثل أغنيات خاصة بكل حرفة أو مهنة ولابد أن هذه الأغانى كانت كبيرة العدد ذكرت من بينها أغنية خاصة بالحمامين دون أن يشار إليها بالاسم كما لزم [المؤرخون] الصمت بخصوص الأخريات .

أما عن ضروب الغناء أو الأغنيات التى كانت تؤدى بمصاحبة الناى فقد كانت تأتى فى مناسبات الأفراح أو الأحزان العامة وكذلك عند كل ضرب من ضروب التسلية والتدرب والعمل ؛ وعلى هذا النحو كانت أغنية كوموس Komos التى كانت تصاحب الرقصات المرحة والولائم والأغنية هيدوكوموس Hédycomos التى كانت تؤدى نفس غرض الأغنية الأولى على وجه التقريب ، والأغنية إيبفالوس Epiphalus ومعناها الأغنية التى تؤدى على شرف فالوس Phallus والأغنية كوريوس Choreos أو أغنية الجوقات وتؤدى فى الحفلات العامة أو الرقصات الجماعية **والأغنية** بوليميكوس Polemicos للمعارك ، والأغنية جنجراس gingras للعويل والبكاء . وهناك أغنيات تصاحب الرقصات الخليعة أو الشهوانية مثال ذلك تلك الأغنية التى أطلق عليها اسم ماثون Mathon ، وهذه الرقصات التى كانت تبغى الايحاء بالمجون وإثارة الغرائز تعود إلى زمن بالغ القدم ، وان لم تكن فى منشئها فما يرجح ترتبط بمشاعر الفسق هذه ، إذ لم تكن اللياقة ولا النظام الجيد ولا القوانين لتسمح ، عند شعب متحضر ومنظم ، أن تقبل الأمر من هذه الزاوية ، ونحن على يقين من أنها ، شأنها شأن كل الرقصات الدينية القديمة ، كانت تبغى فى البداية أن تقوم أو تمثل عن طريق أداء صامت المشاعر والأحاسيس والأوضاع التى كانت توحى بها ، أو يمكن أن ننسبها ، إلى الربة التى كانت مخصصة لها ، مع كل الالتزام الداعى للاحترام دون جدال بأن لا تنخرط إلى أداء دنس أو سوقى . ومن المرجح أن هذه الرقصات الشهوانية كانت تؤدى على شرف باخوس Bacchus وبصفة خاصة فى الأعياد التى تسمى أعياد باخوس Bacchanales ، ومن المرجح كذلك أنها بعد أن كانت فى منشئها تدعو للاحترام ، لم تعد مع مرور الزمن توحى بالقداسة وأصبحت فرصة للفجور والدعارة ، فانتقلت من المعابد ، حيث لم يعد يسمح بأدائها هناك إلى العامة ، وهذا فى رأينا ، هو أصل رقصات الجاتيدانس gatidanse والتى حفظ لنا الشعراء اللاتين أوصافها الداعرة للغاية . مثال ذلك تلك الرقصات التى مازالت تنشرها حتى اليوم الراقصات المحترفات فى مصر (العوالم) – انظر دراستنا عن الحالة الراهنة لفن الموسيقى فى مصر ، الفصل الثانى ، المبحث الخامس ، عن العوالم والغوازى أو الراقصات العموميات .. الدولة الحديثة ، المجلد الأول (المجلد الثامن من الترجمة العربية) . وعلى هذا فإن كل ضروب الغناء وكذا الرقصات التى ترتبط بها ، كانت قد نقلت ، أو على الأقل قد تمت محاكاتها ، عن الأغنيات والرقصات التى كان المصريون القدماء قد ابتكروها وخصصوها لكل إله من آلهتهم ، =

وقد أطلق أفلاطون على هذا النوع من التمثيل اسم Choreé أى الرقص(*) (بفتحة مشددة على الراء تليها فتحة على القاف) وهى مشتقة من الكلمة اليونانية Kharà وتعنى الفرح أو البهجة .

كانت هذه التدريبات مفيدة فيما يتصل بالأخلاق التى كانت هذه التدريبات تقدم عنها أكثر الصور جمالا ، وفيما يتصل بالموسيقى بفعل اللحن الرائع للأغانى التى كانت تصاحب هذه التدريبات ، والتى كانت عباراتها تختار على الدوام بروية وفطنة ثم تعد بشكل طيب ، وفيما يتصل بالرقص بفعل رشاقة الحركات وتوقيعها ، وفى النهاية بفعل التناغم الكامل واللياقة والجمال فى كل من تأليف واخراج الأغنيات والرقصات . وكانت هذه التدريبات تندمج أو تصاحب كل مراحل التعليم(١) **فعندما لا يعرف امرؤ ما قط أن يغنى ، وحين لا يعرف قط أن يرقص فمعنى ذلك أنه لم يتلق تعليما قط**(٢) ويعنى ذلك - كذلك - أن هذا الشخص لا يعرف كيف

= ولكل عيد ، ولكل فصل ، ولكل مناسبة ، ولكل حالة ، ولكل عمر ، ولكل جنس ، فهنا نلمس العناصر المكونة للفن الجماعى أو فن الجوقة والذى كان عندهم هو الغرض الرئيسى من الدرس والتعليم . ويبدو أن سوفوكليس (أوديب فى كولونا ، البيت ١٢١٨) أراد أن يشير إلى هذا النوع من التعليم حين أعطى لربة الموت(**) التى تقطع خيط أيامنا الصفتين akhros, alyros وتعنيان المحرومة من الرقص والمحرومة من الغناء .

(**) تذكر أساطير اليونان أن هناك ثلاث ربات للحياة الآخرة يتحكمن فى حياة الانسان وطول عمره فالربة كلوتو التى تتعهد الميلاد وتمسك بالغزل والربة لاخيسيس تلف المغزل أما الربة اتروبوس فتقوم بقطع الخيط ايذانا بانتهاء حياة الفرد [المترجم]

(*) ومن هذه الكلمة جاءت الاشتقاقات : كورال Choral : وهى جوقة صوتية ؛ وكوريدرام Chorédram : أى المأساة المغناة .. الخ . أما الكلمة العربية التى تقابلها ، وهى الرَّقَص فتدل على مرض عصبى يتميز باختلاجات تشنجية . [المترجم]

(١) كان الاغريق كذلك يظنون الشىء نفسه فى العصر الذى عاش فيه تيميستوكل Thémistocle إذ نظروا إليه باعتباره قد عد جاهلا لم ينل أى قسط من التعليم ولحقته بذلك كل صنوف الخزى والعار على الدوام ، حين اعترف بأنه لا يعرف كيف يغنى ولا كيف يعزف على القيثار .

(٢) أفلاطون ، القوانين ، الكتاب الثانى .

وألفتنا بهذه الأفكار قليلة للغاية وتتعارض مع الرأى الذى توحى لنا به موسيقانا ورقصاتنا الحالية ؛ ولسنا نريد أن نكرر القول كثيرا بأن الأمر هنا لا يتعلق بفنون تشابه التى نطلق عليها هذه الأسماء نفسها ، وبأن هذه الفنون [فنوننا] ليست على أحسن تقدير سوى امتدادات أو إشارات أو بالأحرى سوءات نجمت عن تفسخ الفنون الأولى وتحللها ، والتى كانت إحداها ، الرقصات ، تشمل التعبير برشاقة واحتشام ولياقة وحيوية أما الأخرى ، الموسيقى ، فكانت تلحق بالخطابة الهيئة والشكل والحركات المماثلة للمشاعر التى يتم التعبير عنها بالكلمات (أفلاطون ، القوانين ، الكتاب السابع) .

لقد كانت الموسيقى والغناء ، طبقا لرأى أفلاطون ، محاكاة للتقاليد والممارسات وصورة لها ، لذلك كانت تغرس وترسخ وتعلم بقدر كبير من العناية يماثل القدر من العناية التى تدرس بها قواعد اللغة اليوم . كذلك فإن =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يتمالك نفسه ولا كيف يعتدل لا فى أقواله ، ولا فى تعبيرات صوته ، ولا فى حركاته ولا فى أفعاله[١]، فالناس عندئذ لم يكونوا يفصلون قط الحشمة عن الرشاقة ، ولا النفع عن الصواب ولا الجمال عن الخير ، إذ لم يكن ينظر لأية واحدة من هذه المزايا على اعتبار أنها متحققة ومكتملة ، إلا بقدر ما تضم اليها المزايا الأخرى جميعاً فى الوقت ذاته .

وحتى يستطيع كل امرىء أن يكب على هذه التدريبات ، وأن يظل على الدوام يحتفظ بمبادىء التعليم السليم التى كان قد تلقاها ، ودون أن يضطر من أجل ذلك أن يهجر ما تتطلبه منه حياته العامة أو الخاصة من مشاغل معتادة ، فقد تخصص لهذا الغرض ، الوقت الذى كان يتبقى من أيام العيد بعد الانتهاء من أداء الواجبات الدينية ؛ وكانت تبذل العناية الفائقة حتى لا يؤدى فى تلك الأيام سوى الرقصات والأغنيات التى تماثل طابع العيد ومناسبته أو الغرض منه ، والتى تتوافق كذلك مع طبيعة وسن وجنس وحالة الراقصين ، فكل ما قد كان للموسيقى من سمو ، وكل ما كان من شأنه فيها أن يؤجج الحماسة والشجاعة كان يخصص للرجال ، فى حين كانت النساء يختصصن بكل ما يدعو إلى التواضع والاعتدال[٢].

وكانت كل الحفلات الدينية أو العامة ، وكل الواجبات المدنية التى كانت تستهدف النظام الاجتماعى المتصل بظواهر الطبيعة ، تشكل نوعا من الدراما المتبوعة[٣] حيث كان عبقرية النظام والتناغم حورس يقوم بالذود عن عبقرية (أو جن) الخير أوزيريس ، الذى كان يهاجم ويهزم دونما انقطاع من جن أو عبقرية

= ماكان يراه أفلاطون فى هذا الخصوص يطابق آراء وأحاسيس كل فلاسفة عصره ، بل كذلك آراء وأحاسيس العلماء المتميزين الذين جاءوا بعده بوقت طويل . وقد رأى كليمنس السكندرى إذ يقول (Storm, VI p. 659) :

« وعلى ذلك فإن الموسيقى ينبغى لها أن تهدف إلى التحلى بالأخلاق وتهذيبها » .

« أما الموسيقى الزائدة عن الحد فينبغى نبذها ، إذ أنها تمزق الاحساس ، وتؤثر على المشاعر بدرجات متفاوتة ، لدرجة أنها أحيانا ما تكون بحق محزنة ، وأحيانا بلا حياء ، تثير الغرائز ، وأحيانا صاخبة ، تدفع للجنون » .

(١) كل ما نقوله هنا ، وكذلك كل ما سبق أن قلناه فى أماكن سابقة [بهذا الخصوص] قد أخذناه عن أفلاطون أو عن مؤلفين آخرين من هؤلاء الذين عرفوا مصر القديمة أفضل من غيرهم والذين كانوا هم أنفسهم شهودا على كل ما نقلوه إلينا من هناك .

(٢) أفلاطون ، القوانين ، الكتاب السابع .

(٣) شرحه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشر طيفون (أو توفون) ؛ ولهذا السبب فإن المصريين قد ألزموا أنفسهم بواجب ديني ، هو أن يسهموا عن طريق عملهم وفضائلهم للإبقاء على السعادة الاجتماعية والازدهار العام ، مقتنعين بأنهم ، بهذه الوسيلة ، يصارعون من جانبهم ويدفعون عبقرية الشر ويصدونها ، ويجعلون الجهود التي تبذلها لالحاق الأذى جهودا لا فاعلية لها ، وهنا تكمن الغاية التي كانوا يستمدون من بعضهم البعض الشجاعة المتبادلة كي يبلغوها .

لم يكن يعترف ـــ في مصر القديمة ـــ بأغنيات جميلة ، إلا تلك التي كانت تتفق مع الفضيلة ، أما الأغنيات الأخرى فكانت تلفظ وتنحى وكان مؤلفوها[١] ينالون العقوبة التي يستحقونها ؛ وهذا ما أراد أفلاطون كذلك أن يثبته في قوانينه ، محاكاة للمصريين الذين كان يتبنى دون قيد أو شرط كل مبادئهم ؛ إذ يأتي على لسان واحد من الأثينيين في الكتاب الثاني من القوانين ، وكان المتحدث يتوجه بحديثه إلى كلونياس وميجيل ، وأولهما من كريت أما الثاني فمن لاكيدمونيا:

« هل يمكن الظن أن يترك ، في دولة ما ، أية دولة ، تحكمها أو ستحكمها القوانين ، تحت رحمة الشعراء[٢] ما يخص أمور التعليم والتسلية والمرح التي تنعم علينا بها ربات الفنون ؛ وهل ندع لهم حق اختيار ما يروق لهم فيما يتصل بالايقاع واللحن والكلمات المغناة . كي يلقنوه بعد ذلك ، في الجوقات[٣] ، إلى شبان ولدوا لمواطنين صالحين ، دون أن يعبأوا ما إن كانوا بذلك ينشئونهم على الفضيلة أو على الرذيلة ؟

---

(١) بلوتارخوس (بلوتارك) ايزيس وأوزيريس . « النص الفرنسي »

(٢) يقصد أفلاطون عادة بكلمة شاعر : **الشخص الذي يصنع والذي يؤلف عملا أدبيا أو موسيقيا** أو هو بالأحرى الشاعر – الموسيقي ، وهو يعطي لهذه الكلمة معنى أو مفهوما شبيها بذلك الذي أعطيناه لكلمة **شعر** قبل ذلك ؛ ويطلق اليونان المحدثون في مؤلفاتهم الموسيقية اسم الشاعر على مؤلفي وناظمي اغنياتهم . انظر دراستنا عن الحالة الراهنة لفن الموسيقى في مصر ، المجلد الأول ، الدولة الحديثة ص ٨١٣ [من الأصل الفرنسي] الهامش رقم ٦ ، وص ٨١٦ الهامش رقم ٧ . [المجلد الثامن من الترجمة العربية]

(٣) نستطيع ملاحظة أن أفلاطون كان ينظر إلى الجوقات أي إلى تجمع مختلف الفرق الجماعية باعتبارها نوعا من التعليم العام ، محتذيا في ذلك حذو المصريين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلينياس : كلا ، بالطبع .

الأثينى : ومع ذلك فهذا الأمر متروك بالفعل تحت رحمتهم فى كل بلدان العالم فيما عدا مصر .

كلينياس : إذن فكيف تسير الأمور فى مصر فى هذا المجال ؟

الأثينى : بطريقة ستكون مدعاة لدهشتك . فالناس هناك قد عرفوا منذ وقت طويل ، فيما يبدو ، حقيقة ما أقوله لك هنا ، حقيقة أن من الواجب أن ينشئوا الشباب منذ وقت مبكر على أكثر الأمور اكتمالا فى مجالى الشكل(١) واللحن . ولهذا السبب ، فإنهم بعد أن يختاروا ويحددوا نماذجهم فإنهم يقومون بعرضها على مشهد ومسمع من الجمهور فى المعابد ، ولم يسمح الناس فى مصر(٢) قط ، ولا يزال لا يسمح فيها حتى اليوم ، لا للرسامين ولا لغيرهم من الفنانين الذين يصوغون أشكالا أو أعمالا مشابهة ، أن يبتدعوا شيئا أو أن يتزحزحوا قيد أنملة عن شىء كانت قوانين البلاد قد نظمته(٣) . ولقد حدث هناك الشىء

---

(١) أى حركات وهيئة الجسم .

(٢) من المفيد أن نلاحظ أن الحكومة المصرية القديمة فى ذلك الوقت ، كانت قد توقفت ، لمدة تزيد عن قرن من الزمان ، وأن ثلاثة من ملوك الفرس قد شغلوا عرش مصر ، وأن المصريين بعد طردهم لهؤلاء قد استعادوا العرش من جديد ، وأنهم لم يحتفظوا به إلا لمدة ستين عاما وبضعة أعوام ، وأن أفلاطون خلال هذا الوقت ، وعلى وجه الدقة ، قد سافر إلى مصر وألف كتابه القوانين .

(٣) لابد للقوانين فى هذا الصدد أن تكون ايجابية للغاية وبالغة التحديد ؛ فطبقا لما ينقله إلينا ديودور الصقلى فى مكتبته التاريخية الكتاب الأول ، الفصل ٩٨ فقد كان « تيليكليس Télèclès وتيودور Théodor ، ابنا روكوس Roecus ، اللذان صنعا تمثال أبوللون بيثيان من ساموس ، واللذان درسا فنهما فى مدرسة المثالين المصريين ، قد توصلا إلى تنفيذ هذا التمثال على هذا النحو ، مع أن تيليكليس قد صنع نصف التمثال فى ساموس Samos فى حين أن أخاه قد صنع النصف الآخر فى إيفيزا Ephèse ومع ذلك فقد تطابق النصفان على نحو بالغ الدقة ، حتى أنه فى شكله الكلى كان يبدو وكأنه من صنع يد واحدة ، ويضيف ديودور الصقلى إلى ذلك : « ان هذا الفن ، الذى كان قليل الانتشار عند الاغريق كان يمارس بأكبر قدر من النجاح على يد المثالين المصريين » (**ولهذا ينبغى الاستنتاج تبعا لذلك أن كل الأعمال الرائعة من هذا النوع والتى أقيمت فى عصر سابق على ديودور هى ، طبقا لظنون هذا المؤلف ، من عمل المثالين المصريين ، أو على الأقل من عمل إغريق تكونوا فى مدرسة المثالين المصريين .**) « وان هؤلاء لم يكونوا يحكمون على الشكل من مجرد لمحة عين خاطفة ، شأن الأغريق ، وأنهم كانوا يقطعون بشكل منفصل وبأكبر قدر من الانضباط كل الأحجار التى ينبغى لها أن تشكل التمثال ؛ وانهم قد قسموا الجسم البشرى إلى واحد وعشرين جزءا وربع الجزء . وأنه ، عندما كان العمال يتفقون فيما بينهم على الارتفاع المطلوب فإنهم يذهبون ليصنع كل منهم فى منزله الجزء الذى أسند إليه تشكيله . وأن هذه الأجزاء كانت =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نفسه فيما يتصل بالموسيقى ، فإذا ما شئنا أن نسوق أمثلة على ذلك ، فيكفى أن نقول بأن لديهم أعمال رسم ونحت[١]، صنعت منذ عشرة آلاف عام (وحين أقول عشرة آلاف عام فلست هنا أطلق القول على عواهنه ، وإنما أقصده بمعناه الحرفى) لا هى أكثر جمالا ولا هى أقل جمالا عن أعمالهم الفنية التى يصنعونها اليوم ، فقد قامت هذه وتلك على نفس القواعد .

كلينياس : هذا أمر يدعو إلى الاعجاب حقا !

الاثينى : نعم فهذا من جلائل الأعمال فى مجالى التشريع والسياسة . ومع ذلك فإن قوانينهم الأخرى ليست خلوا من الأخطاء . **أما تلك التى تمس الموسيقى فإنها تدلنا على شيء حقيقى وجوهرى وجدير بالملاحظة ، وتشتمل فيما تشتمل على إمكانية أن نحدد على وجه الدقة ما هى ضروب الغناء الجميلة بطبيعتها وأن نعين مواصفاتها** . صحيح أن ذلك لا يدخل ضمن نفوذ إله أو شخص مقدس[٢]، ومع هذا فإن المصريين ينسبون إلى

= تنطبق فيما بينها على الدوام بطريقة كانت دوما تثير دهشة أولئك الذين لم يألفوا هذه الطريقة فى العمل ، ثم يواصل ديودور قائلا : « ولذلك فإن قطعتى أبوللون من ساموس تلتصقان بشكل متناسق بكل طول الجسم ، وبرغم أن له ذراعين مبسوطتين فى حالة حركة ، ومع أنه فى هيئة رجل يمشى فإنه فى كل أجزائه **متماثل** ، كما جاءت أجزاؤه فى أتم حالة من الضبط والدقة ، وأخيرا فإن هذ العمل الذى صنع على غرار الفن المصرى قد تجاوز بعض الشيء آثار مصر نفسها » .

ولا يزال بمقدورنا نحن أن نحكم بأنفسنا على روعة هذا العمل عن طريق التمثال البرونزى لأبوللون بيتيان الذى يرى حاليا فوق شرفة التويلرى من ناحية نهر السين ، ذلك أن المرء لا يمكن أن يشك فى أن هذا التمثال البرونزى الذى فى حوزتنا قد تم تنفيذه طبقا لهذا الأنموذج ، أو على الأقل طبقا لنسخة رائعة من هذا العمل الفذ . وعلى زملائنا الذين لديهم معرفة أعمق بفن النحت أن يقدروا ما إن كانت الجذوع والفتات الأخرى لتماثيل الجرانيت التى صادفناها فى مصر ، تستحق هذا المديح الذى يكيله ديودور الصقلى هنا للمثالين أو النحاتين المصريين .

(١) نعرف أنه كانت لا تزال توجد فى مصر ، فى زمن أفلاطون ، آثار تعود إلى عصور بالغة القدم .

(٢) يلمح أفلاطون هنا إلى تحوتى أو هرميس أو عطارد الذى أعطاه الوصف نفسه فى مؤلفه فيليب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إيزيس[١] هذه الأشعار التى ظلوا يتداولونها منذ زمان بعيد ؛ اذن ، فلو أن شخصا ، ماهرا بالقدر الكافى ، قد أمكنه ، كما كنت أقول ، أن يستخلص من الأمور أكثرها اكتمالا فى هذا الجنس [الموسيقى] فإن عليه - دون أن يخشى شيئا ان يستوعبه كى ينشىء منه قانونا ، يأمر بوضعه موضع التنفيذ ، وليكن على يقين من أن مشاعر اللذة والألم[٢] ، تلك التى تحفز الرجال ، دونما انقطاع ، على ابتكار الأصناف الجديدة من الموسيقى ، لن تكون قط على قدر من القوة يكفى لإلغاء أو إزالة نماذج [فنية] أخذ بها الناس ذات يوم ، ادعاء بأن الزمن قد تجاوزها ، وعلى أية حال فإننا نرى فى مصر ، لا نزال ، ان العكس من هذا هو الذى يحدث[٣]، **بل قد تم إلغاؤها**[٤]. »

ومن الواضح من هذه الفقرة ، أن أفلاطون لم يجد شيئا قد تغير فى القوانين المصرية الخاصة بتنظيم الموسيقى ، وأنه كان يقدم هذه الموسيقى كنموذج يحتذى ، وباعتبارها مبرأة من كل عيب ، وأنه قد تتبعها فى كل تفصيلاتها فحين نجده يقول : **ويجب أن نحمل الأطفال ، بموجب قانون خاص ، على اغتراف المعارف التى يتعلمها أطفال مصر بواسطة الحروف**[٥]. فلابد لنا أن ندخل الموسيقى ضمن هذه العلوم ، **إذ أن المصريين قد أدركوا منذ وقت طويل أن من الضرورى أن نربى الناشئة منذ نعومة أظافرهم على ما هو قائم من الحان بالغة الاكتمال** ؛ ولقد كانت هذه نتيجة لازمة ، جاءت عن مبادئهم التى كانت ترنو إلى الاعتدال وتهدف إلى ضبط العواطف والانفعالات منذ الطفولة ، وغايتهم فى ذلك أن يكون الناس أكثر سعادة فى مجتمعهم .

---

(١) كان المصريون ينظرون إلى إيزيس باعتبارها أولى ربات الفن انظر بلوتارك ، مقالة ايزيس واوزيريس .

(٢) وهى ولا شك ضروب الغناء أو الإيبودات التى تناولناها بالحديث فى الهامش رقم ٥ ص ٦٩.

(٣) كان بمقدور أفلاطون الذى زار مصر فى عهد الملوك المصريين ، بعد طردهم لخلفاء قمبيز من العرش ، أن يحكم بنفسه على مدى ما أبقى عليه المصريون من ارتباط بكل هذه الأشياء وعن الحماسة التى أظهروها لإعادتها أو للابقاء عليها فى كل فاعليتها .

(٤) يريد أفلاطون دون جدال أن يتحدث عن الجهود التى قام بها الفرس عندما احتلوا مصر كى يدخلوا إلى هذا البلد مبتكرات عديدة كان لها تأثيرها على فن الموسيقى سواء فى اليونان أو فى آسيا .

(٥) أفلاطون ، القوانين ، الكتاب السابع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الوقت نفسه ، فبرغم أن الناس فى مصر كانوا يعنون منذ وقت مبكر للغاية بتعليم أطفالهم ، فإن هؤلاء الأطفال لم يكونوا يحصلون ، حتى بلوغهم السنة العاشرة من أعمارهم ، على أى تعليم آخر بخلاف ذلك الذى كان ينتقل إليهم عن طريق المحاكاة أو الإقتداء ، إذ كان يكتفى ، قبل بلوغهم هذه السن ، بأن ينشأوا على أن يغنوا المبادىء العامة والأمثلة السائرة التى تلخص الحكمة أو تحض على الفضائل التى كان يغنيها الرجال الناضجون والتى كان يعلمها الشيوخ(١): أما عند بلوغهم سن العاشرة فكانوا يتعلمون القراءة لمدة سنوات ثلاث ؛ وعند بلوغهم الثالثة عشرة كانوا يتعودون على ممارسة الألعاب الرياضية والتوقيع على أوتار القيثارة(٢)، وكان المصريون يحتمون أن يمضى الأطفال فى ذلك ثلاث سنوات ، دون أن يكون مسموحا لوالد الطفل ، أو حتى للطفل ذاته ، سواء عن طيب خاطر من جانبه أو عن نفور ، بأن ينفقَ فى ذلك أكبر أو أقل من الوقت الذى نص عليه القانون(٣).

ولقد تربى موسى على هذا النحو فى بلاط فرعون مصر(٤)، ثم تعلم القراءة فى سن العاشرة(٥)؛ وبعد ذلك تعلم الحساب والهندسة والموسيقى بكافة أشكالها وتشتمل على الموسيقى الهارمونية والايقاعية والصوتية(٦) وموسيقى الشعر (البحور والأوزان) ، ثم درس الطب . وبعد أن تلقى كل العلوم المدنيـة والعسكريـة(٧)، تلقـى على

---

(١) أفلاطون ، القوانين ، الكتاب الثانى .

(٢) لن يكون بمقدور امرىء أن يتصور فائدة هذه الدراسة فى تربية الأطفال فى ذلك الوقت) بعد أن يكون المصريون قد علموهم القراءة إذا ما كان يجهل أو إذا كان يمكنه الشك فى أن القيثارة فى هذه الأزمان المتأخرة كان يقتصر استخدامها ، كما سبق لنا أن استرعينا الأنظار ، على مساندة وتوجيه الصوت فى غناء الأشعار .

(٣) شرحه .

(٤) أعمال الرسل ، فصل ٧ ، سطر ٢٢ ؛ فيلون ، حياة موسى ، الكتاب الأول ، ص ٤٧٠ ، كولونيا ١٦١٣ ؛ كيدرين ، موجز التاريخ ، الموسوعة البيزنطية ، المجلد السابع ، ص ٣٩ ، ٧٦ .

(٥) جورج أبو فرج ,Bar- Hebraei ، أساقفة الشرق ، قوائم التاريخ منذ تأسيس العالم حتى نهايته ، القائمة المقدسة الأولى من آدم حتى موسى ، الموسوعة البيزنطية ، المجلد السابع ، ص ١٠٧ .

(٦) فيلون اليهودى ، حياة موسى ، الكتاب الأول ، ص ٤٧٠ ف ؛ كليمنس السكندرى ، الطبقات (ستروماتا) ، الكتاب الأول ، ص ٣٤٣ .

(٧) تبحر موسى فى كل العلوم السياسية والدينية والمقدسة وكان نبيا ومشرعا ماهرا . وعالما بفن إصدار الأوامر وقيادة الجيش واعداد وخوض المعارك . وكان فى الوقت نفسه رسولا وسياسيا وفيلسوفا . (كليمنس السكندرى الطبقات) . Clem. Alex Strom. lib I, pag. 346.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يد أكثر أساتذة مصر شهرة دراسة العلوم الفلسفية واللاهوت ، ولم تكن هذه لتدون إلا بحروف هيروغليفية[١]؛ ويزعم بعض أن أساتذة موسى كانوا اثنين من كبار رجال اللاهوت المصريين هما يانيس Iannes ويامبريس Iambres[٢]؛ وفى الوقت نفسه فإن العلمين الأخيرين اللذين درسهما موسى لم يكونا يدرسان للعامة ! فلم يكونا ليلقنا إلا لأطفال الملوك ولأولئك الذين لهم الحق فى تولى العرش[٣] مثل طبقة الكهنة التى كان الحاكم أو الأمير يختار من بين أبنائها على الدوام ؛ ولعل هذا هو السبب فى أن سترابون[٤]، وكثيرين آخرين ، قد وصفوا موسى بأنه كاهن أو نبى مصر[*].

كانت موسيقى قدماء المصريين تتغلغل فى الأشكال المتنوعة من الخطب[٥] عن طريق لحنها وتناغمها وايقاعها ، أو كانت الخطابة [أو الكلمات] ، بمعنى آخر ، هى مادة الموسيقى ، أما الأجزاء الأخرى فلم تكن لتصنع سوى الشكل . وكانت هذه الموسيقى لا تتقبل سوى نوعين من التناغم أو الهارمونى[٦]: الأول : رقيق وقور هادىء من شأنه أن يعبر عن روح عاقلة فى حالة من السراء ؛ أما الآخر فمضطرب صاخب ومن شأنه أن يوحى بروح حازمة شجاع تقابل حالة من الضراء أو المخاطر ؛ أما النوع الأول فكان ينتمى إلى موسيقى البيونيك péonique[٧] وأطلق عليها الاغريق اسم

---

(١) المؤلف نفسه ، المرجع نفسه .

(٢) المرجع السابق ذكره لجورج أبو الفرج جغرافية أبو الفرج وفى الرسالة الشعرية الثانية من سان بول إلى تيموتيه Timothé ، الفصل الثالث ، البيت ٨ ، يدور الحديث عن حَبْرَيْن مصريين هما يانيس Iannes ومامبريس Mambres ، قاوما موسى عن طريق رقياتهما وأسحارهما . ألا يكون هذان هما اللذين يتسميان هنا باسم يانيس ولامبريس ؟

(٣) كليمنس السكندرى ، الطبقات ، ص ٥٦٦ ؛ يوستنياتوس ، مسائل للأرثوذكسيين ، الاجابات على الأسئلة (٢٥) ، طبعة سيلبورج ، باريس ، ١٦١٥ ص ٤٠٥ .

(٤) سترابون ، الجغرافيات ، الكتاب السادس عشر ؛ جورج كيدرين ، موجز التاريخ ، ص ٣٩ ، طبعة بازل .

(*) انظر فى هذا الصدد : كيف خرج اليهود من مصر القديمة ، دراسة من تأليف دى بوا - ايميه ، المجلد الثانى من الترجمة العربية ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٠. [المترجم]

(٥) أفلاطون ، الجمهورية ، الكتاب الثانى .

(٦) كان القدماء يقصدون بكلمتى تناغم أوهارمونى وموسيقى نظام وترتيب الأنغام فى الرسم التخطيطى لكل مقام لحنى .

(٧) سنتصدى بالشرح لهذا الصنف من الغناء عند معالجتنا للأشعار والغناء البيونية أو الدورية وسنجد أن الكلمة péon وكذلك الأشعار والأغنيات التى تحمل هذا الاسم مستمدة من مصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموسيقى الدورية(*)(١) dorienne ، أما النوع الآخر فهو موسيقى المديح أو التقريظ(٢) dithyrambique وقد عرفت منذ نشأتها باسم التناغم (الهارمونى) الفريجى phrygienne.

وكان لكل ضرب من ضروب الغناء ، كما سبق أن علمنا ، قانونه الخاص به ، فكان هناك قانون لطريقة نظم وأداء التراتيل أو الترانيم ، وهناك بالمثل قانون لأغنيات الصلوات ولأغنيات الضراعة والمديح التى كان الناس يتوجهون بها إما إلى الآلهة وإما إلى الموتى الذين تميزوا أثناء حياتهم بالفضائل والأعمال الخيرة(٣)، ذلك أنه لم يكن يباح بمديح على هذا النحو لأولئك الذين لا يزالون على قيد الحياة .

وكانت لدى القوم عادة أن يلحقوا بدراسة الموسيقى ، دراسة الرياضة البدنية(٤) وكان القصد فى ذلك أن تخفف هذه من آثار تلك ، فلقد عرف الناس وقتئذ أن هؤلاء الذين لم يتعلموا سوى الموسيقى ، والذين لم يعتادوا إلا المشاعر الرقيقة التى من شأن هذا الفن أن يخلقها ، يصبحون مخنثين ، على شيء من الرخاوة وعارين عن الشجاعة ، فى حين يحدث العكس من ذلك لهؤلاء الذين لا هم لهم سوى الرياضة البدنية ، إذ يكتسب هؤلاء ، بالإضافة إلى قوة البدن ، نوعا من الخشونة أو الضراوة النزقة والوقحة .

وكان ثمة مدرسون للرياضة البدنية وحدها ، كما كان هناك مدرسون للموسيقى وحدها ، كما كان هناك مدرسون للتعليم وآخرون للتدريب ، وكان يطلق لفظ تربية بدنية على كل صنوف الرقص التى لا تهدف إلا لإكساب الجسم قوة ، أما

(*) نسبة إلى إحدى مناطق اليونان القديمة .

(١) يقول كليمانس السكندرى فى مؤلفه الطبقات Strom الكتاب الرابع ص ٦٥٨ « غير أن ما يتناسب مع النغم الدورى بوجه خاص ، هو السلم المسمى بالهارمونى ، earmonion أى المنسق » .

(٢) سنقدم الدليل على أن المدائح قد كانت ضربا من الشعر والغناء من أصل مصرى وأن اسمها وهو ديتيرامبه هو كلمة مصرية صرف .

(٣) يتطابق هذا بشكل يدعو إلى العجب مع ما نقرؤه عند ديودور الصقلى ذاته فى مؤلفه المكتبة التاريخية ، الكتاب الأول ، الفصل ١٣ .

(٤) ولا يزال الأمر هنا يطابق رواية ديودور الصقلى الذى يضع الرياضة البدنية والرقص ، عندما يسرد العلوم والفنون التى ابتكرها عطارد ، مباشرة بعد اختراع عطارد للهارمونى واكتشافه للخاصية التعبيرية التى للأنغام والأصوات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرقص الذى لم يكن يشتمل إلا على حركات أو خطوات ، فقد كانت تصحبه الموسيقى على الدوام ، وهو ما كان أفلاطون يطلق عليه اسم الجوقة Chorée ، وكانت صنوف الرقص الأولى تعلم لاولئك الذين انخرطوا فى سلك الجندية أو احترفوا الحرب ، أما النوع الأخير من الرقص فكان يدخل فى تعليم الجميع .

ولسوف يكون بمقدور المرء أن يقدم دراسة بالغة الكمال عن موسيقى المصريين القدماء ، إذا ما شاء أن يتابع أفلاطون فى كل التفاصيل التى يدخل فيها حول أساليب تعليم ودراسة وأداء هذا الفن عندهم ، ذلك أننا لا نستطيع الافتراض بأن ما يقوله هذا الفيلسوف عن المبادىء والقواعد التى ينبغى اتباعها فى الموسيقى ، قد استعاره عن موسيقى الاغريق التى ينعى عليها – هو نفسه – الانحلال والتدهور ، ويحصى – هو كذلك – مثالبها المضحكة ، كما لا يمكن الزعم بأنه قد أخذ ذلك عن موسيقى الآسيويين التى يرفضها افلاطون فى كافة صورها ، إذا ما استثنينا النوع المعروف باسم التناغم الفريجى ، والذى لم يكن بدوره سوى نوع من الاطراء من أصل مصرى ، فى الوقت الذى يتحدث فيه أفلاطون على الدوام عن نضج واكتمال وتمام الموسيقى المصرية ، ومن الميسور ان نحدس أن كل ما كان يريد أن ينشئه أو يؤصله بخصوص هذا الفن ، هو ما كان قد سبق له ان تعلمه من قبل فى مصر التى ذهب إليها لينهل من علومها ولم يذهب إلى مكان آخر ، وحيث كان بمقدوره كذلك ان يصدر على موسيقاها الأحكام ، إذ كان قد سبق له أن درس الموسيقى وأن اكتسب عنها معرفة عميقة على يد مدرس عظيم قبل ذهابه إلى مصر .

كان المصريون القدماء يحرصون ، فى أسلوبهم لتعليم هذا الفن ، على نحو ما كانوا يفعلون عند تعليم كل العلوم الأخرى ، على أن يسترعوا الأنظار على الدوام نحو ظواهر الطبيعة ؛ فحيث كان علم الفلك يشكل بالمثل واحدا من علومهم الأساسية ، وحيث كان وجود هذا العلم ضروريا للغاية بالنسبة لهم لتنظيم أعمال الزراعة ، وهذه ترتبط فى مصر بفيض النيل الذى كانت مدته ، وحركة تزايده وارتفاع منسوبه ، ومدة بقائه ، يمكن الاستدلال عليها – جميعا – عن طريق ملاحظة النجوم ، فإنهم قد قرنوا الموسيقى بهذا العلم ، علم الفلك . وذلك بأن ربطوا النغمات الأساسية فى نظامهم الموسيقى ، بفصول السنة الثلاثة ، بالطريقة نفسها التى لاحظنا بها التوافق الموجود فى قيثارة عطارد [بين الأوتار وفصول السنة] ، وهناك ما يدل كذلك على أنهم ربطوا ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالمثل ، بالكواكب السبعة ، النغمات السبع المنتظمة القوة والتى نجدها فى النظام الدياتونى والتى كانوا يشيرون إليها باسم الحركات السبع طبقا لما يخبرنا به ديمتريوس دى فاليرا Démétrius de phalére[1] حين يقول إن **المصريين كانوا يغنون الابتهالات والترانيم على أساس الحركات السبع** ،الأمر الذى يعنى فى رأينا أن كانت لهم أناشيد وابتهالات قامت على كل واحدة من النغمات السبع ، وأنهم كانوا يترنمون بها داخل معابدهم . أما عادة ربط النغمات السبع بالكواكب السبعة[2] فكان لها عند المصريين دافع لم نكن لنستطيع أن نجده عند الإغريق الذين تبنوه بدورهم فى الوقت نفسه ، وبذلك أصبح عند وصوله إلينا[3] يقوم على غير أساس وعلى غير سبب ، على الاطلاق . ولعل العرب – فيما هو مرجح – حين ربطوا كذلك النغمات السبع الدياتونية بالكواكب السبعة لم يفعلوا سوى أن اتبعوا ، وخلدوا بالتالى ، ما كان قد تأسس واستقر عند المصريين ؛ ولعلهم بالمثل قد أخذوا عن هؤلاء تلك العلاقات التى كانوا قد أنشأوها بين النغمات (أو الدرجات) الأربع لكل سلم موسيقى وبين العناصر الأربعة وهى : النار والهواء والماء والتراب ، وكذلك بين الأمزجة **الأربعة:** الصفراوى ، الدموى ، البلغمى ، والسوداوى : فربطوا النغمة بالغة الحدة بالنار وبالمزاج الصفراوى ؛ والنغمة أو الدرجة الثانية هبوطا بالهواء وبالمزاج الدموى ، والنغمة أو الدرجة الثالثة بالماء وبالمزاج البلغمى ، ثم ربطوا اخيرا النغمة أو الدرجة الرابعة ، وهى الأكثر وقارا بالتراب وبالمزاج السوداوى . وقد نستطيع أن نقول الشىء نفسه عن الرابطة التى تخيلوها بين الاثنتى عشرة نغمة والاثنتى عشرة صورة لفلك البروج[4] وبين النغمات السبع حين تتكرر هذه مرة بعد مرة مع انصرام ساعات الليل وساعات النهار .

---

(١) عن البيان ، ص ٦٥

(٢) انظر أفلاطون ، تيماوس ؛ وبلوتارك ، مقالة فى أخلاق النفس .

(٣) كذلك كان اللاتين والفرنسيون حتى القرن الثانى عشر يربطون النغمات فى نظامهم الموسيقى بالكواكب ، بل لقد ذهبوا بهذا الربط إلى أبعد مما ذهب إليه الآخرون ؛ فقد عمموه ليشمل كل نغمات النوتة الموسيقية وأضافوا إلى الكواكب القوى العلوية التى يعترف بها الدين المسيحى ، مثل الملائكة ورؤساء الملائكة وأرائك الملائكة ، وملائكة الصف الأول .. الخ .

(٤) كان العرب على يقين من أن كل واحدة من هذه النغمات الاثنتى عشرة لها فاعلية خاصة ؛ فالأنغام بالغة الغلظة أى الخفيضة للغاية ، هى جادة فى رأيهم وتوافق العلماء ورجال الحكم ، وتوحى بالهدوء والتأمل ، أما =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولو كانت لدى الأب روسييه Roussier ، عند شرحه للنظام الموسيقى عند المصريين[١]، معرفة بكل هذه المقابلات لما فاته أن يستخلص منها من النفع قدر ما تقدمه قطعة البرونز القديمة (التى تنسب للرئيس الأول السيد « الخير ») والتى تقدم لنا الكواكب السبع فى داخل قارب ، لكى يدعم رأيه حول علاقة الأنغام الموسيقية بالكواكب ، وعلامات البروج وأيام الأسبوع وساعات النهار والليل بالشكل الذى توصل إليه المصريون . بل لقد ذكر دعما للتفسير الذى يقدمه عن هذه القطعة الأثرية نصا من مؤلف التاريخ الرومانى الذى وضعه ديون كاسيوس Dion Cassius[٢]، والذى يؤكد فيه هذا المؤرخ أن المصريين كانوا لا يزالون حتى عصره يربطون الكواكب السبعة بساعات النهار والليل ، بحيث أننا حين ننسب الساعة الأولى من اليوم الأول [على سبيل المثال] إلى زحل والساعة الثانية إلى المشترى والثالثة إلى المريخ والرابعة إلى الشمس والخامسة إلى الزهرة والسادسة إلى عطارد والسابعة إلى القمر ، وهكذا حتى نصل إلى الساعة الرابعة والعشرين فإننا حين نبدأ من جديد ، متبعين هذا النظام ، فسوف نجد أن الساعة الأولى من اليوم الثانى توافق كوكب الشمس ، تلك التى كانت تأتى فى الترتيب الرابع فى النظام السابق ، وبعد أن نستمر على هذا النحو لأيام أخر ، فسوف يحدث أن الكوكب الذى يوافق الساعة الأولى لكل يوم يكون بصفة ثابتة على مسافة أربع درجات صعودا أو خمس درجات هبوطا من الكوكب الذى وافق الساعة الأولى فى اليوم السابق . وهكذا فعند العمل على توافق هذا النسق المستقر بين النغمات السبع وبين الكواكب السبعة طبقا لهذه النتيجة ، بأن ننسب إلى زحل (أى إلى أول الكواكب فى النظام الذى رسمت به فوق قطعة البرونز) ، وفى الوقت نفسه إلى أول ساعات النهار ، أول درجة (أو نغمة) فى النظام الموسيقى عند الإغريق ، وهى التى تقابل النغمة Si سى عندنا فقد اكتشف الأب

= الأقل غلظة فتعبر عن السعادة وتوافق السعداء من الناس ، أما النغمات التى تليها (فى السلم الموسيقى) فتعبر عن الألم وتناسب الأشقياء والشحاذين ؛ أما الأنغام بالغة الحدة أى الجهيرة للغاية فتناسب النسوة الداعرات ورجال الملذات . وليست هناك هواجس أو أوهام لم يرددها العرب مفصلة حول فاعلية النغمات وضروب الغناء فى موسيقاهم ؛ وهذا مثال على أن الناس حين تبالغ فى أمر ما فإنها تفرط فيه فى الواقع ، وعندما تتجاوز الحد فى سرد الوقائع فإنها تجعل هذه الوقائع باعثة على السخرية وغير قابلة للتحقيق .

(١) Memoires sur la musiques des anciens, art. X et XI

(٢) الكتاب السابع والثلاثون ، ص ٧٧ ، طبقة كسيلاندر ، ليون ، ١٥٥٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

روسييه أنه بالمثل باتباع النظام الدياتونى للنغمات السبع : سى Si ، اوت Ut ، رى Ré ، مى Mi ، فا Fa ، سول Sol ، لا La ومع البدء من جديد فى كل مرة نصل فيها إلى النغمة السابعة ، وحتى نجتاز على هذا النحو ساعات النهار والليل الأربع والعشرين ، تكون النغمة التى توافق الساعة الأولى من النهار الثانى هى نغمة الـ مى Mi ، وهى التى تقابل كوكب الشمس ، والتى تشكل كذلك الرباعية صعودا والخماسية هبوطا مع النغمة سى Si ، تلك التى كانت توافق الساعة الأولى من اليوم الأول ؛ ومع مواصلة السير على هذا النحو ، رأى الأب روسييه أن الدرجة (أو النغمة) التى كانت توافق الساعة الأولى من كل يوم تكون بالمثل رباعية الترتيب صعودا وخماسية هبوطا بالنسبة لتلك النغمة التى كانت تنتمى إلى الساعة الأولى من اليوم السابق ، وبهذه الطريقة وجد أنه يحصل فى النغمات السبع ، التى وافقت كل منها الساعة الأولى لكل يوم من أيام الأسبوع السبعة على ست كوارتات (رباعيات) صاعدة ، وحيث يكون بمقدور هذه النغمات أن تعتبر مماثلة فى العدد للخماسيات الهابطة ، بفعل قلب وتماثل الأوكتافات (الأوكتاف = مجموعة من ثمانى وحدات) ، فقد حصل من ذلك على النتيجة التالية ، التى تمثل النغمات السبع الطبيعية أو الأصلية فى النسق أو النظام الذى جاءت عليه ، بفعل التوالد الهارمونى فى التعاقب أو التوالى الثلاثى ، الذى يزعم أن المصريين قد أقاموا على أساسه نظامهم الموسيقى :

[من الشمال إلى اليمين]

الزهـــرة	المشترى	عطـارد	المريخ	القمـــر	الشمس	زحـــل
الجمعـة	الخميس	الأربعـاء	الثلاثـاء	الاثـنين	الأحـد	السبت
فا	أوت	سول	رى	لا	مى	سى

حيث نرى الكواكب تتبع على وجه الدقة النظام نفسه الذى وجدت مرتبة عليه فى قطعة البرونز التى تنتمى إلى الرئيس الأول السيد « الخير ».

لن نأخذ على عاتقنا هنا أن نتصدى لهذه البحوث العلمية التى قام بها الأب روسييه – وهى التى لا تزال باعثة على الشكوك – حول موسيقى المصريين ، والتى نستطيع أن نجدها فى مؤلفه ، لأنها تبدو لنا متعارضة مع وجهات النظر الحكيمة لمشرعيهم ، ومع المبادىء التى كانوا يسيرون عليها فى العصر الذى نحن بصدده ، ذلك أن هؤلاء قد حرموا – بموجب قوانين صدرت خصيصا لهذا الغرض – التنوع المغالى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيه عند وضع الأنغام الموسيقية ، كما حرموا تزاحمها غير مقرين فى كل الأمور بتطور ما إلا بقدر ما يكون الأثر الناتج عنه ، يتم بأقل الجهود وبأكثر الوسائل بساطة ، بقدر الامكان .

كانت القوانين فى مصر القديمة تحتم اختيارا بالغ التنور للنغمات التى كانوا يستخدمونها فى الغناء ، وأن يتوفر لدى من يقوم بهذا الاختيار معرفة بالغة العمق فى مجال الفن ، وشعور مرهف ، وذوق بالغ الرقة ، ونفس مستقيمة ، وحكم سليم وصائب على الدوام . وفى المقابل ، فإنه لم يحدث أن تلفت الموسيقى إلا بفعل المساوىء المعتادة لكل هذه الميزات ، فالغرور والعلم الزائف هما وحدهما اللذان يستطيعان أن يضعا العسر فى محل السهولة ، والتعقيد فى موضع البساطة الجميلة ! وفى الوقت نفسه ، فإن هذه الادعاءات الجافية للعقل والباعثة على السخرية بقدر ما هى صبيانية وتافهة لا يمكنها أن تجد لنفسها مكانا قط فى الموسيقى القديمة ، تلك التى لم تكن شيئا آخر سوى البيان الفصيح ، المتأنق بالرشاقة والجمال اللذين نجدهما فى لحن يقوم على المحاكاة .

لم يحدث قط أن المصريين القدماء ، عن طريق بحوث تغرق فى التفاصيل ولا وزن لها ، قد أقاموا علاقات بين الموسيقى وعلم الفلك ، وهم فى هذا الشأن ، كما فى كل مرموزاتهم (أى رسومهم الرمزية) كانوا يسعون لإقامة مثل هذه المقابلات على أساس تماثل معقول ، بغية ألا يكون هناك شيء غير مثمر حتى بالنسبة للأشخاص الأقل تنورا ؛ فإذا حدث ولمسوا فى بعض الأحيان ضرورة أن يبرروا أنفسهم بطريقة أكثر مجازا وأشد غموضا ، فقد كان يتم الأمر بقصد أن يرسخوا أكثر ، ولوقت أطول ، معارف هؤلاء الذين كانوا يبغون تعليمهم ؛ ولكى يخفوا عن السوقة المعرفة الحقيقية للأشياء التى ليست فى متناولهم فقد استعاضوا عن ذلك بأفكار من شأنها أكثر من غيرها أن تسحر الألباب بما تسببه من دهشة للعقول ، وليس من المحتمل أن يكون هناك واحد من بين علماء مصر قد قبل كل هذا الشطط المهووس الذى يذاع هنا وهناك حول موسيقى الكواكب والأجرام السماوية .

إن اولئك الذين ينعون على فيثاغورث أنه قد اعتقد فى تلك الموسيقى المزعومة والتى توصف بأنها كوكبية [أى ترتبط بالنجوم والكواكب] قد ألحقوا إهانة بهذا الحكيم ، الجدير بالانتساب إلى المصريين لأنهم كانوا معلميه ، ولم يفهموا اللغة المجازية

التى كان يعبر بها عن أفكاره ؛ فحين يقول هذا الحكيم إن الموسيقى والفلك كانا توأمين ، وحين يصدق على قوله هذا أفلاطون الذى يكرر نفس قوله[١] فلا ينبغى أن يتبادر إلى الأذهان أن هذا العلم وذاك كانا يصدران تناغما صوتيا أو نغميا بل إن ما ينبغى فهمه هو أنهما ، الاثنين ، وبرغم أن الأمر يتم عن طريق وسائل متباينة، يثيران فينا الشعور بالتناسق ، كما يجعلانا نتصور الجمال الأخاذ والجدير بالاعجاب ، الذى يصنعه النظام : فأحدهما [الفلك] يبهج العيون بانتظامه المتناغم، فى حين يشنف الآخر [الموسيقى] الآذان بها رمونيته[٢]، كما أن لكل منهما ، فى النهاية ، بعض شىء من السر أو الغموض يشرح الصدر ويسمو بالروح ، نحو هذه الحكمة الخالدة التى شيدت ، على أساس من النظام ، وجود كل ما هو خير وجميل . وباختصار فإذا كان المصريون قد أقاموا فيما بين هذين العلمين رباطا فلسفيا بهذا القدر ، وصلات واسعة إلى هذا الحد ، فلأن هذه الشعوب التى كانت تبذل دون انقطاع قصارى جهدها ، فى توجيه معارفها نحو غاية واحدة ، ووحيدة ، الا وهى سعادة المجتمع وخير المجموع ، كانت قد اكتشفت الرابطة الحميمة التى تجمع هذه المعارف معا ، وتشدها إلى بعضها البعض[٣]، ولأنهم كانوا يجدون فى السعى دوما إلى التقريب بينهما أكثر فأكثر . وهنا فقط وعلى وجه التحديد نجد الغرض من قوانينهم ، ونجد فى الوقت نفسه السبب فى استماتتهم فى معارضة كل محاولة كانت تبغى أن تنأى بهم عن شىء مما كان قد استقر داخل مؤسساتهم أو نظمهم الدينية .

كانت الموسيقى فى مصر ، شأنها فى هذا شأن الفلك ، تدخل فى عداد العلوم المقدسة والتى كانت تقتصر دراستها ومعرفتها وتعلمها ، فى كل فروعها ، على طبقة الكهان بصفة خاصة[٤]، وكان لقب المرتل أو المنشد فى هذه الطبقة ، كما كانت بين اللاويين من العبرانيين ، يدل على مكانة ترفع الشخص الذى ارتقى إليها إلى الصفوف الأولى من رجال الكهنوت ؛ ومع ذلك فقد كان لابد للكاهن ، كى يحصل

---

(١) أفلاطون ، الجمهورية ، الكتاب السابع .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .
(٤) كيرشر ، أوديب المصرى عن حياة وأخلاق وقوانين مصر ، فصل ٢ ؛ كليمنس السكندرى ، الطبقات ، الكتاب الخامس ص ٥٦٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على هذا التشريف ، أن يتعلم وأن يحفظ عن ظهر قلب اثنين من الكتب المقدسة منسوبين إلى عطارد ، يضم أحدهما ابتهالات وضراعات ترتل على شرف الآلهة ، ويتضمن الآخر قواعد السلوك الخاص بالملوك[١]. وفى أثناء الاحتفالات المهيبة الكبرى يكون هذا المرتل أو المنشد على رأس كبار رجالات المدرسة الكهنوتية ، وكان يحمل على الدوام ، كعلامة مميزة لمكانته البارزة ، واحدا من الرموز الموسيقية .

وطبقا لما تقود إليه كل الظواهر فقد كان حق تعليم رجال البلاط[٢] قاصرا على هذا المرتل أو المنشد ، إذ كان هو الموكل وبشكل خاص بأن يدرس ويحفظ عن ظهر قلب الكتاب الذى يضم قواعد السلوك فى حضرة الملوك . وينقل لنا كليمانس السكندرى – كما نقرأ الشيء نفسه فى مكتبة التاريخ – مؤلف ديودور الصقلى – أن قد كانت من العادات المرعية أن يوجد على الدوام فى بلاط ملوك مصر ، كاهن مرتل وظيفته أن يذكر هؤلاء بواجباتهم[٣] وأن يقيم الاحتفالات تخليدا لذكرى الأعمال الجليلة التى قام بها الملوك الذين ماتوا ، أو الأبطال الذين حازوا الشرف والمجد .

ويحدثنا شعراء الاغريق القدامى كذلك عن شعراء ومنشدين كانوا يشتغلون وظائف مماثلة فى بلاط ملوك الاغريق : أجا ممنون ، يوليسيس الخينوس Alcinous[٤] ،

---

(١) Clem. Alexandr. Strom. lib V, pag. 566

وكان من بين الاسرائيليين رهبان هم منشدون وشعراء فى الوقت نفسه ، وكان هؤلاء يحتلون الصف الأول من بين اللاويين ، الذين كانوا يشكلون الطبقة الأولى فى الدولة وكان الأومولبيد يتمتعون بهذه الميزة نفسها فى أثينا ؛ كذلك فقد كانت للبارد أو المنشدين ، بين الدوريد الذين كانوا يشكلون الطبقة الأولى عند الغال ، امتيازات هائلة ، اذ كان يوجد واحد منهم على الدوام فى بلاط الملوك كان يتولى قيادة الفرقة الموسيقية وكانوا يسمونه الأرشيبارد archibarde : انظر كذلك :

Strab. Geogre. lib IV pag. 213

(٢) جاسبر شوت ، جمعية عيسى للقارىء الخير ؛ عند كيرشر ، أوديب المصرى ، المقدمة .

(٣) ديودور الصقلى ، تاريخ المكتبات ، الكتاب الأول ، فصل ٧٣ ، ص ٢١٧ ؛ كليمنس السكندرى ، ستروماتا أو الطبقات ، الكتاب السادس ، ص ٦٣٣ .

(٤) هوميروس ، الأوديسة ، الكتاب الثامن ، البيت ٦٠ وما بعده ٢٥٥ و ٤٩٨ ؛ الكتاب السابع عشر ، البيت ٢٦٣ وما بعده ويقرر باوسانياس (أتيكا ، الكتاب الأول ، ص ٢٣ والكتاب الثالث ، ص ١٩٦ نفس الواقعة ، ويخبرنا اثينايوس (مأدبة الفلاسفة ، الكتاب الأول ، ص ١٤) بالشيء نفسه ؛ وقد كانت هناك كذلك فرقة من الموسيقيين فى بلاط ملوك العبريين ؛ وقد سبق أن استرعينا الانتباه إلى أنه كان يوجد امثال هؤلاء فى بلاط ملوك الغال .

أما ما يذكره لنا ديودور الصقلى فى الفصل ٤٤ من الكتاب الأول من مكتبته التاريخية (ص ١٣٦ من الطبعة التى سبقت الاشارة إليها) فيجعلنا فى وضع يسمح لنا بتصور أن الكهان المنشدين فى مصر ، كانوا هم كذلك فى الوقت نفسه شعراء هذا البلد ومؤرخيه ، وهو نفس ما كان يحدث عند الاغريق الذين كان مؤرخوهم الأوائل هم فى الوقت ذاته شعراءهم وموسيقييهم الأول .

كثيرة هى تلك الامتيازات التى كانت وقفا على هؤلاء الكهان المنشدين : وكلها كذلك على هذه الدرجة من الأهمية : فلقد كان الاحترام الذى لابد أن يوحى به فن كان مبتكره مقدسا باعتباره إلها ، كما كان ينظر لابتكاره على اعتبار أنه منة من السماء ؛ وكانت طبيعة وموضوع وغرض هذا الفن ؛ وكانت المكاسب التى لا يحصيها عد والتى كانت تنتج عن تطبيق مبادئه ، والآثار الرائعة التى كان يحدثها ؛ وكان نظامه الذى كرسه للصلوات والضراعات وللشكر والثناء الذى كان يوجه إلى الآلهة[1]، وفى تعليم الدين والقوانين ... الخ كانت كل هذه براهين كافية بأن تقنعنا بأن الموسيقى عند المصريين القدماء لم تكن لتصبح فنا فقيرا أو معاديا للأخلاق ، على النحو الذى يذكره لنا ديودور الصقلى الذى خدعته دون جدال المعلومات الغامضة ، والمتضاربة ، التى جمعها حول هذا الموضوع . وهكذا تبدأ شكوكنا تتلاشى لتنقشع كلية كما سوف نرى بعد قليل .

يذكر ديودور الصقلى حين يحدثنا عن القيثارة التى ابتكرها عطارد ، إن هذا الإله قد وضع عليها أوتارا ثلاثة وجعل نغماتها توافق فصول السنة الثلاثة[2] ، ولكنه لم يذكر شيئا عن الغرض الذى من أجله ابتكر عطارد هذه القيثار ؛ إنه يقدمها كرمز

---

(١) هوميروس ، نشيد إلى أبوللون ، البيتان ١٣٠ ، ١٣١ .

(٢) لم يكن الاغريق قط على اتفاق مع المصريين حول منشئ اختراع القيثارة . ويفسر لنا أفلاطون سبب هذا الاختلاف فى الكتاب الثالث من قوانينه . فهو يلاحظ أنه ينسب إلى أمفيون اختراع القيثارة فى حين ينسب ابتكار الناى إلى اوليمب ، ليس لأن هذه الأشياء كانت مجهولة من قبلهما ، وإنما لأن الجنس البشرى قد تعرض للدمار مرات عديدة بفعل الفيضانات أو بفعل كوارث أخرى من هذا القبيل ، ولم يكن يتبقى (بعد كل كارثة) سوى عدد ضئيل من البشر ، وهؤلاء يكونون أكثر التفاتا إلى تبين وتوفير احتياجاتهم عن أن ينشدوا تخليد المعارف التى كان الجنس البشرى قد حصلها من قبل ، الأمر الذى دفع البشر مرات عديدة إلى القيام بأبحاث جديدة لابتكار أشياء سبق لهم أن اخترعوها . وطبقا لما أجراه الفيلسوف نفسه فى حواريتيه تيماوس على لسان الكاهن المصرى يمكن الظن بأن من المحتمل أن تكون كارثة كهذه قد دمرت مصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لتناغم الفصول أكثر منها كآلة مخصصة لممارسة فن الموسيقى ، ولعلها كانت كذلك الرمز الموسيقى الذى كان يحمله الكاهن المنشد فى الاحتفالات الكبرى والشارة التى تحدد الرتبة أو المكانة التى وصل إليها . ومع ذلك ، فإن الأمر سيفترض ، فى هذه الحالة أو تلك ، معرفة بتناغم هذه الآلة ونفعها فى فن الموسيقى ، وبرغم هذا ، ونحن نكرر ، فلم يكن من شأن هذه الآلة أن تصنع لحنا لأغنية ، وإنما كانت تستخدم فى تقديم النغمة أى التون المطلوب للمغنى وفى أن تسترجع هذا المغنى إلى التون المستخدم إذا ما كان قد ابتعد عنه . ولا يدعنا ديودور أو أى مؤلف آخر ، نستشف أن المصريين قد استخدموا هذا النوع من الآلات الموسيقية لمتابعة أو لمصاحبة الأغنية . وحين ينقل إلينا انه **عند موت أحد الملوك تصبح مصر كلها فى حالة حداد ، ويمزق كل انسان ملابسه ، وتغلق المعابد ، ويتوقف تقديم الأضحيات ، وتلغى الأعياد مدة اثنين وسبعين يوما ، ويقوم رجال ونساء ، يبلغ عددهم مائتين أو ثلاثمائة ، يغطى الطين رءوسهم ويلتحفون حول صدورهم بقماش أبيض ، بأداء أغان جنائزية جيدة الايقاع والتنغيم ، لمرتين فى اليوم الواحد ، وتتحدث هذه الأغنيات عن فضائل الميت ومناقبه** ؛ حين يفعل ذلك فإنه لا يذكر لنا قط إن هذا الغناء كانت تصحبه آلة موسيقية من أى نوع .

ومن المفيد أن نلاحظ هنا أن ديودور لم يلحظ فيما يورده الآن وجود تناقض ما بين ما يذكره وبين ما سبق أن ذكره فى مكان آخر[١] حول نفور المصريين الشديد من الموسيقى ، **فها** نحن نرى - [حسب قوله هو نفسه] الأغانى تستخدم فى أكثر الاحتفالات وقارا وأشدها حزنا ، اللهم إلا ان كان ما قاله عن الموسيقى لم يقصد هو به الغناء ، وبصفة خاصة الغناء الدينى ، وهذا أمر مرجح بشكل كبير ، ذلك ان هذا النوع من الغناء لم يكن قد انقرض قط فى مصر حتى عصره ، إذن فهو لم يكن يقصد بحديثه عن نفور المصريين من الموسيقى إلا الموسيقى الآلية أو كان يتحدث عن موسيقى مماثلة ، وبالغة التنوع (كثيرة النغمات) وهذا أمر يتفق فيه مع مبادىء قدماء المصريين - وهكذا يصبح التضارب ملموسا وسوف يجعل منه عرض الوقائع أمرا جليا وواضحا .

---

(١) Biblioth. hist. lib I, cap. 80

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مادمنا قد افترضنا أن ما يخبرنا به ديودور الصقلى [عن نفور المصريين من الموسيقى] لا يعود إلى أزمان بالغة التأخر ، فلنختر مثالا آخر من بين صنوف الأغانى لا يشك أبدا فى نسبتها إلى عصور بالغة القدم ، ولنر ما ان كانت هذه الأغانى مصحوبة ، أو كان بمقدورها أن تكون مصحوبة بآلات موسيقية ، ولا يحضرنا هنا فى الحقيقة سوى مثالين من هذا النوع نستطيع طبقا لهما ، أن نحكم على الحيوية القصوى والسمو اللذين كانا لأغنيات المصريين ، كما أن الأغنيات فى الوقت نفسه تدعو للإعجاب وفوق مستوى كل ما نعرف من أكمل الشعر وأتمه طبقا لرأى العلماء والفلاسفة الشرقيين المشهورين وهما من ترانيم موسى أو تراتيله : والأول هو ما ارتجله موسى بعد عبوره البحر الأحمر والثانى هو الذى نظمه قبل وفاته بوقت قصير ، فموسى الذى تلقى فى مصر كل علوم المصريين ، بالعناية نفسها التى كان لابد من بذلها ، لو أن الذى كان يتلقى العلم هو ابنا لفرعون ذاته ، كان لابد له ، بالضرورة ، أن يؤلف هذه التراتيل طبقا للمبادىء التى تلقاها عن معلميه ، وبالذوق والاحساس نفسيهما اللذين اكتسبهما من الشعر الجميل والأغنيات الجميلة التى عند المصريين ، عند دراسته للنماذج التى كان عليه أن يحاكيها فى دروسه ، وكذلك عند دراسته للأشعار والأغنيات التى استحقت ، بسبب روعة جمالها ، أن تؤدى فى المعابد حيث أمكنه ان يتمعنها بنفسه .

وسنحاول هنا أن نقدم ترجمة حرفية عن العبرية ، وعلى قدر استطاعتنا ، للأبيات الأولى فقط من كل واحد من هذين النشيدين ، ونحن أبعد عن أن نظن أنفسنا قادرين على أن نورد العبارات فى تمام قوتها [كما هى فى الأصل] كما يكــون قادرا على ذلك متخصص ضليع فى العبرية . ولكننا مع ذلك نتحدى أى سيمفونى مقدام أن يدلنا على آلة واحدة معروفة أو حتى متخيلة ، تستطيع نغماتها أن تبلغ درجة من التمام أو النضج لحد يكفى معه لأن تلتحم بالصوت فى حالة شبيهة ، دون أن تنال من رجولة ونبل وبساطة الأسلوب وكذلك من هيبة وجلال وعظمة الأفكار . إن النشيد الذى ترنم به موسى[1] والذى ردده الاسرائيليون وراءه بعد عبور البحر الأحمر ، هو النشيد

---

(١) يظن زوناراس (الموسوعة البيزنطية ، المجلد العاشر ، ص ٢٤) ، وكذلك المؤرخ اليهودى يوسيفوس أن هذا النشيد كان فى شكل أبيات من الشعر ذات ستة أجزاء ، ولكن أسبابا كثيرة تحملنا على الظن بأنه لم تكن قد ظهرت بعد ، حتى ذلك الوقت ، أبيات موزونة ، وأن لم يكن قد عرف وقتها سوى الايقاع . وسوف تواتينا الفرصة لتطوير هذا الرأى وللتدليل عليه فى موضع آخر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذى تبدو حماسته النبيلة والحادة أكثر شيء مدعاة للدهشة ؛ ففى حالة النشوة القصوى التى استشعرها موسى بعد أن نال حظ عبور هذا البحر مع الاسرائيليين سيرا على الأقدام ، فوق أرضه ، (بعد أن انحسرت المياه عن قاعه) وبعد أن سعد مثلهم بهروب ناجح من ملاحقة المصريين الذين غرقوا وابتلعهم اليم بينما كانوا يريدون أن يستعيدوا الاسرائيليين ليستبقوهم أسرى وعبيدا لديهم(١)، ترك موسى نفسه على سجيتها ، وأنشد مدفوعا بحاجة قلبه الذى حمله على أن يقدم ثناءه وشكره للإله الخالد ؛ ولما كانت النفوس متشبعة بشعور العرفان ، فقد رفع صوته قائلا : « **أرنم(٢) للرب فإنه قد تعظم ؛ الفرس وراكبه طرحهما فى البحر ؛ الرب قوتى ونشيدى ؛ وقد صار خلاصى ؛ هذا إلهى فأمجده ؛ إله أبى فأرفعه ..** »(*). أما بقية هذا النشيد أو هذه الترنيمة الرائعة ، فقد صورت فى هذه الروح وبهذه القوة الرجولية ، أن موسى لم يكن بعد يرى سوى أثر يد الله بالغة القوة ، ولم يستطع أن يكتفى بدهشة أو نشوة سببتهما له معجزة خلاصه وخلاص الاسرائيليين ؛ كان هؤلاء قد اختفوا عن ناظره على نحو ما ، وظل هو يواصل غناءه ، كما قد كان يسير وحيدا ، وسرعان ما انتقلت حماسته إلى الجميع ، وعبرت النسوة برقصاتهن عن المشاعر التى استبدت بالجميع .

أما النشيد الثانى فيبدأ على هذا النحو : « **أنصتى أيتها السماوات فأتكلم ؛ ولتسمع الأرض أقوال فمى ؛ يهطل كالمطر تعليمى ، ويقطر كالندى كلامى ، كالطل على الكلأ وكالوابل على العشب ؛ إنى باسم الرب أنادى ، أعطوا عظمة لإلهنا** ... الخ »(**) ولن نمضى لأبعد من ذلك أدراكا منا لعقم الترجمة الحرفية ؛ ويكفينا أننا أوردنا الأفكار بشكل دقيق حتى نمكن القارىء من تصور جمال وروعة الأفكار ، ورقة ورشاقة الصور ، وليس جمال الأسلوب الأصلى الذى لا يستطيع امرؤ إلا أن

---

(١) كان الفرعون الذى أراد استبقاء بنى اسرائيل فى الأسر يسمى بيتيسونيوس ؛ وكان بالقرب منه الحبران يانيس ولامبريس .

(٢) هذه الكلمة Je chante (ارنم) تمت ترجمتها فى اللاتينية Cantemus وقد جاءت فى العبرية بالضمير الأول المفرد (المتكلم) لكننا هنا نلتزم النص الحرفى مقتنعين بأننا لن نفعل سوى إضعاف المعنى إذا ما ابتعدنا عن استخدام ضمير المتكلم المفرد .

(*) سفر الخروج ، الاصحاح الخامس عشر ، نصف الاية الأولى ثم الاية الثانية ؛ وجدير بالذكر أننا هنا نورد النص العربى للتوراة ، وهذا بدوره لن يوضح الايقاع الموسيقى الموجود فى اللغة الأصلية ، الذى يقصده المؤلف هنا .

(**) سفر التثنية ، الاصحاح الثانى والثلاثون ، الآيات من ١ إلى ٣ [المترجم].

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يشوهه حين يعيره حلية غريبة عليه ؛ أما الصور والأفكار التى تنقلها ترجمتنا فليست بحاجة لحواش أو زخارف لتمكن الخيال من التحليق ، فهى تحمل النفس دوما على تأمل عجائب الطبيعة بأن تثير إعجابنا نحو هذه القوة القاهرة ، التى تجل عن كل وصف ، والتى تخلق هذه الأعاجيب دونما انقطاع .

هل سيسألن أحد الآن ما إن كان ينبغى على العبقرية التى أملت مثل هذا الشعر الجميل على موسى ، أن توحى إليه كذلك بغناء جميل ، غناء له تعبير يوحى بقوة الاحساس ، وقد كان موسى متبحرا على هذا النحو العميق فى كل فروع موسيقى قدماء المصريين ، وهل سيسألنا أحد ما إن كان لفن الموسيقى فى مصر القديمة على الدوام هذه الحدة وهذه الرجولة اللتين شاء المشرعون ان يمنحوهما اياها ؟ الم تراع كل القواعد التى فرضتها قوانين هذا البلد ، فى هذه الأناشيد ، فيما يتصل بالشعر على الأقل ، وبالذات تلك القواعد التى كانت تلزم الشاعر ألا يبتعد قط عما هو جميل وشريف وعادل وأن تهدهد من انفعالات اللذة والألم [الجامحة] وأن تسمو بالروح تملأها بالقوة ؟ إذن فقد كان لابد لقواعد الموسيقى أن تتبع فى هذا المجال بالمثل ما دامت الموسيقى والشعر فى ذلك الوقت لم يكونا يشكلان سوى فن واحد ووحيد ؛ فإذا حدث أن استطاعت آلات الموسيقى أن تتكيف مع لحن بمثل هذه القوة فإن موسى لم يكن ليتردد فى استخدامها فى هذا اللحن .

وقد ترك لنا هيرودوت وصفا للإحتفالات الجنائزية التى أقيمت لرجل من عامة الناس[1]؛ أما الاختلاف الوحيد الذى نجده بين الرواية هنا وبين ما يخبرنا به ديودور الصقلى خاصا بجنازة أحد الملوك ، فهو أن الحداد لم يكن عاما وأن عدد الموجودين بالحفل قد كان أقل ؛ ويخبرنا هيرودوت كذلك أن أهل الميت **كانوا يسكبون الدموع وهم يغنون** لكنه لا يورد أى ذكر لموسيقى آلية كما لم يرد ذكر لذلك فى حفلة جنائزية أخرى تحدث عنها ديودور[2] تمت فى جزيرة فيله[3] إلى ما وراء الشلال (الجندل) الأول

---

(١) لم يكن الاغريق ، وهم الذين أخذوا عن المصريين كل حفلاتهم الجنائزية يستخدمون الالات الموسيقية قط فى حالات مشابهة ؛ بل كانوا يقتصرون فى الأزمنة المتأخرة على أن يصحبوا الميت إلى المقبرة وهم ينشدون تراتيل تسمى thréne أى المرثيات أو nénis أى النواح انظر :

Alexander d' Alexandro, lib III, cap 7, pag, 118, Lugundi, 1615 in- 80

(٢) Biblioth. hist. lib. I, cap. 22, pag. 63

(٣) كانت هذه الجزيرة تسمى الحقل المقدس أو المبارك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للنيل حيث كان كهان المنطقة يذهبون كل يوم ليملئوا باللبن الجرار التى تحيط بمقبرة أوزيريس فى هذه الجزيرة والتى يبلغ عددها ثلاثمائة وستين جرة ، ثم يصطفون من حولها بعد ذلك كى يرتلوا أغنيات جنائزية ؛ ولعل البعض قد يرد بأننا هنا بإزاء سلوك قد يعد خروجا على القاعدة العامة المتبعة فى كل ضروب الغناء الأخرى[1] : أما ما يعطى مزيدا من الدعم لهذا الاعتراض فهو أنه قد كانت هناك على ما يبدو عادة مستقرة عند الاغريق القدماء هى أن يوقفوا كل أنواع التسلية وأن يوقفوا كذلك استخدام الأدوات خلال مدة معينة ، عند موت ملوكهم . وينقل لنا يوريبديس فى تراجيديته ألكست والتى تدور فى الأزمان الأولى فى اليونان ، وهى الأزمنة التى كانت النظم الدينية المصرية هى المتبعة بدقة هناك ، وذلك فى الفصل الثانى من مسرحيته ، المشهد الأول ، ينقل لنا عادة تماثل تلك التى نحن بصددها حين يقول على لسان بطله أدميت الذى يبكى زوجته ، التى ضحت بنفسها حتى الموت من أجله :

« لن توقع أصابعى بعد على أوتار القيثارة هذه الأنغام البهيجة ، التى كانت تشنف فيما مضى أذنى ؛ ولن تختلط بصوتى بعد أنغام الناى الليبى العذبة ! ستهلك كل مباهج حياتى بموتك . أرجو معونتك فاتبعينى وغنى بالتبادل معى أنغام الجناز المحزنة[2] على شرف إله

---

(١) الموسيقى غير المناسبة فى الحزن ، سالومون ، الشئون الكنسية ، فصل ٢٢ ، فقرة ٨

(٢) يورد النص هنا بيتين من الشعر باليونانية ، هذه ترجمة لهما عن اليونانية :

اقتربوا ، واعكفوا على ترديد أنشودة رزينة عن العالم السفلى .
للإله الذى لا ينفثىء غضبه

وهذه ترجمة لنصهما اللاتينى :

اقتربوا وغنوا معا ، كل بدوره ، أنشودة حزينة ،
عن أرواح العالم السفلى ، للإله الذى لا ينفثىء غضبه

أما الترجمة الحرفية (فى النص الفرنسى) لهذين البيتين فهى :

« أسرعوا ، ولترنّ أصداء أناشيد النصر ، بفضل جهودكم مجتمعة حتى فى داخل المقر المعتم لإله العالم السفلى » وهكذا فالصفة : جنائزية ، والكلمتان : على شرف ، لا توجد فى اليونانية قط . وسنرى بما سنقوله عن البيون Peon ان عبارتى جنائزية وعلى شرف ليستا موفقتين ولا تتفقان هنا قط مع السياق أما البيون Péan فكانت أناشيد توجه إلى أبوللون إله النور والنظام والتناغم (الهارمونى) ، والذى ينشر الحياة والصحة ، والذى ينتقم من الشرور والخطايا التى يسببها تيفون أو طيفون ، عبقرية أو جنى الشر ، الذى كان يتسبب =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العالم الآخر الشرس العنيد . وليقاسمنى أهل تساليا ، رعاياى ، هذا

= فى حدوث كل أنواع الاضطرابات ، والذى كان يدبر كل مناسبات الموت . ومن أجل الحصول على حماية أو معونة أبوللون عند حدوث أمراض أو بروز أخطار أو نزول كوارث ، كانت توجه له هذه الصلوات أو الضراعات التى كانت تسمى بيون Péon ، أو كذلك لتقديم الشكر له على العون الذى تم الحصول عليه منه . وعلى هذا فإن الأمر هنا أمر ابتهال إلى الإله ، رجاء له على أن يعيد ألكست Alceste إلى الحياة وليس لعنة أو صلاة موجهة إلى إله النار أو العالم السفلى كما قد يشاء بعض الناس أن يفهموها ، فإذا كان المقصود اللعنة حقا فإن كلمة على شرف لا يمكنها أن تكون مناسبة أو متوافقة . كذلك فإن كلمة بيون Péon وجنائزى لا تتوافقان هنا قط ؛ وعلى هذا أيضا فإن هذه الأبيات تقدم لنا معنى نجتزئه نحن بهذه الطريقة حتى نزيل كل لبس : « احرصوا على أن يكون للصلوات التى ستقدمونها لإله النور والنظام والتناغم صدى يرن حتى فى المقر المعتم لإله النار (أو الموت) الشرس ، ليرغمه على أن يعيد الحياة إلى زوجتى العزيزة » .

ويتطابق هذا التفسير ، بل يجد مبرره ، بهذه الأبيات للمؤلف نفسه (الكست ، الأبيات ٢٢٠ – ٢٢٤ مسرحية الكستيس لمؤلفها يوريبيديس ، بيت ٢٢٠ وما يليه

أى مليكى أبو للو [وفى اليونانية توجد كلمة Paean لا كلمة أبوللو]

قد تجد لأدميتوس طريقة ما لتجنب الأخطار والشرور ،

وأن تغدق عليه الآن وعليها ،

ذلك أنك من قبل قد أوجدت لهذا الرجل وسيلة ضد الشرور ،

والآن أيضا تغدو محررا (له) من الموت ،

وقاهرا بلوتون (رب العالم السفلى) مسبب الوفاة

وبهذه الأبيات (نفس المسرحية ، بيت ٣٥٧ وما يليه) :

لو كان لى حقا لسان أورفيوس وشدوه ،

كى أشدو بأغنية ألاطف بها ابنة ديميتر ،

أو زوجها ، وأردك يا ألكستيس من العالم السفلى إلى زوجك ؛

لهبطت (إلى العالم السفلى) وأعدتك إلى الحياة قبل أن يعوقنى كلب الجحيم أو الملاح خارون مرشد الأرواح ، الذى يجلس إلى مجدافه .

ولكى يقتنع المرء أن يوريبيديس لم يكن يظن أن على الإنسان أن يقدم ضراعات أو ابتهالات إلى بلوتون إله العالم السفلى ، فما عليه إلا أن يسترجع الأبيات ١٧٨ وما بعده من مسرحيته إيفيجينيا بين التاوريين :

الجوقة :

إنهم يرددون لك يا مولاتى ،

أغنيات قديمة وينشدون لك

نشيدا آسيويا بلحن أجنبى ؛

غير أننى سوف أرتل لك أنشودة حزينة ،

تعسة من أجل الموت الذى سيطويك ،

يرتلها بلوتون (رب العالم السفلى) ضمن أناشيده ،

بغير ابتهاج (وفى اليونانية بايان Paean) =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الواجب المشروع للغاية .. لئلا تسمع بعد فى كل أرجاء المدينة أنغام القيثارة العذبة ، ولئلا يكتمل القمر بدرا اثنتى عشرة مرة .. ».

ونستطيع أن نسوق عددا هائلا من الأمثلة على هذه العادة أو هذا الضرب من السلوك ، عند القدماء ، ليس فقط فى المؤلفات الدنيوية ، وإنما كذلك فى الكتب أو المؤلفات المقدسة[١]، دون أن يتم حسم القضية مع ذلك ، بل اننا قد نستطيع أن نستدعى إلى الذاكرة الكثير من الظروف المشابهة التى كان الاغريق والمصريون القدماء يستخدمون فيها آلات موسيقية ، فيروى على سبيل المثال أن الموكب الجنائزى للعجل أبيس كانت تصحبه ضجة المزاهر وأنغام الناى[٢] ، وان المزاهر كانت تستخدم عند البحث عن أوزيريس فى حفل حداد حزين[٣]، وان المصريين كانوا يستخدمونها بالمثل لطرد جنية طيفون الشريرة[٤] تلك التى كانت تلحق الأذى بكل ما ينبض بالحياة ، كما كانوا يستخدمونها فى الحفلات الجنائزية التى تقام على النيل ؛ وقد يحق لنا أن نضيف ، فوق ذلك ، أنه كانت تستخدم آلات الناى والبوق أو النفير ، وأننا رأينا فى الجبانات التى تجاور الأهرامات الكبرى فى الجيزة آلات نفخ وآلات وترية مرسومة على الجدران ، وأننا قد لاحظنا فى كهوف إيلتيا (الكاب) ، سيدة على رأس موكب جنائزى توقع على أوتار الجنك (الهارب) ، وينهض أمامها شاب يعزف على ناى مزودج (ذى شعبتين) ، وكان أمامه هو بدوره شاب يضرب اثنين من العصى المصفقة أو الصافقات إحداهما بالأخرى .. الخ الخ ؛ ومع ذلك فهل نريد أن نخلص من ذلك إلى

= ثم ليستعد هذه الأبيات التى توضح بشكل رائع طابع الأغنيات التى كانت توجه إلى بلوتون ، وهذه تتعارض بشكل تام مع الضراعات والابتهالات (يوريبيديس ، ألكترا ، بيت ١٤٣ وما يليه) :

أغنى لك يا أبى مولولة ، أغنية بلوتون ،
الحزينة ، وأنت راقد هكذا تحت الثرى ،
وأكرس نفسى لرثائك دوما بهذه الطريقة كل يوم

ولعل هذه الملاحظات ، التى قد تبدو فى ظروف أخرى ، مسرفة فى الاهتمام بالتفاصيل ، تغدو هامة حين يتصل الأمر بالغناء والموسيقى فى العصور بالغة القدم ، والتى أفردنا لها دراسة خاصة .

(١) Job. cap. 30, v. 31. psalm. 30, v. 2. Machab, cap. 3, v. 45.

(٢) Claudians. de IV cons. Honor. paneg. v. 685 et seq.

(٣) أوفيديوس ، مسخ الكائنات ، الكتاب التاسع ، بيت ١٨٠ وما يليه .

(٤) بلوتارخوس (بلوتارك) إيزيس واوزيريس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن المصريين والإغريق والرومان قد استخدموا ، فى كافة أزمانهم ، هذه الآلات الموسيقية فى المواكب وحفلات الجناز ، وأن استعمال هذه الآلات لم يكن مجهولا منهم قط على مر الأيام ، كلا بالتأكيد ؛ ذلك أننا حين نخلط معا كل الحقب البعيدة عنا دون أن نلقى بالا لاختلاف الأزمان وتعاقبها ، ذلك الذى صحب معه بالضرورة تغييرات فى أطوار الحضارة وفى أطوار تقدم المعارف البشرية ، سواء فى مجال العلوم أو فى مجال الفنون ، والتى أثرت بالتالى ولابد فى تقاليد البشر وعاداتهم ، سيصبح من المستحيل علينا أن نتفهم أو نتجاوب قط مع معطيات الوقائع ، وسوف نجد بالمثل ، بهذه الطريقة نفسها ، شهادات تقف مع أو تنهض ضد أى من الآراء قد نعتنقه ، فوجود شىء كان يحدث بطريقة بعينها وقتا ما ، فى بلد ما ، لا يعنى أننا نستطيع أن نستخلص من ذلك أن هذا الشىء نفسه كان يحدث بهذه الطريقة نفسها فى مكان آخر أو فى البلد نفسه ، فى زمن آخر ، فلابد أن نتفحص مسبقا ما للتقاليد والعادات فى هذه الأزمان المختلفة أو فى هذه البلدان المختلفة من أمور مشتركة أو متعارضة ، أو بصفة خاصة ، دون أن يدعم المرء حكمه بأسانيد وحجج قوية تحظى بالاحترام ، أو بوقائع تتصل بالأزمان أو الأماكن التى يتحدث عنها ؛ فحين يبحث المرء عن الحقيقة المتأصلة دون تحيز أو حكم مسبق ، وحين يخشى من مغبة الخطأ فسوف لا تكون مجازفة كبيرة منه أن يعتد برأيه الخاص كما سوف يكون على يقين من أنه يقدم هذا الرأى من جانبه كمقامرة غير مضمونة . ولقد كانت هذه المبادىء هى مبادئنا نحن ، على الأقل ، ولقد طبقناها ونحن نحاول أن نؤسس كل ما نقوله الآن عن الموسيقى القديمة لمصر ، والتى انتهينا للتو من التعريف بحالتها الأولى .

ولسوف يكون لغوا لا طائل من ورائه أن نتوسع لأكثر من ذلك حول هذه النقطة ، والتى تبدو لنا قائمة على أساس متين . لقد كنا بصدد أن نشرح أصل وطبيعة وموضوع موسيقى قدماء المصريين وأسباب التغيرات التى ألمت بها ؛ وأن نحدد بدقة ما يعنيه نفور المصريين من الموسيقى ، وليس أن نقدم تاريخا لهذا الفن فى مصر القديمة . ولقد انتهينا الآن من إقامة النقاط الأولية ، ولهذا فلم يعد يبقى علينا إلا أن نوضح النقاط الأخيرة التى ألقينا عليها بالفعل ، من قبل ، بعض الضوء .

وإذا ما أردنا أن نلخص ما سبق أن قلناه بخصوص الحالة الأولية لفن الموسيقى فى مصر . فسوف نقول ان هذا الفن كان محاكاة للتقاليد الحميدة وتعبيرا

عنها ، يجسدها عن طريق الصوت[١]، أما الأسباب الأولية التى استوجبت ابتكاره فهى الألم واللذة ، وأما مبادئه الطبيعية فهى النظام والتناغم ، وأنه يرتكز على الجمال والرشاقة والحيوية فى التعبير ؛ وأنه كان لصيقا بالشعر أو ملتحما به ، كما كان يلتحم بكل الخطب الصحيحة أو المختلفة ، أى بتلك الخطب التى لم تكن معانيها تتخفى وراء الأقنعة (الرموز) وتلك التى كانت تستخفى معانيها وراء الرمز ، وان عناصرها المتكاملة كانت الكلمات المنطوقة واللحن والايقاع ، وان موضوعها كان هدهدة العواطف وتثقيف العقل والتسامى بالروح ؛ وأنها كانت تهدف فى النهاية إلى الايحاء بالخلق الطيب والسلوك المستقيم ، أما وسائلها لبلوغ هذا الهدف فكانت الحكمة والفضيلة والدين والقوانين ، أما كل ما كان غريبا على هذه الأمور فلم يكن ليأتلف معها قط .

(١) حيث لم تكن الموسيقى الآلية تنتج إلا بفعل أنغام غير حية تصدر عن أجسام لا حياة فيها ، فلم يكن بمقدورها أن تتفق مع الموسيقى المصرية القديمة ، التى كان غرضها يتعارض بشكل تام مع الغرض من الموسيقى الآلية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الخامس

الحالة الثانية للموسيقى فى مصر

الأسباب المبدئية التى تسببت فيها - أصل ومنشأ هذا النوع من الموسيقى كانا غريبين على مصر - نشأت هذه الموسيقى فى آسيا ، واشتقت عن الموسيقى الآلية التى استعارت منها شكلها سواء فيما يتصل بتعقدها أو بالمتعة التى تحدثها - هذه الموسيقى هى التى لفظها المصريون فى البداية ، باعتبارها لا شأن لها إلا ارهاق العقل وإتلاف الخلق والتقاليد ، ثم تقبلوها فى الأزمنة الأخيرة وانتشرت على أيديهم وازدهرت بنجاح بعد أن شغفوا بها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكي نتصور بطريقة أفضل ، تلك الأسباب التى أدت بالضرورة إلى توجيه الضربات الأولى إلى الموسيقى ، والتى عملت على تدهور هذا الفن بعد حالة الكمال التى كان عليها ، وذلك فى الوقت الذى كانت هذه الأسباب فيه تحدث تغييراتها الكبرى فى مصر ، فإن من أوجب الأمور أن نكون لأنفسنا فكرة عن الأماكن والأزمان والأحداث والظروف التى تمت خلالها هذه الأسباب ، وبدون ذلك فإن ما قد نستطيع أن نقوله لن يكون على أكثر تقدير سوى أمور ظنية أو افتراضية ؛ وحين يتوفر ذلك فسوف ندع للقارىء مهمة عقد المقابلات بين الأحداث الأخرى السياسية ، تلك التى أسهمت بالضرورة فى حدوث التقلبات والتغيرات والابتكارات والبدع التى ناخت بكلكلها فوق مصر والتى اقتادتها نحو التدهور ، حتى لا يكون علينا بعد ذلك أن نلقى بالا إلا للمسيرة التى اتبعتها الموسيقى وحدها ، حيث لم يعد من حقنا قط بعد ، أن نطمح إلى أن نلحق بالموسيقى أمورا لم تعد لها بها اليوم أية صلة على الاطلاق .

لاتهيىء مصر ، التى تنحصر بين سلسلتين من الجبال(١) تمتدان شبه متوازيتين إحداهما مع الأخرى من الشمال إلى الجنوب ، بادئة من جهة الشرق بجبل المقطم وتحدها من جهة الغرب سلسلة الهضاب الليبية ، والتى – أى مصر – يحدها البحر من الشمال ، ويقع فى جنوبها آخر شلالات (جنادل) النيل – حيث يندفع هذا النهر مسرعا فوق قاع غير مستقر ، عند اجتيازه لصخور واسعة من الجرانيت ، بحيث لا يهيىء فى هذا المكان سوى ممر وعر لا يمكن اجتيازه عن طريق الماء ، لاتهيىء مصر كما نرى منفذا سهلا للغرباء من أية جهة وبخاصة فى الأزمان الأولى ، حين لم يكن فن الملاحة ، الذى كان لا يزال عندئذ بالغ التخلف ، يسمح لأصغر قارب باجتياز هذه الذراع من الرمل الذى يرسبه النهر ، ويحركه بصفة مستمرة عند مصبه . ان هذه الصخور المتكسرة والتى كانت تبث الرعب حتى فى قلوب أبناء البلاد أنفسهم منذ زمن لا تعيه الذاكرة ، قد ظلت كذلك حتى اليوم ، ولحد أن أفضل الملاحين ليس بمقدورهم على الدوام وحتى الآن ، أن يحولوا دون أن تجنح سفنهم هناك . وفضلا عن ذلك ، فقد كان البحر ، الذى كان القدماء ينظرون إليه باعتباره مملكة طيفون(٢) ،

---

(١) سترابون ، الجغرافيات ، الكتاب السابع عشر ، ص ٩٤٦ ؛ ديونيسيوس وصف الأرض .

(٢) بلوتارك ، إيزيس وأوزيريس ص ٦٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مبدأ وسبب كل شر ، بل باعتباره الموت ذاته ، فهو يوحى إليهم بهلع عظيم لدرجة أنهم كانوا يشعرون بأكبر صنوف المقت التى لا يمكن التغلب عليها ، لكل ما كان ومن كان يجىء إليهم عن هذا الطريق . ولهذا السبب كذلك كانوا يمقتون الأجانب[١] ويدعون لهم مباشرة التجارة الخارجية ، كذلك لم يكونوا ليسمحوا إلا لأقل الناس من بينهم شأنا كى يسهموا فى هذه التجارة بنصيب ما . وكما كان المصريون بعيدين عن كل اتصال بالشعوب الأخرى بسبب موقع بلادهم ، فقد كانوا ينأون بأنفسهم عن هذه الشعوب كذلك بسبب مبادئهم وبسبب طباعهم ؛ وحيث لم يكن هناك ما يحفز طموحهم ، إذ كانوا قانعين بثروات أرضهم التى كانت تهىء لهم بوفرة كل ما كان ضروريا لاحتياجاتهم[٢]، وحيث كانت تحكمهم قوانين تتصف بالحكمة وتنفر عن البذخ وعادات الأمم الأخرى ، فقد تمتعوا لوقت طويل بالسلام والسعادة[٣]؛ ولعلهم لم يكونوا ليخرجوا عن هذه الحال ، بلا ريب ، لو أن حدودهم التى بدا أن الطبيعة قد جعلت منها قدرهم الذى لافكاك منه ، قد ظلت تحظى على الدوام بالاحترام .

ولقد كان سيزوستريس الذى تربى منذ نعومة أظفاره على امتشاق الحسام أول ملك من ملوك هذه البلاد ، يتجاسر كى يأخذ على عاتقه ، حين لم يستطع أن يكبح جماح كفاءته القتالية ، أن يبسط سطوة نفوذه إلى ما وراء الحدود التى حصر أسلافه فيها أنفسهم ، فمضى بجيوشه الظافرة إلى أثيوبيا وآسيا وأوربا[٤]، ساعيا ،

---

(١) هيرودوت ، التاريخ ، الكتاب الثانى ؛ديودور الصقلى ، المكتبة التاريخية ، الكتاب الأول ، الفصل ٤٣ ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٢) وعلاوة على ذلك فقد تم تأمين مصر الآن ومنذ البداية ، بقوة ، حتى أنها ، بسبب قواتها العسكرية ، التى صمدت دون مشقة ، لم تسمح للأمم الأجنبية بدخولها بسهولة .

سترابون ، الجغرافيات ، الكتاب السابع عشر ، ص ٩٤٦ .

(٣) ديودور الصقلى . المرجع أعلاه .

« ولكن سوف نتجه إلى أرض مصر حيث لا نشاهد حربا بأى حال من الأحوال ، وحيث لا نسمع صوت نفير الحروب ، وحيث لا نعانى من المجاعة ، وحيث ننعم هناك بالسكنى » جيرم ، فصل ٤٢ ؛ فقرة ٤ .

(٤) هيرودوت ، الكتاب الثانى ، ديودور الصقلى . الكتاب الأول ، الفصل ٥٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لتحقيق فكرة لا تتصف بالحكمة هى أن يخضع العالم كله[1] لقوانين بلاده الحكيمة ، ومع ذلك فقد فاته أنه لكى يحقق مشروعه هذا لابد أن يعيش وقتا طويلا بالقدر الكافى ، وبقوة وصحة ضروريتين لدعم شجاعته وطموحه الجسور والمتهور . وكانت نهاية المطاف أن استقبلت مصر ، فى داخلها ، أجانب هم ليسوا سوى العبيد أو الأسرى الذى كان سيزوستريس قد هزمهم ، ولم يكن هؤلاء يحظون إلا باحتقار المصريين وفزعهم منهم ، إذ لم يكن لأولئك لا ديانة ولا خلق ولا عادات المصريين .

وحيث لم يعرف خلفاء سيزوستريس أن يحملوا الغير على احترام صولجان ملكهم ، الذى انتهى إليهم ، والذى كان هذا الملك قد جعله بالغ السطوة عندما كان بين يديه فقد انصرفوا إلى التنازع عليه ، وسرعان ما انتزعه منهم خصومهم ، وهيأ هؤلاء الفرصة بفعل انشقاقاتهم لتمرد الشعوب المقهورة التى لم يتوان ابناؤها عن أن ينتشروا فى كل أنحاء مصر ، أو أن يبثوا ويزيدوا فيها الاضطرابات والقلاقل ، فجعلوا من هذا البلد الجميل فريسة لأول غاز حاول الاستيلاء عليه .

وتقدم قمبيز . وكان عندئذ ملكا للفرس ، على رأس جيش هائل فقهر المصريين بدورهم[2]، ولم تكن ديانته لتقبل معبدا للاله[3] سوى العالم ، كما لا يستحق شيء ، فى نظر ديانته ، عبادة البشر سوى الشمس[4] فهدم المعابد التى أقام صروحها هذا الشعب على شرف آلهته ؛ وحطم ديانته وحطم أوثانه ، وقتل العجل أبيس وشتت الكهان وألغى الأنظمة والمؤسسات الدينية والسياسية القديمة التى كانت قائمة فى هذه البلاد . لقد تغيرت وجوه كل شيء ؛ وحيث لم تعد الموسيقى تجد هاديها فى الدين والقوانين فإنها لم تستطع أن تبقى على حالتها الأولى لوقت طويل ، فكان عليها منذ ذلك الوقت أن تسهم بالضرورة فى كل التغيرات التى تحدث وأن تتأثر بها ، ولم تستطع كذلك أن تحافظ على براءتها ونقائها المبدئيين وعلى بساطتها السامية ولا أن تحتفظ بوقارها النبيل الذى قد كان لها من قبل ، فسرعان ما استبدل

---

(١) ديودر الصقلى ، المكتبة التاريخية ، الكتاب الأول ، الفصل ٥٣ ، ص ١٦١ .

(٢) هيرودوت ، الكتابان الثانى والثالث ، ديودور ، الفصل ٦٨ ، ص ٢٠٣ .

(٣) هيرودوت ، الكتاب الثانى .

(٤) Justin, lib I, cap. g.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفرس بذلك كله الفخفخة الآسيوية ؛ وبعد أن كانت الموسيقى فى الماضى تلقى احترام المصريين باعتبارها نعمة من الآلهة بدأت منذ هذا الوقت وقد تغيرت صورتها وتغير الغرض منها] تلقى منهم الصد والازدراء ، باعتبار أنه لم يعد من شأنها إلا أن تؤدى إلى رخاوة النفوس ، وإلى أن تفت فى عضد الشجاعة وأن تتلف الاخلاق .

ومنذ هذا العصر ، وجب على المصريين فى واقع الأمر أن يكونوا فكرة سيئة عن كل موسيقى أجنبية ، لكنهم لم يستطيعوا قط أن يزدروا موسيقاهم الخاصة بهم ، وعلى النحو الذى عرفوها عليه ، فقد كانت تحكم هذه الموسيقى التى نهضت على مبادىء أصح الفلسفات ، قوانين بالغة الحكمة ولحد تظل معه باعثة على الاحترام من جانبهم ؛ وكل الظواهر تبرهن لنا على ان ما رفضوه حقيقة ، على مر الأيام ، من هذا الفن قد جاءهم من آسيا .

فلقد عرفنا أن القوانين الخاصة بالموسيقى فى مصر لم تكن تتقبل فيها[1] إلا ما كان من طبيعته أن يتسامى بالروح وأن يعودها على المشاعر النبيلة وأن ينشىء النفوس على الفضيلة ، وان هذه القوانين كانت تحظر الزيادة البالغة والتنوع الشديد فى الأنغام ، باعتبارها لا تستطيع أن تصور إلا حالة نفس الانسان العاقل والمعتدل والمتسامح والقوى والشجاع . ونحن نعرف من جهة أخرى أن النقائص النقيضة كانت على وجه الدقة هى طابع الموسيقى الآسيوية ، تلك التى كانت شديدة التنوع[2]، كثيرة الانات[3]، باعثة للشهوات والملذات[4]، رخوة متراخية ، تدعو للفسوق وتحض على الرذيلة[5]. وهذه إذن هى الموسيقى التى دخلت مصر مع مجىء الفرس عندما أصبحوا سادة لها ، وهى تلك التى رفضها المصريون .

ولكننا قد قلنا من قبل إن المثالب التى جعلت من هذا النوع من الموسيقى امرا يستحق اللوم ، تعود بالدرجة الأساسية إلى نقيصة استخدام الالات ، وهو الأمر

---

(١) نحس أننا مدفوعون ، على الرغم منا ، لأن نذكر القارىء على الدوام بأفكار حول الموسيقى القديمة فى مصر تبدو لنا متعارضة مع أفكارنا المسبقة لحد أنها تحتاج دونما انقطاع لأن تنقشع وتتبدد .

(٢) Apaul. Florid, lib. I

(٣) المؤلف نفسه ، والمرجع نفسه ؛ أفلاطون ، الجمهورية ، الكتاب الثالث .

(٤) أفلاطون ، المرجع السابق .

(٥) نفس المؤلف ، ونفس المرجع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذى يتبقى علينا أن ندلل عليه . ولهذا فإن من الضرورى أن نعود إلى منشأ هذه المثالب وإلى منبع التدهور الذى أصاب الفن ، وأن نضع يدينا على التوجيه الخاطىء الذى تلقاه هذا الفن فانحرف به عن الغاية التى هيئت له بفعل الطبيعة ؛ وإلا فلن يكون بمقدورنا أن نفسر علام كانت تشتمل الحالة الثانية لفن الموسيقى عند قدماء المصريين ، حيث أن هذا التوجيه الخاطىء الذى تلقاه هذا الفن فى آسيا الذى تابع مسيرته إلى مصر ، هو الذى سنواصل ملاحظة مسيرته ، وخطوات تطوره ، وهو نفسه الذى ينبغى له أن يتضح كى يدعم فكرتنا .

ومنذ البداية ، فإن من البديهى أن الصوت ، بين كل الالات الموسيقية ، هو أولها وأكثرها طبيعية ، وأن الالات الموسيقية الأخرى لم يتم ابتكارها إلا بعد وقت طويل للغاية من اكتشاف فن الغناء . ويفترض توافق هذه الالات بالضرورة ، ليس فقط وجود معرفة مسبقة بالفن الذى جاءت هذه الالات من أجله ، وانما كذلك وجود ومعرفة كل مبادىء الموسيقى ؛ فالعدد الضئيل للغاية من النغمات الصادرة عن تناغم وتوافق الالات الاولية ، وكذلك استعداد هذه النغمات ، يدللان بوضوح أنهم (المصريين) قد فكروا فى هذه الالات ، بعضها لاعطاء المقام (التون) للصوت أو للإبقاء على الصوت فى التون الذى كان المغنى قد شرع فيه من قبل ، ولكى يقود هذا المغنى إلى نقاط الارتكاز التى يستطيع أن ننقل إليها التغيرات المختلفة فى طبقات الصوت ونغماته ونبراته ، ولكى يضع الحدود التى ينبغى على المغنى أن يحصر نفسه فى داخلها ؛ أما بعضها الاخر فلكى يحدد إيقاع ووزن الشعر أو الغناء أو الرقص . إن النغمات نفسها التى كانت تكون تناغم القيثارة ذات الأوتار الثلاثة كانت كذلك هى الأنغام التى أسس عليها القدماء مبادىء وقواعد علم العروض ؛ « فتلحين الخطابة[١] – كما يقول دينيس هاليكارناس فى كتابه مقالة عن فن ترتيب الكلمات[٢]

Denys d'Halicarnasse, traité de l'arrgement des mots

« يتبنى منذ البداية الفاصلة الخماسية ، فهو لا يستطيع أن يعلو نحو الحاد أو الجهير لاكثر من ثلاث تونات ونصف التون ولا أن ينخفض نحو الغليظ أو الخفيض

---

(١) كلمة لحن (ميلودى) مأخوذة هنا بمعناها الاشتقاقى ، فهى تعنى فى هذا السياق : إيقاع الجمل التى يتألف منها الحديث .

(٢) Edit, Simon. Bircou. pag. 38

لأبعد من هذه الفاصلة(١)؛ لكن المبادىء التى نهضت على نظام ائتلاف أو تناغم القيثارة ذات الأوتار الأربعة عند الاغريق كانت أوسع مدى من المبادىء التى سبق أن حددها المصريون القدماء فى تناغم أو توافق قيثارتهم ذات الأوتار الثلاثة » . كانت النغمة الوسطى تشكل فى تناغم (هارمونى) القيثارة ذات الثلاثة أوتار الفاصلة الرباعية مع النغمة الغليظة ومع النغمة الحادة،وكانت النغمتان الطرفيتان ترددان مجموعات من ثمانى وحدات (أو كتاف)(٢)؛ وكان هذا هو أكبر امتداد ينبغى

---

(١) إليكم الائتلاف الخاص بالقيثارة القديمة ذات الأربعة أوتار والمستخدمة عند الإغريق ؛ وسنعرف بالصعوبات والمساوىء التى جرها التعديل الذى أدخل على القيثارة القديمة ذات الأوتار الثلاثة .

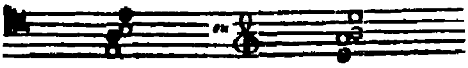

(٢) من المفيد أن نسترعى الانتباه إلى أنّ هذه الأنغام كانت الأنغام الأساسية فى المقام الدورى ، وهو أقدم هذه المقامات ؛ ومنذ ذلك الوقت والمقام الدورى يبدأ بنغم أكثر انخفاضا ، إذ كان يضمن فيه la Proslambanomène : [وهو اسم أكثر الأوتار غلظة (أى أشدها خفوتا) فى النظام الموسيقى عند اليونانيين ، وقد سمى بهذا الاسم لأنه أضيف لأول مرة إلى القيثارة رباعية الأوتار – المترجم] وإليكم هذا الائتلاف فى حالته الأولية :

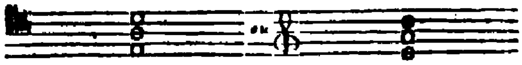

والذى يقدم بالمثل النغمات الرئيسية للطبقة الوسطى للصوت البشرى ، سواء فى ذلك أن كان صوت رجل أو صوت امرأة ؛ وتوافق النغمة الحادة فصل الصيف ، وتقابل الوسطى فصل الربيع ، أما الغليظة فتقابل الشتاء ؛ وفى واقع الأمر فإن التأثر الانفعالى الذى ينتج هذه النغمات حين نتحدث ، له علاقة كبيرة بحرارة الجو فى الفصول المقابلة ، كل منها ، لواحدة من هذه النغمات : فحيث تنتج النغمة الأحد عن انفعال قوى وتسبب بدورها قدرا كبيرا من الحرارة فى الدماء فإنها تتفق أكثر من غيرها مع فصل الصيف ؛ وحيث كانت النغمة الوسطى تصدر عن انفعال معتدل وتسبب قدرا قليلا من الحرارة ، فهى تنتمى ولابد إلى الربيع ؛ أما النغمة الغليظة ، وهى التى لا تنتج إلا عن تردد بالغ البطء ، أو بفعل مشاعر لا تحدث سوى انفعالات واهنة لا تتسبب فى أى حرارة أو دفء ، فهى أكثر توافقا مع فصل الشتاء. ويذكر بلوتارك فى الكتاب الرابع من أحاديث المائدة ؛ السؤال الرابع عشر ، شيئا مماثلا لهذا حين يقول ما نصه : « ويقول الدلفيون (نسبة إلى معبد دلفى) ان ربات الفن لم يطلعنهم قط على أسماء الأنغام أو الأوتار ؛ ولما كان العالم فى مجموعه منقسما إلى ثلاثة أقسام رئيسية : القسم الأول وهو قسم الطبائع الهامدة ، والثانى خاص بالطبائع المتحركة ، أما الثالث فخاص بتلك الطبائع الموجودة تحت كوكب القمر ؛ وأنها جميعا تبعد عن بعضها البعض بنسب متناسقة ؛ ويصر هؤلاء على أن لكل نغمة من النغمات واحدة من ربات الفن تقوم بحراستها : فتحرس النغمة الأولى الربة المسماة هيبات Hypate ، أما النغمة الأخيرة فتحرسها الربة نيت néte ؛ لكن الربة ميز mise هى التى تقوم بحراسة النغمة الوسطى ، تلك التى تستوعب وتقود ، قدر الإمكان ، الأشياء الفانية إلى الآلهة ، والأمور الأرضية إلى الأجرام السماوية على غرار ما قدمه أفلاطون بطريقة عميت على أفهامنا تحت أسماء جنيات

=

للصوت أن يبلغه فى الحديث العادى .

وحين ظلت الآلات الموسيقية تقتصر على هذه الأنغام الثلاثة فإنها لم تكن لتستطيع أن تضر باللحن ؛ أما عندما فكر الناس فى عدد أكبر من الأوتار ، وأمكن الفنان أن ينوع النغمات على هواه ، فقد تخلق نوع آخر من الموسيقى لم يعد يرتبط بشىء بمبادىء اللغة المنطوقة ؛ وحيث كان بمقدور كل امرىء أن يعدل فيها طبقا لذوقه الخاص أو تبعا لنزواته ، فإنه لم يعد يسترشد إلا بلذة الأذن ، بل بالخيلاء والميل إلى التبذل ، ساعيا للتغلب على صعوبات بالغة الضخامة دونما غاية أو غرض ودون ضرورة كذلك . لكن الجهل الذى يهلل لهذه الانحرافات الباعثة على السخرية فقد بدأ يرغم الفنان على نحو ما لأن يستسلم للأمر ، وسرعان ما نسى الناس حتى تذكر المبادىء الرئيسية لفن الموسيقى ذاته ، بفعل العادة التى اكتسبوها من هذا الفن الوليد ، وهو فن صناعة محض .

ومع ذلك فقد انقضت قرون طوال دون أن يحلم امرؤ بأن يغير شيئا فى الأغراض الأولية للآلات الموسيقية ؛ فبرغم أن ابتكار هذه الآلات يرجع طبقا لكتبنا المقدسة إلى أزمان تسبق الطوفان(١)، فإنه لم يصلنا ما يشير قط إلى أن وسائل أداء الموسيقى قد زيدت فى أى بلد لأكثر من أربعة عشر قرنا بعد هذه الكارثة .

وحتى زمن سيزوستريس ، لم يكن المصريون بعد يعرفون سوى أربعة أنواع من الآلات :

١ – القيثارة ذات الأوتار الثلاثة والتى انتهينا من الحديث عنها .

= أوربات الموت والحياة مطلقا على الأولى منهن اسم اتروبوس [وهى التى تعد خامة خيط الحياة] ، وعلى الثانية اسم لاخيزيس [وهى التى تدير المغزل فيمتد خيط الحياة] ويطلق على ثالثتهن اسم كلوطو [وهى التى تقوم بقطع الخيط فتنتهى الحياة] ؛ أما عن حركات السماوات الثمانى فقد نسبوها إليهن باعتبارهن جنيات(*) ولسن ربات فنون » . انظر بخصوص هذه الأنواع من التأملات أو الأفكار : مقالة عن خلق الروح ، للمؤلف نفسه وكذلك حوارية تيماوس لأفلاطون .

(*) تعنى كلمة sirénnes المستخدمة هنا : جنيات خرافية نصفها الأعلى لامرأة والنصف الأخر لطائر أو سمكة ؛ وهن يسكن الصخور الوعرة بين جزيرة كابرى وساحل إيطاليا ، وكن يجتذبن المسافرين بفعل طلاوة وسحر غنائهن ؛ وحين لم يتأثر يوليسيس بغنائهن وصوتهن فقد ألقين بأنفسهن إلى البحر كما تقول الأسطورة . [المترجم]

(١) سفر التكوين ، الاصحاح ٤ ، الآية ٢١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ – الدف الذى يستخدم فى ضبط إيقاع الرقصات .

٣ – البوقسان أو البوق ، للإعلان عن موعد الصلوات والأضحيات والأهلة أو الأقمار الوليدة ، ولدعوة الشعب للاجتماع فى المناسبات الاعتيادية عن الحياة المدنية أو لإعطاء إشارة ما فى الجيوش .

٤ – النفير ، عندما يتصل الأمر ببعض الأمور الهامة التى تتطلب إسهام الشعب كله . ولم يكن هذا النفير سوى أنبوب مستقيم أو مخروطى الشكل أو هو على أكثر تقدير ينحنى ببساطة عند طرفه[١] على غرار البوق أو البوقسان الذى كان يصنع من قرن بقرة ؛ مع اختلاف وحيد هو أن النفير يصنع من الخشب والصلصال أو من المعدن .

وتلكم ، على الأقل ، كانت الآلات الموسيقية التى حملها العبرانيون معهم فى هذه الفترة عند هروبهم من مصر ، بعد أن أقاموا فيها لأكثر من أربعمائة عام[٢] ، وعلى هذا النحو كان استخدامهم لها فى البداية ، ولا يستطيع المرء أن يفترض أن هذه الآلات كانت خاصة بهم ، ذلك أنه لم تكن لتترك لهم ، فى حالة الاذلال التى انكمشوا إليها فى مصر لا الحرية ولا وقت الفراغ اللازم كى يستخدموها ؛ ولو قد كانت لدى المصريين آلات أخرى ، لما كان هناك أدنى شك فى أن الاسرائيليين لم يكونوا ليترددوا فى الاستيلاء عليها ، بنفس الطريقة التى استولوا بها على الآنية الذهبية والفضية المملوكة للمصريين[٣]؛ وفضلا عن ذلك فقد كان بنو إسرائيل قد اعتادوا على أخلاق وطباع المصريين وعلى ديانتهم ، حتى أنهم ظلوا لوقت طويل بعد خروجهم من مصر ، يعودون إلى هذه الديانة ، وإلى هذه الطباع ، مرات عدة ، برغم

---

(١) إن ما نظر إليه باعتباره نايا فى لوحة اسحاق Jsiague لا يبدو لنا سوى بوق من هذا النوع ، أما سبب الخلط الذى يؤدى إلى إطلاق اسم ناى فى بعض الأحيان على البوق ، والعكس حين يمنح اسم بوق أحيانا إلى الناى عند القدماء ، هو أن كليهما كانا بالمثل مصنوعين من أنبوب كما كان كلاهما يحدث صفيرا ، وفى أن الخلاف الوحيد بينهما يكمن فى الحجم اذ الناى أصغر حجما من البوق ؛ ولهذا السبب كان يشار إليهما ، كليهما ، باسم توبا Tuba باللاتينية وتعنى الأنبوب أو باسم سيرنكس Syrinx باليونانية ، وذلك قبل أن يفكر الناس فى صنع الناى من عظمة ساق الأبل ؛ ومن الاسم اللاتينى جاء الاسم تيبيا Tibia الذى أصبح اللاتين يشيرون به بعد ذلك إلى الناى .

(٢) سفر الخروج ، الاصحاح الثانى عشر ، الآية ٤٠ .

(٣) شرحه ، ٣٥

الاعتراضات التى كان يبديها موسى باسم الرب ، اذ لم يستطيعوا تحت سطوة هذا الميل من جانبهم ، أن يقاوموا رغبتهم فى صنع وثن للإله أبيس وأن يعبدوه[1] ، مع الأخذ بطقوس العبادة التى تعود المصريون أن يقوموا بها لهذا الإله ، وكذلك مع أداء صنوف الغناء نفسها ، والرقصات نفسها التى كان المصريون يختصونه بها[2].

وتؤكد كل الشواهد ان الأنواع الأربعة من الآلات الموسيقية التى انتهينا من الحديث عنها كانت أول الآلات المعروفة . وكانت هذه أول الآلات التى استخدمها المصريون لأنها أكثر بساطة من الآلات الأخرى وأكثر منها سهولة وقابلية للاستيعاب فى وقت قصير ، ولأنها كانت أكثر مباشرة وأشد تأثيرا ؛ ولم يكن قدماء المصريين يعرفون غيرها فى زمن موسى .

لكن الأمر لم يكن يمضى على هذا النحو فى آسيا ؛ ففى هذه الفترة نفسها كان الناس مكبين بهمة فائقة على تطوير الآلات المعروفة وابتكار آلات جديدة ؛ وسيكون من السهل على كل منا ، عن طريق التأريخ لهذه الاختراعات أن يقوم بالمقابلة بين الأحداث السياسية التى وقعت فى مصر فى الوقت ذاته ، وأن يتصور متى وكيف أدخلت هذه الآلات إلى هناك ، فمن المرجح أن تكون بذورها قد انتقلت إلى هناك منذ فتوحات سيزوستريس ، أو عن طريق العبيد أو الأسرى الذين اصطحبهم هذا الغازى إلى مصر معه ، أو على يد أبناء آسيا الذين جذبتهم إلى هناك ظروف ودوافع مختلفة : لكن هذه البذور لم يكن بمقدورها أن تنبت وتنمو بنجاح إلا حين لم يستطع المصريون ، وقد أخضعهم الفرس ، أن يواجهوها بالمقاومة .

وطبقا لتأريخ باروس Paros فإن هيجانيس Hyganis الفريجى ، نسبة إلى منطقة فى آسيا الصغرى هو أول من اخترع الناى[3] وأول من غنى على أساس المقام

---

(١) سفر الخروج ، الاصحاح الثانى والثلاثين ، الآية ١٩ ؛ ولقد كان العجل مصنوعا من الذهب . ويقول فى هذا الصدد لاكتانس ، عن الحكمة الزائفة ، الكتاب التاسع ، فصل ١٠
« ان هذا العجل الذهبى كان مثلا للإله أبيس » .

(٢) سفر الخروج ، الاصحاح الثانى والثلاثون ، الآيتان ١٨ ، ١٩ . ويورد فيلون اليهودى Philon فى كتابه الانتشاء ان المصريين قد كانت لديهم عادة ان يغنوا الأشعار وهم يرقصون حول الإله أبيس .

(٣) Joann. Marsham, canon chronicus, AEgypt, Hebr. Graec. ad seculum IX pag. = 112, Londini, 1672, in- fol. Lenglet du Fresnoy, Tablettes chronologiques, ect (Deipnos. lib

الدورى،وهو فى الوقت نفسه مؤلف عديد من الأغنيات الأخرى على شرف الإلهين باخوس وبان ، وقد عاش فى نفس الوقت الذى كان أريختيون Erichton فيه يحكم أثينا ، فى نحو عام ١٤٨٧ قبل ميلاد المسيح ، وبعد أربع سنوات من خروج الاسرائيليين من مصر ، وقبل سنتين من حكم سيزوستريس . ونحن هنا نشير إلى كل ذلك حتى يتبين القارىء بشكل أفضل ، توافق كل الأحداث التى من شأنها أن تنطبق على ما نحن بصدده ، لكى ندلل عليه .

وبرغم أن هناك احتمالا ضئيلا فى أن يتمكن رجل واحد من اختراع أشياء كثيرة ، وحده ، فإن من الأرجح على الأقل أن الناس فى هذه الفترة كانوا معنيين بدرجة كبيرة بتطوير فن العزف على الناى ، وهو فن كان لا يزال حتى هذا الوقت فى مرتبة تقترب من العدم ، إذ أن أبوليوس Apulée عند حديثه عن هيجانيس هذا[1] يذكر أن الناس لم يكونوا قد فكروا بعد فى طبيعة الأنغام ، وأنهم كانوا يستخدمون الناى بالطريقة نفسها التى ينفخون بها فى البوق ، وانه لم تكن توجد أنواع كثيرة من الناى ، بل لم يكن قد وجد بعد الناى المثقوب ثقوبا عديدة ، وأن هيجانيس هو أول من حاول العزف على نايين فى الوقت نفسه ، معا[2] ، وأول من أحدث عن طريق نفخة واحدة ائتلافا بين نغمتين ، إحداهما حادة والأخرى غليظة ، بواسطة أنبوبين أحدهما على

= XIV, cap. 11, pag, 617, C) ويقول أثينايوس فى المرجع السابق إنه لما كان أحد ملوك فريجيا Phrygie (ولعله هيجانيس) يجعل الناى المقدس يحدث أنغاما رقيقة ، فقد كان هو أول من ابتكر الغناء بواسطته ، وجعله مطابقا لعبقرية اللغة الدورية (احدى لهجات اليونانية القديمة) .

(١) Florid. lib. I, pag. 405. lut. Paris, 1601 in, 16

(٢) الحديث هنا يدور حول الناى المزدوج ، وكانوا يطلقون عليه اسم الناى المنحنى حين يمتد انبوباه متباعدين أحدهما عن الآخر بدءا من النقطة التى كانا يتصلان عندها بالقرب من الفتحة ؛ وينسب بلين Pline (التاريخ الطبيعى ، الكتاب السابع ، الفصل ٥٦) ابتكاره إلى مارسياس ، وان كان يوريبيديس فى تراجيديته ريزوس Rhésus ، البيت ٩٢٢ ، يكتفى بالقول بأن مارسياس كان ماهرا فى العزف على الناى .

وينسب كاليماك Callimaque نشيد إلى ديانا البيت ٢٤٤ إلى مينرفا ابتكار الناى المصنوع من عظمة ساق أيل صغير ، أو ما يطلق عليه اللاتين اسم تيبيا وهو مثقوب بعدة ثقوب ؛ وقد قال بنفس هذه الأسطورة أوفيد التقويم ، الكتاب السادس ، سطر ٦٩٦ وما بعده ، ولكنه يضيف ان منيرفا قد لفظت هذه الآلة الموسيقية بعد أن لاحظت أن العزف عليها يجعلها تبدو مقطبة فالتقطه ستير [شخص خرافى نصفه الأعلى لبشر والنصف الأسفل لماعز] (وهو مارسياس) وتدرب عليه ، وأصبح ماهرا فى العزف به ، ثم تجاسر على تحدى ربات الفنون ، فهزمه أبوللون وعاقبه على ذلك بأن سلخه حيا .

اليمين والآخر على اليسار(١)، وأنه هو ، فى النهاية ، أول من عين ملمس هذه الآلة .

من هذه الرواية نرى أن هيجانيس لم يكن فى الحقيقة هو مخترع الناى مادامت هذه الآلة الموسيقية كانت معروفة من قبله ، وإنما هو مبتكر لنوع جديد من الناى ، هو الناى المثقوب ثقوبا عديدة ، وكذلك فن العزف على هذا الناى بتحديد أو تعيين ملامسه ، وهو أمر قد ظل مجهولا طبقا لرواية أبوليوس Apulée(٢) . وحول هذا المعنى نفسه لابد أن نستمع إلى هذا النص من بلوتارك(٣): « كان هيجانيس هو أول من عزف على الناى ثم ابنه مارسياس من بعده ثم أوليمب »(٤) ؛ وقد كان بلوتارك بلا ريب يرى نفس رأينا لأنه يمضى ليقول لنا : « ذلك أنه لم يكن لا مارسياس ولا أوليمب ولا هيجانيس هم أول من ابتكر الناى كما يقدر بعض الناس ، بل إن ما يستطيع المرء أن يعرفه عن طريق الرقصات والأضحيات التى تقدم على أنغام المزمار والناى إلى أبوللون وكذلك إلى ألكيه(*) Alcée ، بين آلهة آخرين قد تركه [هيجانيس] مكتوبا فى بعض أناشيده . وفوق ذلك فإن صورته فى جزيرة ديلوس توضحه ممسكا فى يده اليمنى بقوسه ، ويمسك فى يده اليسرى ربات الفتنة ، حيث تمسك كل واحدة منهن بآلة موسيقية ، فإحداهن تمسك بالقيثارة ، وأخرى بالمزمار ، وثالثة ، وهى التى تقف فى الوسط ، بالناى الذى تقربه من فمها ، ولكى لا تظنى أننى قد تخيلت ذلك كله [أقول لك] إن انتيكليس وايستير قد لاحظا الأمر نفسه كذلك فى تعليقاتهم .. الخ » .

أما المؤرخ القديم جوبا Juba الذى يشير إليه أثينايوس Athenée(٥) فينسب اختراع القصبة أو المونول إلى أوزيريس ، ملك وإله مصر ، ولكن هذه الآلة لم تكن

---

(١) انظر الفصل الرابع ، من الباب الثانى من وصفنا للآلات الموسيقية عند الشرقيين ، الدولة الحديثة ، المجلد الأول ، ص ٩٦٤ (المجلد التاسع من الترجمة العربية) .

(٢) انظر الهامش رقم ٢٧ .

(٣) De la Musique, pag 661, A.

(٤) حيث يذكر بلوتارك فيما بعد (ص ٦٦١ C) انه يوجد اثنان يتسميان باسم أوليمب ، فيبدو ان صاحبنا هنا هو أوليمب الأول ، ابن مارسياس .

(*) أول ملوك الاسرائيليين ، حكم فى القرن الحادى عشر قبل مولد المسيح ، وقد قتل نفسه فى معركة جلبوس حيث لقى الهزيمة على يد الفلسطينيين (عن التوراة – المترجم) .

(٥) مأدبة الفلاسفة ، الكتاب الرابع ، الفصل ٢٣ ، ص ١٧٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سوى قصبة من القش ، وليست بها ثقوب لتعيين ملمسها ، كما أخبرنا هو بذلك ، مما لا يمكن معه اعتبارها آلة موسيقية ؛ وفضلا عن ذلك فإن جابلونسكى[١] يبرهن لنا أن اسم أوزيريس لم يعرف فى مصر إلا بعد هروب العبرانيين بقيادة موسى بنحو عشرين وثلاثمائة عام ، أى فى العام ١٣٢٥[٢] قبل ميلاد المسيح ؛ ونستخلص من ذلك ، ان هذا النوع من الناى ، والناى السابق عليه . كانا معروفين فى فريجيا Phyrgie[٣] قبل أن يعرفا فى مصر ، بل حتى قبل أن يعرف اسم أوزيريس نفسه هناك[٤] .

ومهما يكن من أمر 'فليس ممكنا فيما يبدو لنا أن يتوصل هيجانيس إلى تطوير الناى وفن العزف عليه ، لحد من الاتقان يكفى لتقبل الناى لمصاحبة الغناء الدينى ، دون أن يلقى الأمر استنكارا ، لمجرد أن يورد ذلك فى تأريخه ماربردى باروس Marbres de Paros ، ما لم يكن الأمر قد تم بغية إضفاء نوع من القوة والرجولة على تلك الصرخات الحادة ، التى كان يطلقها الكهان فى اليونان القديمة ، بأصواتهم المخنثة ، أثناء الرقصات التى كانوا يؤدونها على شرف أم الآلهة .

ولسنا نجد قط فى الأزمنة المتأخرة ، مثالا كان الناى فيه مصحوبا بالصوت البشرى أكثر قدما من المثال الذى يقدمه لنا سفر الملوك الأول[٥] حيث قيل : **ونزل الأنبياء من الجبل تصحبهم أصوات القيثارة والجيتار والناى وضجة الدفوف** ، وكان هذا فى عهد شاول(*) فى نحو عـام ١٠٥٠ قبل مولد المسيح ؛ ومع ذلك فإننا

---

(١) معبد كل آلهة مصر ، المجلد الأول ، الكتاب الثانى ، الفصل الأول ، S ، ١٦.

(٢) لا يمكننا أبدا أن نوفق هذا الحساب مع حساب الجداول التاريخية التى وضعها جون بلير Jhon Blair .

(٣) يجمع كل الشعراء الاغريق واللاتين على أنهم يجدون فى الفريجيان (أهالى فريجيا) مخترعى الناى . وقد اتبع إسيدوروس هذه الرواية التى تعود إلى زمن ضارب فى القدم :

الأصول ، الكتاب الثالث ، فصل ٧ فن الموسيقى

(٤) ومع ذلك فإن ترتزيس Tzezés لم يتردد فى النظر إلى كل من عطارد وأوزيريس ونوح وباخوس باعتبارهم متعاصرين : الخليادة الرابعة ، الكتاب الثانى ، البيت ٨٢٥ وما بعده) .

(٥) الاصحاح العاشر ، الآية الخامسة .

وبالرجوع إلى الكتاب المقدس ، العهد القديم ، لم أجد هذا النص فى الموضع المشار إليه . [المترجم]

(*) ابن جوبيتر وانتيوبى ، شاعر وموسيقى ، وهو الذى بنى أسوار طيبة التى كانت أحجارها ، كما تقول الأسطورة تصطف من تلقاء نفسها [المترجم] .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا نزال على شكوكنا فى أن مثل هذا الحشد لآلات موسيقية من أنواع بالغة التعارض ، وفى الوقت الذى كان فن العزف عليها لا يزال حديث العهد وغير معروف إلا فى أضيق نطاق – قد استخدم فى هذه المناسبة ، لهدف آخر سوى إحداث ضجة صاخبة لا مناسبة لها ، وان كان منغما ، وذلك بقصد أن يثير أو يلقى فى قلب ومشاعر الأنبياء ، تلك الرجفة وهذا الاضطراب اللذين كان القدماء يرونهما ضروريين لتوليد حماسة النبوة ؛ وليس هناك أى سبب ظاهرى لكى نفترض أن مثل هذا الخليط المضطرب من أنغام القيثارات والجيتارات ، مضافا إليها ضجة الأبواق ، يمكنه أن يصنع مجموعا لحنيا متناغما وصالحا للغناء . وهكذا نستطيع نحن أن نؤكد ان استخدام الناى والجيتار والقيثارة الخ . لم يكن مألوفا أو متقبلا بعد لا فى طقوس العبادة ولا لمصاحبة الغناء ، ذلك أن فن العزف على هذه الآلات كان لا يزال حديث العهد ، لدرجة كبيرة ، ولدرجة كبيرة كذلك كان غير متقن .

وتبعا لذلك فلابد للمرء أن يكون على يقين من أن المصريين لم يكونوا قد قطعوا فى التقدم فى فن العزف بآلات النفخ والآلات الوترية شوطا أكبر مما فعل الاسرائيليون ، لهذه الأسباب :

أولا : كان المصريون أبعد من هؤلاء الاسرائيليين عن تلك الشعوب التى ابتكرت واتقنت هذه الآلات ، ولذلك فلم يصلهم علم بها .

ثانيا : لأن طابعهم المعادى لكل ابتكار لم يكن ليهيئهم كى يذعنوا للأخذ بذلك .

وثالثا : لأن الطبيعة المبدئية لموسيقاهم ولأنظمتهم كانت مناقضة لذلك .

ومع ذلك فحيث يحتمل أن نوعا من التنافر الغريزى فى الطباع ، ظل قائما دوما بين العبريين والمصريين ، قد أدى إلى حمل المصريين على لفظ ما يقره العبريون ، فلنأخذ ، كى نتأكد ، بشكل أفضل ، من الحالة الأولى التى كان عليها فن الموسيقى فى مصر القديمة ، وسيلة أخرى للمقارنة أكثر مباشرة وأقرب منالا ، يستطيع الإغريق ان يقدموه لنا ، أو تستطيع ذلك جاليات المصريين ، مادام هؤلاء الاغريق ظلوا يحتفظون لوقت طويل بديانة المصريين وتقاليدهم وعاداتهم .

ويعد هوميروس ، الذى وصف بقدر كبير من الدقة فى إلياذته وأوديساه تقاليد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاغريق القدماء ، دليلا موثوقا به لا يمكن أن يضللنا . وليس هناك بالتأكيد ما يمكنه أن يجعلنا نكون أدق الأفكار عن فن الغناء من صنوف المدح والتقريظ التى كان يكيلهما هذا الشاعر للمنشدين فيميوس Phémius وديمودوكس Démodocus ، وما يقصه علينا أمير الشعراء هذا عن التأثيرات التى كان هذان المنشدان يحدثانه بفنهما . ومع ذلك ، وفى الوقت نفسه ، فقد لزم هوميروس الصمت التام والمطلق حول جدارة الموسيقي الآلية : فهو فى كل موضع من أشعاره يقدم لنا فن العزف على الآلات فى حالة متخلفة للغاية ، مما يبرهن على أن الاغريق القدماء الذين كانوا قد تلقوا عن المصريين ، موسيقى بلغت تمام النضج فيما يتصل بالغناء ، لم يكفوا عن التردد على مصر ليتعمقوا فى كل مبادىء هذا الفن التى كانت تولى أكبر اهتمامها للأناشيد المليئة بالعلم ، والمقدسة (الدينية) والتى كان قد جلبها من هذه البلاد موسايوس واورفيوس ، ولم يكونوا قد تعلقوا بعد ، وبدرجة كبيرة ، بفن العزف على الآلات ؛ ولم تكن القيثارة حتى ذلك الوقت ، وهى الآلة الموسيقية التى تم اختراعها منذ قرون عديدة على يد عطارد ، لتستخدم من جانبهم إلا لضبط الصوت ومساندته ، بل لقد كانت هذه الآلة تابعة للغناء ، حتى إن هوميروس لم يتطرق قط إلى تأثيرها الخاص ؛ ومما لا شك فيه أن هذا الشاعر ، الذى لم ينس قط أن يسجل شيئا كان جديرا بالتسجيل مهما تكن ضآلته ، لم يكن ليهمل أن يخبرنا بأمر يختص بالموسيقى الآلية .

أما أوليمب الفريجى[١] وهو أقدم من عرف بهذا الاسم لما يقرب من قرنين قبل حرب طروادة[٢] فقد علم الاغريق فن التوقيع على الآلات الوترية . إذن فهذا الفن لم يكن معروفا فى مصر بعد ، وإلا لكان موسايوس أو أورفيوس قد تبنيا استعماله بدلا من هذه الغيبة المطلقة لأى شىء يتيح لنا أن نجد بصيص ضوء يكشف لنا أنهما قد حصلا ، ولو قدرا ضئيلا من المعرفة عن هذا الفن ؛ اللهم إلا إذا كان هناك من يشاء لنا إن نخلط بين فن العزف على القيثارة وبين مهارة العازف ، حين يجعل قيثارته تصدر

---

(١) بلوتارك ، حوار حول الموسيقى القديمة ، ص ٦٦٠ .
وانظر كذلك ملاحظات بوريت Burette حول هذا الحوار :
Memoires de l'Académie des inscriptions et belles- lettres, art. XXX, pag 254, tom X, in 4.
(٢) Plut. ibid. pag. 667. Remarques de Burette. ibid

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنغاما عن هذا الوتر أو ذاك كى تعطى النغم أو التون للمغنى أو لتعيده إليه إذا ما حاد عنه .

أما عن الناى ، فإن هوميروس لم يتحدث عنه إلا عند وصفه لدرع أخيل فى الكتاب الثامن من إلياذته ، حيث نجد الناى ينضم إلى الجيتار لمصاحبة الرقصات التى تتم فى حفلات[١] العرس . ولكنه ، حين يتحدث عن الرقصات التى كانت تتم وقت جمع الكروم ، لا يشير إلا إلى الجيتار وحده ، الذى كان عندئذ يضبط ويقود صوت المغنين[٢]، ثم يعود ، فى مكان آخر ليتحدث عن نوع من الناى الصغير يسميه سيرنكس[٣] Syrinx ، كان يستخدمه الرعاه كى يتسلوا وهم يرعون قطعانهم : الأمر الذى يجعلنا نرى أن هذه الآلة كانت لا تزال بعد فى اليونان بالغة الخشونة ، وفى حالة من التدنى لا تسمح باستخدامها فى مناسبات أو أوساط تحظى ببعض أهمية ، فى حين كانت هذه الآلة عند العبريين منذ نحو قرنين تحظى بالفعل بمكانة نبيلة ، لدرجة بدت معها جديرة بمصاحبة غناء الأنبياء ، أو على الأقل بمصاحبة الرقصات والحركات الأخرى التى كانوا يستنهضون بها أنفسهم لاستلهام النبوءات ، وهذا ، على وجه التحديد ، ما يجعلنا ندرك أكثر من غيره ، كم كان الاغريق القدماء أكثر حذرا وتحفظا فى استخدام الآلات الموسيقية ، وهو ما لم يفعله العبريون الذين كانوا ، فضلا عن ذلك ، أكثر قربا من منبع الابتكارات أو البدع ، **لكونهم** أنهم يقطنون آسيا .

ولكى يقر فى أذهاننا أن هذه الملاحظة ليست متسرعة أو جزافية ، فيكفى أن نقارن بين ما يقوله الشاعر الإغريقى القديم عن استخدام الناى ، وبين ما يقوله هسيود Hésiode المولود فى آسيا ، والذى ربما كان يقدم لنا تقاليد بلاده بينما هو يقدم لنا الشخصيات التى قام بتصويرها فى قصيدته التى عنوانها درع أو ترس أخيل ، وسوف نرى أن الشاعر يقدم لنا الناى باعتباره يستخدم فى مصاحبة الصوت فى الجوقات ، وكذلك فى ضبط حركات الرقص لتتفق مع مقاطع الغناء . ويأتى هذا الاختلاف الملموس للغاية ، حين نلقى إليه بالنا ، بالضرورة من اختلاف الأخلاق والتقاليد

---

(١) الالياذة ، الكتاب الثامن عشر ، البيت ٤٩٥ .

(٢) شرحه ، البيت ٤٦٩ .

(٣) شرحه ، البيت ٥٢٦ .

الخاصة ببلد كل من هذين الشاعرين المتعاصرين ، ومن أن الناس فى آسيا تتوقد حماسة بحثا عن أساليب جديدة للأداء كان يثرون بها الآلات كل يوم ، فى حين كان الناس فى اليونان لا يزالون محصورين فى إطار المبادىء التى انتقلت إليهم من مصر إما على يد المصريين أنفسهم وإما على يد ميلامبوس أو أورفيوس ، وان الناس هناك كانوا لا يتسامحون إلا بصعوبة بالغة فى الابتكارات أو البدع التى تفد إليهم من مكان آخر .

إذن فلا يزال بمقدورنا أن نستخلص من ذلك أن فن العزف على الناى إذا صح ان الناى نفسه قد عرف فى مصر فى ذلك الوقت ، وإذا كان الاغريق قد استعاروا عن المصريين استعماله – وهذا أمر ضئيل الاحتمال – ما كان ينبغى أن يكون قد تقدم كثيرا عند الاغريق ، طالما كان هذا الفن حديث العهد للغاية عند الذين اخترعوه أنفسهم ؛ ذلك لأن البون شاسع بين النفخ فى ساق سنبلة مجوفة أو فى قصبة من الغاب لاحداث صوت بها ، وبين فن مصاحبة الغناء وضبط حركات الرقص بهذه الآلة ، على النحو الذى يخبرنا به هزيود ، وكذلك ، ولأسباب أقوى ، بينه وبين معرفة صياغة ألحان على الناى ، كما فعل هيجانيس[١] وابنه مارسياس[٢] أو إمكانية مصاحبة الصوت البشرى على غرار ما كان يفعله أوليمب[٣].

---

(١) يوانيس مارشام ، القانون الزمنى ، المصريون واليهود والاغريق مع تعاليمهم (ء) إلى القرن التاسع ، الناشر أعلاه ؛ بلوتارك ، حوار حول الموسيقى القديمة ، ص ٦٦ .

(٢) المؤلف نفسه والمرجع نفسه ؛ أوفيد ، مسخ الكائنات ، الكتاب السادس ، سطر ٧٠٥ وما بعده ويخبرنا يانيس Jean Malala الذى يجعل وجود أورفيوس متزامنا مع الوقت الذى كان جديون Gédéon يحكم الاسرائيليين ، أى عند نحو منتصف القرن الثامن قبل ميلاد المسيح – يخبرنا كذلك أن مارسياس كان قد شب عن الطوق فى زمن طولا Thola حفيد جديون وخليفته ، عند نحو نهاية القرن السابع ؛ ويقدم لنا هذا المؤلف مارسياس باعتباره مبتكرا للناى المصنوع من قصب البوص ؛ ويقص علينا أن هذا الشخص ، الذى انتفخت أوداجه تيها وفخرا بمواهبه قد انتحل لنفسه لقب إله . وانه فقد عقله ، وذهب ليلقى بنفسه فى نهر كان يحمل اسمه منذ مولده وقد ادعى الشعراء ، طبقا لرواية هذا المؤلف ، ان مارسياس كان قد صارح أبوللون بعد أن جدف ضده هذا الاله ، وأنه قد قتل نفسه فى نوبة جنون .

الموسوعة البيزنطية ، المجلد الثالث والعشرين ، ص ٣١ .

وانظر كذلك حول هذا الموضوع :

Cerdenus, compend, hist. pag. 69, corp. Byzant, tom VII

(٣) Lucian. ibid, plutarque, ibid. P.

فابريكوس ، المسابقات ، الكتاب الأول ، فصل ٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبالاضافة إلى ذلك فإن الشعراء اليونانيين القدامى لا يتحدثون قط عن عادة استصحاب الصوت بالناى ، عندما يتصل الأمر بالاغريق ، وهذا عكس ما يفعلونه عندما يكونون بصدد الحديث عن أمور تتصل بشعوب آسيا . بل لقد كانت هذه الآلة تلقى من قدماء الاغريق الازدراء الشديد حتى إنهم ، عندما أدخلت لأول مرة فى بلادهم ، قد تركوها للعبيد الفريجيان [1]؛ ولهذا السبب فإن أسماء أوائل العازفين على الناى ، والذين ظهروا لأول مرة عندهم ، كانت أسماء مشتقة من اللغة الفريجية ، بالإضافة إلى أنها أسماء لعبيد ، مثل أسماء: سمباس ، وأدون اللذين يتحدث عنهما ألكمان[2] Alcman ، ومثل كيون وكودالوس وبابيس الذين يشير إليهم هيبوناكت Hipponacte[3]. ومع ذلك فهناك مبرر كبير للاعتقاد بأن هؤلاء العازفين الأول للناى لم يكونوا يستحوذون كثيرا على اذن اليونان ، حيث ظهر هناك مثل شائع يستخدم اسمى كيون وبابيس للاشارة على أننا بصدد شخصين لا يمكنهما الاتفاق فيما بينهما ، وأنهما عند تنافسهما ، لا يستطيعان ، على أحسن تقدير ، إلا أن يصنعا السوء .

لم يكن معنى ذلك أن الاغريق ينقصهم الذوق ولا الاستعداد أو الكفاءة فى عزف الناى ، فهـا نحن نراهم بعد ذلك يقبلون عليه بقدر كبير من النجاح والاندفاع ، بل ينظرون إلى مقدرة العزف عليه باعتبارها جدارة تشرف صاحبها . يقول ارسطو[4]: « لم يكن يقوم بالعزف على الناى فى اليونان سوى صغار الناس ، ولم يكن أمرا مشرفا لرجال طبقة الأحرار ان يعزفوا عليه ، أما بعد الانتصارات التى أحرزها الأغريق على الفرس ، فإن البذخ والوفرة فى كل شيء ، جعلاهم يبحثون عن المسرات والملذات ، فأصبح العزف على الناى شائعا بينهم لحد أصبح الجهل به يعد من قبيل العار »[5] ، ويذكر كورنيلوس نيبوس Cornélus Népos أنه كانت تعد من الفضائل

---

(١) أثينايوس : مأدبة الفلاسفة ، الكتاب الرابع عشر ، الفصل الخامس ، ص ٦٢٤ .

(٢) أبوليوس ، أثينايوس ، المراجع السابقة .

(٣) شرحه ، المرجع السابق « اخترع هيبوناكت المحاكاة الساخرة »
أثينايوس ، مأدبة الفلاسفة ، الكتاب الخامس عشر ، ص ١٤ .

(٤) الجمهورية ، الكتاب الثامن ، الفصل ٦ .

(٥) ليس فى هذه الشهادة ، كما نرى ، أى لبس أو غموض ، ولهذا تصبح حاسمة فى القضية التى نحن بصددها الآن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكبرى لايباميننداس أنه يتقن الرقص والعزف على الناى ، ويقول نفس المؤلف . إنه ، أى إيباميننداس كان يؤدى كل شيء بمهارة تفوق مهارة أى شخص فى طيبة ، فقد تعلم من أوليمبيودور Olympiodore كيف يغنى على أنغام الناى ، كما تعلم من كاليفرون Calliphron كيف يرقص »[1].

وهكذا يصبح منشأ الابتكارات التى تناولت فن الموسيقى ، وبصفة خاصة ، ما يتعلق منها بالآلات الموسيقية ملموسا لنا بشكل جيد ، لدرجة أصبحنا معها نميز بشكل بالغ الوضوح ، المسيرة والاتجاه اللذين سارت فيهما هذه الابتكارات ، ولكننا فى الوقت نفسه ، لا نلمح بعد أى أثر يجعلنا نوقن أنها قد توغلت فى مصر فيما قبل حرب طروادة .

وإذا كنا قد لاحظنا بين الرسوم التى يراها المرء على الجدران الداخلية للجبانات التى تجاور أهرام الجيزة ، أشكالا لأناس يبدون فى هيئة من يعين ملمس آلات من هذا النوع ، فإنه إما أن هذه قد رسمت فيما بعد سواء على يد الفرس أو على يد الاغريق الذين أدخلوا إلى مصر عادة استخدام الناى الطويل ،وإما أن هذه الأشكال ليست فى الواقع سوى أنابيب بسيطة أو أبواق تعود إلى عهد ضارب فى القدم ، وان كان من المؤكد ان الاشخاص الذين يمسكون بهذه الآلات كانوا ينفخون فيها ، كما لو كانت هى نفسها أبواقا ؛ ويرجح أن تكون هذه الأبواق من نوع تلك الآلات التى لم يكن اهل بوزيريس وليكوبوليس وأبيدوس يستطيعون تحمل صوتها ، لأنها كانت تشبه ، ولحد مفرط ، نهيق حمار ، وهو حيوان كان يذكرهم بعبقرية طيفون الشريرة ؛ ولعل هذه الأنابيب أو القصبات الطويلة هى من نوع الآلات التى يسميها المصريون شنو— ويه Chnouê ، وهى كلمة تعنى ، طبقا لرأى جابلونسكى **النغمة التى تضرب إلى بعيد أو التى تسمع عن بعد** ، أو يحتمل أن يكون هذا الاسم قد أعطى إلى هذه الآلة بسبب طولها[2]؛ وأخيرا لعل هذا النوع من الآلات ، الذى

---

(١) غير أنه كان متمرسا للدرجة التى لم يكن فيها أى طيبى أكثر منه (براعة) فى إنشاد أغان على الناى ، تعلمها على يد أوليمبيودوروس ، وفى الرقص على يد كاليفرون .

(٢) يدعم أوبيانوس بالمثل كل واحد من هذين الافتراضين بالبيت التالى :

« لم يحدث أن سمعنا قط » صوتا مثيرا لغريزة القتال والحرب بمثل ما يفعل هذا النفير (المزمار) الطويل عن « القنص ، ك ١ ، ف ٢٠٧ »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نضعه فى طبقة الناى[١] طبقا لرأى العلماء الذين تحدثوا عنها من قبلنا ، أن كان ، على نحو الدقة ، هو البوق الذى يستخدمه قدماء المصريين ، وهو أمر لا نسمح لأنفسنا أن نقطع فيه برأى حاسم .

ويمكن أن ينطبق كل ما قلناه على الناى على كل الآلات التى يتكون جسمها الطنان من أنبوب أو قصبة ، سواء كانت أسطوانية أو مخروطية أو كان شكلها أسطوانيا ومخروطيا فى وقت معا ، وملوية أو مثنية ، ذلك أن هذه الآلات جميعا لم تكن تشكل فى البداية إلا نوعا واحدا ووحيدا ، وان كانت أصنافها قد تنوعت لغير ما حد ؛ فكانت هناك أبواق من صنف الناى ، كما كانت هناك أبواق وبوقسانات بالغة التنوع ، على هذا النحو .

ولقد تناول هذه الأنواع المختلفة من الآلات ، وكذلك تلك الآلات المختلفة ، بعض تغييرات جاءت من آسيا أو من الجزر المجاورة فى البحر الأبيض : فهناك قد اخترعت النايات البسيطة المزدوجة[٢] أو النايات الليدية[٣] (نسبة إلى ليديا) والنايات الفريجية[٤] (نسبة إلى فريجى) والـ elymes أو الـ scytalies[٥]، والـ gingrines[٦] والـ sambuques lyrophéniciennes[٧] والـــــــ nables[٨] والـــــــــــ

---

(١) انظر دراستنا عن الآلات الموسيقية المختلفة التى نجدها وسط النقوش التى تشكل زخارف للمبانى القديمة فى مصر وعن الأسماء التى أطلقها عليها ، فى لغتها الأصلية ، الشعوب الأولى التى سكنت هذا البلد . [القسم الثانى من هذا المجلد] .

(٢) انظر الهامش رقم ٢٨ .

(٣) Pindar. olymp. od. V, v. 44 et 45

(٤) يوريبيديس ، الباخيات ، بيت ١٢٦ وما يليه ؛ أثينايوس ، مأدبة الفلاسفة الكتاب الرابع عشر ، الفصل الثامن .

(٥) وقد اخترعها أهالى فريجيا . Athen. Deipn . lib IV, cap. 24

(٦) وقد اخترعها الفينيقيون .
Id. ibid. lib IV, cap 23.

(٧) وقد اخترعها الفينيقيون . وقد كانت نوعا من المزامير
Id. ibid.

(٨) وقد اخترعها القابا دوكيان ، طبقا لما يذكره كليمانس السكندرى
Strom. lib I, pag. 307

وإن كان أثينايوس (Deipn. lib IV, cap 23) يذكر ان الذين إخترعوها هم الفينيقيون .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والـ dichordes[١] والـ phominx[٢] والـ trigone[٣] والـ pectis[٤] والـ épigone والـ iambiques[٥] والـ magadis والـ syrigmon[٦] والـ phénice والـ scindapse والـ enneachorde[٧] والـ barbriton[٨] .. الخ .

وأخيراً فقد كل هؤلاء الذين أدخلوا بعض الابتكارات إلى الموسيقى إما إغريقا وإما آسيويين[٩].

أما الآلة الوحيدة التى يتفق على نسب اختراعها إلى المصريين فهى الدف[١٠]؛ واذا صح أن نحكم على القدامى بما يقول المحدثون ، فلعلنا لن نجد شعبا فى العالم ، فيما عدا الصينيين، قد تملك مثل هذا العدد من الأنواع المختلفة من الدفوف ، أو قد ذهب إلى مثل هذا المدى البعيد فى فن استخدامها وتنويع نغماتها[١١]. ومع ذلك فعلينا ألا نبتعد عن العصور التى نستطيع أن نتاولها بالدراسة ، مستندين فى ذلك على بعض آثار توضح ما كانت عليه موسيقى قدماء المصريين ، وبصفة خاصة ، ما كانه فن العزف على الآلات الموسيقية ، وهو الشىء الذى يعطى طابع الحالة الثانية للفن فى مصر .

---

(١) أى القيثارة ذات الوترين وقد اخترعها الأشوريون ، كليمانس السكندرى ، المرجع السابق ، الكتاب الأول ، ص ٣٠٧ .

(٢) اخترعها الصقليون ، شرحه ، المرجع السابق .

(٣) اخترعها السريان ، أثينايوس ، المرجع السابق ، الكتاب الرابع ، الفصل ٩

(٤) اخترعها سافو (أثينايوس ، المرجع السابق ، الكتاب الرابع ، الفصل ٩) .

(٥) أو السنطور المستقيم اخترعها إبيجون من ابركيا ، أثينايوس ، الكتاب الرابع ، الفصل ٢٥ أو لا يمكن أن تكون هذه الآلة نوعا من الجنك (الهارب) ؟ ولقد كان إبيجون كذلك هو أول من مازج بين الجيتار (الآلات الوترية) وبين الناى . (أثينايوس ، الكتاب الرابع عشر ، الفصل ٩) .

(٦) وقد اخترعها كذلك إبيجون ، أثينايوس ، المرجع السابق .

(٧) أى القيثارة ذات التسعة أوتار وقد اخترعها الآشوريون ، شرحه ، المرجع السابق .

(٨) وقد اخترعها ترياندر من جزيرة لسبوس ، أثينايوس ، الكتاب الرابع عشر ، الفصل التاسع .

(٩) بلين ، التاريخ الطبيعى ، الكتاب الرابع ، الفصل ٥٦ ؛ كليمانس السكندرى ، المرجع السابق ، الكتاب الأول ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

(١٠) Clem. Alex. Paedag. lib II, pag. 164.

(١١) انظر وصفنا للآلات الشرقية ، الباب الثالث ؛ عن الآلات الصاخبة (أو آلات الإيقاع) ، الدولة الحديثة ، المجلد الأول ، ص ٩٧٦ (المجلد التاسع من الترجمة العربية) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك فإن زيادة عدد الأوتار فى القيثارة لا تعود لأبعد من قرنين قبل حرب طروادة ، أى بعد بضع سنوات من وجود هيجانيس ، ولم تكن القيثارة ذات الأوتار الأربعة التى اسماها الأغريق كذلك قيثارة عطارد ، ليتبناها أورفيوس – دون جدال – إلا بعد عودته إلى اليونان قادما من مصر ، قاصدا أن يجعل منها مقابلة لفصول السنة (الأربعة) التى تنقسم إليها السنة فى هذا البلد ، على غرار القيثارة المصرية ذات الأوتار الثلاثة عند المصريين ، والتى كان قد اخترعها عطارد إشارة لفصول السنة الثلاثة فى مصر : وتلك نتيجة ضرورية لما ينقله إلينا ديودور[١] حين يقول بأن أورفيوس ، كى يحظى بإعجاب الأغريق ، قد استبدل بأسماء آلهة مصر أسماء بعض أبطال الاغريق القدماء ، وانه أدخل ، بهذا الخصوص ، تجديدات وابتكارات على طقوس الاحتفالات الدينية التى للمصريين ، إذن فلابد أنه قد فعل الشىء نفسه بخصوص القيثارة ، ولابد أنه قد أعطاها كذلك طابعا إغريقيا ، حين ركب عليها أوتارا أربعة ، وحين جعل كل واحدة من نغماتها الأربع تقابل واحدا من فصول السنة الأربعة ؛ وان كنا لا نستطيع أن نعتقد فى أنه – هو – مخترعها ، بل إننا نظن انها تستمد أصولها كذلك من آسيا .

وعندما نقرأ عند بويكا[٢] Boece ، ان القيثارة لم تكن بعد قد زودت بأربعة أوتار وان كروييه Croebe قد زودها بوتر خامس ثم زودها هيجانيس بالسادس .. الخ فإننا نجد أنفسنا أمام رواية تقدم لنا مفاجأة تاريخية تبعث على الصدمة ، حتى ليدرك المرء للوهلة الأولى أن هناك خطأ من جانب المؤلف أو بالأحرى من جانب ناسخه ، الذى قد نقل ولابد ، دون أن يدرك ذلك ، بضع كلمات من سطر لآخر ، وأحدث بذلك اضطرابا فى الأسماء والأزمان .

إن من المستحيل أن يستطيع هيجانيس الذى عاش قبل قرنين من حرب طروادة إضافة وتر سادس إلى قيثارة كروييه الذى لم يكن قد جاء إلى الحياة إلا قبيل الفترة التى دمرت خلالها هذه المدينة ؛ إذن فمن الواجب علينا أن نعود بإضافة الوتر الرابع للقيثارة إلى القرن الذى سبق القرن الذى عاش فيه أورفيوس ، وهناك شواهد كثيرة تدل على أن هذا الابتكار قد تم على يد أوليمب نفسه ، وهو الذى علم الأغريق[٣] – فيما

(١) تاريخ المكتبات (سترابون) ، الكتاب الأول ، الفصل ٢٣ .

(٢) عن الموسيقى DE MUsica ، الكتاب الأول ، الفصل ٢٠ .

(٣) انظر ما سبق ، فى المبحث نفسه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يقال ـ فن التوقيع على الآلات ، الوترية إذ هو قد اكتسب فى ذلك صيتا ذائعا[١]؛ فهو ، طبقا لما يقدمه مفسر أو شارح أريستوفان ، الذى وضع قوانين الجيتار والذى قام بتعليمها للإغريق ؛ وعلى هذا ، فحين نعرف ان ما كان يطلق عليه فى هذا الفن اسم « قوانين » الموسيقى القديمة لم يكن شيئا آخر سوى المبادىء والقواعد التى كان على المرء طبقا لها أن يقوم بالاداء والعزف ، فإننا سندرك بسهولة أن أوليمب حين أضاف وترا جديدا للقيثارة ، كان عليه ، فى الوقت ذاته ، أن يصطنع مبادىء جديدة وقواعد جديدة تحكم طرق استخدامها ؛ ومع دورة الزمن أمكن كروييه[٢] أن يضيف وترا آخر إلى القيثارة ؛ ومع ذلك فإذا حدث أنه لم يكن هو على قيد الحياة إلا قبيل حصار طروادة ، فسيكون من المرجح ، والحالة هذه ، أن وتر كروييه هذا ما كان ليصبح الوتر الخامس ، الذى يحتمل أن تكون القيثارة قد حصلت عليه بالفعل فى زمن سابق .

وإذا صدقنا ما يقوله عن ذلك باوسانياس Pausanias فإن أمفيون قد أضاف ثلاثة أوتار إلى الأوتار الأربعة التى كانت للقيثارة ويعنى ذلك ، إذا كان المقصود هنا هو أمفيون الأول ، ان القيثارة ذات السبعة أوتار قد عرفت بدءا من العام ١٤١٧ قبل العصر المسيحى ، أى فى القرن نفسه الذى عاش فيه هيجانيس وكذلك فى الفترة التى يمكن أن يكون ابنه مارسياس قد عاش فيها ؛ أما حين لا ننسب هذا الابتكار إلا لأمفيون الثانى فسوف تعود أقدمية هذه القيثارة إلى العام ١٢٢٦ ق . م[٣]، وهو ما يرجح أن تكون القيثارة ذات الأوتار الأربعة قد عرفت بالفعل قبل وجود أورفيوس . إذن فقد كنا نقف على أرض صلبة عندما انتابنا الشك فى أن تكون هذه القيثارة قد تم ابتكارها على يد الأخير ، وحين ظننا أنها تستمد أصولها من آسيا ، كما أننا لم نبتعد كثيرا عن الصواب حين نسبنا هذه القيثارة إلى أوليمب الذى ابتكر قوانين الجيتار .

قد لا نستطيع أن نحدد ، على وجه الدقة الصارمة ، الفترة التى أدخلت فيها القيثارة ذات الأوتار السبعة إلى اليونان ، لكننا نستطيع أن نخلص إلى أنها لم تحظ هناك بالقبول إلا بعد قرون عدة من اختراعها فى آسيا ؛ ولقد سميت هذه القيثارة كذلك

---

(١) Remarques sur le Dialogue de Plutarque touchant la musique, art. XXX Mém. de l'Acad. des inscriptions et belles- lettres, tom. X, pag. 254 et siuv.

(٢) Graeciae Descriptio, lib IX, de Boetica, pag. 550, Hanoviae, 1613, in- fol.

(٣) وفى الواقع فإن هذا النوع من القيثارات قد عرفه هوميروس الذى عاش قريبا من هذه الفترة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بقيثارة عطارد ، ربما لأنهم قد جعلوا منها رمزا فلكيا بأن أقاموا رابطة بين كل واحدة من نعماتها السبع وبين واحدة من الكواكب السبعة . ولقد كان هوميروس هو أول ، أو على نحو أدق ، هو أقدم مؤلف عرفناه يحدثنا عن هذا النوع من القيثارات ، حين وصف هذه الآلة الموسيقية[1] وتحدث عن المغامرة التى أدت إلى نسبة اختراعها إلى عطارد ، فقد جاءت فكرة هذه القيثارة إلى الإله حين رأى سلحفاة تقبل نحوه[2] وحين أعجب بهذه الفكرة أمسك بالحيوان على الفور ، وأفرغ صدفته من جسده وغطاها بجلد ، وثبت عليها رافعة وقنطرة لتشد الأوتار السبعة التى وضعها عليها ، وهكذا نشأت قيثارة جيدة الصنع . إن هوميروس لم يفعل ، بإعطائه لهذه الآلة أصلا مقدسا ، سوى ما كان قد فعله الشعراء الأولون من قبله ، كذلك فقد كان كل من المصريين والاغريق يكنون لقيثاراتهم من صنع عطارد تبجيلا دينيا ، وحين أراد الشعراء أن يحملوهم على تبنى آلات جديدة من هذا النوع ، فقد تحتم على هؤلاء الشعراء فى النهاية ، كى يدفعوا وساوسهم — أى وساوس المصريين والأغريق — أن يقربوها إليهم باعتبارها قيثارات من صنع عطارد : عندئذ كانوا يفسرون الأمر متخيلين أنه قد تم على هذا النحو ، وهنا فقط كان كل قلق أو تردد يتبدد ؛ ولم يكن القوم ليتخذوا مثل هذه الاحتياطات جميعها ما لم يكونوا يخشون الرأى العام ، والقوانين نفسها ، التى كانت تلفظ وتدين كل بدعة من هذا النوع .

وطبقا لظواهر الأمور فلم يكن يتسامح فى هذه الخدعة من جانب الشعراء إلا لكى لا يبدو القوم خارقين للأنظمة والمؤسسات بالغة القوة ، وإلا لكى يتم تملق ومسايرة مشاعر وأفكار الرجل العادى ، الذى لم يشأ أحد أن ينأى به عن أفكاره الدينية ، خوفا من أن ينفصل فى الوقت نفسه عن مبادىء ديانته ، وعن مبادىء الأخلاقيات العامة ، ولكن الشعراء والفلاسفة كانوا يعرفون على الدوام أين يقفون وماذا يعنى ما يقولون ؛ فترباندر Terpander كان يعرف جيدا أن هذه القيثارة ذات الأوتار

---

(١) نشيد إلى مركوريوس (عطارد) .

(٢) قدم فيلوستر اتوس بدوزه ، فى لوحاته ، وصفا لهذه الآلة التى اخترعها عطارد ، وان كان آخرون يحكون أنه حدث أن ارتطمت قدم عطارد بجسد ميت وجاف لسلحفاة تركها النيل على الشاطىء بعد انحساره ، وهو الذى جاء بها إلى هذا المكان عند فيضه ، وإذ أدى ارتطامه بها إلى حدوث رنين صادر عن أمعائها ، فقد استلهم عطارد من ذلك فكرة صنع قيثارته منها .

السبعة ليست أول قيثارة تخترع ، كما لم يكن يجهل ان هذه القيثارة قد حلت محل أخرى أكثر بساطة ، هى القيثارة ذات الأربعة أوتار ؛ ونقدم برهانا على ذلك هذين البيتين من شعره ، يوردهما إقليدس فى مقدمته عن الهارمونى أو التناغم[١]:

غير أننا بعد أن نبذنا الأنشودة ذات الصوت الرباعى ؛

سوف ننشد بعد ذلك أناشيد جديدة على القيثارة ذات الأوتار السبعة .

وواضح من هذين البيتين أن الاغريق كانوا قد هجروا القيثارة ذات الأوتار الأربعة ، تلك التى كانت تستخدم فى ذلك الوقت فى ضبط الغناء ، كى تحل محلها القيثارة ذات الأوتار السبعة التى أتاحت للموسيقىّ – الشاعر ، حين منحته سهولة فى تنويع طبقة الصوت وزيادة فى مدى تنغيماته لأبعد مما كان يستطيع من قبل ، دافعا قويا لتأليف أغنيات وأناشيد جديدة ؛ ومع ذلك فإن علينا أن نسترعى الانتباه إلى أن هذه القيثارة لم تكن تستخدم فى الابتهالات الدينية التى تؤدى فى أيام الأعياد ، وبصفة خاصة الاحتفال الذى يقام عند اكتمال بدر الربيع ، على شرف أبوللون الكارى[٢].

وبرغم أن القيثارة ذات الأوتار العشرة قد عرفت فى آسيا وحظيت باحترام كبير من جانب العبريين منذ القرن العاشر قبل الميلاد ، فيبدو مع ذلك أنها كانت لا تزال مجهولة لمدة بلغت ثلاثة قرون إلى ما بعد هذا التاريخ فى بلاد اليونان ؛ أى إلى الفترة التى كان يعيش فيهاترباندر ؛ ذلك أن هذا الشاعر لا يتحدث عن القيثارة ذات الأوتار السبعة إلا كنوع جديد من القيثارات حل حديثا محل القيثارة ذات الأوتار الأربعة : ومن هنا نستطيع الافتراض بأن هوميروس ، الذى وضع أسطورة اكتشاف عطارد لهذه القيثارة ، كان هو نفسه -ربما- مخترعها ، اللهم إذا لم يكن قد سبق ابتكارها من قبل على يد أمفيون ، أما بخصوص القيثارة ذات الأوتار العشرة فإن أقدم

---

(١) فى العصور القديمة ، مؤلفى الموسيقى السبعة ، المجلد الأول ، ص ١٩ .

(٢) كثير من الشعراء

يتغنون بك على القيثارة ذات الأوتار السبعة ،

وكذلك يثنون عليك ويمجدونك فى الأناشيد التى لا تعزف على القيثارة ،

عندما تعود من جديد دورة ذلك الوقت

من الشهر على اسبرطة فى مهرجان أبوللون

ويظل الاحتفال بها طول الليل ، عندما يكون القمر بدرا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شاعر تحدث عنها هو أيون IOn الذى عاش فى نحو القرن الخامس قبل الميلاد ؛ كذلك فقد كان هذا الشاعر يونانيا من إيفيزا فى آسيا الصغرى وهو يقدم لنا القيثارة ذات الأوتار العشرة باعتبارها قد حلت محل القيثارة سباعية الأوتار ، فى هذه الأبيات من شعره :

إنك تأتين فى المرتبة العاشرة
فيما يتعلق باتفاق (انسجام) اللحن الثلاثى للهارمونية ،
فجميع الاغريق قد كانوا — قبل القيثارة ذات الأوتار الإثنى عشر ،
يغنون أناشيدهم على القيثارة ذات الأوتار السبعة ،
التى كانت نادرا ما تبهج ربة العشق .

ولا يستطيع المرء أن يشك فى أن كل هذه الابتكارات قد انتقلت إلى مصر وعرفت فيها بمجرد أن وجدت لنفسها إلى هناك سبيلا ؛ ومع ذلك فينبغى أن نكون على يقين أنها قد وصلت إلى هناك متأخرة عنها فى أى مكان آخر ، طبقا لكل الأسباب التى سقناها حتى الآن ، فالعقبات التى كانت تعترض توغلها إلى هناك كان لابد لها أن تضعف تدريجيا ثم ينتهى بها الأمر أن تنقشع كلية ، مع فقدان القوانين القديمة لهذه البلاد لقوتها وسطوتها ، ومع إفساح التقاليد القديمة مكانها لتقاليد جديدة ، وفى الواقع فإن المرء يرى آلات موسيقية من كل هذه الأنواع مرسومة ومنقوشة فوق جدران المنشآت القديمة فى مصر ، ويراها المرء بين يدى أشخاص يبدو من مظهرهم أنهم كهان مصريون ، كما نجدها بالمثل بين أيدى شخصيات أو آلهة رمزيين ، وهم فى هيئة العازف : اذن فقد كانت هذه تستخدم ليس فقط فى الاحتفالات المدنية أو السياسية ، بل كذلك فى الحفلات الدينية ، ذلك أننا لا نسعى لاستبعاد الحجج أو الأسباب التى تنهض ضد رأينا ، بل إننا نريد ، عكس ذلك ، ان نضع القارىء فى وضع من يستطيع أن يحكم بنفسه طبقا لمعطيات الوقائع .

ومع ذلك فسنظل على موقفنا من أننا لا نتصور أن يكون المصريون القدماء قد أمكنهم أن يستخدموا هذه الآلات قبل زمن اختراعها فى آسيا ، فلم يكن يدخل قط فى تقاليد وأخلاقيات هذا الشعب ، وفى مبادئه الدينية والسياسية الصارمة ، أن تتقبل هذه الأنواع من الآلات الموسيقية . وليس هناك ظل لسبب فى أن يرسموا على جدران مقابرهم مشاهد مرح ولهو عامين وتمرينات رياضية ورقصات الخ ، وان يقدموا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى هذه الأماكن رسوما لرحلات صيد الطيور وللمواكب الجنائزية ، ولحفلات الميلاد وعمليات التحنيط وصيد السمك وأعمال الزراعة الخ بالشكل الذى نلاحظه فى كهوف إيليتيا (الكاب) ؛ وأن يهملوا فى الوقت نفسه تمثيل ذلك فوق جدران قصورهم وكذلك فى المناسبات الأخرى التى تعد مناسبات سرور وحبور ومتعة ؛ كان بالامكان ان يكون فى هذا تنافر بالغ اللامعقولية من جانبهم ، وذلك حين يجمعون فى أماكن الحداد والأحزان هذه أدوات ووسائل الرفاهية والترف من كل نوع ، إلى جانب العبيد أو المجرمين الذين تعرضوا لوطأة التعذيب أو حكم عليهم بالموت ، وان يرسموا هؤلاء وهم يعزفون على الآلات الموسيقية أمام الشخصيات الهامة ، وهو ما يراه المرء فى مقابر الملوك ؛ إن هذه اللملمة تمثل شتاتا متنافرا يبعث على الصدمة الشديدة ، ويتعارض مع فكرة أن المصريين يتخذون لأنفسهم من مقارهم الأخيرة هذه دورا للنسيان والسلام والصمت الأبدى ؛ وإنه لمن المستحيل بشكل مطلق أن نوفق بين ذلك وبين الدقة الوسواسة التى كانت تحدوا بهم أن يراعوا فى كل شىء الحشمة واللياقة ، والنظام والانسجام ، وأن يلاحظوا بشكل بالغ الصرامة التوافق والتناغم حتى فى الأشياء بالغة الصغر ، ولن يكون فى ذلك بالتأكيد سوى اللامبلاة أو الاهدار لمبادئهم ، وهو أمر يستحق الإدانة إذ يؤدى إلى تنفيذ أشياء مماثلة .

ومع ذلك مرة أخرى ، فلماذا لا يكون المصريون الذين لفظوا بقدر كبير من الازدراء استخدام الموسيقى المتنوعة وبالتالى استخدام الموسيقى الآلية ، قد استخدموها فى الحفلات الجنائزية على وجه التحديد ، وليس فى أية مناسبة أخرى أو ظرف آخر ؟ ذلك أنه يجدر بالملاحظة أن آلات الجنك (الهارب) التى يراها المرء مرسومة فى احدى مقابر الملوك ، فى حين لا يلمح المرء أى صنف آخر من الآلات الموسيقية من هذا النوع فى المقابر الأخريات ، قد زودت بعدد كبير من الأوتار . وعلى هذا ، فلماذا يقومون برسمها فوق جدران مقابرهم فى حين أنهم قد استبعدوها من كل احتفالاتهم ومناسباتهم الحزينة ومن ضروب الغناء التى كانت تؤدى فيها ؟ ولماذ لا يستخدمها الكهان المصريون لمصاحبة الأغنيات الجنائزية التى كانوا ينشدونها فوق مقبرة أوزيريس ، أو تلك التي كانوا يغنونها ، سواء عند موت ملوكهم أو عند موت أفراد من بينهم ؟ وكيف يتأتى أن ينسى كل من ديودور الصقلى وهيرودوت ، وهما يحدثاننا عن ضروب الغناء التى كانت تؤدى فى هذه المناسبات أن يشيرا ، وكأنما تم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأمر بالتنسيق بينهما ، إلى الآلات الموسيقية التى كانت تصاحب هذه الأغنيات ؟ وأى اتفاق عجيب هذا الذى يمكن أن يقوم بين هذا العدد الكبير من المؤلفين القدماء ؟ فلقد زار مصر شعراء وفلاسفة الخ كثيرون منذ عصر هزيود ولم يشر أحد منهم ، مجرد إشارة ، إلى هذه الآلات الموسيقية ، عند المصريين ، وكيف يحدث أن يتفق كل هؤلاء الذين يتحدثون عن هذا الفن وبشكل إجماعى ، على النظر إلى هذه الابتكارات باعتبارها قد ابتكرت أصلا فى آسيا وعلى يد الآسيويين ؟ اننا لا نعرف وسيلة أخرى لحل كل هذه الصعوبات إلا تلك التى أخذنا بها : فهى توفق بين كل الوقائع وتجد لنفسها دعما تقدمه شهادات التاريخ ، كما أنها فى الوقت نفسه تتوافق مع مسار الخطوات التى خطاها فن الموسيقى نحو التقدم .

ونحن حين نستعيد كل مرة ، تلك الفترة التى حصلت فيها أنواع الآلات الموسيقية المختلفة على بعض زيادة فى وسائل صنعها ، فإننا نضع كل امرىء فى وضع يمكنه من أن يحدد بطريقة دقيقة وموضوعية الازمان التى كانت هذه الآلات فيها لا تزال مجهولة فى مصر ، وبالتالى نمكنه من تحديد الزمن الذى بدأت فيه الحالة الثانية لفن الموسيقى فى هذا البلد ، أى الفترة التى هجرت فيها – محاكاة للآسيويين – مبادىء الموسيقى التى كانت لا تشتمل إلا على الرشاقة والجمال وحيوية التعبير بالكلمات كى يكب المصريون ، أكثر ، على دراسة الموسيقى الآلية ، التى سرعان ما اندمجت ، وهى فن مصطنع محض ، بالغناء ، كما سنرى بعد قليل .

يتفق كل من فريكرات (السورى) Phérécrate[1] وأريستوفان[2]، وهما من شعراء الكوميديا ، وكذلك أفلاطون الفيلسوف[3] ، وهم الثلاثة متعاصرون ، على نسبة كل الابتكارات الموسيقية التى أدخلت إلى اليونان إلى نحو قرن أو قرنين قبل مجيئهم (وهو

---

(١) بلوتارك ، حوار حول الموسيقى القديمة ، ص ٦٦٥ .

(٢) مسرحية الحب ، الفصل ٣ ، المشهد ٣ .

ونحن من جانبنا نأسف ، من أننا لم نضع هنا تحت بصر القارىء النصوص التى نشير إليها من أفلاطون وأريستوفان ، وبلوتارك ، خشية من جانبنا أن يصيب ذلك القارىء بالارتباك ؛ وان كانت هذه النصوص بالغة الأهمية وضعها رجال شغفوا بالتعرف على حالة الموسيقى القديمة .

(٣) القوانين ، الكتاب الثالث ؛ بلوتارك ، المرجع السابق ؛ وكذلك أحاديث المائدة ، الكتاب الخامس ، السؤال الثانى (أو القضية الثانية) .

زمن يتفق مع الزمن الذى فتح فيه قمبيز مصر) ، وكذلك على نسبة الاضطرابات التى أفسدت هذا الفن إلى عدم كفاية القوانين الجديدة التى تم وضعها بعد أن تم تغيير الحكومة القديمة التى كانت تقوم على النمط المصرى ، تلك التى كانت تعيش قبلهم بنحو أربعمائة عام ، ويشكو ثلاثتهم بمرارة من أن القوم هناك لم يتحفظوا بالقوانين التى كانت تردع كل أمور الخلاعة والفسق وكل البدع وتقصيها عن فن الموسيقى ؛ إذن فها هى نفس الأسباب تؤدى هنا إلى نفس النتائج كما حدث فى مصر حين غير الفرس المشبعون بكل الابتكارات التى كانت تتلف هذا الفن ، حكومتها القديمة بعد أن فتحوها .

أما الشخص الذى أصاب الغناء ، طبقا لأقوال القدماء ، بأكثر الأضرار خطورة ومباشرة فهو ميلانيبيديس Melanippide[١] مما جعل فكريكويس[٢] فى إحدى كوميدياته ، يظهر الموسيقى فى ثوب امرأة ممزقة الجسد بفعل ما كانت تلقاه على يد الموسيقيين ، وتئن شاكية بصفة خاصة من أن ميلانيبيد قد جعل منها ، بعزفه على قيثارة ذات اثنى عشر وترا رخوة ، سقيمة ، خائرة القوى ، ومع ذلك فقد رأينا قيثارات تحمل أوتارا أكبر عددا من ذلك مرسومة فى واحدة من مقابر ملوك مصر : فهل سيقال ان القدماء المصريين كانوا أقل تشددا وأكثر تسامحا عما كان عليه الإغريق بخصوص الموسيقى ؟ لكن شهادة أفلاطون تقوض هذا الزعم . إذن فعلينا بالضرورة أن نضع كل الآلات الموسيقية من هذا النوع ، فى الحالة الثانية للموسيقى فى مصر .

وعلينا كذلك دون شك ، على غرار ما فعل أفلاطون ، أن ننسب الانحرافات التى أصابت الموسيقى إلى الشعراء[٣]، وبخاصة هؤلاء الذين جعلوا الغناء يفقد وقاره النبيل ، حين بات جل همهم ان يدخلوا السرور على قلوب العامة بدلا من أن يتولوا مسئولية تعليمهم . وهكذا فعندما غير ثسبيس[٤] Thespis أو شخص آخر قبله[٥]

---

(١) عاش ميلانيبيديس قبل ميلاد المسيح بأربعمائة وستين عاما ، وبعد فتح مصر على يد قمبيز بأكثر من نصف قرن .

(٢) بلوتارك ، المرجع السابق .

(٣) نكر أن أفلاطون يقصد بهذه الكلمة المؤلفين على وجه الاطلاق ، الذين كانوا هم ، فى الوقت نفسه شعر . وموسيقيين

(٤) نانى سبيس فى العام ٥٣٦ ق . م .

(٥) يخبرنا أفلاطون عند قرب نهاية مقالته المعنونة مينوس Minos أن التراجيديا كانت بالغة القدم فى =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الديتيرامبه وهى الأشعار الدينية التى كانت تؤدى أصلا للاحتفالات بمولد باخوس[١] إلى هزليات شعبية ، فقد أصبح لزاما عليه أن يحل محل الأغنيات الوقورة لهذا العيد أغانى أكثر خفة ، من شأنها أن تسرى عن العامة ! وحيث لم تكن هذه الأغنيات الأخيرة سوى تحريف أو محاكاة ساخرة للاغانى الأولى ، حتى أصبحت هذه هزلية تبعث على الضحك ، فإن الموسيقيين الذين كانوا يؤدونها لم تستطيعوا إلا أن يستبيحوا لأنفسهم كل ما عن لهم من ضروب الخلاعة ؛ ومن هنا جاءت كل المساوىء التى انزلقت إلى هذا الفن . كذلك فقد وجهت التهم إلى فينيسياس Cinésias وفيرنيس Phyrnis وتيموثيه Timothée على لسان السيدة « الموسيقى » فى كوميديا فريكويس بأنهم قد أهانوها : أما الأول وهو موسيقىّ زنديق ماجن[٢] فقد زاد من الاضطراب

= أثينا ، وأنها قد نشأت منذ ما قبل عصر تسبيس وفرينيك Phrynique ؛ ويضيف بأنه إذا ما أريد اجراء بحث عن ذلك ، فسوف نجد أنها قد وجدت قبل تأسيس مدينة أثينا ، وأنها كانت نوعا من الشعر الذى يدخل البهجة كثيرا على قلوب الناس ؛ اما أرسطو فى كتابه فن الشعر أو البويطيقا فيظن أن التراجيديا قد جاءت عن نوع من الشعر يسمى الديتيرامبه أى قصائد المدح المغالى فيه ؛ وسوف نكتشف عندما نتصدى للضروب المختلفة من الغناء والأشعار عند المصريين القدماء أن قصائد المدح المبالغ فيه من أصل مصرى ، بل ان الاسم الذى يطلق عليها هو نفسه اسم مصرى .

(١) أفلاطون ، القوانين ، الكتاب الثالث .

وقد كان باخوس عند الاغريق هو نفسه الآله المصرى المعروف فى مصر باسم أوزيريس ؛ ولم يكن هذا الإله الذى نقل أورفيوس عبادته إلى اليونان ، بعد أن غير اسمه ، طبقا لما يخبرنا به ديودور الصقلى ، فى مكتبته التاريخية ، الكتاب الأول ، الفصل ٣٣ ، وكذلك لاكتانس فى كتابه عن الديانات الزائفة Falsa Religione ، الكتاب الأول ، الفصل ٢٢ – لم يكن شيئا آخر سوى إله رمزى يمثل مبدأ الخصوبة .

(٢) انظر :

Mémoires de l'Academie des inscriptions et des belles-lettres, tom. XV, in 40, p. 343

ويبدو أن أفلاطون ، هو أيضا ، لم يكن له رأى محبذ لقينيسياس ، إذ يقول على لسان سقراط فى محاورته جورجياس :

« هل تظن أن قينيسياس بن فيليس يهمه كثيرا أن تؤدى أغنياته إلى الأخذ بيد سامعيها نحو الأفضل أم أنه لا يهدف لشىء آخر سوى أن تنال أغانيه اعجاب جمهور مستمعيه ؟ »

ثم يتحدث عنه أفلاطون فى مكان آخر باعتباره رجلا سيىء الخلق .

أما أثينايوس فى مؤلفه :

Deipn, lib XXII, cap. B, pag. 551

فيصور قينيسياس على أنه رجل فاسد ومؤلف خطر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذى أدخله ميلانيبيديس من قبل فى فن الموسيقى ، عن طريق الزخارف والحواشى التى أثقل بها من جديد كاهل اللحن ؛ اما فيرنيس[1]، فقد كان أكثر جرءة من كل السابقين عليه ، فقد تجاسر على تخيل تكوينات جديدة من النغمات ، وتعقيدات جديدة ، وتغييرات فى طبقات الصوت شوهت من الطابع المبدئى للموسيقى ؛ ثم جاء بعد ذلك تيموثيه يزايد على سابقيه وليزيد الطين بلة فى انحدار الفن ؛ ولهذا فقد أدين فى اسبارطة بحكم يتفق بشكل مطلق مع مبادىء المصريين ؛ حكم كانت حيثياته **أنه قد علم الأطفال ، الذى عليه أن يعلمهم ، موسيقى مزدحمة الأنغام لحد مبالغ فيه ، مما جعلهم يفقدون الاعتدال الذى توحى به الفضيلة ، وأنه أحل النوع الكروماتيكى ، وهو رخو بطبعه ، محل التناغم (الهارمونى) البسيط الذى كان – هو – قد تعلمه .**

ولا يدع هذا الحكم الذى يصدر ضد موسيقى آسيوى[2]، كما لا تدع السخرية والتهكم اللذين جاءا فى الكوميديات التى أشرنا للتو إليها ، الفرصة لتسرب أى شكوك لا عن نوع الموسيقى التى كان المصريون يعدون استعمالها خطرا على الأخلاق ، ولا عن موطن أصلها ولا عن سبب فسادها ؛ ويستطيع المرء أن يرى بوضوح أنها كانت موسيقى مزدحمة الأنغام ، رخوة وأن فسادها صادر عن المساوىء التى كان القوم يحدثونها فى آسيا الصغرى ، بسبب ما كانوا يبذلونه من جهد هناك سعيا وراء زيادة الأنغام زيادة مضاعفة ، واثقال كاهل اللحن بالزخارف والحواشى حيث تزدحم الأنغام مما يؤدى إلى إزهاق روح الفن وجفاف ينابيعه ؛ وبمعنى آخر فإن ما حدث فى اسبارطة كان ينبغى له أيضا أن يحدث فى مصر ، كل مرة يحاول فيها الآسيويون أن ينفذوا إليها موسيقاهم من قبل أن يستولى عليها الفرس ؛ ومع ذلك ، فبمجرد أن أصبح هؤلاء الفرس سادة لها فإن شيئا لم

---

(١) ظلت طريقة فيرنيس محرمة لوقت طويل فى مدارس أثينا ، انظر :
أريستوفان ، السحب ، الفصل الثالث ، المشهد الثالث الأبيات ٩ – ١٢
ويتحدث أريستوفان هذا كثيرا عن قينيسياس فيرنيس ولكنه لا يذكرهما مرة واحدة بالخير .

(٢) تألق تيموثيه فى العام ٣٥٧ ق . م ؛ وكان ينتمى إلى مدينة ميليه Milet فى أيونيا ، وهى منطقة فى آسيا الصغرى ، حيث الأخلاق فى أكثر حالاتها انحلالا وتفسخا ، ويتحدث ديموستين Démostine باحتقار شديد عن هؤلاء الأقوام فى خطبه عن حكومة الجمهورية . ويطلق أسخيلوس على الأغانى الأيونية اسم الأغنيات الباعثة على الكآبة والمدرة للدموع ، أى الباعثة على البكاء Philodyrtos .

يحل دون أن تنتشر فى أرجائها هذه الموسيقى الخطرة ، بفعل التدهور الذى اعترى الفن ، وفى واقع الأمر فإنها بمرور الأيام قد انتشرت هناك بسرعة أكبر كثيرًا من تلك التى انتشرت بها فى اليونان . وبلا ريب فقد كان الناى من بين أولى الآلات الموسيقية التى أدخلت إلى مصر ، وهى الآلة التى يتحدث عنها هيرودوت فى كتابه الثانى من تاريخه عندما يقول : كانت السيدات فى أعياد باخوس يذهبن من قرية لأخرى ، ينشدن مدائح لهذا الآله ؛ أو حين يصف العيد الذى كان يقام فى بوباسطة على شرف ديانا ، والذى كان الناس يتوجهون إليه من كل صوب عن طريق النيل بالقوارب ، رجالا ونساء ، كلهم معا فالبعض يغنون ، يصفقون أو يدقون بأيديهم ، والبعض الآخر يعزفون على الناى[1]؛ أما النسوة فكن يؤرجحن الجلاجل .

ان هيرودوت هنا لا يتحدث عن أمور علم بها عن طريق النقل والرواية ، وإنما كان يتحدث عما رآه رأى العين . ولابد لنا أن نلاحظ بهذا الخصوص أنه لم يكن قد مضى بعد قرن من الزمان على دخول الفرس مصر لأول مرة ، وعلى حكمهم لها ، عندما كان هذا الرحالة يجوب هذه الـبلاد ؛ وبمعنى آخر ، فقد كان لابد من مرور كل هذا الوقت على الأقل حتى يتمكن المصريون من أن يحسموا أمرهم فى أن يتقبلوا استخدام الناى فى احتفالاتهم الدينية وأن يصحبوا أغنياتهم بآلة كانت بسيطة للغاية ، وبلا ثقوب لتعيين ملامسها ، مع أنها كانت من قبل معروفة لهم ، وإن كانت لها وجهة أخرى . وإذا كانت الجنك أو القيثارات المزودة بعدد كبير من الأوتار قد حظيت بالقبول من جانبهم فى ذلك الوقت ، فمما لا شك فيه أنهم لم يستخدموها لمصاحبة أغنياتهم والأعياد ، كما أن هيرودوت لم يورد عنها أية إشارة ، على النحو الذى أشار به إلى الناى الذى انتهينا من الحديث عنه ؛ وهذا دليل لنا كذلك على أن هذا النوع من الآلات الوترية التى نجدها محفورة أو منقوشة فوق جدران المنشآت القديمة فى مصر لا يمكنها أن تغدو من نتاج الحالة الأولى للموسيقى فى هذا البلد ، بل هى تنتمى ، عكس ذلك ، إلى الحالة الثانية .

---

(١) فى ذلك الوقت ، كانت تصنع نايات بالغة الفخامة من سيقان اللوتس الذى ينمو بوفرة فى ليبيا كما يخبرنا بذلك شارح أو المعلق على أعمال يوريبيديس فى الكلمات livin avlon أى المزمار الليبى (ألكست ، البيتان ٣٤٦ و ٣٤٧) والتى يفسرها على هذا النحو : « وكانت النايات تصنع من سيقان اللوتس الذى ينمو فى ليبيا على شواطىء نهر تريتون Triton هناك »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع ذلك فقد توقف اضطراد تقدم الموسيقى الآلية فى مصر ، مع طرد الفرس ، بعد نحو ثلاثين عاما من الفترة التى عالجناها ؛ فحين استعاد المصريون بلادهم إلى حوزتهم ، فقد عادوا إلى تثبيت النظم القديمة للأمور بها ؛ وبرغم ذلك ، فحيث لم يقدر هؤلاء أن يحتفظوا بالأمر هناك لأكثر من ستين عاما وبضعة أعوام ، وحيث قد انتزعها الفرس منهم مرة ثانية لتأتى نهايتهم بعد ذلك بتسع عشرة سنة ، على يد الاسكندر الذى ترك حكم مصر للبطالمة ؛ وحيث اضطر هؤلاء البطالمة ، بعد ثلاثمائة عام إلى التخلى عنها لأغسطس ، الذى قلص مصر فى النهاية إلى إقليم رومانى ، فإن طول الزمن ، وكذا التعود على أخلاقيات جديدة ، كل ذلك قد محا كلية ، على طول المدى ، من عقل هذه الأمة الاحترام حتى لمجرد ذكرى مبادئهم القديمة ، فبدأ الناس يتذوقون تلك الموسيقى التى لفظوها فى الماضى ، وأكبوا عليها هم أنفسهم بقدر كبير من النجاح يضارعه قدر مماثل من التأجج والحماسة ، وأحرزوا فيها خطوات من التقدم حتى أنهم سرعان ما تفوقوا بمهارتهم فيها على كل الشعوب الأخرى[1]، وكان السكندريون على وجه الخصوص ، وبصفة عامة ، مدربين على ذلك ، حتى ان الرجل من أدنى طبقات الشعب ، ذلك الذى لا يعرف كيف يكتب اسمه ، كان يستطيع أن يضع يده على أدنى خطأ يمكن أن يأتيه أى واحد ، سواء عند التوقيع على الجنك أو عند العزف على الناى[2]. ولقد بلغ فن العزف على الناى فى مدينة الاسكندرية درجة من الاتقان لحد أن بات العازفون السكندريون مطلوبين ، يستدعون إلى كل مكان ؛ وكانت السعادة تتملك الناس حين يستحوذون على واحد من هؤلاء ، ولم يكن أحد يرى فى الأجر الذى يدفع لهم أجرا غاليا ومبالغا فى غلوه لدرجة تتجاوز الحدود ، كما أن شهرتهم وأمجادهم كانت من الأمور التى احتفى بها الشعراء .

لم يكتف البطالمة بتشجيع ورعاية هذا الفن بأكثر الأساليب دويا وضجيجا ، ولكنهم طمحوا كذلك ان يبرزوا هم أنفسهم فيه ؛ ولم يكن آخر ملوكهم ليستشعر أدنى خجل من أن يظهر بين الناس بملابس تشبه ما يرتديه عازفو الناى ، كى يبرهن على ما تربطه بهؤلاء من صلة وعلى مكانته كعازف بينهم . كان هو نفسه ذلك الملك

---

(١) Athen. Deipn. lib IV, pag. 167, E.F

(٢) ID. ibid

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذى يقول عنه سترابون فى جغرافيته(١) : « وبخلاف دعارة هذا الملك وفسوقه ، فقد تعلق بصفة خاصة بالعزف على الناى ، وبلغ به الخيلاء والغرور حد أنه لم يكن يخجل من أن ينظم داخل بلاطه مباريات فى ذلك ، وأن ينافس المتبارين الآخرين على الفوز فيها » . ومن هنا جاءت كنيته فوتنجيوس أى الزمار التى أطلقها عليه المصريون ازدراء ، ومن هنا كذلك جاءت كنيته أوليتيس أى نافخ الناى التى ألصقها به الاغريق .

منذ ذلك الوقت والمصريون لا يقبلون فقط على استخدام الآلات الموسيقية ، بل إنهم كذلك يبدعون فيها ويبلغون فيها أعلى درجات النضج ، وهنا لم يعد يتحتم أن تثور فى نفوسهم الهواجس ضد استخدامها لتصاحب أغنياتهم الدينية ، وهو الأمر الذى يؤكده لنا كذلك الكثير من مؤرخى القرون الأخيرة من العصور القديمة ؛ فيلاحظ سترابون(٢) أنهم كانوا يعبدون أوزيريس فى أبيدوس ، ومع ذلك فلم يكن مسموحا فى معبده ؛ لا لمغن أو منشد ولا لعازف ناى ولا لموقع على آلة وترية أن يقدم فنه عند تقديم القرابين(٣)، عكس ما يحدث بخصوص الآلهة الأخرى ، أما ابوليه Apulée فيخبرنا فى الوصف الذى يقدمه عن عظمة وأبهة إيزيس(٤) ان العازفين على الناى المخصصين للإله سيرابيس ، كانوا يكررون على الآتهم المثنية نحو الأذن اليمنى بعض ألحان اعتادوا على عزفها بالمعابد . ويورد كلوديان(٥) Claudian انه عند موت العجل أبيس ، كانت شواطىء النيل تهتز بفعل ضجة المزاهر وكان الناى المصرى يضبط إيقاع الأغنيات التى يوجهها الناس إلى إيزيس فى جزيرة فاروس . ولسوف تكون لدينا شهادات أخرى لابد من ذكرها

(١) Lib. XVII, pag. 923.

(٢) Geogr. lib- XVII, pag. 941

وقد كرر ألكساندر دالكساندر Alexandre d'Alexandre

(Genial, Deir, lib IV, cap. 17)

كلمة بكلمة ما نذكره هنا نقلا عن سترابون ، فيما عدا أنه قد أحل مدينة ممفيس محل مدينة أبيدوس . فهل ياترى هو خطأ من المؤلف ؟ أم الشىء نفسه كان يحدث بالمثل فى كل من أبيدوس وممفيس ؟

(٣) وهذا يتفق لحد كاف مع فقرة عند يوريبديس سبق أن أوردناها فى الهامش رقم ٨٢ .

(٤) Metam. lib II.

(٥) De IV cons Honor. pan. V. 625 et seqq.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لو كان الأمر يتصل بالدفوف والمزاهر والجلاجل أو الأجراس الصغيرة لكننا لا نتحدث هنا إلا عن الآلات الخاصة بالتلحين (ميلودى) ، وليس عن الآلات الصاخبة ، فقد كانت هذه هى أولى الآلات التى ابتكرت وأولى الوسائل التى استخدمت ؛ ولقد استخدمت منذ أقدم العصور لضبط حركات الرقص والتمثيل الصامت ولإرشاد حركات الايقاع فى المعابد أو الأماكن الأخرى ، أو لصد طيفون وابعاده عن مكان العبادة ، ولهذا الدافع الأخير كذلك كانت تستخدم هذه الآلات فى بعض الأحيان لمراعاة أوزان الأغنيات التى توجه إلى الآلهة .

ولعل الأوان قد آن هنا كى نضع كل ما أخبرنا به الشعراء والفلاسفة القدامى ، مما يتعلق بالحالة الثانية لفن الموسيقى فى مصر ؛ ولكننا قد توسعنا بالفعل كثيرا حول أسباب ونتائج هذه الفترة الأخيرة من حياة الفن ، ذلك أن الوقائع التى نستطيع أن نوردها الآن معروفة من كل العلماء ، ولسوف تمتد هذه المناقشة وتطول دون عائد ، وهى التى كنا نود لو نختصرها ، إذا ما بدا لنا ألا مناص من أن ندخل فى بعض التفاصيل التى ظلت حتى هذه اللحظة مهملة من جانب الذين أكبوا على بحوث تتناول الموسيقى القديمة ؛ وذلك لتبديد التعارض الظاهرى الذى قد يبدو ماثلا لبعض الأشخاص ضد الرأى الذى أفضت بنا هذه المناقشة لكى نعتنقه .

لقد كانت القضية التى علينا أن نتصدى لحلها بالغة التعقيد ؛ كان الأمر يتعلق بأن نبرهن على أن المصريين القدماء قد كانت لديهم موسيقى ، وأن هذه الموسيقى قد تأسست على مبادىء تؤكد سعادتهم ؛ وان ما نحوه من هذا الفن كان غريبا عليهم ومضادا لمبادئهم ، وأن هذه الموسيقى الآلية ، الزاخرة بالأنغام قد نشأت وترعرعت فى آسيا ، وأنها لم تستطع أن تنفذ إلى مصر بسهولة قبل أن تفتح هذه البلاد على يد قمبيز ، وان خطوات تقدمها منذ ذلك الوقت قد تعثرت أو توقفت ، لتتطور فجأة بعد ذلك وبسرعة مذهلة . وفى غيبة البراهين المباشرة التى تؤكد أن الموسيقى الآلية كانت مجهولة من المصريين ، فإننا قد أقمنا أحكامنا على صمت كل المؤلفين القدامى عن ذكر الآلات الموسيقية عندما كانت تواتيهم الفرصة للحديث عن موسيقى هذا الشعب ، وعن الحالة التى كان عليها هذا الفن لدى العبريين عند خروجهم من مصر ، وحتى نكون لأنفسنا فكرة عن العقبات التى حالت لوقت طويل دون نفاذ أى نوع من الابتكارات المتعلقة بالآلات الموسيقية ، فقد اتخذنا ، كوسيلة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للمقارنة ، تلك المقاومة الحادة والعنيفة التي جابهها بها الاغريق الأقدمون ، الذين كانت تتطابق مؤسساتهم الدينية وأنظمتهم السياسية ، وكذلك أخلاقياتهم لدرجة كبيرة ، مع نظائرها عند المصريين ؛ ولقد بتنا على يقين من أن هذه الابتكارات قد جوبهت في اليونان بأقصى قدر من التشدد الصارم ، فعوقب المبتكرون ، ثم تأكد لنا بعد ذلك ، بفعل حقائق ملموسة ، أن الموسيقى الآلية قد مضت من آسيا إلى اليونان ثم إلى مصر ، وأنها هناك ، قد شوهت الطابع الأول للفن .

إننا لم ننظر لعملنا باعتباره عملا من أعمال الفضول ، فلقد جهدنا لكي نستخلص منه كل النتائج التي تحوز — فيما بدا لنا — بعض أهمية ، سواء فيما يتصل بمسيرة الفن أو فيما يمس مصالح المجتمع ، ولسوف نكون قد بلغنا غايتنا المنشودة لو أننا قد نجحنا في أن ندلل وأن نقنع أنه بقدر ما تستقر الموسيقى في الاتجاه الأول الذي تحدد لها بفعل الطبيعة ، بقدر ما تقترب — هي — من مبادىء اللغة ، وبقدر ما تتجه نحو نضج حقيقي وتحدث آثارا سعيدة ، وهو شأنها في الأزمان القديمة ؛ وأنها ، على العكس ، حين تتخذ مسارا معاكسا ، لن يكون بمقدورها إلا أن تتحلل ، وان تصبح فوق ذلك ، ضارة مؤذية ؛ وهكذا تظل الموسيقى على احترامها طالما تظل تحتفظ بطابعها الأول ، أي بالتعبير الحي والحقيقي الذي لألحانها البليغة ، تلك التي تتغلغل حتى مكمن الروح ، وطالما ظلت تمارس على القلب والوجدان سطوتها : هكذا كانت في الواقع ، وكما رأينا ، موسيقى كل الشعوب القديمة في حالتهم الأولى ، ولعلها هي كذلك أكمل أطوارهم الحضارية ، وهي تلك الحالة التي اكتفوا فيها بالرواية **الشفهية** المغناة ؛ ولكن حين اكتفى فن الموسيقى بأن يتملق مشاعر حسية خالصة تصدر عن لذة غامضة ومصطنعة ، وحين أصبحت الموسيقى مشاعا مباحا لكل نزوة يأتي بها ذوق منحل ، فقد غدت شبيهة بتلك النسوة العاهرات التي لا تحظى بإعجاب غير المنحلين في الوقت الذي يوحين فيه بأعمق قدر من الاحتقار من جانب الشرفاء : لم تعد الموسيقى تلقى التقدير إلا من جانب أمراء الشعوب الفاسدين ؛ على هذا النحو كان أواخر البطالمة وبصفة خاصة ذلك الذي أطلق عليه هزؤا وسخرية اسم فونتنجيوس و أوليتيس أي : الزمار . وعلى النحو نفسه كان السكندريون ؛ ثم جاء على هذا المنوال بعض القياصرة الرومان وبصفة خاصة نيرون ، وهو قد جاء على شاكلة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رومان عصره : ومع ذلك فقد ظلت هذه الموسيقى عرضة للتهكم والرفض من جانب الفلاسفة والشعوب الخاضعة لقوانين حكيمة .

كان هذا النوع الأخير من الموسيقى ، على الدوام ، نذيرا بانحلال الامبراطوريات أو كان هو مقدمة لهذا الانحلال . ولقد نشأت هذه الموسيقى فى آسيا الصغرى ، وكانت ممالك هذه البلاد فى أدنى درجات الاستقرار أو كانت بالأحرى مهترئة ؛ وبعد مرور وقت قصير من انتقال هذه الموسيقى إلى اليونان تغيرت الحكومة القديمة للبلاد ، واهتزت البلاد بفعل الحروب الداخلية وهاجمها اعداء خارجيون ثم غزاها الغزاة وفتحتها شعوب أجنبية ؛ وحدث الشيء نفسه فى عهد أواخر البطالمة (فى مصر) ؛ وبمجرد أن فتح الرومان اليونان وآسيا ومصر . وبمجرد أن نفذ إلى إيطاليا ترف هذه الموسيقى الذى كان قد استشرى من قبل فى اليونان وفى آسيا ، وجدنا هذه الامبراطورية الشاسعة تهتز وتتهددها القلاقل من كل جانب ، لتهدد العالم كله بانهيارها ، ثم ينتهى بها الأمر ان تتهاوى أنقاضا عند أول ضربات توجهها إليها عشائر بربرية ؛ ومن جهة أخرى ، فقد كانت الشعوب التى احتفظت لأطول وقت بالموسيقى فى حالتها الأولى من النضج ، هى تلك التى ظلت تحتفظ بسلامها ؛ وهكذا كان أفلاطون على حق حين يقـول بألا يمكن المساس بمبادىء الموسيقى دون أن يصاب نظام الحكم القائم فى دولة ما بخطر جسيم . وقبل ذلك فيبدو أن واحدا من ملوك ليديا ، هو كريسوس Crésuis قد مر بهذه التجربة المريرة ، وكان لذلك على اقتناع تام بهذه الحقيقة الكبرى حتى أنه رد على قورش الذى كان يشكو من أن الليديين كانوا يتمردون ويثورون دون انقطاع ضد سلطته : **اطلب إليهم أن يرتدوا المعاطف فوق ملابسهم ، وان ينتعلوا أحذية ثقيلة ، ومرهم بأن يعلموا أولادهم العزف على الآلات الموسيقية وبأن يغنوا وأن يشربوا ، وسوف تجد فى أقرب وقت رجالهم وقد انقلبوا إلى نساء**(١)**، ولن يكون هناك بعد ما تخشاه من جانبهم** . ولربما كان لنفس السبب أن الصينيين القدماء ، فى فنهم العسكرى ، كانوا يأمرون ، كمناورة أو مكيدة عسكرية ، **باسماع أعدائهم بعض الألحان الخليعة والشهوانية كى يجعلوا قلوبهم رقيقة رخوة ، وكانوا يرسلون إليهم النساء ليكتمل فسادهم**(٢).

---

(١) هيرودوت ، التاريخ ، الكتاب الأول .

(٢) Mém, concervant l'historie,les sciences ect des chinois =

واذا كان صحيحا أن كل ما يمكنه أن يسهم فى تفسخ الأخلاق ، وإزهاق الشجاعة ، وخنق الاحساس بالفضائل الكبرى ، التى هى الضمان الوحيد للهدوء والسلم العامين ، والتى تبنى قوة الامبراطوريات ، فإننا نخلص من ذلك إلى أن موسيقى قدماء المصريين فى حالتها الأولى ، والتى كانت تهدف إلى اعتدال وضبط العواطف والانفعالات ، كانت بالضرورة مناسبة للغاية ونافعة ، تحقق سعادة لهذه الشعوب ، وأنها على العكس من ذلك فى حالتها الثانية قد جاءت بالضرورة كارثة مدمرة .

= أى دراسات تتعلق بتاريخ وعلوم .. الخ الصينيين .
tome VII, page 104, paris, 1782, in- 40

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الآلات الموسيقية القديمة

العنوان الاصلى للدراسة هو :

بحث حول أنواع الآلات الموسيقية المختلفة التي يراها المرء بين أعمال الحفر التى تشكل زخارف المبانى القديمة فى مصر ؛ وحول الأسماء التى اطلقتها عليها الاقوام الأول التى سكنت هذا البلد ، تأليف المسيو فيوتو الموسيقى المعنى بالادب ».

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول

عن الآلات الوترية

ملاحظات تمهيدية

حيث أن الآلات الموسيقية التى يجدها المرء منقوشة أو محفورة على المبانى القديمة فى مصر ، قد تم رسمها على نحو بالغ الدقة والكمال على يد زملائنا [من علماء وفنانى الحملة] أو يجدها المرء مرسومة فى [لوحات] هذا المؤلف ؛ فإنه يصبح من قبيل اللغو أن نورد وصفا لها ؛ ولذلك فسنكتفى بالبحث فى النوع الذى يمكن أن تنتمى هذه الآلات إليه ، وفى الاسم الذى عرفت به هذه الآلات عند القدماء ، وبصفة خاصة عند قدماء المصريين .

ولكم قلنا لأنفسنا ألا يمكن أن يكون للمصادفة التى تسببت فى الكثير من الكشوف والاختراعات المختلفة نصيب ما فى اختراع الجنك (الهارب) ؟ ألا يمكن أن يكون التطابق القائم بين شكل هذا النوع من القيثارات الذى نحن بصدد الحديث عنه ، وبين شكل الأقواس التى يمسكها الأبطال بأيديهم وهم على رأس الجيوش فى المعارك التى نجدها مرسومة فوق جدران كثير من المبانى القديمة فى مصر العليا قد شكل اثرا من المصاهرة أو القربى التى قامت فى الأصل بين هاتين الآلتين الموسيقيتين ؟ ألن يصبح بمقدورنا أن نستنتج أن الصدفة التى جعلتنا فى البداية نلاحظ النغمة التى يرددها وتر قوس عن طريق تردده بمجرد أن تؤدى لمسة ما إلى اهتزازه ، قد أدت بالتالى إلى استخدام هذا القوس بمثابة قيثارة وحيدة الوتر ؟ هناك فى الحقيقة ما يمكنه على نحو طيب أن يعطى بعض ترجيح لهذا الافتراض ، وهو القيثارة وحيدة الوتر والتى تتخذ شكل قوس ، والتى حصلنا على رسم لها من مقبرة قديمة ، والتى يذكرها بيانشينى Bianchini والتى نقلها عنه لابورد Laborde فى كتابه : مقالة حول الموسيقى[1] Essai sur la Musique .وإذ يستطيع هذا النوع من

(١) المجلد الأول ، ص ٢٢٤ ، الأرقام ٦ ، ٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القيثارات وحيدة الوتر ، أن يعطى نغمة تتفاوت غلظتها وحدتها تبعا لتفاوت سمك الوتر وتبعا كذلك لتفاوت طوله أو قصره ، فإننا نخلص من ذلك أن هؤلاء القوم قد كانت لديهم إذن قيثارات وحيدة الوتر تصدر كل منها تونا أو نغما مختلفا ، وانه قد أمكن استخدامها كخلفية للصوت وأداة لضبط الغناء ، ومن جهة أخرى ، فإن الممارسة التى لم تلبث - بالتأكيد - أن خلقت إحساسا بالضيق وعدم التوافق ، ناتجين عن التغيير المستمر والمتعاقب والذى كان الناس مضطرين لإحداثه بهذه الأقواس أو القيثارات وحيدة الوتر ، كان عليها بالضرورة أن تدفع إلى السعى إلى وسيلة لتبسيط سبل استخدامها ؛ وحينئذ تقبل الناس ، بلا جدال ، فكرة تجميعها [أى تجميع الأوتار الطويلة والقصيرة والسميكة والرفيعة] فى قيثارة واحدة ، وذلك بوضع أوتار عديدة فوق القوس الواحد تتباعد فيما بينها بمسافات متناسبة ، وهكذا ستنشأ القيثارة ذات الوترين والقيثارة ذات الأوتار الثلاثة وذات الأوتار الأربعة ، والقيثارات خماسية الأوتار ، وسداسيتها ، وسباعيتها ... الخ ، وبهذه الوسيلة فإن المميزات التى كانت تتوزع مبدئيا بين عدد كبير من الأقواس وحيدة الوتر سوف توجد موحدة فى قوس واحد متعدد الأوتار ، على النحو الذى نراه فى الجنك المصرى .

وعلى كل حال فإننا بعد ، لا نقدم هذه الفكرة إلا فى شكل افتراضى ؛ وليست لدينا أى مزاعم تعطى هذه الفكرة الآن أهمية أكبر من ذلك ، ولهذا السبب فإننا لن نتوقف عندها لوقت طويل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الأول

عن الطيبونى أو ذلك الاسم النوعى الذى أطلقه قدماء المصريين على الآلات الوترية طبقا لما يقوله جابلونسكى

عندما يتعلق الأمر بتفسير ما يتصل بعادات الأقدمين وفنونهم ، فلن يكون بمقدورنا أن نورد رواية ما ، إلا بعد كثير من التحوطات ؛ فمثل هذه الأمور ، تخضع عادة لكثير من الاختلافات وكثير من التباين ، وتتمثل للذهن فى البداية بطريقة غامضة غير موثوق بها لحد كبير ، وذلك بفعل الروايات المتنوعة التى يوردها عنها المؤلفون ، الذين يختلفون فى غالبيتهم العظمى فيما بينهم ، إما بسبب اللغة التى كتبوا بها ، وإما بسبب تباعد الأزمان التى عاشوا فيها ، لحد لا يستطيع المرء معه أن يقيم شيئا إيجابيا قبل أن يقارن بين رواياتهم ، وهذا هو بالتأكيد ما فعلناه .

لقد أخذنا من جابلونسكى مرشدا ؛ وحين نستمد العون من أمثال هذا العالم فإننا نظن أن بمقدورنا أن نكب بثقة على الأبحاث التى يمليها الموضوع الذى أخذنا على عاتقنا أن نعالجه هنا .

يخبرنا هذا المؤلف[1] أن مسيحيا قديما يدعى جوزيب أو جوزيف ، يتحدث فى مؤلف له عنوانه Mémorial sacré[2] يوجد ضمن مخطوطات جامعة كامبردج ، عن آلة موسيقية مصرية تسمى بونى buni، وان كان توماس جالا Tomas gala[3] ، وهو أول من عرف بهذا المؤلف ، فى هوامشه حول كتاب ألفه Jamblique يدور موضوعه حول الطقوس الدينية أو الأسرار الدينية قد أبدى ملاحظة هامة للغاية ، كما يقول العلامة جابلونسكى ، وهي أن ما كتبه جوزيف فى هذا الموضع إنما هو مستمد من رسالة بروفير Prophyre إلى المصرى انيبون Anebon[4]، وانه بدلا من كلمة توبونى

---

(١) الأعمال ، المجلد الأول ، الأصوات المصرية عند الكتاب القدامى ، تحت كلمة تيبونى ، ص ٣٤٤ .

(٢) فى المذكرات أو كتاب الذكرى المقدسة ، الكتاب الخامس ، فصل ١٤٤ .

(٣) فى ملاحظاته إلى إيامبليخوس ، عن الأسرار ، ص ٢١٥ .

(٤) قد نكون مدفوعين إلى الاعتقاد بأن هجاء هذا الاسم قد تعرض للخطأ على يد النساخ ، وأن من الواجب أن نقرأه أمبون Ambon وبذلك يصبح هذا الاسم اسم أسرة مصرية حقيقية ، إن كان هو اسما للربة =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

to bouni التى نقرؤها فى مخطوطة جوزيف ، لابد لنا أن نقرأها على أنها te bouni تى بونى .

ومع ذلك فإن فابريكيوس Fabricius ، وهو أول من نشر مخطوطة جوزيف ، وأول من أشار إليها فى المجلد الثانى من مؤلفه :
Codex. pseudepigraphus vetris Testamenti أى : المخطوط المنحول للعهد القديم حين يقدم اقتباسا[١] من هذه المخطوطة يكتب to boni فى النص ثم يكتب الكلمة نفسها to buni فى الترجمة اللاتينية ، وان كان العلامة جابلونسكى لا يشك قط فى أنه من الضرورى أن نقرأ الاسم كلمة واحدة،وهو يرى أننا نستطيع أن نجد لهذا الاسم ، الذى هو اسم لآلة مصرية ، تفسيرا فى اللغة المصرية . وقد بدا له أن هذه الآلة الموسيقية هى نوع من التريجونة أو القيثارة ثلاثية الزوايا والباندورة pandores والسامبوقة sambuques،ولكى يدعم ما يذهب إليه فإنه يعيد إلى الأذهان أن أثينايوس[٢]

= المصرية أمبو التى يتحدث عنها إيبيفان :

Epiphane, advers, Haeres. lib III, p. 1093

وقد أطلق الأغريق على هذه الربة اسم بريتنو Britno .ويلاحظ أن المصريين ، وكذلك الكثير من مسيحيى هذه البلاد بصفة أخص ، وأكثر منهم فى أى مكان آخر ، يتسمون عادة باسم واحدة من آلهتهم .

(Vide, origenis commentaria, lib I, origenianorum, pag. e-3)

بل لقد تسمى كذلك كثير من الرهبان المسيحين فى مصر بأسماء : بى أمبو Pi- ambo ، وبامبو pambo أو بامبون Pambon.

وفضلا عن ذلك فإن هذه العادة ، التى تنتشر فى كل مكان من العالم ، تظل شائعة عند الكثير من الشعوب الحديثة فيتخذ المسيحيون أسماء لابنائهم من أسماء القديسين أو القديسات أو أسماء الأعياد ، ويتخذ اليهود أسماء البطاركة مثل آدم وإسحاق وداود . أما المسلمون والعرب فيتخذون كذلك من أسماء أبرز رجالات الدين الاسلامى ، الذين يبجلونهم وينظرون إليهم كقديسين ، أسماء لهم مثل : محمد ، على ، عمر ، حسين ، شافعى الخ .

(١) p. 330

(٢) Athen. Deipn. lib IV, p. 157 et 182; lib XIV, pag. 636.

وقد كان بمقدور جابلونسكى أن يضيف إلى هذه الشهادات ما كتبه أثينايوس : الكتاب الرابع ، الفصل ٢٥ ، ص ١٨٣ ، E ؛ والكتاب الرابع عشر ، الفصل ٩ ص ٦٣٥ و ٦٣٨ ؛ والكتاب الخامس عشر الفصل الأول ؛ ص ٦٦٥ ، D ؛ وكذلك ما نقرؤه فى كتاب :

le Manuel harmonique, Nicomarque, lib I, pag. 8, edition de Meibomius, Amstelodami, in-4°.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومعجمى سويداس[١] Suidas وهيزيخيوس Hésychius[٢] وكذلك مارتيانوس كابيلا Martianus capella[٣] وريتشارد بوكوك[٤] Richard pocoke ومونفوكون[٥] Montfaucon قد كتبوا حول هذه الآلات المختلفة . وأخيرا فإنه يخلص من كل ذلك إلى أن الطيبونى هو قيثارة ثلاثية لا تختلف كثيرا عن القيثارة أو الكيتار الذى نطلق عليه اسم الجنك أو الهارب ، وذلك فى أن أوتارها كانت توقع بالمثل بواسطة ريشة العزف .

وقد بدا لهذا العلامة أن من المرجح كثيرا طبقا لرواية بورفير وجوزيف أن الاسم To boni يستمد أصوله من اللغة المصرية القديمة ، واليكم على أى شيء أسس رأيه : فى الترجمة القبطية للتوراة[٦] تحولت كلمة جيتارا الواردة فى الترجمة السبعينية إلى ouoi ni أى : أو – أوى – نى ؛ ونجد هذه الكلمة (جيتارا) فى الآية ٢٧ من الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر الخروج ؛ وفى الآية الثانية من الاصحاح الرابع عشر من سفر الرؤيا أشير إلى نوع من القيثارات باسم (resper ouoini) ، ومن جهة أخرى فإن هذه الكلمة الأخيرة حين تسبقها أداة التأنيث te التى تلحق عادة بالكلمات القبطية (لتأنيث الكلمات) ، على نحو ما تلحق نحن أدوات التأنيث بالكلمات الفرنسية ، فسوف تشكل لنا ، طبقا لما يرى ، الكلمة teouoini وهى التى أصبحت ، بفعل تحوير أو تحريف يحدث عادة للكلمات ولاسيما عند انتقالها من لغة لأخرى ، تكتب عند الاغريق tebouni بعد تحريف الـ u أو الـ ou إلى B .

---

(١) تحت كلمة Sambykai .

(٢) تحت كلمة Trignon .

(٣) زواج الأدباء ، الكتاب التاسع ، ص ٣١٣ ، طبعة جروت .

(٤) وصف الشرق ، المجلد الأول ، اللوحة ٦١ .

(٥) Antiquité expliquée, 11, 116, 140 ect.

(٦) القبطية هى لغة المصريين الأصلية ، ولكنها تعرضت لتحويرات كثيرة بفعل احتضانها لعدد هائل من الكلمات اليونانية التى دخلت إليها فى عهد البطالمة ؛ وقد أدت هذه الكلمات نفسها إلى إهمال أو نسيان الكلمات المصرية ، التى استخدمت – هى – بدلا منها ، بحيث لم يعد يتبقى فى الكتب المدونة بالقبطية سوى الربع من الكلمات المصرية الصرف . ومع ذلك فإن كلمة تى – بونى لم ترد قط فى اللغة اليونانية ، ويحتمل كثيرا أنها تنتمى حقيقة إلى اللغة المصرية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقدم سان جيروم مثالا لهذا التحريف عندما يكتب ريموبوت Remoboth[1] على أنها هى نفسها الكلمة التى يكتبها المصريون ريموءوت Remouot . ويستشهد جابلونسكى دعما لرأيه بمونفوكون الذى وافقه على هذا الرأى حين أطلعه على عمله فى هذا الموضوع ؛ كما يتحدث عن الرسائل التى كتبها له لاكروتشة فى عام ١٧٣٥ والتى أوضح فيها الأخير أنه يناصره كلية فى رأيه ؛ وان كانت براهين مؤلفنا ، بخصوص كلمة طيبونى تبدو لنا قائمة على أساس متين بقدرٍ كاف ، حتى إن شهادتى هذين العالمين اللذين يرجع اليهما ، لم تضيفا إلا القليل إلى اقتناعنا .

---

(١) جابلونسكى ، الأعمال ، المجلد الأول ، الأصوات المصرية عند القدامى ، تحت كلمة « ريموبوت » . REMOBOTH.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الثانى

هل كان الطيبونى يوقع أو يلمس بواسطة ريشة العازف ، وما هو الغرض الرئيسى من استخدامه

تقابل كلمة تى – بونى ، طبقا لما يظنه جابلونسكى ومونفوكون وكروتشة الكلمة اليونانية كيتارا Citara ، **فهى تشير إلى آلة ثلاثية الزوايا تختلف اختلافا طفيفا عن القيثارة أو الكيتارة ؛ وهى توقع بواسطة ريشة عزف ، وهى من نفس النوع الذى يعرف باسم الجنك أو الهارب .**

وفى الحقيقة فقد كانت الآلة الموسيقية العبرية المسماة كنور Kinnor التى تشير إليها الترجمة السبعينيه باسم كيتارا ، تمثل فى شكل جنك ، ويشير إليها الأقباط باسم تى – أوى – نى ، وبفعل التحريف تيبونى ؛ ومع ذلك فنحن لم نتبين على أى أساس أمكن جابلونسكى أن يجزم بأن هذه الآلة الموسيقية ينبغى أن تلمس أو توقع بواسطة الريشة شأنها شأن القيثارة أو الكيتار ، فلو أنه قد أتيح له ، مثلنا ، أن يتفحص هذه الآلات المحفورة أو المنقوشة على معابد مصر القديمة ، وكذا الأشخاص الذين رسموا وهم فى حالة عزف عليها ، لبات على يقين من أن شيئا لا يمكنه أن يؤدى ، بأية حالة ممكنة ، لوجود عادة مماثلة ، أى للعزف على الطيبونى أو الكيتار باستخدام الريشة أو قوس العزف ، وأن كل شىء هناك يشهد بذلك .

لقد كانت هذه الآلة ، على الأرجح ، مخصصة لمصاحبة الصوت البشرى عند الغناء الدينى ؛ فقد بدا لنا أنها كانت تستخدم على الأقل على هذا النحو ، فى الاحتفال المنقوش على إفريز واجهة المعبد الكبير الموجود فى دندرة . ولهذا السبب فقد أطلق فى غالبية الأحيان على الجنك (الهارب) اسم بسالتريون Psalterium ، وهى كلمة تعنى الآلة التى من شأنها أن تصاحب الغناء .

ولاريب فى أن القديس كليمانس السكندرى قد رأى رأى العين هذه الواقعة حين يقول(١) : « إن تناغم البسالتريون الهمجى حين يجعل من وقار المقامات اللحنية

(١) الطبقات ، الكتاب السادس ، ص ٦٥٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمرا محسوسا ، كان هو النموذج الذى احتذاه ترباندر عندما صاغ هذه الضراعة على النسق الدورى :

« أى جوبيتر ؛
يا مبدأ كل الأشياء ؛
ويامن تدبر كل أمر ،
إليك أتوجه بأول نشيد أصوغه »

ولابد لنا أن نفهم من كلمة البسالتريون الهمجى أداة موسيقية مصرية من خاصيتها أن تصاحب صوت المغنى ، إذ كان اليونانيون يطلقون اسم الهمج أو البرابرة على الشعوب الأخرى جميعا ، كما أنهم لم يكونوا يعرفون فى الزمن الذى عاش فيه ثرباندر سوى الموسيقى التى تعلموها من المستعمرات أو الجاليات المصرية الأولى التى حكمتهم أو من فلاسفة تراقيا أمثال ميلامبوس وأورفيوس الخ ، والذين نقلوا إليهم المعارف التى اغترفوها من مصر التى تلقوا علومهم فيها ؛ وبمعنى آخر فحيث كان الجنك أو الطيبونى هو الآلة الوترية الوحيدة ، أو الأساسية التى يجدها المرء منقوشة فوق جدران المعابد المصرية ، وحيث كان هو الآلة التى يستطيع تناغمها أن يجلب الوقار ، فيكون من المرجح اذن أن القديس كليمانس كان يريد بحديثه هذا الجنك ؛ وهناك شواهد قليلة على أنه قد استخدمت فقط ريشة أو قوس للعزف على هذا النوع من الآلات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الثالث

عما كان يشترك فيه الطيبوني بالضرورة مع الآلات الموسيقية الأخرى ، وكذلك عن ضرورة وجود أنواع عديدة منه .

لاحظ أوفوريون ، الذى يذكره أثينايوس(١)، أن أسماء الآلات القديمة ذات الأوتار الكثيرة تختلط فى معظم الأحيان ؛ وأن هذه الآلات قلما تختلف فيما بينها ، وأن التغييرات المختلفة التى أدخلت عليها هى التى أدت إلى ظهور تسميات جديدة ، برغم أن هذه الآلات ، فى حقيقة الأمر ، لم تكن تختلف كثيرا فيما بينها . وهذا على وجه الدقة هو ما يظنه دون كالمت Don calmet(٢) الذى يعبر عن رأيه على النحو الآتى : « فعندما يرى المرء أن البعض يزودون هذه الآلات الوترية بثلاثة أوتار ، فى حين يزودها آخرون بأربعة ، ويزودها فريق ثالث بسبعة ، وغيرهم بعشرة ثم باثنى عشر ، وبعـــد ذلك يزودها آخرون كذلك بأربعة وعشرين وترا ، وأن هؤلاء يقولون أنها كانت تنقر بالأصابع وأن أولئك يرون أن الأمر كان يتم بواسطة القوس ، وأن فريقا قد صنعوا أوتارهم مشدودة من أعلى إلى أسفل وان فريقا آخر قد وضعها على سطح الآلة [أى دون شدها بقنطرة] فليس على المرء ، من أجل ذلك ، أن يزعم من فوره أنه بصدد آلات موسيقية متباينة أو يظن أن أشياء تختلف فيما بينها على هذا النحو لا يمكنها أن تحمل الاسم نفسه ، ذلك أن من الأمور الاعتيادية أن نجمع كل هذه الانواع من الأشياء وأن نضمهـا جميعا تحت اسم نوعى واحد ، أو أن نعبر فى بعض الأحيان عن كل منها باسم خاص ، فلنتفحص المبانى القديمة : بكم من الطرق أو الأساليب سنرى قيثارة الأقدمين مرسومة ؟ وكم من الأسماء أطلقت عليها ؟ إننا نعرف أن الترجمة السبعينية للتوراة قد جعلت من الكلمة العبرية كنور : كينيرا أى القيثارة الحزينة وكيتارا وفورمنكس وهى آلات سباعية الأوتار ؛ وكانت هذه الآلات نفسها تحمل عند الاغريق اسماء كينيارا ، ليرا ، فورمنكس ، كيتارا ، خيليس Chelys وهى مصنوعة من

---

(١) مأدبة الفلاسفة ، الكتاب الرابع عشر ، فصل ٤

(٢) Dissertation sur les instruments des Hébieux, p. 81. أى بحث فى الآلات الموسيقية عند العبريين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

درع السلحفاة ، بقتيس Pectis وهى قيثارة على هيئة مشط ، باربيتون أى المتعددة الأوتار ؛ ولقد استخدم الرومان هذه الأسماء نفسها ثم أضافوا إليها اسم تستودو Testudo أى القيثارة السباعية . ونحن نشير إلى كل ذلك عادة بهاتين الكلمتين : « القيثارة القديمة » .

ومع ذلك فيبدو من المرجح ، بقدر كاف ، أن هذه التسميات المختلفة لم تكن لتطلق على نوع واحد من الآلات الموسيقية ، سواء على أزمان متفرقة أو فى أماكن مختلفة لو لم تكن قد تناولت هذا النوع من الآلات سوى تغييرات طفيفة ، أو لو لم يكن من شأن هذه التغييرات الطفيفة أن تحدث بالضرورة تمييزا بين بعض هذه الآلات وبين بعضها الآخر ، فى أحوال مختلفة . ولدينا أمثلة كثيرة للغاية لأسماء مختلفة أعطيت للنوع نفسه من الآلات تبعا لكبر أو صغر أحجامها ، أو لأن شكلها أكثر أو أقل تسطيحا أو ارتفاعا ، دائريا كان أو متعدد الزوايا ، أو لأن تركيبها أكثر أو أبسط تعقيدا . فعلى هذه الشاكلة نجد لدينا هذه الأنواع المختلفة من الكمان التى نطلق عليها :

كمان الجيب أو الكمان الصغير ؛ pochette violon ،

الكمان الخماسى أو الكمان الأوسط ؛ alto أو quinte

الكمان الأوسط أو الكمان العاشق ؛ viole d'amour

الكمان الزاعق أو الرنان ؛ dessus de viole

الكمان الخفيض (العميق والخفيض) ؛ basse de viole

الفيولونسيل ؛ violoncelle ،

أو الـ basse الباص (الكمان غليظ الأوتار) ؛

الكونترباص (الكمان الكبير) ؛

ومثال ذلك أنواع الناى التى نعرفها باسم :

الناى الناعم أو الرقيق ؛ flute douce ،

الناى المستعرض [لامساكه بالعرض عند الشفتين] ؛ f. traversière ،

المزمار الصغير ؛ octavin ؛

المزمار ؛ fifre ؛

الصفارة (مزمار بستة ثقوب) flageolet .. الخ .

كذلك الحال بالنسبة لنوع الآلات التى ينتمى إليها الجيتار والقيثارة والعود الألمانى ، والعود ، والأعواد ذات الأقواس والماندولين الخ الخ .

ولقد كان الشيء نفسه ولا ريب يحدث عند الأقدمين ، فالأسماء المختلفة التى منحوها سواء للجنك أو للطيبونى أو للقيثارة لم تكن تستخدم إلا للإشارة إلى بعض تغييرات طفيفة فى شكلها أو فى تركيبها ، أو فى تناسب أجزائها وأحجامها .

وهكذا كانت لدى المصريين آلات طيبونى من أنواع مختلفة وأشكال مختلفة ، فكان لديهم ما هو على شكل جنك (هارب) وما هو على شكل قيثارة وما هو على شكل جيتار ؛ وحين نتفحص آلات الجنك التى نراها منقوشة أو مرسومة فوق المبانى الأثرية فى مصر ، فإننا نلاحظ تفاوت أحجامها ، وكذلك تفاوت عدد أوتارها بين القلة والكثرة[١]. ودون أن نتوقف طويلا للحديث عن غاية كل منها ومناسبات استخدامها ، وهى أمور لا نستطيع أن نقدم تفسيرا لها إلا بشكل افتراضى ، فسوف نقتصر على ملاحظة أن آلات الجنك ذات الأوتار العشرة التى نراها فوق إفريز واجهة المعبد الكبير فى دندرة ، وكذلك فى كهوف إيليثيا[*] (الكاب) وفى المعبد الصغير المقام فى مدينة أبو (جزيرة فيله) كانت مخصصة على ما يبدو لمصاحبة ضروب الغناء الدينى فى الاحتفالات المهيبة الكبرى ، على نحو ما كانت عليه ، عند العبريين ، آلة الكنور أسور أى آلة الجنك أو الصنج ذات العشرة أوتار . ولقد كان هذا النوع من الآلات ، يلقى بالمثل ، ودون جدال ، تقديرا بالغا من الاغريق ، إذ نجد الشاعر أيون Ion يحتفى به فى شعره[٢].

ونادرا ما ترسم آلات الطيبونى التى تتخذ شكل القيثارة على المبانى المصرية ،

---

(١) انظرا لقيثارات المرسومة فى واحدة من الجبانات المجاورة للأهرام الكبرى بالجيزة ، وتلك المرسومة فى كهوف إيليثيا (الكاب) ، اللوحة ٧٠ ، الشكل ٢ ؛ وكذلك تلك الخاصة بمقابر الملوك ، وتلك الموجودة فى طيبة والموجودة بالمعبد الصغير فى مدينة أبو (جزيرة فيله) .

(*) نسبة إلى القابلة إيليثيا ربة الولادة مساعدة الربة هيرا . (المترجم)

(٢) نعزف لك على القيثارة نشيدا من عشر طبقات منغمة ،
يتميز باتساق الأنغام المعزوفة على القيثارة الثلاثية ،
فقديما كان جميع الاغريق ينشدون لك نشيدا من أربع طبقات ،
على القيثارة السباعية متوجهين به إلى ربة نادرة من راعيات الفنون .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فنحن لم نلحظ وجود آلات من هذا النوع إلا فى مكانين :

١ – فوق جدران سلم يوجد فى قاع الحجرة الخامسة من المعبد الكبير فى دندرة ؛ وقد زودت القيثارة التى يراها المرء فى هذا المكان بأربعة أوتار ؛ ويبدو أنها كانت تستخدم هناك لمصاحبة الأغانى التى تقدم فى عيد من أعياد النصر .

٢ – فوق خريطة للعالم محفورة فى سقف معبد صغير يقع فى أعلى المعبد الكبير فى دندرة ؛ وهى قيثارة ذات ثلاثة أوتار وتمثل النخبة التى تحمل هذا الاسم . وهذه القيثارة ، على الأرجح ، هى من نفس نوع تلك التى يتحدث عنها ديودور الصقلى فى تاريخه للعالم ، الكتاب الأول ، والتى ذكر أن كل وتر من أوتارها يوافق فصلا من فصول السنة .

ولا تزال القيثارة تستخدم حتى اليوم ، ولا يزال يدور ذلك فى بعض أحياء القاهرة ؛ ويتعرف عليها المرء بسهولة فى الآلة المسماة كسر (كسرة مشددة على السين) فى أعماق أفريقيا ، ويجلبها معهم عادة سكان السودان والبرابرة أو البربر حين يأتون لقضاء بعض مصالحهم فى القاهرة ؛ فهذه الآلة إنما هى فى الحقيقة قيثارة حقيقية ؛ وبرغم أنها قد صنعت بخشونة وبدائية فإنها تضم كل الأجزاء التى قدم هوميروس وصفا لها فى أنشودته إلى عطارد . وسوف نتحدث عنها بتفصيل أكبر عندما نتصدى بالحديث عن الحالة الراهنة للموسيقى فى مصر .

أما بخصوص آلات الطيبونى التى صنعت على شكل جيتار ، فإننا لم نلحظ وجودها إلا فى مكان واحد ، مما قد يدفع إلى الظن بأن هذا النوع من الآلات كان أقل أهمية ، من ناحية الاستعمال ، من النوعين السابقين .

وعلى هذا فقد وجدت عدة أنواع من الطيبونى على نحو يماثل تنوع الآلات الوترية واختلافها فيما بينها . ولابد أن اسم طيبونى أو تيبونى ، وقد كان اسما نوعيا ، كان يطلق بصفة خاصة على الآلة الموسيقية التى تتخذ منها نمطا ونموذجا للأخريات ؛ ولقد كانت هذه ، فى مصر ، تسمى بالطيبونى ، كما كانت تسمى عند العبريين بآلة الكنور ؛ وكانت هى القيثارة عند اليونانيين ؛ كذلك فقد كان هذا الاسم النوعى ، فى هذه وتلك من اللغات الثلاث ، فيما يبدو ، اسما مشتركا لكل الآلات الموسيقية الوترية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الرابع ،

اسم بسالتريون (السنطور) هو الأقدم شهرة والأوسع انتشارا ، وهو اسم لآلة مصرية . من أين جاء هذا الإسم الذى كان يستخدم صفة للطيبونى ؟

ليس هناك ، بين كل الأسماء التى أطلقت على الآلات التى تحمل هذا الاسم النوعى طيبونى ، اسم أوسع انتشارا وشهرة بين كل الشعوب القديمة والمحدثة من اسم بسالتريون . ولا يشير هذا الاسم لآلة موسيقية بعينها بقدر ما يقدم لنا فكرة عن الممارسات التى من شأن الآلات الوترية أن تؤديها ، أى مصاحبة الصوت ، على النحو الذى سبق أن استرعينا إليه الأنظار .

ويشير القديس كليمانس السكندرى(١) فى مؤلفه les stormates أى الطبقات إلى البسالتريون باعتباره آلة موسيقية تستخدم عند أداء طقوس العبادة عند المصريين . ومع ذلك ، فمن المحتمل أن نجد هذا الكاتب يتكلم بشكل أفضل عما كان يدور فى عصره عنه عما كان يحدث فى زمن متأخر ؛ ولكنه برغم ذلك يستخدم اسم بسالتريون Psalterion باعتباره اسما نوعيا ، يمكن إطلاقه على كل الآلات الوترية التى يستخدمها المصريون ، ذلك أنه لا يستخدم هذا الاسم إلا فى صيغة الجمع ، ليس هذا وحسب ، بل إنه لا يتحدث عن آلة وترية أخرى غيرها ، بل إنه كذلك ، لا يشير فى هذا المجال إلى الآلات الموسيقية الأخرى ، المختلفة ، إلا بأسمائها النوعية .

ويستمد الاسم بسالتريون ، على وجه الترجيح ، أصله من كلمة قديمة يلفظها العرب : سنطير (فتحة فسكون) ويشار بها اليوم إلى آلة موسيقية لها شكل الجنك أو الصنج (الهارب) ، متخذة وضعا معكوسا ، وموضوعة فوق جسم رنان : وهى

(١) « ولكن إذا ما توجهوا بكل اهتمامهم إلى الناى والقيثارة والانشاد والرقص والتصفيق ، كما يفعل المصريون ، وكذلك إلى رجاء وقت فراغهم بهذه الطريقة ، فإنهم سيكونون بذلك ميالين للمغالاة ، وقحين متنصلين من النظام والطريق القويم إلى أقصى حد ؛ ذلك أن أصوات الصناج (الصاجات) والدفوف (الطبول) تتردد عالية على مسامعهم ، وتدوى الآلات الموسيقية خادعة لهم » – الكتاب الثانى ، فصل ٤ ص ١٦٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الآلة نفسها التى نطلق نحن عليها اسم تمبانون Tympanon[1]. أما المصريون القدماء الذين كانوا يلحقون عادة أدوات التعريف والتنكير والتأنيث.. الخ إلى أسمائهم ، على نحو ما نفعل نحن فى اللغة الفرنسية ، فقد كان عليهم لذلك أن يضيفوا إلى كلمة سنطير أداة التذكير بى pi ، وهكذا كانوا يلفظونها بيسنطير .

أما الآشوريون ، الذين كانت تعرف عندهم هذه الآلة بالاسم نفسه ، فقد ألحقوا بها النهاية الخاصة بالاصطلاحات التعبيرية فى لغتهم وأسموها بيسنطيران أو فيسنطيران . وقد كان النبى دانيال هو أول من أشار إليها فى التوراة بهذا الاسم الأخير باعتبارها آلة موسيقية خاصة بالأشوريين ، ويلمس المرء بوضوح أنه لا يمكن نسبة هذه الآلة إلى اللغة العبرية ، ولا إلى اللغة الكلدانية ، حيث ان كل كلمة فى هاتين اللغتين لا ينبغى لها أن تضم سوى ثلاثة حروف أو مقاطع جذرية ، فى حين توجد هنا أربعة حروف تشكل مقاطع صوتية فى هذه الكلمة .

وحيث قد نقلت هذه الآلة بعد ذلك إلى الاغريق باسمها الأخير ، فقد جعلوا اسمها فى البداية ولا ريب بيسانتريون ؛ ومع ذلك فحيث أن المقطع الصوتى الثانى يحدث نغمة أنفية لابد لها أن تثير نفور آذانهم المرهفة ، فإنهم بفعل تحوير يحدث فى الغالب فى كل اللغات قد غيروها إلى بيسالتريون Pisaltérion ، ثم أصبحت بفعل الادغام إلى بسالتريون[2] Psaltérion .

وأخيرا فإن الأقباط الذين عادت إليهم كلمة سنطير بعد أن حرفت على هذا النحو ، فجاءت متنكرة على نحو ما ، قد أضافوا إليها **من جديد** أداة التذكير pi ، وجعلوا منها بيبسالتريون[3] Pipsaltérion . وهو اسم لا يزالون يشيرون به إلى الة موسيقية مخصصة لمصاحبة الصوت .

ومع ذلك ، فبرغم أن كلمة بيسنطير قد تناولتها الكثير من التغييرات

---

(١) زودت هذه الآلة بأوتار من النحاس الأصفر ، وكانت تنقر بريشة صغيرة من الخشب .

(٢) يخبرنا فوسيوس Vossius أن الكلدانيين قد اعتادوا على أن يستبدلوا حرف اللام بحرف النون ، وبخاصة فى الكلمات الدخيلة على لغتهم ، وأن العبرانيين قد تطبعوا بهذه العادة أثناء الاسر البابلى .

(٣) Kircher, lingua AEgypt. restituta : (كيرشر ، اللغة المصرية المصوبة) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والتحويرات فإن المرء يرى بوضوح أنها ظلت على الدوام تستعمل من جانب الشعوب الشرقية القديمة ، باعتبارها صفة لآلات الطيبونى ، أى للآلات الوترية التى من شأنها مصاحبة الصوت ، وليس باعتبارها اسما يطلق على آلة موسيقية بعينها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثانى

عن آلات النفخ المختلفة عند قدماء المصريين ، وعن أصلها ، وعن استخداماتها وأسمائها .

المبحث الأول

عن اختراع وأصل الناى بصفة عامة

لعل حادثا قريب الشبه بذلك الذى أدى إلى ابتكار الآلات الوترية مثل آلات القيثارة التى تحدثنا عنها فى بداية الباب السابق ، هو الذى أدى بالمثل إلى تخيل آلة الناى ؛ فالصوت الذى تحدثه الريح عند مرورها بجسم أجوف يمكن أن يؤدى فى البداية إلى الايحاء بفكرة النفخ فى قصبة بسيطة[1] ، لنحصل من جراء ذلك على صوت ؛ وحيث ان كل قصبة غاب من طول مختلف تحدث بالضرورة صوتا مخالفا لما تحدثه قصبة من طول آخر ، فإن من المرجح أن يكون قد تم تقريب كل هذه القصبات تبعا لأطوالها الخاصة ، بقصد ألا تصنع فى النهاية سوى آلة ناى واحدة تستطيع كل النغمات أن توجد وأن تنتظم بها ، وهو ما أدى إلى صنع الناى ذى القصبات السبع الذى أطلق عليه اسم ناى الإله بان[*] ، أى **الناى الذى يصدر كل الأنغام** ، لأنه فى واقع الأمر يعطى كل النغمات الدياتونية المختلفة ؛ وفى النهاية ، ومع دورة الزمن ، فلابد أن الناس ، كما هو مرجح ، قد ارتأوا أن يثبتوا فى قصبة واحدة ووحيدة وبالترتيب ، الأبعاد المختلفة لأطوال القصبات السبع السابقة بأن يثقبوا ثقبا فى المكان الذى ينتهى عنده طول كل منها ، وهكذا تكون الناى ذو القصبة الواحدة[2].

---

(١) كوكريتيوس ، عن طبائع الموجودات ، الكتاب الخامس ، بيت ١٣٨١ وما بعده .

(*) بان ، هو إله المراعى والقطعان ؛ وكان يجوب الجبال والوديان مشتتا أو منظما لرقصات حوريات الغاب ، مصطحبا معه الناى الرعوى الذى اخترعه ، وكانت له أقدام وقرون ماعز ، وكان ظهوره يوحى بالفزع والرعب . [المترجم]

(٢) يبدو أن الناى ذا القصبة الوحيدة ، والمثقوب ثقوبا عدة ، لم يكن له فى البداية من منفذ سوى فتحة =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الوقت نفسه ، فإن هناك نوعا ثانيا من النايات يسمى المونول أى وحيد القصبة ، جاء على غرار النوع الأول (قبل تطويره) ، ولم يكن سوى قصبة بسيطة من البوص ، الأمر الذى أدى إلى حدوث بعض الخلط ، وولد تفور المؤلفين أو شكوكهم بخصوص أصل ، ومنشأ النايات وحيدة القصبة ، على النحو الذى ستواتينا الفرصة قريبا ان نتبينه .

=الفوهة العليا ؛ وعلى الأقل ، فلا تزال هى حتى اليوم الفتحة الوحيدة للناى أو « الفلاوت » المصرى ، المعروف باسم ناى الدراويش ؛ ونعتقد نحن أن له أصلا بالغ القدم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الثانى

عن اختراع وعن أصل آلة الناى المصرى

من المؤكد أن الناس قديما فى مصر كانوا يستخدمون أنواعا كثيرة ومختلفة من آلة الناى ، نرى رسوما لها داخل جبانات الجيزة ، وفى كهوف الجبل الواقع فى مدينة إيليتيا القديمة (الكاب حاليا) .

وقد نسب أوفريون فى كتابه الشعراء الغنائيون[1] إلى عطارد اختراع الناى البسيط ذى القصبة الواحدة (المونول) ، وان كان آخرون ينسبون شرف صنعه إلى سيوث Seuth وروناكس ميديس Ronax Médes ؛ وقد يكون اسم سيوت هو نفسه اسم تحوتى الذى يطلقه أفلاطون على عطارد ، أو لعل الاسم لم يكن سوى صفة يشار بها إلى أول رجل عبقرى ابتكر استخدام الناى أو فن العزف عليه . كما يشار بهذه الصفة نفسها إلى أول من اسس فن اللغة وفن الكتابة .

ويخبرنا جوبا Juba[2] فى كتابه الرابع من مؤلفه التاريخ المسرحى Histoire Théatrale ان المونول أو الناى وحيد القصبة قد تم اختراعه على يد أوزيريس ، وهو نفس ما يقال بالنسبة للناى الذى أطلق عليه اسم فوتنكس Photinx[3]. ومع ذلك ، فبالإضافة إلى أنه لا يرجح كثيرا ان يقدر رجل واحد بمفرده أن يكون مخترعا لنوعين من الناى مختلفين لهذا الحد ، بسبب من طول الخبرة والفن والاتقان فى الصنع الذى يفترضه النوع الثانى ، فإن كل شىء يبعث على الاعتقاد بأن الناى البسيط نفسه كان سابقا بوقت طويل على وجود أوزيريس ؛ وفضلا عن ذلك فقد تفرقت الأراء بخصوص نوع هذا الناى الذى اخترعه هذا الملك من ملوك مصر ، ويقول بوللوكس[4] Pollux ان الناى الذى ابتكره أوزيريس كان من قش الشعير ،

(١) أثينايوس ، مأدبة الفلاسفة ، الكتاب الرابع ، الفصل ٢٥ ، ص ٨٤ .

(٢) المؤلف نفسه ، المرجع نفسه الفصل ٢٣ ، ص ١٧٥ ؛ يوستاثيوس ، عن الالياذة ، الكتاب الثامن عشر ، البيت ٥٢٦ ، ص ١١٥٧ .

(٣) يورد جروتر Gruter هذين النوعين من النايات فى اللوحة رقم ٢٧ .

(٤) المعجم ، الكتاب الرابع ، الفصل العاشر ، عن أصل الأنواع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويتحدث سولان Solin عن ناى مصرى مصنوع من قصب البوص ينسب يوستاث Euthtathe اختراعه إلى نفس أوزيريس .

وبلا ريب فقد كان كل من أوفوريون وجوبا يريد أن يشير بكلمة مونول أو الناى البسيط ذى القصبة الواحدة إلى الناى الخالى من الثقوب التى تحدد ملمسه ، أى إلى ذلك الناى الذى كان استخدامه يقتصر على اصدار أصوات التحذير أو النداء ، على النحو الذى صنع عليه أول الأمر ، طبقا لما يخبرنا به أبوليوس Apulée[١] .

وفى الوقت نفسه فقد يبدو أن هوميروس[٢] يريد لنا أن نفهم أن عطارد قد اخترع كذلك فن العزف على الناى ، وان كان من المحتمل أنه لم يشأ أن يتحدث إلا عن التفنن فى إحداث صوت مناسب بهذه الآلة ، صوت أو نغمة يستطيع الناس أن يسمعوها عن بعد ؛ بل إن ذلك هو المعنى الوحيد الذى نستطيع أن نعطيه للأبيات التى يشير فيها هذا الشاعر إلى الناى الذى اخترعه عطارد . وقد كان هذا الناى البسيط ، ذو القصبة الواحدة ، على الأرجح ، هو ما كان يسميه **بالناى اللوتس** : lotos أو lotus[٣] ، نسبة إلى شجيرة كان هذا الناى يصنع منها ، كما كان يطلق عليه اسم **الناى الليبى**[٤] .

وطبقا لدوريس Duris ، فى مؤلفه عن تاريخ أعمال أجاتوكل[٥] Histoire des action d'Agthocle ، فإن شخصا يدعى سيريتيس Seirites وهو راع ليبى ، هو الذى اخترع هذا الناى ، كما كان هو أول من صاحب بهذه الآلة ترتيلا موجها إلى خيريس Cérés وكان هذا الرجل ينتمى إلى أمة السيرت Syrtes فى برقة ، وهو بلد كانت تنمو فيه أجمل شجيرات اللوتس ، وكان بالتالى أفضل مكان تصنع فيه آلات الناى ، فقد كانت بلاد برقة تنتج نبات اللوتس بوفرة شديدة ، وجودة عالية ، حتى

---

(١) أبو ليوس ، المنتخب ، الكتاب الأول .

(٢) نشيد إلى هرميس ، بيت ٥٨٨ وما بعده .

(٣) يوريبيديس ، عابدات باكخوس ، بيت ١٣٥ ، ١٦٠ وما بعده ؛ نفس المؤلف ، أبناء هيراكليس ، بيت ٨٩٢ ؛ بلينيوس الأكبر ، التاريخ الطبيعى ، الكتاب ١٣ . فصل ١٧ ؛ يوستاثيوس ، فى تعليقه على الالياذة ، النشيد ١٨ ، بيت ٥٢٦ .

(٤) يوريبيديس ، ايفيجينيا فى أوليس ، بيت ١٠٣٦ ؛ الطرواديات ، بيت ٥٤٣ وما بعده .

(٥) أثينايوس ، مأدبة الفلاسفة ، الكتاب ١٤ ، فصل ٣ ، ص ٦١٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كاد السكان أن يتخذوا من هذه الشجيرات طعامهم الأوحد ، الأمر الذى جعل الاغريق يطلقون عليهم اسم : أكلة اللوتس[1]

وبمضى الأيام صنعت نايات مقوسة أو مثنية من خشب اللوتس طبقا لما يخبرنا به أوفيد[2] . ومع ذلك فليس من المرجح فيما يبدو لنا أن تكون هذه النايات قد صنعت كلية من الخشب الذى لابد له أن ينثنى أو يلتوى بصعوبة حين يكون جافا . وبلا جدال ، فقد كان هذا الجزء المقوس من الناى يصنع من قرن بقرة على النحو الذى كان عليه الجزء المقوس للنايات الأخرى المصنوعة من الخشب والتى لها نفس الشكل ؛ ولهذا السبب فإن الشعراء كانوا يشيرون إليه عادة بالصفة adunco cornu أى القرن المعقوف[3]

كذلك قد صنعت نايات من اللوتس ذات قصبتين ، كان يطلق عليها فى مصر اسم الفوتنكس Photinx ، أما اليونان فكانوا يشيرون إليه باسم بلاجيولوس Plagiaulos وأما اللاتين فكانوا يشيرون إليه باسم أوبليكا Obliqua أى الناى المائل أو المنحرف .

ومع ذلك فلم تكن كل أنواع الفوتنكس أو الناى ذى القصبتين مائلة أو منحرفة ، فقد كانت توجد منها نايات ذات قصبتين تلتصق كل منهما إلى الأخرى ، على غرار تلك التى لا تزال تستخدم فى مصر حتى اليوم ، والتى تعرف باسم أرغول .

وفيما مضى ، شاع استخدام الناى ذى القصبتين بين السكندريين الذى حازوا شهرة واسعة فى فن العزف عليها ؛ وفى بعض الأحيان كان يجمع بين الناى وحيد

---

(١) سترابون ، الجغرافيات ، الكتاب ١٧ ، ص ٩٦٩ ؛ بلينيوس الأكبر ، التاريخ الطبيعى ، الكتاب الخامس ، فصل ٣ ، ص ٦٧ ؛ هيرودوت ، التاريخ ، الكتاب الثانى ؛ ديودور الصقلى ، مكتبة التاريخ ، الكتاب الأول ، فصل ٣٤ ص ٩٩ ؛ المؤلف نفسه ، فصل ٤٣ ، ص ١٣٤ .

وكان ينمو فى مصر كذلك نبات يحمل هذا الاسم ، كان المصريون يصنعون منه ، الخبز الذى يأكلونه ؛ وكانوا ينسبون ابتكار هذا الطعام إلى إيزيس .

(٢) أوفيديوس ، التقويم ، الكتاب الرابع ، بيت ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٣) المؤلف نفسه ، المرجع نفسه ، بيت ١٨١ ، ١٨٩ ؛ المؤلف نفسه ، رسائل من يونتوس ، الكتاب الأول ، الرسالة الأولى ، بيت ٣٩ ؛ ستاتيوس ، مآثر طيبة ، الكتاب السادس ، بيت ١٣١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القصبة والناى ذى القصبتين فى المآدب ؛ وكانت الآلة الأولى لا تزال تستخدم لمصاحبة الرقص وضروب المباهج الأخرى . ومع ذلك فليس هنا مجال الحديث عن كل الأغراض المختلفة التى كانت تستخدم فيها هذه الآلات الموسيقية . ويكفينا هنا أن نعرف أن كان هناك نوعان من الناى المصرى يصنعان من خشب اللوتس ؛ أولهما ، وهو بلا ريب أقدمهما وهو الذى أسماه الاغريق lotos monaulos أى الناى وحيد القصبة المصنوع من خشب اللوتس ، وهو يشتمل على قصبة واحدة مستقيمة ؛ وثانيهما وكان يعرف باسم لوتس فوتنكس أى الناى المزدوج المصنوع من اللوتس وكان مثنيا ؛ وقد كان هذا الأخير ، فيما يرجح ، هو الذى وصفه أبوليوس Apulée باعتباره آلة موسيقية مصرية ، خاصة بكهان سيباريس[١] .

---

(١) أبوليوس ، المسخ ، الكتاب الحادى عشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الثالث

عن اسم الناى المستقيم فى اللغة المصرية وعن تأثيره واستعماله

يتحدث أوستاتيوس[1] عن آلة نفخ تسمى باللغة المصرية خنـو – وى Chnoué ، ويشير إليها باعتبارها بوقا مثنيا ، وينسب اختراعها إلى أوزيريس[2]. أما الوصف الذى يعطيه لهذه الآلة فيتماثل مع الناى المقوس الذى كان يستخدمه كهنة سيباريس ، والذى يتحدث عنه أبوليوس[3] ومع الناى الذى يسميه أثينايوس[4] فوتنكس (أى الناى ذى القصبتين) ، والذى ينسب جوبا اختراعه إلى أوزيريس ، والذى ظن جابلونسكى أن من المحتمل أن يكون هو النوع نفسه من الآلات التى كانت تستخدم لدعوة المصريين إلى الاحتفالات الدينية ، والذى يطلق عليه أحيانا اسم بوق وأحيانا أخرى اسم ناى .

ومع ذلك ، فإن من غير المحتمل أن يكون ممكنا على الاطلاق أن يتم الخلط على هذا النحو بين آلتين يختلف صوتاهما لهذا الحد ؛ وفضلا عن ذلك فقد كان للبوق المصرى صوت قوى ومنفر ، إذ يقرر بلوتارك أن صوت هذه الآلة كان يشبه نهيق الحمار[5]، وأنه لهذا السبب نفسه لم يشأ أهالى بوزيريس وليكوبوليس وأبيدوس ، الذين يفزعون من صوت الحمار ، باعتباره فى رأيهم ممثلا لعبقرية الشر طيفون ، أن يسمع عندهم صوت هذه الآلة ، فى حين كان ينبغى ، على العكس من ذلك ، أن يأتى الناى المصرى بالغ الدقة بالغ التطريب ، وبالإضافة إلى ذلك أخيرا ، فإن ديمتريوس دى فاليرا[6] حين يورد أن الكهان المصريين كانوا يوجهون إلى آلهتهم تراتيل على

---

(١) فى تعليقه على الالياذة ، النشيد الثامن عشر ، البيت ٤٩٥ ، ص ١١٣٩ .

(٢) المؤلف نفسه ، التعليق على البيت ٥٢٦ من نفس النشيد ، ص ١١٥٧ .

(٣) المسخ ، الكتاب الثانى ، ص ١٣٧١ .

(٤) مأدبة الفلاسفة ، الكتاب الرابع ، فصل ٢٣ ، ص ١٧٥ .

(٥) بلوتارك ، إيزيس وأوزيريس ، ترجمة (إلى الفرنسية) أميون ، ص ٣٢٤ ؛ إيليانوس ، عن الحيوان ، الكتاب العاشر ، فصل ٢٧ .

(٦) ديمتريوس إلفاليرى ، عن البيان ، ص ٦٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحركات السبع ، التى كانت بفعل رقة جرسها تحل محل مقامات الناى والكيتار ، فإنه قد خول لنا لدرجة كبيرة أن نوقن أن رنين الناى كان لطيفا ورقيقا ، ويختلف بالتالى أشد الاختلاف عن صوت البوق .

ان اسم شنو – وى chnouê الذى يغطيه أوستاثيوس للبوق المصرى ، ينبغى فى رأى جابلونسكى أن يكتب شو – نو – وى Chonoué وطبقا لما يراه الأخير فإننا لسنا بصدد اسم للبوق المقوس ولا الناى ذى القصبتين الخاص بالمصريين ، ولابد أن يكون هذا الاسم متصلا بالناى المستقيم والبسيط ، المسمى بالناى وحيد القصبة أو المونول . ويبنى جابلونسكى رأيه على أن كلمة أولوس aulos فى كتب الأقباط ، والتى تعنى الناى المستقيم ، كانت تتحول على الدوام إلى الكلمة دجو djo أو خبى اندجو Cébi andjo على النحو الذى نجدها عليه فى الرسالة الأولى إلى أهل كورنتوس ، الاصحاح الرابع عشر ، الآية ٧ ، كما يبنيه على أن كلمة إردجو erdjo فى القبطية تعنى : يعزف على الناى ، وعلى أننا نجد كلمة ريسدجو repsdjo فى إنجيل متى ، الاصحاح التاسع ، الآية ٢٣ ، وكذلك فى سفر الرؤيا ، الاصحاح الثامن عشر بمعنى عازف الناى .

أما بخصوص المقطع الصوتى الأخير من كلمة شو – نو – وى فيظن جابلونسكى أنه هو نفس الكلمة التى يستخدمها هورابللو Horapollo[١] والتى يكتبها بالقبطية αίε ϒ. وبمعنى آخر ، وكما قد استشعر ذلك مؤلفنا فى مكان آخر[٢]،

---

(١) الهيروغليفية ، الكتاب الأول ، فصل ٢٩ .

(٢) يشعر المرء براحة تامة حين يجد هذا المبحث فى مكان آخر ، وعنوانه أواه (أواى) . صيحة تسمع عن بعد لدى المصريين : « وىْ » ، وعلى هذا النحو يفسر الأمر كذلك هواربللو (المرجع السابق ، الكتاب الأول ، الفصل التاسع والعشرين) .

أما بوشار فى : Hierozoico, part. I, p. 866 فقد حاول حقيقة أن يجد لهذه الكلمة تفسيرا فى اللغة العربية ؛ وان كان ويلكنز Wilkins : فى مؤلفه عن اللغة القبطية : de lingua coptica, pag. 16 يظن أن كلمة phonê (فونى) تؤخذ على أنها الصوت المنتحب أو الباكى ، على غرار الـ ouai أواى عند الاغريق ، والتى اعتاد الأقباط أن يحولوها فى كتبهم إلى وى . ومع ذلك فإن كلمات هواربللو تعنى شيئا مغايرا ، إذ يخبرنا هذا الأخير أنها لا تعنى الصوت المنتحب ، ولا صوتا من أى نوع وإنما تعنى الصوت الذى يسمع عن بعد ، والذى كان المصريون يسمونه ومنذ ما يزيد على أربعين عاما أواىْ ouaie ، وقد كان صديقى الطيب المحترم =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فإن هذه الكلمات oueê أو – ويه ، و ouei أو – وى ، و oueou أوى – يو التى تعنى فى اللغة المصرية : طويل أو متباعد ، وحيث تعنى الكلمة القبطية التى يوردها هواربللو الصوت أو النغمة التى تسمع عن بعد ، فإنه ينتج عن ذلك أن الكلمة القبطية djonouei دجونووى أو djonoué دجونوويه[1] هى اسم لهذا الناى الذى يسمع عن بعد . ونجد الدليل على ذلك عند جوليوس بوللوكس عندما يطلق على الناى المصرى اسم بوليفثونجوس سونورا[2] Polyphthongos sonora أى الذى يمكن سماعه عن بعد ، وهو يظن أن هذه النايات كانت تستعمل فى دعوة المصريين إلى الحفلات الدينية[3]، ويعيد إلى الأذهان ، بهذه المناسبة ، شهادة سينسيوس Synesius[4] وكلوديان Claudien[5]، اللذين يتحدثان عن النايات المقوسة عند المصريين[6] ؛ وأخيرا فإنه يبرهن ، عن طريق اقتباسات كثيرة من ماريوس

= كروتشه Croze قد لفت نظرى جيدا إلى أن كلمة أواى ouaie عند هواربللو هى نفس هذه الكلمة عند الأقباط ، والتى نقرؤها فى غالبية الأحيان فى كتبهم ، وأنها تعنى ميكروفن mekroffen على النحو الذى يقول به المؤلف نفسه (هواربللو) انظر :

XXII V. 19; psx, v, 1; Eph. II, v. 17

ومواضع أخرى كثيرة .

إذن فكلمة أواى ouaie ، أو بالأحرى الكلمة القبطية التى لها نفس النطق ، هى حرفيا الكلمة مكروفن mekroffen ، أى الشىء الذى يمكن أن يرتبط بأشياء كثيرة ؛ وان كان يجب أن نفهم ضمنا منها هنا phone أى الصوت

جابلونسكى ، الأصوات المصرية عند الكتاب القدامى ، ص ١٩٠ ، تحت كلمة ouaie (أواى) .

(١) وهى الكلمة نفسها التى يكتبها الاغريق Chonoué شو نو – ويه ، أو Chnoué شنو – ويه .

(٢) يوليوس بوللوكس ، المعجم ، الكتاب الرابع ، فصل ٩ ، ص ١٨٨ ، عن آلات النفخ .

(٣) يتفق يوريبيديس فى تراجيديته عابدات باخوس مع هذا الرأى فى البيت ١٦٠ وما بعده :

« عندما يردد المزمار المقوس أنغامه الحلوة

فإنه يتغنى بالمسابقات المقدسة »

وهذا الناى الذى يشير إليه يوريبيديس باسم لوتس Lotus هو بوضوح ناى مصرى ، من نوع الناى الذى نحن بصدده .

(٤) عن العناية الإلهية ، الكتاب الأول ، ص ٦٦ .

(٥) عن القنصلية الشرفية ، البيتين : ٥٧٤ ، ٥٧٥ .

(٦) يتحدث عنه يوريبيدس كذلك فى تراجيديه الضارعات .

فكتورينوس Marius Victorinus[1] ومن كسيفيلين Xiphilin أن هذا النوع من النايات كان ينبغى له أن يكون طويلا ومستقيما ، وليس معقوفا أو مقوسا على النحو الذى زعمه أوستاتيوس ، وان يكون بالتالى مختلفا عن ناى آخر من النوع نفسه وان كان أكثر قصرا ، وكان يطلق عليه اسم جنجلاروس Ginglaros. كذلك يقول جوليوس بوللوكس ، الذى يتحدث عن هذا الناى الأخير ، والذى ينظر إليه باعتباره نايا مصريا ، إنه لم يكن من شأن هذا الناى إلا أداء الألحان البسيطة .

هكذا إذن قد كان لدى المصريين نوعان من النايات المستقيمة : نوع طويل يسمى دجو - نو - إى ، هو ذلك الذى نراه مرسوما على جدران جبانات الجيزة ، وآخر أقصر ويسمى جنجلاروس ، شبيهة بتلك التى نراها مرسومة فى بنى حسن[2].

(١) الكتاب الأول ، فن النحو ، ص ٢٤٨٧ ، طبعة بوتشى .

(٢) انظر لوحات النقوش البارزة الموجودة على جدران كهوف بنى حسن فى مصر الوسطى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الرابع

عن اسم البوق واسم الناى المقوس في اللغة المصرية

عندما نقابل بين شهادات كل من هيرودوت ، وديمتريوس ، وسترابون ، وبلوتارك ، وإليان Elien ، وأبوليوس ، وسولان ، وأثينايوس ، وفوللوكس ، وأوستراتوس – فإن من السهل كما يقول جابلونسكى أن يتبين المرء أن المصريين لم تكن لديهم كلمة خاصة يعبرون بها عن البوق ؛ وفى واقع الأمر ، كما يلاحظ – هو – مرة أخرى ، ففى كلمة تستخدم فيها الترجمة السبعينية للعهد الجديد كلمة Salpinx سالبنكس بمعنى بوق ، فإن الأقباط يوردونها على الدوام بالاسم نفسه دون أن يحلوا محلها قط كلمة من لغتهم .

وهكذا ففى حين تجيء الترجمة السبعينية لعبارة : لا تدع البوق يصدح أمامك عندما تقدم صدقة ، الواردة فى انجيل متى على هذا النحو :

mê salpiseŝ emprosthen sou

فإننا نقرؤها فى الترجمة القبطية على هذا النحو التالى :

amper astap chdjôk

وبمعنى آخر فحيث نجد أن عبارة astap القبطية تأتى بمعنى ينفخ البوق ، فقد خلص جابلونسكى من ذلك إلى أن كلمة tap (تاب) هى اسم لآلة موسيقية مصرية ، وان هذه الآلة ، على وجه التحديد ، هى تلك التى أشار إليها أوساتيوس باسم chnouê ، أى الناى المقوس .

ومع ذلك ، فإننا نظن أننا نقف على أرضية ثابتة حين نعتقد أن كلمة « تاب » لم تكن تعنى قط الناى المقوس ، وإنما هى تعنى بالأحرى البوق المصنوع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من القرون ، أى البوقسان ، فهنا على الأقل ، يوجد المعنى الحقيقى الذى يقدمه الأقباط فى ترجمتهم للعهد القديم كما يمكننا أن نراه فى الآية الخامسة ، من المزمور الثامن والتسعين(*) حيث استبدلوا الكلمة القبطية « تاب » بالكلمة العبرية شوفار(**) **ومعناها البوقسان أو الأبواق المصنوعة من القرون .**

من هنا ينتج أننا حين نقر مع جابلونسكى بأن كلمة شونو – ويه أو شنو – ويه إنما تشير إلى الناى المستقيم أو الطويل وليس إلى الناى المقوس أو المعقوف ، فإننا مضطرون إلى الاعتراف بان اسم هذا الناى الأخير ، فى اللغة المصرية القديمة ، مجهول لنا تماما ولو لم يكن أبوليوس فى تحولاته أو مسخه « ميتامور فيزوس » ، قد قدم لنا هذه الآلة باعتبارها آلة موسيقية كانت تستخدم فى حفلات العبادة فى مدينة سيرابيس ، لكنا مدفوعين إلى الاعتقاد بأن هذه الآلة لا تنتمى قط إلى المصريين . حيث لا نلمح لها أثرا ، فى أى مكان ، فوق جدران المبانى الأثرية الباقية من مصر القديمة .

(*) ونصها : « رنموا للرب بعود ، بعود وصوت نشيد » ولعله إذن يقصد الآية السادسة ونصها : « بالأبواق وصوت الصور اهتفوا قدام الملك الرب » . [المترجم]

(**) أو الشيور وهى بوق اليهود وهو البوق الذى يستخدم فى الأعياد الكبرى كرأس السنة ، والعيد الأكبر ، عيد الصيام . انظر الموسيقى والغناء عند العرب ، لأحمد تيمور باشا ، ص ١١٩ . [المترجم]

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

عن الآلات الصاخبة أو الجرسية عند المصريين

المبحث الأول

عن رأى بعض العلماء حول شكل واسم المزهر أو الجلجل

يعتقد بعض العلماء أن المصريين القدماء قد أشاروا بكلمة واحدة إلى الآلات الجرسية ، أى الآلات الصاخبة ذات الايقاع ، والتى ينقر عليها ؛ ومع ذلك فليست لدينا الآن ، بخصوص هذه النقطة ، سوى أفكار غير مؤكدة .

ويقتضى الأمر من المرء أن يكون قد مر بمواقع الأحداث ، أو أن يكون قد شاهد المزهر كما هو منقوش فوق جدران المبانى القديمة فى مصر ، حتى يكون لنفسه فكرة دقيقة عن هذه الآلة الموسيقية . ونحن نجد مزاهر ذات أشكال مختلفة فى النقوش التى رسمت بينها هذه الآلة فى غالبية المؤلفات التى عالجت آثار مصر القديمة . ولقد جازف كثيرون بتقديم عدد كبير من التخمينات حول الشكل الذى منحه المصريون لهذه الآلات ، حتى لم يعد المرء بمستطيع ، وسط هذه التخمينات المتعارضة والكثيرة ، أن يعرف أى هذه التخمينات يمكن أن يوليه ثقته الكاملة .

فقد كان برتران أوتون داجان Bertrand Autonne d' Agen فى مؤلفه Commentaires sur Juvénal[1] يظن أن المزهر أو الجلجل نوع من البوق المصرى أو أنه آلة موسيقية من نوع ما ؛ اما برتيانيكوس Britannicus فكان قد أشاع هذا الرأى

---

(١) « فلتقرر إيزيس أى أمر ترغب فيه فيما يخص بدننا ،
ولتصفع أبصارنا بجلجلها الغاضب » .
(بوفيناليس ، الهجائيات ، ك ١٣ ، البيتين ٩٣ ، ٩٤)

نفسه عند بيانه لنفس الآلة الموسيقية التى تحدث عنها أوفيد[١]، وافترض آخرون أنها نوع من الصور أو البوق أو أنها نوع من أنواع آلة الناى ، مؤسسين رأيهم فى ذلك على ما قاله مارشيال Martial[٢]، وزعم فريق آخر أن هذه الآلة لابد ان تكون دفا ، وزعم آخرون بأنها الصناج . وأخيرا فقد كان الناس فى أوربا عامة منذ أقل من مائتى عام ، لا يزالون يجهلون ما كانته هذه الآلة الموسيقية عند المصريين والتى أطلق عليها اسم مزهر Sistre .

أما اليوم ، فقد بات كل العلماء على اتفاق بأن المزهر أو الجلجل هو نوع من آلات الايقاع أو من آلات الصخب ، ولم يعودوا ينخدعون فى شكله . وسوف توضح الرسوم التى عملت لهذه الآلة ، نقلا عن المبانى القديمة فى مصر ، الفرق بين المزاهر أو الجلاجل المصرية وبين مزاهر الاغريق والرومان إذ يختلف شكل هذه عن شكل تلك على الدوام .

ويظن غالبية المؤلفين الذين قاموا بأبحاث حول المزاهر[٣] أن اسم مزهر Sistre ، ينتمى إلى اللغة اليونانية وليس إلى اللغة المصرية ، وأنه قد جاء من الفعل اليونانى seiein بمعنى يهز أو يرج أو يقلقل ، ويؤسسون هذا الرأى على التعريف ، أو بالأحرى

---

(١) « أين هو (الشخص) الذى بلغ من الجسارة حدا يرغم المترنح ،
على الرحيل من بوابة فاروس وهو يمسك فى يده بالجلجل ذى الصليل ».
(أوفيدوس ، ك ١ رسالة ١ ، البيتين ٣٧ ، ٣٨) .

(٢) « إن يتدلّ أمام بصرك عبد صغير باك من عنقه
فهو يهز بيده الرقيقة هذا الجلجل ذا الصليل »
(مارتياليس ، الابجرامات ، ك ١٤ ، ابجرامة ٥٤) .

(٣) ادريان . تورنيبوس ، Advers ، الكتاب الثامن والعشرين ، الفصل ٣٣ ؛ هارديانوس يوانيس ، الفصل الخاص بالآلات الموسيقية ، رقم ٢٤٥ ؛ ديمستريوس ، العصور القديمة ، الكتاب الثانى ؛ بولنجر ، عن المسرح ؛ المعجم العالمى ، تحت كلمة Sistrum (المزهر أو الجلجل) ؛ هينسيوس ، الكتاب الأول ، البيت ٤٩٩ ؛ كاساليوس ، عن العادات المصرية ، فصل ٢٤ ؛ فابريكيوس ، معجم الكنز ، تحت كلمة Sistrum (سسترون) ، بيجيروس فى معجم الكنز ، المجلد الثالث ، ص ٣٩٩ ؛ بارتيليميوس ميرولا ، تعليقات على الكتاب الثالث من فن الهوى لأوفيدوس ، بيت ٦٣٥ ؛ كيينج ، العصور الرومانية القديمة ، مجلد ١، جزء ١ ، فصل ٥ ، رقم ٢ ؛ بوكارت فى كتابه Phaleg ، ك ٤ ، فصل ٢ ؛ هيروتيموس بوسى (سان جيروم) ، الايزيسى اسباكوس أو عن الجلجل ، فى المعجم الجديد (الكنز) للعصور الرومانية القديمة من ألبرتو سالنجر ، in-fol ، هاجاى كوميتام ، ١٧١٨ ؛ د : بينيديكتوس باكينوس ، عن صور الجلجل واختلافاته ، بونونيا ، ١٦٩١ .

على التفسير الذى قدمه بلوتارك[١] عن المزهر ، فقد اعتقدوا ان هذا التفسير يتضمن اشتقاق اسم هذه الآلة . ويبدو أن جابلونسكى كان من أنصار هذا الرأى[٢]، منحيا بذلك تفسير إيزيدور دى سيفيل Isidore de Séville الذى يقول[٣] ان اسم المزهر مشتق من اسم ايزيس التى كانت هذه الآلة موجهة إليها بصفة خاصة[٤].

أما بالنسبة لنا ، فإننا نجهل حقيقة الدوافع التى أدت إلى تفضيل الاشتقاق الأول على الأشتقاق الذى يقدمه ايزيدور ، ذلك أن الروابط فيما بين كلمة seiein (الفعل) و seistron (المزهر) ، لا تعطى الاحساس بأنها أكبر من تلك الروابط القائمة بين اسم ايزيس Isis والمزهر Sistre .

صحيح أن كلمة seiein (سى — ين) تعنى فى اليونانية يهز أو يرج وأن المزهر أو السستر آلة لا نستطيع أن نجعلها تصل أو تتز إلا بهزها أو رجها ؛ ومع ذلك ، فإذا ما أخذنا فى الاعتبار المعنى الرمزى الذى تقدمه هذه الآلة ، وهو الذى يحسم كل ما هو فى مجال الترجيح والاحتمال فيما يختص باسم المزهر ، واذا ما تأملنا المعنى المجازى كذلك لاسم ايزيس فسوف ندرك أن هناك ، من هذا القبيل ، الكثير من التماثل بين السستر (المزهر) وبين ايزيس أكثر من ذلك الذى يقوم بين اسم هذه الآلة الموسيقية والفعل اليونانى سى — ين Seiein ؛ وفى الواقع ، كما يخبرنا بذلك بلوتارك[٥] فإن السستر (المزهر) كان رمزا لحركة منتظمة ومرتبة تشكل وتمنح الوجود والحياة ، وطبقا لرأى المؤلف نفسه فإن اسم ايزيس مشتق من كلمة يستاى iesthai ومعناه يتحرك

---

(١) أسطورة إيزيس وأوزيريس ، بلوتارك .

(٢) الأعمال ، المجلد الأول ، الأصوات المصرية عند الكتاب القدامى ، ص ٣٠٩ .

(٣) إسيدوروس هسبالينسيس إبيسكوبوس ، الأصول ، ك ٣ ؛ عن الموسيقى ، فصل ٨ ، ص ٧٦ .

(٤) لم يكن جابلونسكى هو وحده الذى لم يرق له هذا الاشتقاق ، كذلك لم يكن هو أول من فعل ذلك . فالعالم الدعى الذى وجه فى عام ١٧٢٦ إلى المسيو لوكليرك ، مؤلف المكتبة المختارة Bibbiothéque choisie كتابا يتصل بالمزهر ، قد سخر بالمثل من هذا الاشتقاق ، بل لقد بدا هذا الاشتقاق لاثرى متبحر سابق على العالم الذى أشرنا إليه ، بالغ الاعتساف انظر : هيرونيموس بوس (سان جيروم ، الايزيسى أو عن الجلجل أو المزهر) ؛ ومع ذلك فكل هذه الحجج ليست قط من الأمور التى تفرض نفسها ، إذ لم تؤسس على أى أسباب مقنعة .

(٥) أيزيس وأوزيريس ، ص ٣٣١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن علم وعن قصد وسبب : فإيزيس اذن ، وهى الحركة العاقلة الممتلئة حيوية ، هى فى الوقت نفسه ربة العلم والحركة .

وهذه المقابلة تجعلنا نتفهم بوضوح السبب الذى جعل المصريين يختصون بالمزهر إيزيس . وعلينا أن ندرك ، طبقا لمعتقداتهم أن إيزيس هى الصورة الرمزية للسبب الخفى المؤدى للحركة الرتيبة والمنظمة التى تهب الحياة ، وان المزهر هو الرمز لهذه الحركة ، ذلك أنه لم يكن هناك ما يدعو المصريين ، الذين كانت لغتهم المقدسة رمزية صرف ، أن يعطوا للمزهر اسما لم يكن من شأنه إلا أن يستبعد عن الذهن تلك الفكرة التى يلحقونها بهذه الآلة المقدسة ؛ وحيث كانت هذه الفكرة ترتبط برباط وثيق مع تلك الفكرة التى يوحى بها اسم إيزيس ، فقد كان عليهم أن يعبروا عن ذلك باسم يماثل هذا الاسم نفسه .

وهكذا لا يستطيع الاسم سستر (جلجل أو مزهر) ان يستمد أصوله من الفعل اليونانى سى — ين Seiein بمعنى يهز أو يرج ، حيث أن معنى هاتين الكلمتين (يهز ويرج) لا يستدعى إلى الذهن قط فكرة الحركة المنظمة والرتيبة ، بل إنه يقدم ، عكس ذلك ، **فكرة دفع أو جذب شىء ما بعيدا عن توازنه الطبيعى ، وإعطائه دفعة وقتية وهزة غير طبيعية على الاطلاق** ؛ وهو معنى يتعارض بوضوح مع الفكرة التى يلحقها المصريون بالاسم سستر أى المزهر : وفضلا عن ذلك ، فسوف يكون من المدهش ، لحد كاف ، ألا نجد لدى المصريين ، فى لغتهم ، كلمة تدل على هذه الآلة ، وأنهم بسبب ذلك ، كانوا مضطرين للجوء إلى اللغة اليونانية ، تلك التى لم تتكون إلا بعد قرون كثيرة من إقامة هذا الشعب (المصرى) لمؤسساته الدينية والسياسية .

ان الأمر الأكثر احتمالا من ذلك بكثير هو أن يكون الاغريق ، حين تبنوا ديانة المصريين ، قد احتفظوا للمزهر باسمه المصرى ، وذلك للسبب نفسه ، والذى من أجله احتفظوا لإيزيس باسمها ، مادامت آلة السستر (المزهر أو الجلجل) هى المُسنَدُ الرئيسى إلى هذه الربة .

وهكذا فنحن نذهب فى ظنوننا إلى خلاف ما ذهب إليه العلماء الذين عابوا أو نحوا الاشتقاق الذى قدمه إيزيدور لكلمة سستر ، وسنحاول ، فيما يلى ، أن نبرهن أن هذه الكلمة تستمد أصلها فى الواقع من اللغة المصرية ، وليس من اللغة اليونانية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الثانى

عن اسم المزهر فى اللغة المصرية
وعن اشتقاق هذه الكلمة

يظن لاكروتشه[1] أن السستر (أى المزهر أو الجلجل) ينبغى أن يسمى فى اللغة المصرية كمكم Kemkem ، وهى كلمة تعنى فى هذه اللغة آلة صاخبة أو آلة موسيقية تطن عندما تضرب أو تهز أو ترج . وقد بدت له هذه الكلمة مشتقة من Kim (كم) بمعنى يحرك أو يهز ؛ لكن كلمة كمكم هى فى الواقع الاسم الذى يخلعه الأقباط على الدف الذى نسميه نحن : دف الباسك ؛ فهم يقولون كمكم بمعنى دف ، وربس كمكم Repskemkem للإشارة إلى الرجل أو المرأة التى تضرب على هذا الدف .

لكن جابلونسكى يقترح كلمة أخرى تبدو لناظره أنها الاسم الحقيقى للمزهر فى اللغة المصرية . وقد عثر على هذه الكلمة فى الترجمة القبطية للرسالة الأولى إلى الكورنثيين ، الاصحاح الثامن ، الآية الأولى حيث حولوا النص اليونانى شاكلوس إيشون Chalcos echon إلى النص القبطى : أنوهومت إبسكنكن anouhomt epscencen بمعنى النحاس الأصفر فى حالة رنين ؛ ومن هنا نستنتج أن الكلمة القبطية كنكن لابد أن تفهم على أنها رنين النحاس الأصفر ، وبالتالى رنين المزهر أو الجلجل ، وهو الذى كان يصنع من النحاس الأصفر؛وعلى هذا يتفق أن تستخدم هذه الكلـــمة بالمثل للإشارة إلى صوت البوق (سفر الخروج ، الاصحاح التاسع عشر ، الآية ١٦) . وهذا ما يحول جابلونسكى دون أن يولى رأيه ثقة كاملة ؛ بل إن ناشره وشارحه فى الوقت نفسه ، المستر ووتر Water ينظر إلى رأيه ، أى رأى جابلونسكى باعتباره محوطا بالشكوك ، إذ تعنى هذه الكلمة ، حسبما بدا له ، رنين أو صوت آلة موسيقية من نوع ما .

---

(١) جابلونسكى ، الأعمال ، المجلد الأول ، الأصوات المصرية عند الأقدمين ، ص ٣١٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكى يدلل على رأيه يورد الترجمة القبطية لهذا النص اليونانى : Salpingos Echo (سالبنجوس إيكو) ، الوارد فى الرسالة إلى العبرانيين ، الاصحاح الثانى عشر ، الآية ١٩ ؛ تقول هذه الترجمة القبطية : بى – كنكن أنيتو سالبنجوس أو كما تقول اللهجة الصعيدية أوهرو – أو آن سالبنكس ، بمعنى صوت أو رنين البوق[1] وفضلا عن ذلك ، فإنه لا يرى تماثلا من أى نوع بين الكلمة القبطية كنكن Cencen وكلمة سستر أى المزهر أو الجلجل .

ومع ذلك فلا يمكن أن نستنتج بالضرورة من وجود كلمة Cencen ملحقة فى بعض الأحيان بكلمة البوق ، أن هذه الكلمة لا علاقة لها أبدا بكلمة سستر (أى المزهر) على وجه الخصوص ؛ فما دامت هذه الكلمة تعنى فى اللغة القبطية رنين أو طنين النحاس الأصفر ، فلا يمكن أن ننظر إليها باعتبارها تشير إلى رنين كل آلة موسيقية أياما تكون ؛ ذلك أن هناك عددا كبيرا من هذه الآلات لا يدخل فى تكوينها أبدا النحاس الأصفر .

وبرغم ذلك فقد كان يكفى أن تعنى كلمة كنكن Cencen الرنين أو الضجة الطنانة أو الرنانة التى يحدثها النحاس الأصفر ، لكى تصبح اسما للسستر أو المزهر أو الجلجل ، وأن تشير فى الوقت نفسه إلى الضجة الرنانة التى يحدثها البوق . كذلك ، فإن هناك احتمالا كبيرا فى أن يكون المصريون قد استخدموا بالمثل هذه الكلمة ، التى يستخدمها اللاتين بهذا المعنى نفسه ، حين ترجموا اسم المزهر بكلمة كريبيتاكولوم Crepitaculum وهى كلمة تعنى : **آلة موسيقية صاخبة تحدث صوتا رنانا** ؛ وذلك على نحو ما فعل الأقباط تعبيرا عن الصوت الرنان الذى يحدثه بوق مصنوع من النحاس الأصفر ، وهو الأمر الذى يمكن ملاحظته من هذين البيتين لفرجيل :

الانيادة – الكتاب السابع

عندئذ دوت طبول الحرب برنينها النحاس ،

وهى تصدر دويا مفزعا البيتان ٥٠٣ ، ٥٠٤

بل إننا قد نضيف بأن أفضل المترجمين اللاتين ، حين ترجموا اسم المزهر ، فإنهم قد جعلوه – وهذا أمر لا يحوطه أى شك – مشتقا ليس من الفعل Seiein

---

(١) انظر نهاية المبحث الثالث التى توافق بين رأى جابلونسكى وبين رأى ووتر Water

بمعنى يهز أو يرج ، وإنما من الفعل يحدث صدى résonner أو يرن retentir ، وأنهم ألحقوا بكلمة سسترون Sistron المعنى نفسه الذى يعطيه الأقباط لكلمة كنكين : وبمعنى آخر ، فإن من المرجح لحد كبير أن يكون اشتقاق آخر ، يتأسس على فكرة أخرى ، مغايرة لتلك التى تلحق على الدوام بالتفسير الخاص بكلمة ما ، كما هو الحال فى الاشتقاق الذى تم عن طريق استخلاص كلمة سسترون من سى-ين ، اشتقاقا حاذقا ، لكنه لا يقوم على أى أساس ، بل هو موغل فى الخطا .

هناك مبدأ طبيعى عند كل شعوب العالم ، يقودها عند تكوين واشتقاق الكلمات التى تشكلها أو تتبناها ، سواء تلك التى تشتقها من لغتها الخاصة أو تلك التى تستعيرها عن لغة غريبة ، ذلك هو مبدأ التماثل ؛ فعندما تقابلهم حروف – وبصفة خاصة الحروف الجامدة – لا يكون نطقها مألوفا لهم ، أو لا يكون متفقا مع الذوق والعادات التى يأخذون بها ، فإنهم يستبدلون بها حروفا أخرى لها نفس اللفظ أو من مخرج صوتى مماثل ؛ مثال ذلك احلال حرف سنى (بكسر السين وتشديد النون) ساكن ، أكثر قوة أو أكثر رقة ، محل حرف ساكن سنى آخر ، أو حرف ساكن شفوى محل حرف شفوى آخر . أو حرف لسانى محل لسانى آخر ، أو حرف مائع بحرف آخر من النوع نفسه[1].

---

(١) وهذا هو ما فعلناه نحن (الفرنسيين) أنفسنا عند تشكيل وتكوين الكثير من كلماتنا ؛ مثال ذلك كلمة taper (ضرب – نقر) التى اشتققنا منها كلمة Tambour أى الدف ، وكلمة flamber بمعنى يشعل أو يوقد التى اشتققنا منها كلمة flambeau بمعنى الشعلة أو اللهيب ؛ وكلمة approuver بمعنى يؤمِّن (بشده مكسورة على الميم) أو يوافق التى أخذنا منها كلمة approbation بمعنى موافقة وكذلك الكلمات التى أخذناها عن الاغريق واللاتين مثل boê بمعنى صيحة vox التى جعلنا منها voix (صوت) ؛ وكلمة ، rhoden ، rosa التى جعلنا منها rose (ورد) ؛ وكلمة kyklus ، Circulus التى جعلنا منها Cercle بمعنى دائرة ؛ وكلمة kapanê التى جعلناها cabane أى الكوخ ؛ وكلمة kaballes التى حولناها إلى cheval أى الحصان ؛ وكلمة titlus ، titulus التى تحولت إلى titre أى العنوان أو اللقب إلى غيرها من المعانى ؛ وكلمة apostolus ، apostolus التى جعلناها apotre أى الرسول أو المبشر ، وكلمة episkopos ، épiscopus التى تحولت فى الألمانية إلى bischoff وفى الإيطالية vescovo وبالفرنسية éveque أى المطران . ولكن التحريفات أو التحويرات تصبح أكبر بالنسبة لكلمات اللغات الشرقية التى نقلت إلى اليونانية وكتبت بحروف يونانية ثم انتقلت إلينا عن هذا السبيل ؛ فالإغريق ، الذين كانوا يضحون بكل شىء فى سبيل رهافة آذانهم ، دون حرص منهم على الاطلاق على الاقتراب من النطق الصحيح للكلمات إذا ما بدت لهم جافة ، لم يكونوا ليوقفهم أى هاجس حين يقتطعوا منها الحروف التى يضايقهم لفظها أو .. يستبدلوا بها حروفا أخرى ، بالغة الاختلاف فى معظم الأحيان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا يصبح بالامكان ، أن تكون كلمة سسترون ، مشتقة من كلمة كنكن المصرية ، برغم الاختلاف الظاهرى الشديد بينهما .

ولكى نحسم هذه المشكلة بشكل أكثر وضوحاً ، فلن يكون تزيدا لا طائل من ورائه ، أن نتأكد مما إن كانت كلمة كنكن لن تقابلنا فى لغات أخرى — مع تغييرات طفيفة باعتبارها اسما للآلة الموسيقية التى نسميها نحن الجلجل أو المزهر (سستر) .

فنحن أولا ، نتعرف على هذه الكلمة دون مشقة فى الكلمة الأمهرية تزيناكل Tzenacel أو كيناكل Cenacel[1] التى تعنى فى هذه اللغة سستر أو مزهر ؛ فمن الواضح أن هذه الكلمة لا تفترق كثيرا عن الكلمة المصرية كنكن Cencen إلا فى تحويل الحروف القوية إلى حروف رهيفة ، وفى أنهم قد أحلوا الحرف اللسانى الساكن l (اللام) الذى ينهى هذه الكلمة ، محل الحرف اللسانى الساكن n الذى يتمم كلمة كنكن . أما بخصوص الحرف المتحرك a (وهو يقابل الفتحة فى اللغة العربية) ، الذى نجده فى الكلمة الأمهرية والذى لم يوجد قط فى الكلمة المصرية ، فنحن نعرف أنه لا توجد أبدا فى اللغات الشرقية سوى الحروف الساكنة أو الجامدة التى ينظر إليها باعتبارها الأجزاء الرئيسية للكلمات ، وأن الحروف المتحركة (وتقابلها حركات الفتح والكسر والضم فى العربية) لا تغير قط من طبيعتها ومن معانيها أو تفسيراتها . (كذا) . وللسبب نفسه فقد استطاع الأثيوبيون أن يحلوا الحرف الجامد اللسانى l أى اللام محل الحرف الجامد اللسانى الـ n أو النون ، ولسوف يكون بمقدور آخرين أن يستبدلوا بحرفى النون فى الكلمة المصرية كنكن حرفى لام لتصبح الكلمة بدورها كِلْ كِلْ (كسر فسكون وهكذا) وهو ما فعله العبرانيون أو بالأحرى الكلدانيون ، مع إضافتهم إلى هذه الكلمة ، النهاية الخاصة بالاصطلاح التعبيرى فى لغتهم ، مع تغيير الحروف القوية أو الغليظة إلى حروف رقيقة . وهكذا فبدلا من كنكن أصبح لدى هؤلاء فى البداية كلمة كلكل Celcel ؛ ومع تلطيف الحرفين الأول والرابع (الكافين) تكونت

---

(١) لقد كتبنا الكلمات الأثيوبية (الأمهرية) على الدوام طبقا لنطق القساوسة الأحباش ، وليس طبقا للمعاجم الأوربية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلمة تزلتزيلى Tzltzeilei أو تزيلتزيلى tzilttzelei. إذن ، فلم يتحتم لاحداث تغيير بهذا الحجم فى الكلمة المصرية ، سوى إحلال حرف جامد لسانى محل حرف جامد لسانى آخر ، وابدال حرف قوى بآخر ضعيف أو رقيق .

ونحن ننسب إلى الكلدانيين ابدال النون باللام ، طبقا لما يخبرنا به سكاليجر Scaliger ، الذى يلاحظ فى كتابه : « عن إصلاح الأزمان » :

De emendatione temporum

ان الكلدانيين كان من عادتهم أن يستبدلوا بحرف اللام حرف النون(١) فى كل كلمة يقابلهم فيها الحرف الأخير ، فكانوا يلفظون لابوخذنصر بدلا من نبوخذنصر ، ولابونيداس بدلا من نابونيداس ؛ ومن جهة أخرى ، فحيث أن العبريين قد أوشكوا على أن يفقدوا كلية صلتهم بلغتهم الأصلية ، بفعل تعودهم الاستخدام الدائم للغة الكلدانية أثناء أسرهم البابلى ، وحيث تعودوا أن يلفظوا الكلمات على غرار ما يفعل الكلدانيون ، فإن هناك كبير احتمال لأن يتطابق هؤلاء مع أولئك فى طريقة لفظ كلمة كنكن Cencen .

ولسوف يستطيع الاغريق ، وهم الذين استعاروا كل آلاتهم الموسيقية على وجه التقريب من الآسيويين ، أن يحصلوا كذلك على هذه الآلة أو على أقل تقدير على اسمها ، ولسوف يقومون طبقا لعاداتهم بأن يستبعدوا من كلمة تزلتزيلى Tzeltzelei كل ما يجعل نطقها عسيرا عليهم أو يسبب لهم فى ذلك بعض الضيق ، ولسوف يضيفون إليها كذلك النهاية التى تتفق مع التعبيرات الخاصة بلغتهم ؛ وهكذا فبدلا من تزلتزيلون Tzeltzelon التى كان عليهم أن يلفظوها ، أصبحوا يقولون فى البداية سستيلون Sistelon ثم ، بعد ذلك ، تحولت اللام إلى راء لكى يصبح النطق أكثر رقة وأصبحت تلفظ سستيرون Sisteron التى تحولت بفعل الدمغ أو الدمج إلى سسترون Sistron ، محتفظين على الدوام ، وعلى نحو ما كان الكلدانيون والعبرانيون قد فعلوه ، بالحرفين الصافرين اللذين يبدوان على أنهما الحرفان المصوران فى الكلمة المصرية كنكن Cencen .

---

(١) أى الحرف l فى مكان حرف الـ n (اللام فى مكان النون) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان التشويه أو التحريف الذى ألحقه الاغريق بهذه الكلمة كنكن Cencen ، التى تلقوها بالفعل محرفة فى شكل الكلمة Tziltzelei تزيلتزيلى لن يبدو مدهشا حين نقارنه بالتحريف الذى تناول الكلمة العبرية يكزكل Iechezchel والذى جعل منها إيزكييل Ezechiel (حزقيال ؟) ؛ أو كذلك بالتحريف فى الاسم شاجاى Chaggai والذى جعل منها Aggée وأخيرا بالتحريف الذى تناول الاسم Chizchiiale حين جعل منها Ezechias[1] الخ الخ .

---

(١) ليس هناك اختلاف فى التغييرات التى تناولت كل هذه الأسماء أكبر من ذلك التغيير الذى أصاب اسم مدينة رشيد والذى تحول فى لغتنا إلى روزيت Rosette .

المبحث الثالث

عن النوع الثانى من الآلات الجرسية
وعن اسمها فى لغة هؤلاء الأقوام

بخلاف المزاهر أو الجلاجل التى تتكرر رسومها كثيرا فوق جدران المبانى القديمة فى مصر ، هناك نوع آخر من الآلات الجرسية ، أو ذات الصليل ، أى الآلات الصاخبة ، نلحظ وجوده فى أماكن عدة . وقد بدت لنا هذه الآلات ، التى لها شكل القرص – نوعا من الصناج (الصاجات) . ونراها (فى الرسوم) عادة بين أيدى شخوص ، يبدو أنهم نساء ، يقمن بحركة رقص دائرية .

وفى واقع الأمر ، فإن ميناندر Ménandre ، الذى يشير إليه سترابون[1] ، يخبرنا بأنه فى مناسبة الأضحيات التى كانت تقدم خمس مرات فى اليوم الواحد ، كانت هناك نسوة يبلغ عددهن سبع سيدات ، يكون دائرة ، ويضربن بالصناج[2] ، فى حين كانت هناك أخريات يطلقن صرخات نافذة للغاية . ويبدو أن أوفيد ، بدوره ، قد رأى هؤلاء النسوة رأى العين ، حين تحدث فى الكتاب الثالث من تقاويمه « Fastes » ، البيت ٧٤٠ عن البحيات فى إثر باخوس[3]. كذلك يتحدث عنهن بلوتارك فى الكتاب الرابع من مؤلفه : أحاديث المائدة حين يقول : ليس هناك أكثر ولا أقل من وجود نسوة فى بلادنا ، يصنعن ضجة كبيرة فى الأضحيات الليلية التى كانت تقدم إلى باخوس والتى تسمى نيقتليا Nyctelia أى الأعياد الليلية ، واللاتى تطلق عليهن

---

(١) سترابون ، الجغرافيات ، الكتاب السابع ، ص ٣٥٧ .

(٢) « فى احتفال يقام خمس مرات فى اليوم ،
وسبع خادمات كن يقرعن الصناج خلال الدائرة ؛
وأخريات كن يولولن ما فى ذلك جدال » .
(مناندروس فى مسرحيته : كاره النساء) .

كذلك كان عدد النسوة اللاتى نراهن مرسومات على جدران المعبد الصغير فى إدفو حول مهد أوزيريس ، يضربن بالصناج ، يبلغ سبع سيدات .

(٣) جماعات من التابعات يمسكن بأيديهن صناجا يصدرن به صليلا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على وجه الخصوص الكنية : وصيفلت باخسوس أى Chalcodristas (شالكودريستاس) وهى كلمة تكاد تعنى : الحك على النحاس[١] .

أما بخصوص الاسم الذى يخلعه المصريون على هذا الصنف من الصناج ، (أو الصاجات) فإننا نعتقد أن ليس هناك من شغله هذا الأمر ، كما نشك أن هذا الاسم قد عرف على الاطلاق .

ومع ذلك فإننا نجد فى الترجمة القبطية للمزمور المائة والخمسين ، الآية ٥ ، اسم هذا النوع من الآلات الموسيقية وقد تحول إلى كيمبالون Kymbalon ، وإن كانت هذه الكلمة فى الواقع هى نفسها الكلمة الاغريقية التى تعنى الصناج أو الصاجات ، والتى نجدها فى الترجمة السبعينية ، والتى أخذ عنها الأقباط كلمتهم فى ترجمتهم للعهد القديم ؛ كما أننا لا نشك فى أن هذه الكلمة لا تنتمى قط إلى اللغة المصرية .

وإذا أردنا أن نحكم على الأمر عن طريق النص العبرى (للتوراة) أو عن طريق الترجمة الحبشية (الأمهرية) وهما يتطابقان تمام التطابق ، فسوف نجد أن اسم الصنج واسم المزهر أو الجلجل لا يختلفان فيما بينهما قط إلا عن طريق الصفة التى كانت تلحق بهما ، كليهما ؛ فقد كانت الصناج تسمى جرسيات رنانة[٢]، أما المزاهر فكانت تسمى جرسيات صاخبة[٣]. وفى كلتا الحالتين كانت العبرية تستخدم كلمة tziltzelei، أما الأمهرية فكانت تستخدم إيزيناكيل Izanacel، وهما تماثلان ، كما سبق أن استرعينا الانتباه ، الكلمة المصرية كنكن Cencen ؛ ومن هنا فإننا نخلص إلى أن كلمة كنكن كانت تعنى بصفة عامة النغمات أو الأصوات الرنانة التى تحدثها كل الآلات الموسيقية المعدنية ، وان أسماء الآلات المختلفة من هذا النوع ، لم تكن تتميز إلا بالصفة التى كانت تحدد إما شكل كل منها ، وإما نوع الرنين الذى كانت تحدثه .

---

(١) ترجمة أميو Amyot .

(٢) بالعبرية : ﻳﻰ تزلتزيلى شينا ، وبالأمهرية : ﻳﻰ تزيناكيل زيكتيه قالو .

(٣) بالعبرية : ﻳﻰ تزيلتزيلى ثيرو واه ، وبالأمهرية : ﻳﻰ تزيناكيل أوافا باﻗﻰ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع

عن آلات الايقاع المستخدمة فى موسيقى المصريين القدماء

المبحث الأول

ملاحظات تمهيدية

حيث قد واتتنا الفرصة فيما سبق للحديث عن استعمال الآلات الموسيقية أثناء بحثنا عن حالة الموسيقى القديمة فى مصر ، وعن أنواع الغناء وضروب الشعر المختلفة عند قدماء المصريين ، وعن دافع وغرض الأعياد السنوية ، وعن الاحتفالات وطابع صنوف الغناء التى كانت تصاحبها ، فإننا لا نستطيع أن ندخل فى بعض التفاصيل حول آلات الايقاع(1) دون أن نكرر أنفسنا . ولهذا السبب فإننا لن نسترجع قط ما سبق لنا أن لاحظناه فى مواضع عدة ، بخصوص هذا النوع من الآلات ؛ وسنكتفى هنا بأن نصف شكلها واستخدامها ، وأن نعرف بالاسم الذى كانت تعرف به قديما ، أو الذى تعرف به فى الوقت الراهن .

(1) كانت توجد هذه التفاصيل فى البحث الذى نتحدث عنه ، والذى كان ينبغى له أن يسبق هذا البحث ، لكنه تأخر حتى الملزمة التالية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الثانى

عن آلة إيقاع معينة من آلات الموسيقى عند قدماء المصريين ؛ عن شكلها واستخدامها ؛ عن صلتها الوثيقة البادية بآلة موسيقية م النوع الذى يستخدم فى بعض الكنائس المسيحية فى الشرق

من بين صور الشخصيات التى نجدها مرسومة فى موكب عرس ، نراه منقوشا على جدران أحد الكهوف الواقعة بالجبل الموجود بالقرب من إيليتيا (الكاب)[1] ، نلاحظ وجود بعض موسيقيين يقوم أحدهم بالنقر على القيثار (الهارب أو الجنك) ، ويقوم الآخر بالعزف على ناى ذى قصبتين ، وهناك ثالث يمسك بعصوين كبيرتين (واحدة بكل يد) يضربهما فيما يبدو ، الواحدة بالأخرى .

وقد كانت هذه الآلة – العصى المصفقة – تستخدم فيما يبدو فى تحديد وضبط ايقاع الألحان التى كان الموسيقيون الآخرون يعزفونها . وتدفعنا بساطة شكلها لأن نستخلص أن استخدامها يعود إلى عدة قرون بالغة القدم ، وأنها قد سبقت ولابد حتى ابتكار المزهر والدف والصناج وكل آلات الإيقاع الأخرى ، وهى الآلة التى سمحت ببقائها الأخلاق الصارمة التى كان عليها زهاد اليهود القدامى فى مصر ، ومن المعروف أن ديانة هؤلاء لم تكن شيئا آخر سوى الديانة المصرية القديمة ، بعد إصلاحها وتبسيطها وتخليصها من كل ما كان يشوبها من الوثنية مع خلطها بشىء من اليهودية والمسيحية .

وحيث لم يكن العبريون قط قد استخدموا آلة مشابهة لتلك التى نعنيها ، فإن كتب الأقباط التى لا تضم سوى العهدين القديم والجديد ، لم يكن بمقدورها فى

(١) انظر اللوحة رقم ٧٠ ، الشكل رقم ٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحقيقة أن تقدم لنا عونا من أى نوع ، حتى نستطيع أن نكشف عن اسمها فى اللغة المصرية القديمة .

ومع ذلك فقد وجدنا آلة من النوع نفسه تستخدم فى الكنائس الشرقية المنشقة فى الشرق (كذا) ؛ هى تلك التى يطلق عليها فى العربية اسم ناقوس ، وفى الأمهرية اسم تكقا Takqa ؛ ويوجد من هذه صنفان : ناقوس خشب ، أى الناقوس المصنوع من الخشب(١) أما الآخر فيطلق عليه اسم ناقوس حديد ، أى الناقوس المصنوع من الحديد .

وينقسم النوع الأول بدوره إلى قسمين : فهناك نواقيس يبلغ عرضها نحو قدم واحد ، فى حين يصل طولها إلى نحو ستة أقدام ؛ وهذه تعلق بواسطة حبال فى سقوف الكنائس ، وتستخدم فى حث المؤمنين على أداء الخدمة المقدسة ؛ وهم يضربونها بمطرقة خشبية صغيرة الحجم . وهناك صنف آخر أصغر من ذلك حجما بكثير يمسك باليد ويضرب بالمثل بمطرقة صغيرة من الخشب .

أما الثانى ، أى الناقوس الحديد ، فهو عادة أقل حجما من النواقيس الخشبية ، وهو يستخدم بصفة أكثر خصوصية فى كنائس الأروام فى الامبراطورية العثمانية ، أكثر مما يستخدم فى الكنائس الأخرى ؛ ويطلق عليه بعض المؤلفين اسم سيمنتيرى ؛ ولعل هذا هو اسمه فى اللغة **الدارجة** ، وان كان الاسم الحقيقى الذى يعطيه له الأروام أو اليونانيون هو هاجيوزيدير h agiosidêre ، وهى كلمة يونانية تتكون من مقطعين : hagios هاجيوس بمعنى مقدس ، وسيدروس sidéros بمعنى حديد (أى الحديد المقدس) .

ونتوقف ببحثنا حول هذا النوع الأخير عند هذا الحد ، محتفظين لأنفسنا بحق الحديث عنها بشكل أكثر إيجابية وأكثر تفصيلا ، حين نتصدى لمعالجة الحالة الراهنة لفن الموسيقى فى مصر . أما الآن ، فهذا هو ما نستطيع أن نقوله ، كيما نعطى بعض فكرة عن هذا النوع من آلات الايقاع ، التى يراها المرء بين رسوم كهوف إيليتيا (الكاب) .

---

(١) وتعنى هذه الكلمة بصفة عامة كل آلة من آلات الايقاع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الثالث

عن الدف القديم فى مصر

ليس من اليسير أن يكون المرء لنفسه فكرة دقيقة عن شكل الدفوف المصرية القديمة ، نقلا عن تلك الدفوف المنقوشة فوق المبانى القديمة لهذا البلد ؛ ومن العسير كذلك علينا أن نجدها فى شكل الصنوج مالم نكن قد قمنا بدراسة خاصة بهذا النوع من الآلات وبالاستعمالات التى خصصت من أجلها . وحيث لم يسمح جهل القدماء فيما يتعلق بالمنظور ، لكل من الحفارين أو صانعى التماثيل أن يبرزوا الأشياء إلا من منظور جانبى ، فلم يكن بمقدور المرء أن يقدر سمكها . ولم يكن من شأن الرسوم بالغة الأمانة والدقة والتى رسمت لها ، أن توقفنا على هذا السمك بحيث بدت هذه الدفوف شبيهة بالأقراص ، تمسك بها الشخوص كما لو كانت تلتصق بأيديها . إننا لم نكن بمستطيعين على الاطلاق أن نتعرف على هذا النوع من الآلات الموسيقية لو لم يكن الشعراء قد علمونا كيف نميز الدفوف القديمة ، فهم يطلعوننا على طريقة الإمساك بها والعزف عليها[1] وكذلك على اغراض استخدامها فى حفلات العبادة ، سواء فى ذلك عبادة باخوس[2] أى أوزيريس ، أو فى عبادة رع ، أو فى عبادة قيبال Cybele التى هى ايزيس[3] .

---

(١) أوفيدوس ، مسخ الكائنات ، كتاب ٣ ، بيت ٤٠٨ ، وكتاب ٤ ، بيت ٢٩ ؛ المؤلف نفسه ، التقويم ، كتاب ٤ بيت ٣٤٢ ؛ بروبرتيوس ، ك ٣ ، إليجية ١٧ ، بيت ٣٣ .

(٢) يوريبيديس ، عابدات باكخوس ، أبيات ١٤٧ ، ١٤٨ ؛ المؤلف نفسه ، الكيكلوبس ، أبيات ٦٥ ، ٦٦ ؛ أوفيدوس ، أنظر أعلاه ؛ فايدرا لهيبوليتوس ، أبيات ٤٧ ، ٤٨ ؛ بروبرتيوس ، انظر أعلاه ؛ نونوس من مدينة بانوبوليس (اخميم حاليا) ؛ ديونيسوس ، ك ١٧ ، بيت ٢٢٩ .

(٣) أورفيوس ، بخور أم الأرباب ، فى مواضيع متفرقة ، بخور ريا ، عطور ، بيت ١ وما يليه ؛ يوريبيديس ، عابدات باكخوس ، بيت ١٢٤ ؛ أريستوفانيس ، الزنابير ، فصل ٥ ، مشهد يجمع بين بديليكليون وكسانثياس وسوسيا وفيلوكيون ، بيت ١١٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع ذلك فمن المحتمل ألا تكون هذه الدفوف غير مسطحة (أى ذات عمق) أو أسطوانية الشكل مثل دفوفنا العسكرية ، ونحن من جانبنا نظن أنها لم تكن لتختلف قط ، بالضرورة ، عن الدفوف القديمة الأخرى ، التى كانت تشبه دفوفنا : تلك التى نطلق عليها دفوف الباسك .

أما الأشخاص الذين رأينا بين أيديهم هذه الآلات فقد بدوا لنا نساء ؛ وفى الواقع فقد كان الدف ، عند الاغريق وعند العبريين ، وعند الغالبية العظمى من شعوب الشرق القديم ، آلة تختص بها النسوة أو على الأكثر تدخر لرجال تجردوا من رجولتهم أمثال كهان اليونان القديمة . ولا يزال المرء يراه حتى اليوم فى مصر بشكل اعتيادى فى أيدى النسوة أكثر مما يراه فى أيدى الرجال . وهنا يكمن السبب الذى من أجله ، دون جدال ، جاءت هذه الآلات خفيفة ، سهلة الاستعمال .

ولهذا السبب فإننا نظن أنه عن طريق الأشخاص الذين نقشوا أو رسموا فوق المبانى المصرية القديمة ، ممسكين فى أيديهم بقرص كبير ، وهم يرقصون ، قد أريد رسم كاهنات باخيات ، يضربن على طبولهن أو دفوفهن الشبيهة بدفوف الباسك لدينا .

ومن المؤكد أن عادة الحفر أو الرسم فوق المبانى الأثرية ، بل حتى فوق الآنية لراقصات باخيات ، وهن ينقرن على دف الباسك ، كان أمرا بالغ الانتشار بين اليونانيين ، وهم ، كما هو معروف ، قد استعاروا غالبية أنظمتهم الدينية والمدنية وكذلك فنونهم من المصريين ؛ ويخبرنا بلوتارك أنه كانت ترى كذلك بعض هذه الآلات مرسومة أو محفورة فوق معابد اليهود(١) .

---

(١) يقول بلوتارك فى أحاديث المائدة ، الكتاب الرابع ، القضية الخامسة :

Plutarque, propos de table, liv IV, quest. 5

« واذا كان اليهود ، سواء بدافع دينى ، أو بسبب الكراهية قد امتنعوا عن أكل لحم الخنزير فإن مزراق باخوس(*) وكذلك الحربة والطبلة(**) التى يراها المرء مرسومة فوق تلبيسة حواجز أو جدران معابدهم ، لا يمكنها أن تناسب ، بشكلها الاحتفالى هذا ، إلها آخر سوى باخوس » .

(*) صولجان أو رمح يتوج بحلية على شكل كوز صنوبر يلف أحيانا بأعواد الكرمة ، وكان يحمله باخوس وأعوانه . [المترجم] .

(**) الكلمة المستخدمة هنالك tambourin ومعناها الطبلة طويلة العنق ، والتى ينقر عليها بعصا واحدة . [المترجم] .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذن فنحن بصدد عادة أو استعمال انتشر بين جزء كبير من شعوب الشرق الأقدمين ؛ وبمعنى آخر ، فليس من المحتمل أن يكون المصريون ، وهم كانوا يعرفون هذه الآلة ، وكانوا يستخدمونها فى معابدهم وحروبهم[١] ، بل كانوا هم مخترعيها[٢] ، هم الوحيدين الذين يستطيعون أن يهملوا زخرفة معابدهم ، بصور من هذا النوع .

ولهذا السبب ، فإن ماحدسناه منذ البداية ، وكذلك ما تحملنا على الاعتقاد فى صحته شهادة الشعراء ، قد وجدناه مجسدا فى عادات شعوب الشرق .

---

(١) كليمانس السكندرى ، المربى ، الكتاب الثانى ، فصل ٤ ، ص ١٦٤ د . .
(٢) نفس المؤلف ونفس المرجع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المبحث الرابع

عن اسم الدف القديم فى اللغة المصرية
والذى يعرف فى لغتنا الدارجة باسم
دف الباسك

يستحيل أن يكون فى اسم هذه الآلة مبعث لأى شك ، فقد احتفظت لنا به اللغة القبطية ، وهو الاسم كمكم kemkem الذى ظن لاكروتشه أنه اسم المزهر أو الجلجل ، إذ جعله مشتقا من الكلمة اليونانية seiein بمعنى يهز أو يرج ، ولأن المرء يجده مستخدما بهذا المعنى فى الترجمة القبطية للمزمور الحادى والعشرين ، الآية ٧ ، والاصحاح السابع ، الآية ٧ .

ولكننا قد سبق أن برهنا على أن اسم سستر أى مزهر أو جلجل يعنى الآلة الموسيقية ذات الصليل أو الرنانة ، وأنه لا يمكنه بأية حال أن يعطى عند المصريين معنى مماثلا للفعلين يرج أو يهز ، وفى واقع الأمر فإننا لا نجد مثالا واحدا أخذت فيه كلمة كمكم على أنها تعنى المزهر . بل إن الشراح الأقباط قد حولوا كلمة كمكم kemkem إلى تف toph وهى تعنى فى العبرية دفا من نوع الدفوف التى تحدثنا للتو عنها أى الدف الذى تستخدمه النسوة ، وهو شبيه بالدف الذى نطلق نحن عليه اسم دف الباسك .

ولهذا السبب نقرأ فى النص العبرى للمزمور ١٥٠ ، الآية الرابعة : « هاليلا أوهو بى توف أو ماشول » أى « سبحوه بدف ورقص ، سبحوه بأوتار ومزمار » ثم نجد هذا النص نفسه فى اللغة القبطية : « سمو إرق هن تان كمكم نم طاسى كورس وهكذا تقابل الكلمة القبطية كمكم الكلمة العبرية تف – أى دف – والذى يعنى (عندنا) دف الباسك . ومن الصحيح أن الأقباط قد قصدوا بمعنى كمكم دفا من نوع هذه التى نتحدث عنها ، وأن هذه الكلمة قد تحولت فى الترجمة الهامشية من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القبطية إلى العربية[١] إلى كلمة دفوف ، جمع دف[٢] ، كما أننا نجد فى الترجمة القبطية للمزمور ١١٨ ، الآية ٥ ، كلمة rep- kemkem ربـسكمكم لكى تشير إلى ضاربات الدف .

ولو أننا مضينا لنقدم بعد براهين على هذه الدرجة من الوضوح ، براهين أخرى ، لكان محقا ذلك القارىء الذى يوجه إلينا الاتهام بأننا نسعى وزاء استعراض للمعرفة لا جدوى منه ؛ ومع ذلك فإننا على يقين بأن العمل الذى نقدمه هنا الآن ، أقل جاذبية فى حد ذاته ، حتى أننا قد اختصرناه إلى أقصى قدر ممكن (مَن الاختصار) بالنسبة لنا ؛ بل لكم كنا نود لو استطعنا أن نستبعد منه كل ما ليس له ضرورة مطلقة ؛ ومع ذلك ، فحيث ان هذه المادة لا يعرفها سوى القليلين ، فقد ظننا أن من المناسب أن نضيف بعض الأفكار ، إلى الكثير من النقاط التى كانت تحتاج إلى توضيح .

---

(١) كتبت هذه الترجمة على هذا النحو للتسهيل على أقباط اليوم الذين لم يعودوا يفهمون لغتهم الخاصة .

(٢) وهو اسم نوع من دفوف الباسك ، لا يزال المصريون يستخدمونه حتى اليوم ، وبمعنى آخر ، فإنه مما لا شك فيه أن الكلمة العربية : دف ليس لها قط أصل يختلف عن أصل الكلمة العبرية : تف toph ، بل إنها ليست شيئا آخر غير هذه الكلمة الأخيرة ، وان كانت تلفظ بطريقة أكثر رقة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتب أخرى للمترجم

أولاً : فى مجال الأدب :

١- المطاردون (مجموعة قصص قصيرة) .

٢ - حكايات من عالم الحيوان .

٣ - المصيدة (مجموعة قصص قصيرة) .

٤ - موتى بلا قبور (مسرحية تأليف چان بول سارتر) .

٥ - السماء تمطر ماء جافا . .

(رواية تسجيلية تتناول وقائع الوحدة المصرية السورية وانفصالها) .

ثانيا : فى مجال التاريخ :

١ - تطور مصر من ١٩٢٤ إلى ١٩٥٠ . تأليف مارسيل كولب .

٢ - فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية . تأليف أندريه ريمون .

ثالثا : الترجمة العربية الكاملة لموسوعة وصف مصر تأليف علماء الحملة الفرنسية .

١ - المصريون المحدثون .

٢ - العرب فى ريف مصر وصحراواتها .

٣ - دراسات عن المدن والأقاليم المصرية .

٤ - الزراعة ، الصناعات والحرف ، التجارة .

٥ - النظام المالى والإدارى فى مصر العثمانية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٦ - الموازين والنقود .

٧ - الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين .

٨ - الموسيقى والغناء عند المصريين المحدثين .

٩ - الآلات الموسيقية المستخدمة عند المصريين المحدثين .

١٠ - مدينة القاهرة - الخطوط العربية على عمائر القاهرة .

رابعاً : لوحات موسوعة وصف مصر :

١ - المجلد الأول والثانى للوحات الدولة الحديثة .

٢ - المجلد الأول من لوحات الدولة القديمة .

خامسا : من موسوعة وصف مصر :

(دراسات مختارة من الموسوعة فى كتيبات)

١ - كيف خرج اليهود من مصر القديمة .

٢ - مدينة الأسكندرية .

٣ - مدينة رشيد .

تحت الطبع

- مقياس الروضة .

- القاهرة المملوكية .

- بقية مجلدات لوحات موسوعة وصف مصر .

- بقية الدراسات المختارة من موسوعة وصف مصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ت : ٩٣٢٧٠٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

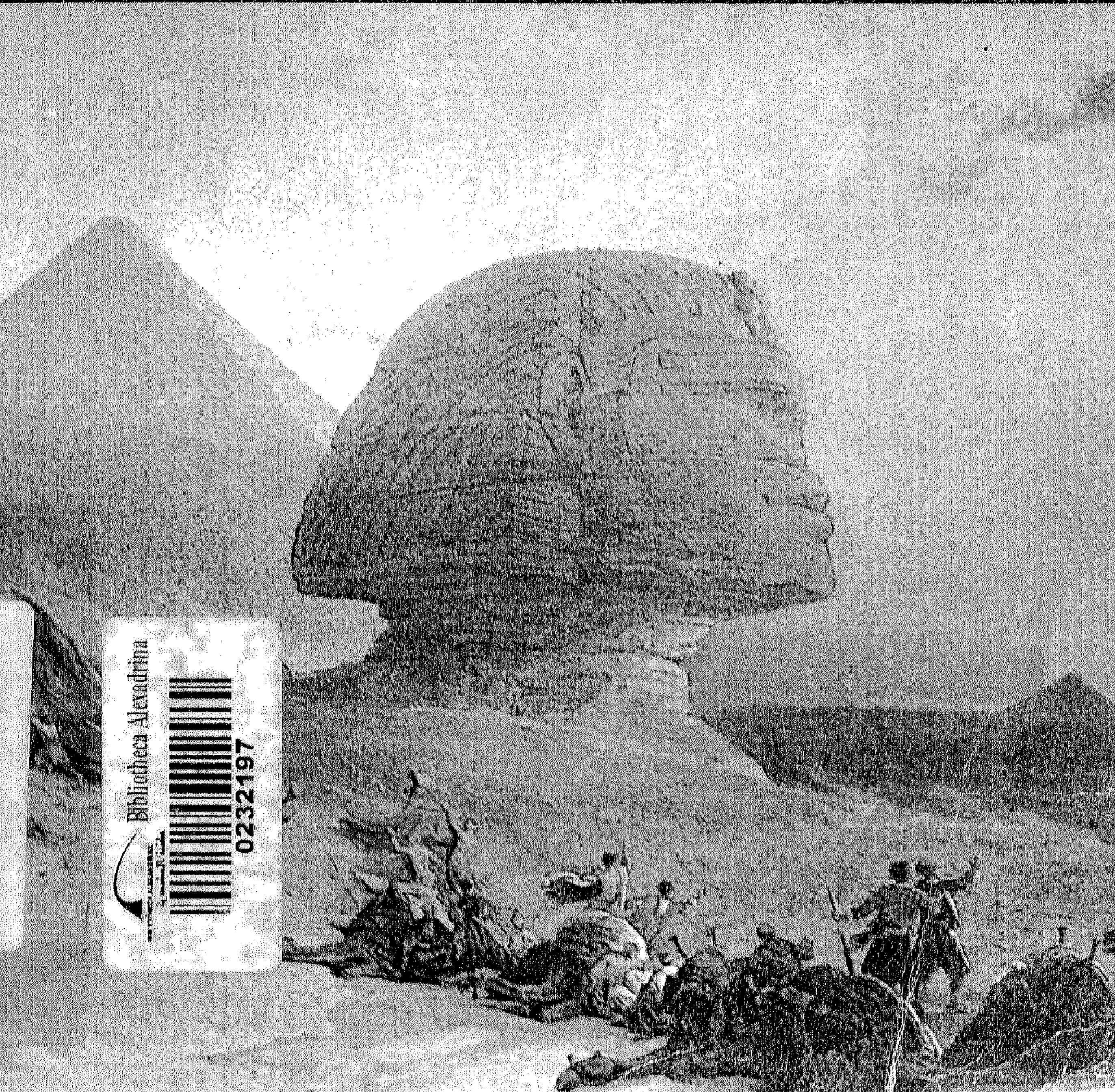

Bibliotheca Alexandrina
02332197